

الكتب التاريخية

تاريخ المغرب العربي

٢
تاريخ دول الأغالبة والرستمين وبني مزاروا الأدارسة
حتى قيام الفاطميين

دكتور
سعد زغلول عبد الحميد

الناشر
إسكاف بالاسكندرية
جلال حري وشركاه



0,282

١٧٤
١٧٤

ع ب د

ن

٧٤

تاريخ المغرب العربي

الجزء الثاني

تاريخ دول الأغالبة والرسميين وبنو مدرار والأدارة
حق قيام الفاطميين

دكتور

سعد غلoul عبد الحميد

أستاذ التاريخ والادب في جامعة الكويت سابقا
أستاذ بكلية الادب جامعة الكويت



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)

Bibliotheca Alexandrina

المركز الوطني لكتبة الاسكندرية
رقم الكتاب: ١٠٩٤٤
رقم المؤلف: ١٠٩٤٤

الناشر: دار الفارابي

جلال حزي

٥٠٠/١١٠٠

ع ب د

ت

٧٠٠

تاريخ المغرب العربي

الجزء الثاني

تاريخ دول الأغلبية والرسميين وبنو مزار والادارة
حتى قيام الفاطميين

دكتور

سعد غلoul عبد الحميد

أستاذ التاريخ والادارة بجامعة الكويت سابقا
أستاذ بكلية الادارة جامعة الكويت



General Organization of the Alexandria
Library (GOAL)

Bibliotheca Aegyptia

المركز الوطني لكتبة الاسكندرية
رقم الكتاب: ٩٦٤
رقم المجلد: ١٥٩٢٢

الناشر // ستيفان

جلال حزي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ
"قرآن کریم اساتذہ یوسف"
۱۱۱

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَى الْأَلْبَابِ
"قرآن کریم اساتذہ یوسف"
۱۱۱

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا : « تاريخ المغرب العربي » من العصور الى قيام الدولة الفاطمية ، وهو يتناول الفترة الخاصة بدول الأغالبة ، والرستميين ، والمداريين ، والادارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، وعلان خلافة المهدي عبيد الله .

وهنا أود أن أضيف هامشا الى موضوع المصادر . ففي الفترة التي كنا نقدم فيها الكتاب الى المطبعة ، وفقت الدكتور نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الى كشف هام من مصادر تاريخ الأندلس . فلقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقتبس » لاس حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ الى سنة ٢٣٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

ولقد اطلعنا على المخطوط الثمين وترويدا منه ببعض النصوص الخاصة بالعلاقة بين دول المغرب (الصوفا) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس . وكنا قد اكتفينا بالإشارة الى بعضها مما يوحد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي برونسسال في « تاريخ أسبانيا الاسلامية » .

ومع تهنتني للدكتور نبيلة حسن بكشفها الهام ، أرجو أن تتم منه الفائدة ، فيتيسر لها اخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب . وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ - ١١) لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب ، من : الدكتور نبيلة حسن ، والدكتور محمد عبدالعال أحمد ، الى الأستاذين محمد عبد العزيز ويوسف شكرى ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمة وخلفائهم في المغرب ، الى الهجرة الهلالية - انه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

المقدمة

هذا هو الجزء الثاني من كتابنا « تاريخ المغرب العربي » من الفتح الى قيام الدولة الفاطمية ، وهو يتناول الفترة الخاصة بدول الأغالبة ، والرسطيين ، والمدائيين ، والإدارسة حتى قيام الدولة الفاطمية ، وإعلان خلافة المهدي عبيد الله .

وهنا أود أن أضيف هامشا الى موضوع المصادر . ففي الفترة التي كنا نقدم فيها الكتاب الى المطبعة ، وفقت الدكتوراة نبيلة حسن ، مدرسة التاريخ الاسلامي بكلية الآداب بجامعة الاسكندرية ، الى كشف هام في مصادر تاريخ الأندلس . فلقد تعرفت على الجزء من كتاب « المقتبس » لابن حيان مما يعالج تاريخ الأندلس من سنة ١٨٠ هـ الى سنة ٢٣٢ هـ ، وذلك بين المخطوطات المصورة بمكتبة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية .

ولقد أطلعنا على المخطوط النسخ وترودنا مه ببعض النصوص الخاصة بالعلقة بين دول المغرب (الصدة) ، في تلك الفترة ، وبين الأندلس . وكنا قد اكتفينا بالإشارة الى بعضها مما يوحد بالفرنسية في كتاب الأستاذ ليفي بروفيسال في « تاريخ اسبانيا الاسلامية » .

ومع تهنتني للدكتور نبيلة حسن بكشفها الهام ، أرجو أن تتم منه العائدة ، فيتيسر لها اخراج المخطوطة الثمينة محققة مدروسة في وقت قريب . وبهذه المناسبة أحب أن أكرر ما سبق أن سجلته من الشكر في المقدمة (ج ١ ص ١٠ - ١١) لكل من عاونني في اخراج هذا الكتاب ، من : الدكتور نبيلة حسن ، والدكتور محمد عبدالعال أحمد ، الى الأستاذين محمد عبد العزيز ويوسف شكري ، وكذلك الناشر السكندري الأستاذ جلال حزي .

والأمل أن يوفقنا الله في اخراج الجزء الثالث من الكتاب ، في : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب : من الأئمة وخلفائهم في المغرب ، الى الهجرة الهلالية - انه نعم المولى ونعم النصير .

سعد زغلول عبد الحميد

الكويت في ١٩٧٩/٣/٨

محتويات الجزء الثاني

المقدمة

محتويات ص ١

مقدمة بحرب الى . بع دور ص ٢٣

الفصل الأول

قيام الأغالة في القيروان ، ص ٢٥

ابراهيم بن الأغلب ص ٢٧ - عباسه (القصر القديم) عاصمة
جديدة لأمير ص ٣١

اقرار ابن الأغلب للامور في افريقية : بوره حريس انكندى في تونس ،
ص ٣٤ - ثورة الحمد بن طرابلس ص ٣٦ - ثورة عمران بن ميجالد
« الوبرير » ص ٣٦

ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب ، ص ٤٠ - سقوط
تفاهم بين أفراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي ، ص ٤١ - معارضة الفقهاء
للإصلاح المالي ، ص ٤١ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب : سياسة قوية . قوامها العنف
والقبو ، ص ٤٣ - ثورة ابن الصقليه ، وعصيان عمرو القيسي ، ص ٤٤ -
ردود العمل . لسياسة العنف بوجه الطنبلي ص ٤٦ - يوم دار الصناعة :
الغدير يحنن القروان في تونس ، ص ٤٧ - ثورة منصور الطنبلي تستشري ،
ص ٤٩ - « ملوك الطوائف » مافريقية ص ٥٠ - صف من الرجال تزيين
الشيدان صلاحه زيادة الله بطاوى الطنبدى على ابوب القيروان ، ص ٩٢ -
ما بين الانتصار في القيروان والهرسة في سيبه ص ٥٣ - علاقة غريبة

محتويات الجزء الثاني

المقدمة

محتويات ص ١

نساء عرب الى . بع دور . ص ٢٣

الفصل الأول

قيام الأغالة في القيروان . ص ٢٥

ابراهيم بن الاغلب . ص ٢٧ - عاصمة (القصر القديم) عاصمة
حديثة لامرئ . ص ٣١

اقرار ابن الاغلب للامور في افريقية : ثورة حريس الكتندى في تونس ،
ص ٣٤ - ثورة الحسد في طرابلس . ص ٣٦ - ثورة عمران بن محييالد
و الوثير . ص ٣٦

ولاية ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب . ص ٤٠ - سقوط
تفاهم بين افراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي . ص ٤١ - معارضة الفقهاء
للاصلاح المالي . ص ٤١ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب : سياسة قوية . قوامها : العنف
والقبضة ، ص ٤٣ - ثورة ابن الصقليه ، وعصيان عمرو القيسي ، ص ٤٤ -
ردود الفعل لسياسة العنف : ثورة الطنبلي . ص ٤٦ - يوم دار الصناعات :
الغلبة بجند القروان في تونس ، ص ٤٧ - ثورة منصور الطنبلي تستشري .
ص ٤٩ - « ملوك الطوائف » بافريقية . ص ٥٠ - صنف من الرجال تزيين
الشيداند صلاه . زيادة الله يطالب الطنبدى على ابو - القيروان ، ص ٥٢ -
ما بين الانتصار في القيروان والهرسة في سبيبة . ص ٥٣ - علاقة غريبة

بالخلافة وسط دوامة الاضطراب ، ص ٥٤ - انتقال الصراع الى الجنوب التونسي ، حيث عامر بن نافع ، ص ٥٥ - ظروف موالية لزيادة الله : الصراع بين منصور الطنبلي ، وعامر بن نافع في تونس ، ص ٥٦ - عامر يفسد بنصور ، ص ٥٧ - نهاية منصور الطنبلي : الحكم عليه بالاعدام ، ص ٥٨ - نتائج مقتل الطنبلي في صفوف الجند المتمرد ، منافسون جدد لعامر بن نافع ، ص ٥٩ - تحسين الموقف بالنسبة لزيادة الله : قرار فتح صقلية ، و وفاة عامر بن نافع ، ص ٦٠ - نهاية الفتنة ، ص ٦٠ - اضطرابات حليفة بين الجند ، وخاصة في تونس ، ص ٦١ - العفو عن المتمردين ، ص ٦٢ - تقويم زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب : شخصية مزدوجة ، رقة تغلفها الغلظة ، ص ٦٣ - زيادة الله شاعرا ، ص ٦٤ - ما بين فسقه وورعه ، ص ٦٥ - أبو محرز قاضيا ، ص ٦٦ - ما بين أبي محرز وأسد بن الفرات ، ص ٦٧ - أسد بن الفرات ، ص ٦٩ - أحمد بن أبي محرز ، ص ٧٠ - أعمال زيادة الله العمرانية : رباط سوسة ، ص ٧١ - قنطرة باب أبي الربيع ، ص ٧٢ - مسجد القيروان الجامع ، ص ٧٣ -

أبو عقاب الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ، المعروف بخزر : الأمن على عهد الأغلب ، ص ٧٥ - خزر ، ص ٧٦ - العودة الى ضريبة العشر ، ص ٧٦ - ضبط الجند والعمال ، ص ٧٧ - منح النبذ ، ص ٧٧ -

أبو العباس محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : معالم العهد ، ص ٧٨ - ملك محدود المواهب ، حسن الطالع ، ص ٧٩ - انقلاب يدبره أخوه أحمد ، ص ٧٩ - استبداد أحمد بالسلطة ، ص ٨٠ - محمد يستعيد سلطانه ، ص ٨١ - من نتائج الصراع بين الأخوين : اضطراب بلاد الزاب ، ص ٨٣ - اضطراب تونس : ثورة القويح ، ص ٨٤ - استكمال العمل في رباط سوسة ، وبناء « البغاسية » قرب تاهرت ، ص ٨٥ - ازدهار المالكية على أيام محمد ابن الأغلب ، ص ٨٦ -

الامام سحنون : شبابه وتكوينه العلمي ، ص ٨٦ - سحنون ناسكا ، على مله أهل المدينة ، ص ٨٨ - ولاية سحنون القضاء ، ص ٩٠ - تنظيماته القضائية : درجات القضاء ، ص ٩٠ - أعوان القاضي ، ص ٩١ - القضاء والأمر بالمعروف ، ص ٩٢ - الحسبة في الأسواق والقضاء على الكلاب الضالة ، ص ٩٣ - سلطانه في الأندلس ، ص ٩٣ - توسيع نطاق الحسبة ، ص ٩٣ - الاشراف على الجامع ، ص ٩٣ - مجلس القضاء والاجراءات القضائية ، ص ٩٤ - السلة في تطبيق القانون ، ص ٩٤ - الأمير يعين قاضيا ثانيا الى

ح - حنون ص ٩٧ - نراث سحنون ص ١٨ - سداد شمعي لوفاة
حنون ، ص ٩٨ .

أبو ابراهيم احمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ،
ص ٩٩ - اضطراب منطقة طرابلس ، ص ١٠٠ - أعمال الأمير الشهاب
الدرعة ، ص ١٠٠ - أعماله العمرانية . مواجل الماء ، توسيع جامع القيروان ،
د ، جامع سوسة . ص ١٠١ - وفاة محمود ، ص ١٠٣ .

أبو محمد زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب :
شك زري يحكم لمدة ستة واحدة . ص ١٠٤ .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب (أبو الفرائيق) ، ص ١٠٤ -
ضام في مقتل العسر . معجل على الحياة . حرم بالصيد ، ص ١٠٥ -
مع منظره ص ١٠٦ - أعمال عمرانية على أيام أبي الفرائيق ، ص ١٠٧ .
محمد بن سحنون : أهم أعماله ، والحياة الدينية على عهد الأمير أبي الفرائيق ،
ص ١٠٧ - الصراع بين المالكية والحنفية : محنة محمد بن سحنون ، ص
١٠٨ - أفكاره السياسية ائدينية ، ص ١٠٩ - موقفه من الارجاء . النزاع
بين السحنونية والعدوسية . ص ١٠٩ - الخصومة مع القاضي وصاحب
الصلاة ، ص ١١ - وفاة أبي الفرائيق . نهاية تعة للشباب اللامي وسط
أقطاب الدين والنسك ، ص ١١٢ .

أبو اسحق ابراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ،
ولايته ، تنحية أبي عقاب ابن أبي الفرائيق ، ص ١١٣ - عهد الاستبداد
والاصلاح : ذروة العصر الأعلى ، أمير نموذج للملك الاغالبية ، ص ١١٤ -
بناء نقاصة جديدة . رقادة ، ص ١١٦ - الحدم الصقالبة في القصر القديم
يختجون على تغيير العاصمة . و ابراهيم يرد عليهم بالعنف ، ص ١٢٩ -
استخدام الجند من السودان . ص ١١٩ - متاعب خارجية في طرابلس :
مواجهة غير متوقعة بين الاغالبية والطولونيين . ص ١٢٠ - مسير العباس بن
أحمد بن طولون الى برقة ، ص ١٢٠ - العباس يتصل بالقبائل في طرابلس
وانريقية ، ص ١٢٢ - ابراهيم يبحث قائده ابن قرحب نحو طرابلس ، ص
١٢٣ - اللقاء بين الاغالبية والطولونيين في وادي ورداسة ، ص ١٢٣ -
الطولوسون يدخلون لبدو ويحضرّون طرابلس . وقسام اباضية نفوسة
سدهم . ص ١٢٣ - انسحاب غير منتظم للقوات الطولونية امام الاباضية ،
ص ١٣٤ - الاموال المصرية تسد فراغا في خزانة ابراهيم . ص ١٢٥ - المجاعة

والاضطرابات الداخلية . ص ١٢٦ - وزداجة في باجة ، ص ١٢٦ - هواره
(ما بين العصيان والطاعة) ، ص ١٢٧ - لوانة في باجة ، ص ١٢٧ .

إلى نازم لمدة خمس سنوات تنتهي باصلاح مالي ، ص ١٢٨ - درهم
الفضة وحدة التعامل الصغرى ، وثورة صغار التجار في القبروان ، ص ١٢٨ .
استقرار الاصلاح النقدي ، ص ١٢٩ .

تبدل في مزاج ابراهيم بن احمد نحو القسوة الدموية ، واثار ذلك على
مجرىات الأمور . - تصفية رجال الدولة والمقربين بطريقة « سوداوية » :
القاضي ، ص ١٢٩ - الكاتب ، ص ١٣٠ - الحاجب ، ص ١٣١ - عامل
الحراج ، ص ١٣١ - الطبيب الخطير : خبير السموم ، ص ١٣١ - الفتى
الحاجب ، ص ١٣٢ - فتیان الصقالبة ، وعلم النجوم ، ص ١٣٢ . استخدام
السودان ، ص ١٣٣ - مذبحه عرب يلقبه - للمسار الأول في نفس الدولة
الأغلبية ، ص ١٣٤ - انتفاض البلاد على ابراهيم بن احمد ، ص ١٣٦ -
الاضطراب يعم كل المملكة ، ص ١٣٦ - مبدأ قرق تسد : القمل على التفرقة
بين المخالفين ، ص ١٣٧ - ابراهيم يقضى على الثوار واحسد بعد الآخر .
الجزيرة ، ص ١٣٧ - قعودة ، ص ١٣٨ - تونس ، ص ١٣٨ - تونس مرة
أخرى ، ص ١٣٨ - اتخاذ مدينة تونس مقرا لابراهيم ، ص ١٣٩ - ابراهيم
ابن احمد يشدد قبضته على البلاد : العهد الى أبنائه بولاية الأقاليم ، ص
١٣٩ - هل أدت النقلة الى تونس أغراضها ؟ : العودة الى رقادة ، ص ١٤٠ -
الأحوال تنذر جالانفيجار في إقليم طرابلس والحلقة محتج على سياسة ابراهيم
العنيفة في تونس ، ص ١٤٠ - قبائل نفوسه الاناضلية في إقليم طرابلس
تقف ضد ابراهيم ، ص ١٤١ - ابراهيم يسير بنفسه لقتال نفوسه . وقعه
مانو ، ص ١٤١ - قتال عظيم ، وانتقام مروع ، ص ١٤٢ - قتل والي طرابلس .
محمد بن زيادة الله ، واشاعة الرعب في الاقليم ، ص ١٤٣ - اضطراب
العسكر ، ص ١٤٣ - نوع من الرقابة الشعبية : شيخ صالح يأمر ابراهيم
بالمرووف ، ص ١٤٤ - هل حققت دعوة الشيخ الصالح غرضها ؟ ، ص ١٤٤ -
تحذير جديد من الخلافة : مقدمة للاعتزال ، ص ١٤٥ - نجاح أبى عبد الله
الاسمى واعتزال ابراهيم بن احمد ، ص ١٤٦ - نوبة ابراهيم ، ص ١٤٧ -
الاعتزال والمهد لأبى العباس ، ص ١٤٨ .

وفاة ابراهيم بن احمد في ايطاليا ، ص ١٤٨ - شخصية ابراهيم
وتقويم عهده ، ص ١٤٨ - ما بين الجائر الظالم والمصلح العادل . ص ١٤٩ -
في أعماله العمرانية : تأمين الطرق وبناء المحارس ، ص ١٤٩ - ما بين الأمور

- ٥ -

العامة وشؤون الأمير الخاصة ، ص ١٥٠ - مستبد مصلح : أثر الإصلاحات
المستألفة ، ص ١٥١ - عنف في مسبيل هيبة الدولة ، ص ١٥١ - أسرار
التصور ، وأثرها على نفسية الأمير ، ص ١٥٢ - والدته إبراهيم : شخصية
عازمة تتبع في ظل الأمير ، ص ١٥٢ - الوالدات تعمل في التجارة ، والأمير
ينصف المتهملين معها ، ص ١٥٢ - دعوة المتظلمين إلى مجلس الأمير ، ص
١٥٣ - مآسي الحرير ومسئولية الوالدات وغيرها من النساء ، ص ١٥٣ - تقييم
أحمر حطية عصر ، ص ١٥٤ - تمزق بين الخير والشر ، ص ١٥٥ .

أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأتلي بن إبراهيم
ابن الأتلي : نائب الملك ، الفارس العالم ، ص ١٥٦ - إعادة النظر في أعمال
الوالد المناسك ، ص ١٥٦ - أبو العباس أمير ، ص ١٥٧ - أبو العباس يتنصت
بدوره ، ص ١٥٨ - وشاية بولي العهد : زيادة الله ، تنتهي بحبسه ، ص ١٥٨
- مقتل أبي العباس بأيدي فتيانه ، ص ١٥٩ .

آخر الأغلبة ، أبو نصر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن إبراهيم
ابن أحمد بن محمد بن الأتلي بن إبراهيم بن الأتلي : ولاية ثمنها شراء
القواد ، والغدر بالأعمام ، وقتل الأخوة والفتيان ، ص ١٦٠ - نتائج فاشلة
مقدمات فاشلة ، ص ١٦٢ - احكام نظام الدولة وترتيب الدواوين ، ص ١٦٢ -
الصراع ضد أبي عبد الله الشيعي : محاولات جادة بدون طائل ، ص ١٦٣ -
التطلع نحو الخلافة شرقا ، والحسينيين في الغرب ، ص ١٦٥ - تبينة الرأي
العام في إفريقيا ضد الشيعي ، ص ١٦٥ - هدية إلى الخليفة ، ص ١٦٦ -
نقل العاصمة إلى رقادة ، وعبث وقت الجهد ، ص ١٦٧ - الأعداد الجدي لحرب
الداعي ، ص ١٦٨ - موقعة خاسرة قرب قسنطينة ، ص ١٦٨ - نتائج الهزيمة :
ممنويات متدنية في الجيش الأغلب ، ص ١٦٩ - تخبط زيادة الله في اختيار
الرجال ، ص ١٦٩ - الأربس - على أبواب القيروان - نفرا ، ومفرا مؤقتا ،
للأمير وحاشيته ، ص ١٧٠ - ما بين الجد والهزل في مركز القيادة ، ص ١٧١
- استيلاء الداعي على بلزمة وطبنة ، ص ١٧١ - حرب الدعاية تسير جنبا إلى
جنب مع القتال : أبو عبد الله يلقى نظام الضرائب الأغلب ، ويمثل المودة إلى
السنة في طبنة ، ص ١٧٢ - زيادة الله يحاول اكتساب أهل قسطنطينية
(توزر) برفع الظلم عنهم ، فيسوء إلى عماله ، ص ١٧٣ - محاولات لاستعادة
الزباب : ابن حبشي يخرج بقواته إلى طبنة ، ص ١٧٣ - درون الدبلي يسير
إلى بلزمة ، ص ١٧٤ .

بداية التفتت : تحصين رقادة والانصراف إلى اللهو ، ص ١٧٤ - التفتت

- ٦ -

في الرحيل إلى مصر ، ص ١٧٦ - ماتم القيروان يكاد ينقلب عرسا . زيارة
سفيرة القسطنطينية ، ص ١٧٧ - عودة زيادة الله إلى تونس ، ص ١٧٧ -
جولة كبرى لابن عبد الله ييخاخ فيها ما بين صجانة وقسوة ، ص ١٧٨ -
الاستيلاء على قسطنطينية ، حيلاد الخريف ، ص ١٧٨ - رد فعل اليم في العاصمة ،
ص ١٧٩ - الجولة الأخيرة سقوط الأريس ، ص ١٧٩ - زيادة الشهيد العنة
للرحيل ، ص ١٨٠ - قرار ماساوي ، ص ١٨١ - عمليات النهب تبدأ بالوزير ،
ص ١٨٢ - نهب رقادة ، ص ١٨٢ - إبراهيم بن أبي الأغلب يقوم بمحاولة
فاشلة لتقلد الامارة في رقادة ، ص ١٨٢ .

الفصل الثالث

صقلية الأغلبية . واستقرار العرب في جنوب إيطاليا ، ص ١٨٧

تهديد : العرب وصقلية قبل الفتح الأغلب ، ص ١٨٩ - حملات تونس
الاولى على الجزيرة ، ص ١٩٠ - ارب محاولة للاستقرار في الجزيرة ، ص ١٩٤
- اليوم يصنعون الجزيرة . ص ١٩٥ - الأغلبية يتعرفون على صقلية وغيرها
من الجزر . ص ١٩٦ .

صقلية . كما عرفها الكتاب العرب : البلاد والسكان

١ - البلاد : الاسم ، صقلية ، ص ١٩٧ - التوقع . ص ١٩٨ - الشكل :
الساحل الشرقي . ص ١٩٩ - الشاطئ الجنوبي ، ص ٢٠١ - الشاطئ
الشمالي ، ص ٢٠١ - الوصف : جزيرة الحصب والعمران ، ص ٢٠٤ - ابنة
الأندلس ، ص ٢٠٥ - الثروة المعدنية . ص ٢٠٥ - جبل النار ، ص ٢٠٦ -
المخز الحفان والسحب . ص ٢٠٦ - اكبريت ، ص ٢٠٦ - النفط ،
ص ٢٠٧ .
٢ - السكان ، ص ٢٠٧ - روم افرقية يعمر صقلية ، ص ٢٠٨ .

فتح الأغلبية لصقلية

- للقمان : صقلية ، ص ٢١٠ - الصقليون ينقضون
الصالح ، ص ٢١١ - صراعات داخلية في الجزيرة تمهد للفتح ، ص ٢١٢ -
حقيقة عرض فيسي ، واحتمالات النجاح والفشل ، ودور أسد بن الفرات ،
ص ٢١٣ - رأى للشجوان يتصرف : محمد بن الفرات ، ص ٢١٤ - الاستعداد

في بناء السور للحملة ، دار صناعة في مقبرة مروية ، ص ٢١٥ - نخروج
أسد من القيروان ، ص ٢١٦ - حجم الحملة ومعداتنا ، ص ٢١٧ - إقلاع
الحملة إلى مازر ، ص ٢١٨ - ملزق قاعدة العمليات ، ص ٢١٨ - اللقاء مع حاكم
الجزيرة في « مرج بلاطه » ، ص ٢١٦ - التوسع نحو سرقوسة ، ص ٢٢٠ -
حصار سرقوسة ، ص ٢٢١ - القحط والوباء ، ص ٢٢٢ - استمبار الضيفط
على سرقوسة ، ص ٢٢٢ - وفاة ابن الفرات في الوباء مع وصول ناسطول
من القسطنطينية ، ص ٢٢٣ - اختيار محمد بن أبي الجوارى قائدا ، ص ٢٢٤
- الوباء ، والروم أمام العرب : العودة إلى مازر والتفكير في الرجوع ،
ص ٢٢٤ - ليمى يستمر في معارضة العرب ، نيفتاله الروم في قصر يانة ،
ص ٢٢٥ - هزيمة الأرمن البيزنطيين في حيز قصر يانة ، ص ٢٢٥ - وفاة ابن
أبي الجوارى ، وولاية زهير بن نرغوث ، وهزيمة مؤلة أمام الأرمن ، ص ٢٢٦ -
حصار العرب في ميناو ، ص ٢٢٦ - حرب الاستتال : العرب يخربون قاعدتهم
في جرجنت ، وينضمون إلى اخوانهم في مازر ، ص ٢٢٧ .

البحريون الأندلسيون ، وغزو صقلية ، ص ٢٢٨ - العلاقة مع غزو
كريت ، ص ٢٢٩ - حملة الغزاة الأندلسيين ، ص ٢٣٠ - النزول قرب مازر ،
أعمال الأندلسيين تحت قيادة فرغلوش ، فك الحصار عن ميناو ، وهدمها ،
ص ٢٣١ - أخذ بلرم ، ووفاة القائد فرغلوش في الوباء ، ص ٢٣٢ - الخلاف
مع الأندلسيين ، وعودتهم إلى بلادهم ، ص ٢٣٣ .

ولاية أبي فهر محمد بن عبد الله التميمي لصقلية ، ص ٢٣٣ - ما بين
صقلية وتونس ، ص ٢٣٤ - غارات على قصر يانة ، ص ٢٣٤ - غارات على
طبرمين ، وغدر الجند بقائدهم محمد بن سالك ، ص ٢٣٥ - غارات على
سرقوسة بقيادة الفضل بن يعقوب ، ص ٢٣٥ - من المواهب الحربية التي
أظهرها كل من العرب والروم ، ص ٢٣٥ .

ولاية أبي الأغلب إبراهيم بن عبد الله ، أعمال حربية في الطريق إلى
الجزيرة ، ص ٢٣٦ - توسيع النشاط الحربي إلى مسينا ، ص ٢٣٧ - إلى
قطانية ، ص ٢٣٧ - إلى قصر يانة ، هزيمة السرية ، وأبر قائدها عبيد السلام
ابن عبد الوهاب ، ص ٢٣٧ - إخضاع قصر يانة ، ص ٢٣٨ - الحرب البحرية
ووفاة زليخة الله ، ص ٢٣٨ - خلاصة ما تم في صقلية على عهد زيادة الله
الأول ، ص ٢٤٠ .

- ٨ -

الفتوح في عهد أبي عقاب الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : حملة من إفريقية - وتوسع في حقل الجزيرة ، وفي جنوب إيطاليا ، ص ٢٤٠ -
الفتوح في كلاهما بجنوب إيطاليا - ص ٢٤١ - العرب يوطدون أقدامهم في وسط الجزيرة - ص ٢٤١ - محاولة فتح يازي - ص ٢٤٢ - فتح فايولي وسيتا - ص ٢٤٢ - امتداد العريد - وفتح مقاومة الروم - الإلحاح على مدينة لستيني - ص ٢٤٣ - أخذ لستيني - ص ٢٤٤ - الاستيلاء على طارنت في لبارديا ، ص ٢٤٥ - أخذ أرتا - ص ٢٤٥ - ومنها ، ص ٢٤٥ - وفاة أبي الأغلب إبراهيم بن عبد الله - ص ٢٤٦ -

ولاية العباس بن الفضل بمعرفة الجند : قيادة قوية حازمة ، ص ٢٤٦ - الإلحاح على قسريانة واجتياح الساحل الشرقي ، ص ٢٤٧ - الاستيلاء على الحصن الجديد ، ص ٢٤٨ - فتح قسريانة ، ص ٢٤٩ - رد الفعل لدى الروم : حملة بحرية إلى الجزيرة تنتهي بالفشل ، ص ٢٥١ - انتفاضات للروم ، ص ٢٥٢ - أعمار قسريانة ، ووفاء العباس بن الفضل ، ص ٢٥٣ - تقييم أعمال العباس ، ص ٢٤٧ -

أمر قوي في مستوى العباس بن الفضل وابنه عبد الله : خفاجة بن سفيان وابنه محمد . فترة سنيي - أحمد بن يعقوب . وعبد الله بن العباس ، ص ٢٥٤ - اختيار خفاجة بن سفيان ، ص ٢٥٥ - التوسع في إقليم سرقوسة والركن الجنوبي الشرقي : فتح تونس ، ص ٢٥٥ - خصائص الفتوح في الجزيرة ، ص ٢٥٦ - صلح طبرمين ، مقاضيات طريقة تشترك فيها النساء ، ص ٢٥٧ - صلح أرغوص - والعريان ، ص ٢٥٧ - إلحاح مستمر على إقليم سرقوسة ، وقطانيا ، ص ٢٥٨ - محاولة لم يقدر لها النجاح لأحد صبرمين ، ص ٢٥٩ - الضمط على سرقوسة - ص ٢٦٠ - مقتل خفاجة بين رجس من عشكره ، ص ٢٦٠ -

اختيار محمد بن خفاجة للولاية : ولاية صجرة سد ستيين ، تم خلالها فتح مالطة ، ص ٢٦١ - فترة الفتنة - خفاجة محمد بن خفاجة ، ص ٢٦٢ - يازي ولاية حربية مستتنة : خروج الفروج بن سالم في إيطاليا على أبي انغراتيق - ص ٢٦٣ - فتح سرقوسة : مختارها أبرار ويحزرا ، ص ٢٦٦ - هدم المدينة ، ص ٢٦٧ - مقتل جعفر بن محمد في مؤامرة غعلبية ، ص ٢٦٨ -

الحسن بن دباح : محاولات ضد طبرمين ، وصراع غير موفق . حسيد الأسطول البيزنطي ، ص ٢٦٨ - الحسن بن العباس : قيادة غير موفقة ، ص ٢٦٩ -

- ٩ -

محمد بن الفضل ، عودة الى عهد القوة : غرر افاهيم قطايا وطبرمين ،
ص ٢٧٠ - اقتحام القلعة الجديدة « مدينة الملك » ، ص ٢٧٠ - الحسين بن
احمد واليا ، ص ٢٧١ .

سودة بن محمد بن خلفجة : قيادة حازمة تبعا لتقاليد الاسرة ، غارات
على قطنيا وطبرمين ، ص ٢٧١ - عناد الأسطول السيزنطي ، والعمل على
انهاء الوجود العربي في ايطاليا ، ص ٢٧٢ - ثورة اهل بلرم على سودة ،
ص ٢٧٢ .

ولاية حبشي : احمد بن عمر بن عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب ،
ص ٢٧٣ - سودة بن محمد ، ص ٢٧٤ - محمد بن الفضل ، وصلح آلين
مع الروم ، ص ٢٧٤ - الفتنة بين العرب والبربر ، ص ٢٧٥ .

ابو العباس بن ابراهيم بن أحمد : أبو العباس ، ولي العهد ، وأليسا
والفتنة على أشدها ، ص ٢٧٦ ، عصيان أهل العاصمة ، ص ٢٧٦ - هزيمة
الثوار في طرابنش ، ص ٢٧٧ - هزيمة ثانية للعصاة على أبواب بلرم ،
ص ٢٧٨ - اللجوء الى بلاد الروم - ص ٢٧٨ - أبو العباس في طبرمين
وقطانيا ، ص ٢٧٩ - حصار دمنش . واحد ريو - ص ٢٧٩ - استدعاء أبي
العباس الى افرقية - ص ٢٨٠ - ابراهيم بن أحمد مجاهدا في صقلية ،
ص ٢٨٠ - الاستيلاء على طبرمين ، ص ٢٨١ - صدق سقوط طبرمين في
القسطنطينية ، ص ٢٨٢ - ابراهيم بن أحمد وفكرة الحج عن طريق
القسطنطينية . ص ٢٨٢ - فتوح ابراهيم بن أحمد بعد طبرمين ، ص ٢٨٣ -
حصار كسنته ، ومرض ابراهيم ، ص ٢٨٣ .

زيادة الله بن أبي العباس واليا ، ص ٢٨٤ - عزل زيادة الله ، ص
٢٨٤ - محمد بن السرقوسي واليا لصقلية ، ص ٢٨٥ .

احمد بن الحسين بن رباح واليا ، ص ٢٨٥ - الصقليون يختلون طاعة
الأغلبة ويمترفون بأبي عبد الله الشيعي ، ص ٢٨٥ .

الحسن بن أحمد بن أبي خنزير ، أوله وال فاطمي ، ص ٢٨٦ .

الفصل الثالث

الدولة الرستمية ، ص ٢٨٧

قيام الرستميين في تاهرت ، ص ٢٨٦ - قيوان جسيدي في المغرب .
الأوسط : بناء تاهرت الرستمية أو تاهرت الجديدة ، ص ٢٩٥ .

امامة عبد الرحمن بن رستم ، وتطور الأفكار الخارجية ، ص ٢٩٦ - أعمال
عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣٠٢ - تنظيم دولة (امامة) تاهرت على عهد
عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣٠٥ - دولة المشاركة والمساواة ، ص ٣٠٧ -
التنظيم المالي ، ص ٣٠٧ - تنظيم دولة رعاة ، ص ٣٠٨ - معاونو الامام ،
ص ٣٠٨ - أموال الصدقة ، ص ٣٠٩ - رواتب الامام وأعوانه ، ص ٣٠٩ -
ازدهار تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم : انعاسة الاباضية سوق
عالية ، ص ٣١٠ .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، ص ٣١١ - ابن قندين ،
زعيم بني يفرن ، يطالب بجلوس للشورى ، ص ٣١٢ - امامة قوية على عهد
عبد الوهاب ، ص ٣١٢ .

الفتنة بين اباضية القرب : الانشقاق الاول - النكار (أو النكارية) ،
ص ٣١٥ - دور سدراته ومزاةة في الخلاف ، ص ٣١٦ - تجمع المعارضين
والمطالبة بمحاكمة عبد الوهاب ، ص ٣١٨ - تسميات جديدة للنكار ، ص
٣٢١ - علاقة المعارضين بأهل تاهرت الذين عرفوا بالوهبية ، ص ٣٢١ -
تأزم الموقف بين الفريقين ، ص ٣٢٢ - مؤامرة قصصية لاغتيال الامام ،
ص ٣٢٢ - بلاه ولي العهد أفلح ، ومقتل ابن قندين ، ص ٣٢٣ - خلاف شعيب
في احيز طرابلس ، ص ٣٢٣ - اعتزال للخالفين الذين عرفوا بالواصلية ،
وتحول الامامة الى ملكية ابي خلافة ، ص ٣٢٤ - الصراع ضد النكار والواصلية ،
ص ٣٢٥ - النكار ، ص ٣٢٥ - الواصلية ، ص ٣٢٥ - الاستماعة بنفوسة
في الصراع ضد الواصلية ، ص ٣٢٦ - متسلطرة حربية تتهم بجزومة
الواصلية ، ص ٣٢٨ .

مقدمة الانشقاق الثاني ، اضطراب منطقة طرابلس ، ص ٣٢٩ -
الحرب مع هواة ، ص ٣٣٠ - عبد الوهاب في جبل نفوسة وحصار طرابلس ،

ص ٣٣١ - أزمة عدم الثقة بين عبد الوهاب واتباعه ص ٣٣٢ - الخلفية
الاشقاق الثاني ، ص ٣٣٣ - السمع بن أبي الخطاب . وولاية طرابلس .
ص ٣٣٣ - خلف بن السمع ، وولاية طرابلس ، ص ٣٣٣ - عبد الوهاب
لا يوافق على ولاية خلف ، ص ٣٣٤ - خلف يرفض الاعتزال ، ص ٣٣٤ -
استفتاء علماء المشرق والاحتجاج بالاستقلال ، ص ٣٣٥ - أبو عبيدة
عبد الحميد الجاوي والبا جبل نفوسة ، والنزاع بين اباضية طرابلس و اباضية
نموسة . ص ٣٣٥ - معارضة خلف لولاية عبد الحميد ، ص ٣٣٧ .

عهد أفلق بن عبد الوهاب : صفات الامام الجديد ، الشجاعة والعلم ،
ص ٣٣٧ - تاهرت على عهد أفلق ، ص ٣٣٩ - رخصته للثيابة ، عن
اسم الذي كان سائرهم في الامر ، ص ٣٣٩ - اختيارهم لمحكم الهواري
قاضي . ص ٣٣٩ - بدوي بين مرفعين . لا يفرق بين المتخاصمين ، ص ٣٤٠ .

توطد أركان المملكة وزيادة ازدهار تاهرت ، ٣٤٠ - قصور تاهرت ،
ص ٣٤١ - بوادي تاهرت وعناصر السكان ، ص ٣٤١ - تنظيم تاهرت على
عبد أفلق ، ص ٣٤١ .

جبل نفوسة وحيز طرابلس : خلف بن السمع . يحمل لواء المعارضة ،
ص ٣٤٢ - الحرب بين خلف وأبي عبيدة عبد الحميد ، ص ٣٤٣ - معركة تعادل
عزوة بدر ، ص ٣٤٤ - المناظرة قبل القتال ، ص ٣٤٤ - المباشلة بعسد
المناظرة ، ص ٣٤٥ - معركة أجتاوان ، وهزيمة خلف ، ص ٣٤٦ - خلف
يهجر خصومه ، ص ٣٤٧ .

النفائية ، والافتراق الثالث في الاباضية على عهد الامام الفلق :
سمية النفائية ، ص ٣٤٧ - نفات : فرج بن نصر النفوسي ، تكوينه العلمي ،
ص ٣٤٨ - ديوان جابر بن زيد ، ص ٣٤٩ - أسباب دينية للخلاف ، ص
٣٤٩ - أسباب سياسية للخلاف ، ص ٣٥٠ - ولاية قنطرة : منافسة بين
نفات وسعد بن وسيم ، ص ٣٥٠ - نفات يعطى في الامام ويشير خلافت
فقهاء ، ما بين التقليد والتحديث ، ص ٣٥١ - ازدهار المملكة على عهد أفلق ،
وسياسة « فرق تسد » ، ص ٣٥٣ - اعتقال ولي العهد أبي النقطان محمد
في بغداد الى وفاة المتوكل ، ص ٣٥٤ .

أبو بكر بن الفلق (امام تاهرت الرابع) ، اختياره : ما بين الرضى
والكراهية ، ص ٣٥٥ - غلبة محمد بن عرفة على أبي بكر ، ص ٣٥٦ - عودة

- ١٢ -

أبي اليقظان محمد بن أفلح : تآثره بالنظم البغدادية ، ص ٢٥٦ - اعترافه بالأمر الواقع ، وإلمامه أخيه أبي بكر ، ص ٢٥٧ - أبو اليقظان نائباً للامام في الحكم أبو وزير ، ص ٢٥٧ - الصراع بين محمد بن عرفة وبين أبي اليقظان ، ص ٢٥٨ - الرستميون يترصدون بأبن عرفة ، ويحرضون الامام على التخلص منه ، ص ٢٥٨ - أضلقت مقتل أبي عرفة ، ص ٢٥٩ - أطراف الصراع : العجم ، والعرب ، وقفوسة ، ص ٢٥٩ - شريط الأحداث ، ص ٢٦٠ - العجم يسلمون لأنفسهم ، ص ٢٦٠ - يوم حرية : وتحالف قفوسة مع العجم ، ص ٢٦١ .

انتهت الحيلاد : انشقاق الأميرة الرستمية . العرب في صف أبي بكر والمجم وقفوسة في صف أبي اليقظان ، ص ٢٦١ - تفوق العرب على العجم وقفوسة ، وحرب الحصون ، ص ٢٦٢ - تفرق الأخوة المتناحرين في البلاد ، خروج أبي بكر من تاهرت ، ونزول أبي اليقظان في كتف لواتة ، ص ٢٦٢ - نشاط أبي اليقظان في شراء الأعوان ، والاعداد لغزو تاهرت على محمد بن مسالة ، ص ٢٦٢ .

أبو اليقظان معلما ، بعد حرب السبع سنوات وخراب تاهرت ، ص ٢٦٤ - شروط الصلح ، ص ٢٦٤ - الأثر للشرقي في بلاط أبي اليقظان ، ص ٢٦٤ - تاهرت تنفض عن نفسها غيار الحرب . ص ٢٦٥ - إمامة أبي اليقظان محمد بن أفلح في تاهرت ، ص ٢٦٥ .

دولة قفوسية في تاهرت : ترتيب الدولة ، وتقديم قفوسة ، ص ٢٦٦ - أهمية الحسبة ، ص ٢٦٦ - قضاء لا يفرق بين الأمير والرعية ، ص ٢٦٧ - إمام يمد يد الرحمة للراشدين من أئمة الرستميين ، ص ٢٦٧ - مجلس أبي اليقظان ، في الجامع ، ص ٢٦٨ - تاهرت تعود مركزا علميا مزدهرا : ازدهار علم الكلام ، ص ٢٦٨ - أبو عبيدة الأعرج : نموذج للعالم الأمر بالمعروف ، ص ٢٦٩ - مبدى خارجي : افتتاح قفوسة بأبي اليقظان ، ص ٢٧٠ - نهاية ناسك : وفاة أبي اليقظان ، ص ٢٧١ .

إمام من طراز جديد : « يقبى » للعامة وأهل الحرف : أبو حاتم يوسف ابن محمد أبي يقظان إمام تاهرت الخامس ، ص ٢٧١ - تراثين بطيئة تناسيب شعبية الأمير ، واجتماعات غير إباضية في علاقاته مع الآخرين ، ص ٢٧٢ - إلهيا جالب للتناقضات ، ص ٢٧٢ - « الفناء » وتاهرت ، ص ٢٧٢ - أبو حاتم يلجأ إلى حيل لواتة ، ص ٢٧٤ - محاولة استعادة تاهرت بالقوة ،

ص ٣٧٤ - الانقسام في صفوف الرستميين يعقوب بن أفلح أميراً مناسباً
لأبي حاتم ، ص ٣٧٥ - فشل الأسرة الرستمية وانشقاقها : الصراع بين
المطالين بالامامة ، ص ٣٧٦ - فشل أبي حاتم في دخول تاهرت ، ص ٣٧٦ -
تكريس الانقسام بين الرستميين ، تقييم يعقوب بن أفلح : قديس يبرز في
سيرته سيرة الأئمة الأول ، ص ٣٧٧ - اضطرابات تهلك الحرث والنسل
لا يهيبها الا توسط زعيم مراتى في اقرار الهدنة ، ص ٣٧٧ - التحكيم ،
ص ٣٧٨ .

عودة أبي حاتم يوسف الى تاهرت أميراً دون منافس بعصبيته الشعبية
من غير الرستمية ، ص ٣٧٨ - إعادة تنظيم الحكومة في تاهرت زحكم حازم
يقضى على أوكار امساد ، ص ٣٧٩ - ازدهار مجالس العلم والمناظرة ، ص
٣٨٠ - مناظرات المؤرخ ابن الصغير . ص ٣٨٠ - احوال جبل نفوسة على
عهد أبي حاتم يوسف : أبو منصور الياس بن منصور واليا ، ص ٣٨٢ -
عمروس بن فتح النفوسى قاضيا ، ص ٣٨٣ - الياس وعمروس رجلا الجبل ،
ص ٣٨٤ - مطاردة حفيد خلف بن السمح ، ص ٣٨٤ - الوساطة ، وشروط
الصنح ، ص ٣٨٥ - فشل الوساطة ، وهزيمة زواغة ، ص ٣٨٥ - دخول
الخليفة في جربة ، وغدر زواغة بأمرهم ، ص ٣٨٦ - أبو منصور يسجن
حفيد خلف في الجبل ، ص ٣٨٦ - وقعة مانو واضمحلال جبل نفوسة كقوة
مساعدة لامامة تاهرت ، ص ٣٨٧ - في أسباب الموقعة . ص ٣٨٨ - مكان
الموقعة ، ص ٣٨٩ - المعركة وتغشى القتل في نفوسة . ص ٣٩٠ - قائمة
الحسائر الاباضية ، ص ٣٩٠ - مقتل القاضي عمروس بن فتح ، ص ٣٩١ -
الإستقام من قنطرة ثم من اباضية بمرارة ، ص ٣٩٢ - عزل أفلح بن العباس
من ولاية الجبل ، والسنوات الأخيرة للامامة الرستمية بعد وقعة مانو ،
ص ٣٩٣ .

ابناء الامام أبي حاتم يحرضون أبا عبد الله الشيعي : يقظان بن محمد
أبي يقظان آخر الأئمة الرستميين في تاهرت . ص ٣٩٤ - مجتمع غير متناضق
في تاهرت ، ص ٣٩٥ - الشيعة يدخلون تاهرت ويقتلون يقظان ، ص
٣٩٦ - تخريب تاهرت واخذ ذرائرها ، ص ٣٩٦ - خروج بقايا الرستميين
الى وارجلان . ص ٣٩٧ - يعقوب بن أفلح في وارجلان . ص ٣٩٧ - وارجلان
وروية تاهرت الرستمية في المغرب الأوسط يعقوب بن أفلح يجدد سيرة
الأئمة الأوائل . ص ٣٩٨ - الافراق الكرابسح في الاباضية بوارجلان :
أبو سليمان بن يعقوب مرجع الاباضية في وارجلان . ص ٤٠٠ - ميل أبي
سليمان بن يعقوب الى التشدد في نساه . والنزاع مع شيخ وارجلان

- ١٤ -

الكبير أبي صالح جنون ، ص ٤٠٠ - المباحلة بين الرعيبي ، ص ٤٠١ -
مسألة الخلاف بين السلمانية والروحية في وارحلا ، ص ٤٠١ - الاعتراف
الخامس في الاباضية بقطرارة ، ص ٤٠٢ - حدود امامة دهرت .
ص ٤٠٤ -

الفصل الرابع

امامة بني واسول الصفرية في سجلماسة ، ص ٤٠٧

موضع سجلماسة ، ص ٤٠٩ - بناء المدينة ، ص ٤٠٩ - سحساتة
الأولى وتطورها العمراني ، ص ٤١١ - مسددار بن اليسح : مرحلة أولى .
الاضطراب في سجلماسة يعقبه فترة ازدهار ، ص ٤١٥ - الصراع على
السلطنة في سجلماسة بين ولدي مدرار ، ميمون وابن بكية ، ص ٤١٦ -
استبداد ابن الرستمية ، وعودة الأمر الى مدرار ، ص ٤١٦ - ابن بكية أميرا .
ص ٤١٦ -

الفصل الخامس

الدولة الإدريسية ، ص ٤١٩

١ - قيام الأدراسة في المغرب الأقصى وبناء مدينة فاس : أمّسول
حارجية للدولة العلوية ، ص ٤٢١ - دخول ادريس المغرب ، ما بين المجاز
ومصر والمغرب ، ص ٤٢٣ - النزول في ويلي ، ص ٤٢٨ - بيعة ادريس ،
ص ٤٣٠ - العمل الايجابي ، ص ٤٣٠ - الصراع ضد بني طريف ملوك
برغواطية في تامسنا ، ص ٤٣٠ - فتح تامسنا ، ص ٤٣٤ - فتح سمان
وبناء جامعها ، ص ٤٣٤ - وفاة ادريس الأول ، ص ٤٣٥ .

٢ - ادريس الثاني (ابن ادريس) - مولده وطفولته ، ص ٤٣٧ -
امامته ، ص ٤٣٩ - قيروان آخر بالمغرب الأقصى . بناء مدينة فاس ، نشر
العروبة في المغرب الأقصى ، ص ٤٤١ - اختيار موضع فاس ، ص ٤٤٤ -
البناء : عدوة الأندلس ، ص ٤٤٧ - عدوة القرويين ، ص ٤٤٧ - الأسوار
والأبواب ، ص ٤٤٨ - حطط المدينة ، ص ٤٤٩ - ما بين العدوتين وفاس

- ١٥ -

ص ٤٥٠ - أهمية بناء مدينة فاس : تأكيد سلطان الإدارة في المغرب ،
ص ٤٥٤ - وفاة إدريس الأصغر وبداية سمات تصدع الدولة الإدريسية ،
ص ٤٥٥ .

٣ - محمد بن إدريس بن إدريس ، ص ٥٧ - خلاف عيسى في سلا
وتامسنا وعصيان القاسم في طنجة : هزيمة عيسى وتجريده من أملاكه ،
ص ٤٥٩ - تأديب القاسم واعتزاله الولاية ، ص ٤٦٠ - عمر يضم إلى أملاكه
أقاليم سلا وتامسنا وطنجة ص ٤٦١ .

٤ - علي بن محمد بن إدريس ص ٤٦١ .

٥ - يحيى بن محمد بن إدريس ، ص ٤٦٣ - بناء جامع القرويين ، ص
٤٦٤ - صاحبة البناء فاطمة القيروانية ٤٦٤ - المال الحلال الصرف ، ص
٤٦٥ - مواد البناء الحلال الصرف ، ص ٤٦٦ - حجم الجامع الأول وأقسامه ،
ص ٤٦٧ - انبعاثه في الجامع على عهد رثائه ص ٤٦٧

٦ - يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس : نظرة فاحصة في المصادر ،
ص ٤٦٨ - تقسيم المملكة ص ٤٦٨ - نهاية يحيى بن يحيى في مغامرة
سنتيه في بعض حكام فاس ص ٤٦٩ - تحرك أهل فاس ما بين الثورة
والثبات المعروف ص ٤٧٠ - عهد الرحمن بن أبي سهل يتغلب على فاس ،
ص ٤٧١

انتقال الملك إلى بيت عمر بن إدريس :

٧ - علي بن عمر بن إدريس إماما ص ٤٧١ - الأندلس واللسكر
الخارجي عهد الرزاق الفهري الصغرى ، واستمرار هبوب رياح الخارجية من
الأندلس إلى المغرب ، ص ٤٧٢ - دعوة عبد الرزاق في جبال فاس ، ص ٤٧٣ -
دار هجرة أو ثغر أندلس في بلاد الإدارة : وشقة الجديدة ، ص ٤٧٣ - دار
هجرة أو ثغر أندلس في بلاد الإدارة : وشقة الجديدة ، ص ٤٧٣ - الزحف
من وشقة على فاس ، ص ٤٧٤ - الصغرى يدخلون عدوة الأندلس ، وعدوة
القرويين تستنجد بيحيى العوام ، ص ٤٧٤ .

٨ - يحيى العوام بن القاسم بن إدريس : استعادة عدوة الأندلس ،
والقضاء على ثورة مديونة وعبد الرزاق ، ص ٤٧٥ - بيعة أهل عدوة الأندلس ،
وتركيبتهم المتصرى ، ص ٤٧٥ - أسرة أميرة أندلسية ، مهلبية الأصل ،
لعده أندلس ، ص ٤٧٦ .

عودة الامانة الى بنى عمر بن ادريس . ودخول فاس في طاعة
الفاطمين :

٩ - يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس ، ص ٤٧٧ - تقييم يحيى
الرابع ، ص ٤٧٨ - وصول الفاطميين الى المغرب الأقصى ، ص ٤٧٨ .

الفصل السادس

الخريطة السياسية الحضارية لبلاد المغرب

في اواخر القرن ال ٣ هـ / ٩ م ص ٤٨

أ - الواقع السياسي ، ص ٤٨٣ - (١) دولة الأغالبه ، ص ٤٨٤ -
(٢) دولة الرستميين ، ص ٤٨٨ - (٣) دولة المسدرايين ، ص ٤٩١ -
(٤) دولة الادارسة ، ص ٤٩١ - خلاصة الموقف السياسي ، ص ٤٩٣ .

ب - الواقع الحضاري ، ص ٤٩٤ - 'مريقية الأغلبية ، ازدهار الزراعة ،
ص ٤٩٥ - رقى الصناعة والتعدين ، ص ٤٩٦ - تقدم النسيج . ص ٤٩٦ -
الازدهار الاقتصادي ، ص ٤٩٧ - تاهرت الرستميه . العناية بالزراع .
ص ٤٩٨ - الاهتمام بالتجارة ، ص ٤٩٩ - حراسة القوافل ، ص ٥٠٠ -
العمران خارج تاهرت . ص ٥٠٠ - عمران جبل نفوسة ، ص ٥٠١ -
سجل ماسة المدراية ، ص ٥٠٢ - فاس الادريسية ، ص ٥٠٢ - شمال فاس .
وبلاد الريف ، ص ٥٠٣ - تلمسان واحوازا بلاد بنى محمد بن سليمان .
ص ٥٠٤ - ما بنى بنى محمد بن سليمان والاباضية ، ص ٥٠٤ - ما بين
بنى محمد بن سليمان وزناتة ، ص ٥٠٥ - الادارسة في وادي درعة والسوس
الأقصى ، ص ٥٠٥ - خلاصة الموقف العمراني ص ٥٠٥ .

الازدهار الثقافي والحياة الروحية : الاطوار المادي ، ص ٥٠٧ - في
افريقية ، متحف جامع القيروان ، ص ٥٠٧ - في تاهرت ، خصائص ذاتية
حياة البساطة وانعكاساتها في المجمع ، ص ٥٠٩ - امتداد حضارى افريقى
ص ٥٠٩ - في فاس . حضارة وسط بين القيروان وتاهرت ص ٥١١ -
جامع القرويين الادريسي ، ص ٥١١ - جامع القرويين الرناني وتسمية العدو
باسمه ، ص ٥١٢ - فاس الادريسية ، ص ٥١٣ - تلمسان العلوية وعبرها
من حواضر الادارسة ص ٥١٣ - المحتوى المعوى ص ٥١٤

الحياة الدينية : فى افريقية ، ص ٥١٤ - ما بن المالكية والاعتزال ،
ص ٥١٥ - ما بين العلم والاجتهاد ، ص ٥١٥ - القيروان مهذا ثانيا للمالكية ،
ص ٥١٥ - مالكية القيروان . دعائم المذهب فى كل المغرب ، ص ٥١٦ -
فى فاس اردھار المذهب المالكي فى الدولة الريدية ، ص ٥١٧ - ، فى
مغرب ، ص ٥١٩ - الاثمة - قادة قدوة فى العلم والعمل ، ص ٥٢٠ -
مشايخ المذهب معلمون للشعب و ص ٥٢١ - اصول المذهب لاباضى وتطوره :
الوھبية الاباضية والخوارج ومسمياتهم ، ص ٥٢١ - اصول الوھبية المذهبية ،
ص ٥٢٢ - افكارهم السياسية ، ص ٥٢٣ - أعمال المشايخ من قواعد
المذهب . المثل الاخلاقية ، ص ٥٢٤ - احلال العلم وتقديسه ، علون الدين ،
ص ٥٢٥ - علوم النجوم والحساب ، ص ٥٢٦ - الخلاصة ، ص ٥٢٦ .

الفصل السابع

قيام الدولة الفاطمية

واعادة الرحلة الى بلاد المغرب تحت رايات آل البيت من الحسينين ، ص ٥٢٩

نهاية الدول المستقلة الأولى وقيام الدولة الفاطمية : صراع الاغلبية من
احسن النقاء ، المطولة ، ص ٥٣١ - نجاح الدعوة الفاطمية فى ارض كتامة :
حدود التشيع فى المغرب ، ص ٥٣٣ - بداية الدعاية الشيعية فى كنف
عبد الرحمن بن رباد بن اعم ، فى افريقية ، ص ٥٣٣ - بداية الدعاية
الشيعية فى المغرب الأقصى ص ٥٣٤ - الدعاية الشيعية فى تحوم افريقية
والمغرب الأوسط ، ص ٥٣٥ .

الفاطيون ، نسبهم وثنى عن مذهبهم : التسمية ، ص ٥٣٦ - اصول
التشيع ، ص ٥٣٧ - التشيع الفاطمى الاسماعيل ، ص ٥٣٩ - العلاقة
القرامطة ، ص ٥٤٠ - الكتمان وظهور الادعاء ، ص ٥٤١ - الجدل حول
صححة النسب ، ص ٥٤٢ .

تنظيم الدعاية الفاطمية ، وبداية ابن عبد الله الشيعى ، ص ٥٤٤ -
المتنظيم السرى الاثنى عشرى ، ص ٥٤٥ - الدعوة فى المغرب تبدأ من اليمن ،
ص ٥٤٦ - اللقاء مع حاج كتامة فى مكة ، ص ٥٤٧ .

الرحلة الى المغرب ص ٥٤٨ - بدء العمل الابجاسى ، ص ٥٥٠ -
سحصة الرعم الكتامى ص ٥٥١ - تنظيم الدعوة فى كتامة دعوة سرية ،

- ١٨ -

وان كان هدمها الأمر بالمعروف ، ص ٥٥٣ - الاحوان والمشاركة ، ص ٥٥٣ -
 الخلاف بين قتاتل كتامة ص ٥٥٣ - تحريض ولاية الأغالية ، ص ٥٥٤ -
 تمدين تازروت واتخاذها « دار هجرة » ، ص ٥٥٥ - مقام الحرب هي مادة
 تحصيل دار الهجرة في تازروت ، ص ٥٥٦ .

تنظيم اهل الدعوة : طبقات المؤمنين ، ص ٥٥٧ - تنظيم الخيش
 وشعاراتها ، ص ٥٥٨ - احصاء القبائل ص ٥٥٨ .

الصراع مع الأغالية ، ص ٥٥٩ - أخذ ميله لأول مرة ص ٥٥٩ -
 استعادة ميله وتخريب تازروت ، ص ٥٦٠ - ايكجان سعيد مركزها كدار
 هجرة ص ٥٦١ - عود الى اعداد المؤمنين « معنويا » وعناية بجهاز الاحبار
 ص ٥٦١ - الانتصار على محمد الاحور (ابو حوال) ص ٥٦٢ - الاستيلاء
 على ميه وسطيح ص ٥٦٢ - الدفاع عن منطقة القبائل والانتصاف على
 ابن حنن قرب مسطينة ص ٥٦٣ - مقام هائله كن سهندى نفسه
 منها وهو في سجلماسة ص ٥٦٥ - فتح بلاد الراب طه ص ٥٦٥ -
 فتح سمره ، ص ٥٦٦ - حميمة الجند الأغلبى في دار ملور ص ٥٦٧ - فتح
 بيجس ص ٥٦٧ - حرب الدعايه ضد ابي عبد الله ومسيها ص ٥٦٨ -
 نطاهرة الخروج الى الأربس ص ٥٦٩ - فتح تاغاية ص ٥٦٩ - عمسات
 جس سفي محدودة أحد مجاه ص ٥٧٠ - احد قصر الامربني وسعاس
 وقالمه ص ٥٧١ - الاجتياح الأخير - ومحاولات الأغالية في الصمود - ص
 ٥٧٢ - انتصار محدود للأغالية ، ص ٥٧٤ - موقف تردد وحذر من جانب
 اهل الاقليم بين الجانبين المتصارعين ص ٥٧٤ - الاستيلاء على اقليم مسطيليه
 من بلاد الجريد ص ٥٧٥ - أحد ، نور ، وقصصه ، ص ٥٧٦ - محاوله
 أخيره لاثبات الوجود من جانب الأغالية ، ص ٥٧٧ - الانتصار الفاصل لأبي
 عبد الله في الأربس ، ص ٥٧٧ - خطة المعركة ، ص ٥٧٨ - حرب الكمائ
 تقرر مصير المعركة ، ص ٥٧٨ - العودة الى رقادة ونهاية الدولة الأغلبية
 ص ٥٧٩ .

قيام الدولة الفاطمية في غيبة الامام ، ص ٥٨١ - العمل على استنفاد
 اموال الأغالية والمعتقلين في الفريقية من اهل الدعوة ، ص ٥٨١ - الترتيب
 الادارية ، ص ٥٨٢ - الاصلاحات الدينية ، ص ٥٨٢ - شعارات الدولة ،
 ص ٥٨٣ - استحضار الامام من سجلماسة ، ص ٥٨٤ - وصول المهدي الى
 سجلماسة ، ص ٥٨٥ - قضية تحديد التاريخ : الخروج من الشام ، ص
 ٥٨٥ - الرحلة العجينة ، ص ٥٨٧ - برقة ص ٥٨٩ . طرابلس ص ٥٩٠ -

- ١٩ -

توزر ، ص ٥٩٠ - وارجلان ، ص ٥٩٠ - سجل ماسة ، ص ٥٩١ - السير الى
سجل ماسة ، ص ٥٩٤ - القضاء على دولة تاهرت الرسمية ، ص ٥٩٤ -
القضاء على امامة سجل ماسة المدارية ، ص ٥٩٥ - عبيد الله المهدي اميرا
للمؤمنين ، ص ٥٩٨ .

الكشاف بالاعلام والاماكن ، ص ٦٠١ .

الاشكال والخرائط

- شكل (١) جزيرة صقلية ، توزيع المدن تبعا لرواية الادريسي ص ٢٠٠
- شكل (٢) صقلية بين افريقية وقلورية - كما رسمها الادريسي ص ٢٠٣
- شكل (٣) صقلية وجنوب ايطاليا - كما رسمها الادريسي ص ٢٣٩
- شكل (٤) صقلية وجنوب ايطاليا ص ٢٤٢
- شكل (٥) المغرب الأوسط ص ٢٩٢
- شكل (٦) اقليم تاهرت ص ٢٩٤
- شكل (٧) المغرب الأقصى ص ٤٢٧
- شكل (٨) موقع فاس وتخطيط المدينة ص ٤٤٣
- شكل (٩) بلاد افريقية ص ٥٨٩

تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى قيام الدولة الفاطمية

الجزء الثاني

- ١ - دولة الأغالبة في إفريقية : من إبراهيم الأول إلى زيادة الله الثالث
(١٨٤ هـ / ٨٠٠ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)
- ٢ - صقلية الأغلبية : من الفتح إلى نهاية الأغالبة (٢١٢ هـ / ٨٢٧ م -
٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)
- ٣ - إمارة الرستميين في تاهرت وجبل نفوسة (١٦١ / ٧٧٧ م - ٢٩٦ هـ /
٩٠٨ م)
- ٤ - إمارة بني واسول المدوايين الصلرية في سجلماسة (١٤٠ هـ / ٧٥٧ م -
٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م)
- ٥ - مملكة الأدارسة في فاس والمغرب الأوسط (١٧٢ هـ / ٧٨٩ م - ٣٠٥ هـ /
٩١٧ م)
- ٦ - خريطة المغرب السياسية الحضارية أواخر القرن الـ ٣ هـ / ٩ م
- ٧ - قيام الدولة الفاطمية وتوحيد المغرب تحت راية المهدي : « خليفة الله »
أمير المؤمنين . (٢٨٠ هـ / ٧٩٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

انقسام المغرب إلى أربع دول

بقيام دولة الأغالية انقسم المغرب بين ثلاث دول كبرى : أقدمها دولة الرستميين الحوارج في المغرب الأوسط ، وأوسطها دولة العلويين الأدارسة في المغرب الأقصى ، وأحدثها دولة الأغالية السنية في إفريقية والمغرب الأدنى بصرف النظر عن دولة سبلماسة الصحراوية وهي الرابعة . وكان ذلك بداية عهد جديد بالنسبة للمغرب العربي . فعلى عكس ما كان يظن من أن قيام ثلاث دول تمتنع مذاهب سياسية دينية متعادية قد يزيد في اضطراب المغرب ، عرفت البلاد نوعا من الاستقرار بفضل ذلك الوضع الجديد ، ترتب عليه زيادة انتشار الإسلام في البلاد ، وأدى إلى ما يمكن أن يسمى بعصر النهضة .

فرغم ما في التفتت من عوامل الضعف ، ورغم ما في التقسيم من أسباب الخلاف والفرقة فإن الوضع الجديد عمل على أن يكون لكل من الأقاليم الثلاثة شخصيته الذاتية وطابعه المميز ، وأوجد نوعا من اللامركزية في القيام بالعمل الحضاري الذي كان هدف العروبة والإسلام . فلقد أسهم كل من الأقاليم بتقصيه في هذا العمل ، وقام به جنباً إلى جنب مع الآخرين - من غير قصد - خير قيام . ولقد ساعد على ذلك - رغم ما بين هذه القوى الثلاث من المنافسة - أنها لم تعد أوجها من الشبه فيما بينها : من ذلك أنها مشرقية الأصل ، ولهذا الأمر أهمية كبرى . ورغم استقلالها السياسي عن الخلافة ، فإنها ظلت مرتبطة بالمشرك عن طريق تيار من الهجرة المستمرة ، الذي كان يحمل من المشرق إلى المغرب نخبا ممتازة من أقارب الأسر الحاكمة ومن بنى جلدتها ، ومن أعوانها ومعتنقي أفكارها السياسية والمذهبية . هذه الهجرة كانت تؤكد الاتصال بين المغرب المتطرف وبين مركز الخلافة وبلاد العرب ، تماما كما كان الحال بين المشرق العباسي وبلاد الأندلس الأموية - رغم ما بين الأسرتين من العداء المريع .

الفصل الأول

قيام الاغالبة في القيروان

من ابراهيم الاول الى زيادة الله الثالث

(١٨٤هـ/م ٨ - ٢٩٦هـ/م ٩٠٨)

إبراهيم بن الأغلب .

مؤسس الدولة الأغلبية هو إبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقالة بن خفاجة التميمي : ووالده الأغلب الذي كان من جند مصر أصله من أهل مرو الروذ ، بمعنى أنه كان من الجند العربي الحراساني الذي وفد مع القويث العباسية إلى مصر . وأصبح من جندها (١) . ودخل الأغلب إفريقية في قوات مجاهد بن الأشعث سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ، وعهد إليه استنصار بولاية إفريقية في أواخر سنة ١٤٨ هـ / أواخر ٧٦٥ م وأوائل ٧٦٦ م ، ومات بضرية سهم في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م ، ولهذا عرف به الشهيد (٢) . وكان إبراهيم حين مات والده ابن عشر سنين (٣) . ولا نعرف ما إذا كان في القيروان في ذلك الوقت أم في مصر ، إذ يذكر الكتاب أنه قضى مصيابه في الدرس والتحصيل بالقسطنطينية وأنه كان يحضر مجالس فقيه مصر الأشهر الليث بن سعد . وقد أعجب الليث بجهد إبراهيم واجتهاده ، وبما تميز به من الصفات حتى قال يوما عنه : « ليكون لهذا الفتى شأن » (٤) . وعندما بلغ مبلغ الشباب دخل في جند مصر ، وكان عليه أن يسير إلى المغرب مثل والده ،

(١) البلاذري ، ص ٢٢٢ ، لندن ، ص ٢٢٢ .

(٢) نفس المصدر ، انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٤٧ وما بعدها (وعن لقب الشهيد ، ص ٢٢٢) .
 (٣) توفي ابن الأغلب سنة ١٦٦ - وعمره ٥٦ سنة مكمل سنه ، وهذا يعني أنه ولد حوالي سنة ١١٠ هـ / ٧٢٧ م .

(٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٢ (يقول النص أن إبراهيم سُمع من الليث واعتاده لوجه ثم جلاجل) ، وقارن الرقيق ، ص ٢١٢ - ٢١٣ (حيث النص : « ليكون لهذا الفتى شأن » إلى جانب قصصيات من اختلعه إلى الليث لطلب العلم ، واحداه جلاجل عند غروبه إلى المغرب) .

- ٢٤٨ -

فشد رحاله الى البرية تاركا أهله بمصر (٥) .

أما عن تاريخ وصول ابراهيم بن الأغلب الى المغرب ، وبداية خدمته العسكرية هناك ، فـ من الأمور الغامضة . وإذا كان الرقيق يورد رواية تقول انه سار مباشرة من مصر وبصحبه زوجته الى اقليم الزاب أثناء ولاية النعمان بن روح ، أي فيما بين سنتي ١٧٧ هـ - ١٧٩ هـ ، وأنه نفي من تونس ، ثم وصل وسوء ملبأورته شيئا عظيما ، فإنه مما يشكك في صحة هذه الرواية ما يورده الرقيق نفسه بعدها ، من : انه خلف أهله بمصر عند مسيره الى المغرب (٦) . هذا ، الى جانب أننا لا نجد ذكرا لابراهيم بن الأغلب في أحداث بلاد الزاب التي شارك فيها الفضل بن روح ، وهو الأمر المستغرب بالنسبة لضابط من أعيان جند مصر ، له عراقة ابراهيم - لو أنه كان وقتئذ في الزاب .

ومن الأمور المستغربة أيضا أن يكون ابن الأغلب ، وهو يستقبل الأربعين من عمره ، في ولاية هرثة بن أعين حوالي سنة ١٧٩ هـ ، قائدا لجماعة صغيرة من الجند تقوم بأعمال الشغب . لهذا ما يفهم من رواية أحمد ابن ناقد ، مولى بني الأغلب التي ينقلها البلاذري ، والتي تقول ان ابراهيم كان من وجوه جند مصر وأنه أغار وبصحبه ١٢ (اثنا عشر) رجلا على بيت المال بالقيروان ، فأخذوا مقدار أرزاقهم لم يزدوا عليها شيئا ، ثم انهم هربوا الى الزاب . وتمكن ابراهيم من السيطرة على من كان هناك من الحند ، كما اكتسب ود أهل الناحية ، وبذلك قلب على الزاب ، وآلت اليه الرياسة هناك . وبفضل مناوراته الذكية ، من : ملاطفة هرثة ، واهدائه الهدايا ، واعتناؤه عما بدر منه بحسن نية ، وتمسكه بالطاعة ، نجح في الحصول منه - رسميا - على ولاية الزاب (٧) .

(٥) انظر ابن عسلى الذي يذكر بيتي من الشعر لابراهيم في زوجته وقد تركها بمصر :
 ما صرت ميلا ولا جاوزت مرحلة الا وذكرتك يتي حائسا عنقلى
 ولا ذكرتك الا بتـ مرتجبا ادعى الهجوم كان الموت مستقلى
 وقارن الرقيق (ص ٢١٢) الذي يذكر البيتين ، رواية محمد بن الوكيل ، مع اختلاف
 في الشذرة الثانية من البيت الأول حيث « يلى » بدلا من « يلى » ، وفي الشذرة الأولى من
 البيت الثاني : « كنت » بدلا من « بت » ، وفي الشذرة الثانية : « الليث » بدلا من « الموت » .
 برانز ١٩١٦ اليه : ج ١ ص ٤٩ -
 (٦) الرقيق ص ٢١٢ -
 (٧) البلاذري ، ص ٢٢٢ .

- ٢٩ -

والحقيقة انه زعم ما يمكن أن يتصور هاتين الروايتين اللتين اورد بهما كل من البلاذري والرقبي من الشسوانب ، فانه يمكن أن تكمل احدهما الأخرى ، من : حيث دخول ابراهيم بن الأغلب الى المغرب في عهد الفضل بن روح ، ووصوله الى ولاية الزاب بفضل شجاعته وحسن تدبيره - ان تم نقل وصوليته - على عهد هرثة الذي كان يحسن الظن فيه .

وهكذا لا نجد ابراهيم بن الأغلب في النصوص الأخرى الا قائدا من كبار القواد ، له ولاية الزاب الهامة من قبل الخليفة هارون الرشيد نفسه ، وذلك على عهد ابن مقاتل العكي (٨) . ولا بأس أن يكون ذلك قد حدث اثر تدخله في مصلحة ابن مقاتل ، كما رأينا (٩) .

والذي يقم من النصوص أن ولاية ابراهيم لم تتم بسهولة ، وانها تحققت بعد صراع مرير بين الوالي السابق محمد بن مقاتل العكي ، الذي كان يستند الى حسن علاقته بجعفر بن يحيى البرمكي ، وبين ابراهيم الذي عمل على اكتساب تأييد رجال الخلافة في افريقية . فهناك رواية تقول انه عندما أعاد ابن الأغلب الى الولاية محمد بن مقاتل ، كتب صاحب البريد بافريقية وهو يحيى بن زياد الى هارون الرشيد بحسن بلاء ابن الأغلب في سبيل الخلافة - وتقرأ الرشيد تقرير صاحب البريد على أخصائه ، كما استشار هرثة بن أعين والى افريقية السابق ، فأكد له اخلاص ابراهيم للخلافة وعرفه بحب الناس له ، فكان ذلك سببا في أن عين الرشيد بن الأغلب واليا للبلاد (١٠) ، وذلك في ٢٠ من المحرم سنة ١٨٤ هـ / ٢٠ فبراير سنة ٨٠٠م (١١) . وهناك رواية أخرى لابن الأثير تقول ان ابن الأغلب كان قد كتب الى الخليفة - بناء على رغبة أهل البلاد - يطلب منه ولاية افريقية ، وانه عرض على الرشيد الاستغناء عن المعونة السنوية التي كانت تقدمها مصر الى افريقية ومقدارها ١٠٠ (مائة) ألف دينار ، وانه تعهد على العكس

(٨) الرقبى ، ص ٢١٢ . ابن عدادى ، ج ١ ص ٩٢ . الحلة السراء ج ١ ص ٩٣ .

(٩) انظر لبنا سبي ، ج ١٠ ص ٣٩٣ وما بعدها .

(١٠) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ج ٦ ص ٦٣ ، النويرى ، ١٠٤ ب (الترجمة ، ابن خلدون ، ج ١ ص ٣٦٨) ، وقانون أصل الرواية الى الرقبى ، ص ٢٢٠ . ٢٢٥ : حيث اسم صاحب البريد . ابن زياد مرة ، وابن العطل . ومن ولاية ابراهيم ، قال الرشيد : « أرجو ان أكون له ريثما (افريقية) يسيرها » .

(١١) انظر الميون والحداق ، ج ٣ ص ٣٠٢ .

- ٣٠ -

من ذلك بدفع ٤٠ (أربعم) الف دينار سنويا الى بيت مال الخلافة (١٢) .
ويمكن التوفيق بين الروايتين اذا اعتبرنا ان اتصال ابن الأغلب بالرشيده كان
في طريق عمال الخلافة مثل صاحب البريد .

والظاهر ان ابن مقاتل عرف الاتصالات التي كان يقوم بها ابن الأغلب
من خلف ظهره ، وانه حاول القيام بعمل مضاد يضمن له الاستمرار في
الولاية برغم ما كان يظهره له ابن الأغلب من الرعاية والعطف . فعندما وصل
تقليد الرشيد لابن الأغلب أسرع هذا الى ابن مقاتل يطلب منه الا يتعجل
بالخروج من القيروان ، ويسمح له بالبقاء طالما شاء الى ان يتم جهاز الرحيل .
ولكن ابن مقاتل خرج بعد أيام الى طرابلس ، وهناك لقي مبعوثا أتى من بغداد
هو حماد السعدي ، يحمل رسالتين الى القيروان ، فاعتنم الفرصة وزيّف
رسالة تالفة تقضي بخلع إبراهيم بن الأغلب وتقليده هو الولاية من جديد .
وأتبع ابن مقاتل ذلك برسالة أخرى من لدنه يعلن فيها قرب ومسؤوله الى
القيروان ، ويأمر ابن الأغلب بالرجوع الى الزاب ، ويدعو أحد أعوانه وهو
سبل بن حاجب الى اقيام بأمر الولاية نيابة عنه والى حين حضوره (١٣) .
وأغلب الظن ان ابن مقاتل كان يأمل خلال فترة انتظاره في طرابلس ان يمكن
جعفر البرمكي من تسوية الأمر مع الخليفة ، وهي الامية التي لم تتحقق .

فعندما علم الناس بذلك اضطربوا ، وطلبوا الى ابن الأغلب ان يحتفظ
بالولاية ، وان يكتب الى الخليفة يعلمه باقتراء ابن مقاتل واختلافه . ورغم أن
ابن الأغلب وافقهم على صحة تزيف ابن مقاتل اعتمادا على علاقته القوية
بجعفر بن يحيى البرمكي ، فانه جرح رجاله وعياد يوم الى ولايته الأولى
بالزاب (١٤) ، وذلك في ١٩ ربيع الآخر / ١٨ مائة . وترك سبل بن جعفر واليا
بالنيابة ورجلا آخر يعرف بابي عزيز كصاحب للشرطة (١٥) .

(١٢) ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ . ج ٦ ص ٦٢ - ٦٣ (ابن خلدون . ج ٤ ص ١٩٦) .
(١٣) أنظر البيهقي والحاقي . ج ٣ ص ٣٠٢ . النويري . ص ١٠٤ ب (الترجمة .
ابن خلدون . ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩) . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ . الحلة السيرة . ج ١
ص ٩٤ .
(١٤) أنظر البيهقي والحاقي . ج ٣ ص ٣٠٤ . النويري . ص ١٠٤ ب (الترجمة .
ابن خلدون . ج ١ ص ٣٩٩) . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ .
(١٥) أنظر البيهقي والحاقي . ج ٣ ص ٣٠٢ (حيث النص على أن إبراهيم سار في مدينة
هولة) .

- ٣١ -

ولما وصلت أساء العكي الى ارشيد عصب ، وكتب اليه يؤيه علي سور -
صبيعه ويطلب اليه العودة سريعا ، غير محمود الفعال ، ، فعاد ابن مقاتل الى
المشرق . وفي نفس الوقت كتب الرشيد رسالة ثانية بتولية ابراهيم
ابن الاغلب ، سار بها الرسول الى الزاب ، فعاد ابراهيم من جديد الى القبروان
في ١٢ من جمادى الآخرة سنة ١٨٤ هـ / ٩ يولية سنة ٨٠٠ م ، وتسلم
حكم من سهل بن حاجب الذي بقي في السبابة أكثر من شهرين (١٦) .

ومع انه من الجائر الشك في صحة الرواية الخاصة بمؤامرة العكي ،
لطابعها القصصى أولا ، ولأنها ثانيا لم ترد الا في الرقيق الذي ينقله السورى
مما يحتمل ان الرواية تكرر هنا خطأ عودة ابن مقاتل الى القبروان بعد طرده
على يدى التميمي (١٧) ، فاننا نعتقد أن المقصود بها هو اظهار محبة ابراهيم
ابن الاغلب في قلوب الناس ، وان اختياره لحكم البلاد كان استجابة لرغبة
سعب امريقية . كما بعهم من رواية ابن الأثير (١٨) ، وهذا أمر لم يكن معروفا
الا فيما ندر . وهو يعنى ان ابراهيم بن الاغلب نجح في اكتساب محبة أهل
امريقيه . ما نجح في كسب رضاء اخلافة عندما عرض الاستفتاء عن
المعروفة الآتية من مصر ، بل ودفع مبلغ سنوى من المال الى الخليفة . وهذا الأمر
الاخير يعنى أن ابن الاغلب بين للخلافة أن بلاد امريقية يمكن أن تنتعش وتقدم
اقتصاديا - مثل ولايات الخلافة الفنية - اذا ما تهيأت لها الادارة الرشيدة .

العباسية (القصر القديم) عاصمة جديدة لافريقية :

بدأ ابراهيم بن الاغلب ولايته بعمل يعتبر في حقيقته سمة من سمات
الدول الجديدة ، أو شعارا من شعارات كبلز الحكام : ذلك هو إنشاء مدينة
ملكية أو عاصمة جديدة . بدأ هذا العمل في نفس السنة التي ولى فيها أى
في سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م حسب رواية البكرى وابن الأثير (١٩) ، أو في السنة
التى تليها (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) كما يقول ابن عذارى (٢٠) . ونعتقد أن

(١٦) السورى . ص ١٠٥ . وقارن الرقيق . ص ٢٢٠ . واليسون والحدائق ، ج ٢
ص ٣٠٢ .

(١٧) انظر فيما سبق . ص ٣٦٣ - ٣٤٩ .

(١٨) انظر فيما سبق . ص ٣٠ وهـ ١٢ .

(١٩) البكرى . ص ٢٨ . ابن الأثير . أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ . ابن دينا ،

المؤنس . ص ٤٧ .

(٢٠) ابن عذارى . ج ١ ص ٩٢ .

الروايتين صحيحتين وإنّ الساء بدأ في السنة الأولى وتم في السنة الثانية .
ولا شك في أن ابن الأغلب تسكن في دروس الماضي ، وأنه أحسد العبرة من
اضطرابات القيروان ، التي كانت تموج بأهلها وعسكرها ، فرأى أن يتعد
عنها قليلا . ووقع اختياره على قطعة من الأرض على ثلاثة أميال في الجنوب
الشرقي من القيروان ، وكانت لجماعة من بني طالوت فاشترأها منهم (٢١) .
وبعد أن تم البناء أطلق ابن الأغلب على مدينته الجديدة اسم العباسية (٢٢) .
تيمنا باسم الأسرة الحلاوية ، ولتكون قرينة المباشية أول عاصمة عباسية
قبل بغداد (٢٣) ، هذا ولو أنها عرفت أيضا باسم القصر القديم (٢٤)
ولا تعرف أن كانت هذه التسمية الأخيرة قد ظهرت منذ بناء المدينة . به
ظهرت في وقت متأخر عن ذلك . وفي الحالة الأولى تكون العباسية قد بنيت
في موضع قلعة قديمة كانت في أرض بني طالوت . وفي الحالة الثانية تكون
التسمية قد أطلقت على العباسية بعد أن قامت قصور جديدة بجوارها . كما
سيحدث بعد بناء قصور رقادة على أيام إبراهيم الثاني بن أحمد (بن محمد
ابن الأغلب بن إبراهيم بن الأعجب) وهو عام ٢٦٣ سنة ٢٦٣ هـ
٨٧٧ م (٢٥) .

ويرجع بعض للبكري مدى بمدى بعضيات لا ناس به عن طبيعته
بناء العباسية . وسكن القول أنها احتوت - عموما - على قصر الأمير وما ملحق
به من الدواوين ودار سك النقود ومسكن حاشيته والمسجد الجامع . أما عن
صومعة هذا الجامع (أي مئذنة) فيصنعها إجماع الأندلسي بأنه و لم يكن
أحكم منها ، ولا أحسن منظرًا . فلقد كانت الصومعة مستديرة الشكل
- كما هو الحال بالنسبة لمئذنة العراق - مبنية بالآجر والعمد في مسج
طبقات (٢٦) . وتأتي بعد ذلك معسكرات الحرس . ويحيط بكل هذا الأسوار

-
- (٢١) ابن هادي ، ج ١ ص ٩٢ ، وقارن الرقيق ص ٢٢٢ والبكري ، ص ٣٨ (على
٢ أميال قبل القيروان) .
(٢٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ج ٦ ص ٦٢ .
(٢٣) من هاشية التراقي أنظر ألكلازي ، طبعة لندن ١٨٦٦ ، ٢٨٧
(٢٤) الرقيق ، ص ٢٢٢ ، ابن هادي ، ج ١ ص ٩٢ . وقارن ابن أبي دينا (ص ٤٧)
الذي يسميها بالقصر فقط .
(٢٥) أنظر بيا بعد (بناء رقادة - عهد إبراهيم بن أحمد) ص ١١٦ .
(٢٦) أنظر البكري ، ص ٢٨ ، وقارن الرقيق ، ص ٢٢٢ (حيث هناك اشارات إلى القصر
والمنتزه حوله . والمسجد الذي بناء فيه) . وقارن البكري ، ص ١٠٥ ، الرقة ، في ملحق
ابن خلدون (ج ١ ص ٤٠٠) .

القوية المحصنة لحايتها . ثم ان ابراهيم بن الأغلب أحاط الأسوار بخندق فيما بعد ، عندما ثار به قائده عمران بن مجالد (بعد سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٨ م) (٢٧) . وينص البكري على انه كان لتلك الأسوار خمسة أبواب ، اثنان منها في الجانب القبلي ، وهما : باب الرخمة ، وباب الحديد ، واثنان في الجانب الشرقي ، وهما : باب غلبون وباب الريح ، وباب واحد من الجانب الغربي ، هو باب السماعة ، مقابل المقبرة الكبيرة خارج الأسوار . وفي وسط المدينة كانت توجد رعية كبيرة واسعة عرفت باسم « الميدان » ، ربما كانت تستخدم لمرض الفرسان (٢٨) .

وهكذا اتسعت العباسية وأخذت تنافس القيروان بحماماتها الكثيرة ، وفنادقها ، وأسواقها الجملة ، ومواجه الماء العظيمة التي كانت تميز القيروان ، أوقات القحط ، عندما تفرغ صهاريجها العديدة من الماء (٢٩) .

وموضع القصر القديم معروف حالياً ، وإن كان في شكل قل صغير أو كدية : طوله حوالي ٥٠ متراً وعرضه حوالي ٣٠ متراً . ولقد أظهرت الحفائر الحديثة على طول الواجهة الشمالية القريبة وجود قاعات متجاورة ، وسراديب وحفر دائرية تحت الأرض . وقاعة البناء والجدران من اللبن ، أما الأجر فكان يستخدم في انشاء القباب وأسقف الدور العلوي من البناء . وهذا الجزء المكتشف يدل ببساطته على أنه كان مخصصاً للمخازن ومساكن الخدم . أما الباني الفاخرة فقد نيببت من أجل إقامة مبان جديدة (٣٠) .

وفي الوقت الذي بدأ فيه ابراهيم بن الأغلب البناء كان يعمل في إلغاء على تحقيق هدفه من انشاء العباسية ، وهو العمل على التحرر من تسلط العسكر المشاغب والتمكن من مدافعهم اذا تطلب الأمر ، وذلك بالاعتصام بقلعته الجديدة . ولكي يحقق هدفه هذا في هدوء اعتنى بالجند وأخذ يداريهم حتى يضمن طاعتهم ، وكان يتحمل في سبيل ذلك سوء أخلاقهم وشراسة طباعهم ، بينما أخذ في شراء السودان بحجة استخدامهم في الصناعة تخفيفاً على الناس من أعبائها ومشقاتها . ثم انه بدأ الخطوة الثانية في سبيل

(٢٧) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ - ج ٦ ص ٦٣ . وابن ابن مجالد انظر فيما بعد ص ٣٦ وما بعدها .

(٢٨) انظر البكري ، ص ٢٨ .

(٢٩) البكري ، ص ٢٨ .

(٣٠) ج . مارسية كتاب الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٤١ - ٤٢ .

استخدام السودان في عسكره فاشنرى آحرين ، وحصصهم لحمل سلاح الجند ، وأرحم هؤلاء ان في ذلك اكرا ما لهم (٣١) . وهو في الحقيقة كان يدرب السودان على استخدام السلاح ، كما كان يجرّد الجند منه . فعندما تم بناء العباسية أخذ ينقل اليها السلاح والعدد (٣٢) ، ثم انه انتقل ايّيا في جنح الليل ، بأهله وحرمة وعبيده (٣٣) . ولقد أسكن عبيده هؤلاء - وهم الذين أصبحوا حرسه الخاص الذي يضع فيه نكته - حوله ، كما أسكن معه أيضا أهل الثقة من جنده (٣٤) . وبذلك أصبحت العباسية مقرا لإبراهيم ، ومعسكرها لقواته ، مثلها في ذلك مثل كل المدن العربية الحديثة التي بنيت من قبل : كالكوكة والبصرة ثم واسط بالعراق ، والفسطاط بم العسكر في مصر ، وفي المغرب مثل : القيروان وتاهرت وسجلماسة وفاس (٣٥) .

اقرار إبراهيم بن الأغلب للأموار في افريقية :

ثورة خريش الكندي في تونس :

حدث ما كان يحشاه إبراهيم بن الأغلب من عسكر افريقية ، وكتاب العباسية عند حسن ظنه بها ، فقامت بدورها في المحافظة على كيان المملكة الناشئة خير قيام . ففي سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ معرض ابن الأغلب لثورة خطيرة في بوس قادها والى المدينة العربي وزعيم « الأبناء » . خريش بن عبد الرحمن ابن خريش الكندي ، صهر الحسن بن حرب الكندي (٣٦) . ولا يذكر الكتاب

(٣١) أنظر الرقيق ، ص ٢٢٢ ، وقارن النويري ، ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠ .
(٣٢) ابن عداري ، ج ١ ص ٩٢ .
(٣٣) أنظر الرقيق ، ص ٢٢٢ ، وقارن النويري ، ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠ .
(٣٤) ابن عداري ، ج ١ ص ٩٣ ، النويري ، ص ١٠٥ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ص ٤٠ ، وقارن الرقيق ، ص ٢٢٢ .
(٣٥) عن تاهرت وسجلماسة وفاس أنظر العصور الخاصة بها فيما بعد .

(٣٦) أنظر الحلة السيرة لابن الأبار ، ترجمة رقم ٣٢ ، ج ١ ص ١٠١ ، وص ٢ : حيث يشير حسين مؤنس الى أن الاسم في شكل خريش واضح تمام الوضوح على عكس ما هو موجود في النويري وابن خلدون في شكل « حمديس » . كما أشار الى الترائن التي ترجع فعلا اسم خريش مثل اكتفاء ابن عداري بذكر لقب الرجل وهو الكندي . ثم أبيات الشعر (ص ١٤٠) التي ورد فيها الاسم في شكل خريش ، مما يؤكد صحته إذ لا يستقيم مع اسم حمديس . والظاهر أن المبتذل من تحريف اسم خريش الى حمديس هو الرقيق الذي نقل عنه النويري =

- ٢٤ -

شيئا عن سبب هذه الثورة إذ يكتفون بأن الكندي نزع السواد - شعار
العباسيين - مما يعنى أنها ثورة مناهضة للخلافة أو لجندها في افريقية ،
ولأبأس أن تكون اشارته الى علي بن أبي طالب (٣٧) تعنى أن لثورة لونا
شيعيا . ونجح في اجتذاب كثير من الاتباع من العرب والبربر (٣٨) . وسير
ابراهيم بن الأغلب قائم عمران بن مجالد لقتال الناصر ، وتم اللقاء عند
سبخة تونس ، وانتهى بكارثة بالنسبة للسواد ، فرغم انهزامهم أخذتهم
سيوف الجند الأغلبى : فبقى منهم عشرة آلاف رجل مصرجين بلساتهم في أرض
المركة ، منهم الكندي نفسه (٣٩) . ودخل عمران تونس وانتقم من أنصار
خريش فقتلهم ، وأقر الأمور في المدينة (٤٠) .

= وابن خلدون (أنظر الرقيق ، ص ٢٢٤) - وما يسترعى الانتباه أن الرقيق يصف خريشا
الكندي بأنه من « أبناء العرب » ، ومؤرخ القيروان يستخدم كلمة « الأبناء » كثيرا عند كلامه
عن عساكر تلك الفترة وحروبها . ومع أن ابن الأبار يكاد يشرح معنى « الأبناء » فلنفسا يقول
أن الكندي لم يكن من الجند بل من أبناء العرب الذين كانوا بالريقة قبل المسودة (العباسيين) ،
فإن الذي قهقهه من روايات الرقيق أن كلمة « الأبناء » كانت تعنى وقتله : « أبناء الحسد
الذين ولدوا في الفريقة سواء كانوا من العرب البليدين ، أي عرب اللوح الأولى ، كما يقول
ابن الأبار ، أو من الوافدين بعد ذلك ، من أهل الشام أو الخراسانية . وانظر فيما سبق ،
ج ١ ص ٢٦١ وهـ ١٧٦ (هي ثورة تلمع بن تميم بأنه من الأبناء) .
ومن تاريخ ثورة الكندي ، أنظر الرقيق ، ص ٢٢٥ . (حيث سنة ١٨٦ هـ) . ابن الأثير ،
أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التبريزي ، ص ١٠٥ ب والترجمة (ابن خلدون) ج ١
ص ٤٠١ ، وقارن ابن علقمي (ج ١ ص ٩٢) الذي يضمها ضمن أحداث سنة ١٨٥ هـ ، ولو
أنه يتبع ذلك يقول : أنه كانت لابن الأغلب مع الكندي وقائع وافقت محاربة المأمون للأمن بعد
موت الرشيد أي بعد سنة ١٩٢ هـ . وتستد أن ابن علقمي يحلها هنا بين ثورة الكندي هذه
ثورة عمران بن مجالد فيما بعد (أنظر الصفحة التالية) .

(٣٧) العلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٢ .

(٣٨) ابن الأثير : أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التبريزي ، ص ١٠٥ ب والترجمة
(ابن خلدون) ج ١ ملحق ٢ ، ص ٤٠٠ ، وأنظر الرقيق ، ص ٢٢٤ .
(٣٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ (يسى لالة ابراهيم هنا « عمران بن صغلة » ،
وهو في الرقيق ، ص ٢٢٤ وما قبلها ، من حيث ينقل ابن الأثير « عمران بن صغلة ») . أما
في حوله القتال ، وعدد القتلى ثم القاء الثوار في تونس حسبنا وصله ابن الأغلب للرشيد ،
فانظر الرقيق ص ٢٢٥ ، التبريزي ص ١٠٥ ب والترجمة (في ابن خلدون ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٩ .
ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٦ .

(٤٠) ابن الأثير : أحداث سنة ١٨١ هـ ، ج ٦ ص ٦٣ ، التبريزي ، ص ١٠٥ ب والترجمة
ج ١ ص ٤٠١ - ٤٠٩ ، وفي مقال صاحب خريش عن رواية الرقيق : ص ٢٢٤)
فل أهم كانوا يصيحون : « بغداد بغداد » ، فلا والله لا أتخذ لكم طاعة بعد اليوم . ولما
ما يرجع أن يكون للثورة طابع علمي شيعي معاد للعباسيين ، ومن مشاركة حوزة بين السبال .

ثورة الجند في طرابلس :

ولقد سببت مدينة طرابلس - القريبة من موطن الاباضية في جبل نفوسة وأرض هواة ورنانة - كثيرا من المتاعب لأبن الاعتب - فقد كان الطرابلسيون يشكون من الولاة وكان ابراهيم يستجيب لهم فيعزل من لا يرضون عنه . وفي سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٥ م ثار أهل طرابلس بواليهم سفيان ابن المضاء (الذي ولي المدينة للمرة الرابعة) والجأوه الى المسجد الجامع ثم انهم سبحو له بالخروج بالأمان ، ولما لم يمس على ولايته شهر واحد . والظاهر أن جند طرابلس وليس أهلها هم الذين قاموا بتلك الثورة إذ أن الجند هم الذين جعلوا أمر المدينة الى ابراهيم بن سفيان التميمي بدلا من ابن المضاء . ويعول ابن الاثير ، الذي ينفرد بذكر تلك الاحداث : ان الخلاف وقع بعد ذلك بين «الأبناء» بطرابلس وبين قوم من بني أبي كنانة وسى يوسف حتى فسدت طرابلس . والظاهر أن المفسود بالأبناء : هم أبناء الجند الذين ولدوا في افريقية ، ولم ينخرطوا في سنك العسكرية ، سواء كانوا من العرب البلديين أو من الوافدين على البلاد بعد ذلك ، من : أهل الشام أو من أهل خراسان ، كما سبقت الإشارة (٤١) . فعندما بلغت ابراهيم أنباء تلك الفتنة استدعى الأبناء وحصوهم الى القيروان في ذى الحجة من نفس السنة / نوفمبر ٨٠٥ م ، وهناك سألوه العفو فأجابهم وعادوا الى بلدهم (٤٢) .

ثورة عمران بن مجالد - « الوزير » :

أما أخطر الثورات التي تعرض لها ابن الأغلب فهي التي قام بها قائده ووزيره عمران بن مجالد الربيعي - قاهر خريش الكندي - بالاشتراك مع عامر بن المعمر بن سنان التيمي صاحب الشرطة ووالي قسطليلية السابق ، وعمرو بن معاوية القيسي ، أحد فرسان قيس وسادتها في الاسلام ، وذلك سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م على ما يظن (٤٣) . والظاهر أن عمران شعر بقوته بعد

= المعروف بالحرون ، قائد ابراهيم وصديقه وواليه على حلبنة ، فحرب خريش وما قاله فيها من الشتم ، انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ .
(٤١) انظر ص ٣٤ و ٣٦ .

(٤٢) ابن الاثير ، سنة ١٨٩ ، ج ٢ ص ٧٧ .

(٤٣) ابن الاثير ، بإحقات سنة ١٩٤ ، ج ٦ ص ٩٥ (حيث يذكر مسح عمران : خريش ابن التومس) ، وأغلب الظن أن المقصود بذلك ثورة خريش الكندي السابقة () . وانظر الحلة السيرة ، ترجمة ٣٥ ، ج ١ ص ١٠٤ ، و ترجمة ٣٦ ص ١٠٦ (عن عامر) و ترجمة ٣٩ ص ١١٠ (عن عمرو) .

- ٣٦ -

الخدمات الكبيرة التي أداها لابن الأغلب ، وأنه كان يطمح في أن يكون له مَرَرٌ ممتاز بالنسبة للأمير - والتوري الذي ينقل عن الرقيق ، يمل فتور العيلة بين ابن الأغلب وابن مجالد بأسباب شخصية ، وذلك منذ بناء القصر القديم : فقد خرج ابراهيم يوما الى مصلح روح ومعه عمران الذي أخذ يجاذبه أطراف الحديث و ابراهيم لا يستمع اليه اذ كان منصرفا كلية الى التفكير في سكنى قديته الجديدة (القصر القديم) (٤٤) وربما كان الأقرب الى الصحة أن عمران أحس بما يشكله المقر الجديد لابراهيم من التباعد أو الانفصال بين الجيش وبين الأمير ، الذي لن يصبح واقعا تحت رحمة قواده - هذا ، كما يمكن التفكير في أن ابن الأغلب أخذ يحمل شئون الجند وخاصة ما يتعلق منها بدفع الرواتب ، وذلك بعد أن استغنى عن الاموال التي كانت تأتيه من الخلافة ، كما سنرى بعد قليل .

وهكذا بدأ عمران يتغير وأخذ يتأمر على ابن الأغلب ، وانتهى الأمر بأن أعلن الثورة ، واجتذب كثيرا من الأنصار منهم أهل القيروان التي نجح في الاستيلاء عليها في ١٠ من رجب ١٩٤ هـ / ١٩ أبريل سنة ٨١٠ م ، وبلغ الأمر الى درجة أنه غلب على معظم بلاد افريقية (٤٥) . وحاول عمران اكساب ثورته نوعا من الشرعية باجتذاب فقيه « افريقية المشهور أسد بن الفرات الى جانيه ، وحاول أن يكرهه على ذلك ، ولكن ابن الفرات هدمه باعلان رأيه في الفتنة علانية ، وهو : « ان القاتل والمقتول في النار » ، فتركه (٤٦) .

ولم يكن لابراهيم بن الأغلب من ملاذ الا في العباسية ، فخذلق حولها واعتصم بأسوارها (٤٧) - واستمرت الثورة طوال عام راحت البلاد خلاله نهبا للاضطراب والفوضى - فكانت خيل ابراهيم تغير حتى حواطل القيروان وتقتل من يصادفها في الطريق ، وكانت خيل عمران تغير على بلاد ابراهيم (٤٨) .

-
- (٤٤) التوري ، ص ١٠٦ - والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ، ص ٤٠١ .
 (٤٥) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦٣ وسنة ١٩٤ ، ج ٦ ص ٩٥ ، التوري .
 ص ١٠٦ او الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
 (٤٦) ابن الأثير ، سنة ١٩٤ ، ج ٦ ص ٩٥ ، واطر ترتيب المدارك ، للملاي هياض ، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٤٧٨ ، تراجم الفلبية ، ص ٦٨ ، الحلة السيرة ، ج ٢ ص ١٠٥ .
 (٤٧) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ .
 (٤٨) التوري ، ص ١٠٦ او الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .

واحيرا بي العرج مملا في الاموال التي ارسلها الرشيد الى ابن الاغلب
لدمع مرتبات الجند(٤٩) . ولا شك لي انه ابن الاغلب كان في أشد الحاجة الى
النقود ، اذ انه بمجرد ان علم بمسيرتها اليه أسرع وحمل ابنه عبد الله
يسلمها في طرابلس(٥٠) . حشيه أن تقسح بين أيدي حصومه في بلاد
القيروان . وكان لنبا وصول المال أثر السحر في قلوب الجند الثائر الذين
فكروا في تسليم عمران . وعندما سار ابراهيم بالخييل والرجال والعبيد نحو
أسوار القيروان ، ونادى مناديه يدعو كل من اسمه في ديوان أمير المؤمنين
الى الحضور لتسلم عطاته ، لم يأمن عمران البقاء مع رجاله ، فترك القيروان
ليلا وسار الى بلاد الزاب ، وبصحبه عمرو بن معاوية وعامر بن المعمر(٥١) .
وأسرع ابراهيم الى القيروان فدخلها ، واشتق من المدينة فعلق ابوابها وثلم
اسوارها(٥٢) حتى لا تعود الى الثورة .

وهكذا أكدت العباسية حسن ظن ابن الاغلب بها ، فقد حققت له الظفر
على خصومه وثبتت أقدام اسرته في البلاد . وبناء على ذلك ، وبعد أن شعر
بالطمأنينة ، أخذ في زيادة عمرانها . فأقطع آلّه ومواليه الاقطاعات في داخل
أسوارها ، وبذلك أصبحت الضاحية المملكية عاصمة لبلاد بدلا من القيروان
ففيها استقبل ابراهيم رسل الخليفة هارون الرشيد ، كما استقبل رسل
شرمان الذين أتوا يبحثون عن رفات القديس سبريان ، وفيها عقد سنة
١٨٩ هـ / ٨٠٥ م الهدنة مع بطريق صقلية قسطنطين لمدة عشر سنوات وتم
الاتفاق على فداء الاسرى(٥٣) .

أما عن عمران فانه ظلي في الزاب الى وفاة ابراهيم سنة ١٩٦ هـ /
٨١٣ م وولاية ابنه عبد الله الذي اعطاه الأمان ، وأسكنه معه في القصر

(٤٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ ، الزويري ، ص ١٠٦ او الترجمة
(ابن خلدون) ج ١٠٦ ص ٤٠٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٦ .
(٥٠) الزويري ، ص ١٠٦ او الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
(٥١) الزويري ، ص ١٠٦ و الترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ (حيث عامر بن
المعمر بدلا من عامر بن المعمر وهي قراءة الحلة السيرة (ج ١ ص ١٠٥) ، وقارن ابن الأثير ،
أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ .
(٥٢) ابن الأثير ، أحداث سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ ، الزويري ، ص ١٠٦ ب و الترجمة
(ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٢ .
(٥٣) حسن حسني عبد الوهاب ، الوثائق ، قسم ١ ص ٣٥٧ .

- ٣٩ -

القديم ، ولكنه تخلص منه بعد قليل عندما علم بتآمره . كما يقال (٥٤) : وهكذا حكم إبراهيم بن الأغلب افرقية مدة ١٢ (اثنتي عشرة) سنة ، فقمع أهل الشريعة ، وضبط أهلها (٥٥) ، فلم تعرف افرقية - كما يقول الرقيق - واليا عدل ، ولا أحسن سياسة ، ولا أرفق بالرياسة ولا أضبط للأمور منه (٥٦) .

ولقد ثبت ابن الأغلب أقدامه في افرقية وبدأ يتطلع الى المغرب الأقصى حيث ادريس بن ادريس العلوي ، ونجح في استمالة واحد من أكبر أعوانه هو يهلول بن عبد الواحد زعيم مطفرة حتى اضطر ادريس الى استمطاعه وسؤاله الكف عنه (٥٧) . وتأكد مركز ابن الأغلب في البلاد حتى أنه بعد وفاة الرشيد سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م ترك الأمين افرقية له ، فأقره في ولايتها .

وتوفي إبراهيم بن الأغلب في أواخر شوال سنة ١٩٦ هـ / أوائل يولية ٨١٢ م ، وله من العمر ٥٦ (ست وخمسون) سنة ، بعد ولاية استمرت أكثر من ١٢ سنة ، بدأت بعهد الرشيد اليه بافرقية سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، واستمرت بعد ذلك باقرار الخليفة المأمون له في سنة ١٩٣ هـ / ٨٠٩ م .

(٥٤) وفي ذلك يقال : أن القتيبي يحيى بن سلام صاحب التفسير عتب لذلك لأنه كان وسيطا في أحد أيام لعمران . فلما قتله عبد الله ، قال : « لا أسكن بلدا آخر فيه العهد على يدي » . ثم انه خرج الى مصر حيث مات . أنظر الحلة السراء ، ج ١ ص ١٠٥ .
(٥٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٢ ، الحلة السراء ، ج ١ ص ١٠٥ .
(٥٦) التويري ، ص ١٠٦ والترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٤٠٣ ، وأنظر الرقيق ، ص ٢١٢ .

(٥٧) ابن الأثير ، سنة ١٨١ ، ج ٦ ص ٦٣ (التويري ، ص ١٠٥ ب) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، ج ٦ ص ١١٩ ، الحلة السراء ، ج ١ ص ١١١ و ص ١٠٩ حيث ترجمة إبراهيم ابن محمد الشيمي التي أنقده ابن الأغلب رسولا الى الخليفة الرشيد ، وبعت صحبته يرسل يهلول بن عبد الواحد الميغري . ، وقلون الرقيق ، ص ٢٢٥ : حيث الإشارة الى انه بعد أن استقامت الأمور لإبراهيم بن الأغلب وبلغه استعجال ملك ادريس بن ادريس ، دعا كبار مستشاريه وهم : صاحب البريد يحيى بن زياد ، والقاضي عبد الله بن عمر بن غانم ، وابن عوانه الكلبي ، وشاورهم في أمر ادريس ، فاشاوروا عليه . بأن يدع طالا وادعه وأن يرعى لنفسه وله بالسلامة . أما ما يقال من أنه شارك في التخلص من ادريس الأول بن عبد الله ومن مولاه راشد بسنة ، فأغلب الظن أنه موضوع للرفع من شأن عميد الأسرة الأغلبية - بالنسبة لخلافة بغداد - . أنظر في ذلك ما يأتي في دولة الإدارة . وأنظر ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، قسم ١٠٢ ، ص ١٢ . (حيث أن ادريس بن عبد الله كتب اليه يستغفر عن غيبته ، ويدكره بقرعة) من الرسول (ص) ، فاجابه عن كتابه وادعه ، ولم تفر بينهما حرب الا ما ذكر من مصلحتهم . التعريف به عند ذكر الادب ص ٤٠٠ .

ولاية أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب (١٩٦ - ٢٠١ هـ /
١١٢ - ٨١٧ م) :

بإقرار المأمون ولاية ابراهيم بن الأغلب بعد وفاة الرشيد بطوس
(٣ جمادى الآخرة ١٩٣ هـ / ١٤ ابريل ٨٠٩ م) ثبتت الأسرة الأغلبية أقدامها
فى أفريقية . ومنذ ذلك الحين صارت أفريقية ملكية وراثية فى الاغالبية من
بنى ابراهيم بن الأغلب ، الذى حلفه ابنه عبد الله الذى عرف
بـ « الجميل » (٥٨) .

وكان أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب فى طرابلس التى
ولاه أبوه اياها للمرة الثانية اثر اضطراب أحوالها نتيجة لاضطراب الجند
الأغلبى من جهة ، وتهديد الخوارج من بربر هواردة من أتباع عبد الوهاب
ابن عبد الرحمن بن رستم لاحتيتها من جهة أخرى . وكان ابراهيم بن الأغلب
اضطر إلى إعادة ابنه عبد الله إلى طرابلس مرة ثانية ، بعد أن كان عهد بولايتها
إلى سفيان بن المضاء الذى ظهر عجزه فى مقاومة البربر ، فهزمهم عبد الله
واستقر فى المدينة ، وجدد تحصيناتها قبنى سورها (٥٩) . وهكذا أثبت
عبد الله جدارته كرجل دولة ، وكانت وصية ابراهيم عند وفاته أن تكون
الامارة بعده له . وبينما كان عبد الله فى طرابلس قام أخوه زيادة الله بأخذ
البيعة من رؤساء الجند ، وأرسل يحطره بالامر (٦٠) . فاضطر إلى عقد انصلح
مع أباضية عبد الوهاب بن رستم ، اعترف لهم فيه بالسيادة على طسواهر
المدينة (٦١) . ورجع أبو العباس إلى القيروان فى صفر من اسنة التالية
١٩٧ هـ / أكتوبر ٨١٢ م ، وتسلم السلطة ، وأخطر الخلافة فى بغداد بالامر ،
فانته الموافقة على ولايته على أفريقية ، فى السنة التى بعدها ١٩٨ هـ / ٨١٣ م ،
من الخليفة المأمون الذى كان قد تخلص من أخيه الأمين (٦٢) .

(٥٨) الحلة السراء ، ج ١ ص ١٦٣ .

(٥٩) ابن الأثير ، سنة ١٩٦ ، ج ٦ ص ٢٧٠ .

(٦٠) ابن الأثير ، سنة ١٩٦ ، ج ٦ ص ٢٧٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٥ .

(٦١) خلا ما يقم من روايات ابن خلدون : (ج ٤ ص ١٩٧ - حيث الترامة : فصالحهم
عن أن يكون البلد والبحر لميد الله (أعمالهم لميد الوهاب) ، (ج ٦ ص ١٢١ - حيث
الترامة : فصالح عبد الوهاب على أن تكون الصبانية (الأقاليم الساحلية) لهم (أى للأغالبية) ،
واقترع إلى مقوسة (مقوسة) ولحق عبد الله بالقيروان) . والفر السمانى ، ص ١٦٦ .
والفر قيسا بعد ، ص ٢٣١ - ٢٣٢ (حيث رواية ابن الصلح التى تضمن على أن الامام عبد الوهاب
خاضع لطرابلس) .

(٦٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٥ .

سوء تفاهم بين أفراد الأسرة ، ومحاولة اصلاح مالي :

استمرت ولاية أبي العباس عبد الله لمدة خمس سنوات وشهرين ، لا يذكر له الكتاب أثناءها الا عمليتين : أحدهما خاص بمسألة اساءته الى أخيه زيادة الله ، الذي كان قد أخذ له البيعة عند وفاة والدهما ابراهيم ، وأدار شئون المملكة الى حين عودته من طرابلس ، بعد حوالي أربعة أشهر . ونظن أن هذه المسألة متعلقة بالحساسيات بين أفراد الأسرة الأغلبية (٦٣) . وثانيهما خاص باصلاح نظام الضرائب ، وكان يهدف منه الى تثبيت مال الحراج السنوي بأن جعله ضريبة مالية ثابتة ، حتى لا يخضع دخل الخزانة الى أهواء سنوات الحصب وسنوات الجذب ، مما يضمن له صرف رواتب العسكر ، الذين كانوا يسببون للدولة الكثير من المتاعب ، بطريقة منتظمة . فقد كانت الضريبة المعتادة هي العشر من الحب الذي تنتجه الأرض ، فحصل عبد الله الصربية ثمانية دنانير على كل زوج تحرث من البقر (٦٤) .

معارضة الفقهاء للإصلاح المالي :

واعتبر التقليديون من المالكية هذا الاصلاح المالي خروجاً على السنة ، ووجهها من وجوه الظلم الشسيعة التي تعرف عندهم ، في مجال الضرائب ، بالمغارم ، مما كان سبباً في سخط الناس ، وإعلانهم التضمر من تلك الضريبة المبتدعة ، ومطالبتهم بالقائها والعودة الى نظام العشر المعتاد .

(٦٣) وفي ذلك تقول الروايات ان عبد الله حمل في امارته على أخيه زيادة الله حملاً شديداً ، وكان يتقصه ، ويأمر بنمائه بإطلاق الستين بسبه ، وزيادة الله مع ذلك يظهر له التعظيم والتبجيل والصنع الجليل ، ولا يظهر له تغيراً - انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٥ . نهاية الأرب ، المخطوط ، ص ١٠٧ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ . وهذا ما يذكرنا بما كان يفعله الهادي بأبيه الرشيد ، عندما كان ولياً لهده ، وكان الهادي يطبع في أن يكون ابنه موسى الفلام الصغير ولياً لهده بدلاً من الرشيد - انظر ابن الأثير ، سنة ١٧٠ هـ . (٦٤) اختلف الكتاب في تقدير ضريبة العشر للمالية التي تجبها أبو العباس بن ابراهيم ، فقدرها ابن عذاري بـ ٨ (ثمانية) دنانير للفنيخ من الأرض ، أصاب أم لم يصب : أي ان سملت الأرض أم لم تبجل (ج ١ ص ٩٥) . أما ابن الأثير فيقدرها بمائة عشر ديناراً على الفدان في كل سنة (سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٢٩) . ولا كان الفنيخ مكيالاً يكاد يساوي الأرب أو يزيد قليلاً - بالنسبة للحب - فلا تعرف كيف كان يقدر بالنسبة لمساحة الأرض اذا كانت زراعية - ولا كان الفدان من مقاييس مساحة الأرض الزراعية في مصر ولا كان يبلغ الـ ١٨ ديناراً بالمقروضة عليه حسب رواية ابن الأثير ، فتعبر طريقة بالمعلة فقد أخذنا برواية نهاية الأرب - وهي للرفيق أصلاً - التي جعلت يناسب ذلك الطريقة ليس مساحة الأرض نفسها ، بل للمساحة التي يمكن لزوجة من البحر حرثها ، (التويري ، المخطوط ص ١٠٧) . وهذا أمر مقبول بالنسبة للأرض المزروعة بصب الحنظل .

وكان الفقهاء والعباد من مشايخ البلاد دورهم في الاحتجاج على هذا
الاحراء المالى الجديد ، وذلك أن الرواية تقول ان جماعة من الصالحين من
حريرة شربك أتوا الى القيروان . وعلى رأسهم صالح الريفية وقتند . حمص
ابن حميد ، حيث سمح لهم بمقابلة الأمير الأعلى الذي كان مقيما في القصر
القديم ، فوعظوه في أمر الدين ومصالح المسلمين (٦٥) ، كما شكوا اليه نقل
تلك الضريبة (٦٦) . وتقول الرواية ان الأمير المصعب بجماله استخف بجماعة
الصالحين واستهان بهم ، فلم يستمع الى نصيحهم . وبذلك عاد حفص بن حميد
واخوانه نحو القيروان ، في غرة ذي الحجة من سنة ٢٠١ هـ / ٩ يولية ٨١٧ م ،
غير راضين عن لقاء أبي العباس . وفي وادي الفصارين ، على طريق العاصمة ،
قال لهم حفص : « قد يشسا من المخلوق ، فلا يناس من الخلق » فاسألوا
المولى وتضرعوا اليه في روال ظلمه عن المسلمين ، فان سمح في الدعاء ، فقد
أذن في الإجابة (٦٧) .

وتوضأت الجماعة وساروا الى مصلى روح حيث دعوا الله بعد الصلوة :
أن يكف عن المسلمين جور أبي العباس ، وأن يريحهم من أيامه . ألم يكن
من انغريب أن تستجاب دعوة العباد الصالحين ، فأصيب الأمير الجميل الذي
كان معتبرا من أجمل أهل زمانه ، بقرحة تحت أذنه لم يستطع أن يقسام
ضرها الا خمسة أيام فقط ، كما عيرت لون بشرته البيضاء حتى انه عندما
مات ، متأثرا بها في اليوم السادس ، وكشفت عنه ثيابه للفسل ، كان كأنه
عبد أسود . واعتبر الناس أن ذلك كان عقابا من الله للأمير الضال ، وان
السواد الذي حل بجسمه الجميل كان نتيجة طبيعية لسوء فعالة (٦٨) .

(٦٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ .

(٦٦) انظر النويري ، نهاية الأرب ، حيث يقول ان حفص بن حميد كلم الأمير أبا العباس ،
فكان فيما قال له : أيها الأمير اتق الله في شباك ودرسم جسدك ، واشلق على بدلك من
النار . ترمي كل زوج تحرق ثمانية دنانير ؟ فازل ذلك عن ريعتك ، وخذ فيهم بكتاب الله وسنة
نبيه مسلم . فان الدنيا زائلة عنك ، كما زالت عن غيرك (المخطوط ، ص ١٠٧) . وكان
مخطوط دار الكتب ، ص ٢٩ حيث الجملة الأخيرة زائدة فيه . ويضيف ابن الأمير ان من بين
ما وجهته جماعة الصالحين الى الأمير الأعلى ، قول الله تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى
يغيروا ما بأنفسهم » . واق أراد الله يقوم سوء فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال » (سنة
٢٠١٢ هـ - ج ٦ ص ٢٢٢) وانظر سورة الرعد : ١١ .

(٦٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٦ ، النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب ، ابن الأثير ،
٢٠١ ص ٦ ج ٦ ص ٢٢٢ .

(٦٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٩٦ ، النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب ، وتارة ابن الأثير .
ج ٦ ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ .

زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب (٢٠١ - ٢٢٣ هـ / ٨١٧ - ٨٢٧ م) :

سياسة قوية : قوامها العنف والقسوة :

توفي أبو العباس عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب في ٦ من ذي الحجة سنة ٢٠٦ هـ / ٢٤ يونيو ٨١٧ م ، بعد ولاية لم تزد عن خمس سنوات الا بشهرين ، وبويع أخوه زيادة الله - الذي كان أول من سمي « زيادة الله » - في الاسلام ، كما كان ابراهيم بن المهدي أول من سمي « هبة الله » (٦٩) - بالامارة بعد ١٦ يوما ، وذلك في يوم ٢٢ من ذي الحجة / ١٠ يولييه . ولما كان زيادة الله قد بقي معاملة سيئة من أخيه المتوفى ، مما اعتبرناه صدى لتويع من النزاع الصامت بين الفئران الأسرة الأغلبية ، كان من الطبيعي أن يلتقي المقربون من الأمير عبد الله ما يسمى في المصطلح السياسي « المعاملة بالمثل » . ظهر ذلك في خوف أخى زيادة الله ، وهو الأغلب بن ابراهيم وكان شقيقا لعبد الله من نفس الأم ، من انتقام زيادة الله وخروجه مستأذنا للحج سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٨ م ، وفي صحبته أبنا أخيه الأمير الراحل ، وهما : أبو فهر محمد ، وأبو الأغلب ابراهيم اللذان كانا صغيرين ، وهو يزعم عدم العودة الى افريقية ، اذ استقر مع ولدى أخيه في مصر بعد أداء الفريضة (٧٠) . والظاهر أن زيادة الله استعظم ذلك فكتب الى أخيه يستعطفه ويستميله ، فعاد مع ابني عبد الله الى اقروان ، حيث صار الأغلب مكرما من زيادة الله ، مقربا منه ، كما يقول النويري (٧١) .

(٦٩) النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب ، الحلة السبابة ، ج ١ ص ١٦٣ و ص ١٦٦ (حيث الإشارة الى أن أمه هي « جلاجل » ، جلارية الليث بن سعد - التي سبقت الإشارة اليها في ص ٤ ص ٢٧) .

(٧٠) ابن عسارى ، ج ١ ص ٩٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٧ - حيث يقول أن الأغلب خرج مع أمه أخيه الثلاثة ، وهم : أبو العباس محمد ، وأبو محمد يهر (فهر) ، وابراهيم أبو الأغلب .

(٧١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١١٢ أ - حيث تقول الرواية ان زيادة الله : « أكرمهم وحسن اليه . وجعل أمور دولته بيده » ، مما يمكن أن يفهم منه أن الأغلب كان يشغل منصب الوزير لدى أخيه زيادة الله ، وهذا ما تنص عليه رواية ابن خلدون (ط بيروت ، ج ٤ ص ٤) التي تبرر استدعاء زيادة الله له بما واجهه من الحروب . وهذا ما لا تقرونه رواية ابن عسارى التي أخذنا بها ، والتي تؤيد رواية أخرى لابن خلدون (ج ٤ ص ١٩٧) ينص فيها على أنه الوزير هو ابن عم زيادة الله وقائمه « للبلون » - فابن عسارى (ج ١ ص ٩٧) يذكر قصة خروج الأغلب ، ولدى أخيه عبد الله ثم عودتهم الى افريقية ، ولكنه يضيف الى ذلك أن وزير زيادة الله كان ابن عمه غليون . وغليون الوزير رحيل هو الأغلب بن ابراهيم الذي كان من قواد زيادة الله بجر حرب الطنبلي ، -

- ٤٤ -

وحزن لا تعرف كيف يقرر ابن الأثير : أن زيادة الله « بقي أميراً رضى
البال وادعا ، والدنيا عنده آمنة » (٧٢) ، إلا إذا كان يقصد بذلك طول مدة
حكمه ، وأن الأغالبة حققوا في عهده عملاً عظيماً بفتح صقلية على يدى قاضى
افريقية الشبير أسد بن الفرات . ولما كان أسد قد ولى القضاء سنة ٢٠٣ هـ /
٨١٩ م ، الى جانب القاضى أبى محرز (محمد بن عبد الله بن قيس الكناسى)
حتى أصبح لافريقية قاضيان لأول مرة وهو الأمر الذى لم يعهد من قبل (٧٣) ،
فان وصوله الى قيادة الجند يعنى ازدهار العلم ، والمكانة السامية التى كانت
للعلماء فى ذلك العصر - وفى ذلك يقال ان زيادة الله نفسه كان أنصح أهل
بيته لساناً وأكثرهم أدباً (٧٤) .

والحقيقة أن الحوليات التاريخية الافريقية تسجل عدداً من الاضطرابات
الداخلية ، من جانب الجند ومن جانب العامة ، وتنص على أنه لم يبق بين يدي
زيادة الله فى بعض الأحيان إلا العاصمة القيروان ، وبعض الأقاليم القليلة .
وفى ذلك يقال أن أسباب الاضطراب كانت ترجع الى سياسة الأمير العنيفة :
اذ استبد بالناس واستخف بالجند ، وخاف على نفسه منهم فحصن القصر
التقديم واحتوى به .

ثورة ابن الصقلية ، وعصيان عمرو القيسى :

ففى سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م ، أى بعد ست سنوات من ملكه ، كان سوء
سيرته فى الجند سبباً فى ثورة قام بها قائد من قوادهم ، اسمه : زياد بن
سهل ، ويعرف بابن الصقلية ، الذى خرج فى موضع يعرف بفحص أبى صالح
غير بعيد من باجة التى ضرب عليها الحصار . ولكن ثورة ابن الصقلية انتهت
بسهولة على يدى قائد زيادة الله ، سالم بن سواده الذى فك حصار باجة ،
وقتل كثيراً من أصحاب القائد الناصر ، وغنم أموالهم (٧٥) . ومع أن الكتاب

= كما يأتى (ص ٤٦ ، وانظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٨١) . ولا بأس فى أن يكون الأمر
قد اختلط على الرقيق . الذى يقتله التويرى (وابن خلدون) ، عندما قال ان الأغلب صارت
اليه أمور دولة أخيه زيادة الله ، فظن أنه غلبون وهو اسم شهرة الوزير - حسب الطريقة
المغربية الاندلسية - فى تحويل اسم الأغلب الى غلبون .

(٧٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٢٩ .

(٧٣) نفس المصدر .

(٧٤) الحلة السيرة ج ١ ص ١٦٢ ، ابن الخليل ، أعيان الأعلام ، قسم ٣ ص ١٦٢ .

(٧٥) ابن خلدون ج ١ ص ٦٧ ، ابن الأثير ، سنة ٣٠١ هـ ، ج ٢ ص ٢٢٩ ، ابن

خلدون ، طبعه مطبعة ، ج ٢ ص ١٢٧ .

يسرون سوء سيرة زيادة الله في الجند واستخفاف بهم بسبب عدم انتظامهم ،
ووثوبهم على الأمراء قبله ، فإن رواية ابن عذارى تنص على أن عنده مسح
الجند ، واغلاظه لهم ، وسفكه لدمائهم - خاصة عندما كان يسكر - كانت
السبب في قيام العامة بالثورة ، في نفس السنة (٣٠٧ هـ / ٨٢٣ م) (٧٦) .

ومع أنه لم تكن لثورة العامة هذه أصداء ملموسة ، فإن ابن عذارى ربط
بينها وبين ثورة الزعيم القيسي عمرو بن معاوية ، صاحب عمران بن مجالد
في ثورة سنة ١٩٤ هـ / ٨١٠ م . كان عمرو والياً لزيادة الله على منطقة
القصرين ، فأعلن العصيان في سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، وغلب على الناحية ،
وغمس ولديه : حباباً وسجسان في الفتنة ، رغم نصيح أكبرهما له ، وهو
حباب ، وتخوفه إياه من عواقب الفتنة . فلقد قال حباب لوالده : « انك
دخلت في أمر عظيم ، وعرضت نفسك للهلاك ، ولست من رجال هذا الأمر ،
ولا ينفعك عدد ولا عدة » ، فكانت نتيجة تلك النصيحة الخيالية أن
تعرض حباب للتنكيل من والده ، الذي ضربه مائتي سوط ، كما تقول
الرواية ، وتمادى عمرو القيسي في الخلاف (٧٧) .

ولم تطل ثورة القصرين إذ سرعان ما قبل القيسي وولده الاستسلام
على الأمان عندما سار اليهم بالقوات الأعلى موسى بن هارون ، مولى إبراهيم
ابن الأغلب (٧٨) ، وجاء بهم إلى زيادة الله الذي أمر بحبسهم في بيت وزيره
وابن عمه الأغلب بن عبد الله المشهور بغلبون إلى أن يرى فيهم رأيه . وسرعان
ما راح الثلاثة ضحية القيل والقال من جانب المقربين من الأمير ، ممن كانوا
يفسرون أحداث السياسة بناء على التحيزات العرقية والعصبيات القبلية .
فقد راجت شائعات تقول إن الأمير لم يقتص من عمرو بن معاوية لأنه قيسي ،
ولأن العصبيّة القيسية قوية في مصر حتى أن زيادة الله خشي أن يشتبوا بعصمه
(الوالي) بمصر إذا نزل مكروه بقائده المخالف ، مما أثار زيادة الله فتخلص
من السجناء ، الذين نزلوا على الأمان ، بطريقة شنيعة (٧٩) .

(٧٦) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٦ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ص ١٠٧ ب .

(٧٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ ، النويري ، ص ١٠٨ أ ، وانظر الحلة السيزاء .

ج ١ ص ١١٠ (حيث اسم ابن عمرو الثاني : « سكتان » وليس سجستان) .

(٧٨) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٣٠٨ أ .

(٧٩) انظر ابن عذارى (ج ١ ص ٩٨) الذي يشير إلى أن أبا عمار المصنك هو الذي

أخبر زيادة الله بذلك ، فما كان من الأمير إلا أن طلب من وزيره وابن عمه « غلبون » أن يقتل
المحسنيين الثلاثة إلى سجن القصر حيث « لا يقتل عمرو بن معاوية يديه ثم كفى يقتل » .

ردود الفعل لسياسة العنف :

ثورة الطنبلي :

ولما كان العنف لا يولد الا العنف ، كما هو معروف ، لم يكن من اُخريب أن تؤدي تلك القسوة التي لا تعرف الانسانية أو الرحمة الى ثورة كبرى كادت تؤدي بالدولة الأعلى الفتية . وكان قائد تلك الثورة واحدا من كبار رؤساء الجند الأغلب ، هو منصور بن نصر الطنبلي ، الذي شن عصا الطاعة على زيادة الله في السنة التالية ، سنة ٢٠٩ هـ / ٨٢٤ م .

وكان منصور الطنبلي من ولد دريد بن الصمة ، ولقب « الطنبلي ، الذي حمله نسبة الى قصر كان له في منطقة الحمدية قرب مدينة تونس (٨٠) . كان منصور واليا على مدينة طرابلس عندما وصلته أنباء الفاجعة التي حلت بصهر بن معاوية القيسي وابنيه حباب وسجمان ، فتأثر لأبناء عصبته ، ودعا بني تميم في طرابلس الى الوقوف الى جانبهم للأخذ بشأر بني عمومتهم القيسية (٨١) . وعندئذ كتب صاحب الخبر ، أي صاحب البريد ، الى زيادة الله بما يزعمه منصور الطنبلي من إثارة بني تميم ضد الأمير الأغلب الذي عزل منصورا في التو واللحظة ، وأمره بالقدوم عليه في القيروان حيث وضعه

« حباب » ولم يطلبه أن تكون معارضة لوالده شيئا له لدى الأمير الذي شك في أن يصبح حباب مغلما له . أما الابن الأمير ، وهو سجمان ، فاته فضل الموت على الحياة عندما شاهد رأس والده وأخيه فوق الترس الذي قدم اليه ، ليراهما . وتضيف الرواية الى تلك المشاهد المسارية مشهدا لا يقل قسوة وفجاعة ، إذ تقول : ان زيادة الله جلس يشرب والرووس الثلاثة أمامه على الترس . وعن الأغلب بن عبد الله بن الأغلب وبنيه من بني عبد الله الذين شاركوا في حروب الطنبلي انظر ص ٤٣ و ٧١) . أما عن أحوال مصر في تلك الفترة فكانت مضطربة أيضا اضطرابا . فالصراع على أئمة بين الأندلسيين المتخلين على نفر الاسكندرية وبين عبد العزيز الجوي المتغلب على نفر تيس ثم أبنائه من بعد مقتله سنة ٢٠٥ هـ . وكان السرى بن الحكم الذي تغلب على القسطنطين يقف موقف المتفرج من هذا الصراع حتى وفاته سنة ٢٠٥ هـ ، حيث خلفه ابنه أبو النصر . أما الخلافة التي خلعت للامون منذ ١٩٨ هـ ، فقد ولقت موقف الترقب المنتظر من المصارعين بصرف النظر عن موقفهم منها الى أن أرسلت عبد الله بن طاهر الى مصر سنة ٢١٠ هـ . انظر للمؤلف ، تاريخ الاسكندرية من التبع . . . في كتاب تاريخ الاسكندرية ، ط الاسكندرية ، ١٩٦٥ ، ص ٢٧٢ - ٢٧٦ .

(٨٠) الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٢ . النويري ، المغطوط ، ص ١٠٨ ، ابن الأثير . من ٢٠١ هـ . ج ٦ ص ٣٣٠ .
(٨١) انظر النويري ، المغطوط ، ص ١٠٨ (حيث قال منصور : « يا بني تميم لو أن لي بكم قوة ، أو آوى الى دكن هديد ») ، وقارن الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٨٢٢ .

تحت رقابته . ولما كان منصور الطنبلي على علاقة طيبة بالوزير غلبون (الأغلب بن عبد الله بن الأغلب) (٨٢) ، فإن هذا الأخير أصلح ما بين منصور وبين زيادة الله الذي صفع بعد قليل عن الطنبلي ، وسمح له بالعودة الى موطنه في منطقة تونس حيث نزل بقصره المعروف هناك بـ « طنبذة » في اقليم المحمدية .

وفي المحمدية لم يركن منصور الى الهدوء بل اخذ يرأسل قواد الجند ، و يذكر لهم ما يلقون من زيادة الله ، وما فعل بعمرو بن معاوية وابنيه ، ويخوفهم أن يفعل يوم وبأولادهم ما فعله بعمرو (٨٣) . وعندما تيقن زيادة الله مما يضمرة الطنبلي استعرض جنده ، وانتخب منهم خمسمائة فارس سيرهم جريد بقيادة قائده محمد بن حمزة بن حمزة نحو تونس لمفاجأة منصور ، والقبض عليه ، ثم العودة به موثقا الى القيروان (٨٤) .

يوم دار الصناعة : القدر يجتد القيروان في تونس :

وعندما وصل محمد بن حمزة الى تونس لم يكن منصور الطنبلي هناك ، بل كان في قصره طنبذة بالمحمدية . وهنا دخل ابن حمزة الى دار الصناعة في تونس ، ورأى أن يستحلم المداواة في اقناع منصور بالعودة معه الى القيروان ، فأرسل اليه قاضي تونس ، وهو شجرة بن عيسى ، على رأس وفد من ٤٠ (أربعين) رجلا من مشايخ أهل تونس ينشأه الطساعة ، ويعرفونه بما في ذلك من الحظ في دينه ودنياه ، ويدعونه الى الرجوع معهم الى تونس حيث محمد بن حمزة (٨٥) .

ورأى منصور الطنبلي بدوره أن يحتال على قائد زيادة الله ، فأعرب للقاضي شجرة بن عيسى ومن معه من المشايخ أنه لم يخلع يده من الطاعة ،

(٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ ، ج ٦ ص ٢٢٦ .

(٨٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب .

(٨٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب . ولان الحل السراة ، ج ٢ ص ٢٨٢ .

٢٨٣ (بيت الض على ٣٠٠ فارس فقط) - محمد بن حمزة حلفا هو ابن حمزة بن السبال المعروف بالحرون ، الذي كان من كبار قواد ابراهيم بن الأغلب (انظر الحل السراة ، ج ١ ص ١٨٦) وعن والده الحرون ، ص ١٠٧ - ١٠٨ . وفيما سبق ، ص ٢٥ - ٢٦ . سبقه في ج ١ ص ٢٦٤ (حيث شارك الحرون في حرب تمام بن تميم) .

(٨٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب ، وانظر ابن عساي ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن

الآثير سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٣٠ .

ولا أحدث حدثا ، ووعدهم بأن يسير معهم الى محمد بن حمزة في تونس ، ومن هناك الى الأمير في القيروان ، ولكن على أن يقيموا معه تلك الليلة حتى يقوم بحق الصيافة ازاء عسكر ابن حمزة .

وفعلا أسرع الطنبذى فأرسل هدية الى عسكر القيروان في تونس ، مكونة من عدد من البقر والغنم وأحمال من اغبيد ، كما لم ينس أن يرسل اليهم العلف ندوابهم ، وأرسل مع الهدية كتابا الى محمد بن حمزة يخبره أنه قادم في الغداة مع القاضي شجرة . وأطمأن محمد بن حمزة الى مقالة منصور وأقام هو ورجاله لأنفسهم وليمة عظيمة ، أكلوا فيها حتى الشبع من لحوم البقر والغنم ، وشربوا من الحمر حتى الثمالة . وهكذا ، بينما كان عسكر القيروان في مدينة تونس متكبين على الطعام والشراب في ذلك المساء ، كان الطنبذى يقبض على القاضي ومن معه ، ويحبسهم في قصره ، ويستختم دوابهم في حمل المزيد من رجاله وأشياعه ، ويزحف خفية بهم الى تونس . وعندما اقترب الطنبذى من دار الصناعة في هدوء الليل ، أمر بطوله فضربت ، وعندئذ كبر أصحابه تكبيره رجل واحد وهم ينقضون على ابن حمزة ومن معه .

وانقلبت دار صناعة السفن في تلك الليلة الموافقة لـ ٢٥ من صفر سنة ٢٠٩ هـ/ ٢٦ يولية ٨٢٤ م ، من حانة عظيمة الى ميدان قتال : بين الجند من أصحاب ابن حمزة ومن انضم اليهم بالحجارة من عامة تونس ، وبين أصحاب منصور الطنبذى . وانتهت المعركة بمقتل معظم السكاري من رجال جنسد القيروان ، فلم ينج منهم الا من ألقى بنفسه في البحر ، وسبح بعيدا عن دار الصناعة (٨٦) .

واتظاهر أن الطنبذى أراد أن يعطى ثورته شكل عمل انتقامي أو أخذا بالثار لمقتل عمرو بن معاوية والى القصرين وابنيه حباب وسجمان ، إذ انه قتل والى تونس : اسماعيل بن سفيان بن سالم ، وهو من بيت الأغالبة ، كما قتل ابنه محمدا . هذا ، ولو أن الرواية تقول انه نعل ذلك تحت ضغط أصحابه الذين طلبوا اليه أن يؤمن لهم ألا يستميله السلطان بدياه وماله ، وأن عليه أن يخضب يديه بدم أصحاب زيادة الله إذا أراد أن يثقروا فيه .

(٨٦) ابن عبادي ، ج ١ ص ٩٩ ، التبريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٨ ب ، ٢٠٩ .

ابن الأمير ، سنة ٢٠٩ ، ج ٦ ص ٢٢٠ ، الحلة السرياء ، ج ٢ ص ٣٨٢ .

• ويبقوا الى جانبه (٨٧) •

وعندما وصل الخبر الى زيادة الله ، وجه عسكريا كبيرا من أشداء رجاله بقيادة ابن عمه الوزير غلبون (الأغلب بن عبد الله بن الأغلب) ، وشيعةهم بنفسه بعد أن طلب منهم ألا يتراخوا في قتال العصاة ، بل انه هدد من ينهزم منهم بالقتل (٨٨) • والظاهر أن تهديد زيادة الله لرجائه أتى بنتيجة عكسية . اذ تقول الرواية التي ينقلها النويري عن الرقيق : « فكان ذلك مما ساءت به سمعة القوم حتى هموا بالوثوب على غلبون » ولم ينضمهم من ذلك الا نصيحة بعض كبار قوادهم ، وهو جعفر بن معبد ، الذي قال لهم : « لا تحملكم اسافة زيادة الله فيكم أن تغدروا بمن أحسن اليكم ، وفك رقابتكم » - وتفسر الرواية ذلك بأن غلبون كان يعتنى بأمر القواد عند زيادة الله (٨٩) •

ثورة منصور الطنبلي تستمرى :

وهكذا خرج غلبون في العاشر من ربيع الأول من ٢٠٩ هـ / ٨ يولية ٨٢٤ م (٩) ، على رأس جيش كثيف يحوى صناديد العسكر ووجوه الرجال ، ولكنهم لم يكونوا خالصي النية ، بل كانوا يضمرون انقذر ، كما تقول رواية النويري : فعندما وصلوا الى سبخة تونس كاتبوا رجال منصور ، ووعدوهم بالانضمام امامهم وقت اللقاء (٩١) • هذا ، ولو أن رواية ابن عذارى تنص على أن عسكر القيروان فعل ما في طاقته ، وأنهم اقتتلوا ورجال منصور الطنبلي مليا ، وأن الهزيمة التي لحقت ، في ٢٠ ربيع الاول / ١٨ يولية ، برجال زيادة الله كانت نتيجة حملة عظيمة نظمها الطنبلي ، ولم يستطع غلبون ورجاله الصمود أمامها (٩٢) •

(٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٣١ ، وقارن النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ، ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٧ ، الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٣ •

(٨٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٣١ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ، وقارن الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٨١ (عن بني عبد الله بن الأغلب ومشاركتهم في حرب الطنبلي) ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ •

(٨٩) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ •

(٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٩٩ •

(٩١) النويري ، نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ •

(٩٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٢٣١ (الذي يحدد الهزيمة بالعاشر من ربيع الأول ، وهو تاريخ المسيرة عند ابن عذارى الذي يحدد الهزيمة بعشر بقين من ربيع الأول ، وهو ما أخذنا به) •

وخشية أن ينفذ زيادة الله ما كان قد توعدهم به من التسل ، انقصر قواد غلبون من حوله بعد أن وعدوه بالعودة إلى القيروان إذا أخذ لهم الأمان من زيادة الله - انشاء الله - وبينما عاد غلبون إلى القيروان ، وهو يعتذر لزيادة الله عن الهزيمة ، ويخلف أن رجاله تصحوا واجتهدوا ، وإن الهزيمة أكانت قضاء من عند الله لا يرد (٩٣) ، كان بعض القواد قد انصرفوا إلى أطراف البلاد ، يتغلبون عليها ، حتى « اضطربت إفريقية ، فصارت نارا تتقد » ، كما يقول نص المويري (٩٤) . كما انضم آخرون إلى عسكري منصور الطنبذي ، « وأعطوه أئمة أمورهم ، وولوه على أنفسهم » (٩٥) .

« ملوك الطوائف » بإفريقية :

وازاء اختلال الأمور وتفاقم حركات التمرد ، وإمام نصائح ابن عمه وزيره غلبون ، رأى زيادة الله أن يحاول استعادة ثقة قواده الثوار ، فكتب إليهم ما كانوا قد طلبوه من الأمان ، فبعثه إليهم في الصكوك . ولكنهم لم يثقوا بأمانه ، وظلوا على ما كانوا عليه من شقّ عضا الطاعة (٩٦) . وهكذا خرجت كثير من المدن عن حكم زيادة الله ، واستبد بها القواد الذين دخلوا في طاعة الطنبذي ، مثل : باجة ، والجزيرة ، وصطقورة ، وبنزرت ، والأريس ، وغيرها (٩٧) ، مما يمكن أن يشبه بحكم ملوك الطوائف .

وبذلك قويت جموع الطنبذي بمن توافد عليه من كل جهة ومكان ، حتى أنه فكر في غزو القيروان بجيش جعل قيادته إلى بعض قواده ، وهو عامر بن تافع الذي نجح في إلحاق الهزيمة بالجيش الذي سيره زيادة الله إليهم ، وعقد لواء لابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، أخى الوزير غلبون . وانظاهر أن هزيمة الجيش الأغلبي أمام قوات عامر بن تافع كانت شائعة ، إذ انجلت المعركة عن سقوط عدد كبير من كبار قواد الأغلبية ، مثل : محمد بن غلبون ، وعبد الله بن الأغلب ، ومحمد بن حمزة الزاوي ،

(٩٣) ابن عسّادى ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٩٤) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٣ ، ص ١٠٩ ب ، وقارن ابن عسّادى ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٩٥) انظر ابن عسّادى ، ج ١ ص ١٠٠ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٠٩ ب .

() وهذا يتقارن من مصدر واحد ربما كان للفرق () ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ هـ ، ج ١ ص ٣٣١ .

(٩٦) ابن عسّادى ، ج ١ ص ١٠٠ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٣ ، ص ١٠٩ ب .

(٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٣١ ، وقارن ابن خلدون ج ٤ .

وعيرهم ، كما قتلت الرجال عن آحرهم ، حسب مالة راية الويري (٩٨) .
والظاهر أن هذا النصر الكبير شجع منصور الطسدي ، وقوى قلبه على
محاولة أخذ القيروان ، وانهاء حكم زيادة الله . ولا بأس أن يكون عساكر
الغالبية الذين انضموا الى الطنبذي . كانوا يحثون هذا الأخير على الذهاب الى
القيروان حيث كانت عيالاتهم وذرايرهم . ذلك رغم ما تقوله رواية الرقيق
- على ما نظن - من أن هذا الأمر حدث بعد انهزام عسكر الطنبذي أمام قوات
زيادة الله نحو تونس ، كما يأتي (٩٩) . وهذا لا يمنع أن يكون ذلك قد حدث
في المرتين جميعا .

والمهم أن الطنبذي حشد رجاله في تونس ، وخرج منها نحو القيروان
حيث وصل في ٥ من جمادى الأولى سنة ٢٠٩ هـ / ٢ سبتمبر ٨٢٤ . وتقول
الرواية : ان القاضيين أبا محرز وأسد بن القرات خرجا الى منصور بحيث
جرى بينهم حديث كان القاضيان يهدفان من وراءه الى اقناع منصور بحقن
الدماء ، والعودة الى الطاعة ، بينما كان الطنبذي يسعى الى ضم قاضيي القيروان
الى جانبه ، ولكن المحادثات لم تنته الى اتفاق ما (١٠٠) . وانتهى الأمر بأن
عسكر منصور قرب القيروان حيث حفر خندقا حول معسكره (١٠١) ، بينما
زحف زيادة الله على رأس قواته من القصر القديم (العباسية) حيث اتخذ
موضعا له بين القيروان والقصر ، وحمر هو الآخر خندقا حول معسكره (١٠٢) .

(٩٨) نهاية الارب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب ، وقارن ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٨ .
حيث يؤخذ على الرواية الاضطراب الزمني من حيث عم تسلسل الاحداث تسلسلا منطقيا .
وعن عامر بن صالح الذي ينتسب الى قبيلة مسج ، والذي خدم اقاربه العباسيين الأوائل ، وكان
مهم عامر بن اسماعيل بن عامر بن نافع قاتل مروان بن محمد ، وابنه يحيى بن عامر الذي
حسم المأمون ووقف ضده عندما رفض مبايعة علي الرضا بولاية العهد حتى دفع حياته ثمنا
لذلك - انظر الحلة السيرة ج ٢ ص ٢٨٣ و هـ ٣ لحسين مؤس .

(٩٩) انظر فيما بعد ص ٥٦ .

(١٠٠) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٠ ، وقارن مدارك القاضي عياض ، ص ٤٧٩ ،
وتراجم الغلبة (تحقيق محمد الطالبي ، تونس ١٩٦٨) ، ص ٦٩ (حيث تقول الرواية أن
الطنبذي عندما قال للقاضيين : أخرجا معنا ، أما تعلمان ان هذا ظلم المسلمين : قال أبو محرز
وقد خالف منه . نعم ، واليهود والنصارى . أما أسد فقال له : قد كنتم أحرارا له وأنتم وهو
على مثل هذه الحال) ، وانظر المالكي ، ج ١ ص ١٧٦ .

(١٠١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٠ .

(١٠٢) الويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب (حيث يقول ان زيادة الله نزل بين
السلطان والقصر) ، وقارن ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٨ (حيث النصر على حصار زيادة الله
في العباسية) .

وبذلك تحولت الحرب بين منصور وزيادة الله الى حرب حنادق بدلا من حرب الميادين للكشوفة . واستمرت الحرب سجالا بين الجانبين : يوم لهذا ويوم لذاك . وخلال تلك المناوشات انضم أهل القروان الى جانب الطنبلي ضد أميرهم ، فكانت مكافأتهم على ذلك أن عمر منصور سود القروان - الذي كان خريه إبراهيم بن الأغلب - حتى تستطيع الصمود في للمقاومة . واستمر الحال على هذا المتوال طوال أربعين يوما (١٠٢) ، ثم يبق بين يدي زيادة الله فيها ، من افرقية كلها الا : الساحل ، ومدينة قابس ، وقفزايرة ، وطرابلس التي تمسكت بطاعته (١٠٤) . وهكذا ملك منصور معظم بلاد زيادة الله وبلغ به الأمر الى حد أن ضرب السكة باسمه (١٠٥) ، رمز الامارة والسيادة .

صنف من الرجال تزيد الشدائد صلاية :

زيادة الله يطاول الطنبلي على أبواب القروان :

والظاهر أن زيادة الله كان من ذلك النوع من الرجال الذين لا تزيدهم الشدائد الا صلاية واصراراً . فبينما كان الجند من المتبردين ، ومن انضموا الى صفوف منصور الطنبلي يكتبون الى زيادة الله : « أن ارحل حيث شئت عن افرقية ، ولك الأمان في نفسك ومالك ، وما ضمه قصرك » (١٠٦) ، كان هو لا يأس بل يعد العدة لمواصلة الكفاح .

ما بين الانتصار في القروان والهزيمة في سبيبة :

فلقد جمع حشدا عظيما من أصحابه ، عياهم تعبئة جيصلة في هيئة القتال ، من : قلب وميمنة وميسرة ، ومن فرسان ورجالة ، وزحف بهم نحو

(١٠٢) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠٠ . ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ج ٦ ص ٢٢١ .

(١٠٤) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٠١ ، ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠١ ، النويري ،

المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ (حيث لم يبق بين يدي زيادة الله الا الساحل وقابس) ،

ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٦٨ .

(١٠٥) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠١ . وانظر حسن حسني عبيد الزملي ، البرقيات ،

ج ١ ص ٤٣٠ (حيث الاشارة الى وصول درهم خلفة من قود الطنبلي ، يوضف بأنه مثل

الأغلب تماما ، غير انه بدل بكلمة « غلب » رمز الاغلبة كلمة « عدل » ، وفيه اسم « منصور

ابن نصر » ، وتاريخه ٢٢٠ هـ / ٨٢٥ م) .

(١٠٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ . ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠١ . ابن الأثير ،

سنة ٢٠١ (حيث ذكر غلب من مية منصور الآتية) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٦٨ .

منصور ، وهم خذل كثير . وارتاع الطنبزى عندما رأى قوات زيادة الله واستهول جمعهم ، اذ كان يظن أن الضعف والوهن هو صفة زيادة الله المميرة . ورغم ذلك فقد تقدم الطنبزى الى لقاء العسكر الأغلبى ، وانتهى القتال الشديد بانهزام منصور الى قصره بتونس ، بينما لاذ رجاله بالفرار فى كل وجه ، بعد أن بقى الكثير منهم مجندين فى أرض المعركة ، وذلك فى منتصف جمادى الاخرى سنة ٢٠٩ هـ / ١٢ أكتوبر ٨٢٤ م (١٠٧) .

وقرر زيادة الله الانتقام من أهل القيروان الذين انضموا الى عسدهم - والذين كانوا قد فعلوا مثل ذلك على عهد والده ابراهيم ، عندما خرج عليه عمران بن مجالد - بل وشجعه قواده على ذلك لولا تدخل أهل الورع والدين . فاكفى من ذلك بهدم سور القيروان ، الذى ساعد الطنبزى فى ترميمه ، حتى سواء بالأرض بعد أن نزع أبوابه (١٠٨) ، الا أنه لم يعرض لعيال الجند من المتمردين أو ذراريهم ، ممن كانوا قد تركوهم فى القيروان .

وكانت هزيمة قوات الطنبزى أمام القيروان حاسمة من حيث أنها قررت فشل مخطط منصور فى الاستيلاء على افريقية ، بعد أن دب الانشقاق بين صفوف أتباعه ، مثل : عبد السلام بن المبرج ، وعامر بن نافع الذى كان قد عاد الى بلده سيبية . ولقد أراد زيادة الله أن يستغل الفرصة ، فيبدأ بالقضاء على أقوى أعوان منصور من المنشقين ، وهو عامر بن نافع ، فأعد جيشاً كبيراً سير على رأسه ابن عمه محمد بن عبد الله بن الأغلب ، يعاونه بعض أفراد الأسرة الأغلبية ، وعدد من كبار القواد . وتم اللقاء قرب سيبية بين الجند الأغلبى وبين رجال عامر بن نافع فى ٢٠ محرم سنة ٢١٠ هـ / ٤ ماية ٨٢٥ م ، وانتهى بهزيمة نكراء لجيش زيادة الله ، اذ قتل قائده : محمد ابن عبد الله بن الأغلب ، بينما تمادت هزيمة الرجال حتى القيروان (١٠٩) .

(١٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ .

(١٠٨) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٦ ص ٣٣٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٠ : الذى يقول أن زيادة الله عفا عن أهل القيروان ، والنزيرى بالمخطوط ، ج ٢٢ ص ١٠٩ ب . حيث تقول الرواية أن زيادة الله قال لأصحابه : « الى عاصمت الله ان طرقت ان اعلو وأصغح » فمأ عنهم .

(١٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ هـ ، ج ٦ ص ٣٣٢ (حيث يقول ان محمد بن عبد الله بن الأغلب لم يقتل بل عاد منهزماً بمن معه الى القيروان) .

وكان من الطبيعي أن تتجر الكسرة المؤلمة الهم والغم في نفس زيادة الله (١١٠) ، وأن تشجع متصورا الطنبلي على العودة مرة ثانية من تونس الى القيروان ، أمام الحاج الجند الذين كانوا يرغبون في نقل عيالاتهم من القيروان -

وتقول الرواية أن زيادة الله أخذ في جمع الرجال ، ولم ييغل في سبيل ذلك في بذل المال ، بينما كان الطنبلي يزحف نحو القيروان حيث ضرب الحصار على زيادة الله في قصره بالعباسية لمدة ١٦ (ستة عشر) يوما ، ولكن دون قتال . وفي هذه الأثناء استعاد الجند من انوار نساءهم وأولادهم من القيروان ثم ان الطنبلي عاد بمساركه الى تونس (١١١) .

علاقة غربية بالخلافة وسط دوامة الاضطراب :

ووسط دوامة الاضطراب هذه تجد الخلافة التي بدأت أمورها تستقر في المشرق بعد ثبات موقف المأمون في بغداد ، واستقرار الأمور في الشام ثم في مصر التي كان قد سار إليها عبد الله بن طاهر بن الحسين ، تبعث الى زيادة الله رسلا طالبة منه تأكيد طاعته ليس للخلافة فقط ، بل ولعبد الله بن طاهر التي آلت اليه ادارة القسم الغربي من بلاد الخلافة ، وذلك بالجمعاء على منابره للطاهري .

ولا قدرى ان كان رجال ديوان بغداد أرادوا انتهاز فرصة المصاعب التي كانت تحيط بزيادة الله لكي يصلوا منه على تأكيد الطاعة للخلافة وتجديد البيعة للمأمون ، أم أن الخلافة كانت تقصد بذلك تقديم تأييدها الممنوع للأمير الأغلب في صراعه مع الثوار من قواد عسكره - فالمعروف أن زيادة وقف الى جانب المأمون أثناء ادعاء ابراهيم بن المهدي الخلافة عقب مقتل الأمين ، وهو الأمر الذي حسده له المأمون « فكاتبه وشكر له فعله » (١١٢) .

ولا بأس أن يكون زيادة الله قد فهم مقصد الخلافة على هذين الوجهين

(١١٠) انظر الجلة السراء ، ج ١ ص ١٦٦ : حيث الاشارة الى ما اثارته مزينة سبيبة من الخوف في نفس زيادة الله - الشاعر - حتى أنه انشد : بعد أن دخلت عليه أمه جلاجل نصيره وتسهل عليه الأمر . أحيانا منها :

أمنت سبيبة كل قوم يامل ومن العيب جليبا أبطالا
لذا ذكرت مصاييا بسبيبة فابكي جلاجلين وانين اميالا

(١١١) ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠١ ، ابن الأثير سنة ٢٠١ ج ١ ص ٣٣٢ .

(١١٢) الجلة السراء ، ج ١ ص ١٦٦ ، ابن الخطيب ، اصال الاعلام ، قسم ٢ ، ص ١٦ .

جميعاً . فهو اذ يعرب عن طاعته للحلابة ، يحرص في نفس انوقت على استقلاله . ويرفض ، بعنف ، ادعاء لابن طاهر ، واصفا اياه بـ « عبد خزاعة » ، كما يعبر - عن طريق هديته من الدنانير الادريسية - عن وقوفه بالمرصاد لاعداء الخلافة العباسية من العلويين في المغرب . ولكنه بعد سورة القضب يعمل على استرضاء الخلافة في خطاب ثان اتبعه خطابه الاول (١١٣) .

حدث ذلك حوالي سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م . وقتما كان ابن طاهر في مصر ، أي قريب الوقت الذي كان زيادة الله يعاني من حصر خصومه له قرب القيروان والعباسية ، وحينما كان الامير الأغلبى لا يجد له خلاصاً من همومه الا باغراقها في الحمر .

انتقال الصراع الى الجنوب التونسي ، حيث عامر بن نافع :

وحلال ذلك الحصار تخرج موقف زيادة الله مرة أخرى ، وخاصة عندما عاود فواد الجند من المتبردين الحاحهم عليه في الخروج من افريقية بالامان على نفسه وماله ، حتى أنه بدأ يشاور اقاربه وأخصاءه في الأمر . وكان ممن استشارهم قائده سفيان بن سودة الذي أفهمه أن الأمر لم يكن بالدرجة التي يتصورها من السوء ، وطلب اليه أن يمكنه من النظر في ديوان الجيش . وعندما قدم له زيادة الله سجل العسكر انتقى سفيان بن سودة مائتي فارس ، ممن بثق بهم ، فأغدق عليهم بالمال ليعيدوا أنفسهم خير اعداد ، وخرج بهم الى اقليم نفزاوة (١١٤) . وكان هدف ابن سودة الا يحارب فقط بفرسانه الذين اختارهم من صناديد الأبطال ، بل أن يكونوا قوة لجيش يستنفره من البربر والعرب لمواجهة عامر بن نافع الذي كان يزمع قصد ذلك الاقليم . ووصل ابن سودة على رأس فرسانه الى نفزاوة التي كان على ولايتها القائد عبد الصمد بن جناح الباهلي (١١٥) ، ودعا أهل الاقليم من البربر فاجابوه ، واحتج اليه خلق كثير من زنانة وغيرهم من القبائل .

ونجح سفيان بن سودة في فتح الاقليم بلدا بلدا حتى وصل الى حدود

(١١٣) الحلة السمرية ج ١ ص ١٦٦ ، وانظر فيما بعد ، ص ٦٤ .
 (١١٤) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٢ ، وقارن ابن عسلى ، ج ١ ص ١٠١ (حيث يجعل عدد من انتظام سودة مائة فارس فقط) ، انظر الحلة السمرية ، ج ١ ص ١٨٣ .
 (١١٥) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ .

قسطيلية حيث كان عامر بن نافع قد وصل فعلا(١١٦) .

وفي قسطيلية حشد عامر بن نافع العبيد من السودان ، حتى جمع منهم ألف أسود من العاملين في فلاحة الأرض ، وذلك أن سلاحهم الذي حملوه كان يتكون من القفوس والمساحي ، وضمهم إلى رجاله . ومن قسطيلية اتجه عامر نحو نفزاوة حيث اتخذ مدينة تقيوس مركزا لقيادته(١١٧) . وعندئذ خرج سفيان بن سودة بقواته إلى لقاء عامر ، وانتهى القتال الدامي بهزيمة الجند المتمردين أصحاب عامر ، وقتل أعداد كبيرة منهم . وانسحب عامر إلى قسطيلية حيث اندفع في جباية أموالها دون رافة بأهلها ، طوال ثلاثة أيام بلياليها قبل أن يخرج بأحمال المال بعد أن ترك بيا من يضبطها من رجاله(١١٨) .

ورغم ما يقوله ابن عذارى من أن عامر بن نافع خرج من قسطيلية يريد القيروان ، فالواضح من النصوص أنه خرج منها متباديا في الهزيمة نحو تونس حيث بقية الجند المتمرد مع منصور الطنبلي . وذلك أنه ما أن خرج من قسطيلية حتى استصرخ أهلها ابن سودة الذي سار إليهم برجاله ، فملك الأقليم وولى عليه أعوانه لضبطه وإقرار الأمن والنظام فيه(١١٩) ، ثم أنه بمجرد استقراره في إقليم تونس ، مهد الفتنة ، قام الصراع بينه وبين منصور الطنبلي .

ظروف هوائية لزيادة الله :

الصراع بين منصور الطنبلي ، وعامر بن نافع في تونس :

كان من الطبيعي أن يقوم الصراع بين الطنبلي ، وبين قائد ابن نافع الذي كان يعتبر نفسه ندا لرئيسه ، ولا يقبل أن يعامله منصور معاملة التابع . وكانت تلك المحاسنة تظهر ، عادة ، وهما في مجالس الشراب

(١١٦) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ج ٦ ص ٣٣٣ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ حيث النص على أن قتال نافع في نفزاوة ثم استيلاء سفيان على قسطيلية كان في سنة ٢٠٩ هـ ، أي عقب هزيمة منصور الطنبلي ببصرة .

(١١٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ .

(١١٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، ج ٣ ص ٣٣٣ .

(١١٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ج ٢ ص ٣٣٣ .

حيث تآحدهما بشرة السكر (١٢٠) . وائر توعده منصور لعامة ذات مرة رأى هذا الأخير أن يبدء هو بالتحلص من منصور ، فاستمال الجند إلى جانبه ، وأسرع من تونس ، لمفاجأة منصور وهو في قصره بالمعدية ، وضرب عليه الخصار الذي طال حتى فني ما كان في الحصن من الماء . وجرى اسفراء بين الحاسبين وانتهى الأمر إلى أن عرض منصور أن يسمح له بالخروج على الأمان في بعض السفين إلى المشرق ، وأجابه عامر إلى ذلك (١٢١) .

عامر يغادر بمنصور :

ولكن الطنبذي عندما تأمل في الأمر مع أصحابه استمع إلى نصيحة من أشار عليه بالألا يخصع لضيم عامر بن نافع ، وأنه يمكنه الالتجاء إلى مدينة الأربس حيث له كثير من الأعوان . ونفذ منصور تلك النصيحة فخرج من قصر طنبذة مسنخياً أثناء الليل إلى الأربس ، وتحصن بها . وعندما عرف عامر في صباح اليوم التالي بتلك الحديعة سار في أثر منصور إلى الأربس ، وضرب عليه الحصار . ومع طول الحصر ضج أهل المدينة ، وكلموا منصوراً في الخروج من مدبنتهم ، فطلب منهم أن يمهلوه بعض الوقت حتى ينظر في أمر خلاصه (١٢٢) .

وأرسل منصور إلى بعض كبار قواد ابن نافع . وهو عبد السلام ابن المفرج الشنكري ، بطلب الاجتماع به . وعندما حضر عبد السلام كلمه الطنبذي من أعلى السور ، فعدد له آياديه البيضاء على الجند ، وطلب منه لوساطة لكي يحصل من عامر على الأمان وعاهده على أن يسير إلى المشرق . ونجح عبد السلام بن المفرج في الحصول على الأمان لمنصور على أن يخرج في صحبة بعض فرسان عامر إلى تونس حيث يأخذ أهله وحاشيته ، ويسير بهم إلى المشرق (١٢٣) ، في بعض السفن (١٢٤) .

والحقيقة أن عامر بن نافع عندما أسعف الطنبذي بالأمان كان يدبر

(١٢٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ ، وانظر الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٤ .

(١٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠١ ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ . ابن

الأنير ، سنة ٢١١ هـ ج ٦ ص ٤٠٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ .

(١٢٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ ، التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب ، ابن

الأنير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ .

(١٢٣) ابن الأنير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ ، الحلة

السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٥ .

(١٢٤) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب .

الفدر به ، حتى لا تتكرر منه خديعته السابقة في المحمدية . وذلك أن عامرا أمر صاحب خيله الذي صاحب منصورا في السفينة من تونس بأن يصرج به على جزيرة جربة ، وهناك كان عليه أن يأمر بحبسه لدى الوالي ، وهو ابنه حمديس بن عامر (١٢٥) . وتم لعامر ما أراد ، فحبس منصور العنبنزي وأخوه حمدون (١٢٦) في جربة .

وعندما علم القائد عبد السلام بن الممرج الذي توسط في الأمان ، وهو بباجة ، بفدر عامر ، ثارت ثائرتة ، هو وأصحابه ، وقبضوا على هاشم أخيه عامر ، وكان واليا على باجة ، وهددوا ناقما بقتل أخيه هاشم إن لم يطلق سراح منصور . ورفض عامر التهديد ، بل وهدد بدوره عبد السلام وأصحابه من الجند بسوء العاقبة إن قفلوا تهديدهم . وانتهى الأمر بأن أفرج عبد السلام عن هاشم بن نافع بينما أرسل عامر إلى ابنه حمديس في جربة يطلب منه أن يضرب عتق كل من منصور وأخيه حمدون (١٢٧) .

نهاية منصور العنبنزي

الحكم عليه بالإعدام :

وأخبر حمديس بن عامر العنبنزي وأخاه حمدون ، في ساحة الإعدام حيث قرئ عليهما ، كما يحدث في المحاكمات الحديثة ، كتاب عامر بتنفيذ العقوبة العظمى فيهما ، وهي الموت بالسيف دون مراجعة ، أي استئناف .

وكانت نهاية تعسة بالنسبة لبطل الأمل الذي كان يتنازع أمير إفريقية ملكه ويضرب عليه الحصار ، ويطلب إليه أن يخرج من البلاد ، إذ أنه عندما سمع منصور بالحكم العظيم ، طلب - بشجاعة تليق بمثله - دواة وقرطاسا ليكتب وصيته ، ولكن خائنه شجاعته إذ لم يستطع الكتابة ، واكتفى بأن قال شفويا ، على كل حال : « فاز المقتول بخير الدنيا والآخرة » (١٢٨) . وهذا ما يذكرنا برد أسد بن القرات على تهديد عمران بن مجالد ، أبان ثورتا

(١٢٥) انظر التبريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب (حيث قرنه بدلا من جربة)
ابن الأثير سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ (حيث يقول إن والي جربة كان أخا لعامر وليه
ابن له) ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٢ .

(١٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ .

(١٢٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٢ ، التبريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب .

(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ ، وثالث الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٤٤٠

حيث النص الأخير : « فاز المقتول » ، وليس « فاز المقتول » .

على ابراهيم بن الأغلب ، اياه ان لم يحرج معه ، بأنه ان لم يكف عمران عنه ،
ليسادين في حق تلك الثورة ، ان : « القاتل والمقتول في النار » (١٢٩) .

نتائج مقتل الطنبلي في صفوف الجند المتمرد :

« انفسون جند عامر بن نافع :

وهكذا انتهى منصور الطنبلي الى القتل بيدي أكبر أعوانه عامر بن
نافع ، الذي ظن أن الأمور استقامت له في تونس ، بعد أن تخلص من قائده
ومنافسه الكبير ، وان ظهر له منافس جديد هو الآخر ، في شخصي قائده
الموتور : عبد السلام بن المفرج الذي استقل فافليم بأجرة .

ويعلم من النصوص التي أوردها كل من الخويري وابن الأبار أنه كان
من السهل على ريادة الله التنبؤ بعشيل حزب عامر اثر ذلك . فعندما علم
بنهاية منصور ، كتب الى عامر بن نافع يدعو الى الطاعة ، « ويحذره عاقبة
منصور الطنبلي قتيته » ، ويبدل له الأمان ومن معه ، ويعد « بأنه معيده
الى ما كان عليه مع أبيه ابراهيم بن الأغلب وأخيه عبد الله بن ابراهيم » .
ورد عليه نافع برسالة بليغة ، وهو يعدد له مساوي أفعاله ، ويقول في آخر
كتابه : « ما بيني وبينك هودة حتى تضع الحرب أوزارها ، ويحكم الله بيننا ،
وهو خير الحاكمين » (١٣٠) .

وفعلا لم ير مقتل منصور الطنبلي وأخيه حميدون دون ردود فعل عنيفة
بين الجند الأغلب المتمرد ، وخاصة بين المضربة منهم ، الذين وجدوا على عامر
فنافروه وحاربوه ، وانضموا الى حانب عبد السلام بن المفرج الذي رفع راية
الأخذ بالثار للمقتول المظلوم . وانتهت المناقزة بخروج بن المفرج من بأجرة
حيث كان قد استقر ، نحو تونس لحرب عامر ، وانتهى القتال بظفر عبد السلام
وانهزام عامر الى جربة حيث كان ابنه حمديس (١٣١) .

(١٢٩) انظر فيما سبق ، ص ٣٧ و ٤٦ .

(١٣٠) الخويري ، المخطوط ، ج ٢١ ص ١١٠ ب ، « الحلة السيرة » ، ج ٢ ص ٣٨٤ - ٣٨٥
(حيث نص الرسالة في أولها وآخرها) .

(١٣١) انظر الخويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب (حيث قرره هذا من تجربة) .
بولاق ابن الأثير ، سنة ٢١٦ هـ ، ج ٦ ص ٤٠٥ / ٤٠٦ الذي لا يذكر تلك الحرب ويكتفي بالإشارة
إلى لقاء عامر تونس) - ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٣ (الذي لا يشير الى تلك الأحداث) .

تحسين الموقف بالنسبة لزيادة الله :

قرار فتح صقلية ، ووفاة عامر بن نافع :

وبذلك تفرق شمل الجند الأغلبى المتمرد مما حسن موقف زيادة الله ، حتى أنه اتخذ قراره الحطير بفتح صقلية في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، أي أثناء تلك الثورة العارمة . وفي السنة التالية (٢١٣ هـ / ٨٢٨ م) اعتزل عامر عكته التي مات فيها (١٣٢) . وقبل أن يموت عامر بن نافع على فراشه ، حسب رواية ابن عسارى (١٣٣) ، استدعى أولاده ، كما تنص رواية النويرى ، وقال لهم : « يا بني ما رأيك في الخلاف خيرا ، فإذا أنا مت ودفتسرنى ، فلا تعرجوا على شيء حتى تلحقوا بزيادة الله فهو من أهل بيت عفو ، وأرجو أن يسر بكم وبقبلكم أحسن قبول » (١٣٤) .

ولقد نفذ أبناء عامر وصية والدهم بعد وفاته ، فاتوا زيادة الله طائعين محتضنين ، كما جعل الجند يتمثلون اليه ويستأمنون ، وهو يؤتمهم ويحسن اليهم (١٣٥) .

نهاية الفتنة :

وهكذا حق لزيادة الله أن يقول عندما بلغه نبأ وفاة عامر بن نافع : « الآن وضعت الحرب أوزارها » . وإذا كان النويرى قد أخذ هذا التصريح بنصه الحرفى فجعل التقضاء على عبد السلام بن المفرج لا يتطلب وقتا طويلا ولا مجهودا كبيرا من العسكر الأغلبى الذى ضيق عليه الحصار فى باجة ، حتى انتهى الأمر بموته عطشا (١٣٦) ، فمن الواضح أن الأمر لم يكن كذلك . فإين الأبار يعلق على تصريح زيادة الله عن نهاية الحرب بنهاية عامر ، بقوله : « فكان كذلك : لم يزل أمر الجند مديرا حتى انقضت الحرب وطفئت النائرة ،

(١٣٢) ابن عسارى ، ج ١ ص ١٠٢ . وقارن ابن الأثير ، سنة ٢١١ هـ ج ٦ ص ٤٠٥ (الذى يحدد موت عامر بن نافع بسنة ٢١٤ هـ / ٨٢٦ م - وهو ما ياتخذ به ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٦٨) .

(١٣٣) البيان ، ج ١ ص ١٠٣ .

(١٣٤) النويرى ، للخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٠ ب ، ١١١ ، وانظر الحلة البهية ، ج ٢ ص ٢٨٨ .

(١٣٥) النويرى ، للخطوط ، ص ١١١ .

(١٣٦) النويرى ، للخطوط ، ص ١١١ .

وصفت له افرقية (١٣٧) ، مما يعني ان القصص على ديول العتنة تطلب بعض الوقت ، وأنه لا بأس أن يكون التخلص من عبد السلام قد حدث في سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٢ - ٨٣٣ م ، كما تنص بعض الروايات .

والحقيقة انه توجد اشارات في ابن الأثير ، وابن خلدون تشير إلى مقتل عبد السلام بن المفرج في سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٢ - ٨٣٣ م ، اثر اشتراكه في ثورة جزيرة شريك التي قام بها فضل بن أبي العنبر ، كما يأتي . وهذا يعني ، كما يصر ابن خلدون ، ان عبد السلام بن المفرج استقر في باجة لمدة خمس سنوات تالية على وفاة عامر بن نافع (١٣٨) ، وهو الأمر المقبول ، سواء كان ذلك بتقليد من الأمير زيادة الله أم بالتغلب على الاقليم (١٣٩) .

والهم أنه بوفاته عامر انتهت تلك العتنة التي طالت إلى أكثر من ١٣ (ثلاثة عشر) عاما ، واستقامت الأمور لريادة الله ، ابتداء من سنة ٢١٣ - ٢١٤ هـ / ٨٢٨ - ٨٢٩ م . ولا بأس في أن يكون زيادة الله قد بدأ حركة التهيدة منذ سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، عندما وجه أنظاره نحو غزو صقلية ، حيث كان يمكنه أن يوجه نشاط جنده المتمرد إلى الجهاد بدلا من إثارة الفتنة في البلاد (١٤٠) .

اضطرابات خفيفة بين الجند ، وخاصة في تونس :

وهذا لم يمنع بطبيعة الحال من قيام بعض الفتن في البلاد ، مما استطاع زيادة الله أن يقضى عليه بسهولة . ففي حوليات ابن عذاري ، مثلا : ذكر لفتنة وقعت سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م بافرقية بين رئيسين من رؤساء الجند ، هما : مطيع السلمي ، واسماعيل بن الصمصامة ، انتهت بهزيمة مطيع وقتله ، وقرار أصحابه (١٤١) . وفي سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م عادت منطقة تونس إلى

(١٣٧) الحلة السيرة ، ج ٢ ص ٢٨٥ .

(١٣٨) ابن الأثير ، سنة ٢١٨ هـ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٨ .

(١٣٩) وهذا يجب أن تشير إلى أنه لا يشك في تلك الرواية إلا ما يصر عليه ابن خلدون - بينما - من أن غزو صقلية كان في سنة ٢١٩ هـ / ٨٢٤ م التالية ، بدلا من سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، وكان هناك نوعا من العلاقة بين الجديتين ، مما يسمح بالنظر في رواية التويري التي يعلل بها ، والتي تكاد تربط بين وفاة كل من عامر بن نافع وعبد السلام حوالي سنة ٢١٢ هـ - ٢١٤ هـ .

(١٤٠) انظر الفصول الخاصة بفتح صقلية ، ص ٢١٠ وما بعدها .

(١٤١) البيان ج ١ - ص ١٠٤ .

الاضطراب من جديد ، عندما ثار بجزيرة شريك قائد من قواد الجند اسمه فضل بن أبي العنبر ، ونجح في هزيمة العسكر الذي وجههم اليه زيادة الله ، فتغلب على المنطقة ، وأعلن الاستقلال بها (١٤٢) . ولقد استجاب عبد السلام ابن المرقع لطلب المعونة من قبل الفضل ، فخرج من باجة الى جزيرة شريك . ولكن الرجلين لم يستطيعا مواجهة القوات الاغلبية ، وانتهى الامر بمقتل عبد السلام بن المرقع ، كما سبق ، بينما انهزم الفضل الى تونس وامتنع بها . وسير زيادة الله جيشا كثيفا الى تونس بقيادة ابن عمه ، والى صقلية ، أبي فهر محمد بن عبد الله بن الأغلب ، ففر الفضل من تونس ، كما نجح في الإفلات كثير من عسكره . واقتحم العسكر الأميري المدينة ، وقتلوا كثيرا من أهلها ، وهرب آخرون (١٤٣) . وانظاهر أن الفقهاء كان لهم دورهم في تلك الثورة ، عن طريق قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذ يذكر ابن عذارى - بهذه المناسبة - قتل عباس بن الوليد الفقيه الصالح (١٤٤) .

العفو عن المتمردين :

وفي السنة التالية (٢١٩ هـ / ٨٣٤ م) أعلن زيادة الله العفو عن كل من شارك في تلك الثورة ، وأفلت من تونس . فاستجاب له أهل المنطقة ، وركن الاقليم الى الهدوء والسكينة (١٤٥) .

وكان من بين من امتأمن عبد الرحمن وعلى ابنا أبي سلمة، وأبو العزاف، وكانوا شعراء فصحاء ، فمدحه عبد الرحمن بقصيدة ارتاح لها الأمير . وعندما قام شاعر الأمير : يعقوب بن يحيى ، يحرضه على ينى سلمة وأبي العزاف ، بأبيات يقول فيها :

تسمع أيها الملك المعان	قوافي في معانيها البيان
يتم أمان من خضب العوالي	وليس لشاعر أبدا أمان
لأن قوافي الأشعار تبقى	على الأيام ما بقي الزمان
وقد يرجى نجرح السيف برء	ولا برء لما جرح اللسان

- (١٤٢) ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ص ١٠٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢١٨ هـ (حيث يحدث مكان الواقعة بمدينة اليهود بالجزيرة ، ويذكر مقتل عبد السلام) ، ابن خلدون ، ط بيروت . ج ٤ ص ٤٢٤ سميت الاسم بمقتل "أبي العنبر" .

(١٤٣) نفس المصادر .

(١٤٤) نفس المصادر - حيث يذكر ابن الأثير أن الفقيه عباس بن الوليد لم يكن مشاركاً في الثورة الا بعد أن انضم العسكر الاغلبى داره .

(١٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٥ ، وإيثر ابن خلدون ، ط بيروت ، ج ٤ ص ٤٢٤ .

لم تلتفت إليه زيادة الله وأمضى لهم أما بهم .

ولما سأل أبا العزاف : لماذا لم يستأنم قبل هذا الوقت ؟ قال الرجل :
« أيها الأمير ! كنت مع قوم حمقى ، يولون كل يوم واليا ويعزلون آخر ،
مرجوت أن يكرن لى معهم دولة » - فضحك زيادة الله ، وقال : « قد عفوت
عنك » (١٤٦) .

تقويم زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب :

تخصية مزدوجة : رقة تغلفها القلطة :

رغم ما يقوله الكتاب من أن زيادة الله كان قاسيا مستبدا بالجند سفاكا
لدماتهم ، وخاصة عندما يسكر ، وهم يريدون بتلك الاضافة الثانية سيئة
أخرى يضعونها الى الأولى ، فالظاهر أن قسوته لم تكن الا مستارا يخفى
وراءه شخصية رقيقة . وهذا ما عبرت عنه الرواية التي ينقلها ابن عذارى ،
عندما قيل ان منصورا الطنيزي استهول ما رآه عندما خرج زيادة الله اليه
فى الجيش الكثيف ، اد لم يعرف فيه الا الضعف والوهن (١٤٧) .

وتظهر رقة زيادة الله من تلك الحكايات الطريفة التي تروى أفعالا له ،
تدل على عفوه وصفحه وحلمه - فهو يتأثر كثيرا لما فعلته والسيدة السيدة
« جلال » ، عندما طبخت الفول ببيصارا وأرسلته الى أخت عامر بن نافع
بعد هزيمته حتى تبر بقسمها وهي تريد أن تسخر منها : لأن أخت عامر كانت
قد أقسمت لتجعلن « جلال » تطبخ لها الفول ببيصارا بمعنى أنها كانت
تتوقع انتصار أخيه ، واذلال أم زيادة الله - وهو الأمر الذى كان يستعظمه
العرب . وما كان من زيادة الله الا أن قال لوالدته : « قد ساءنى ما فعلت
يا أم . ان الاستطالة مع القدرة لؤم ودناءة ، وقد كان أولى بك أن تفعلى غير
هذا » . وتنهت أم زيادة الله الى المعانى النبيلة التى كان يقصدها زيادة الله
بذلك الدرس ، فقالت له : « نعم سأفعل ما يرضيك ويحسن الأحودقة عنا ،
ويعثت اليها (أى الى أخت نافع) بكسوة وصلة والطف » . ورفقت بها حتى
قبلت ذلك ، وطابت نفسها (١٤٨) .

(١٤٦) ابن عذارى ج ١ ص ١٠٥ .

(١٤٧) أنظر فيما سبق ، ص ٥٣ .

(١٤٨) التويرى ، نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١ ب - ١١٢ أ . وعن السيدة

جلال ، أنظر فيما سبق ص ٢٧ .

وهو عندما يدعو عن ثوار قوتس الشعراء من آل أبي سلمة وشريكهم في الفتنة أبي العزاف ، يقبل اعتذار الأخير اللطيف ، رغم ما فيه من المازة .
ثم هو لا يستمع الى ضعيفة شاعره الذي كان يحسدكم لأنهم مناصبون له في الشعر ، من غير شك (١٤٩) .

زيادة الله شاعرا :

وهذا ما يؤكد رقة الأمير الذي كان شاعرا ، وكان يحمي الشعر والشعراء بمعنى أنه كان حاميا للغة العربية التي كان أحد العارفين بها .
ولم ذلك تقول رواية النويري المأخوذة عن الرقيق : أنه « كان من أفصح أهل بيته لسانا وأكثرهم بياناً ، وكان يعرب كلامه ولا يلحن من غير تشاؤق ولا تقصير » (١٥٠) . وإلى جانب ذلك كان زيادة الله يقول الشعر الحسن الجيد ، ولو أن النويري لم ينتحب من أشعاره إلا أبيات كان قد ذيل بها خطابا وجهه الى الخليفة المأمون ، ردا على طلب للخليفة استاء له أمير القيروان ، وكان ذلك وهو في حالة سكر ، وهي :

أنا النار في أحجارها مستكنة فان كنت ممن يقدح الزند فأقدح
أنا الليث يحمي غيله يزئيره فان كنت كلبا حان موتك فانبج
أنا البحر في أمواجه وعساياه فان كنت ممن يسبح البحر فاسبج (١٥١)

وعندما تنبه الأمير الرقيق الحاشية من سكره ، استهول ما فعله فبعث في طلب الرسول ، ولكن دون جدوى . وحينئذ كتب كتابا لطيفا ثانيا يليق بمقام الخليفة المأمون . وكان رد خليفة بغداد ، الذي كان أدبيا محيا للفلسفة ، على الخطاب الثاني ، وأجاب فيه كل ما طلبه الأمير القيرواني المغرم بالحرر والشعر (١٥٢) .

(١٤٩) انظر فيما سبق ، ص ٦٢ .

(١٥٠) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١١١ ب . وقرب الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٣ (١٥١) نفس النهاية والحلة . وما يستحق التنبيه أن ابن الأبار ينس على أن زيادة الله كتب هذا الشعر وهو غضبان من طلب الخلافة اليه أن يدعو في الخطبة لمد الله بن طاهر بن الحسين (انظر فيما سبق ، ص ٥٤) . ولقد أخذنا قراءة الحلة للبيت الثاني من الشعر . وهو يوجد في نهاية الأدب على الوجه التالي .

أنا الليث يحمي عليه غيله يزئيره فان كنت كلما خان يومك لمانسج

(١٥٢) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١١ ب . الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٣ . حيث يذكر ابن الأبار له شعرا في الحرب والعزول عن حريسته في وقعة سببية =

ها بين فسقه وورعه :

وهكذا إذا ظهر زيادة لله يظهر المتزقي بين القسوة والرقّة ، فقد كان أيضا ذا شخصية منقسمة على نفسها ، ما بين الفسق - إذا اعتبرنا أن غرامه يباشر نوع من الفسق ، وهو ما يمكن أن يكون وألا يكون حسب واقع العصر - والتدين . وفي مشاعره الدينية تقول الرواية انه كان يقول لحاصته : اني لأرجو رحمه الله ، وما أراني الا أفوز بها إذا قدمت عليه يوم القيامة ، وقد عملت أربعة أشياء :

بني المسجد الجامع بالقريوان ، وأنفقت عليه ٨٦ (ستة وثلاثين) ألف دينار ، وبنيت قنطرة باب أبي الربيع ، وقصر المرابطين بسوسة ، ووليت القضاء أحمد بن أبي محرز (١٥٢) .

وهكذا تظهر أعمال الزرع والتقوى ، في نظر أهل ذلك العصر ، في أربعة أشياء ، هي :

١ - بناء المساجد ، وهي بيوت لله التي لا يصرها الا من آمن بالله واليوم الآخر .

٢ - بناء القناطر لجلب الماء من الجبل البعيد ، وهذا من الأشياء ذات المنفعة العامة للناس ، منها في ذلك مثل شق القنوات والأنهار للسقيا والزرع ، وبناء الجسور والقناطر لعبورها . وكل ذلك من الامور التي يحض عليها الدين ، الذي يهدف الى صلاح الناس في دنياهم أيضا قبل آخرهم .

٣ - بناء الحصون والربط من أجل اقامة المجاهدين من العباد ، فالجهاد الوثيق الصلة بالدين ، حتى أنه اعتبر سادس قواعد الاسلام . والجهاد والدين

= (انظر فيما سبق ، ص ٥٢ و ٥٠) ، وحيث يذكر له نموذجين آخرين من الشمر أحدهما على النسب ، ومنه :

يا لله لا تقلمني - يا هجر أقماني	فانت تملك انطيساني بواخراس
صدوق طرقتك من طرقي اذا التقيا	مجرمي كاس ارغام واقاس

والآخر من وصف خلافة ، ومنه :

ولا يسلط - ثوبه اصفرار ولا جسم	تيم بانفساس الحبيب كشيم
جميع تخشع لي بهيا - وخالق	قلوب نظري يريود اليها مودع

(١٥٢) انظر النويري ، المتطهر ، ج ٢٢ ص ١١٢ . وقارن ابن عيار ، ج ١ ص

١٠٦ والذكر ج ١ ص ٣٨ ، والبكري ، ص ٢٨ .

- ٦٦ -

سارا في افريقية ، منذ أيام الأغالبة ، متلازمين بعصل العلماء العناد من أهل البلاد ، إيدي اعتبروا الجهاد عبادة . والمثل لهم أسد بن العرات قاضي افريقية على أيام زيادة الله ، وقائد حملة صقلية -

٤ - اسناد القضاء الى ذرى العصل من الفقهاء والعلماء ، والقضاء كان الحطة الثانية بعد الامارة ، والقاضي هو الحكم الذي يمثل العدل . والعدل أساس الملك ، كما قال الحكماء منذ أقدم العصور .

ابو محرز قاضيا :

إذا كان زيادة الله قد اعتبر أن تولية القضاء لأحمد بن أبي محرز - الذي عرف بشدة ثقاه - من أعمال البر العظيمة التي يأمل أن يجزيه الله عنها خيرا ، فإنه يحق له أن يعتبر أن تولية والد أحمد ، وهو محمد بن عبد الله بن قيس الكنانى ، الذي عرف بكنيته أبى محرز ، منصب القضاء في القيروان من أعمال البر أيضا . ولقد ولى أبو محرز القضاء في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٦ م ، على ما يرجح ، وذلك عقب وفاة القاضي ابن غانم (عبد الله بن عمر الرعيني) الذي كان قد ولى القضاء برضاء الخليفة الرشيد منذ ولاية روح بن حاتم (في رجب سنة ١٧١ هـ / يناير ٧٨٨ م) وطوال عشرين سنة حتى أيام ابراهيم بن الأغلب (١٥٤) .

وأبو محرز معروف بين فقهاء القيروان بأنه كان من الكوفيين ، أى ممن يأخذون بمذهب أهل العراق من أصحاب أبى حنيفة الذين يعتمدون القياس والرأى . في استنباط الأحكام ، على عكس جمهرة فقهاء القيروان على أيامه ، ممن كانوا مالكية من أهل الحديث ، الذين يأخذون بسنن أهل المدينة التي نشرها في المغرب تلاميذ امام دار الهجرة ، الذين شدوا الرحال الى مصر والحجاز ، وتلقوا العلم على مالك بن أنس نفسه .

(١٥٤) تصح الرواية على أن ابن غانم توفي في ربيع الآخر سنة ١٩٠ هـ / فبراير - مارس ٨٠٦ م على أيام ابراهيم بن الأغلب الذي حزع لوفاته . وبكى عليه ، هو - وحاله أبو عقاب . ولقد وجعا أن تكون ولاية أبى محرز في نفس السنة ، وذلك أنه هناك دواية أخرى تضيف الى ذلك احتمال أن تكون وفاة ابن غانم سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م - وهي سنة وفاة ابراهيم بن الأغلب - السنة - انظر الرقيت - ص ٢٢٨ ، المدرك للقاضي عياض ، ص ٣٢٥ . بتراجم أغلبية لا بين المدلولين ، ص ٢٠٠ (عن تولية ابن غانم) في تاريخنا (عن ولاية أبى محرز) يصعد ابن غانم) . وانظر فيما سبق ، ج ١٠ ، ص ٣٧٤ و هـ ١٠٧ -

ومن هؤلاء كان أئمة ذلك العصر ، مثل : علي بن زياد التونسي ، الذي يعتبر أول من أدخل موطأ مالك الإفريقية (١٥٥) ، وعابد القيروان البهلولي اس راشد ، الذي قال فيه مالك : « هذا عابد بلده » (١٥٦) ، وعبد الله بن فروخ العارسي ، الذي كان يكتب مالكا (١٥٧) ، وأسد بن الفرات الذي مسح الموطأ عن مالك وغيره (١٥٨) ، والذي أدخل كتب الأُسدية الى مصر وإفريقية ، وفيها لجوية مالك - عن طريق ابن القاسم المصري - على آلاف المسائل التي أجاب عنها تلاميذ أبي حنيفة (١٥٩) فكانها كانت في الفقه المقارن ، كما نقول الآن .

ما بين أبي محرز وأسد بن الفرات :

والى جانب ترجمة أبي محرز ، الذي اعتز زيادة الله بتولية ابنه أحمد القضاء ، بين تراجم المالكية في إفريقية ، فإن أخباره توجد متناثرة في تراجم فقهاء ذلك العصر وأمرائه ، وخاصة في ترجمة أسد بن الفرات الذي ولاه زيادة الله القضاء الى جانب أبي محرز في سنة ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م ، فكانت أول سابقة في تولية القضاء لرجلين معا (١٦٠) .

والحقيقة أنه إذا كان أسد أكثر علما وفقها من أبي محرز ، فقد كان يُعز محرز ، أشد من أسد رأيا وصوابا (١٦١) ، كما كان أبو محرز أكثر إحسانا للمعربة ، مقلا في كلامه (١٦٢) . وهكذا كان أبو محرز ، قيل أن يلى القضاء ، يستفتى في القيروان ، هو وأسد بن الفرات ، وزكرياء بن محمد بن الحكم اللخمي ، ومن في طبقتهم من الفقهاء والعلماء (١٦٣) .

والمعروف عن أبي محرز أنه كان رقيقا لينا في أحكامه ، يميل الى الأناة

(١٥٥) المدارك ، ص ٢٢٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٢١ .

(١٥٦) المدارك ، ص ٢٢٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٢٨ . وأنظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٩١

و ١٧٤ .

(١٥٧) المدارك ، ص ٢٤٠ ، تراجم أغلبية ، ص ٤١ . وأنظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٧٤

و ١٠٦ .

(١٥٨) المدارك ، ص ٢٦٥ ، تراجم أغلبية ، ص ٥٣ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٧٤ .

(١٥٩) المدارك ، ص ٤٦٩ ، وما بعدها ، تراجم أغلبية ، ص ٥٩ - ٥٩ .

(١٦٠) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٥ (تؤرجع الرواية ولاية أسد ما بين

سنة ٢٠٣ هـ وسنة ٢٠٤ هـ) ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٨٥ .

(١٦١) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٥ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ .

(١٦٢) المدارك ، ص ٤٧٩ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٩ .

(١٦٣) المدارك ، ص ٤٩١ ، تراجم أغلبية ، ص ٨٤ .

والتروى في فتاواه ، وياخذ طريق التساهل والعفو . ولقد ظهر تصاهله في ميته الى التسامح مع الجند المتمردين على زيادة الله في ثورة الطنبدى الخطيرة . وذلك أنه بينما كان فقيه ، مثل : عبد الله بن أبي حسان اليحصبي يريد الوقوف بصلاة ضد الثوار بعد هزيمتهم ، لأنهم كانوا قد أغاروا على منازلهم وانتهبوها ، واضطروه الى الاستخفاء ، فيقول : لزيادة الله ، الذي نصحه العلماء بالعفو ورغبوه فيه : ان العفو مفيدة ، ولن يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، كان أبو محرز يقول : العفو أقرب للتقوى (١٦٤) . وهو لذلك يتصدى لابن أبي حسان اليحصبي ، ويقول له : أمن أجل شويهاك أو رميكاك تستحل دماء المسلمين (١٦٥) .

ومثل هذا كان رأى أبي محرز فيمن يرمى بتهمة الزندقة - التي صارت جريمة سياسية في كثير من الأحيان - مهما كان حال صاحبها : أن يستتاب . وهو يوبخ الفقيه أبا زكريا بن الحكم عندما يقول : ان رأى أهل العلم أنه يقتل اذا كان مظهرًا للإسلام ، وأن كان هو نفسه لا يأخذ بهذا الرأى ، ويرمي به بالحق لأن كلامه هذا يجرى الأمير - وهو زيادة الله الذي كان حاضرا مجلس الفتوى - على سفك الدماء (١٦٦) . وهو هنا يمثل فقهاء افرقية ، في ذلك العصر ، ممن كانوا لا يهابون السلاطين ، ولا يخشون في الله لومة لائم . فهو يقف الى جانب أسد بن الفرات ضد الرجل ، الذي أراد أن يتملق زيادة الله ، فقال له : أنه رأى في المنام كأن جبريل وقف بين يديه ومعه نور - رغم سعادة الأمير بتلك الرؤيا الكاذبة (١٦٧) . وكان أبو محرز يميل الى الثاني أيضا قبل نقض الهدنة مع الروم عندما أتوا يطلبونها قبل حملة صقلية ، ولو أن زيادة الله أخذ برأى ابن الفرات في شرعية خرق الهدنة (١٦٨) .

(١٦٤) المدارك ، ص ٤٨٣ ، تراجم أغلبية ، ص ٧٤ (حيث تقول الرواية أن اليحصبي كان من الرأى في الجند حتى أنه نظم في ذلك شعرا يقول فيه :
أباح طغام الحند جهلا حريتنا وشقوا بها الاسلام من كل جانب
وعاثوا وناروا في البلاد سفاهة وشنوا بأن الله غير معاقب
وما عجب بقص الأماجم ضلة ارادوا لطمح الكرام المناسب
ولكن من قوم اليأس اعتزازهم فبعضهم فيها لاحد المعائب
وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٠٣ (حيث أبيات الشعر مختلفة بشكل كبير) . وعن اليحصبي مؤرخنا ، انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٤ .

(١٦٥) المدارك ، ص ٤٨٣ ، تراجم أغلبية ، ص ٧٤ - ٧٥ .
(١٦٦) المدارك ، ص ٤٧٥ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٤ ، وبارن المالكي ، ج ١ ص ١٩١ .
(١٦٧) المدارك ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٨ .
(١٦٨) المدارك ، ص ٤٧٦ ، تراجم أغلبية ، ص ٦٦ ، وانظر فيما بعد عن فتح صقلية ص ٢١٢ .

وإذا كان أبو محرز ممن يقول بعدم تحريم النبيذ ، فإنه كان يقول بذلك عن قناعة ، حسب رأى أهل العراق ، ولم يكن يقوله تمثلاً للامير الذي كان مغرماً بالشراب ، والذي كان يعقد المناظرات في أمر شراب النبيذ بين أبي محرز ، والذي كان يحله ، وبين أسد ، الذي كان يراه حراماً (١٦٩) .

أسد بن الفرات :

وهكذا فإذا حق لزيادة الله أن يتخذ توليته القضاء لأحد بن أبي محرز شميماً له يوم الحساب ، فقد كان من حقه أيضاً - الذي تقرره له - أن يعتز بتوليته القضاء. قبل ذلك لوالد أحد ثم تولية أسد بن الفرات أيضاً الى جانب أبي محرز (١٧٠) فأسد بن الفرات الذي تفقه على مالك بن أنس ، وتعلم في العراق على تلاميذه أبي حنيفة ، كان يواجه زيادة الله بتحريم الخمر ، كما كان يقف ضد مقالة المعتزلة بخلق القرآن (١٧٢م) . وكان كثير عنهم ، مثل أبي محرز ، من أصحاب المذهب الحنفي الذي أصبح على أيام الحليفة المأمون المذهب الرسمي للخلافة ، في : بغداد وفي البلاد التابعة لها كحصن وافرقيية - وفوق هذا وذلك كان أسد بن الفرات أحد التشجيعان على علمه وفقهه (١٧٢) . فأسد بن الفرات ربط في شخصه بين العلم والتدين والجهاد ، وهي الأمور التي شغف بها زيادة الله .

ولقد كانت وفاة أسد بن الفرات - التي استعظمها أبو محرز ، حتى قال : « اليوم مات العلم » (١٧٣) - في صقلية سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م (١٧٤) ، وتبعه أبو محرز في السنة التالية (٢١٤ هـ / ٨٢٩ م) (١٧٥) .

- (١٦٩) المسلك ، ص ٤٧٥ . ص ٤٨٤ . تراجع أغلبية ، ص ٦٥ ، ٧٥ . وقارن فطب السور للرفيق ، ص ٤٨٦ - ٤٨٩ (حيث نظم الرواية أسد بن الفرات الى جانب أبي محرز في تحليل النبيذ ، وهو الأمر الذي لم يذكر أبداً عن أسد) .
- (١٧٠) أنظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٥ (حيث النص على أن الوزير علي بن أسد هو الذي سعى في ولاية أسد ، وكان يود عزل أبي محرز) - وانظر الصفحة ٦٧ ، وم ١٦٠ .
- (١٧١) المدارك ، ص ٤٧٣ - ٤٧٤ . تراجع أغلبية ، ص ٦٢ - ٦٣ . وقارن للمكرم ، ج ١ ص ١٨١ ، ١٨٢ .
- (١٧٢) المدارك ، ص ٤٧٣ . تراجع أغلبية ، ص ٦٦ ، المالكي ، ج ٢ ص ١٨١ - وملا ما تشير إليه عند الكلام عن فتح صقلية
- (١٧٣) المدارك ، ص ٤٧٥ (رواية عمران بن أبي محرز) ، تراجع أغلبية ، ص ٦٤ .
- (١٧٤) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠٤ .
- (١٧٥) ابن عسار ، ج ١ ص ١٠٤ .

أحمد بن أبي معرز :

ولا ندري من اذى ولى القضاء ، بعد أبي معرز ، وذلك أن الحوليات لا تذكر لنا تولية أحمد بن أبي معرز لقضاء افرريقية ، التي اعتز بها زياد الله الا في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٤ م ، ثم تفاجئنا بوفاته في السنة التالية (٢٢١ هـ / ٨٣٥ م) كقاض لصقلية ، بعد ولاية لم تدم الا حوالى تسعة أشهر فقط ، جمع فيها بين قضاء افرريقية وقضاء صقلية على ما يظن (١٧٦) .

.. والمهم أن أحمد بن أبي معرز الذي عرف بأنه لا يخشى من الله لومة لائم ، كان من التقوى والورع بحيث أنه كان عازفا عن تقليد القضاء الذي لم يقبل ولايته الا مكرها (١٧٧) . ولهذا قالت بعض الروايات انه لم يحكم بحكم حتى مات (١٧٨) . رغم ما تنص عليه روايات أخرى من أنه تحرى غاية العدل في اجراءاته القضائية : فلم يقبل وكالة اقارب الامر أو حشمه أو من ينوذ به . هذا ، الى جانب اشارات أخرى الى انصافه والى وقوفه بصلاية أمام الوزير علي بن حميد عندما أراد مساندة بعض المتخاصمين ، واجباره الوزير على البراءة من محسوبه ، وذلك في حضرة زيادة الله ، وأمام الملا من الناس ، مما كان له رجة عظيمة بالقيروان (١٧٩) .

والذي يستأثر بعناية الكتاب في وفاة ابن أبي معرز ، الذي كان كثير البكاء غزير الدمة ، أنه أوصى أحماء عمران بن أبي معرز أن يكتفم موته حتى يكفنه ، ويصلى عليه خوفا أن يكفنه زيادة الله ويصلى عليه . ونفذ عمران الوصية ، ولم يدر فتیان زيادة الله بالامر الا بعد أن حمل نعش القضاى الورع - الذي أراد أن يهرب ميتا من زيادة الله بعد أن عجز عن الهروب منه حيا - خارج داره . وهنا اكتفى خلف الفتى بذر الكثير من المسك الذي كان أحضره على جثمان القاضى ، ورجع الى القصر بما كان معه من الاكفان . وهكذا

- (١٧٦) أنظر بن هادي ، ج ١ ص ١٠٦ ، المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ . هلا ولو أن رواية أبي العرب (ط . تونس ، ص ١٦٧) تقول انه ولى بعد وفاة والده أبي معرز ، مما يعنى أن خطة القضاء ظلت شاعرة لحوال - تسنوات بعد وفاة أبي معرز ، وهو الامر المستبعد . رغم ما تقول رواية المالكي (ج ١ ص ٣٠٦) من أن الناس كانوا متشبهين عن ولاية القضاء عندما أجهز زياد الله أحمد بن أبي معرز على قبرها .

(١٧٧) المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ .

(١٧٨) أبو العرب ، ط . تونس ، ص ١٦٧ ، المالكي ، ج ١ ص ٣٠٥ .

(١٧٩) المالكي ، ج ١ ص ٣٠٦ - ٣٠٨ .

يمكن زيادة الله من النفاق بالجنائز الا عند المصلى خارج المدينة ، حيث فصل عليه وخضر دفنه . وثقول الرواية انه بعد أن عزى الأمير عمران القاضي أحمد ، قال : يا أهل القيروان لو أراد الله لكم خيراً ، لما خرج ، أبي محرز من بين أظهركم (١٨٠) .

وهكذا حق لزيادة الله أن يعتز بقاضييه أحمد - بن أبي محرز - ، وتؤكد بقراءة شهادة سحنون فيما بعد ، فقد كان إذا تكلم فيمن قدمه من ضاة ، قدكر له أحمد بن أبي محرز ، لم يتكلم فيه الا بخير لفصله (١٨١) .

مال زيادة الله العمرانية :

رباط صنوسة :

والحقيقة انه على عكس ما قد يتوهمه الناظر السريع في حياة زيادة الله : أنها كانت حياة رجل متمرق بين العنف والبحث عن اللذة - حتى أن قاضييه أن يخاف أن يكفنه بأثواب من عتله أو أن يصل على جنازته ، نجد أن المتأمل في حياته يكتشف خلف ستار هذا المظهر الخداع رجلاً قد وهب نفسه لأعمال جبر ، وعلى رأسها الجهاد . ففي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م بدأ ببناء واحد من أكبر حصون المرابطين من العباد المجاهدين في سوسة ، وهسو رباط صنوسة لشهور ، الذي أصبح بعد سنوات قليلة قاعدة لأكبر عملية غزو بحرية قام بها العرب فيما وراء البحار ، وهي فتح صقلية وإيطاليا . كما صار صنوا رباط المنستير الذي أصبح أكبر رباطات السواحل الإفريقية : حتى اعتبر نتية من عتبات الجنة ، وحتى أصبحت الإقامة فيه لمدة يوم وليلة أعظم أجراً من الحج أو الانقطاع الى الصيلا والصوم : وبذلك مزج علمه افريقية لأغلبية بين العلم والتدين والجهاد ، بطريقة لم تعرف في غير افريقية من بلاد الاسلام .

ورباط سوسة (١٨٢) ، كما وصلنا ، أشبه بحصن مزيج الشكل ، طول ضلعه حوالي ٤٠ متراً ، تدغم جدراناه الإربعة ثمانية أبراج : ٤ (أربعة) منها

(١٨٠) ابن طواري ، ج ١ ص ١٠٦ ، وقارن الماكي ، ج ١ ص ٣٠٩ . حيث النص على أن عمران هو ابن القاضي أحمد وليس أخاه .
(١٨١) أبو العرب ، ص ١٦٧ .
(١٨٢) انظر البكري ص ٣٥ (حيث يصلح بانه محرز عظيم كماله) « سوسنة »
يقترن بقرن ببحر ص ٣٥ ، وهو مأثور للاخيه في الفقه الجليل ، داخله ضمنه - كان يسمى « القصبة » ، وهو بجوف المدينة متصل بدار الصناعة - يسفح الجبل الذي هو في سنده) .

في رواقه ايباء ، و ٤ (أربعة) في وسط كل من حوائطه الأربعة . والأبراج مستديرة الشكل عدا اثنين منها فلها شكل مربع ، واحدهما يقع في الركن الجنوبي الشرقي حيث توجد في أعلاه منارة مربعة الشكل ، يظن أنها أقيمت من أجل إرسال الاشارات الضوئية التي كان يتبادلها جسد المحارس ، والثاني في وسط الجدار الجنوبي حيث الباب الوحيد للرباط . وكانت تعلو برج هذا الباب قبة ذات شرفات (جوسق) ، ربما كانت تستخدم كمئذنة للجامع الذي يقع في الدور العلوى من هذا الجانب من الرباط .

أما الفناء المربع في داخل الحصن ، فهو أشبه بصحن الجامع الكبير ، وتحيط بجوانبه وراء الأروقة غرف العباد وصوامعهم . الموزعة في الدور الأرضي على جوانب المحيطان الأربعة ، بينما هي موزعة في الدور العلوى في ثلاثة اتجاهات فقط . اذ الحقيقة أن المسجد ، الذي يتكون من أحد سر رواقا رأسيا على حائط القبلة ، وبلاطين عرصيتين ، يشغل الجزء العلوى المواجه للحائط الجنوبي للرباط ، وهو حائط القبلة (١٨٣) .

قنطرة باب أبي الربيع :

والى جانب مجهودات زيادة الله في بناء رباط سوسة للعباد المجاهدين ، بنى قنطرة باب أبي الربيع في القيروان ، التي كانت ساقية عظيمة تحمل الماء من الجبل القريب عبر الوادى ، على ارتفاع شاهق بفضل حناياها أو أقواسها الكبيرة ، مما كان له أثره في العمارة الاسلامية في افريقية وسائر بلاد المغرب والأندلس . وذلك أنه كانت توجد في افريقية نماذج لهذا النوع من السواقي المحمولة على القناطر منذ أيام الرومان ، كما كان الحال كذلك في الأندلس ، مثل . قناطر ماردة التي بقيت لنا أجزاء منها (١٨٤) .

(١٨٣) أنظر ج - ماسيه ، مختصر الفن الاسلامي ، ج ١ ص ٤٧ - ٤٩ ، شكل ٢٠ ص ٤٨ (تخطيط يجمع رباط سوسة) . السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٢٤٩ وما بعدها .

(١٨٤) من قناطر باب تونس المزدوجة قرب القيروان أنظر ج - ماسيه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ١ ص ٥٣ . وهي قناطر ماردة أنظر ج ١ ص ٢٣٠ - ٢٣١ حيث الاشارة الى احتمال تأثرها على الأقواس المزدوجة في جامع قرطبة . وعن معارضة هذا الرأي أنظر أحمد كبرى في المسهل لمباجد القاهرة ومباجد سوسة ، ص ١٣ - ١٤ ، بحيث يقرر المؤلف أن أقواس جامع قرطبة المزدوجة عمل عربي مبتكر لا علاقة له بقناطر ماردة وأنظر شكل ١ ص ١٥ .

وهكذا تلك الرقعة لله مهتما بأعمار البلاد ، مجتهدا في تحقيق أسباب
 عملية الطيبة لشعبه ، رغم ما واجهه من المصاعب ، وما عاناه من التجارب
 على تملك فيما رأيناه من الفتن . وحسن رعاية زيادة الله لمصالح شعبه
 يعتبر من مبادئ الإسلام الأساسية التي تنص على مسئولية كل راع عن
 رعيته ، وذلك أن الرعية هي أصل رخاء الدولة ، إذ : « المال رزق تجمعه
 الرعية - كما قال فلاسفة السياسة - والرعية عبيد يتعبد لهم العدل » (١٨٥) .

مسجد القيروان الجامع :

وماتى بناء المسجد الجامع في القيروان - الذي اختطه عقبة لأول مرة -
 سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م ، ثم جده حسان سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، ووسعه بشر
 ابن صفوان سنة ١٠٥ هـ / ٧٢٥ م ، وبنى منارته ثم جده بعلع يزيد بن حاتم
 سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٤ م ليتزوج أعمال زيادة الله ، وليصبح اثرا باقيا الى اليوم .
 من آثار الأغالية (١٨٦) .

وفي شهر جمادى الآخرة من سنة ٢٢١ هـ / مايو - يونيو ٨٣٦ م (١٨٧) .
 قام بزيادة الله فأمر بهدم بناء المسجد العتيق - حاشا للحراب ، بحراب عقبة -
 بعد أن لم يعد مناسباً ، من حيث السعة أو من حيث الفخامة ، بمدينة
 القيروان التي أصبحت أعظم عواصم المغرب . كما لم يعد مناسباً بالملكة
 للأغلبية التي وطدت أقدامها في الفريقية وأصبح بلاطها منافسا لبلاط الخلافة .
 فبنى بعداد - وأعاد زيادة الله البناء بالصحر والأجر والرخام ، تاركا محراب
 عمبة لتقديم بعد أن كساه كله بالرخام المخرم المنقوش بالكتابة وبغيرها من
 الحرف ، من أسفله الى أعلاه (١٨٨) .

ولم يخل زيادة الله في النعقة عليه ، مما بلغ ٨٦ (ستة وثمانين)

(١٨٥) كتاب السياسة في تدبير الرياسة . في الأصول اليونانية للنظريات السياسية في
 الإسلام ، تحقيق عبد الرحمن بن موسى ، القاهرة ١٩٥٤ ، فصل العدل ، ص ١٢٧ .
 (١٨٦) وس الأسماء العريقة الحاضرة تلك التحديدات التي طرأت على الجامع منذ بناء
 عقبة . ما كانت تتم - بين المصبيين المبرزين - المنزلة والسلطانية - علما ما يلهم
 من ترشح العقبة عبد الله بن أبي حسان اليحسبي (اليسى) الذي كان مقربا من زيادة الله .
 فبعضهم قام بزيادة الله بملابته في جعل القيروان مأزحه قائلا : « عاد المسجد حطريا » .
 ويشرح سلب المادوك ذلك بأن عقبة قرى بزيادة الله لميسر لمسا بغيره . هذا ، كما قال
 له زيادة الله مرة أخرى : « صونا ألكم من الجامع » (المادوك ، ص ٤٨٤) .
 (١٨٧) التوفيق ، على ترجمة ابن خلدون - ج ٩ ص ٤١٢ - .
 (١٨٨) الخلاصة السبع ٦٠ ص ١٦٢ ، توفيقه وصفه البكري (التوفيق) ص ١٦٢ .
 وشكنا عن بناء الجامع ، ص ٣٤ .

الف دينار - واقتلب الظن أنه هو الذى جلب له الأساطين الجعينة المربعة
بالبياض والسواد المشديدين (١٨٩) من المعابد للعديمة والكنائس من أنحاء
أفريقية ، ومنها المسارتان الحمراء واللتان توجدان قبالة المحراب ، واللتان
وصفتا بأنه لا مثيل لهما فى العالم (١٩٠) ، وإن سبب جلبها إلى حسان
أين النعمان (١٩١) -

ومسجد القبروان الجامع الحالى الذى اتفق على أنه بقى لنا كما تركه
زيادة الله - بصرف النظر عن بعض التوسعات فى بيت الصلاة ، مما يمكن
أن يكون قد اتخذت فى فترات تالية لعهد زيادة الله - يشغل مساحة مستطيلة
طوله حوالى ١٣٥ مترا ، وعرضه ٨٠ مترا ، ويحوى كلا من بيت الصلاة
المغطى ، والصحن المكشوف . وبيت الصلاة يحوى ١٧ (سبعة عشر) رواقا .
حولية تمتد من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، والرواق الأوسط منها
أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا ، وتقوم على طرفيه اشمالي والجنوبى قبتان .
والخط المستقيم بين القبتين يمثل اتجاه القبلة بالنسبة لأهل القبروان .
وببالطة المحراب العريضة تحمل على طرفيها قبتين هي الأخرى . أما الصحن
فهو متسع جدا ، وتحيط به من جهاته الأربعة أروقة مربعة ، باستثناء
الجهة الشمالية حيث تقطع المذابة تلك الأروقة .

أما المذابة فهي عبارة عن ثلاثة أبراج مربعة الشكل ، الواحد منها فوق
الآخر . والمثلث منها ، وهو العلوى ، يعطيه قبة مصلعة بديعة . ويلاحظ
أن أضلاع البرج الأول ، الذى يظن أنه بنى فى خلافة هشام بن عبد الملك ،
لمست رأسية ، بل هي تنحرف نحو الداخل فى اتجاه القبة - وعرض هذا
البرج الرئيسى ، ١٥ مترا ، وارتفاعه ١٩ مترا . أما ارتفاع المذابة
يأدورها للثلاثة فيبلغ حوالى ٢٥ مترا (١٩٢) .

والمذابة بكتبتتها المصنوعة ، وقامتها العريضة ، وهي قائمة فى طرف
الصحن المدثر بغلالة الأورقة تضيئ على المكان زينة ذات جلاله أخاذ . وبيت

(١٨٩) الحلة السحرية ، ج ١ ص ١٦٢ ، وقارب البكرى ص ٢٤٤ .

(١٩٠) الحلة السحرية ، ج ١ ص ١٦٣ - ١٦٤ .

(١٩١) البكرى ، ص ٢٤ ، وقارن الإستبصار ، ص ٤٩٤ (حيث يصفها بالخرموان) .

وإن كان البكرى يذكر السود الأخضر الذى اشتراه يزيد بن حاتم بمال جليل - ص ٢٢ -
وله " (١٩٢) النظر في هجرات ماوسية ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ٢ ص ٢٧ -
٢٨ حيث الملاحظات مع حلوليات البكرى ، ص ٢٢ ، وقارن ابنه فكرى ، القبط لمساجد القاهرة
ومملوكها ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤ ، للسيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٤٢٢ وما بعدها .

- ٧٥ -

الصلاة ، كما يقوله جورج مارسيه ، بغاية أعمدته التي لا تعد ولا تحصى ، وبأورقته التي يأتيها الضوء هادئا من خلال الأبواب ، تحدث في النفس شعورا قويا ساحرا (١١٢) .

وهكذا حتى لزيادة الله الأول بن إبراهيم بن الأغلب أن يموت راضيا ، ولجيا ثوب ربه ، في يوم الثلاثاء ١٤ رجب سنة ٢٢٣ هـ / ١١ يونية ٨٢٨ م ، وله من العمر (واحد وخمسون) سنة ، بعد ولاية حافلة بجلال الأعمال والخطوب ، استمرت لأكثر من ٢١ سنة (١١٤) . وخلفه في ملك إفريقية أخوه الأغلب أبو عقال .

أبو عقال الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بخزر : (٢٢٣ - ٢٢٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٤٧ م) :

الامن على عهد الأغلب :

آل ملك إفريقية بعد وفاة زيادة الله الأول آلى أخيه الأغلب ، الذي كان في الخمسين من عمره ، والذي كانت قد آلت اليه أمور دولة زيادة الله منذ عودته من مصر ، كما تقول رواية التويري ، وإن لم تشر بعد ذلك الى أي نشاط له (١١٥) .

ولم يستمر حكم الأغلب أبي عقال الا أقل من ثلاث سنوات تمتعت بلباد خلالها بفترة من الأمن والاستقرار ، كما يقول الكتاب ، اذا استثنينا تلك الحملة التي وجهها في سنة ٢٢٤ هـ / ٨٢٨ م بقيادة قائده عيسى بن ريعان للأزدى ، ضد قبائل لواتة وزواغة ومكناسة ، من الحوارج في إقليم الجريد . ولقد انتهت الحملة بقتل تلك القبائل قتلا ذريعا ، حتى قيل أن عيسى انهم بن آخرهم ، فيما بين مدينتي قفصة وقسطنطية (توزر) (١١٦) ، قبل أن

(١١٢) أنظر جورج مارسيه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ج ٦ ص ٢٧ .
(١١٤) التويري ، الخطوب ، ج ٢٢ ص ١١٢ ، ترجمة ابن خلدون ، ج ٦ ص ٤٩٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٠ ، وقارن الحلة السها ، ج ٢ ص ١٦٤ .
(١١٥) أنظر فيما سبق ، ص ٤٣ ود ٧١ - حيث الإشارة الى انه جعل أمور دولته الى الأغلب . لما فن عم الإشارة الى نشاط الأغلب فيمكن أن يفسر ذلك بالأغلب كان له دور من أخيه المتوفى بالسكوت عنه . لا هذا كان الأمر قد التبس ، لبعض الكتاب فخلطوا بين الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب وبين أخيه التويري الأغلب بن عبد الله بن ميرالم المشهور بملبوند .
(١١٦) ابن خلدون ج ١ ص ١٠٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤٨٨ والذي يصر على أنهم حوارج .

يعود بمقتانهم وأسلايهم ، كما يقول ابن الأثير (١٩٧) .

والحقيقة أن رواية كل من ابن الأثير ، وابن عذارى ، وابن خلدون ، والنويرى ، عن عهد أبى عقال ، تكاد تكون نفس الرواية على شيء من الاحتصار أو الاسهاب ، ففى بعض الفقرات ، مما يوحى بأنها منقولة عن ائريقه القيروانى ، وإن كان ابن عذارى يذكر فى أحداث حملة سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م . ابن القطان صاحب كتاب نظم الجمان (الذى وصلتنا قطعة منه فى تلخيص الموحدين) -

خزرج :

عرف أبى عقال الاغلب بلقب خزرج ، مع أنه من المعروف أن تحريف اسم الأعلب على الطريقة المغربية الأندلسية هو « غلبون » ، كما هو الحال بالنسبة لوزير ريادة الله وابن عمه الاغلب بن عبد الله بن الأعلب . ونحن لا نعرف الظروف التى أعطى فيها الاغلب لقب حرر الذى يعطيه الكتاب ياه (١٩٨) ، وهو من الأسماء المغربية المشهورة عند الزنانيين ، والتى تعرف عندهم فى شكل « خزرون » ، مما يحتمل معه أن يكون الاسم قد أعطى له معابة للزنانية . ولا بأس أن يكون أعطى له للشفقة بينه وبين ابن عمه الوزير غلبون -

العودة الى ضريبة العشر :

وخلال فترة حكمه القصيرة استتب الأمن بين الناس واستقرت أمور الجند بفضل الاجراءات التى اتخذها الاغلب ، والتى يشير اليها الكتاب سريعا عندما يقولون انه غير أحداثا كثيرة كانت قبله (١٩٩) . وابن الأثير يفسر تلك الأحداث التى غيرها بأنها كانت من المظالم (٢٠٠) ، مما يعنى أنها كانت تتعلق بالضرائب النابتة التى قررها الأمير عبد الله بدلا من العشر الذى كان يمثل

(١٩٨) ابن الأثير - سنة ٢٢٤ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٣ - والعصر هذا لا يذكر الا أنه سيرة سيرة فى سنة ٢٢٤ هـ -

١٩٨) انظر - ابن عذارى - ج ١ ص ١٠٧ ، النويرى - المخطوط - ج ٢٢ ص ١١٢ ، الترجمة ج ١ ص ٤٤٤ ، وقال ابن الأثير سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٤ حيث الكية أبو عفان بدلا من أبي عقال - وهو من تحريف النسخ - أيا اسم خزرج فلا يذكره . (١٩٩) ابن عذارى - ج ٦ ص ٢٠٧ - والنويرى ، المخطوط - ج ٢٢ ص ١١٢ - ج ١١٢ ب .

الترجمة ج ١ ص ٤٤٤ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ -

(٢٠٠) ابن الأثير سنة ٢٢٤ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٣ -

الضريبة القانونية المعروفة بخراج الأرض ، والتي كانت تدفع عينا ، حسبما تحمله الأرض من الفلات (٢٠٢) .

خبط الجند والعمال :

أما عن الجند فتقول الرواية انه أحسن اليهم بمعنى أنه أجزل لهم العطاء ودفعه اليهم في مواعيد المقررة ، فكان ذلك سببا في قطع شغبهم ، كما تشير الرواية أيضا الى أن انقطاع الحروب في أيامه كانت من أسباب أمنهم .

أما عن عماله ونوابه في الأقاليم فقد كف أيديهم عن التناول على أموال الناس ، وعما كانوا يرتكبونه من المظالم عن طريق زيادة رواتبهم ، ودفعها لهم في أوقاتها المقررة أيضا (٢٠٢) .

منع النبيذ :

والى جانب ذلك قام أبو عقاب الأغلب بإجراء كان فيه إرضاء لمشايخ القرويين وعلماؤها وعبادها ، كما كان له أثره الطيب في قلوب الناس ، وذلك أنه منع عمل النبيذ والخمر في القيروان (٢٠٢) ، بل وعاقب أيضا على بيعه وشربه (٢٠٤) ، بعد أن كان بعض فقهاء الحنفية يبيحونه ، وبعد أن كان زيادة الله يعقد المناظرات في تحليل النبيذ وتحريمه (٢٠٥) .

وهكذا انتهت ولاية الأغلب الذي توفي في يوم الخميس ٢٢ ربيع الآخر سنة ٢٢٦ هـ / فبراير ٨٤١ م راضيا ، مرضيا عنه من الكتاب الذين شبهوه بجده وسميه الأغلب ، ليس من حيث الاسم فقط ، بل ومن حيث الخلق بواخلاق كذلك (٢٠٦) . وخلفه ابنه أبو العباس محمد .

(٢٠١) انظر حقيقتنا سبق ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٢٠٢) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٧ ، ابن الأثير ، سنة ٢٢٣ ، ج ٦ ص ٤٩٢ .
النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة ج ٤١٤ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٠٣) ابن الأثير ، سنة ٢٢٣ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٢ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٣ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٤١٤ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٦٨ .

(٢٠٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٧ .

(٢٠٥) انظر حقيقتنا سبق ، ص ٦٩ .

(٢٠٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة ، ج ١ ص ٤١٤ .

أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب (٢٢٦ هـ - ٢٤٢ هـ /
٨٤١ - ٨٥٦ م) :

معالم العهد :

خلف الاعلب في اماره اثريعية ابنه أبو العباس محمد الذي بقى له
الملك مدة زادت على ١٥ (خمس عشرة) سنة ، كانت أهم أحداثها الداخلية
مشاركة أخيه أحمد له في الأمور ، ثم قيامه بانقلاب عليه استمر أكثر من
سنة ، استعاد بعدها محمد سلطانه - وهى الأمور التى تدخل فى النزاع
بين أفراد الأسرة المالكة من أجل الحكم .

أما عن أحوال البلاد فكانت هادئة مطمئنة ، لم يعكر صفوها الا بغز
الاضطرابات التى قام بها قواد الجبل فى المناطق الثائرة دائما ، وهى .
الزباب ، وتونس - وكان ذلك كرد فعل طبيعى لازمة الحكم التى ثارت بين
الأخوين . وعلى المستوى الدينى والادارى كان عهد أبى العباس محمد بن
الأغلب ، هو عصر عظماء العلماء العباد ، مثل : أبى محمد عبد الله بن أبى
حسان اليحصبي (توفى سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤٢ م) والبهلول بن عمر بن صالح
(توفى سنة ٢٢١ هـ / ٨٤٦ م) ، والامام سحنون بن سعيد (الذى ولى
القضاء سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م ، وتوفى سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) . أما عن
السياسة الخارجية على عهد محمد بن الأغلب ، فقد تمثلت فى استمرار الفتوح
فى صقلية ، وهو الأمر الذى خصصنا له فصولا تالية .

وأهم مصادرنا الأساسية هنا هو ابن عذارى الذى يهتم أكثر ما يهتم
بالفتوح فى صقلية . أما ابن الأثير فروايته مبتورة بشكل غير عادى ، إذ
لا يذكر الا خبر بناء مدينة أو حصن فى المغرب الأوسط قرب تاهرت ، قبل
ذكر تاريخ وفاة الأمير بشكل تفصيلي ، وذكر أيام حكمه بالسنوات والأشهر
والأيام ، مما يرجح أنه لحص مصدره ، وهو الرقيق ، تلخيصا مقتضيا ، الا
إذا كانت النسخة التى وصلتنا من ابن الأثير ناقصة . وهذا يظهر من مقارنة
رواية ابن الأثير برواية النويري ، الذى ينقل هنا من الرقيق مباشرة .
ورواية النويري مليئة بالتفصيلات العجيبة فيما يتعلق بالصراع بين الأميرين
الأخوين ، وهو الأمر الذى لا نجد له أثرا فى ابن الأثير . وهذا ما جعلنا
نشكك فى أن تكون النسخة التى بين أيدينا من كتاب الكامل قد وصلتنا
كاملة . وهذا لا يمنع من أن يكون صاحب الكامل قد انتخب من الروايات
ما زاده مضافا ، وهو عمل لذلك .

ملك محمود الموابي ، حسن الطالع :

وأول ما وصف به أبو العباس محمد بن الأغلب ، الذي كان في
الواحدة والعشرين من عمره عندما تولى الملك ، هو قلة العلم - فهو ضعيف -
في العربية ، ولا يعرف التفرقة بين المذاهب الكبرى - كالحنفية والمالكية ،
بل هو لا يعرف موضوعها أصلاً (٢٠٧) ، ولكنه كان مع ذلك فظفراً في جروحه
على من ناوله (٢٠٨) .

وفي السنوات الأولى من إمارته نعمت البلاد بالهدوء والسكينة ، إذ إنه
أشرك أخاه أبا جعفر أحمد بن الأغلب في الحكم ، فقلده كثيراً من الأعمال التي
حسار يدبرها له كاتبه قصر بن حمزة الجروني . وعهد محمد الأمير بالوزارة
وتسيير دفة أمور المملكة إلى الأخوين : أبي عبد الله محمد بن علي بن حميد ،
وأبي حميد أحمد بن علي بن حميد . والظاهر أنه بينما كان الأمير محمد
محتكباً على أشراب والاشتغال بالتهو والملاذ ، استبد ابنه علي بن حميد بالأمور
دون من آثاره أخيه أحمد . ومن الواضح أنه كان لحسد أفراد بطانة
أحمد لبني حميد ، مثل : نصر بن حمزة الكاتب ، أثره في توجيهه نحو
الاستبداد بالسلطة دون أخيه الأمير (٢٠٩) .

انقلاب يدبره أخوه أحمد :

وهكذا اتفق أبو جعفر أحمد بن الأغلب مع عسدد من أعوانه وأهل
بطانته على مفاجأة قصر الأمير محمد في مدينة القصر القديم ، وذلك وقت
الظهرة من أحد أيام الصيف في سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٤ م ، عندما يكون باب

(٢٠٧) انظر النوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب - ألقى يرميه بأنه كان من أجل
البس . أما رواية ابن عذاري ، (المخرقة من حرب وغيره) ، ج ١ ص ١٠٧ - ١٠٨ ، فهي
تخصي على أنه كان يكتب كلمة الظبي بالصاد « ظبي » وليس بالطاء - وهو الأمر المقبول
الذي يحدث عند بعض المتصلين في أيامنا هذه . ولكن الرواية تخرج من حد النقد إلى حد
التشكيح ، عندما تقول إن الأمير الشاب اعتل من ذلك بأن في كتابها قولان : حسبما يقول
كل من أبي حنيفة ومالك بن أنس ، مما أثار غضب الحاشرين . وقارن الحلقة السراء ، ج ١
ص ١٦٩ : حيث تفسر الرواية على أنه كان كوسجاً : وجهه وجه خصي وليس فيه إلا شعرات
يسيره ، عفا لا يولد له ، موصوفاً بعلم وجود ، وقارن ابن الخطيب ، أصالة الأعلام ، قسم ٢ ،
ص ١٠ .

(٢٠٨) النوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة لـ ج ١ ص ٤١٥ .

(٢٠٩) النوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب ، الترجمة ج ١ ص ٤١٥ .

القصر خاليا من الحرس والبوابين . ونجح المتآمرون من رجال أحمد في اقتحام أبواب القصر ، وبعد أن ألقوها حلقهم هجموا على الزير أبي عبد الله محمد بن علي بن حميد ، وقتلوه بأمر أحمد . وفي هذه الأثناء نجح الأمير محمد في اللجوء إلى قصر (قبة) عمه زيادة الله ، حيث لحق به أبو حميد أحمد بن علي بن حميد ، بينما هرب رجاله إلى مقاومة المعيرين . ولكن القتال لم يلبث أن توقف عندما أعلن رجال أحمد أنهم لم يخلعوا طاعة الأمير محمد ، وأنهم قاموا بعملهم هذا من أجل تحريره فقط من استبداد بنى حميد الذين استأثروا ، دون الأمير ودون جنده ، بالأموال (٢١٠) .

وهنا أسقط في يد الأمير محمد ، فاضطر إلى النزول إلى مجلس العامة. حيث أذن لآخيه أحمد ورجاله بالدخول عليه ، فدخلوا وهم في سلاحهم . ودارت بين الأخوين معاتبة مناسبة ، انتهت باعتذار أحمد ، وإعلانه أن غرضه كإب إفشال مكيده ابنى علي بن حميد ، اللذين كانا يسعيان في الاستيلاء على السلطة . ولم يجد محمد بدا من مداراة أخيه ، والاضضاء عن فعلته ، وانتهى المجلس بإعلان المصالحة بين الآخرين ، وتعهدهما بالأيدي. الواحد منهما بالآخر . وكان من شروط الصلح أن يسلم محمد إلى أخيه أحمد ، أبا حميد بن علي شريطة ألا يقتله أو يصيبه منه مكروه ، وهو الشرط الذي لم يوف به أحمد ، إذ عذب أبا حميد وصادر أمواله ، ثم دبر قتله وهو في طريق نفيه إلى مصر ، على يدى بعض المقربين إليه ، وهو أبو نصر الفتى ، أحمد موالى إبراهيم بن الأغلب (٢١١) .

استبداد أحمد بالسلطة :

وبذلك انتهى الأمر باعتكاف الأمير محمد بمنزله منصرفا إلى اللهو والشراب ، بينما استبد أخوه أحمد بالأمور ، فعظم قدره واشتد سلطانه ،

(٢١٠) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٢ ب - ١١٣ أ ، الترجمة ، ج ٩ ص ٤١٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٨ ، ابن الخطيب ، أفعال الأعمال ، قسم ٣ ص ٢١ .
(٢١١) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٣ أ - ١١٣ ب - حيث تقول الرواية أن أخا الأمير أحمد أسر ال أبي نصر الذي أن يسير بأمر حميد على طريق طرابلس نحو مصر ، وأنه قتلته عندما وصل إلى قلعة . وهذا ما فعله الذي أذ خلق أسيره حتى مات ، وحمله على نفسه إلى قلعته ، وأخبر من قبله أنه لا أثر فيه ولا يفرج ، وقال : أنه سقط عن الدابة فمات .
وقارن الترجمة ، ج ١ ص ٤١٦ .

واسمحوا على كل دواوين الدولة ، فعزل حجاب محمد واتخذ لنفسه حجابا
حددا ، كما اُخذ حرسا من العبيد والموالي لمنع عدد أفرادهم ٥٠٠ (حسمائة) ،
رجل مقفون ببابه . ثم انه رفع كاتبه نصر بن حمزة الجروى الى رتبة
الوزير ، وهكذا صار الأمر كله له ، ولم يبق لمحمد من الامارة الا مجرد
الاسم (٢١٢) .

محمد يستعيد سلطانه :

ولكنه لم يقدر لاحد بن الاعلى أن يستمتع طويلا باستبداده بحكم
افريقية ، ففي السنة التالية (٢٣٢ هـ / ٨٤٥ م) دارت عليه الدائرة ، وعادت
الأمور الى ولى الأمر الشرعى . فكما كان التحاسد بين رجال حاشية كل من
الأخوين سببا فيما قام بينهما من الخلاف ، كان التحاسد أيضا بين رجال
حاشية أحمد هو السبب المباشر للانقلاب المضاد الذى أعاد الأمور الى نصابها
المشروع . فقد كان استيثار أحمد لكاتبه نصر بن حمزة الجروى ، سببا فى
اثارة الحقد فى قلب واحد من أقرب المقربين اليه ، وهو داود بن حمزة
الوادرى ، الذى كان يرى أنه أولى بالتقديم من الجروى ، على أساس أنه
كان المدير الحقيقى للانقلاب .

وعن هذا الطريق فسدت نية الوادرى ، وأخذ يعمل ضد أحمد ويراسل
أخاه الأمير محمد . وكان غدر أحمد بمثابة هزة نفسية عميقة زلزلت كيان
الأمير محمد الى الأعماق ، فترك اللهو والهزل ، وأخذ فى تدبير الحيلة
لاسترجاع سلطانه المفقود . ومهد محمد للأمر بأن أخذ يبحث الى أعيان
قربته من الأسرة الأغلبية وقواد جنده وعبيده ، يسألهم معونته ضد أخيه ،
ويعيدهم الوعود الجميلة ، وينهيهم أحسن الأمانى . وكان ممن نجح محمد
فى استمالتهم الى جانبه ، قريبه القائد أحمد بن سفيان بن سواده التميمى
الذى كان أخوه خماجه فى حبس أحمد ، والذى أحسن التدبير فى نصرته .
ودار الهمس حول أحمد : أن أخاه الأمير يدير الاطاحة به ، ولكنه كان واثقا
من أنه أتمكن تدبير الأمور بحيث لم يبق مجال لأخيه للكيد له . وكان محمد
الأمير فى الوقت الذى يحبك فيه مكيدته يتظاهر أمام رسل أخيه بالإنهماك

(٢١٢) التورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٣ ب والترجمة ج ١ ص ٤١٧ . ولان
لن هادى ج ١ ص ١٠٩ - حيث يقول النص . وقبض أحمد على ما شاء ، واستولى من إرادته ،
ومسب من أسب ، وأعلى الرجال . واستعوز نصر بن حمزة ، وانظر ابن الخطيب . أصل
الأعلام ، قسم ٢ ص ٤٦

فى الشراب (٢١٢) -

وفى اليوم إبنى قرر محمد توجيه ضربته الى استياد أخيه به ، أرسل الى أحمد بن سفيان بن سوانه إشارة البدء - فجعل ابن سوانه يرسل أتباعه من العبيد والموالي الى مدينة القصر القديم ، عليهم الأكسية ويحملون جرار الماء ، كأنهم يقومون بالخدمة ، الى أن اجتمع منهم قبل الزوال فى دار ابن سوانه ثلاثمائة رجل ، أعطاهم السلاح . هذا ، كما كانت جماعة أخرى من أنصار محمد قد واعدوه بالنزول فى قصر الماء عند الغروب ، وأن تكون إشارة البدء بتفتيت الهجوم هي : أن يسمعوا الطبل ويروا الشمع تشتعل . فى أعلى قبة قصر محمد .

- والظاهر أن أحدا كان قد اطمأن تملعا الى فشل أخيه ، وإلى اجكام تدبيره للأمور ، حتى أنه جذا هو الآخر يتصرف الى اللهو والشراب . بل أنه كان قد دخل الحمام فى اليوم الذى اختير للقيام بالانقلاب المضاد . ولما كان دخول الحمام فى ذلك الوقت يتطلب الكثير من الوقت ، كما كان يتطلب الراحة بعد الخروج منه ، فإن ذلك يعنى أن أصحاب محمد كلغوا على حراية بما يفعله أحمد فى ذلك الوقت ، وأنهم أحسنوا اختيار ساعة التنفيذ . وتقول الرواية ان عيون أحمد أى جواسيسه عرفوا بما يدبر له ، بل وأنخبروه أن المتآمرين سيجتمعون عند قصر الماء . ولكن يظهر أن جواسيسه لم يعرفوا ساعة الصفر ، كما تقول الآن ، إذ أنه أرسل خيلا الى قصر الماء وقت الظهيرة ، فلم يجدوا أحدا ، مما دعاه الى تكذيب تلك الأخبار وعلم الأكثرات لها .

أما عن ساعة الصفر التى اختارها محمد ، فكانت ساعة الغروب . لهذا أن قرئت صلاة المغرب حتى وجه خادما له الى حرس أخيه الموجودين بجبابه يدعوهم الى مأدبة يترجم بها الأمير . وعندما اجتمعوا قدم لهم الطعام والشراب ، فلما عمل فيهم الشراب احتال على أخذ سيوفهم بحجة أنه يجلبها لهم . ومع أذان المغرب ، وهو وقت اغلاق أبواب القصر ، أتاهم رجاله وعلى رؤسهم عمامة بن عون القرشي ، فقتلوه عن آخرهم . ثم أمر محمد بالطبول

(٢١٢) التورى ، المخطوط ، ج ٢٢ من ١١٣ مة . الترجمة ج ٩ من ١٧ : الحلة الشريفة ج ١٠ من ١٨٢ . وقيل أن الطيب ، قتال الأتراك ، قسم ٤ من ١٢٣ : المخطوط ابن خلدون ج ٢ من ٢٠ (حيث الرواية المتضمنة كلها ما كتبه ابن مسترجح ابن العباس محمد لسلطانه خطا فى سنة ٤٢ (٧) هـ) -

فصربت ، وبالشموخ سمى أعلى القمة فأوقدت ، وأقبل أصحابه من جهة قصر
الماء ومن كل ناحية ، وخرج أحمد بن سفيان بن سواده بمن كان في داره
من العبيد والموالي ، فجعل يتتبع رجال أحمد أينما وجدهم ، واستمرت عملية
المطاردة الرائعة طوال الليل -

ومع بزوغ فجر اليوم التالي بحث أحمد بن سفيان الى القبروان يستنصر
بأهلها ، فأقبلوا في جموع عظيمة ، وهم ينادون بطاعة محمد . وهنا انهزم
أصحاب أحمد هزيمة نهائية ، وهرب هو الى داره . وفكر أحمد في الاستعانة
بقريبه خفاجة بن سفيان بن سواده التميمي ، الذي كان في حبسه منذ
سبعة أشهر ، ففكه من السجن ، وطلب منه الفوث دون أن يترك له الوقت
لمعاتبته . وبشهادة فرسان ذلك العصر طلب خفاجة فرسا وسلاحا ، وخرج
لتوه بنظر فيما يمكن أن يقدمه لناكر الجميل التي استغاث به . ولكن أهل
القبروان أقنعوه بالأحدى من ذلك ، فعاد الى أحمد بن الأغلب وطلب منه
الاستسلام لأخيه على الأمان قبل أن يهلك . ونجح خفاجة في كسب الأمان
له من محمد فعلا .

وابتهاجا بالنصر أغدق الأمير محمد على أهل القبروان الذين رجحوا
كفته ، بالخلع حتى أتى على كل ما كان في خزائنه وخزائن حرمه ، ووصلهم
بالأموال حتى نفذ كل ما كان لديه . أما عن أخيه أحمد فانه ففاه الى مصر .
ومن هناك سار الى العراق حيث مات (٢١٤) .

من نتائج الصراع بين الأخوين :

اضطراب بلاد الزاب :

وهكذا انقضى الاضطراب الذي ترتب على النزاع بين المراد الأسرة
الأغلبية من أجل العرش ، واستقرت الأمور للأمير محمد بن الأغلب من
جديد ، ولم تبق الا بعض ذبول هذا الاضطراب في الأقاليم . ففي إقليم
الزاب انتهز سالم بن غلبون ، الذي كان واليا على الاقليم من قبل محمد ،
فرصة الصراع بين الأخوين وشق عصا الطاعة . وبعد أن استتبعت الأمور
لمحمد ظل سالم على عصيانه ، مما جعل الأمير محمد يعزله عن ولايته في تلك
السنة (٢٢٢ هـ / ٨٤٥ م) .

(٢١٤) البرزى ، المخطوط - ج ٢٢ ص ١١٤ ب ١١٥ . الترجمة - ج ١ ص ٤١٨ .
أحمد طهري - ج ١ ص ١٠٩ . وانظر الحلة السراء - ج ١ ص ١٨٢ . وقارن ابن الخطيب -
أعمال الأعلام - قسم ٢ ص ٢٢ .

. والقاهر أن وإلى الزاب المعزول استهان بأمر محمد حتى أنه خرج في السنة التالية (٢٣٣ هـ / ٨٤٦ م) يريد دخول القيروان ، ولكنه عدل أثنياء الطريق فصار إلى مدينة الأرس ، إلا أن أهلها منعه من دخولها ، مما جعله يتوجه إلى باجة التي نجح في دخولها والسيطرة عليها - وهنا سير إليه الأمير محمد جيشا كثيفا بقيادة خفاجة بن سفيان الذي ضرب عليه الحصار فمى باجة ، وشدد عليه الحرب حتى أجهأ إلى الفرار ليلا . ولم يترك خفاجة غريمه يلوذ بالفرار إذ تبعه في صباح اليوم التالي ولحقه وقتله ، وسير يرأسه إلى الأمير في القصر القديم . ولم يكتف محمد بقتل سالم بن غلبون ، بل أنه انتقم من ابنه زهر الذي كان معيوسا عنده في القصر فأمر بضرب عنقه (٢١٥) :

اضطراب تونس : ثورة القويح :

هنا - كما عرفت منطقة تونس مرة أخرى الاضطراب بفضل جندها الذي لا يركن إلى الهدوء ، وذلك خلال السنوات الثلاثة التالية - ففي سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م ثار عمرو بن سليم التجيبي ، المشهور بـ « القويح » ، يتونس ، ولم ينتج خفاجة بن سفيان بن مودة ، الذي حاصره بقية السنة ، في كسر شوكته (٢١٦) . وفي السنة التالية ٢٣٥ هـ / ٨٤٩ م سير الأمير محمد بن الأغلب قائده محمد بن موسى المعروف بمربان إلى تونس لقتال عمرو بن سليم القويح . وباتقرب من تونس خرج القويح للقاء عريان ، وصدمه صدمة جعلت الكثيرين من موالي الأمير الأغلب يلجأون إلى القويح الذي اشتد بهم ، وحمل على محمد بن موسى ، « عريان » ، فهزمه هزيمة منكرة وأسر بعض كبار قواده . وانتهى القتال بمقتل ابن موسى بعد أن انكسرت رجله ، وعودة فلول الجيش مهزومين إلى القيروان .

وهكذا اشتعلت شوكة القويح ، ولم يتمكن من هزيمته في العام التالي (٢٣٦ هـ / ٨٥٠ م) . إلا خفاجة بن سفيان الذي خرج إليه في جيش كثيف قاتله قتالا شديدا ، قتل أصحاب القويح فيه مقتلة عظيمة . وأدرك بعض

(٢١٥) ابن طاري ، ج ١ ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢١٦) ابن طاري ، ج ١ ص ١١٠ . والقويح طائر صغير له عرف كثيف يهرف التحدث .
وأنظر ابن الأثير لمؤلف سنة ٢٣٤ - ج ٧ ص ٤٤ - حيث القراءات القويح - لما في ترتيب الحلية
للأثير عياض فائدة القويح . وكذلك في ديوان الملوك (ص ٢٨٠) أي نحو سورة
التصنيف .

جسد القيروان القويح وهو ينهزم فقبضوا عليه وضربوا عنقه ، وحمل رأسه الى الأمير محمد الذي كافأ قاتل القويح مكافأة سنية ، وخلع عليه .

ولم تستسلم مدينة تونس الى خفاقة الا بعد أن دخلها بالسيف يوم السبت ١٠ من ربيع الأول/ ٢١ أكتوبر ، فاستباحها وسبي نساءها ، وعاد الى القيروان حيث كساه محمد بن الأغلب (٢١٧) ، فكانه كان عائدا من بعض غزواته في أرض العدو .

استكمال العمل في رباط سوسة ، وبناء « العباسية » قرب تاهرت :

أما عن أهم الأعمال الصرائية التي تنسب الى الأمير محمد بن الأغلب ، فبناءؤه للقصر الذي كان بسوسة في سنة ٢٣٠ هـ/ ٨٤٤ م ، كما تقول رواية النويري (٢١٨) . والظاهر أن الأمر كان يتعلق باستكمال العمل الذي كان قد بدأه زيادة الله في الرباط أو بناء الأستوار .

والى جانب الحرب فى صقلية ، نظن أن العلاقات بين الأغانية وبين الرستميين كانت قد توترت الى حد الأعمال الحربية أو التهديد باستخدام القوة . ذلك ما يفهم من الرواية التي تقول ان الأمير محمد قام بإنشاء مدينة جديدة قرب تاهرت سماها « العباسية » (٢١٩) ، وهو الاسم الذى أعطاه جده ابراهيم بن الأغلب لمدينة القصر القديم . ومن الواضح أن بناء مدينة أغلبية فى قلب المملكة الرستمية يعنى اتخاذها قاعدة عسكرية أمامية يمكن منها تهديد الدولة الإباضية ، وهذا ما لم يغيب عن الرستميين الذين دبروا تخريب العباسية الجديدة ، فدمروها بالنيران (٢٢٠) . وكانت مناسبة استغلها الرستميون للتقرب من الأمويين فى الأندلس ، حتى أن الأمير عبد الرحمن الأوسط بن هشام بعث الى الامام أفلح بن عبد الوهاب بمائة ألف درهم ، كأنها مشاركة منه فى « المجهود الحربى » ، كما يقال الآن ، ضد خصمهم المشترك ، مثل بغداد فى افريقية .

—————

(٢١٧) ابن خلدون ، ج ١ ص ١١٠ ، وانظر ابن الأثير سنة ٢٢٤ ، ج ٧ ص ٤٤٤ .

(٢١٨) النويري ، ج ٢٢ ص ١١٥ .

(٢١٩) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٢٤ هـ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ (حيث

يُجمل بناء المدينة فى سنة ٢٢٧ هـ/ ٨٤١ م) .

(٢٢٠) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ ، وهو الآخر الذى لا يُشكك فى ذكره فى تاريخ تاهرت

على عهد الامام المنصور (١٩٨ - ٢٤٧ هـ) . انظر فيما بعد ، ص ٢٢٧ وما بعدها .

- ٨٦ -

ازدهار المالكية على أيام محمد بن الأغلب :

والى جانب عناية الأمير محمد يرباطات العباد - رغم ما يتسبب اليه من الجهل أو قلة العلم - فقد كان من حسن حظه أنه عاصر خلال حكمه عددا من كبار أئمة المالكية من أهل إفريقية ، مثل : عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (توفي ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م) الذى كان يحضر مناظرات أبي محرز وأسد بن الفرات ، أيام زياطة الله (٢٢١) ، كما شهد حكمه السنوات الأخيرة للبيلول بن عمر بن صالح الفقيه (توفي سنة ٢٣٠ هـ / ٨٤٤ م) الذى سبغ من مالك وطبقته (٢٢٢) .

وبعد ذلك يكفيه فخرا أنه ، بعد أن تخلص من استبداد أخيه أحمد ، عهد فى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٤٧ م بقضاء القيروان الى امام المالكية ، فى إفريقية والمغرب وفقهيههم ، وهو : سحنون بن سعيد التنوخي ، بعد أن عزل القاضي الخنفي عبد الله بن أبي الجواد ، ضهر أسد بن الفرات (زوج ابنته) الذى كان سحنون يكرهه بسبب قوله يخلق القرآن ، ويسميه بفرعون هذه الأمة وجبارها ، وظالمها (٢٢٣) .

الامام سحنون (١٦٠ هـ / ٧٧٧ م - ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) :

شبابه وتكوينه العلمى :

وسحنون أصله من عرب الشام ، قدم أبوه سعيد الى إفريقية فى جند حمص (٢٢٤) . ولقد أخذ سحنون العلم فى شبابه فى تونس على كبار فقهاءها من تلامذة الامام مالك ، مثل : أبي خارجة عنسبة الغافقى (توفي فى ربيع ٢ سنة ٢١٠ هـ / يولييه - أغسطس ٨٢٥ م) (٢٢٥) وانهلول بن راشد التميمي ، عابد إفريقية ووقفا الذى قيل ان شهرته وصلت الى مسرقتند - (توفي

(٢٢١) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٠٨ . الحارثي ، ص ٤٨٤ . قطب السروى للزريق ص ٤٨٦ .

(٢٢٢) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٠٨ .

(٢٢٣) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٠٩ . تراجم الخلية ، ص ١٨ . وقارون ابن خلابون . ج

ص ٢٠٠ . (حيث يعجل ولاية سحنون سنة ٢٢٤ هـ) .

(٢٢٤) الحارثي ، ص ٥٨٥ - ٥٨٦ . تراجم الخلية ، ص ٨٦ - ٨٧ . واسمه الخليل

عبد السلام لما سحنون إليه ، فهو اسم طائر خديد البحر سمى به كذبة فى القرآن .

(٢٢٥) الحارثي ، ص ٨٦ وما بعدها . تراجم الخلية ، ص ٧٨ - ٨٢ .

سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م (٢٢٦) . وعلى بن زياد النوسي العيسى ، أول من أدخل موطأ مالك في إفريقيا وجامع سعيان (توفي ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) (٢٢٧) ، وغيرهم .

وإذا كان الشك يحوم حول لقاء سحنون لمالك بن أنس ، إذ قيل إنه سار إلى مصر والحجاز في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م أي بعد وفاة مالك (١٧٩ هـ / ٧٩٥ م) ، ثم تدارك الكتاب ذلك فيما بعد فقالوا بل في سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م أي في آخر أيام مالك (٢٢٨) ، فالتمّ أنه أحد من أصحاب مالك في مصر من العلماء . ومن أشهر من أخذ عنهم في مصر ابن القاسم ، وابن وهب ، وأشهب ، وطليب بن كامل ، وعبد الله بن عبد الحكم وغيرهم . وبعد ذلك سار إلى الحجاز حيث أخذ عن المدنيين من تلامذة امام دار الهجرة ، قبل أن يعود إلى إفريقيا في سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ م (٢٢٩) .

ونقد يربح سحنون في فقه مالك بن أنس حتى قيل إنه كان أفقه من أصحاب مالك كلهم ، وأن ابن القاسم ، وهو امام المالكية في مصر ، طبع إليه أن يقيم عنده بطلب العلم (٢٣٠) ، وإن العلم كان في صدر سحنون كسورة من القرآن محفوظة عن ظهر قلب (٢٣١) . وإلى سحنون يرجع الفضل في نشر المذهب المالكي في إفريقيا - بفضل كتابه المعروف بالمدونة ، الذي صحح به كتب أسد بن الفرات المعروفة بالأسدبة (٢٣٢) ، فحققتها وشرحها

-
- (٢٢٦) المدارك ، ص ٢٣٠ وما بعدها . تراجم أغلبية ، ص ٢٧ ، ٢٩ ، ٤٠ ب وانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٩١ وهـ ١٧٤ .
- (٢٢٧) المدارك ، ص ٢٢٦ . تراجم أغلبية ، ص ٢١ ، ٢٥ .
- (٢٢٨) انظر المدارك ، ص ٥٨٥ (حيث يطبعه القاضي عياض رغم ذلك إلى طبعة من انتهى إليه فقه مالك ولم يروا أن يسمحوا منه . وقارن تراجم أغلبية ، ص ٨٧ .
- (٢٢٩) المدارك ، ص ٥٨٧ . تراجم أغلبية ، ص ٨٨ . وتاريخ هودك إلى إفريقيا سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ م حيث كان يسمح منه أهل اجنادية ، وهو في الطريق إلى البلاد التونسية . وهي نفس السنة التي توفي فيها ابن القاسم ، فدل على أن سحنون لم كفيًا له فرصة لقائه مالك بن أنس الذي توفي في سنة ١٧٩ هـ / ٧٩٥ م - خاصة وأن عرجس سحنون يقولون أنه سافر إلى المشرق وعمره ٢٥ سنة . وهاد وعمره ٣٠ سنة . بمعنى أن رحلته استغرقت حوالي ٥ سنوات فقط . وهذا يحمل به رحلته الشرقية في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٣ م أقرب إلى الصحة من سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م المقترحة حتى تكون قبيل وفاة مالك . وهذا ما يقول به أبو العرب فعلا (ط . تونس ص ١٨٥) ثم المالكي (ج ١ ص ٢٥٠) .
- (٢٣٠) المدارك ، ص ٥٨٩ - ٥٩٠ . تراجم أغلبية ، ص ٩٠ .
- (٢٣١) المالكي ج ٢ ص ٢٥٣ . المدارك ، ص ٢٩٠ . تراجم أغلبية ، ص ٢٢٢ .
- (٢٣٢) المدارك ، ص ٤٦٩ . تراجم أغلبية ، ص ٥٩ .

- ٨٨ -

وبوبها وبظمها . وفي ذلك يقال ان أسد بن القرات نفسه نصح بالاختفاء عن سحنون ، بعد أن خرج هو الى غزو صقلية (٢٣٢) . كل ذلك رغم أن المذهب كان قد غمر البلاد قبله بفضل الرواد المالكية الأوائل . وفي ذلك يقول مترجمو سحنون : انه لما قدم بذلك المذهب صار زمانه كأنه مبتدأ قد أمسى ما قبله ، وأن أصحابه كانوا سرج أهل القيروان (٢٣٤) .

سحنون فاسكا : على مذهب أهل المدينة :

والى جانب العلم والفقه عرف سحنون بالورع الصادق ، والزهادة فى الدنيا ، والصرامة فى الحق ، لا يخاف فى الله لومة لائم (٢٣٥) . ولذلك قيل فيه انه راهب هذه الأمة ، وأنه كان أعيب فى القلوب من الملوك (٢٣٦) . ولم يصل سحنون على بشر مذهب مالك فقط ، بل انه أخذ بمذهب أهل المدينة فى كل شيء حتى فى العيش ، فكان مقتصدًا فيه : على قدر ذات اليد (٢٣٧) . وكان قصده الأول من ذلك هو ألا يحتاج الى السلاطين أو رجال الدولة (٢٣٨) . على أساس شكه فى أن أموال السلاطين تأتي من أبواب حلال .

وهذا ما دعا الفقهاء الى تسمية كثير من الضرائب التى كانت تفرضها الدولة بالمظالم وبالمغارم ، لأنها كانت تجمع على غير وجهها الشرعى ، كما رأينا فى الإصلاح الذى قام به الأمير عبيد الله بن إبراهيم فى مال العشر عندما حددته بـ ٨ (ثمانية) دنانير على كل زوج تحرث من البقر ، سواء أنتجت الأرض أم لم تنتج ، وهو الأمر الذى كانت العودة عنه لأنها عودة الى الضلالة والخير (٢٣٩) .

-
- (٢٣٣) للمبارك ، ص ٤٧٢ ، ٥٩٢ (يقول انه خرج الى العراق) ، تراجم اقلية ص ٩٥ .
 (٢٣٤) للمبارك ، ص ٥٩١ ، ٦١٣ ، تراجم اقلية ، ص ٩٢ ، ٩٤ ، ١٢٠ .
 (٢٣٥) أبو العرب (ط - تونس) ، ص ١٨٤ ، للآلئى ، ج ١ ص ٢٤٩ ، للمبارك .
 ص ٩٢ ، تراجم اقلية ، ص ٩٤ .
 (٢٣٦) للمبارك ، ص ٥٩٢ ، تراجم اقلية ، ص ٩٤ .
 (٢٣٧) للآلئى ، ج ١ ص ٦٦٣ ، للمبارك ، ص ٥٩٣ ، تراجم اقلية ، ص ٩٦ .
 (٢٣٨) للمبارك ، ص ٥٩٤ - ٥٩٥ ، وانظر تراجم اقلية ، ص ٩٨ : حيث كان يشتري كل يوم ربيع وطل لعاشاء لم تركه اقتله بالصلابين . ص ١٢٦ - حيث لا يشتري من الخواجل (مصانع الله الى خزائنها) التى يبيعها السلطان بجرها . وان ابق ذلك للناس على أساس انها حجارة جميعا السلطان . وأجرى لهم فيها الله . ولأول للمبارك ص ٦١٨ - ٦١٩ .
 (٢٣٩) انظر فيما سبق ، ص ٤١ - ٤٢ ، ٧٧ ، ٧٨ .

وفى هذا احاب كان سحنون يرى أن ترك الحرام أفضل من جميع عبادة الله (٢٤٠) . ولهذا كان سحنون يحض على العمل وكسب المرء رزقه بعرق جبينه ، وكان يقول أعطوا الاجير حقه قبل أن يجف عرقه (٢٤١) . وكان سحنون قدوة في ذلك ، يضرب لطلابه وأهمل عصره المثل في شرف العمل . فكان يحرج لملاحة أرضه وقت مرض خادمه ، وعلى كتفه للمحراث ، وبين يديه روح البقر . وعندما يقوم أحد طلابه مقامه حتى لا يحرم أصحابه من طلب العلم يبقيه الى مائدته ، وإن كانت الوجبة مكونة من خبز شعير وزيت قديم ، قبل أن يسمعه العلم الذي فاتته : وحده (٢٤٢) .

وهكذا كان سحنون قدوة في الجود والنشاط في العمل الجسماني ، كما كان مثالا في الرهد والتقصيف . ولم يكن رده عن فقر ، بل عن تضيعة وإيثار للغير . فقد كان من طبقة الزهاد الخدين وطلدوا قاعدة : ان الجود هو أصل الوجود . وفي ذلك يقال انه كان يتصدق بالثلثين دينار دفعة واحدة ، وهو المبلغ الذي توجب فيه الصدقة (٢٤٣) . وكان يصرف بطائق الصدقة للمحتاجين ، كما تصرف صكوك المصارف في أيامنا هذه ، بكل ثمن الزيتون الذي باعه ، وهو ٣٠٠ (ثلاثمائة) دينار (٢٤٤) . أما عن غلة أرض سحنون من الزيتون ، التي بلغت ٥٠٠ (خمسمائة) دينار في السنة ، فكان يبدها جميعا في أعمال البر والصدقة ، فما كانت تنقضي السنة الا والديون عليه (٢٤٥) . وهكذا لم يكن من الغريب على سحنون ، صاحب هذه الامثولات. أن يرفض بوليته العشاء طوال عام بأكمله (٢٤٦) . ولم يكن من الغريب على الأمير محمد بن الأغلب أن يتمسك بذلك العالم الراهب ، الذي يرفض مال

-
- (٢٤٠) انظر تراجم الخلية ، ص ١٢٨ - حيث نقرأ قصة اللص : وتركه فائق ما حرم الله أفضل من ٧٠ (سبعين) ألف حبة ٠٠٠ وأفضل من سبعين ألف فرس في سبيل الله ٠٠ ومن سبعين ألف بدنة يهديها الى بيت الله المتيق ، وأفضل من عتق سبعين ألف رقبة مؤمنة من ولد اسماعيل . وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٥٩ .
- (٢٤١) المدارك ، ص ٥٩٩ . تراجم الخلية ، ص ١٠٣ .
- (٢٤٢) المالكي ، ج ١ ص ٢٥٩ - ٣٦٠ ، المدارك ، ص ٥٩٤ . تراجم الخلية ، ص ٩٧ .
- (٢٤٣) المالكي ، ج ١ ص ٣٦١ ، المدارك ، ص ٦١٩ ، تراجم الخلية ، ص ١٢٧ .
- (٢٤٤) المدارك ، ص ٦٢١ . تراجم الخلية ، ص ١٢٧ ، ١٣٠ .
- (٢٤٥) المدارك ، ص ٦١٩ . تراجم الخلية ، ص ١٢٨ .
- (٢٤٦) المالكي ، ج ١ ص ٢٧٣ .

الأمراء ، ويأكل خبز الشعير بالملح والريث ثم يتصدق بأمواله .

وفي زهد سحنون تقول الروايات أيضا انه كان يركب بلجام حديد دون فضة (٢٤٧) ، ويلبس القرو والخشن من الثياب (٢٤٨) ، والبرس الأسود في المطر والبرد (٢٤٩) . وكان طلبه الخنم في مجلسه يقعدون أمام باب داره على الأرض الا من يحضر التحبير منهم (٢٥٠) - وكان سحنون يمر قى الأسواق يسلم على الناس (٢٥١) - ويرى أن مداراة الناس هي رأس الايمان (٢٥٢) .

هكذا حتى الأمير أن يتشبت به لولاية القضاء ، وأن يلح تشبثه إلى حد إرغامه على ذلك ، تحت التهديد والوعد والوعيد (٢٥٣) .

ولاية سحنون القضاء :

وهذا لا يعني أن امام افریقیة وراهب المغرب ، الذي قال لابنته عندما قبل تولية القضاء : « اليوم ذبح أبوك بغير سكنين » (٢٥٤) ، قد قبل الوظيفة المرموقة ، وهو مغلوب على أمره . وذلك أنه لم يقبل القضاء الا بعد أن أعطاه الأمير كل ما طلب ، وأطلق يده في كل ما رغب فيه ، وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ أحكامه على أهل الأمير وقربائه وأعرافه ، بل إن الأمير نفسه طلب إليه أن يجرى الحق على شخصه أيضا (٢٥٥) .

تنظيماته القضائية :

دوائر القضاء :

والحقيقة أن ولاية سحنون للقضاء لم تعتبر رفعا للواء الحق ، وإيذاننا بسيادة القانون والعدل في افریقیة فقط ، بل انها كانت أيضا بداية لتنظيمات

-
- (٢٤٧) المدرك : ص ٥٩٤ . تراجم الخليفة ، ص ٩٦ . الملوك ، ج ١ ص ٣٦٤ .
 - (٢٤٨) الملوك ، ج ١ ص ٣٦٤ . تراجم الخليفة ، ص ٨٩ . ١٦٦ .
 - (٢٤٩) الملوك ، ج ١ ص ٣٦٤ . المدرك ، ص ٥٩٤ . تراجم الخليفة ، ص ٩٦ .
 - (٢٥٠) المدرك ، ص ٥٩٤ . تراجم الخليفة ، ص ٩٧ .
 - (٢٥١) المدرك ، ص ٥٩٥ . تراجم الخليفة ، ص ٩٨ .
 - (٢٥٢) تراجم الخليفة ، ص ١٢٠ .
 - (٢٥٣) الملوك ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٦ . تراجم الخليفة ، ص ٩٩ .
 - (٢٥٤) الملوك ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٧ . تراجم الخليفة ، ص ١٠٠ .
 - (٢٥٥) الملوك ، ج ١ ص ٢٧٣ . المدرك ، ص ٥٩٦ . تراجم الخليفة ، ص ١٠٠ .

- ٩١ -

قضائية لم تعرفها البلاد قبل قضاء سحنون . فالى سحنون يرجع الفضل في تقسيم سلطات القضاء الى ثلاثة فروع ، هي :

- ١ - القضاء العادي : وهو ما يرجع الى القاضي أصلاً ، ومنه يتفرع :
- ٢ - القضاء العالي : الخاص برجال الدولة وقرابة الأمير ، وهو المسمى بـ « المظالم » .

٣ - القضاء العاجل (أو المستعجل) : وهو الخاص بالفصل في القضايا السريعة ، مثل المخالفات أو الجرائم التي ترتكب في الأستواق ، والتي كانت تتطلب الحكم السريع في موضع الحادثة نفسها ، مما قد لا يتمكن منه القاضي الذي كان يجلس في المسجد الجامع أو في داره ، وهو الذي سمي بالحسبة سوكان الحكم فيه من اختصاص أحد أعوان القاضي ، وهو المحتسب .

أعوان القاضي :

فقبل أن يجلس سحنون للقضاء أمضى أياماً يبحث فيها عن الأعوان المناسبين الذين يمكن أن يساعده في القضاء . وبدأ باتخاذ الفقيه الحنفي سليمان بن عمران ، الذي كان هو نفسه قد رشحه للقضاء (٢٥٦) ، كاتباً يكتب له في قضائه (٢٥٧) . وذلك قبل أن يصينه معاوناً له في إقليم بجاية وباجة والأربس (٢٥٨) .

والى جانب الكاتب الذي كان يدون سجل الأحكام ، ويحفظ بقرايم الشهود العدول ، اتخذ سحنون له الأمناء الذين يماثلونه في التعرف على أحوال المتقاضين والشهود ، والذين كان يعهد اليهم بحفظ الودائع - التي كانت قبله ، تحفظ في بيوت القضاة - كما اتخذ الأمناء في البوادي أيضاً ، لئلا يكتب اليهم بما يريد . وكان القضاة قبله يكتبون الصالحين من أهل البادية فيما يريدونه من الأمور (٢٥٩) .

(٢٥٦) انظر المدارك ، ص ٥٩٥ - ٥٩٦ ، تراجم الحلبية ، ص ٩٩ - (٢٥٧) انظر المدارك ، ص ٥٩٨ ، تراجم الحلبية ، ص ١٠٢ .
 (٢٥٨) المدارك ، ص ٥٩٨ ، تراجم الحلبية ، ص ١٠٢ ، وقارن المالكي ج ١ ص ٢٧٥ .
 من ولاية ابن عمران الملقب بخروقه للقضاء بعد سحنون ، انظر فيما يتصل : ص ١٠١ ، ومن تراثه مع محمد بن سحنون . انظر فيما يتصل ، ص ١٠٨ وما بعدها .
 (٢٥٩) انظر المدارك ، ص ٥٩٦ . ٦٠٠ . تراجم الحلبية . ص ١٠٤ - ١٠٥ ، وقارن المالكي ج ١ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ .

ولما كان سحنون قد اشترط على محمد بن الأغلب ألا يأخذ لنفسه راتباً ولا مكافأة من مال الدولة على قضائه ، وذلك انسجاماً مع المبدأ الذي كان يراه في عدم شرعية مال السلطان ، فإنه اشترط أن تكون رواتب مساعديه ، من : الكتاب والأعيان والقضاة سواء كانوا في القيروان أو في الأقاليم ، من مال الجزية المفروضة على أهل النمة (٢٦٠) مما يعني أنه كان يرى أن ضريبة أهل الكتاب هي الضريبة الشرعية الوحيدة التي لم يفتحها الفتح في ذلك الحين .

القضاء والأمر بالمعروف :

وكان من الطبيعي بالنسبة لرجل سيرته تلك أن يقيم من نفسه أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر . وهو لم يكن يفعل ذلك في مجلس القضاء فقط : عندما كان يؤدب الخصم إذا طعن على الشاهد (٢٦١) ، أو عندما كان يؤدب الناس على الإيمان التي لا تجوز ، كما في إيمان الطلاق والعتاق وما شابهها (٢٦٢) ، بل كان ينهى عن المنكر في الجنائز (٢٦٣) ، من : شق الجيوب ، ولطم الحدود ، وحنو التراب على الرؤوس ، وما شابه ذلك .

الحسبة في الأسواق ، والقضاء على الكلاب الفضالة :

هذا ، وفي مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كان سحنون أول من نظر في انتظام سير الأمور في الأسواق من القضاء ، وكان النظر في الأسواق قبله ، من اختصاص الأمراء . فكان يسير في الأسواق يسلم على الناس ، وينظر فيما يصلح من المعاش ، وما يقش من السلع . وكان يؤدب في أسواق على الفحش ، وينقي من الأسواق من يستحق ذلك من التجار . وهو لك ، أول من أمر بتغيير المنكر في الأسواق من القضاء ، وأول من نظر لهم في الحسبة (٢٦٤) . وعن هذا الطريق وسع سحنون اختصاص قاضي القيروان . وأدخل في نطاقه الحسبة .

(٢٦٠) الملوك ، ج ١ ص ٢٧٥ ، الحارث ، ص ٥٩٩ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٢ .
(٢٦١) الحارث ، ص ٥٩٩ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٢ .
(٢٦٢) الملوك ، ص ٥٧٦ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٤ .
(٢٦٣) الملوك ، ص ٥٧٦ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٣ .
(٢٦٤) أنظر الملوك ، ج ١ ص ٢٧٦ ، الحارث ، ص ٦٠٠ ، تراجم الخليفة ، ص ١٠٤ .

سلطانه في الأندلس :

وفي هذا الإطار امتد سلطان سحنون حتى الأندلس إذ تقول الرواية :
انه كان يكتب الى محمد بن زياد ، قاضى قرطبة ، يأمره بالسد والمعاقبة لمن
فالس ، وتكرار الأدب والضرب عليه حتى يؤدى أو يموت (٢٦٥) .

توسيع نطاق الحسبة :

وتوسع سحنون نطاق الحسبة خارج الاسواق حتى شمل مدينة القيروان
بأكملها . فلقد تتبع الفساق والفجيار من الرجال والنساء . وفي ذلك يروى
أنه أدب المرأة ممن كن يعرضن على الفسق ، ثم انه نقلهن بين قسوم
صالحين (٢٦٦) . وفوق ذلك فانه ، حرصا منه على سلامة أهل المدينة وأمنهم ،
قرر التخلص من الكلاب الضالة . التى كانت تؤذى الساس من غير شك ،
وكتب الى أعوانه يأمرهم بقتلها ، كما بث وراءها الأعوان بالحربا فيلتكون
بها (٢٦٧) .

وبما اعتبره سحنون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر تفريق حلقات
العلم والمناظرة التى كان يعقدها ، فى المسجد الجامع بالقيروان ، علماء :
اصفريه ، والاباضية ، والمعتزلة ، ممن كان يعتبرهم من أهل الزيع والبدع .
فكان أول من فعل ذلك من قضاة القيروان . وأكثر من هذا ، فانه منع أصحاب
هذه المذاهب من أن يكونوا أئمة فى المساجد ، أو معلمين للصبيان ، أو
مؤدبين فى المكاتب . وكان ينزل العقاب الصارم بمن يخالف أمره منهم ،
ليشنع بهم ويطوف بهم فى المدينة . كذا أنه دفع بالكثيرين منهم الى التوبة
عما كانوا يعتقدون فيه ، وكان يجملهم يعثنون ذلك من أعلى منبر الجامع (٢٦٨) .

الإشراف على الجامع :

وفي نطاق الإشراف على جامع القيروان أخذ سحنون لنفسه حق تعيين
إمام الصلاة ، وكان ذلك من حق الأمراء ولم يكن من اختصاص القاضى (٢٦٩) .

(٢٦٥) المدارك ص ٦٦ . تراجم الخليفة . ص ٢٩٩ .
(٢٦٦) انظر المدارك . ج ١ ص ٢٧٧ . المدارك ١ ص ٦٠١ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .
(٢٦٧) انظر المدارك . ج ١ ص ٢٧٦ . المدارك ١ ص ٦٠٧ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .
(٢٦٨) انظر المدارك . ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧ . المدارك ١ ص ٦٠٠ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .

ص ١٠٥ .
(٢٦٩) المدارك . ج ١ ص ٢٧٧ . المدارك ١ ص ٦٠٠ . تراجم الخليفة . ص ١٠٥ .

مجلس القضاء والإجراءات القضائية :

وهكذا أصبح سحنون مسيطرا على أسس القديوان ، وعلى مسجد المدينة الجامع ، حيث اتخذ له بيتا يناء فيه للحكم بين المتقاضين ، بعد أن وجد أنه ليس من المناسب الجلوس وسط حشود الناس في الجامع ، وهم يلفطون ويكثرون من الكلام (٢٧٠) . وهذا يعني أن سحنون اجتهد في تنظيم القضاء فكانه اتخذ له بيتا خاصا ، أشبه بمحكمة ، ملحقا بالمسجد الجامع .

ويدخل في باب تنظيم التقاضي ما كان يفعله من إعطاء الرقاع أو الطوايع للنزى الدعاوى (٢٧١) ، الوجودين خارج بيت القضاء هذا ، حتى يدخل كل منهم في دوره عند النداء عليه ، إذ كان لا يسمح بدخول بيت القضاء إلا للخصمين ، ومن مهيما من الشهود . وكان يستثنى من شرط الدخول في دوره : المضطر أو الملهوف (٢٧٢) . وكان سحنون يسمح بتنفيذ العقوبات المقتضية في الجامع : كالضرب بالدرية ، وما خف من الأدب كالصفع على ألقا . أما إذا أقام الحدود من الجلد والضرب بالسوط ، فكان تنفيذه خارج الجامع (٢٧٣) .

المشكلة في تطبيق القانون :

ومن الأحكام القاسية التي أخفت على سحنون - التي عرف بأنه كان رقيق القلب غزير الدعة ، ولكنه في نفس الوقت شديدا في الحق ، لا يخاف في الله لومة لائم (٢٧٤) - ما أنزله من العذاب بعزيمه وخصمه : قاضي القديوان السابق ابن أبي الجواد - حقيقة أن ابن أبي الجواد أتهم في وديعة ٥٠٠ (خمسمائة) دينار من قبل بعض الناس ، ولكن نفى ابن أبي الجواد للتهمة ، وهو ما هو معروف من أنه القاضي السابق ، ورفض سحنون ما عرضته زوجة ابن أبي الجواد ، وهي أسماء بنت أسد بن القرات ، من دفع المال المطلوب هبة لزوجها ، أمر له منزله . فسحنون فسر ذلك الرفض في شكل قوالب قانونية

(٢٧٠) انظر للملك ، ج ١ ص ٢٧٧ ، للمعروف ، ص ٦٠٠ - ٦٠١ . تراجم الخطبة .
 ص ١٠٥ (حيث تطبيق الرواية أن البطون في ذلك البيت سارسة الملكية . فلما ولد القضاء
 عزالى في سحنون حاشية ، وقال في سحنون في ملكه يناء ويحكم فيه) .
 (٢٧١) انظر للملك ، ج ١ ص ٢٧٧ ، للمعروف ، ص ٦٠١ . تراجم الخطبة ، ص ١٠٥ .
 (٢٧٢) للملك ، ج ١ ص ٢٧٧ ، للمعروف ، ص ٦٠١ . تراجم الخطبة ، ص ١٠٥ .
 (٢٧٣) نفس المسألة .
 (٢٧٤) انظر للمعروف ، ص ٥٨٨ . تراجم الخطبة ، ص ٨٩ .

خاصة فاسلوب العرض دون الجوهر ، مما كان موصوعا لجدل الفقهاء فيما بعد (٢٧٥) ، كما أصر على إخراج الرجل المهيب في طريق القديوان الكبير المعروف بالسماط ، وضربه بالسياط أمام عامة الناس أكثر من مرة في كل يوم جمعة ، حتى انتهى الأمر بعرض الرجل وموته (٢٧٦) .

كل ذلك يدل على أن الأمر لم يكن متعلقا فقط بالقصاص من ابن أبي الجواد من أجل الوديعة ، بل يرتفع أنه كانت في نفس سحنون أشياء قبل ابن أبي الجواد ، يعود تاريخها إلى الوقت الذي تعرض فيه سحنون للامتحان بخلسق القرآن ، حيث وقف ابن أبي الجواد موقفا عدائيا من سحنون - وثولا الوزير علي بن حميد لما قدر لسحنون أن ينجو من عقوبة صارمة ، من الزامه بالاقامة التجبرية في منزله ، ومنعه من التدريس ، والأمر بأخذ ثياب من يدخل عليه ، مما اعتبرته هيئته المحكمة . « قتل الحياة » (٢٧٧) .

ولكنه إذا اعتبرنا أن تشدد سحنون وقسوته مع ابن أبي الجواد يعتبر إحدى هفوات الإمام المرموق ، فمما لا شك فيه أنه كان لا يخاف في الله لومة لائم ، وأنه كان يقف بصرامة ضد أقارب الأمير محمد وأعوانه ، ويأخذ منهم الحقوق لأصحابها ، ويطبق عليهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من أبناء الشعب . هذا ، كما كان يطبق مبدأ الرقابة هذه على الأمير نفسه .

تجلى ذلك عندما قام عمرو بن سليم المعروف بالقويح أو القويح في منطقة تونس سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م (٢٧٨) ، ورفض سحنون ما طلبه محمد ابن الأغلب من الفتوى بضرورة قتال الخارجي ، واعتبار ذلك نوعا من الجهاد . وفي ذلك تقول الرواية إنه رد على الأمير قائلا : « عسك من ذلك على هذا . متى كانت القضية تشاورها الملوك في صلاح سلطانها » (٢٧٩) .

(٢٧٥) انظر المالكي ، ص ٢٧٨ . ٢٨١ . المدارك ، ص ٦٠٥ . تراجم أغلبية ، ص ١١١ (تقول الرواية أن سحنون لم يقبل حبة زبوجة ابن أبي الجواد « لأن مالك لا يلزم قبول الهبة ، ولو قالت : أنا ألقى منه ما طلب منه . لما رد ذلك سحنون وإنه أعلم ... » ، وذلك أن الهبة لا تكون إلا للمعتم الذي ليست لديه أموال .

(٢٧٦) المالكي ، ج ١ ص ٢٧٨ . المدارك ص ٦٠١ - ٦٠٢ . ٦٠٥ . تراجم أغلبية ص ١٠٦ - ١٠٧ . لا . ١١٠ . ١١١ . وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٠ .

(٢٧٧) انظر المدارك ، ص ٦٠٦ - ٦١٢ . تراجم أغلبية ، ص ١٦ - ١١٨ . وقارن المالكي ، ص ٢٨٦ - ٢٨٧ .

(٢٧٨) انظر ليا سق ، ص ٨٤ .

(٢٧٩) انظر المالكي ، ج ١ ص ٢٨٠ . المدارك ، ص ٦٠٤ - ٦٠٥ .

وتجلى ذلك أيضا امر قضاء خفاجة بن سفيان بن سودة على ثروة القويص ، ودخول جند الأمير محمد من السودان ، وبض قواد جند بسبي تونس من النساء المراتر الى القيروان . فعندما سمع سحنون بذلك ، وكان حديث عهد بالقضاء ، أمر طلبته بالتصدي لحاتم الأسود ، فتي الأمير محمد ، واستخلاص النساء التونسيات من أسرهن . وعندما شكوا الأسود الى الأمير محمد ظل سحنون صامدا ، بل انه أمر بسجن الفتى الأسود (٢٨٠) . وتضيف الرواية الى ذلك أنه عندما بعث الأمير محمد اليه يقول : ان السبي له شخصيا ، وولاه رفضي سحنون لأن النساء لسن من الامه ، بعث اليه الأمير من يبلغه أن وقوفه امام رغبة الأمير عبث ، فارت تائرة القاضي الكبير وأقسم بالله ثلاثا ، في حضرة رسول الأمير ، ان العايت هو محمد بن الأغلب ، وأنه لن يتسامح في الأمر ، ولو فصل رأسه عن جسده .

وبمع أنه كتب كتابا مناسيا للأمير ، تحت إلحاح ابنه محمد بن سحنون الذي جعله يغير ويبدل كثيرا من عباراته (٢٨١) ، فإن الأمير محمد بن الأغلب نظر في الخطاب وضرب به الأرض ، وهو يقول : « ما أدري أمر علينا أم نحن عليه ! » ورغم تأثر الأمير الذي أسود وجهه ورفض أن يستقبل أحدا الى ما بعد العصر ، فانه عاد يقول : « ما أظن هذا الرجل يريد بنا الا خيرا ، ونحن لا نعلم » (٢٨٢) .

وكانت وقفة سحنون الصلبة هذه ضد سبي النساء التعيسات من أهل تونس سببا في أن أصدر الأمير محمد أوامره بفك أسر التونسيات من كل البلاد . كما كتب سحنون الى أعوانه من المحسنين يطلب منهم تفتيش قوافل

(٢٨٠) ويرى لنا المالكي والثاني ميلان تلك القصة أكثر من مرة مع تغيير شخصيات أبطالها . فالحظ السليم في القصة الثانية يأتي في شكل قائد من قواد أين الأغلب اسمه حضور الذي يتزع سحنون منه السبي بفضه . ثم يكون في القصة الثالثة بعض قواد أين الأغلب الأقرية ما يظهر سحنون منه الى الكتابة الى اخوانه السوفية في البراض الذين حضروا في حوال آت رجل ، منهم مائة منهم قصر القائد ، وأخبروا النساء المراتر . وعندما استج الأمير محمد سحنون بالاستقالة من القضاء - انظر المالكي ج ١ ص ٢٧٦ ، ٢٨٢ . الحارثي - ص ٦٠٦ - ٦٠٧ ، تراجم ص ١١١ - ١١٢ . (٢٨١) وكان ما كتب سحنون في كتابه للأمير محمد : « وما قوم ما لي أدعوكم الى الجهاد وكمونتي الى الله » كقولني لأمر بفضه - الآية (الحارثي) ص ٦٠٤ . تراجم أغلبية . ص ١١٢ . ولفظ المالكي : ج ١ ص ٢٨٠ . (٢٨٢) المالكي ، ج ١ ص ٢٨٠ . الحارثي ، ص ٦٠٤ .

- ٩٧ -

التجار بحثا عنهن . فكان المحتسب يعترض القافلة ويكشف براقع النساء ،
عن قائلاتها منها من سبى تونس سبوت الى سحنون الذي أطلق عدة
منهن (٢٨٣) .

الاه . بعين قاضيا ثانيا الى جانب سحنون .

والظاهر أنه أمام تشبث سحنون بمبادئه وتشده في تطبيق القانون ،
وهذا في أحد الحقوق من قرابة الأمير ورجال الحاشية ، رأى محمد بن الأغلب
أن خير وسيلة للافلات من قبضة قاضيه - وكان يجعله رغم عنه - هو أن يعين
قاضيا ثانيا الى جانبه ، تماما ، كما فعل عمه زيادة الله عندما عين أسد
ابن الفرات قاضيا الى حاسب أبي محرز .

وهكذا ، ودون علم سحنون ، عين محمد بن الأغلب شريكا له في
القضاء ، يعرفه الكتاب باسم الطنبلي ، نسبة الى مدينة طنبنة عاصمة الزاب .
وفوجيء سحنون بارتفاع الحصوم عن يابه الى مناقسه الحديد ، وزاد تأثره
عندما سأل الأمير عن الأمر فأنكر معرفته به أصلا ، مما اعتبره سحنون نوعا
من الاستهزاء به .

ولم يجد سحنون سبيلا الى الاحتجاج على ذلك الا بالاعتكاف في داره
لفترة من الوقت ، كان الطنبلي يحكم أثناءها في الجامع ، والى جانبه كان يحكم
أيضا جبيب صاحب المظالم وقائب سحنون أو معاونه .

ثم انه عندما رأى سحنون أن يعود الى مجلس القضاء في الجامع من
جديد ، خرج الطنبلي الى داره حيث كان يحكم فيما يعرض عليه من القضايا .
ولم يستمر الحال على هذا المتوال الا حوالي أربعين يوما توفي بعدها سحنون ،
ودفن بمقبرة باب نافع من القيروان (٢٨٤) ، وذلك في شهر رجب من سنة
٢٤٠ هـ / أغسطس ٨٥٤ م (٢٨٥) ، وله من العمر حوالي ثمانين عاما ، بعد
حياة حافلة بالعلم والعبادة ، والكرم والشجاعة ، والعفة والزهد .

(٢٨٣) المصنف ، ص ٦٠٤ ، تراجم ، ص ١٠٨ - ١٠٩ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٢٨٠ .
(٢٨٤) المصنف ، ص ٦٠٨ - ٦٠٩ ، تراجم الخليفة ، ص ٦٦٤ - ١١٥ .
(٢٨٥) وتقول الرواية أن الأمير محمد بن الأغلب أرسل اليه بكتف وحشوط ، فاحتال
ابنه محمد حتى كف في ليله . أنظر المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ (وعن يوم وفاته قيل يوم ٣
رجب أو ٧ من نفس الشهر) ، وقارن المصنف ، ص ٦٢٤ ، تراجم الخليفة ، ص ١٣٣ ،
ابن عذاري ، ج ١ ص ١١١ .

تراث سحنون :

وبصرف النظر عما تركه سحنون من الألم في نفوس خصومه من الجمعية - الذين كان يكرههم ويكفرونه ، حتى أنهم امتنعوا عن صلاة الجنازة عليه (٢٨٦) ، كما كان يفعل هو أيضا بالنسبة لهم ، فلقد ترك سحنون بصماته وامسحة في كل افريقية والمغرب والأندلس وصقلية ، بصفته صاحب المدونة في فقه مالك بن أنس ، وواضح الأسس المتينة للمذهب المالكي في تلك البلاد . وفي انقضاء يسبب الى سحنون كل التنظيمات القضائية التي أشرنا اليها (٢٨٧) . وفي ميدان العبادة والجهاد كان سحنون عالما وحده : فالعبادة في مجالسه كانوا أكثر من طلبة العلم (٢٨٨) ، كما كان السماع منه يعادل - بالنسبة لأصحابه وتلاميذهم - « ماء الحياة » (٢٨٩) .

أما تلاميذه الذين زادوا على سبعمائة فقيه وشيخ ، فكانوا المصاييح النيرة في كل بلدة (٢٩٠) ، وأقواله وفتاويه وأعماله صارت القدوة الحسنة في كل البلاد (٢٩١) . ودعوته الى الربط بين الأمر بالمعروف والعبادة والجهاد طلت أصدائها تدوى في رباطات الساحل الافريقي ، وخاصة في المنستير - حيث كان يقيم مع المرابطين بصحبة اخوانه ، مثل : ابن رشيد ، وابن الصمادحي ، وابن نصيم (٢٩٢) - على مدى الأجيال التالية ، وخاصة بعد أن ظل سؤدد العلم قائما في بيته ، بفضل ابنه محمد الذي ذاعت شهرته هو الآخر .

حناد شعبي لوفاة سحنون :

وهكذا لم يكن من الغريب أن ترتج القيروان لموته ، وأن يبكي مشائخ الأندلس ، وألا يتمكنوا من ضبط عسواطمهم فيحرقون تعاليمه ، ويضربونه خدودهم كالنساء (٢٩٣) . وهو الأمر الذي كان ينهى عنه في الجنائز ، ويؤدبه

-
- (٢٨٦) المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ ، المدارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم أغلبية ، ص ١٢٣ .
 (٢٨٧) أنظر فيما سبق ، ص ٩٠ وما بعدها .
 (٢٨٨) المدارك ، ص ٦١٣ ، تراجم أغلبية ، ص ١١٩ .
 (٢٨٩) تراجم أغلبية ، ص ١٣٦ .
 (٢٩٠) المدارك ، ص ٦١٣ ، تراجم أغلبية ، ص ١٢٠ .
 (٢٩١) المدارك ، ص ٦١٤ وما بعدها ، تراجم أغلبية ، ص ١٢٠ وما بعدها .
 (٢٩٢) المدارك ، ص ٦١٣ (حيث الرباط فن قصر زياد) ، ص ٦١٦ (المنستير) .
 وقارن تراجم أغلبية ، ص ١٢٤ .
 (٢٩٣) المالكي ، ج ١ ص ٢٨٨ ، المدارك ، ص ٦٢٤ ، تراجم أغلبية ، ص ١٣٤ .

- ٩٩ -

عنه الأدب الحقيقى ولم يكن من العرب أن يرتبه إرثاوتو شرا وشعرا (٢٩٤)،
وأن يراه الراؤون فى يومهم فى موكب السى والصحابة سائرا حلف مالك
ابن س (٢٩٥) - إمامه وأستاده -

وهكذا فإذا كان زيادة الله له الحق فى أن يعتر بأنه ولى القضاة لأن أبى
محرر ، فمن باب أولى أن يعتر محمد بن الأغلب ، الذى تولى فى ٢ من المحرم
سنة ٢٤٢ هـ / ١١ مايه ٨٥٦ م ، أى بعد حوالى سنة ونصف سنة من وفاة
سبحون بأنه عهد بقضاة افریقیة الى سجون ، وأنه وفى له بشروطه لمصلحة
منع سنوات ، وهو الامر الذى يستحق أن يكون شيعيا للأمير الأعلى
النساب ، الذى قضى وعمره ٣٦ سنة ، أى وهو فى عموان الشباب ، تاركا
الملك لابن أخيه ابى ابراهيم أحمد ، كما يصح على ذلك ابن عذارى ، لأنه كان
عقما لا يؤد له (٢٩٦) .

**ابو ابراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٤٢-٢٤٩ هـ /
٨٥٦ - ٨٦٣ م .**

حلف ابو ابراهيم أحمد ابن عمه فى إمارة افریقیة ، وله من العمر
عشرين سنة . ومع ذلك لم يطل حكمه الا الى أقل من ثمانى سنوات ، مصت
هائلة سكتته لم يعكر صفوها الا اضطراب منطقة طرابلس لبعض الوقت .
أما عن الجهاد فى صقلية فقد كان مظهرا اذ سقطت على إمامه قسريانة
(كاسروحيونانى) ، وهى من مدن الحريرة الهامة ، وكان للحليفة - نصيبة
من ماعنبا (٢٩٧) . وهكذا سمحت الظروف للأمير الشاب أن يقضى سنوات
حكمه القصر سيبا فى أعمال الخير والعمارة .

(٢٩٤) المالک ، ج ١ ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ، المقارن ص ٦٣٦ ، تراجم اعلیة . ص ١٣٦ .
(٢٩٥) المقارن ص ٦٢٤ - ٦٢٥ تراجم اعلیة ص ١٣٤ ، وقارن المالک ، ص ٢٨٩
(٢٩٦) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٨ . ابن الانبار الحلة السیرة ، ج ١ ص ١٦٩ .
وأنظر بن الحلیب ، أصال الاعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٢ . أما هنا فقولہ بن الأئمة (سنة ٢٤٢ هـ
وإبن حلدون ، ج ٢ ص ٢١) من أن أما ابراهيم أحمد كان انا لمحمد المتولى (وليس ابنا
للأئمة) فهذا ما شرحته رواية الحلة السیرة التى قالت ان الأمير أما المباس محمد كان له أخ
اسمه هنا محمد أبو عبد الله . وأنه كان واليا لطرابلس وتولى بها سنة ٢٢٣ هـ ، ٥ ومن
جولته أمره بنى الأغلب الدولة بعد أبى المباس هذا . وذلك ما دعا عددا من الكتاب من قدامى
ومحدثى الى الخطأ بسبب من أتى من الإغالة به ذلك الى أبى المباس محمد وليس الى أخيه
أبى عبد الله . كما يشير الى ذلك حسين مؤنس الحلة السیرة عام ١٦٩ - ولو أنه بسبب
خطأ ابن عذارى وهو غير صحيح .
(٢٩٧) أنظر فيما بعد فى فتح صقلية ص ٢٥٩ - ٢٥١

والأمير أحمد أبو إبراهيم كان ، كما رآه الكتاب : « حسن السيرة ، كريم الأخلاق والأفعال ، من أجود الناس وأسمجهم ، وأرقهم بالريعية » مع : دين واجتباب للنظم ، عل حداثة سنه وقلة عمره » (٢٩٨) .

اضطراب منطقة طرابلس :

أما عن اضطراب منطقة طرابلس التي كان على ولايتها عبد الله بن محمد ابن الأغلب ، فالظاهر أن مثيرها كانوا من قبائل البربر الاباضية في تلك النواحي ، من هواره أو لواتة (٢٩٩) ، على ما نطق . وتذكر روايتا ابن الأثير والنويري أنهم امتنعوا على السوالي ، ولم يؤدوا ما كان عليهم من العشور والصدقات ، وأن السوالي عبد الله بن محمد إنا الأمير قام بقتالهم بمن معه من الجند أكثر من مرة ، ولكنهم هزموه حتى الجلوله ال لبسة التي حصنها ، ثم انه رأى أن الأمر يتطلب مجيودا أكبر من طاقته فأرسل الى الأمير أبي إبراهيم أحمد يطلب منه المعونة فسار اليه الكثير من المساكر مع أخيه زيادة الله .

ودارت حروب شديدة بين قوات القيروان وبين الثوار من البربر ، انتهت بقتل الكثيرين منهم ، والانتقام من الأسرى الذين قتلوا ، كما أحرق ما كان في معسكرهم من الأمتعة والمتاد . وبذلك أذعن ثوار طرابلس من القبائل المغربية ، وأعطوا الرهائن لآين الأغلب ، وأدوا ما كان عليهم من الأموال (٣٠٠) .

أعمال الأمير الشاب الودعة :

وفيما عدا تلك الحرب المحلية في إقليم طرابلس التي احتفظ لنسأ ابن الأثير والنويري ببعض أسدائها ، والفتوح المظفرة في صقلية ، وما قيل من أنه بنى بأرض افريقية عشرة آلاف حصن بالجسارة والكلس وأبواب الحديد ، وأنه اشترى المبيد واقتلهم جندا (٣٠١) ، انصرف الأمير الشاب ،

(٢٩٨) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٥ ب ١١٦ . ابن طوقى . ج ٩ ص ١١٢ .

(٢٩٩) ابن الأثير . سنة ٢٤٥ . ج ٧ ص ١١ (حيث الكلمة مخرقة في شكل « لوان ») -

(٣٠٠) نهاية الأرب . المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٥ ب . الكامل . سنة ٢٤٥ . ج ٧ ص ١١ (ابن يخلدون . ج ٤ ص ٢٠١) .

(٣٠١) ابن الأثير . سنة ٢٤٦ . ج ٦ ص ١١٦ (ابن يخلدون . ج ٤ ص ٢٠١) .

- ١٠١ -

الذى ولد فى عصر سحنون ، الى أعمال البر والخير . وكانت أولى أعماله هي العهد بقضاء القيروان الى أبى الربيع سليمان بن عمران بن أبى هاشم الملقب بخروغه .

وسليمان بن عمران كان منافسا لسحنون عند ولايته القضاء ، كما رأينا ، ثم ان سحنون اتخذه كاتباً ، قبل أن يوليه قضاء الأقاليم ، فى : بجاية وباجة والأربس (٣٠٢) . وهكذا ، وثى هذا الجو السحنونى - اذا جاز التعبير - كان الأمير أبو ابراهيم أحمد يركب فى ليالى شعبان ورمضان من القصر القديم ، على بعد ثلاثة أميال من القيروان ، وبين يديه الشموع الموقدة ، ويمشى حتى يدخل مدينة عقبة من باب أبى الربيع ، وبين يديه دواب تحمل أكياس الدراهم ، وهو يأمر باعطاء الضعفاء والمساكين منها ، حتى يصل الى المسجد الجامع ، والناس حوله يدعون له خير الدعاء (٣٠٣) . هذا ، كما كان يقصد دور العلماء والصالحين فيأمر بقرع أبوابهم ، فاذا خرجوا اليه أمر باعطائهم من ذلك المال (٣٠٤) .

أعمال أبى ابراهيم أحمد العمرانية :

مواجهل الماء • توسيع جامع القيروان • بناء جامع سوسة .

والى جانب أعمال البر تلك ، وجه الأمير أبو ابراهيم أحمد نشاطه الى أعمال العمران ذات المنافع العامة ، مما يرتفق به الناس ، من : بناء صهاريج الماء التى عرفت فى افريقية بـ « المواجهل » ومفردها « ماجل » ، وتجديد المساجد وبنائها وتهيئة الاموال اللازمة لذلك ، خاصة منذ سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٣٠٥) .

فلقد زاد أبو ابراهيم أحمد فى مسجد القيروان ، الذى بناه عمه زيادة الله زيادات هامة ، هى : البهو ، والمقصود به البلاطة المستعرضة فى مؤخر بيت الصلاة من جهة الصحن ، وما يحيط بالصحن من المجنبيات ثم

(٣٠٢) انظر فيما سبق ، ص ٩١ (أهوان القاضى) .

(٣٠٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ ، النوى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ .

(٣٠٤) النوى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ .

(٣٠٥) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٣ (حيث الإشارة الى أنه قبل ذلك تكلمة يدور منه على سكر ، فكانها كانت كفاية لتلك الهلوة) ، ابن الخطيب ، أعمال الأعيال ، قسم ٣ ص ٢٣ .

القبة (٣٠٦) فوق منتصف البهو لتقابل القبة الواقعة فوق المحراب . ويرأسطة القبتين كان يمكن لأهل القيروان تحديد اتجاه القبلة ، وهو الخط للمستقيم الواصل بين قبة البهو وقبة المحراب ، وكان تمام السهل في الجاسع في سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م .

ولقد أعاد أبو ابراهيم أحمد بناء المسجد الجامع بمدينة تونس والذي أنشأه حسان بن النعمان ، وجدده بن الحبحاب ، وهو مسجد الزيتونة . ولقد عثر على نقش كوفي في قبة المحراب نصه الآتي : « بسم الله الرحمن الرحيم . مما أمر بعمله الامام المستعين بالله أمير المؤمنين العباسي . طلب ثواب الله وإبتغاء مرضاته . على يدى نصير مولاة . سنة خمسين ومائتين . يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله . صنعته فتح ، . وهكذا ، يحمل النص اسم الخليفة المستعين بالله ، كما يحمل اسم الفتى الخادم الذي أشرف على تنفيذ العمل من الناحيتين الادارية والمالية ، وكذا اسم المهندس البناء ، وهو : فتح . أما اسم الأمير الأغلبى الحاكم ، فلا يوجد في النقش وهو الأمر المستغرب (٣٠٧) . وان كان من الممكن تفسير ذلك بأنه نوع من الأدب من جانب الأمير الأغلبى الذي رأى أن يقدم اسم الخليفة دون ذكر اسمه . خاصة وأن أبا ابراهيم كان قد توفى في سنة ٢٤٩ هـ ، وخلفه أخوه أبو محمد زيادة الله (الأوسط) الذي كان له هذا القرار ، على ما نظن .

ومن المتفق عليه أن جامع الزيتونة بتونس ، كما وصل إلينا ، حافظ على عناصره الرئيسية منذ بناءه أبو ابراهيم - مثله في ذلك مثل جامع القيروان منذ أعاد زيادة الله بناءه . والمسجد الحالي يتكون من الصحن الذي تحيط به الأبناء ، ومن بيت الصلاة الذي يحتوى على تسعة أروقة رأسية على حائط القبلة من الشمال الى الجنوب . والرواق الأوسط منها وكذلك بلاط المحراب المستعرض أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا من بقية الأروقة والبلاطات العرضية . وعند التقائهما توجد قبة المحراب التي بنيت سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م والتي تحل نقش الخليفة المستعين . وفي مقابل تلك القبلة توجد قبة باب البهو ، كما هو الحال في القيروان حيث يحدد الخط المستقيم بين القبتين اتجاه القبلة (٣٠٨) .

(٣٠٦) النورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب .

(٣٠٧) أنظر ج - مارسيه ، مختصر الفن الاسلامي ، ج ١ ص ١٣ .

(٣٠٨) أنظر ج - مارسيه ، مختصر الفن الاسلامي ، ج ١ ص ١٣ .

- ١٠٣ -

كذلك كانت سوسة ، مدينة الرباطات والعباد ، موضع رعاية أبي إبراهيم أحمد . فقد حصنها وبنى سورها في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م (٣٠٩) .
وفي سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م كان البدء في حفر الماجل الكبير على باب تونس بمدينة القيروان . واستمر العمل فيه - من بناء الجدران والسدائم الداخلية والخارجية ، وتبليط الأرض - الى أن تم مع زيادات الجامع في سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م . ولما كانت القيروان قد تعرضت لسيل عظيم في شتاء سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، كان من نتائجه كسر قنطرة أبي الربيع التي تحمل الماء الى الماجل الذي كان يقرب باب أبي الربيع ، فان الأمير أبا إبراهيم أمر باصلاح القنطرة (٣١٠) وتجديد الماجل (٣١١) .

وكانت آخر أعمال أبي إبراهيم أحمد هو حفر وبناء الماجل الكبير بالمدينة الملكية ، وهي القصر القديم . وذلك أنه بانتهاء ذلك الماجل ، وقبل بداية فصل الأمطار ، اعتل أبو إبراهيم علته التي مات فيها ، فكان يسأل وهو طريح الفراش ان كان الماء قد دخل الماجل . وعندها أتى الماء وعرف ذلك سر به سرورا عظيما ، وأمر خدمه « أن يأتوه بكأس مملوءة منه ، فشربها ، وقال : الحمد لله الذي لم أمت حتى أكمل أمره ، ثم مات اثر ذلك » (٣١٢) .

وفاة محمودة :

وهكذا ، توفي أبو إبراهيم أحمد بعد أن ترك بصماته قوية على كل من مدينتي تونس والقيروان ، وحق لأهل القيروان الذين زودهم بالماء الكثير أن يترحموا عليه ، وكذلك كل من دخل المدينة (٣١٣) . وكانت وفاة أحمد في يوم ١٣ من ذى القعدة سنة ٢٤٩ هـ / ٢٨ ديسمبر سنة ٨٦٣ م ، وله من العمر ٢٨ سنة ، بعد ولاية ٧ (سبع) سنين و ١٠ (عشرة) أشهر و ١٥ (خمسة)

(٣٠٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب ، ابن الخطيب ، افعال الاعلام ، قسم ٣

ص ٢٣

(٣١٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٣ .

(٣١١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٥ ب - حيث تقول الرواية انه بنى الماجل .

(٣١٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٥٥ ب ، ابن الخطيب ، افعال الاعلام ، قسم ٣

ص ٢٤ .

(٣١٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٥٥ ب .

- ١٠٤ -

عشر (يوما (٣١٤) - وحلله في الامارة أخوه أبو محمد زيادة الله (الثاني) .

أبو محمد زيادة الله بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : ٢٤٩ - ٢٥٠ هـ / ٨٦٣ - ٨٦٤ م :

شباب وزين يحكم لمدة ستة واحدة :

لم تطل اماره زيادة الله الثاني هذا الا لمدة سنة واحدة وأسبوع واحد ، وهكذا لم تكن له أخبار تؤثر ، كما يلاحظ ابن عذارى (٣١٥) . وبناء على ذلك فنحن لا نعرف عنه الا أنه ولي في نفس اليوم الذي توفي فيه أخوه أبو إبراهيم ، وهو الثلاثاء ١٢ من ذي القعدة ٢٤٩ هـ / ٢٨ ديسمبر ٨٦٣ م ، وأنه كتب الى خفاجة بن سفيان في صقلية بامضاء ولايته ، وخلع عليه .

وفيما عدا ذلك يقول الكتاب أن زيادة الله الثاني كان عاقلا حليما حسن السيرة ، جميل الأفعال ، ذا رأي ونجدة ، وجود وشجاعة (٣١٦) . أما عن وفاته ، فكانت ليلة السبت ١٩ من ذي القعدة سنة ٢٥٠ هـ / ٢٣ ديسمبر ٨٦٤ م (٣١٧) . وقد خلفه ابن أخيه : أبو عبد الله محمد بن الأمير الأسبق أبي إبراهيم أحمد .

أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : أبو الفرائق ٢٥٠ - ٢٦١ هـ / ٨٦٤ - ٨٧٥ م :

جلس أبو الفرائق محمد على سرير الملك في نفس اليوم الذي توفي فيه عمه زيادة الله ، ولما كان والده أبو إبراهيم أحمد ، الأمير الأسبق ، قد

(٣١٤) التويري ، ص ١٥٥ ب (عمره ٢٦ سنة) ابن طاردي ، ج ١ ص ١١٣ ، ابن الأثير سنة ٢٢٦ ، ج ٦ ص ٥١٩ - ٥٢٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٢٤ .

(٣١٥) ابن طاردي ، ج ١ ص ١١٤ ، وابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٢٥ (حيث ولايته سنة ٧ أشهر بدلا من ٧ أيام) .

(٣١٦) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، والتويري ، المخطوط ، ج ٢ ص ٢٢ ، ١١٦ ١ وهذا يشتركان في النص ، وقارن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٢٤ - ٢٥ (حيث يضيف الى ذلك ان القاضي سليمان بن عمران كان يقول : « ما ولي لبني الأغلب أهل من زيادة الله الأصغر ») .

(٣١٧) نفس المصدر ، ابن الأثير ، سنة ٢٢٦ هـ ، ج ٦ ص ٥٢٠ ، ابن الخطيب ، قسم ٣ ص ٢٥ (ليلة ٢٠ من ذي القعدة) .

توفي منذ عام وعمره ٢٨ سنة ، فالمفهوم اذن أن أبا الغرائيق كان بعد علي
عقبات الشباب ، عند ولايته ، مقبلا على الرابعة عشرة من عمره (٣١٨) .

شباب في مقتبل العمر ، مقبل على الحياة ، مفرم بالصيد :

ويصف الكتاب الأمير الشاب بأنه كان غاية في الجود مسرفا في العطاء ،
مع حسن سيرة الرعية ورفق بهم (٣١٩) . وهم يضيفون الى ذلك انه غلبت
عليه اللذات والشراب والطرب والاشتغال بالصيد ، وانه لم يزل كذلك طول
مدته (٣٢٠) . وبسبب هوايته للصيد لقب بـ « أبو الغرائيق » لانه كان يهوى
صيد ذلك النوع من الطيور ، حتى أنه بنى قصرا في موضع السهلين ، يخرج
اليه لصيدها ، أنفق فيه ثلاثين ألف متقال من الذهب (٣٢١) ، وهو المبلغ
العظيم بالنسبة لقيمة العملة في ذلك العصر .

هذا ، ويقول ابن الأثير أن أبا الغرائيق بنى حصونا ومحارس على
ساحل البحر بالمغرب على مسيرة ١٥ (خمسة عشر) يوما من برقة الى جهة
المغرب (٣٢٢) .

انتصارات في صقلية ، واضطرابات في الزاب :

واذا كان كل من ابن عذارى والنويرى يشير الى أن ولايته كانت
ملينة بالحروب ، فإن عذارى يقصد بذلك حروب صقلية المظفرة بقيادة خفاجة
(ابن سفيان بن سودة) وان تخللتها بعض الانتكاسات . أما النويرى فهو
يشير الى اضطراب بلاد الزاب التي يصفها بالثغر (٣٢٣) - جريا على عادة
قدامى كتاب الفتوح والمغازي .

ووصف بلاد الزاب الجنوبية الغربية بالثغر ، بمعنى أنها جبهة قتال ،

(٣١٨) انظر النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ ب ، الذي يقول انه توفي بعد ملكه
عشر سنين وخمسة اشهر ، وله من العمر ٢٤ سنة .

(٣١٩) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٧ أ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، ابن العليبي ، الإعلام ،
قسم ٣ ص ٢٥ .

(٣٢٠) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٧ أ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ .
(٣٢١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٤ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ أ ، وانظر
العله المصنوع ج ١ ص ١٧١ .

(٣٢٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٦ هـ ، ج ٦ ص ٥٢٠ (بن خلدون ، ج ٢ ص ٢٠٥) .
(٣٢٣) النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٦ ب .

يعبر بأن الاقليم كان متاخما لامامة الرستميين الاباضية في الغرب الأوسط .
أو بوجه أخرى كانت بلاد الزاب داخلة في منطقة نفوذ قبائل الزير . التي
تعترف بامامة تاهرت الرسمية . والمهم هو أن أبا الغرائبي أرسل الى بلاد
الزاب جيشا عظيما عهد بقيادته الى قائده أبي حفاجة محمد بن اسماعيل الذي
سار في المنطقة وقبائل الزير تبعد امامه الى أن وصل الى مدينة تهودة .
حيث ضريح سيدي عقبة . ثم الى مدينة يسكرة حيث أعلن أهل تلك المناطق
الخضوع له . ومن يسكرة سار محمد بن اسماعيل الى طينة . قاعدة بلاد
الزاب . حيث لحق به القائد حي بن مالك البلوي . من فرسان مدينته
يلزمة .

ومن طسة قرر محمد بن اسماعيل (أبو حفاجة) السير الى مدينة
« آبة » ونزلها بكل عساكره ، وألقى في قلوب أهلها الخوف والهلع . وصحح
إن رؤساء القبائل أتوا سامعين طامعين ، وعبروا عن تلك الطاعة بتقديم
الرهائن ، ودفع ما كان عليهم من الخراج والعشور والصدقات . فلما محمد
ابن اسماعيل لم يقبل منهم لأن زعيم بني كمان من قبائل هواة - هو مهنيب
ابن صولات لم يات به نفسه .

وقرر أبو حفاجة محمد بن اسماعيل السير الى بن صولات وكسر
شموكته . وتحزرت قبائل هواة من أبي حفاجة ، وهي تحول مداراته ظالمة
بعضه الأمان ، بإذلة له كل ما يطلب ، فلم يقبل منهم إلا الخضوع تحت سلطان
السيف . ولكنه عندما نشب القتال بين الجند الأغلب وبين كمان في
قلب أرض هواة ، انتهت الواقعة بكارثة بالنسبة لجيش القيود . والمظاهر
أن عسكر يلزمة وعلى رأسه حي بن مالك البلوي كان مسئولاً عن تصليد أبي
حفاجة . على زعم أنه كان على دراية بالبلاد . وعلى هذا الأساس . عمل
ما نظن . تنسيب الهزيمة الساحقة التي انتهت بمقتل أبي حفاجة وجيشه
من كبار قواده وكثير من جنده والتي تمادت حتى أسوار طينة الى البلوي
وأهل يلزمة (٣٢٤) .

فتح ماطة :

ولا يخفى من وقع هذه الهزيمة التكرار في رواية التويري ، التي لم
تذكر رد فعل الأمير الأغلب ، إلا ما تسجله من فتح جزيرة ماطة على أيدي

- ١٠٧ -

أبى الفرائيقى ، سما يوحى أن هزيمة الجند الأغلبى فى الزاب كانت قبيل سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م ، على أواخر أيام أبى الفرائيقى ، ويرجع ذلك ما تنص عليه رواية ابن الخطيب من أن فتح مالطة وأسر ملكها كان فى جمادى الأول من سنة ٢٦١ هـ / فبراير - مارس ٨٧٥ م (٣٢٥) . ولكنه لما كانت مالطة قد فتحت على أيلم « أبى الفرائيقى » فى سنة ٢٥٥ هـ (٢٣٦) فإن ذلك يعنى أن الروم كانوا قد استعادوها من المسلمين ، وأن غزو الجزيرة الثانى فى سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م كان الفتح انتهائى .

أعمال عمرانية على أيام أبى الفرائيقى :

وهكذا ، فالى جانب ثورة الزاب ، وذكر فتح مالطة ، وحروب صقلية ، لا نجد فى حوليات إفريقية على أيام أبى الفرائيقى ذكرا الا لبناء محمد بن حميدون الأندلسى العافرى للجامع الشريف المنسوب اليه بالقيروان . والذى سمى فى بساتنه بالآجر والجص ، وبذل فى كسوته بالرحام ، كما سمى له الصهاريج أو جباب الماء تحت الأرض ، وذلك فى سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م (٣٢٧) .

محمد بن سحنون (٢٠٢ - ٢٥٦ هـ / ٨١٧ - ٨٧٠ م) :

أهم أعماله ، والحياة الدينية على عهد الأمير أبى الفرائيقى :

أما سنة ٢٥٦ هـ / ٦٩ - ٨٧٠ م ، فهى سنة وفاة محمد بن سحنون الذى خلف والده فى الإمارة والعلم (٣٢٨) ، ولو أنه لم يل القضاء ، فكانت وفاته بعد ١٦ عاما من وفاة والده ، قاضى القيروان الدائع الصيت . فلقد جدد محمد سيرة والده سحنون ، فعرف بالفقه والجدل والحديث ، والذبح عن مذهب أهل الحجاز (٣٢٩) . وعرف محمد بن سحنون بأنه كثير الكتب - غزير التأليف ، له نحو مائتى كتاب فى فنون العلم (٣٣٠) . ومن تواليفه :

- (٣٢٥) أعمال الأعلام ، قسم ٣ . ص ٢٦ .
- (٣٢٦) أنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠١ . وأنظر ابن الخطيب ، أعمال الأعمال ، قسم ٣ ص ٢٦ - حيث إشارة المحققين إلى الهامش رقم ١ الى أن استيلاء المسلمين على مالطة كان فى سنة ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .
- (٣٢٧) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١١٤ .
- (٣٢٨) ابن عذارى ، ج ١١ ص ١١٥ .
- (٣٢٩) تراجم أغلبية ، ص ١٧٣ .
- (٣٣٠) التالى ، ج ٢ ص ٢٤٥ . تراجم أغلبية ، ص ١٧٢ .

المسند في الحديث ، والجامع في الفقه ، وكتاب الطهارة ، وكتاب تحرير
المسكر ، وكتاب آداب المتناظرين ، وتفسير الموطأ ، وكتاب الحجّة على
القدرية ، كما ألف كتاب التاريخ في ستة أجزاء ، وغير ذلك من الكتب (٣٣١) .

والى جانب العلم جدد محمد بن سحنون سيرة والده في الجود والكرم ،
فهر : جواد بماله ، لا يبخل بالمعطاء حتى على خصومه (٣٣٢) . وهو يكتب
الرقاع للناس ، كما كان يكتب والده البطائق ، الى الصرافين بالمعشرين دينار
وأكثر (٣٣٣) .

هذا ، كما أنه كان يتردد على رباطات الساحل . كما كان يفعل والده
سحنون حتى أن وفاته كانت بالساحل (٣٣٤) . وإن كان قد خلف والده في
حبه للناس (٣٣٥) .

الصراع بين المالكية والحنفية :

معنة محمد بن سحنون :

وعلى الجملة فقد كان محمد بن سحنون مقدما عند الملوك . ونجيبها عند
العامّة (٣٣٦) ، رغم أنه لم يل القضاء ، بل رغم سوء علاقته بالأمر ويرجّاه ،
من : القاضي سليمان بن همران (المعروف بخروقه) ، وصاحب الصلاة
ابن أبي الحواجب .

والظاهر أن ذلك كان بسبب وقوفه ضد الحنفية ، ومقالة المعتزلة بخلق
القرآن التي كان يقاومها المالكية . والظاهر أن الدولة الأغلبية ، وهي تتبع
تعليمات الخلافة العباسية في بغداد ، حورت في موقفها من معارضتها
المالكية ، وجعلته موقفا سياسيا بدلا من اتجاه ديني .

(٣٣١) انظر تراجم الحنفية ، ص ١٧٣ ، وقلوب المالكي ، ج ٦ ص ١٣٤٥ - ٢٤٦ .

(٣٣٢) انظر تراجم الحنفية ، ص ١٧٨ .

(٣٣٣) انظر تراجم الحنفية ، ص ١٨٢ .

(٣٣٤) تراجم الحنفية ، ص ١٨٦ .

(٣٣٥) تراجم الحنفية ، ص ١٨٤ - ١٨٧ .

(٣٣٦) تراجم الحنفية ، ص ١٧٨ .

لكاره السياسية الدينية :

محمد بن سحنون عندما امتحن على عهد الأمير محمد لم يكن امتحانه ، كما كان الحال بالنسبة لوالده ، عن رأيه في خلق القرآن ، بل كان سؤاله : ما يقول في يزيد بن معاوية ، فكان السؤال يعني أن كان المستحن يقف الى جانب الأمويين ، فيكون بالتالي ضد العباسيين . ولقد رد محمد بن سحنون على السؤال ، موجها الكلام الى الأمير محمد ، قائلا : أصلح الله الأمير . لا أقول ما قالت الإباضية ، ولا ما قالت المرجئة . وعندما سئل عما قالتا ؟ قال : قالت الإباضية إن من أذن ذنبا فهو من أهل النار . وقالت المرجئة : لا تقصر الذنوب مع التوحيد . أتى يزيد عظيمنا جسيما ، ويفعل الله في خلقه ما أحب (٣٣٧) .

موقفه من الإرجاء : النزاع بين السحنونية والعبدوسية :

ومع أن ابن سحنون يقول أنه لا يوافق على مقالة المرجئة ، فإن رده هذا يعبر عن فكرة المرجئة الرئيسية التي تترك الحكم على كفر الناس وإيمانهم الى الله . فالمعروف أنه كان لمحمد بن سحنون موقف محدد في مسألة الإيمان ، إذ كان لا يستثنى فيها ، ويقول : « أنا مؤمن عند الله » ، حتى أن خصومه في إفريقيا ، مثل : ابن عبدوس وأصحابه ، وكذلك أهل مصر والشرق ، كانوا ينكرون ذلك عليه ، وعلى من يقوله ، وينسبون قائله الى الإرجاء (٣٣٨) .

ولقد صار من يقولون بقول محمد بن سحنون هذا في الإيمان فرقة عرفت في المغرب باسم « السحنونية » ، وكان أتباعها يسمون خصومهم من العبدوسية ، الذين يخالفونهم في هذا الرأي ، بـ « الشكوكية » (٣٣٩) .

(٣٣٧) تراجم الغلبية ، ص ١٨٦ .

(٣٣٨) انظر تراجم الغلبية ، ص ١٨٤ - ١٨٥ . وابن عبدوس هو محمد بن إبراهيم ابن عبدوس (توفي سنة ٢٦٠ هـ) ، من كبار أصحاب سحنون وأئمة وقته . والذي قيل فيه أنه كان أشبه الناس بأشلاق سحنون في قلعه ، وذهابته في مجلسه ومطعمه والذي قيل فيه أنه كان صحيح الكتاب ، حسن التقييد ، غالبا بما اختلق فيه أهل المدينة . وما اجتسوا عليه . وفي إحداه وتسكع وعبادته . قيل : أنه كان مستجاب الدعاء (تراجم ، ص ٨٩ - ١٩٠) . ولقد ترجم ابن عبدوس في رياض المالكي ، ترجمة رقم ١٤٨ ج ١ ص ٢٦٠ وما بعدها . (٣٣٩) تراجم الغلبية ، ص ١٨٥ . المالكي ، ج ١ ص ٣٦٢ . ومن حقيقة موقف ابن عبدوس الزاهد في مسألة الإيمان هذه قيل إن الذي صرح عنه أنه كان يقول : أدين بأني مؤمن عند الله في وقت هذا ، ولأدري ما يختم لي به . كما قال عن زعموا أنه يشك في نفسه ، =

الخصومة مع القاضي وصاحب الصلاة :

والحقيقة أن العلاقة بين محمد بن سحنون المالكي وبين قاضي القبروان سليمان بن عمران الحنفي كانت سيئة حتى اضطر ابن سحنون الى أن يستتر ويتوارى أمام مطاردة القاضي . وعندما حاف على نفسه اضطر الى أن يستحضر بالأمير محمد الذي أمناه (٣٤٠) .

ولقد كانت علاقة ابن سحنون سيئة أيضاً بصاحب الصلاة في القبروان ، في أمام المسجد الجامع الذي كان من أعوان القاضي ، وهو ابن أبي الحواجب ، الذي كان كثير الإذابة لمحمد بن سحنون (٣٤١) . وعندما ضاق ابن سحنون بأعمال صاحب الصلاة التي لا تليق بمثل من هو في منصبه ، سعى لدى الوزير أحمد بن محمد الحضرمي في عزل ابن أبي الحواجب عن الصلاة ، وتعيين عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي ، قريب أبي المرانيق ، بدلا منه .

ودبر ابن سحنون ذلك التغيير بطريقة فاجأت كلا من سليمان بن عمران وابن أبي الحواجب ، وذلك قبيل صعود هذا الأخير على درجت المنبر . وظهر كيد ابن سحنون ونكايته للقاضي ومعاونه صاحب الصلاة في الخطبة التي خطبها ابن طالب ، والتي أصر فيها على أفكار أهل السنة التي تقرر حتمية المصير الانساني ، والتي تأخذ بظاهر المصوص دون تفسير باطني أو تأويل . فابن طالب قال في خطبته : « والحمد لله الذي عذب علي ما لو شاء منه

« ويقول : لا أدرى وأرجو أن أكون مؤمنا ان شاء الله - قال : والله ما قلته قط . ولا حزي الله من حكي هذا عني خيرا ، ما شككت قط ابي مؤمن عند الله .

وفي ذلك يرى القاضي عياض أن المسألة لا تنمى الخلاف في الألفاظ لا في الحقيقة . فمن التفت الى مذهب الحال والغالب وما سبق به القدر ، قال بالاستثناء ومن التفت الى حال نفسه وصحة معتقده في وقته ، لم يقل له : ولو أنه يضيف الى ذلك ذكر ما نشأ من الخلاف بين مفكرى المسلمين بعد ثلاثمائة سنة في مسألة الايمان هذه . وهل المؤمن مؤمن عند الله أم لا

(٣٤٠) تراجم أهلية ، ص ١٧٩ .

(٣٤١) أنظر تراجم أهلية ص ١٧٩ . ولم ذلك نشر الرواية الى ان اس ابي الحواجب كان يؤذى ابن سحنون بطريقة سياسية حسابه ، كما كان يميل الى اذنه وهو بين أصحابه وبسبه ناقض السباب ، ولكن ابن سحنون كان يتناسك ويرد عليه كيداً فان يقول له : « سم سنطق لك حاجتك انشاء الله » . وقارن المالكي ج ١ ص ٣٥٣ (حيث الرجل الذي كان يسد ابن سحنون مجهول الاسم)

عصم ! والحمد لله الذى على عرشه استوى ، وعلى ملكه احتوى ، وهو فى الآخر يرى ، (٣٤٢) .

وهكذا ، فكما كان ابن سحنون سببا فى صعود نجم سليمان بن عمران اذ تقول الرواية انه الذى سعى لدى والده سحنون حتى استخدمه فى كتاب القضاء ثم عينه قاضيا فى باجة وغيرها (٣٤٣) ، كان ابن سحنون هو السبب فى افول نجمه . والحقيقة ان تعيين ابن طالب فى اقامة الصلاة كان « أول نكبة سليمان » ، اذ لم ترل أمور عبد الله بن أحمد بن طالب تنمو الى أن صرف الأمير محمد أبو الغرائيق سليمان بن عمران عن قضاء افريقية ، وولى قريبه ابن طالب مكانه ، وان كان ذلك قد حدث فى السنة التالية لوفاة محمد بن سحنون (أى سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م) (٣٤٤) . هذا ، وان كان سليمان بن عمران سيعود الى قضاء افريقية مرة أخرى فى سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٣ م ، عندما يعزل الأمير محمد أبو الغرائيق قريبه التميمي ابن طالب (٣٤٥) .

وفى السنة التالية لعزل ابن طالب وولاية سليمان بن عمران الثانية للقضاء القيروان ، وهى سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م ، كانت المجاعة الكبرى التى عمّت المشرق والمغرب ، والتى أدت الى انتشار الوباء والطاعون ، كما تذكر حوليات ابن عذارى (٣٤٦) . وفيها كانت وفاة الفقيه الزاهد محمد بن ابراهيم ابن عبدوس وأشهر تلاميذ سحنون ، ومنافس محمد بن سحنون فى العلم

(٣٤٢) تراجم اغلبيّة ، ص ١٨٠ .

(٣٤٣) تراجم اغلبيّة ، ص ١٧٨ ، وانظر فيما سبق ، ص ١٠١ وهـ ٣٠٢ .

(٣٤٤) انظر تراجم ، ص ١٨١ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ . وفى ابن طالب قيل انه كان شديد الاعظام لابن عبدوس ، عازلا يحقه ، وعليه كان يعتمد فى أحكامه . وفى حوّل ابن طالب من ابن سحنون وابن عبدوس ، قيل : كان وجه ابن طالب الى ابن سحنون ، وقلبه الى ابن عبدوس (تراجم ، ص ١٦٢) . والحقيقة انه رغم ان ابن عبدوس - مثل ابن سحنون - كان من تلاميذ سحنون الا انه كان يهتم فتح فقهه بالمعنى والرأى والاستنباط أكثر من اهتمامه بجلالته ومعرفة الرجال ، وهو الموضوع الشكلى الذى كان يهتم به ابن سحنون كثيرا (تراجم ، ص ١٩١) .

(٣٤٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٦ - هذا وسيعود عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي الى القضاء مرة ثانية سنة ٢٦٧ هـ / ٨٨٠ م ، بعد عزل سليمان بن عمران للمرة الثانية . على عهد ابراهيم بن أحمد بن محمد كسا ياقى . وسنكون وفاة سليمان فى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م (ابن عذارى ج ١ ص ١١٩) . اما عن ابن طالب فسيتحوّل للمرة الثانية سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ، ويموت مسووما بتدبير الأمير (ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢١ ، وانظر فيما بعد ص ١٢٤ - ١٣٠) .

(٣٤٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٦ .

والعقبة ، والذي كان قد نورد عنه في السك والرهح حتى قيل انه صلى الصبح
بدره العمة ثلاثين سنة . بصعيا وهو طالب يدرس بصعيا وهو مكتب
على العادة (٣٤٧) . وكان ابن عبدوس متواصعا في مجلس العلم ، راثلا من
صدر فراشه . حتى لا يعرف انه صاحب المجلس (٣٤٨) . كما كان يتحشم
في صلاته حتى يسقط الرحل من يصور حلقه مفتشيا عليه (٣٤٩) . وكان
سحون قد استكتب ابن عبدوس في جيلة من استكتبهم في القضاء فعبد الله
يكشف الشهود فانكر انبياء مما يحري في الديوان ، فاعتزل الكتابة حتى قيل
انه هرب الى سوسة (٣٥٠) . وعلى الحملة ، فقد قيل فيه أخيرا ، وليس هذا
بعريب ، انه كان مسحاب الدعاء (٣٥١) .

وبناء على ما تقدم فاذا كانت علاقة محمد بن سحنون ، وهو الذي تم
يكى له شيء من نسك ابن عبدوس وعبادته ، لم تكن دائما على ما يرام بالأمير
محمد أبي الفرائيق ، فانه يكون من المقبول جدا ألا تكون علاقة الأمير ، الذي
وهب حياته في أواخر سنوات حكمه للهو والطرب والصيد (٣٥٢) ، عسل
ما يرام مع الزاهد الكبير ابن عبدوس .

وفاة أبي الفرائيق :

نهاية تفسه للنسب الالهي وسط اقطاب الدين والنسك :

وهكذا تقول الرواية أن ابن عبدوس دعا على أبي الفرائيق ، واستجيب
دعوة الرجل الصالح ، فوقع الأمير الذي كان اللهو والشراب قد أنهك فواه
بريسة المرض . وكان مرضه من الشدة بحيث أقعده لفترة طويلة طريح
الفراس ، حتى انه لقب في أواخر أيامه بـ « الميت » ، كما كان يشفع عليه
بالموت في كثير من الأيام (٣٥٣) .

(٢٤٧) تراجم أعلية ، ص ١٩٣ ، وقارن المالكي ، ج ١ ص ٣٦٠ - ٣٦١ (حيث النهر
على أن المدة ٢٨ سنة) .

(٢٤٨) المالكي ، ج ١ ص ٣٦١ ، تراجم أعلية ، ص ١٩٣ .

(٢٤٩) تراجم أعلية ، ص ١٩٤ .

(٢٥٠) تراجم أعلية ص ١٩٤ .

(٢٥١) تراجم أعلية ، ص ١٩٠ .

(٢٥٢) وفي ذلك تقول الرواية انه غلب عليه الشراب حتى انه سكر مرة ، وهو بمدينة
الثراطين سوسة ، وركب البحر حتى صاد الى جزيرة قوصرة ، ثم انه احترف وهو خائف بد
أن ذهب منه السكر . أطر الويري ، ج ٢٢ ص ١١٧ .

(٢٥٣) الويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٦ - ١١٧ ب ، تراجم أعلية ، ص ١٩٠ .

- ١١٣ -

ملك كانت نهاية أبي الغرائيق الذي أنهك ، خلال حكمه الذي استمر حوالي عشر سنوات ونصف السنة ، والذي عاصر خلافة كل من : المستعين والمعز والمهتدي والمعتمد من خلفاء بغداد ، في العبث والشراب . كما أنه يدد أموال الدولة قبل أن يموت في ٦ من جمادى الأولى سنة ٢٦١ هـ / ١٦ فبراير ٨٧٥ م ، وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، حتى لم يجد أخوته ، ومنهم إبراهيم الذي خلفه ، في بيت المال شيئاً يذكر (٣٥٤) .

أبو اسحق إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب :
٢٦١ - ٢٨٩ هـ / ٨٧٥ - ٩٠٢ م :

ولايته : تنحية أبي عقال بن أبي الغرائيق :

كان أبو الغرائيق محمد قد عهد لابنه الطفل أبي عقال بالملك من بعده ، على أن يكون إبراهيم : عمه ، الذي كان والياً على القيروان ، وصياً عليه أو نائباً لملكه ، كما يقال ، إلى أن يبلغ الأمير الطفل سن الرشد . ولكي يتأكد ، وهو في فراش المرض ، ويموت مرتاح البال إلى أن إبراهيم أخاه سيغني لابنه الطفل ، جعل إبراهيم يحلف خمسين يميناً في جامع عقبة المبارك بالقيروان بأن يفي لولي العهد الصغير وآلا ينازعه في ملكه ، وذلك في حضرة مشايخ الأسرة من بني الأغلب ، وأمام قضاة القيروان وفقائها من أهل الحل والعقد (٣٥٥) . ولكنه ما أن توفي أبو الغرائيق حتى قام أهل القيروان إلى واليهم إبراهيم ، الذي عرفوه حسن السيرة ، وطلبوا إليه أن يتولى الإمارة .

وقيما يتعلق بالحنث في الأيمان التي حلفها ، فقد حللوها عن طريق : أنهم كارهون لامارة الطفل ، وأنهم المستولون عن منعه من الإمارة ، إذ أنه ليس له بيعة في أعناقهم . ومع كل ذلك فلقد طمانوه بأنه لن ينازع ولي العهد الطفل ولن يدخل قصره ، بل أنه سيحكم من داره هو : الموجودة في المدينة الملكية المعروفة بالقصر القديم .

= والذي يلهم من الرواية أن مرض أبي الغرائيق هو الذي لئبت أنه ابن عيوس مستجاب الدعوة .

(٣٥٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٤ ، ابن الخطيب أصال الأعلام ، قسم ٣ ص ٢٦ .

(٣٥٥) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ ، ج ٧ ص ٢٨٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٦٦ ، بن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

وهكذا وافق إبراهيم على أن يلى عرش افريقية ، وسار مع أهل ا
الى القصر القديم . ولكن الأمر تطلب محاربة الحرس الاميرى هناك حتى
إبراهيم داره . وفيها بايعه مشايخ أهل القيروان ثم وجوه أهل افريقية
بايعه جماعة بى الأغلب (٣٥٦) .

عهد الاستبداد ، ذروة العصر الأغلبى :

أمير نموذج لملوك الأغالبة :

وهكذا آلت اماره الدولة الأغلبية الى إبراهيم بن أحمد الذى حكم
من ٢٨ (ثمانية وعشرين) عاما ونصف ، وهى أطول عهود كل ملوك
فى افريقية . ولقد وصلتنا رواية الرقيق التفصيلية عن عهد الأمير ابر
وهى الرواية التى ينقلها النويرى بحذافيرها فى نهاية الأرب ، وتكون
رواية ابن عذارى ومن نقل عنه . ومنها يتضح لنا أن عهد إبراهيم
يشكل طبيعة الحكم الأغلبى على وجه العموم ، بما فيه من حسنات وسي

فإبراهيم بن أحمد له حسناته الكثيرة من كف الظلم ونشر ال
وله سيئاته التى لا تغنر من أعمال العنف التى وصل الى سفك الد
الأسباب ، وربما لغير سبب ، والتى لم يسلم منها خديم الأمير وقر
وأهله ، من : بنى عمومته وأخوته وحتى أبنائه وبناته . أما عن سياسة
العامة : فالحرب فى صقلية تزايد ظفرا من سنة الى أخرى وفيها يتم
سرقوسة وطبرمين . والأعمال العمرانية ، من : بناء المدن والمحارس
سيرا حثيثا ، كما هو الحال فى عصور الازدهار ، ولا يعسر قل م
الاضطرابات المعتادة فى أقاليم : طرابلس ، وتونس ، وبلاد الزاب
نجاح الأمير فى قمعها ، وإن كان بشئ من العنف والقسوة .

ولا بأس من أن تكون نظرة ابن الأثير الاجمالية لعهد الأمير ا
ابن أحمد - رغم أن مؤرخنا الكبير كان يعرف رواية الرقيق - هو
جعلته يركز على حسناته ، دون مساوئ أفعاله . فإبراهيم بن أحمد
خطر ابن الأثير ، كان عادلا حازما فى أموره : أمن البلاد ، وقتل أهل
والفساد . وكان يجلس للعدل فى جامع القيروان ، يوم الخميس والا

(٣٥٦) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ - ١١٧ ب . بن عذارى ، ج ١ ص
ابن الخطيب ، احوال الاعلام ، قسم ٢ ، ص ٢٧ .

كل أسرع ، يسمع شكوى الخصوم ، ويصبر عليهم ، وينصف بينهم (٣٥٧) .
أما عن مساوي أفعاله التي ذكرها الرقيق ، فإنها لم تلق أدنا صافية.
من ابن الأثير فأسقطها من روايته ، على أنها ظالمة أو غير واقعية - حسبما رأى.
المؤرخ الكبير ، كما نظن . ولو أن افتراضنا هذا لا يمنع من أن تكون المعلومات.
المشينة قد سقطت من نساخ ابن الأثير - فهي ، كما يروها النويري مقسمة.
إلى نوعين وضعهما تحت عنواني :

١ - ومن مساوي أفعاله .

٢ - ومن قبيح أفعاله .

ومن ذلك : « أنه أسرف في سفك دماء أصحابه وحجابه ، حتى يقال.
انه افتقد متديلا كان يسمح به فمه من شرب النبيذ ، وكان قد سقط من يد
بعض جواريه فأصابه خادم ققتله ، وقتل بسببه ثلاثمائة خادم » . ويعلق.
على ذلك الراوي ، فيقول : « وهذا غاية في الجور ونهاية في الظلم » (٣٥٨) .
أما ابن خلدون الذي أخذ برواية ابن الأثير التي تنتهي على إبراهيم فالظاهر
أنه عاد يلتبس له العذر بالمرض العقلي بعد أن أورد رواية الرقيق ، فقال :
« انه أصابه آخر عمره مالم يخوليا أسرف بسببها في القتل ٠٠٠ (٣٥٩) » .

(٣٥٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ . ج ٧ ص ٢٨٤ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢) ،
وقانون رواية الرقيق في النويري ، المخطوط ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - ١٢٣ أ ، حيث يقول انه
كان نصف الملوك للرعية لا يرد عنه متظلم يأتيه ، وكان يجلس بعد صلاة الجمعة ، وينادي
مناديه : من له مظلمة ! فربما لم يأت أحد لكف بعض الناس من بعض . هنا ، وكان يقع
أصحاب الأقدار والأغنياء عن الظلم ، ويعمل على إصناف الرعية « فهم مادة الملك » ، ويبالغ
في حقبة أهل بيته وولده إذا طلبوا . وهو ينصف المتظلمين حتى من والدته ، كما سنرى .
(٣٥٨) نهاية الأرب ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ ب - ١٢٤ أ - ١٢٤ ب . وكضيف
الرواية إلى ذلك أنه قتل ابنه أبا الألب لظن ظنه به . وقتل ثمانية من اخوته ، وأنه قتل
بناته اللاتي ربيجن أمه خلية منه - وفي قبيح أعماله يذكر له كلفه بالأحداث ، وأنه كان له
في بعض قصوره منهم نيف وستون حدثا ، وأنه قتلهم لأمور سادته منهم . بل ويبلغ الحد إلى
طرحهم في النار أو إغراق بيت الحمام الساخن عليهم . وأنه كان يقتل بأنواع أخرى من
العذاب ، مثل : الخنق أو البناء على من يريد قتله حتى يموت جوعا وعطشا . وغير ذلك مما
أضرب ابن الأثير عن الإشارة إليه . وانظر ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٩ وما
سدهما . حيث يضيف ابن الخطيب تعليقا له ، يقول فيه : « اللهم لا ترحمه » وتضاعف عليه
سخطك وهذاك الذي لا يقبه وشاك ولا كمنحه رحمتك » .

(٣٥٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ .

أما ابن عذارى فقد قسم سيرة إبراهيم إلى فترة طيبة استمرت لسبع سنوات ، كان فيها حسن السيرة ، تبعثها فترة تغيرت فيها أحواله إلى قرار نهاية حكمه عندما مال إلى الزهد والتسك ، وترك الملك لابنه أبي العباس مؤذرا نفسه للجهاد في صقلية (٣١٠) .

والمهم أنه بعد أن استقر إبراهيم في داره في القصر القديم ، في مواجر قصر ابن أخيه الطفل أبي عقاب ، بدأ حكمه بداية طيبة ، فولى حجابته لمحرم ابن قرهب ، وأمر بانفاذ الكتب إلى العمال والجباة بحسن السيرة في أعمالهم وشدد على ضرورة الرفق بالرعية (٣١١) .

بناء عاصمة جديدة : رقادة :

وأهم ما يميز عهد إبراهيم بن أحمد هو ما قام به من السير على سنن كبار الحكام من منشئى الدول ، وذلك باتخاذ عاصمة جسيديدة ، غير القصر القديم ، وهي المدينة التي كان قد بناها إبراهيم بن الأغلب مؤسس الأسر وسماها بـ « العباسية » . ففي سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م بدأ إبراهيم بن أحمد في بناء مدينة رقادة ، على ٤ (أربعة) أميال من القيروان ، والتي أصبحت إحدى ضواحي مدينة عقبة ، مثلها في ذلك مثل القصر القديم .

أما عن التسمية « رقادة » ، فقد قيل أنها نسبة إلى الرقاد أى النوم وذلك لطيب مناخ المنطقة التي أختيرت للبناء (٣٦٢) . وخططت المدينة بحية

(٣١٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٢ .

(٣١١) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ب ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣

ص ٢٩ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٤ .

(٣١٢) وفي ذلك قيل إن الأمير إبراهيم خرج يتجول خارج القيروان إلى أن وصل منطقة رقادة ، فوجد بها جيدة المناخ معتدلة الهواء ، طيبة التربة ، حتى غاله النعاس فيها وكان يشكو من الارق - فلذلك سميت رقادة . هذا ، كما قيل إن من دخلها لم يزل ضاحكها بالسرور لنفسه الأسباب . انظر النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ ب ، ك الاستبصار ، ص ١١٦ والهامش ١ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٧ . وقارن اليكزى ص ٢٧ والحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٢ (حيث القصة التي تقول إن الأمير كان قد أصيب بالالامره استحق الطبيب ، بعد أن فشل في علاجه ، بالريافة . فلما وصل إلى المكان قام بوضوح المدينة رقادة) .

هذا ولو أن اليكزى يذكر رواية أخرى : (ص ٢٨) تقول إن الموضع سمي « رقادة » نسبة إلى رقاد جثت قتل قتال ووفجومة الذين قتلوا على القيروان وذلك عندما خرج إليهم

- ١١٧ -

كان دورها ١٤ (أربعة عشر) آف ذراع (٣٦٣) - وبنيت بها القصور العجيبة
ومسجد جامع (٣٦٤) . وكان أول القصور التي بنيت فيها هو القصر المعروف
بالفتح ، الذي تم بناؤه في العام التالي (٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م) ، فانتقل اليه
ابراهيم بن أحمد من القصر القديم (٣٦٥) . وبذلك صارت رقادة العاصمة
الجديدة ، وأصبحت رمزا لدولة ابراهيم الثاني .

واستمرت أعمال ابراهيم في اعمار رقادة من اجراء المياه اليها ،
واغتراس صنوف الثمار الطيبة والرياحين ، وبناء القصور داخل أسوار
المدينة ، مثل : قصر « بغداد » وقصر « المختار » ، حتى صارت رقادة ، قبل
نهاية عهده ، أكبر من القيروان (٣٦٦) . وهكذا ، لم تزل دار ملك بني الأغلب
الى أن هرب عنها زيادة الله أمام أبي عبد الله الشيعي (٣٦٧) .

والى زيادة الله الأخير ينسب انشاء الصهرج الكبير والقصر المواجه له ،
الذين كان من مفاخر رقادة . وكان طول الصهرج ٥٠٠ ذراع وعرضه ٤٠٠
ذراع حتى سمى بالبحر - أما عن القصر العظيم الذي بنى في مواجهته على
أربع طبقات ، وسمى بـ « العروس » (كما عرف بقصر البحر) ، ، فقد أنفق
فيه ٢٣٢ ألف دينار (٣٦٨) ، وكان مضرب المثل في المخامة والأبهة (٣٦٩) .

في الخطاب عبد الأعلى امام الاباضية من طرابلس . وقتلهم . في ذلك الموضع - الذي كان
اذ ذاك منية - قتل ذريعا ، فسيت . رقادة .

(٣٦٣) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ ص ١١٧ ب .

(٣٦٤) الحلة السيرة ج ١ ص ١٧٢ .

(٣٦٥) النويري ، المخطوط . ج ٢ ص ١١٧ ب (حيث تقول الرواية انه انتقل الى رقادة

في سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م) . ابن عذاري . ج ١ ص ١١٧ .

(٣٦٦) الحلة السيرة ج ١ ص ١٧٦ . وانظر البكري الذي يحدد دورها بأكثر من ٢٤

الف ذراع . أي حوالي ١٢ كيلو متر (ص ٢٧) . ولي عمران رقادة يقول حسن حسني

عنه الوعلب أنه كان يوجد في « قصر الصحن » حل مسألة من المدينة « بيت الحكمة » . وأنه

الى جانب المستشفى « السنة » كان لرقادة « دار الطراز » - مثلها مثل الواسم الكبيرة .

كما وجد في طاهرها ميدان واسع هو « الملعب » الذي كانت تجري فيه الغيل ، ويغلبه الجند

لأهم المعرطين . وفي جانب الميدان كان على الميدان (أنظر الوثائق ، قسم ١ ص ٣٦٤ ،

٣٦٧ ، ٣٧٢) .

(٣٦٧) الحلة السيرة . ج ١ ص ١٧٢ .

(٣٦٨) الحلة السيرة . ج ١ ص ١٧٦ .

(٣٦٩) أنظر ليبيا بعد ، ص ١٧٥ .

وفي فخامة قصر العروس هذا ، قيل ان عبيد الله المهدي كان يقول انه واحد من ثلاثة أشياء بافريقية لم ير مثلها في الشرق (٣٧٠) .

وتشير الرواية الى أنه عندما انتقل ابراهيم بن أحمد من القصر القديم الى رقادة ، منع بيع النبيذ بمدينة القيروان ، وأباحه في رقادة (٣٧١) . وبذلك لم تعد رقادة دار الأمير ومسكنه فقط ، بل صارت متنزها له وموضع فرجه حيث كان يأتيه الندماء والمداحون والشعراء (٣٧٢) .

وتوجد بقايا رقادة حاليا على بعد ٥ (خمسة) كيلومترات من بقايا القصر القديم ، أي على بعد ٩ كم جنوب القيروان . ويوجد هناك حوض عظيم مربع الشكل ، له جدران ضخمة ودعامات شبيهة بدعامات مواجل انقيروان ، وأغلب الظن أنه الماجل الذي كان يعرف بالبحر والذي أعطى لقصر العروس اسم « قصر البحر » أما عن القصر نفسه فلم تبق الا بقايا جدران قليلة منه ، وأرضية بعض القاعات المكسوة بالسيفساء المكونة من مكعبات حجرية صغيرة الحجم ، زخرفتها في شكل ضفائر حلزونية . ويشير ج . مارسيه الى أنه يمكن أن يوجد لهذه السيفساء شبيه في بقايا آثار كنائس افريقية في القرنين ٣ ، ٤ م . وهذا يعني أن صانع السيفساء الأغلبية صانع محلي ، وأن الفن كان وطنيا موروثا من اقدم (٣٧٣) .

(٣٧٠) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٦ - ويسكت النص عن ذكر المجيئين الأحراب ، أما البكري (ص ٢٦) فيذكر التين فقط . ماجل القيروان وهذا القصر .
(٣٧١) أنظر البكري ، ص ٢٧ - حيث الاشارة الى شعر بعض الظرفاء بهذه المناسبة .
وفيه يقول .

يا سيد الساس وابن سيدهم ومن اليه القلوب منقاد
ما حرم الشرب في مدينتنا وهو خلال بأرض رقادة

ولان الاستبصار ، ص ١١٦ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٣ .

(٣٧٢) أنظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٣ - حيث الاشارة الى انتجاع الشاعر بكر ابن حماد التاهرتي الأمير ابراهيم ومنحه اياه ، والأمير مصطفى في الجنان مع الحواشي . وفي حقائق رقادة وغروبها التي ألبرت واكل من ثمرها ابراهيم ، تقول الرواية ان القاضي عبد الله ابن طالب عندما سحب الأمير الى تلك الجنان ، طلب منه ان يشكر الله على أنه غرسه وأكل منه ثم طلب منه أن يدفع من الثمر صدقة أهل النعمة (مستشفى القيروان) ، ثم طلب منه أن يرسل الجائرين من عماله وأن يعبد في الرعية - أنظر حس حسي عبد الوهاب ، الورقات .
القسم ١ ص ٣٦٤ (عن رياض الخوس للملك) .

(٣٧٣) أنظر ج . مارسيه ، مختصر الفن الاسلامي (بالفرنسية) ، ص ٤٢ - ٤٤ .

وكان أول الأنباء السعيدة التي تلقاها الأمير إبراهيم الثاني في قصره الجديد هو ببا سقوط مدينة سرقوسة بين أيدي القوات الأغلبية في صقلية في نفس تلك السنة (٣٧٤) ، وستظل أخبار صقلية تشغل الجزء الأكبر من حوليات إبراهيم بن أحمد .

الحكم الصقلية في القصر القديم يحتجون على تغيير العاصمة : وإبراهيم يرد عليهم بالعنف :

وتكن انتقال إبراهيم إلى رقادة لم يتم دون ردود فعل عنيفة لدى موال الأغلبية ، من : الصقلية والخدم في المدينة الملكية القديمة ، ممن ساءم خروج الحكم من القصر القديم الذي نشأوا فيه . والظاهر أن إبراهيم يادر إلى قائد هذا التملل منهم ، وهو فتى يقال له مطروح (ابن أم يادر) فقتله ، مما دعا إلى انتزاع في القصر القديم بين الموال من الجند الأغلبى الصقلية ، فشقوا عصا الطاعة ، وقطعوا طريق السائلة ، فيما بين رقادة والقيروان . ومع أن إبراهيم ترك نسوية هذه المسألة إلى أهل القيروان الذين دافعوا عن مصالحهم ، فخرجوا إلى لقاء موال القصر القديم في أعداد لا تحصى حتى ردعهم وأجبروهم على طلب الأمان ، فإن الأمير كان يضرر للمخالفين أمرا عظيما .

فعندما حان وقت دفع الأرزاق إلى الجند والخدم ، جلس إبراهيم في قصره الجديد المعروف بقصر الفتح في رقادة ، وحصر جميع العبيد والمسواي من القصر القديم ، فكان كلما تقدم رجل منهم نزع منه سيفه وقبض عليه ، حتى تم توقيفهم كلهم . وتقول الرواية أن إبراهيم شتتهم ومزقهم شر ممزق ، فأمر بقتل بعضهم ضربا بالسياط وصلبهم ، كما أمر بحبس عدد منهم في سجن القيروان حتى الموت ، ونفى عددا منهم إلى صقلية (٣٧٥) .

استخدام الجند من السودان :

وكان التخلص من الخدم الصقلية سببا في أن اتجه إبراهيم إلى الاستمالة عنهم بالعبيد من السودان ، فاشترى منهم أعدادا كثيرة ، وأحسن تدريبهم على الجندية ، وكساهم الكساء البديع ، وصار يعتمد عليهم في الحروب ، فظهر منهم شجاعة وجلد وقوة (٣٧٦) .

(٣٧٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ أ ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ، ص ٢٨ .

(٣٧٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ أ .

(٣٧٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ أ ، والنشر فيما بعد ، ص ١٢٢ وما ٤٢٦ .

متاعب خارجية في طرابلس :

مواجهة غير متوقعة بين الأغلبية والطولونيين :

والظاهر أن مذبحة الموالى الصقلية كانت أولى المتاعب التي حلها إبراهيم ابن أحمد بالعتب والقسوة . وأبها كانت أول يشير بتغير احواله الذي أشار إليه الكتاب . أما المتاعب الحقيقية فقد أحدث تهب رياحها عليه اعتسارا من السنة التالية ، وهي سنة ٢٦٥ هـ / ٧٨ - ٨٧٩ م ، وذلك عندما فكر العباس ابن أحمد بن طولون في أن يستعمل عن والده بامارة يقطعها لنفسه في برقة التي كانت تابعة لمصر وقتئذ ، ويضيف إليها ما أمكنه اضافته من طرابلس والأقاليم الشرقية من المملكة الأغلبية . وفي الوقت الذي استقر فيه العباس في برقة أتى القحط العظيم الذي آثم بأفريقية سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٩ م ، ممسا أدى إلى الغلاء المبرط ، فعكر صمو إبراهيم ، حين كان أشد ما يكون حاجة إلى الصعاء .

والظاهر أن العباس بن أحمد بن طولون وجه أنظاره نحو الغرب إذ كان يعمم أن الأمور غير مستقرة في برقة ، التي كانت أعلنت العصيان على الحكم الطولوني منذ حوالي أربع سنوات . وفي سنة ٢٦١ هـ / ٧٤ - ٨٧٥ م تار أهل برقة ، وأخرجوا أميرهم المصري محمد بن العرج الفرغاني . وعندما سير إليهم أحمد بن طولون غلامه المعروف بلؤلؤ ، على رأس قواته ، ناصحا إياه ألا يكون العنف إلا آخر وسيلة يلجأ إليها ، لم تنجح سياسة اللين . واضطر لؤلؤ إلى حصر المدينة ، وضربها بالمجانيق قبل أن تعود إلى أنس الطاعة . مما دعا لؤلؤا إلى الانتقام من زعماء الثورة ، وطبق على بعضهم قابوس المفسدين في الأرض ، وعاد ببعضهم إلى مصر حيث شهر بهم ، بينما حلق بن طولون على قائده المظفر ، وطوق رقبته بطوقين من الذهب (٣٧٧) .

مسير العباس بن أحمد بن طولون إلى برقة :

فالنزى يهمننا إذن - دون البحث في أسباب الحركة الدفينة - أن العباس ابن أحمد بن طولون انتهز فرصة غياب والده في الشام ، وقام بانقلاب ساعده

(٣٧٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٣ . أما في سلخ برقة عن أفريقية وشعبها إلى مصر سنة ١٧٤ هـ / ٧٩١ م ، فانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٧٤ - وهذا ما نهاب عن ابن خلدون الذي يقول أن الطولونيين ملك برقة من يد محمد بن قهراب قائد الأغلب (ج ٤ ص ٢٠٣) .

فيه عدد من كبار القواد (٣٧٨) ، فاستولى على ما كان في بيت المال في مصر .
 مما قدر بثمانمائة حمل من دماير الذهب ، وقوم مليون ومائتي ألف دينار .
 وبقي العباس على وزير والده ، وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب ،
 وساقه معه مقيدا في اتجاه برقة (٣٧٩) ، التي وصل إليها في ثمانمائة
 فارس ، وعشرة آلاف ورجل من السودان ، منهم خمسة آلاف حمل (٣٨٠) ،
 م شهر ربيع الأول سنة ٢٦٥ هـ / نوفمبر ٨٧٨ م (٣٨١) .

ولما كان ابن عذارى يحمل وصول العباس الى برقة في ربيع الآخر من
 سنة ٢٦٧ هـ / نوفمبر ٨٨٠ م ، وذلك في إطار روايته لفتنة ولد ابن طولون
 حين أراد التغلب على إفريقية ، يكون من المقبول أن تكون أحداث الفتنة قد
 امتدت على طول السنتين أو بعضهما (٣٨٢) . فالواضح أن الذي يقصده
 ابن عذارى ليس وصول ولد بن طولون الى برقة ، بل بدء العمليات العسكرية
 ضد الأغالبة في ولاية طرابلس ، مما يعني أن خروج العباس نحو طرابلس
 تم بعد أكثر من سنة من وصوله الى برقة . والواضح من النصوص أنه خلال

(٣٧٨) ابن الأثير . سنة ٣٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ . وأسطر ابن تقي يردى ، النجوم ،
 سنة ٦٦٥ هـ ، ج ٣ ص ٤٠ . ولريد من التصيلات أنظر الكندي ، الولاة والقضاة ، ط١ ، ج١ ،
 بيروت ١٩٠٨ ، (أحدا حصة ٣٦٥ هـ) ص ٢٢٠ - ٢٢١ .

(٣٧٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨١) ابن الأثير ، سنة ٣٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، النوري ، المخطوط ، ج ٢٢
 ص ١١٨ ، ابن تقي يردى ، سنة ٣٦٥ هـ ، ج ٣ ص ٤٠ . وقارن الكندي ، الولاة والقضاة ،
 ص ٢٢١ (حيث تقول الرواية أن خروج العباس الى الجزيرة كان في ٨ شعبان سنة ٣٦٥ هـ ،
 وكان عودة أحمد بن طولون من الشام الى القسطنطينية كان في شهر رمضان التالي من نفس السنة -
 وهو الأمر الذي يستحق إعادة النظر ، خاصة وأن خروج أحمد بن طولون الى الشام كان في
 شعبان من سنة ٣٦٤ هـ (ص ٢٦٩) .

(٣٨٢) والذي يراه هو أن ابن عذارى (ج ١ ص ١١٨) يتناول الأحداث جميعا ويجهلها
 تدور في نفس سنة ٣٦٧ هـ ، من : خروج ولد بن طولون من مصر واستقراره في برقة ، وخروجه
 الى طرابلس على حمل ، قبل أن يعود والده من الشام ، وقبل أن يستعد إبراهيم بن أحمد
 لتخليده . وهو الأمر الذي وإن بدا غير طبيعي ، فهو لا يختلف كثيرا عن رواية كسل من
 ابن الأثير والنوري وابن تقي يردى الذين يجهلون الأحداث تدور أيضا كلها في سنة ٣٦٥ هـ /
 ٨٧٨ م . ولم أن ابن الأثير يصرح أن عملية العباس انتهت تماما في سنة ٣٦٨ هـ / ٨٨٢ م
 (الكامل سنة ٣٦٥ هـ ج ٧ ص ٢٢٥) وأنظر ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٣) الذي يجهل خروج
 العباس في سنة ١٦٥ هـ والمفارقة في سنة ١٦٧ هـ . وهكذا يكون التوفيق بين الروايتين
 أمرا متشابها .

تلك الفترة كان أحمد بن طولون قد عاد من الشام الى مصر ، وأرسل الى أبيه العباس يدعوه ، بل ويستعطفه من أجل العودة الى بلده . ولكن حشية من كان مع العباس من القواد من العقاب (٣٨٣) اذا عادوا ، جعلوه لا يستجيب الى طلب والده ، بل وجعئوه يتمادى في تطلعه أكثر فأكثر نحو العرب . اما من أجل تكوين اشارة معقولة بصم طرابلس الغنية الى برقة ، واما من أجل انبعد عن يد والده القوى ، الذي قد لا نكون برقة بعيدة عن مناله (٣٨٤) ، كما حدث في تجربة برقة سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م .

العباس يتصل بالقبائل في طرابلس وإفريقية :

هكذا يكون العباس قد استقر في برقة لمدة عام وأكثر ، وهو ينظر في خير وسيلة لدخول طرابلس ، بل وإفريقية أيضا . فأخذ يكتب رؤساء القبائل هناك من البربر ، حسبما تقول رواية ابن الأثير (٣٨٥) . ولا كان هؤلاء يقفون موقف المعارضة من الدولة الأغلبية لأن كسيرا منهم كانوا من الإباضية ، فقد استجاب له بعضهم ، وامتنع بعضهم منه . وتقول رواية ابن الأثير ، أكثر من ذلك ، ان العباس الطولوني أراد أن يفرز بإبراهيم ابن أحمد ، فكتب اليه يقول : « ان أمير المؤمنين قد قلدي أمر إفريقية وأعمالها » (٣٨٦) ، وهو الأمر المستغرب (٣٨٧) .

(٣٨٣) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، وانظر الكندي ، الولاية والقضاء ، ٢٢٠ .

(٣٨٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٨ ، وانظر الكندي ، الولاية ، ص ٢٢٢ (حيث نرى ان العباس رأى أن إفريقية أمتع له من برقة) .

(٣٨٥) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ - وهو الأمر الذي تنكره رواية ابن عذاري (ص ١١٨) عندما تقول ان العباس لم يقبل نصيحة أبي عبد الله أحمد بن محمد الكاتب ، ر والده ، بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصاح البربر .

(٣٨٦) ابن الأثير ، أحداث سنة ٢٦٥ هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، وقارن الكندي ، ص ٢٢٢ (حيث نرى الرواية ان العباس كتب الى إبراهيم بن أحمد : « ان كتاب المعتد ورد عليه بتقليده إفريقية يأمره بالدعاء له بها ، ويخبره انه سائر اليه » .

(٣٨٧) المعروف ان الغلبة العباسي المعتد لم يهدد إبراهيم بن أحمد بالخلع الا فيما بعد سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، كما سترى فيما بعد . مما يبدو الى الظن أنه ربما كان في الأمر خلط من بعض الكتاب ، الا اذا كان العباس بن أحمد بن طولون كان على دواية بسوء سيرة إبراهيم بن أحمد في ذلك الوقت المبكر ، أو بغلاطات بين أفراد الأسرة الأغلبية تربت على الدور بأبن أخيه أبي قتال ، أو بسبب لتكته نالوا من السقلبية ، كما رأينا .

ابراهيم يبعث قائده ابن قهره بن طرابلس :

ولهم أن استجابة عدد من زعماء البربر في أقاليم افريقية الشرقية شجع العباس على السير نحو بلدة شرق طرابلس . وعندما وصل الى ابراهيم ابن أحمد خبر مسيرة العباس هذه أسرع بإخراج قائده أحمد بن قهره - أحي الحاجب محمد بن قهره - في ١٦٠٠ (ألف وستمائة) فارس خيلا مجردة لا رجل فيها ، كما تقول رواية ابن عذارى ، وأمره بالأسراع ليلا نحو طرابلس التي دخلها فعلا قبل وصول العباس الى بلدة (٣٨٨) . وفي طرابلس عمل ابن قهره على حشد ما أمكنه حشده من جند طرابلس ، ومن بربر المنطقة المجاورين ، وأسرع نحو بلدة فدخلها قبل أن تصلها مقدمة القوات الطولونية (٣٨٩) .

اللقاء بين الأغالبة والطولونيين في وادي ورداسة :

وخرج بن قهره بفرسانه من بلدة متجها نحو الشرق حيث بدت له ملاح العباس بن أحمد بن طولون على بعد ١٥ (خمسة عشر) ميلا من بلدة ، في موضع يعرف عند الرقيق بوادي ورداسة (٣٩٠) . ومع أن العباس لم يزحف نحو بلدة إلا ب ٨٠٠ (ثمانمائة) فارس فقط ، يتبعهم ٥٠٠٠ (خمسة آلاف) راجل ، من السودان ، فإن الحدة التي قام بها عندما جعل نصف سودانة الآخرين ، وهم ٥ (خمسة) آلاف رجل يركبون الجمال ، وهم يحملون البتود التي صنعها في برقة ، ويزحفون وراء القطعة الرئيسية من الجيش ، أصبحت في تحقيق ما كان يهدف اليه .

فقد فزع ابن قهره بعد مناوشة يسيرة ، وانهزم نحو طرابلس ، وهو يظن أن من بدأ بقتالهم لم يكونوا الا مقدمه الجيش المصري الرهيب (٣٩١) .

الطولونيون يدخلون بلدة ويحاصرون طرابلس ، وقيام أباضية نفوسة ضدهم :

وبذلك استمر العباس في مسيرته نحو افريقية ، وفتح حصن بلدة ابوابه له دون قتال في جمادى الأولى سنة ٢٦٦ هـ/ديسمبر ٨٧٩ - يناير

(٣٨٨) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٨٩) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٩٠) النويري . المخطوط ج ٢٢ ص ١١٨ ، ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

(٣٩١) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٨ .

٨٨٠ م ركن رجاله أساءوا معاملة أهل لبدة أسوأ المعاملة وبهيوهم (٣٩٢) .

وفي لبدة تتبع العباس المهرمين من جند ابن قريش إلى طرابلس ، فسرلها وضرب عليها الحصار ، ونصب حولها المحانيق ، وبدأ يصيق عليها الحشاق لمدة فربت من شهر ونصف سهر . وكان السودا من رجاله يغيرون في هذه الأثناء على أهل البوادي في أطراف المدينة ويسبون معاملتهم ، حتى قيل أنهم اعتدوا على الحرم وهكوا السنن ، مما أثار بربر نفوسه الاباضية ، القاطنين في منطقة الجبل المعروف بهذا الاسم جنوبي مدينة طرابلس ، وكان رعيهم وقتئذ هو أبو منصور الياس بن منصور النفوسي (٣٩٣) .

هذا ولا بأس في أن يكون من أسباب الصدام بين الامير الطولوني والرعي النفوسي ، هو عدم اذعان هذا الأخير لما طلبه منه العباس من الدخول في طاعته ، والقدوم عليه ، مع تهديده بوطه بلده بالحيل والرجال ان لم يفعل . فهذا ما تقوله الرواية التي ينقلها الباروني عن ابن سعيد في تاريخه « الدر المكنون » (٣٩٤) . والمهم أنه رغم أن اباضية جبل نفوسة كانوا لا يعترفون بسلطان الملكة الأغلبية ، اذ كانوا مستقلين بجبلهم ، وهم في نفس الوقت يعترفون بإمامة الرستميين في تاهرت ، مثلهم في ذلك مثل بربر اقليم الزاب الدائم الثورة على الأغلبية ، فقد غضب الياس بن منصور لما نزل بجيرانه أهل طرابلس الذين استغاثوا به ، وقام محتسبا ، كما يقول ابن عذاري ، في سبيل الله على رأس ١٢ (اثني عشر) ألف رجل من النفوسيين ، زحف بهم نحو العباس (٣٩٥) .

انسحاب غير منظم للقوات الطولونية أمام الاباضية :

وهكذا ، بينما الحرب محتدمة حول تحصينات طرابلس بين الجنود الطولوني والجنود الأغلبية ، اذ بالعباس بن أحمد بن طولون يعاجأ بالاباضية من بربر نفوسة ، يقودهم الياس بن منصور . وكان من الطبيعي أن يسقط

(٣٩٢) ابن الأثير ، سنة ٢٦٥ ، هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، النويري ، المخطوط ، ج ١٢ ص ١١٨ ، وانظر الكندي ، ص ٢٢٢ (حيث النص على التاريخ المذكور) .

(٣٩٣) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٩ ، الذي يسمي النفوس بأبي منصور فقط .

وأي الأثير ، سنة ٢٦٥ ، هـ ، ج ٧ ص ٣٢٤ ، والكندي ، ص ٢٢٢ .

(٣٩٤) أنظر الأعلام الرياضية ، قسم ٢ ، ص ٢٥٧ ، ص ٢٥٨ - حيث رد أبي منصور

العنيف على السياسي الذي يختار بمثابة إعلان للحرب على الأمير الطولوني .

(٣٩٥) البيان ، ج ١ ص ١١٩ .

- ١٢٥ -

في يده اد وقع بين سندان أسوار طرابلس وبين مطرقة محتسب نفوسة (٣٩٦) -
 واستمر لهيب الحرب ، والعباس يحاول أن يشق طريق العودة الى برقة -
 حتى اضطر أن يحارب يده ، بينما كان رجاله يتساقطون حوله - وبذلك
 انقلب الانسحاب الى هزيمة قبيحة كاد العباس أن يؤسر فيها ، لولا أن خلصه
 بعض مواليه من السودان (٣٩٧) -

الأموال المصرية تسد فراغا في خزانة ابراهيم :

في هذه الظروف الصعبة خلص العباس بفلول قواته بصعوبة الى برقة -
 ولكن بعد أن تركوا ما كان في معسكرهم من الأموال والمتاد نهبا لأهل
 طرابلس وحدهم - وذلك أن اباضية نفوسة تورعوا عن أخذ شيء منه (٣٩٨) -

وفي تلك الاثناء كان ابراهيم بن أحمد يحاول حشد جند افريقية في
 القيروان ، ولما كانت خزانته خاوية ، فانه اضطر الى أن يضرب حل نساته
 دبابر ودراهم ، وزعها على العسكر - وعندما خرج على رأس قواته يريد نجدة
 رجاله في طرابلس ، آتاه خبر هزيمة ولد ابن طولون ، وهو على الطريق في
 نابس ، من ابن قرهف نفسه الذي أراد أن يشره بالفتح (٣٩٩) ، وما أخذ من

(٣٩٦) أنظر ابن عسوى ، ج ١ ص ١١٩ - الذي يقول ان العباس عندما سأل وزير والده
 ابا عبد الله الكاتب : ما الرأي ؟ قال له : بيرقة خلقت - وهو يقصد بذلك نصيحة أبي عبد الله
 الكاتب له بأن يؤخر التقدم الى طرابلس حتى يصانع البربر ، وهي النصيحة التي لم يقبلها
 وله ابن طولون اذ كان يظن انه يستطيع شراء زعماء البربر ما كان معه من الأموال (وأنظر
 أيضا ص ١١٨) -

(٣٩٧) ابن الأثير - سنة ٣٦٥ هـ - ج ٧ ص ٢٢٤ ، وأنظر الكندي - ص ٢٢٣ (حيث
 الإشارة الى ما قاله العباس في تلك المناسبة من أشعار الحسانه ، ومنها :

لو كنت شاحنة كسرى بلبنة اذ

بأنسيف أصرب والهجمات تبتلذ

اذا لمأينت مني ما تنالوه

عني الأحاديث والأنبياء والخبر

ولو أن الكندي يتبع ذلك بقوله : وقتل يومئذ ستاديه عسكره ووجوه أصحابه وحماته -

رببت أمواله وسلاحه - ورجع هاديا الى برقة في شر وإخلال) -

(٣٩٨) ابن عسوى ، ج ١ ص ١١٩ - أما عن العباس ، فقد اغتم والده لانياء هريشة
 وضياع ما كان معه من الأموال ، فلما علم بنتجائه أرسل اليه جيشا قاتله في برقة ، وأسر
 به عمارق شقيقة ، ثم عاد به الى والده الذي انتقم من القواد الذين كانوا معه ، كما حسبه
 هو بعد أن ضربه بالقلع ، في بطنه قصوره (أنظر ابن الأثير - سنة ٣٦٥ هـ) - وذلك في
 سنة ٣٦٨ هـ / ٨٨١ م - ولزيد من التفاصيل أنظر الكندي ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ (حيث النص
 على قطع يدى العباس ورجليه) -

(٣٩٩) النويري - المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ -

- ١٢٦ -

الأموال . وهما لم يكن لإبراهيم من هم إلا البحث عن الأموال المصرية التي انتهبها رجاله ، حتى « كان الرجل من أهل العسكر يبيع ماقيل أس طوحو سرا بما أمكنه ، خوفا من أن تؤخذ منه » (٤٠١) .

والظاهر أن قلة الأموال في خزانة إبراهيم ، مما اضطره الى استخدام حلي سائته التي كانت تعتبر وقتئذ أشبه باحتياطي الأمير - كما نقول الآن - لم تكن نتيجة لتبديد أبي الغرايق الأموال ، كما يريد ابن عذارى ، فالأمير المتهم كان قد توفي منذ أكثر من خمس سنوات طوال ، استطاع خلالها أخوه إبراهيم جمع الأموال وبناء القصور في رقادة . والحقيقة أن قلة الأموال لا يفسرها إلا القحط العظيم الذي يسجله ابن عذارى نفسه في حواريته . في سنة ٢٦٦ هـ / ٧٩ - ٨٨٠ م السابقة ، والذي عاد قاسيا في السنة التالية ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م ، حتى بلغ فقير القمح الذي يعادل مقدار أردب وربع بالمصري ، كما يقول المويرى ، ثمانية دنانير ، حتى هلك الناس وأكلوا بعضهم بعضا (٤٠١) .

المجاعة والاضطرابات الداخلية سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م :
وأغلب انظر أن المجاعة التي ألمت بالبلاد في سنة ٢٦٨ هـ كانت سببا في كوارث أخرى ، كان على أهل كثير من المناطق تحمل عيبتها أيضا . فالتأخر أن الشدة جعلت قبائل اقليم الراب يستمعون عن دفع ما عليهم من الأموال . ورغم المساعدة التي قدمها اخوانهم اياضية نفوسة في العام السابق للجنود الأغلبى في طرابلس ضد عسكر ولد ابن طولون - والتي ربما كانت سببا فيما قدمه إبراهيم لرؤسائهم من الاحسان عندما قدموا عليه في القيروان - فقد خنتك بهم إبراهيم بن أحمد فتكا ذريعا ، ولم يستثن أطفالهم من القتل ، حتى كانوا يحملون على العجل الى الحفر ويلقون فيها (٤٠٢) .

وؤذاجة في باجة :

وتقول الروايات أن قبائل وؤذاجة في اقليم باجة غضبت (في نفس السنة) ، ومنعوا ما كانوا يدفعونه للأمير من الأموال (الصدقات) ، وعندما قاتلهم الوالى ، وهو الحسن بن سفيان من أجل ذلك ، هزموه هزيمة منكرة ،

(٤٠٠) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١١٩ .

(٤٠١) المويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ - ١٨ ب ١ .

(٤٠٢) ابن الأثير سنة ٢٦٨ هـ ج ٧ ص ٣٧٠ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٩ .

اد رده حتى أبواب باجة نفسها . وهما أرسل ابراهيم بن أسد اليهم قائده
الحاجب محمد بن قهرم بالجيش . واعتصم ابن قهرم ببعض الجبال المشرفة
على منطقة وزداجة واسمه المشار ، حتى اتخذ له معسكرا حصينا ، كان
يرسل منه الخيل صباحا ومساء ضد الوزداجيين ، الى أن انتهى الأمر بأن
أعلنوا طاعتهم ، ودفعوا اليه برهائهم (٤٠٣) .

هواره (ما بين العصيان والطاعة) :

وقامت قبائل هواره هي الأخرى بالعصيان فعانت في البلاد وقطعت
السبل ، فسير اليهم ابراهيم حاجبه ابن قهرم الذي بدأ باستخدام السبيل
معهم ، فعرض عليهم الرجوع الى الطاعة في نظير الأمان ، ولكنهم أبوا . وعندئذ
هاجمهم ، فلما انهزموا استباح ديارهم : فنهب العسكر منازلهم وأحرقوها
بالنار ، قبل أن يعودوا الى القيروان . وعندئذ عادت هواره تطلب الأمان ،
وركبت الى الطاعة (٤٠٤) .

لواتة في باجة :

وفي نفس سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م عادت المنطقة المجاورة لباجة الى
الاضطراب بفضل قبائل لواتة التي احتشدت بأجمعها ، وحاصرت مدينة
قرنة لعدة أيام قبل أن يدخلوها وينهبوا ما فيها . ومن هناك مضوا الى منطقة
باجة نفسها وقصر الافريقي ، وهم بنشرون الفزع والعوضي . وعندما أخرج
اليهم الأمير ابراهيم حاجبه محمد بن قهرم ، جانب الظفر هذه المرة . فلقد
انهزم الجند القيرواني أمام اللواتيين بل أن ابن قهرم نفسه كبا به فرسه
حتى لحقه خصومه وقتلوه ، دون أن يحاول تخليصه من كان معه من أصحابه
الذين ظفروا من الهزيمة بالهرب ، وذلك في شهر ذى الحجة سنة ٢٦٨ هـ /
يونيه - يوليه ٨٨٢ م .

وعز على ابراهيم ما نزل بابن قهرم ، وعزم على النار له فأمر بحشد
جيش عظيم من الجند والأنصار والموالي ، وسيرهم في السنة التالية (٢٦٩ هـ /
٨٢ - ٨٨٣ م) تحت قيادة ابنه أبي العباس عبد الله . وعندما رأت قبائل
لواتة أنه لا قبل لها بذلك الجيش الكبير انهزموا أمامهم في اتجاه باجة ، ولكنه

(٤٠٣) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ ب .

(٤٠٤) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ ب .

لحق ببعضهم هناك ، وقتلهم قتلا دريما ، بينما نجت الناجون منهم في كل ناحية (٤٩) .

السلام لمدة خمس سنوات تنتهى باصلاح مال :

ومنذ سنة ٢٦٩ هـ / ٨٢ - ٨٨٣ م استقرت الأمور في المملكة لابراهيم فلا جد ذكرا الا لحروب صقلية المظفرة أو وفاة عالم أو زاهد أو قاض ، أو حصل رجل من رجال الدولة أو نكبة تحمل به ، وذلك لمدة خمس سنوات أو أكثر (٤٠٦) . ففي سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨ - ٨٨٩ م ، عندما قرر ابراهيم بن أحمد القيام باصلاح مال لقي معارضة قوية من أهل القيروان ، كما حدث على أيام عبد الله بن ابراهيم بن الأعلب ، انتهت باضطراب وقتال بينهم وبين الأمير .

درهم الفضة وحلة التعامل الصغرى ، وثورة صفار التجار في القيروان :

فلقد قرر ابراهيم بن أحمد إلغاء قطع النقود الصغيرة التي اعتاد التعامل بها أهل القيروان ، وقرر التعامل بدلا منها بالدرهم الصحاح من الفضة (٤٠٧) . وكان من الطبيعي أن يحدث ذلك التغيير بعض المتاعب في التعامل في الأسواق ، فأنكرت العامة في القيروان ذلك الاجراء وأغلقت حوانيتهم ، واجتمعوا سويا في تظاهرة كبيرة سارت الى رقادة ، حيث شغبت ضد الأمير الذي أمر الحرس بتطويقهم ثم حبسهم في الجامع . وعندما علم أهل القيروان بذلك تجمعوا خارج باب المدينة ، وأظهروا معارضتهم لابراهيم الذي وجه اليهم وزيره أبا عبد الله بن أبي اسحق ، فتلقوه بالسباب وبالحجارة . وعندئذ ركب ابراهيم بن أحمد بنفسه الى القيروان ، وبصحبته حاجبه الجديد نصر ابن المصصامة في جماعة من الجنود ، فاعترضه القيروانيون ، وناصبوه القتال على قدر ما تسمح به طاقتهم .

(٤٠٥) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٨ ب - ١١٩ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤

ص ٢٠٣ .

(٤٠٦) أنظر ابن خلدون ، ج ١ ص ١٢٠ وما بعدها (حواشي ٢٦٩ - ٢٨٤ هـ) .

(٤٠٧) أغلب الظن أن المقصود بقطع النقود الصغيرة هنا ليس بالفلوس النحاسية أو ما شابهها بل أجزاء الدرهم الفضية نفسها . إلا لما كان التعامل في النقود حينئذ يتم بالوزن عن طريق الصيارفة ، فكثيرا ما كانت تقطع دراهم الفضة الى أجزاء صغيرة - ربما لنشرة الفلوس - من أنصاف والآلات وأرباع ، لتسهيل عمليات الشراء الصغيرة حتى شاع هذا العرف . وتطلب الأمر ذلك الاصلاح . أنظر حسن حسني عبد الوهاب ، الورقات ، قسم ١ ص ٤٢٢ .

- ٢٩ -

وعلى عكس ما عرف عن إبراهيم من حدة المزاج في مثل هذه الظروف، فإنه قرر أن يعامل القيروانيين بالسياسة والدبلوماسية (مصلح الميديين خارج المدينة)، حيث جلس وأمر جنده بالكسب عن قتال العامة من أهل القيروان. وعندما استقر به المجلس، وهذا الناس، خرج إليه الفقيه الراشد أبو حفص أحمد بن مغيث، ودار بينهما حديث طويل حول موضوع التورود الجديدة، وما تضرر به العامة وضعفاء الناس. والمهم أن تدخل فقيه القيروان وزايعها انتهى بتهدئة الأحوال، إذ دخل الوزير ابن اسحق معه إلى المدينة، واخترقا سباط القيروان، وهو شارعها الكبير، فكانت تلك الجوبة سببا في سكوت أهل القيروان. وبذلك رجع إبراهيم بن أحمد إلى رقادة، وأطلق أهل السوق الذين كانوا محبوسين في الجامع.

استقرار الإصلاح النقدي :

وبذلك تم لإبراهيم إصلاحه المالي فانقطعت النقود والقطع الصيفية من إفريقية إلى وقت صاحب الرواية التي ينقلها ابن عذارى (٤٠٨) وخرب إبراهيم ابن أحمد دنانير ودرهم سماها العشرية، لأنها كانت على النظام العشري المعمول به أيامنا هذه، إذ كان في كل دينار من الذهب عشرة دراهم من النفضة (٤٠٩). وإذا كان ذلك يعني أن الدرهم أصبح قطعة النقود الصغرى، فإنه يعني مستوى مرتفعا للمعيشة في إفريقية على أيام بني الأغلب ابتداء من عهد إبراهيم، ولو أننا نظن أن الدرهم كان تسما هو الآخر إلى عشرة نفوس.

تبدل في مزاج إبراهيم بن أحمد نحو القسوة الدموية، وأثر ذلك على مجريات الأمور :

تصفية رجال الدولة والمقربين بطريقة « سوداوية » :

القاضي :

ولكنه إذا كان الأمير إبراهيم قد ظهر بمظهر المتزن ازاء معارضة القيروانيين لإصلاحه النقدي، فإنه كان قاسيا بغير ضيق ولا وازع عندما عزل

(٤٠٨) ابن عذارى، ج ١ ص ١٢٠ - ١٢١ - حيث يهتم ابن عذارى بالثورة التي قام بها القيروانيون ضد إصلاح النقدي، فإنه كان قاسيا بغير ضيق ولا وازع عندما عزل (٤٠٩) ابن عذارى، ج ١ ص ١٢١ .

قرينة قاضي القيروان عبد الله بن أحمد بن طالب التميمي ، الذي رأيناه من قبل صديقا لـ محمد بن سحنون (٤١٠) ، وحجبه ثم دس له السم في الطعام ومات ابن طالب عقب آكله مباشرة ، وذلك في شهر رجب من نفس سنة ٢٧٥ هـ / ٩ نوفمبر ٨٨٨ م (٤١١) ولقد استقضى إبراهيم بعده محمد بن عبدون ابن أبي ثور ، الذي كان حده طحانا ، كما يقول ابن عذارى ، وكان يتسب اسمه : محمد بن عبد ... عيني (٤١٢) .

الكاتب :

ولقد زاد عتب إبراهيم بن أحمد ، وبانت غلطة قلبه عندما حبس في السنة التالية (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) كاتبه محمد بن حيسون المعروف بابن البريدي ، والذي عرف بأنه كان شاعرا مجيدا . ولقد كتب ابن البريدي الى إبراهيم من السجن خطابا صممه أيبانا رقيقة يستعطفه بها ، فيها يقول :

هبنى أسأت فأبى العفو والكرم اد قادننى نحوك الادعان والندم
يا خير من مدت الأيدي اليه أما ترئى لصب بهاء عندك القلم
بألفت في السخط فاصفح صفح مقتدر إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا

وغضب الأمير الذي كان لا ينكر الشعر ، بل كان يحسن الظن أيضا والنقد ، لأن كاتبه الشاعر اتهم كذب اليه : « هبنى أسأت » ، وكان المفروض فيه أن يعرف أنه أساء فعلا وليس احتمالا . وعلق الأمير الجدير في لشر ونقده ، بقوله : أما انه لو قال :

وحن الكاتون وقد أسأنا هبنى للكرام الكاتبيننا

لعفوت عنه ، ثم أمر - ويضيف ابن عذارى - قبحه الله ! - به ، فحمل تابوت حتى مات (٤١٣) .

(٤١٠) انظر فيما سبق ، ص ١١٠ - ١١١ .

(٤١١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٤١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٤١٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ ، وقارن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣

ص ٣٠ - ٣٢ . حيث اسم الكاتب الشاعر « أحمد القدينى » ، وحيث نص الرسالة التي بعث بها ال الأمير إبراهيم ، وكذلك أبيات الشعر الثلاثة ، وإن كانت مختلفة بعض الاختلاف - فالشطرة الثانية من البيت الأول تبدأ بـ « وقد » بدلا من « إذ » ، والشطرة الثانية من البيت الثاني ترد في شكل : « ترئى لمن قد بكاه عندك القلم » . كما تقول الرواية أن الأمير غلق على الشطرة الثانية من البيت الثالث ، فقال : « إن الملوك إذا ما استرحموا رحموا » .

الحاجب :

وزادت قسوة إبراهيم بن أحمد وغلظة قلبه في العقوبة الشنيعة التي أربلها في الأعظم التالي (٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م) بحاجبه نصر بن الصمصامة ، إذ أمر «سريه ٥٠٠ (خمسمائة) سوط ، قلم ينطق - الرجل السندان - بكلمة ، ولا تحرك من موضعه . ثم انه أمر بعد ذلك بضرب عنقه ، فتقبل الحاجب المخلص الحكم راضيا ، حتى قالت الرواية انه قال لمن حوله : لا تظنوا اني أجزع من الموت ، بل انه وعدهم انه يفتح يده ويعلقها ثلاث مرات بعد ضربه . ويريد الرواية أن تضي على الرجل المستسلم لطعم سيده هالة من هالات القديسين أو أصحاب الخوارق ، تتناسب مع ما نزل به من العذاب ، فتقول : انه عمل ما وعلا به (٤١٥) . ولم يكتف إبراهيم بذلك بل انه قتل أيضا أخوة ابن الصمصامة وقرابته (٤١٥) .

عامل الخراج :

وفي السنة التالية (٢٧٨ هـ / ٨٩١ م) أكتى عهد فيها إبراهيم بن أحمد بولاية المظالم الى أبي العباس بن إبراهيم بن أحمد بن الأغلب ، عرض ديوان الخراج على سودة الصرائي شريطة أن يدخل في الاسلام . ولما جرد الرجل الشمس الحظ على القول انه ما كان له أن يدع دينه من أجل رياسة ينالها ، أمر به فقطع نصعين ، كما تقول الرواية ، ثم صلب (٤١٦) .

الطبيب الخطير : خبير السموم :

والظاهر أن أخلاق إبراهيم بن أحمد أخذت تزداد سوءا مسح ما كان يعرض له خلال حكمه الطويل من المتاعب ، ففي سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م التالية ، تقول رواية ابن عذاري : انه قتل كثيرا من أهل الفريقية بطرا وشهوة ، أي بدون جريمة ارتكبوها . وكان ممن راح ضحية الأمير ، الذي أصبغ سوداوى المزاج : اسحق بن عمران المتطبب ، المعروف بـ « سيم ساعة » ، لأنه كان خبيرا في تحضير السموم القاتلة - والذي كان ولا شك يزود الأمير بها ، كذلك السم الذي دس لابن طالب القاضي بعد عزله وسجنه ، فقتل

(٤١٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ : وتضيف الرواية أن إبراهيم خصم لذلك فشق من قلب الرجل ، ورأى منطرا عجيبا إذ كان القلب قائما في الكبد وله خصرات نابتة كثيرة .
(٤١٥) التريرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ .
(٤١٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ .

على الرجل من قوره في رجب سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م (٤١٧) .

والظاهر أن إبراهيم تملكه نوع من الخوف من ذلك الرجل الذي يستطيع تدبير مثل هذا السم الناعم الذي يجلب الخوف لساعته ، فأمر به تقتل وصلى (٤١٨) . وفكرة التشهير بالطبيب المخوف عن طريق الصليب تعني أن الرجل كان مكروها من عامة الشعب ، أن لم يكن في الأمر روة من نزوات الأمير الغريب الأطوار .

الفتى الحاجب :

وفي نفس هذا العام راح الحاجب الجديد لإبراهيم ، وهو فتى ، ضحية انزال عقوبة العرب به بالسياسة حتى الموت (٤١٩) . وذلك بعد أقل من سنتين من قتل الحاجب السابق ابن الصمصامة . ثم انه ولي حجابته الحسن بن نافذ ، وأضاف إليه عدة ولايات ، كما يقول النويري (٤٢٠) ، ومنها إمارة صقلية - وهو الأمر الذي لا يعرفه - ومن حجاب إبراهيم - أحمد ابن محمد بن حمزة الحرون الذي كان مقدما عند الأمير ، ولو أننا لا نعرف تاريخ ذلك (٤٢١) .

فتيان الصقالية ، وعلم النجوم :

والحقيقة أن مقتل فتح الحاجب لم يكن إلا مقدمة لما قسام به إبراهيم ابن أحمد ، في نفس السنة ، من التخلص من جميع فتيانه الصقالية . وفي ذلك تقول الرواية انه كان كثير الاصغاء الى قول المجيب والكهنة (٤٢٢) - وهو الأمر الذي شاع في بلاط الخلفاء والأمراء ، منذ ترجمت السياسة اليونانية ندية الى العربية ، وكانت تحوى بوضوح عنا يلزم الملك في سياسته من م النجوم . وكان المنجمون قد قالوا أن إبراهيم يقتله رجل ناعم

(٤١٧) عن أبي طالب ومصرعه في السجن . انظر فيما سبق . ص ١٣٠ .

(٤١٨) ابن عسار . ج ١ ص ١٢٢ . وقارن الحلة السيرة . ج ١ ص ١٧٣ - حيث ينقل البكري (انظر ص ٢٧ وقارن الاستبصار - ص ١١٦) أن اسحق الطبيب هذا - هو الذي سب إليه اطريل اسحق - والاطريل دواء مركب فيه بعض الحليجات . وتراد به الأناوية حسب الحاجة . انظر ص ١ في المسير الصالحة للحسن مؤسس .

(٤١٩) ابن عسار . ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٢٠) النويري . ج ٢٢ ص ١١٩ .

(٤٢١) انظر الحلة السيرة . ج ١ ص ١٨٧ .

(٤٢٢) ابن عسار . ج ١ ص ١٢٢ .

- ١٣٣ -

العقل ، وأنه يمكن أن يكون فتى من خدامه .

وعى هذا الطريق تملك ابراهيم نوع من الخوف المرضى من فتياته ، فكان اذا رأى احدا منهم فيه حركة ونشاط وحدة ، وهو ينقلد سيقا ، قال : هذا هو صاحبى ! فيقتله . وتضيف الرواية الى ذلك أنه لما قتل من فتياته .. ساعة وقع بقلبه أنه قد استفسد اليهم ، فضمه الحذر منهم الى قتل .. يحتمل ، فقتلهم على هذا العام (٤٢٣) .

استخدام السودان :

وبدلا من الفتيان الصقالبة ، أحاط ابراهيم بن أحمد نفسه بحاشية من الفتيان السودان (٤٢٤) . وكان ابراهيم قد بدأ يهتم بشراء العبيد السودان ، ولا يأس فى أن يكون ذلك تقليدا لما رآه من جند العباس بن أحمد بن طولون ، الذى كان يتكون فى معظمه من الرجالة السودان - رغم استخدامهم لدى الأغلبية منذ أيام ابراهيم الأول . وتقول رواية النويرى ان عدد السودان الذين اشتراهم بلغ مائة ألف رجل ، أحسن تدريبهم وكسائهم ، والزمهم ببابه ، وأنه جعل عليهم قائدين منهم ، هما : ميمون ورأشد (٤٢٥) ، فكان كلا من الرجلين كانت له قيادة خمسين ألفا . وأغلب الظن أن الرواية تتبالغ كثيرا فى هذا العدد الذى يمكن انقاصه الى العشر . فهذا ما ترجحه رواية تالية تقول ان عدد فتياته من الحرس السودانى كانوا ٥ (خمسة) آلاف أسود (٤٢٦) . وهكذا فأننا نشك فيما يقوله ابن عذارى ، من : أن ابراهيم عاد وعرض له من السودان ما عرض من العتيان الصقالبة ، ففعلهم أجمعين (٤٢٧) .

(٤٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣ . وأنظر النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٩ : حيث تقول الرواية « ان سبب قتلهم هو ما بلغه من أن جماعة من الخدام الصقالبة يريدون قتله ، وقتل أمه قتلهم من آخرهم ، وقتل بناته بعد ذلك . والاشارة الى محاولة قتل أمه هنا تعنى ان السيدة والدة الأمير لم تكن تكتفى بحياة الحريم بل كان لها دورها فى الحياة العامة .

(٤٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ .

(٤٢٥) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٣ ص ١١٩ .

(٤٢٦) أنظر فيما بعد ، ص ١٣٦ وح ٤٤٠ .

(٤٢٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ .

هزيمة عرب بلزمة :

المسار الأول في نعيش الدولة الأغلبية :

أما ما اعتبره الكتاب بمثابة بداية النهاية بالنسبة للدولة الأغلبية ، فهو ما قام به إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م من الإيقاع برجال قلعة بلزمة جنوب غرب باغاية ، من أهل الزاب ، الذي كانوا من أبناء العرب والجند الداخلين إلى إفريقية منذ الفتح ، وكان معظمهم من القيسية ، أي من أقرباء عصبية الأغلبية : بني تميم (٤٢٨) .

فلقد كانت منطقة الزاب من المناطق غير الخاضعة تماماً للأغلبية ، كما رأينا ، بسبب وجودها على طرف الصحراء ، بعيداً عن متناول حكومة القيروان ، وبسبب وجود قبائل البربر من الإباضية الذين كانوا يميلون إلى إمارة تاهرت الرستمية . وفي هذه الظروف لم يكن من الغريب أن تتمتع قبائل العرب في الاقليم ، هي الأخرى ، بنوع من الاستقلال عن أمراء الأغلبية حتى أنهم كانوا يستطيعون اجارة خصوم الأمير ، كما فعل بنو مالك (٤٢٩) . ولقد حاول إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، وهو التاريخ الذي يقدمه النويري لقتلهم والذي نرى أنه يعتبر بداية للأحداث التي أدت إلى المذبحة ، أن يحصصهم لسلطانهم ففسار إليهم في قواته وناوهم بالحرب ، ولكنه عندما تيقن من استحالة التغلب عليهم أظهر العفو عنهم ورجع .

والظاهر أن إبراهيم أراد استخدام الخديعة بدلاً من الحرب ، فأخذ بلاطهم ويقربهم من نفسه حتى استحباب زعمائهم إلى ما دعاهم إليه من

(٤٢٨) أطر ابن عدادى ح ١ ص ١٢٣ - الذي أحدها بتاريخه ، وهو سنة ٢٨٠ هـ / م ، النويري ، المخطوط ج ٢٢ ص ١١٩ أ - الذي يصح ذلك مع أحداث سنة ٢٧٨ هـ / م . وقارن القاضي النعمان ، في رسالة التتبع الدعوة ، تحقيق وداد القاضي ، بيروت ، ص ٨٨ - حيث يقول إن حادثة بلزمة كانت قبل أبي عبد الله الشيعي بزمان طويل . أن أبو عبد الله قد وصل إلى بلاد كتامة في سنة ٢٨٠ هـ (أي في تاريخ ابن عدادى) فإنه لا تكون قبل أبي عبد الله بزمان طويل ، حتى لو أخذنا بتاريخ النويري لسنة ٢٧٨ هـ ، نرى أنه كان بداية للأحداث ، أي لثورة بلزمة . وربما كان القاضي النعمان يقصد أن دعة كانت قبل ظهور حطر الداعي على الأغلبية ، أي بعد سنة ٢٨٧ هـ ، كما سيبرى .

(٤٢٩) اقتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٨٨ - حيث يجسّل سبب غضب إبراهيم ابن أحمد على المزمين ، هو هروب رجل من عبيد والتجأته إلى بنى مالك ببلزمة مستجير بهم من إبراهيم فسادوه .

القدم عليه في رقادة . وقدم وفد أهل بلزمة وأهل الزاب (٤٣٠) ، وكانوا في بداية الأمر حوالي ٧٠٠ (سبعمائة) رجل من أبطالهم (٤٣١) ، زادوا مع مرور الوقت حتى أصبحوا نحو ١٠٠٠ (ألف) رجل (٤٣٢) - ولا ندرى أن كان إبراهيم اعتبر هؤلاء كرهائن لديه أم أن ذلك كان نوعا من الاتفاق بينه وبين عرب أهل الزاب . إذ تقول الرواية أنه أنزلهم معه في رقادة في دار عظيمة تصفها رواية النويري بأنها كانت كالفندق ، بينما يقول ابن عذاري إنه بناها خصيصا لهم وإنها كانت تشتمل على عدد من الدور ترجع كلها إلى باب واحد (٤٣٣) .

وعندما شعر إبراهيم أن القوم سكوا واطمأنوا ، بعدما أجراه عليهم من الرزق الواسع والخلع السنية ، جمع ثقات رجاله لأخذ أرزاقهم ثم أمرهم بمصاحبة ابنه عبد الله (أمي العباس) للقضاء على البلزميين المنهكين في الاستمتاع بمباهج الحياة ، في فندقهم الكبير . وذات صباح ياكز أحباط بالحدود بين جند إبراهيم من السودان ، ولكنه - رغم المفاجأة - لم يستسلم العرب الأشداء ، بل امتنعوا وداقموا عن أنفسهم من الصباح إلى وقت العصر . وكانت النهاية المحتومة مقتلهم جميعا ، عن آخرهم (٤٣٤) . والظاهر أنه يحق للكتاب القول أن ذلك كان سبب انقطاع دولة بني الأغلب ، إذ كان أصل بلزمة القيسية ، وهم من العرب الحنص البلديين الذين استقروا في إفريقية منذ وقت فتحها يذلون ، وهم في موقعهم الاستراتيجي من بلاد الزاب على السفح الشمالي لاوراس ، قبائل كتامة . ويتخذونهم خولا وعبيدا ، ويفرضون عليهم العشور والصدقات . فكان الذي صنع إبراهيم بن أحمد مما أنقذ كتامة من تلك الذلة ، وأوجد لهم السبيل إلى القيام مع الشيعة (٤٣٥) .

(٤٣٠) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . افتتاح الدعوة ، ص ٨٨ .

(٤٣١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٤٣٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . افتتاح الدعوة ، ص ٨٨ .

(٤٣٣) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ . النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ولأن افتتاح الدعوة ، ص ٨٨ - حيث يقول أنه أنزلهم برقادة في مكان أدار عليه سورة ، وجعل عليه بابا يقرب فندق البلزميين .

(٤٣٤) أنظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٢ .

ولأن افتتاح الدعوة ، ص ٨٨ حيث يقول أن السيد أحاطوا بالبلزميين ليلا .

(٤٣٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٣ . وأنظر

لتأثير الدعوة (ص ٨٩) - حيث يقول أن شاعرا شيعيا من أهل فسطاط ، هو محمد بن عثمان كان في حماية بني مالك البلزميين ، وكان يتحدث في الخطب الدولة الأغلبية ، رأى البلزميين ، =

انتقاض البلاد على ابراهيم بن أحمد :

والحقيقة أن الكتاب يعطون صورة فاتمة لاحوال افريقية عتب تلك المذبحة الحسية ، في سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، وهو تاريخ ابن عذارى الذي أخذنا به (٤٣٦) ، اد برى البلاد وكأنها تحولت الى دولة طوائف ثانية تخصص فيها كل مدينة الى قائد من القواد أو جماعة من الناس ، فمعظم البلاد منتزعة على سلطان ابراهيم بن أحمد في تلك السنة ، مما يعنى أن مقدمات ذلك ترجع الى سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، وهو التاريخ الذى يحدده النويرى ، مع بداية مسألة أهل بلزمة (٤٣٧) - فكان الأوضاع عادت الى ما كانت عليه أيام زيادة الله الأول (٤٣٨) .

الاضطراب يعم كل المملكة :

فلقد خرجت على ابراهيم كل ، من : تونس ، والجزيرة ، والأربس ، وصفطورة ، وباجة ، وقمودة ، في شهر رجب من سنة ٢٧٨ هـ / أكتوبر ٨٩١ م ، ولم يحتجم أهل هذه الكور مكان واحد ، بل قدموا على أنفسهم رجالا من الحند وغيرهم ، كما حدث على عهد زيادة الله الأول ، فأقام كل رئيس منهم بمكانه . وتفسر الرواية هذا الخلاف بجور السلطان ابراهيم الذى أخذ عبيدهم وخيلهم ، مما ترتب عليه : أن صارت افريقية عليه نارا موقدة ، ولم يبق بيده من الأعمال الا الساحل الشرقي الى طرابلس (٤٣٩) . وأمام هذا الموقف الصعب اضطر ابراهيم الى أن يخذل نفسه فى رقادة ، فحفر حولها حفيرا ، ونصب عليه أبواب الحديد ، وجمع حوله ثقافته من الجند ، واستعان بالحرس من فتيانه السودا دون غيرهم ، فجعلهم يحيطون به .

= وهجا ابراهيم شعر قال فيه

جل المصاب لى كان الذى ذكره	مما انتصاه الامام والغمر
من الف اروع كالاساد قد قتلوا	لساعة من سواد الليل اد غدروا
حرمت عليك كما أنت شاربهها	مما قليل وامر الله ينتظر
فدولة القائم المبدى قد أوت	أيامها والذى آس منه الا...

(٤٣٦) أنظر فيما سبق ، ص ١٣٣ هـ ٤٣٨ .

(٤٣٧) أنظر فيما سبق ، ص ١٣٥ .

(٤٣٨) أنظر فيما سبق ، ص ٥٠ وما بعدها (حيث ما سبنا : « ملوك الطوائف »

مافرقية)

(٤٣٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ .

- ١٣٧ -

وكانوا خمسة آلاف أسود (٤٤٠) .

مبدأ : فرق تسد :

الدهل على التفرقة بين المخالفين :

والظاهر أن الحال استمر على هذا المنوال طوال سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م
التالية ، وإبراهيم يستشير ثقافته وأهل المعرفة في الحروب من أهل إفريقية
اجريين . ومن ذلك ما تقوله رواية الرقيق التي ينقلها النويري ، من أن
إبراهيم بن أحمد أحمر شيخا من بني عامر بن نافع - وعامر هذا الذي
يسبب إليه الشيخ هو صاحب منصور الطيبي ، وكانت له صولة وجولة
في أعقاب ثورة منصور على أيام زيادة الله الأول (٤٤١) - وشاوره في الأمر .
وكانت نصيحة الشيخ الثمينة ، هي : أن التوار لو عاجلوا إبراهيم قبل أن
تختلف كلمتهم فهناك خوف من أن يهزموه . أما إذا صبر عليهم إلى أن
يختلفوا فسيكف عنهم ما يريد (٤٤٢) . فكان الشيخ العامري كان يأمر
إبراهيم بتطبيق ذلك المبدأ الذي نجحت روما في استخدامه قديما ضد
خصومها ، والذي أصبح أصلا من أصول السياسة الدولية ، وهو مبدأ :
« فرق تسد » .

وتضيف الرواية أن إبراهيم بن أحمد تنبه إلى خطورة نصيحة الشيخ ،
فأمر ابنه أيا العباس بحبسه عنده ، لئلا يتكلم بهذا الرأي فيوصل إلى
خصومه . وهكذا ، كانت مكافأة العامري على نصيحته الغالية ، هي : الحبس
في قصر إلى العيد إلى أن تم لإبراهيم الظفر بخصومه (٤٤٣) .

إبراهيم يقضي على الثوار واحد بعد الآخر :

الجزيرة :

وهكذا مع مطلع سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م أخذ إبراهيم ينفرد بأهل كل
منطقة نائرة على حدة ، وبدأ بمنطقة الجزيرة ، جزيرة شريك ، وصفطورة ،

(٤٤٠) أنظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٢٣ ، النويري ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب . وابن خلدون
ج ٤ ص ٢٠٣ ، حيث النص على أن إبراهيم بن أحمد « استركب الميتة السودان واستكثر
مهم يبلغوا ثلاثة آلاف » .

(٤٤١) أنظر فيما سبق ، ص ٥٥ وما بعدها .

(٤٤٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

(٤٤٣) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

~ ١٣٨ ~

حيث وجه عسكره الذى انتقم من اهلها فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأتى برئيسهم المعروف بابن أبى أحمد أسيرا ، فأمر به إبراهيم فقتل وصلب - وكان هذا النجاح سبب طفره ، كما يقول النويرى (٤٤٤) .

قمودة :

وعندما تحرك أهل قمودة وجه إليهم إبراهيم فتاه الحبشى ميمون ، على رأس السودان ، لقاتلهم حتى انهزموا ، وقتل جماعة منهم (٤٤٥) .

تونس :

وأخيرا أتى دور تونس التى وجه إليها عسكرا عظيما ، على رأسه فتاه ميمون الخادم وحاجه الحسن بن نافذ - وانتهى القتال الشديد بانهزام أهل تونس الذين قتلوا قتلا ذريعا ، ثم دخول مدينة تونس نفسها بالسيف فى يوم ٣٠ من ذى الحجة سنة ٢٨٠ هـ / ٢ مارس ٨٩٤ م ، حيث انتهب ما فيها من الأموال ، كما استبيحت الذرية (٤٤٦) .

ووصل خبر دخول تونس سريعا الى الأمير ابراهيم على جناح طائر ، ومعه جبر تسيير ١٢٠٠ (ألف ومائتى) أسير من أكابر القوم اليه - وهنا بعث ابراهيم الى قائده ميمون يأمره بالا يقطع رأس أى قتيل ، وطلب اليه أن يوجه القتل محمولين على العجل الى القيروان ، حيث شق موكبهم الجنائزى الحزين الطريق الكبير الى المدينة ، وهو السباط (٤٤٧) ، ليكون ذلك عبرة لمن يعتبر .

تونس مرة أخرى :

والظاهر أن اضطرابات تونس تطلبت حملة ثانية ، فى مطلع سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م ، قلم بها ميمون ضد جماعة من بنى تميم ، عصبية

(٤٤٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب .

(٤٤٥) أنظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وقارن النويرى ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب -

ميجب يقولون ابراهيم أرسل الى قمودة سالحا الخادم

(٤٤٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٤ ، النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب - ١٢٠ أ -

حيث تلويح دخوله فى شهر رمضان .

(٤٤٧) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٩ ب - ١٢٠ أ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٤ .

وقارن ابن خلدون (ج ٤ ص ٢٠٣) الذى يلخصه كلى ذلك فى أقل من سطر اذ يقول : « وغيره

سنة ثمانين : (٢٨٠ هـ) كثير الخوارج وفرق المصاكر اليهم فاستسلموا » -

- ١٣٩ -

الأغلبية ، وغيرهم . ونفذ ميمون الأسود أوامر إبراهيم بحذافيرها فقتل جماعة من بني تميم ، وصلبهم على باب المدينة . وعاد الكسادم المظفر من تونس وبصحبه أكابر أهلها يقدمون الطاعة للأمير والولاء . وأستقبل إبراهيم نساء السوداني بما يليق بما حققه من النصر وانظفر ، فكساه الخنز والوشى والديباج ، وطوقه - على طريقة الخنفاء وأمره المشرق بـ بطوق من الذهب حول عنقه ، وحمله على فرس ، وأعادته من غده الى تونس (٤٤٨) ، كغائب له هناك .

اتخاذ مدينة تونس مقرا لإبراهيم :

والحقيقة أن إبراهيم بن أحمد عندما أعاد ميمونا الى تونس في اليوم التالي لتكريمه على ظفريه ، كان قد قرر أن يجعل مدينة تونس واقليمها يشعرا بالحاكمة الأغلبية ، وبوطاة الأمير عن قرب ، اذ أمر فتاه الحبشي بأن يبني له ، على وجه السرعة ، قصورا لسكناء ، ومساكن لنزول حرمه وحاشيته (٤٤٩) .

والظاهر أن اعداد المساكن الأميرية في مدينة تونس لم يستغرق وقتا طويلا ، مما يرجح أنها اشترت شراء أو اخذت أخذا ولم تبني ، وذلك أن إبراهيم بن أحمد خرج من القيروان ، في طريقه الى منازل الجديدة يوم ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٢٨١ هـ / ٣١ أغسطس ٨٩٤ م ، بأهل بيته وجبسه فواده ، ووصل الى تونس اننى استوطنها ، في ٦ رجب / ١١ سبتمبر (٤٥٠) -

إبراهيم بن أحمد يشدد قبضته على البلاد :

المعهد الى أبنائه بولاية الأقاليم :

ولكى يزيد إبراهيم بن أحمد في توطيد الأمن والاستقرار في البلاد ،

(٤٤٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٤٩) النويري ، المحطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ، وانظر خليف بن خلدون (ج ٢ ص ٢٠٣) -

(٤٥٠) انظر النويري ، المحطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ - حيث تارخ الخروج ٢٤ من جمادى الأولى ، ولكننا جعلناه جمادى الثاني حتى يتفق مع تاريخ ابن عذاري (ج ١ ص ١٢٩) الخاص بالاستيطان في تونس . وهو وجب . بمعنى أن الرحلة استغرقت نحو من عشرة أيام ، وهو الأمر المقبول .

قرّر في السنة التالية ، وهي سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م ، أن يعهد بولاية أقاليم افريقية الى أبنائه ، حسبما يقول رواية ابن عذارى المقتضية ، التي لا تمدا بتفصيلات الموضوع ، مما كان يمكن أن يكون مفيدا للدراسة (٤٥١) .

هل أدت النقلة الى تونس أغراضها ؟ :

العودة الى رقادة :

والحقيقة أنه اذا كان ابراهيم بن أحمد قد أراد من وجسوده بمدينة تونس أن تشعر المنطقة الدائمه الاضطراب بوطاة حكومته ، وتركّن الى الهدوء والسكينة ، فالظاهر أن تونس المتطرفة بعيدا ، على شاطئ البحر وعن قلب البلاد ، لم تكن مهيأة بعد للدور الذي كانت تقوم به قرطاجنة قبل الاسلام . فمركز الثقل في افريقية كان في الدواخل ، على كل حال ، حيث تجمعات القبائل الكبيرة من العرب والبربر . وكانت منطقة القيروان حتى ذلك الوقت حير مركز يمكن السيطرة منه على أطراف البلاد . هكذا ، اذا تركنا جانبا جو الصحراء الصحى الجاف ، في القيروان ، والقصر القديم ، ورقادة - الى جانب القصور الملكية الفاخرة ، وموادل الماء العظيمة ، التي كانت لا تحرم المقيم هناك من منظر البحر الساكن ، ونسيمه الرطب .

وهكذا لم يكن من الغريب ألا يقيم ابراهيم بن أحمد في تونس - التي ستظل عاصمة ثانية للمملكة - الا أقل من سنة ونصف سنة . وذلك أنه ، قرر العودة الى رقادة في مطلع سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م ، فغادر تونس في ١٠ من المحرم / ٢٩ فبراير . هذا ولا يمنع ذلك من أن يكون سبب عودة ابراهيم ابن أحمد الى رقادة هو اضطراب الأحوال في اقليم طرابلس - كما سنرى - بسبب تهديد قبائل عبوسة الاباضية . أما ما تقوله رواية النويري من أنه كان يريد محاربة ابن طولون في مصر (٤٥٢) ، فهو أمر بعيد الاحتمال ، وإن كان من حق ابراهيم أن يتمنى الثأر لما فعله العباس بن أحمد بن طولون من التهجم على بلاده .

الأحوال تلذذ بالانفجار في اقليم طرابلس ، والخلافة تحتج على سياسة .

ابراهيم العنيفة في تونس :

والهم هو إن ابراهيم كان قد أخرج ابنه أبا منصور أحمد الى

(٤٥١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٢٩ .

(٤٥٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ١٢٠ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣ .

طرابلس (٤٥٣) ، ليكون واليا عليها حسبما قرره في العام السابق (٢٨٢ هـ / ٨٩٥ م) ، وذلك بدلا من محمد بن زيادة الله ، ابن عمته ، الذي كان معروفا بالأدب والظرف ، والذي كانت له بعض المؤلفات من الكتب . وإذا كان من الممكن أن يكون ابن محمد بن زيادة الله في حكم طرابلس من أسباب عزله ، فقد كان هناك سبب أقوى من كل الأسباب لسخط إبراهيم عليه ، وهو أنه كان مرشحا لتولي الإمارة في ذلك الوقت . فعندما أرسلت الخليفة المعتضد إلى إبراهيم يعثله على طلبه ونسوه فعله بأهل تونس ، كان من بين ما كتبه له : « ان انتهيت عن أخلاقك هذه ، والا فسلم العمل الذي بيده لابن عمك محمد بن زيادة الله » (٤٥٤) .

قبائل نفوسة الاباضية في القليم طرابلس تقف ضد إبراهيم :

هذا ، ومع أن النصوح القروانية لا تشير إلى السبب الذي من أجله وقفت قبائل نفوسة ضد إبراهيم بن أحمد في طرابلس ، فلا بأس من أن تكون أعمال الظلم والقسوة التي لحقت قبائل الفريقية من أميرهم العتيق ، ومنهم قبائل الاباضية ، مثل : هوازة وأهل الزاب ، هي التي جعلت أباضية نفوسة وطرابلس يهبون محتسبين ضد الأمير الأغلب ، تماما كما فعلوا مع الطولوني عندما تجرأ سودانة على كشف الستور وهتك الحرم في طرابلس (٤٥٥) .

هذا ، وإذا كانت الرواية الاباضية تخطئ عندما تقول أن الخليفة الغياثي هو الذي سير إبراهيم بن أحمد من المشرق للقضاء على إمارة الرستميين ، في تاهرت (٤٥٦) ، فلا بأس أن يكون وقوف إبراهيم ضد الاباضية بأوامر من الخلافة . ولا بأس أيضا في أن يكون إبراهيم قد سار لحرب نفوسة ترضية للخليفة المعتضد الذي كان يهدده بالعزل بالأمس القريب .

إبراهيم يسير بنفسه لقتال نفوسة :

وقعة مانو (٤٥٧) :

وعلى كل حال ، فقد خرج إبراهيم بن أحمد من رقادة التي لم يمكن

(٤٥٣) التويري ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٥٤) ابن عدي ، ج ١ ص ١٢٩ ، وقلائد السمرية ، ج ١ ص ١٨٩ .

(٤٥٥) انظر فيما سبق ، من حملة الغياث بن أحمد بن طولون ، ص ١٢٤ و ٣٩٣ .

(٤٥٦) انظر ابن زكريا ، المخطوط ، ص ٣٢ - ١ . ولما بعد في تاريخ الرستميين .

ص ٢٨٧ -

(٤٥٧) عن الموقعة انظر في تاريخ الرستميين ، فيما بعد ، ص ٢٨٧ .

فيها الا شهرا وبعض شهر ، في ٢٤ من صفر سنة ٢٨٣ هـ / ١٠ أبريل ٨٩٦ م ، بمساركه متتبعا خطى ابيه احمد الذي كان قد سبقه الى هناك من تونس . وكان ابراهيم في منتصف الطريق بين قابس وطرابلس ، في موضع يعرف عند كتاب الاباضية بـ « مابو » عندما اعترضته قبائل نفوسة في منتصف ربيع الاول / ٣ مايه ، في جمع عظيم يقدر بحوالى ٢٠ (عشرين) ألف رجل ، لا فارس معهم ، وسعوه الجواز (٤٥٨) .

قتال عظيم ، وانتقام مروع :

ولم يكن أميرنا - الذي عرفناه حاد المزاج ، سريع الغضب ، لا يعرف الحدود عندما يطلق العنان لنأره وانتقامه - ممن يتردد في مواجهة مثل هذا التحدى . وادا عرفنا ان اباضية نفوسة الحوارج كانوا يقومون ، في مثل قيامهم هذا ، احتسايا لوحه الله ، من أجل تغيير المنكر واحقاق الحق ، ادركنا بنوع القتال العظيم الذي وقع بين الطرفين . ولقد بدأت المعركة الشديدة بتفوق مؤقت للحوارج ، الذين عرفوا بشدة اندفاعهم عند بدء القتال ، حتى قتل ميمون الحادم - حامل الطوق الذهبي - وجماعة ممن معه من فتيان السودان . ثم ابرمت نفوسة ، وتمادى انهزامهم الى طرابلس ، وابراهيم يتبعهم بالقتل الذريع ، حتى شاطئ البحر الذي احمر مآؤه من دماهم ، كما تقول رواية التوبري (٤٥٩) .

وتنسب هذه الرواية الى ابراهيم بن احمد ، وهو الحبير يمثل هذه المذابح ، أنه قال : « لو كان هذا القتل لله لكان اسرافا » . ولكنه عندما علم من بعض رجاله أن من مذهبهم تكفير على ابن أبي طالب ، ولا تأكد له من مشايخهم صدق رأيهم هذا ، بل انهم يكفرون من لم يكفروه ، انتقم ممن وقعوا في الأسر منهم انتقاما رهيبا . فتقول الرواية : انه كان يقد أضلاع الرجل منهم من تحت منكبيه ، ويطعنه بالحربة فيحنيب قلبه ، وأنه فعل ذلك بيديه بـ ٥٠٠ (خمسمائة) رجل دفعة واحدة (٤٦٠) .

وتقول رواية ابن عذارى التي تجعل تلك الحادثة وقعة ثانية ، في نفوسة ، في السنة التالية (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م) : ان ابراهيم أمر أن تنظم

(٤٥٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ ، التوبري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ .
(٤٥٩) التوبري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ . وانظر تفاصيل المعركة من وجهة النظر المختلفة لاباضية فيما بعد ، ص ٣٩٠ . حيث يقال ان الاباضية فقدوا ١٢ (اثني عشر) ألف قتيل ، منهم ٤٠٠ (اربعمائة) عالم فقيه - ومن طوق ميمون الذهبي ، انظر فيما سبق ص ١٣٩ .

(٤٦٠) التوبري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ .

قُلب هؤلاء الرجال في حبال ، وأن تنصب على باب توس (٤٦١) .

قتل وال طرابلس : محمد بن زيادة الله ، وإشاعة الرعب في الاقليم :

ومن محررة نفوسة سار ابراهيم الى طرابلس حيث اوقع يان عشة
الاديب الطريف ، محمد بن زيادة الله ، صاحب التوايف ، الذي سبق أن
رسمه الخليفة ليلي عرش امريقية بدلا منه : وكان ابراهيم كثير الحسد له ،
من حبه ، على علمه وأدبه - كما تقول الرواية - فقتله وصلبه (٤٦٦) .

والظاهر أن ابراهيم بن أحمد أراد أن يلقن أعداءه في منطقة طرابلس
درساً لا ينسوه ، فتقول رواية ابن عذارى انه نهض من طرابلس الى تاروغا ،
شرقها ، حيث قتل بها خمسة عشر رجلاً ، وأمر بطبخ رؤسهم ، وهو يظهر
انه يريد أكلها ، هو ومن معه من رجاله (٤٦٣) - وهي القصة الاسطورية التي
نجد لها شبيهاً في فتح الأندلس على يدى موسى بن نصير ، والتي يقصد بها
يث الرعب في قلوب الخصوم .

اضطراب العسكر :

ولقد أتى هذا العمل الشاذ بنتيجة عكسية ، كما تقول الرواية ، إذ
ارتاع أهل العسكر منه ، وقالوا : قد خولط ، فانفض الناس عنه . هذا ،
ولو أن الأقرب الى المطلق هو ما تقوله رواية النويرى ، من أن كثيراً من
اصحابه ضجوا من مسيره الطويلة حتى تاروغا ، ففروا عائدين إلى إفريقية .
ولم يبق معه الا أقل من النصف منهم ، وأنه لما رأى ذلك عاد الى رقادة (٤٦٤) .
رنصيف رواية ابن عذارى أن ابراهيم بن أحمد مرضت عقوبة مالية على كل من

(٤٦١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٠ . ولا كانت الرواية لا تنص على إن المقصود بباب
توس هو باب القيروان ، المعروف بهذا الاسم ، مما قد يعنى باب توس المدينة ، حيث كان
يمشى ابراهيم منذ فترة وجيزة ، فان عدم التحصيص هذا قد يؤس بوجود نوع من الربط
بين قيام النفوسيين ضد ابراهيم بن أحمد في طرابلس ، وبين ما قام به بن توس من أعمال
النف والقسوة التي بلغت حد النهب واستباحة الأعراض .

(٤٦٢) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ .
والحالة السيئة ، ج ١ ص ١٨٠ - حيث الإشارة الى رواية تقول ان الخليفة كان يقارن بين
سوء أخلاق ابراهيم وحسن أخلاق عامله على طرابلس محمد بن زيادة الله ، ثم ذكر رواية
الرتيق التي تنص على أن الخليفة رشح محمد بن زيادة الله لإمارة بدلا من ابراهيم .

(٤٦٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ .

(٤٦٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب .

انفض عنه ، مقدارها ثلاثين ديناراً ، وأن هذه الغرامة سُميت « غريم الهارين » (٤٦٥) .

نوع من الرقابة الشعبية :

شيخ صالح يأمر ابراهيم بالمعروف :

ولا نعرف ان كانت تلك العرامة التي فرضها ابراهيم على العازين من عسكره ، أم العظائع القصصية التي أنزلها بأعدائه في طرابلس ، هي التي دفعت الشيخ الصالح أبا الأحوص المكعوف الى أن يأمره بالمعروف وينهاه عن المكر ، في كتاب خطي أملاه على بعض أهل سوسة ، بلده ، وبعثه اليه . وكان في بعض فقرات الكتاب : « يا فاسق ! يا جائر ! يا خائن ! قد حدثت عن شرائع الاسلام ، وعن قريب تعانين مقعدك من جهنم ، وسترد فتعلم » . وتنص الرواية على أن ابراهيم عذر الشيخ المكعوف : لدينه وفضله ، ولكنه هدد بقتل عدد من أهل سوسة ان لم يبعث اليه بمن كتب له الكتاب . وكان رد الشيخ الصالح هو دعوة ابراهيم من جديد الى النوبة ، والرجوع عن الجور . والمهم في الرواية بعد ذلك : ان الله حفظ أبا الأحوص من انتقام ابراهيم ، فمات الرجل الصالح في نفس السنة ، وهي سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م (٤٦٦) .

هل حققت دعوة الشيخ الصالح غرضها ؟ :

ومع أن الويري فيما ينقله عن الرفيق يمهى أعمال ابراهيم بن أحمد بأحداث طرابلس ونعوسة ، في سنة ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، ليختم بعد ذلك يده باعتزاله الملك وزهده ، بعد ثلاث سنوات ، أي في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، فإن ابن عذارى يشير الى عدد من الأحداث التي وقعت في افريقية لال تلك الفترة . مثل : سخطه من جديد ، في سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م ، على امة من فتيانه وقتلهم (٤٦٧) ، ووقعة أوقعها أحد أبنائه ببعض القبائل بني بلطيط ببسكرة ، وقراره للامور هناك (٤٦٨) ، ثم حملة أخرى قام

(٤٦٥) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٠ .

(٤٦٦) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٠ .

(٤٦٧) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣١ .

(٤٦٨) - ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣١ - سميت بقول الرواية إن بطل اللقبة هو ابنه

أبو المساس الذي كان في صقلية وقتئذ ، وأغلب الظن أنه أبو عبد الله .

- ١٤٥ -

بنّا ابنه أبو عبد الله في الزاب ، في سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م (٤٦٩) . وذلك قبل أن تاتى توبة ابراهيم في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م .

تجدير جديد من الخلافة : مقسمة للاعتزال :

ورواية المويرى تبدأ باعتزال ابراهيم وزهده متقدما سنتين على مواعده ، وذلك بالبده بالمقدمات التي تتعلق باستمرار تدخل الخلافة في شؤون افريقية ، نتيجة لسوء سياسة ابراهيم مع رعيته ، وهو الأمر الذي يبدأ بتهديد المعتضد لابراهيم ، كما رأينا ، بالمرز في سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ (٤٧٠) .

في سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م قدم من بغداد على الأمير ابراهيم رسول الخليفة المعتضد بالله . ومن الواضح أن ابراهيم بن أحمد كان مقيما في مدينة تونس ، وذلك أنه خرج لاستقبال رسول الخليفة في السبخة قرب تونس ، حيث ضرب له سراق (قارة) أسود اللون ، أي بشعار الخلافة .

وخلا رسول الخليفة بابراهيم ، وكان بينهما محاوره شفهي ، اذ لم يأت المبعوث الخلفي بكتاب محرر ، وذلك أن الخليفة كان قد أرسل مبعوثه بسرعة وعلى غضب ، بعد أن أتت شكاوى أهل تونس تترى على ديوان الخلافة في بغداد . وكان من بين شكاوى أهل تونس ما قرروه من أن أميرهم ابراهيم عندما سبى بناتهم ونساءهم ، أهدى منهن الى الخليفة نفسه ، وهو الأمر الذي أثار سخط المعتضد على واليه الجري الذي لا يكتفى بغمس يديه في الشكر ، بل يورط الخليفة بغمس يديه هو الآخر فيه .

وتنص الرواية على أن الخليفة أمر رسوله بأن يطلب من ابراهيم بن أحمد اعتزال الحكم ، وتولية ابنه أبي العباس على افريقية ، ثم المسير مع الرسول الى بغداد للقاء الخليفة (٤٧١) .

ورغم ما تقوله رواية النويرى من أن ابراهيم كره المسير الى بغداد بصحبة الرسول ، وأنه قسر الاعتزال ، وأظهر الزهد ، وأنه ولي ابنه .

(٤٦٩) آئين هذاري ، ج ١ ص ١٣١ .

(٤٧٠) أنظر كذا سبق ، ص ١٤١ وهـ ٤٥٤ .

(٤٧١) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٢ ص ٣٠٤ .

أيا العباس - وكل ذلك كرد فعل مباشر للقاء مبعوث الخلافة (٤٧٢) - فالمعروف أن ذلك تطلب بعض الوقت ، ربما بسبب وجود أبي العباس في صقلية . ومع أن ابن عذارى يصح توبة إبراهيم بن أحمد في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، وهي نفس السنة التي بدأت بخروجه إلى صقلية ، فالأقرب إلى الواقع أن تكون توبة إبراهيم بن أحمد في أواخر سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠٢ م ، بعد أن تأمل في موقف مشايخ أهل إفريقية منه ، مثل : أبي الأحوص الصالح السدي وعطه بالحنن من الكلام ، وخشيته من موقف الخلافة العدائي منه . وأخيراً ربما كان الدافع الحقيقي إلى توبته واستقامته ، هو نجاح دعوة أبي عبد الله الشيعي في بلاد كتامة .

نجاح أبي عبد الله الشيعي واعتزال إبراهيم بن أحمد :
وإذا كان من المقبول أن يكون من أسباب توبة إبراهيم عن أعمال الظلم ، هو النجاح الذي حققته الدعوة الفاطمية في كتامة ، على يد أبي عبد الله الشيعي ، فإنه ليس من المقبول أن يكون ذلك هو السبب في اعتزاله الحكم ، كما تكرر الرواية الفاطمية المنقبة في أكثر من موضع (٤٧٣) .

والذي لا شك فيه أن أميرنا ، الذي عرف بحدة المزاج ، ما كان يرضى بأن يكون اعتزاله نوعاً من الانسحاب من ميدان القتال ، وتركه للدعاة الفاطمي ، الذي كان بعد ، في بداية أمره . وهذا ما تعترف به الرواية الفاطمية ، ضمناً ، عندما تقول أنه لم يرغب في قتال الداعي لأنه - هو نفسه - كان يتشيع .

وإذا كان أبو عبد الله الداعي قد دخل إلى بلاد كتامة سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٣ م ، على عهد إبراهيم بن أحمد ، مما جعل ابن عذارى يتخذ هذه السنة بداية لقيام الدولة العبيدية الشيعية (٤٧٤) . وأن أمره كان قد عظم فعلاً - في إقليمه - وقتما اعتزل إبراهيم سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م ، فقد كان

(٤٧٢) الويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٣١ .

(٤٧٣) انظر افتتاح الدعوة للناسي المصنف ص ٨١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٢١ . والحمد لله

إن الناسي يقول أن إبراهيم بن أحمد كان لا يرغب في قتال أبي عبد الله الداعي لعلهم من جهة صاحب الدولة ألقى تزييل الأغالبة ، بل وتضيف إلى ذلك أن إبراهيم كان يتشيع و من أهل بيته ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٤٠ - ٢٥٠ . وانظر في الدعوة الفاطمية فيما بعد ، ص ٥٣٦ و ١١ .

(٤٧٤) البيان لابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٤ .

قوات ابراهيم في ميله وسطيح تستطيع أن تردده ، ومن هنا نجد كثافة
بعيدا عن أسوار كل من المدينتين (٤٧٥) -

والحقيقة أنه طالما كان ابراهيم في الحكم ، لم تتخذ الدعوة الفاطمية
بعادا خطيرة - أضف الى ذلك أن توبة ابراهيم واعتزاله لم يكن تخليا عن
مسئوليته كحاكم ، وخاصة كمحارب : فهو قد ترك قتال الثوار في افرقية
ليقاتل « الكفار » في أوروبا - ولكل ذلك نرى أن تحويل ابراهيم للقوات
الأغلبية الى صقلية ، في الوقت الذي كان يعظم أمر أبي عبد الله الشيعي
كما ينص على ذلك الكتاب (٤٧٦) ، كان من الأسباب التي خففت الوطء
عن الداعي ، وبالتالي كانت من أسباب المساعدة على صعوده ، ثم نجاحه -
وكل ذلك عن غير قصد من ابراهيم بن أحمد ، الذي فضل أن يهب نفسه
للجهاد -

توبة ابراهيم :

وهكذا يدل استقرار الأحداث على أن جانب الخير عند ابراهيم بن أحمد
بدأ يتغلب على جانب الشر ، منذ سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، أي بعد ذلك اللقاء
العاصف مع رسول خليفة بغداد - في السنة السابقة -

فلقد أظهر ابراهيم التسوية ، ورفض الملك ، وليس الخشن من
النياب (٤٧٧) - وأراد أن يرضى العامة ويستميل قلوب الخاصة بفعله (٤٧٨) ،
فأمر بإخراج من في سجنونه (٤٧٩) ، ورد المظالم ، وأسقط القبالات
(المكوس) ، وأخذ العشر طعاما - بدلا من الضريبة المالية الثابتة ، التي
اعتبرناها اصلاحا - وترك لأهل الضياع خراج سنة ، وسماها سنة
العدل (٤٨٠) ، وبينما كان ينتظر عودة ابنه أبي العباس ، وكان قد بعث اليه
بالرجوع من صقلية ليسلمه الملك (٤٨١) ، تطرف ابراهيم بن أحمد في عمل.

-
- (٤٧٥) انظر فيما بعد ، الفصل الخامس بالدعوة الفاطمية ، ص ٥٦٠ وما بعدها .
(٤٧٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣١ ، ابن خلدون ، - ٤
ص ٢٠٥ (حيث النص على أن ابراهيم كان قد أسر لابنة أبي العباس في شأن التسمي ونهاه
من محاربه وإن يلحق به الى صقلية ان ظهر عليه)
(٤٧٧) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ أ -
(٤٧٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣١ -
(٤٧٩) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ أ -
(٤٨٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣١ -
(٤٨١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ أ -

البر والورع ، فأعنت ممالكه ، وأعطى فقهاء القيروان ووجوه أهلها أموالاً عظيمة ليفرقوها في الضمفاء والمساكين . ويعلق صاحب الرواية - وهو مصدر الرقيق في أغلب الظن - على ذلك ويقول : ان تلك الأموال « استؤكلت وأعطيت من لا يستحقها ، وأنفقت في اللذات ، وصرفت في الشهوات » (٤٨٢) .

الاعتزال والعهد لأبي العباس :

وعندما وصل أبو العباس ، ولي العهد ، من صقلية ، في أواخر سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م (٤٨٣) ، سلمه أبوه الملك في ٢٢ ربيع الأول سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ مارس م (٤٨٤) ، وبدأ هو في الاستعداد للخروج إلى صقلية مجاهداً .

وفاة إبراهيم بن أحمد في إيطاليا :

وتقول الرواية ان إبراهيم بن أحمد فكر في أول الأمر في الحج عن طريق مصر ، ولكنه خشى أن تنور الحرب بينه وبين بني طولون ، فتسفك الدماء بينهما . وبناء على ذلك فانه قرر الجهاد في صقلية ، مما يعني أن الجهاد - في نظر رجال ذلك العصر - كان لا يقل عن الحج ، ان لم يزد عليه . وهكذا فقد أخذ طريقه من رقادة إلى سوسة ، أرض الرباط وميناء صقلية العسكري . وفي جنوب إيطاليا يتوفى الأمير إبراهيم بن أحمد يوم ١٦ من ذي القعدة سنة ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ، ٩٠٢ ، بعد أن قام بأعمال مجيدة لم يكن أقلها استيلاؤه على مدينة طبرمين في صقلية (٤٨٥) .

شخصية إبراهيم وتقويم عهده :

هكذا توفي إبراهيم بن أحمد وله من العمر حوالي ٥٤ سنة ، بعد حكم دام أكثر من ٢٨ (ثمانية وعشرين) سنة (٤٨٦) .

(٤٨٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٢ .

(٤٨٣) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٢ ، الذي يضمها في شهر ربيع الأول . وذلك الأحداث التي يذكرها تحت سنة ٢٨٧ هـ ، وهي التي حدث فيها اللقاء بين رسول الخليفة إبراهيم .

(٤٨٤) انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٤ - حيث النص على أن إبراهيم بن أحمد كتب نأها ولاء عليه عهده ، وصير إليه خالقه ووزراءه .

(٤٨٥) انظر فيما بعد في فتوح صقلية ، ص ٢٨١ وما بعدها .

(٤٨٦) الدويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ ب - موكله يوم الأضحي سنة ٢٣٥ هـ /

٢٥ يونيو ٨٥٠ م ، فكان عمره ٥٣ سنة . و ١١ شهراً وأياماً . أما ولايته فكانت ٢٨ سنة =

ما بين الجائر والصلح العادل :

ولقد حفل ملكه الطويل ، بالجهاد في صقلية ، والعتن السـاخلية ، وأعمال العمران العظيمة ، والإصلاحات الادارية والمالية الرشيدة - كما ملأه ، على المستوى الشخصي ، بأعمال الخير والشر على السواء - حتى اختلفت الآراء في تقييـمه ، كما يحدث بالنسبة لكبار الرجال - فإبراهيم ، في نظر الفقهاء والصلحين : جائر ظالم - وهو عند ابن الأثير : خير مصلح عادل ، وعند الرقيق - الذي ينقله ابن عذاري وأثنوري - . وسط بين الخير والشر ، له شطحاته الحمودة والمرذولة في كلا الجانبين .

والحقيقة انه لم يكن من الغريب أن تنقل أحداث الحكم الذي طال الى أكثر من ٢٨ سنة ، وهو الأمر غير المعتاد بين أمراء الأغالية ، كاهل إبراهيم ابن أحمد ، حيا وميتا - ولكن الذي لا ينبغي أن يغيب عن ذهن الدارسين ، هو ما يجب من التفارقة بين أمور الحكم العامة ، وشئون الأمير الخاصة - ولو أن الأمور العامة كانت تختلط بشئون الأمير الخاصة في ذلك النوع من الحكم الذي كان سائدا في تلك العصور ، والذي يصنف حاليا في طبقة « الحكم الفردي » ، كما يقال - والذي نراه : هو أن ابن الأثير نظر الى عهد إبراهيم ابن أحمد من وجهة النظر العامة -

وإبراهيم من هذا الوجه : مجسد ، مجتهد من يوم ولايته التي بداها بحرب أهل القصر القديم ، الى يوم وفاته بميدان الجهاد في صقلية وإيطاليا ، والرجل ، وان عرف بحدة المزاج ، فقد كان راجع العقل تواقا الى القيام بجليل الاعمال ، في ميادين السياسة والعمران .

في أعماله العمرانية : تأمين الطرق وبناء المحارس :

وهكذا ، فإذا كانت رواية الرقيق تشهد له خلال السنوات السبع الأولى من عهده (٤٨٧) فهي شهادة جيدة لإبراهيم ، ترجع شهادة ابن الأثير الذي يضيف الى عدله وحزمه في أموره ، وعقله ، وجهه للخير والاجسيان ،

٦٠ شهر ١٢ و ١٠ ولان ابن علقم ج ١ ص ١٣٢ ، الذي يجلي بولده يوم الانجي من سنة ٢٣٧ - ٨٤٨ م لتكون وفاته وعمره ٥٢ سنة .

(٤٨٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٢ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ ب .
وانظر فيما سبق ، ص ١١٥ .

وحسن سيرته ، وفطنته ، أنه قتل أهل البغي والفساد ، « وكان القروا والتجار يسرون في الطرق آمين » (٤٨٨) .

وإذا كانت رواية ابن الأثير تبالح عندما تقول انه : « بني الحص والمحارس على سواحل البحر ، حتى كان يوقد النار من سبتة فيصل الخبير الاسكندرية في الليلة الواحدة » ، مما يعني أن نفوذ ابراهيم السياسي متدا بين طنجة والاسكندرية ، فهذا الامر غير صحيح . وإذا كان ذلك به أن النضامن بين المسالح والرباطات البحرية على طول سواحل البحر المتوسط من الاسكندرية الى جبل طارق كان أمرا واقعا ، فهو الأمر المحتم أما ما هو حقيقي ، فهو ما تؤكد الرواية من أن العرب كانوا يستخدمون في ذلك الوقت المبكر من القرن الـ ٣ هـ / ٩ م ، الاشارات الضوئية الساحط بين المحارس البحرية ليلا ، وهي الطريقة المعروفة حاليا بـ « اشارات مورش » ، التي تستخدمها السفن في التخاطب فيما بينها . اليوم .

ما بين الامور العامة وشئون الأمير الخاصة :

أما ما تقوله رواية الرقيق من أن التغير طرأ على أحوال ابراهيم بن أحمد - مد تعرضت بلاده الى غارة العباس بن أحمد بن طولون ، وأنه لما كفى مؤ حرص على جمع الأموال ثم اشتد أمره ، فأخذ في قتل أصحابه وكفاته وحجا ثم قتل ابنه وبنااته ، وأتى بأمور لم يأت غيره بمثلها (٤٨٩) ، فإن هذه الرواية تحلط بين الامور العامة وشئون الأمير الخاصة .

(٤٨٨) أفطر ابن الأثير سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ٢٨٦ - حيث تستثيره ملنة الأمير ابرا ابن أحمد المعطية التي اظهر نخايا « المملات » . وذلك في قصة امرأة عجوز كاسخ تتردد قصر الأمير وتعرف عند أهل القصر بالصالح . وكيف أنها استجابت لنزوة طرأت للوزير عا انتهى زوجة تاجر من أهل القيروان ، فاحتالت المجرور حتى وصلت الى بيت الزوجة العظيمة وكلمات احسانها بالاستيلاء على حليها . وتروي القصة كيف استجاب الأمير لشكوى التاجر وكشف حيلة المرأة ، واتقم منها بقتلها ، ثم كيف أنه دبر التخلص من الوزير بعد ذلك والحقيقة أن اهتمام ابن الأثير بتلك القصة ، وإن كان يخرج عن نطاق التاريخ العام ، ا يبين حروا من التاريخ الخاص بالأمير ابراهيم ، مما يمكن أن يلقي بالاشواء على حقيقة ما يحاك حول الرجل من الممارات ، والتي وإن ظهرت صغيرة لما فيها تعطي إدود قله المعنيفة من الشكوك .

(٤٨٩) التزوي ، المخطوط ، خ ٢٢ ص ١٢٢ ب -

فحرص إبراهيم بن أحمد على جمع الأموال ليس من الأمور التي تؤخذ عليه ، وإن جرت العادة بأن يضج الناس ، من العامة والخاصة ، من جباية الضرائب التي سماها الفقهاء في كثير من الأحيان يد « المفسارم » ، وبد « المظالم » .

مستبد مصلح : أثر الإصلاحات المالية :

والحقيقة أن الدولة الأغلبية كانت منذ نشأتها في حاجة إلى الأموال للاتفاق على الجيوش ، وبناء المدن الملكية ، والمساجد الكبرى ، والمنشآت ذات المنافع العامة ، من : المسالح والمحارس والربط ، وصهاريج الماء والقناطر ، وغيرها . ومن أجل تنظيم ميزانية متوازنة لا تخضع لتقلبات الطقس والجو ، أو لزاج زعماء القبائل ، كانت محاولات الأغلبية في تقرير ضرائب ثابتة للخراج ، تدفع نقدا ولا تؤخذ عينا من ناتج المحصول حسب النسبة المثوية المقررة ، التي كانت تزيد وتقل تبعا لزيادة المحصول ولقضاة . وهذا الأمر كان يعتبر من جانب الفقهاء خروجاً على الشرع ، وكان عامة الناس يستجيبون ، بطبيعة الحال ، إلى مقالة الفقهاء ، ويعتبرون ذلك نوعاً من الجور والظلم .

وفي هذا الإطار التنظيمي ، قام الأمير إبراهيم بإصلاحاته النقدية التي استهدفت إقرار النظام العشري - وهو النظام السائد الآن - ولا اعتبار لما ترتب على ذلك من الأصداء في أسواق القبروان ، وبين أهل العاصمة . ولقد تبين تفهم إبراهيم بن أحمد لأحوال العامة في رده الدين على مقاومة أهل القبروان لذلك الإصلاح النقدي حتى مر في هدوء (٤٩٠) . وتتضح حسن سياسة إبراهيم إزاء الشعب وعامة الرعية مما يقال من أنه كان يعرف أن الرعية هم مادة الملك ، فإن أباح ظلمهم لم يصل إليه نفهم ، ولحقه الضرر (٤٩١) .

ثالث في سبيل هبة الدولة :

أما عن عهقه مع المخالفين لأوامره ، من : كبار رجال الدولة ، ومن الخدم وأهل الحاشية ، أو وقوفه بصلافة وشدة ضد الخارجين على دولته ، من :

(٤٩٠) انظر فيما سبق ، من ١٢٩٦ وم ٤٠٩ .

(٤٩١) ٢٧٢٧١ ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ١٢٣ .

القواد أو زعماء القبائل ، فلا يفسره الا حرصه على أن تكون كلمته ، أى كلمة الدولة ، هى الأولى والأخيرة . فلقد علمته التجارب أن ذوى الأقدار والأموال اذا أحسوا من أنفسهم قوة ، ولم يقمعوا ، لم يؤمن شرهم ويطرحهم . وأنه اذا كف الملك عنهم وأمنوا ، دعاهم ذلك الى منازعته واعمال الحيلة عليه (٤٩٢) .

وفى اطار هذا المبدأ السياسى ، الذى يعنى أن سلامة الدولة - أى سلامة الأمير - فوق كل اعتبار ، يمكن أن نفسر ذلك الجموح الذى ظهر منه فى قمع الثورات والقضاء على المتسببين فيها دون رحمة أو شفقة ، وكذلك تلك الشطحات التى ظهرت منه فى حق ابنه أبى الأغلب ، أو اخوته الثمانية الذين لم يتردد على سمك دمائهم ، وإن كان بشئ من الغلظة التى لا تتفق مع ما لرابطة القرابة والدم من الحرمة (٤٩٣) . ومثل هذا يمكن أن يقال عن بعض ما أوقعه بفتيان حرمه وقرابته ، من القتل والتعذيب والتنكيل .

اسرار القصور ، وأثرها على نفسية الأمير :

هذا عن بعض ما كان يحدث تحت شعار أمن الدولة وسلامة هيبتها . أما عن البعض الآخر ، فإن استقراء النصوص يمكن أن يدل على مسائل حساسة مما كان يمس أعماق خصوصيات ما كان يجرى بين فتيان البلاط ، وفى أجنحة الحريم فى قصور الأمير .

والدة ابراهيم : شخصية عارمة تقبع فى ظل الأمير :

فكثير من قصص العنف التى كان يطلها ابراهيم بن أحمد ، كانت فى الحقيقة من قصص الحريم ، وكان يطلها الحقيقى شخصية أخرى ، كان لها مقامها الكبير فى قلب الأمير ، وهى : « السيدة الوالدة » أمه .

الوالدة تعمل فى التجارة ، والأمير ينصف المتعاملين معها :

ويظهر من النصوص أن السيدة والدة ابراهيم كانت ذات شخصية عارمة ، وإن نفوذها لم يكن يحده نطاق الحريم ، بل كان يتعداه الى خارج حوائط القصر وورقادة ، فى : معاملات تجارية مع أصحاب القوافل وكبار

(٤٩٢) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ - ١٢٣ ب ٢ .

(٤٩٣) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

التجار . هذا ما يتضح من قصة الرجلين القيروانيين اللذين أتيا إبراهيم ابن أحمد ، وهو بمقصورة المسجد الجامع في القيروان ينتظر إلى المظالم .
 لمنلما أدناهما من نفسه ، وسألها عن حالها ، قالا له : كنسا شريكين
 ، للسيدة ، - يعنيان أمه - في جمال وغيرها ، فاحتبست لئسا ٦٠٠
 (ستمائة) دينار . ولم يظهر الأمير الحاد المزاج - عادة - أية علامة من علامات
 الاستغراب ، بل أرسل خادما يسأل والدته عن الأمر . ورجع الخادم يخبره
 على لسانها : نعم ان الأمر ، كما ذكرنا : « الا أن بينى وبينهما حسابا ، وإنما
 احتبست هذا المال حتى أحاسبهما : فان بقى عليهما شيء ، والا دلفيت
 مالهما اليهما » .

ولا ندرى ان كان الأمير قد أعجب بوالدته التي تحسن إدارة الأموال ،
 وتدفق في حساب شركائها من التجار أم لا ! وذلك أن رد فعله المباشر
 كان قسما ، وجهه الى والدته الصعبة في ماملاتها ، ينص فيه على أنها ان
 لم توجه بالمال الى أصحابه ، فانه سيجعلها تقف في الترو. واللحظة مع
 خصمها بين يدي صاحب المظالم : عيسى بن مسكين . ولكنه بعد أن وجهت
 « والدة » بالمال اليه ، فدفعه الى الرجلين ، لم ينس أن يقول لهما : « أما
 أنا فقد أنصفتكما فيما ادعيتما ، فاذها ، واقطعا حسابا ، والا فأنتمما
 أعلم » (٤٩٤) .

وأغلب الظن أن الرجلين عادا الى السيدة الوالدة يطلبان منها السماح
 فيما فعلاه من شكواهما الى ابنها الأمير ، وحصولهما على مالهما ، مع التعهد
 بمراجعة الحساب في الوقت الذي تشاؤه السيدة .

دعوة المتظلمين الى مجلس الأمير :

وفي إطار هذه الصورة من العدل والانصاف ، كان إبراهيم يجعل
 ولده ورجاله يأمرون عبيدهم ورجالهم بالطواف في يوم الخميس في الأزقة
 والمنايا يسألون ان كان هناك شاك أو متظلم ، من : عبد أو وكيان . « فاذا
 وجدوا أحدا أتوا به الى دار ولد الأمير أو قرابته فينصفه » (٤٩٥) .

مأسى الحرير ومسئولية الوالدة وغيرها من النساء :

وان من كانت هذه سيرته في العدل في الرعية ، وهي السيرة التي

(٤٩٤) انظر الويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ .

(٤٩٥) الويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

يثوّه بها ابن الأثير كثيرا ، كان من الغريب أن يقتل بنابه الستة عشر جارية :
اللاثي ربتهن ، السيدة ، أمه حفية عنه ، خشية ، عليهن حتى بلغن مبلغ
الشباب (٤٩٦) ، ثم الوصيفتين المهنيتين الموسيقيتين اللتين قسدهما له
والدته - عندما دخل عليها في بعض الأيام ، فأحضرت له الطعام فأكل وشرب
وانبسط لثأنتن بهما (٤٩٧) -

فمثل قصص الحريم هذه ، مما شاركت فيه الوالدة ، قد لا نستطيع
الحكم فيها لإبراهيم بن أحمد أو عليه ، طالما خفيت علينا أسرار تلك القصور
العجيبة ، التي كان يتردد عليها العجائز من النساء اللاتي يتظاهرن
بالفضيلة والصلاح ، ولا يترددن في المشاركة في مغامرات نسائية ، يساهم
فيها الوزير ، ويكون القصد منها غواية بعض الجميلات من نساء تيجار
القيروان ، مما كان يسيطر إبراهيم بنفسه اللثام عنه ، ويجزى المشاركين
فيها بأقصى العقوبة - مما لعت انتباه ابن الأثير (٤٩٨) .

مثل هذه القصة الحساسة التي كانت تحاك أطرافها في قصر الأمير ،
إلى جانب قصص فتیان واحداث كانت تدور في القصور ، ولمسة نسيجها

وسداته أمور انحرافات مما يدور في المجتمعات المحلّة (٤٩٩) ، وخاصة
عندما يتجمع الرجال وحدهم ، كما كان حال العتيان والخدم ، وكما كان حال
النساء وحدهن في مجتمع الجوارى والحاديات أو في أجنحة الحريم . فمثل
هذه الأمور الحساسة هي التي يمكن أن تفسر ردود فعل غير انسانية ، مما
كان يقوم به إبراهيم بن أحمد ، مثل : البناء على المذنبين حتى الموت جسوعا
وعطشا ، أو غلق أبواب البيوت الساخنة في الحمامات عليهم إلى أن يموتوا
خنقا (٥٠٠) . وغير ذلك مما قيل انه لم يفعله أحد قبله .

تقييم الأخير : خطيئة عصر :

والحقيقة أن الخطيئة لم تكن خطيئة إبراهيم بن أحمد ، بل كانت خطيئة

١ (٤٩٦) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٣ ب - ١٢٤ ا . ابن عذاري ، ج ١ ص
١٣٢ - ١٣٣ .

(٤٩٧) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ب -

(٤٩٨) انظر أيضا سبق ، ص ١٥٠ - ٤٨٨ .

(٤٩٩) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ا .

(٥٠٠) انظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ا .

١٥٥-

هصر أو مجتمع بأسره . ونخص منه مجتمع القصور ، سواء في القصر القديم الذي بناه إبراهيم الأول ، أو في قصور رقادة التي بناها إبراهيم الثاني .
فهذا المجتمع الذي كان غارقا في اللهو والشراب وحياة الحسريم ، لم يكن وحده . فقد كان شديد الصلة بمجتمع القيروان المجاور حيث مسجد عقبة الجامع ، وحيث العلماء والعقلاء والعباد والزهاد والنسائك ، ممن كانوا قدوة في حسن السيرة ، وجميل الأخلاق . وكان لاجتماع أهل الدين والنسك هذا أثره على مجتمع القصور اللامى : حيث كان يوجه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تمزق بين الخير والشر :

هكذا كان الأمير ممزقا بين الحياة المترفة ، إن لم نقل الفاسدة ، التي كان يحياها ، وبين ما كان يستمع إليه - من الدعاء إلى التقوى وعمل الخير . وكان تمزق الأمير هذا يظهر واضحا ، عندما يجد نفسه مضطرا إلى المماقبة على مفاسد من نوع التي كان يسمح لنفسه بارتكابها ، فكانت تأتي الشطحات المستغربة في القسوة غير المعتادة . ولا بأس في ذلك ، فأخلاقيات ذلك العصر - بل وربما كل العصور - كانت تسمح للأمير بما لا يسمح هو به لغيره من الناس ، ولو كان - في بعض الأحيان - أقرب الناس إليه ، وتلك هي الانانية أو هي الأنا أولا ، وربما ، وأخيرا أيضا .

وهكذا يكفي إبراهيم بن أحمد أن شهد له الكتاب خلال سنوات حكمه السبعة الأولى - وهي تساوى عهدا من عهود الكثيرين من أسلافه . وإذا كانوا قد رموه بالجور والظلم بعد ذلك ، فوزره تراكم النوازل مع مرور سنوات حكمه الطويل . ثم إن كفة الميزان رجحت إلى جانبه في آخر الأمر : عندما تاب وأناب وقام بخير الأعمال ، ثم تزهد ولبس الحشن من الثياب ، ووهب نفسه بعد ذلك للجهاد ، في مطلع سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م .

وكان إبراهيم قد سلم زمام الأمور في رقادة إلى ابنه أبي العباس بمجرد وصوله من صقلية ، وذلك في شهر ربيع الأول من سنة ٢٨٨ هـ / مارس ٩٠١ م ، وأخذ هو يعد نفسه للمسير إلى صقلية . وهكذا بدأ أبو العباس عهده كتنائب للملك ، أو وصي على العرش .

- ١٥٦ -

أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم
ابن الأغلب: ٢٨٩ - ٢٩٠ هـ / ٩٠١ - ٩٠٣ م :

نائب الملك : الفارس العالم :

يمكن اعتبار عهد أبي العباس الذي لم يطل إلا إلى حوالي سنة ونصف
السنة ، استمراراً لعهد والده إبراهيم . فقد كان أبو العباس عبد الله - أحب
إبناء إبراهيم إلى نفسه ، وكان أبوه يهيئه للملك من بعده . فقد رأينا أبا
العباس يقود الحملات العسكرية في مختلف الأقاليم ، قبل أن يعهد إليه
والده بالقيادة في صقلية .

وفي أخلاق أبي العباس الذي كان أحد الفرسان ، شجاعاً بطالاً غاملاً
بالحرب ، حسن النظر في الجدل ، وأستاذه في ذلك عبد الله بن الأشج (٥٠١) ،
تقول رواية الرقيق : أنه كان على حوف شديد من أبيه لمسوء أخلاقه ،
فكان يظهر له من الطاعة والتذلل أمراً عظيماً ، فكان إبراهيم يكرمه ، ويفضله
على سائر أولاده (٥٠٢) .

عادة النظر في أعمال الوالد الناسك :

وفي حال العترة التي كان أبو العباس نائباً للملك فيها ، وبعد خروج
والده إلى صقلية في أوائل سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م ، طالب بإعادة الأموال التي
كان أخرجها أبوه إلى الفقهاء ووجوه الناس ليفرقوها في المساكين ، والتي
كانت قد استؤكلت في معظمها ، وأعطيت لمن لا يستحقها ، وانعقدت في
اللدات ، وصرفت في الشهوات (٥٠٣) وكان يقول لمشايخ إفريقية : « اغتصمتم
الفرصة في المال لمرض الأمير أبي ، ومنيبى عنه » ، فرجع معظم المال
وعلا (٥٠٤) .

(٥٠٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ج ٧
ص ٥٢٠ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٤ .

(٥٠٣) أنظر النويري ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، الحلة السيرة ،
ج ١ ص ١٧٤ ، ابن الحطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص ٣٦ - حيث النص على أن إبراهيم
ولاه عهده وصير إليه حاتم ووزراءه ، وكتب له بذلك كتاباً مشهوراً .

(٥٠٣) أنظر فيما سبق ، ص ١٤٨ وهـ ٤٨٢ .

(٥٠٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٣ .

وهكذا عاقت السنة قسمة السنة الجور ، بعد أن كانت سميت سنة القتل . عندما رقع ابراهيم خراج الضياع عن أصحابها (٥٠٥) . وقدم أبو العباس بتغييرات في ولايات الأقاليم ، فعزل من أحب وولى على الفور من أحب (٥٠٦) . فلقد عهد أبو العباس بولاية قضاء القيروان إلى محمد ابن الأسود الصديقي ، وجعل إليه الأحكام والنظر في العمال وجباة الأموال ، فكانت الصديقي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . وعن قضائه يقال إنه كان قويا فيه ، شديدا على رجال السلطان ، رفيقا بالضعفاء والمظلومين . ولما لم يكن الرجل واسع العلم ، فإنه كان يشاور العلماء ، فلم يقطع حكما إلا برأي ابن عبيدون القاضي ، ولكن الصديقي لما كان ممن يظهرون القبول بخلق القرآن ، فإنه كان مكروها من العامة (٥٠٧) .

وفي خلال السنة هذه بدأت قوات أبي عبد الله الشيعي تظهر في بلاد الزاب وما حوالها ، حتى أنه نجح في أخذ مدينة ميعة ، مما جعل أبا العباس يسير إليه أخاه أبا عبد الله المشهور بالآحول وبأبي حوال (٥٠٨) ، الذي استعاد ميعة ، وأنزل هزيمة مريرة بالداعي ، كادت تتحول إلى كارثة . هذا ، ولو أن الآحول سوف يهزم في السنة التالية ، ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، أمام قوات أبي عبد الله الداعي ، وهو ما سنعالجه بشيء من التفصيل في الفصل الخاص بالدعوة العاطمية (٥٠٩) .

أبو العباس أمير :

ومع دخول سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ م ، وقبل أن يصل إلى أبي العباس جبر وفاة والده في صقلية ، وكانت في ١٦ من ذي القعدة من العام السابق ٢٨٩ هـ / ٢٢ أكتوبر ٩٠٢ م ولا بأس أن يكون قد وصله خبر مرضه الشديد

(٥٠٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ - ويضيف ابن عذارى أنها سميت أيضا سنة النجوم نظرا لتساقط النجوم في شهر ذي القعدة وقارن افتتاح الدعوة للناسي النسل ، ص ٩٢ .
(٥٠٦) سنة النجوم ٢ .

(٥٠٦) ابن عذارى ، ج ٢ ص ١٢٢ .

(٥٠٧) التذيرى ، المخطوط ٢ ج ٢٣ ص ١٢٥ - ١٢٥ هـ .

(٥٠٨) لأنه كان يكره هيبه إذا أطل النظر ، كما نفس رواية ابن الأثير (سنة ٢٩٦ هـ) ، وقارن ابن خلدون ، ج ٢ ص ٣٠٥ . والرواية تنص على أن الذي حرق أبا العباس من إرسال أبي حوال لقتال الشيعي هو فتح بن يحيى أمير صفائيه من كنانة الذي كان قد لجأ إلى الأثير الأعلى بعد قتال مير مع الداعي . وانظر فيما بعد ، ص ٥٦٠ .
(٥٠٩) انظر فيما بعد ، ص ٥٥٩ - ٥٦١ ، ص ٥٦٣ وما بعدها .

... كتب إلى العمال ليأخذوا له البيعة ، على أن أباه فوض إليه الأمر ، وتحل له من الملك ، واشتغل بالعبادة (٥١٠) . وكتب إلى العمال كتاباً يقرأ على العامة ، يدهم فيه الاحسان ، والعدل ، والرفق ، والجهاد (٥١١) .

أبو العباس يتنسك بدوره :

وعندما وصل أبا العباس سناً وفاة والده من صقلية ، تغيرت أحواله . وسمى ذلك تقول الروايات : انه أظهر التقشف ، ولبس الصوف ، وأظهر العدل والاحسان والامصاف والجلوس على الأرض ، وجالس أهل العلم وشاورهم . ولم يسكن أبو العباس قصر أبيه في تونس ، ولكنه اشترى داراً مبنية بانحطوب فسكنها ، وكان لا يركب الا إلى الجامع (٥١٢) .

والظاهر أن الشاب الذي كان يخشى أباه خشية عظيمة ، والذي كان يظهر له من الطاعة والتذلل أمراً عظيماً ، أصيب بصدمة نفسية ، كما يقال ، عندما عرف نبأ وفاة والده ومثله الأعلى ، مما يدل على أن خشيته لوالده وتذلله لم يكن عن خوف ورهبة ، كما قال الرقيق ، بل عن حب عميق ، وتقدير في موقع القلب العظيم . وفي ذلك دارت همهمات القوم تقول . ان أهل النجوم أمروا أبا العباس بذلك ، أو أنه أملت به وسوسة (٥١٣) .

وشاية بولي العهد : زيادة الله ، تنهى بحجسه :

وسمى إلى علم أبي العباس ، عن طريق بعض الوشاة ، أن إيمه زيادة الله الذي كان في صحبة حده عندما توفي في صقلية ، والذي آلت إليه قيادة

(٥١٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٣ . وقارن افتتاح الدعوة (ص ٩٢) حيث وفاة إبراهيم بن أبي القصة .

(٥١١) ابن الأثير في سنة ٢٨٩ هـ ج ٢ ص ٧٢٠ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٥) .

(٥١٢) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ . وانظر افتتاح الدعوة (ص ١٤١) حيث يقول القاضي النعمان أن أبا العباس : « بعد لفهم وتواضع لهم ، وجلس في المسجد الجامع لظلاماتهم على حبير ، ونصب درة بين يديه » . هذا كما ينسب للنعمان . لى أبي العباس انه أراد أن يستمرى العامة من المالكية . فنزل قاصيه الحمى محمد القصديني الذي كان يقول يخلق القرآن واستغنى بدلا منه حماس ابن مروان الهمداني ، الذي كان مالكياً . والحقيقة أن ذلك تم على عهد زيادة الله ، كما يأتي (وانظر افتتاح الدعوة ، ص ١٤٦ - ١٤٧) .

(٥١٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٤ .

-٩٥٩-

العسكر هناك ، يتوى الخروج عليه ، واعتقد أبو العباس في الوثنية ، وأرسل إلى أخته يستحثه على القدوم عليه بتونس ، فلما قدم عليه زيادة الله في ٢٠ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٠ هـ / ٣٠ مايو ٩٠٣ م قبض عليه ، وأخذ ما كان معه من المال والعتاد ، وحبسه في بيت داخل - دارنة - هنو وبعض رجاله (٥١٤) .

مقتل أبي العباس بأيدي فتيانه :

وكان أبو العباس عندما فعل ما فعله من حبس ابنه زيادة الله كمن سعى إلى حتفه بطلقه . فبعد شهرين وأيام من سجن زيادة الله ، وذلك في يوم الأربعاء ٢٩ شعبان / ٢٨ يولية ، دخل أبو العباس إلى الحمام ، ثم أنه خرج للراحة في دار خالية . والظاهر أن الرجل الذي عرف بأنه كان شجاعا بطلا ، عالما بالحرب (٥١٥) ، كان يعيش في حالة شك وخوف من حوله ، أن لم تكن به وسوسة ، كما قال بعض الناس . وذلك أنه استلقى على سرير خزيران ، وقد وضع سيفه تحت رأسه ، ولم يعد أن أخرج كل من كان في الدار باستثناء فتيين من فتيانه الصقالية ، كان يثق فيهما . وبينما تقول رواية النويري أن زيادة الله هو الذي أغرى عددا من خدمه ، الداء لينتالوه (٥١٦) ، فلا بأس من الأخذ برواية ابن عذارى التي تقول أنه عندما قام أبو العباس ، تأمر الفتيان على قتله ، لتكون فرصة لهما يساعدا في زيادة الله على الملك ، ويفوزان بالخطوة عنده . وبعد أن نفذ الجريمة ، مضى إلى حيث كان زيادة الله محبوسا ، وأعلماه بمقتل والده . ولكي يتأكد من أن ليس في الأمر مكيده القيا إليه بالرأس ، ثم أتيا إليه بحداد كسر قيده (٥١٧) .

وهكذا انتهى عهد أبي العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بأغتيالهم .

-
- (٥١٤) ابن عذارى : ج ١ ص ١٣٤ ، النويري : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ، ١ . وانظر ابن الأثير : سنة ٢٨٩ ، ج ٧ ص ٥٢١ ، الذي ينص على أن الله سبب حبسه لايته زيادة الله . ما بلغه الله ، وهو في سقاية ، من اعتكائه على الدهر وانما شرب الخمر (ابن خلطون ، ج ٤ ص ٢٥٥) .
- (٥١٥) النويري : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب - وفي الشعر الذي كاله عن حروبه في سقاية انظر فيما بعد (من سقاية ، ص ٢٨٠) .
- (٥١٦) النويري : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، ابن الأثير : سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧ ص ٥٢١ ، المحلة بالنويري ، ج ١ ص ١٧٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥٥ .
- (٥١٧) ابن عذارى : ج ١ ص ١٣٤ ، النويري : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ - ١٢٦ ، وانظر ابن الخليل : أعمال الإعلام ، قسم ٣ ، ص ٣٧ .

- ١٦٠ -

في قصره بمدينة تونس ، في آخر شعبان من سنة ٢٩٠ هـ / ٢٨ يولي
٩٠٣ م (٥١٨) ، بعد اماره لم تطل الى أكثر من سنة ونصف سنة ، منذ عهد
اليه أبوه بالأمير ، وما لا يزيد على نصف سنة منذ استقل بالامارة بعد وفاة
والده ، قضاه بتونس . وألّت الولاية الى ابنه زيادة الله الذي خرج من
السجن الى سرير الملك لكي يختتم قائمة ملوك الاغالبة .

آخر الاغالبة : زيادة الله الثالث :

أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله بن ابراهيم بن أحمد بن محمد بن
الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب : ٢٩٠ - ٢٩٦ هـ / ٩٠٣ م :

ولاية ثمنها شراء القواد ، والفدر بالأعمام ، وقتل الاخوة والفتيان :

لم تتم ولاية زيادة الله الثالث بعد مقتل والده دون تدبير ، فقد كان
هناك أعمامه ممن يمكن أن يثبوا عليه ، ويسبقوه الى الامارة . وهكذا لم يعش
ريادة الله نبأ مقتل والده بل كتبه ، وأرسل الى بعض أصحابه ممن كانوا معه
في حبس والده ، مثل : عبد الله بن الصائغ ، وأبي مسلم منصور بن اسماعيل ،
ومن غيرهم مثل عبد الله بن أبي طالب ، وسألهم المشورة .

وأشارت عليه الجماعة بأن يرسل الى أعمامه يدعوهم ، ووجوه الرجال
والقواد ، على لسان أبيه الى القدوم عليه في دار الامارة . ويقول روايه ابن
عدارى ، التي ينقلها عن عريب بن سعد ، أنه عندما وصل أعمامه ووجوه
القوم ، دفع اليهم الصلات ، وأخذ عليهم البيعة . ثم انه أمر أن ينسأوا
بتونس (٥١٩) بقدوم من كان بها من الجند على باب الأمير . فلما ركبوا
بأسلحتهم أمر زيادة الله بإدخالهم واحدا واحدا ، فكان الرجل منهم يبايع ،
ويعطى خمسين مثقالا اذا كان من وجوه العسكر ، أما الرجال فانه أيقسام
على يابه (٥٢٠) . ثم انه أمر في نفس ذلك اليوم بكتاب كتاب بيعته ، وبعث
به فقري على منبر المسجد الجامع بتونس . وبذلك تمت له بيعة الخاصة
في آخر يوم من أيام شعبان / ٢٩ يولي ، ثم انه أخذت له البيعة على العامة

(٥١٨) القاضي للسان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٤٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الإعلام ، ص

٢٧ ص

(٥١٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٥ ، نقل ابن الخطيب ، أصاليد الاسلام ، ص ٢٣٢

ص ٢٣٢ - ٢٣٨

(٥٢٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٣٥

من أهل تونس، في نفس اليوم ، وكتب الى العمال بالبلاد بأن يأخذوا له البيعة على من قبلهم (٥٢١) . وبذلك تمت بيعة الخاصة والعامة .

ولما قرب وقت العشاء أمر بالتدأ في الجند أن يعودوا صباح اليوم التالي لأخذ عطياتهم . وبينما سمح لمن يابعه من أهل تونس ، وأعيان إجنادها بالانصراف ، فانه مظل عمومته في الانصراف عنه الى أن حل الليل . وعندئذ نفذ ما كان أشار به عليه أصحابه ، فقبض عليهم وكبلهم وأدخلهم في مركب من نوع الشيني ، ووكل بهم بعض ثقافته ليمضوا بهم الى جزيرة الكرات ، هل بعد ١٢ (اثني عشر) ميلا من مدينة تونس . وهناك ضربت دقايم في الليلة الثالثة من شهر رمضان المعظم .

أما عن الجند الذين كانوا يترددون على بابه كل يوم فانه مطلبهم ، حتى : « بردت قلوبهم وملوا الاختلاف الى داره » (٥٢٢) .

واستمرت سلسلة القتل والذبح التي بدأ بها زيادة الله الثالث ملكه ، فأمر بقتل الثقتين الصقليين اللذين قتل والده ، وأنزل بهما عقوبة المفسدين في الأرض ، فأمر بقطع أيديهما وأرجلها ، ثم صلبهما على كل من باب القيروان وباب الجزيرة ، من أبواب تونس (٥٢٣) .

هذا وتنص الرواية على أنه لم يستثن من مذبة أعمامه أبا الأغلب : عه الزاهد الساكن بسوسة ، فقتله هو الآخر . ومما يثير عجب الكتاب ما فعله زيادة الله بأخيه أبي عبد الله الأحول (أبي حوال) ، الذي كان يقاتل أبا عبد الله الشيعي في الزاب ، فقد أرسل اليه فتاة « فتوح » الرومي في ٥٠ (خمسين) فارسا يطلب منه القدوم عليه ولا يتخلف . فلما أقبل

(٥٢١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٥ .

(٥٢٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٥ ، وقارن: النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب .
الذي يقول انه أرسل من اخوته وبني عه ٢٩ (تسعة وعشرين) رجلا الى جزيرة في البحر يقال لها جزيرة الكرات فقتلوا في شهر رمضان من هذه السنة . وأنظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ٢١ : حيث يقول على الجملة انه قتل من قدر عليه من أعمامه وأخوته وقارن: القاضي النعمان ، افتتاح الدعوة ، ص ١٤٦ -

(٥٢٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٥ - ١٣٦ ، وقارن: النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ب ، كالتتاح الدعوة ، ص ١٤٥ . ابن الخطيب ، أفعال الأعلام ، قسم ٢ ص ٢٨ .

- ١٦٢ -

الأحول عن طريق بلزمة - الى زيادة الله أمر به فقتل ساعة وصوله (٥٢٤) .
فكان ذلك أعظم فتح عند الشيعة ، كما تقول رواية التويرى (٥٢٥) . هذا ،
كما قتل ابن القياد ، اذ اتهمه بأنه هو الذى أثار على أبيه بتأديبه
وحبس (٥٢٦) .

نتائج فاشلة لمقدمات تعسة :

وهكذا ، اذا كانت النتائج عادة ما تكون منسجمة مع المقدمات ،
فالمفروض أن تكون نهاية عهد يبدأ باراقة الدماء بهذا الشكل غير الواعى ،
هو الفرق فى السماء أيضا ، وإن كان ذلك على يدى الداعى : مثل الفاطميين
الذى أصبح زعيم قبائل كتامة .

والهم أن أهم ما يبرز من الأحداث التى تسجلها حَوَليات افرريقية على
عهد زيادة الله الثالث الذى لم يطل الا الى أقل من ست سنوات ، هو
انتصارات الشيعة المتوالية على قوات الأغلبة ، وما يقع خلالها من عزل
قاض أو تولية عامل أو وفاة فقيه . وذلك الى جانب المحاولات اليائسة فى
سبيل وقف المد الفاطمى ، من : الاتصال بالخلافة ، أو تحريض الفقهاء أو
عامة الشعب على الفاطميين الشيعة ، ثم نقل مركز الدولة الى مكانه الطبيعي
فى القيروان ورقادة .

وينتهى الأمر بإياس الأمير الذى لم ينقعه انقسامه فى اللهو والشراب ،
ولم يجده له ملجأ الا الهرب الى مصر ، تاركا بلاده وقصوده الى الشيعة
مودعا بغضب الشعب وبسخطه على الأسرة التى لم تستطع أن تصون النعمة
أو أن تدافع عن حماها .

احكام نظام الدولة وترتيب الدواوين :

والهم أن زيادة الله الأخير بدأ تنظيم دولته ، التى كلفته حياة وال
العشرات من اخوته وبنى عمومته وأهل بيته ، بأن عهد لمس . ١
الأولين ، وهما : عبد الله بن الصانع ، وأبو مسلم منصور بن اسماعيل

(٥٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ ، الفتاح الدعوة ، ص ٤٦ ١ ابن خلدون ، ج
ص. ٢٠٦ -

(٥٢٥) التويرى ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ١ وقارون ابن الاثير ، سنة ٢٩٦ هـ - ج ٨ ص ١١

(٥٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ .

- ١٦٣ -

ياهم دوايين الدولة . فكان من نصيب ابن الصائغ الوزابة والبريد ، ومن نصيب أبي مسلم ديوان الحراج (٥٢٧) . والظاهر أنه ولي الحراج بدلا من العامل السابق ، هذيل النفطي ، الذي قتل في السنة التالية (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) ربما بعد محاسبته على ما كان بين يديه من الأموال (٥٢٨) .

ولكي يكتسب زيادة الله تأييد الشعب ، ويرضى فقهاء المالكية عزل قاضي القيروان المقتفى الذي كان ، رغم علمه وفضله ، مكروها من الناس بسبب قوله يخلق القرآن ، وولي قضاء العاصمة الى حماس بن مروان بن سناك الهبذاني ، الذي عرف بالورع وعلمه بذهب مالك وأصحابه . وكانت لفرصة استغلها زيادة الله فكتب كتابا الى القيروان قريء على الناس . وفيه : اني عرلت عنكم الجاني الجلف المبتدع المتصف ، ووليت القضاء حماس بن مروان : لرافته ، ورحمته ، وطهارته ، وعلمه بالكتاب والسنة (٥٢٩) . وحقق حماس ما كان يأمله الناس فيه ، فعدل في أحكامه ، ولم يكن يهاب أحدا في ولايته ونظره (٥٣٠) .

ولكي يؤكد زيادة الله سلطانه قام في السنة الثانية من حكمه (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) بتعيين ابنه محمد وليا لعهده ، وكانت مناسبة لأخذ البيعة له من جديد مع البيعة لولي العهد (٥٣١) .

أما عن وظيفة عامل القيروان ، فيبعد أن عين فيها : علي بن أبي الفوارس في نفس سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، عاد وعزله بأحمد بن مسرور المشهور بالخال (٥٣٢) .

«الصراع ضد أبي عبد الله الشيعي : محاولات جادة بدون طائل :

وفيما يتعلق بالحرب ضد أبي عبد الله الشيعي ، فقد عهد زيادة الله

(٥٢٧) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ . النوري . المخطوط . ج ٢٢ ص ١٢٥ .

(٥٢٨) أنظر ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٢٩) النوري . المخطوط . ج ٢٤ ص ١٢٠ ب . ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ . وكان الانتاج المصنوع . ص ١٤٦ - ١٤٧ - حيث ينسب ذلك الى أبي العباس والى زيادة الله .

(٥٣٠) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٣١) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ .

(٥٣٢) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

بقيادتها - بعد قتل أخيه الأحول (أو أبي حوال) - إلى قريبه إبراهيم بن أبي الأغلب ، كما كرس لها المزيد من عنايته ، ولكن دون جدوى . وذلك أن أبا عبد الله ، الذي كان قد انتهى من ادخال معظم قبائل كتامة في الدعوة ، وجعلهم في شكل جيوش نظامية حسنة التدريب ، ملتزمة بالطاعة ، أخذ يتطلع إلى المدن الأعلى غير البعيدة من بلاد كتامة ، وهو الأمر الذي فصله القاضي النعمان في رسالة افتتاح الدعوة ، بطريقة منه .

فقد أثبت المؤلف الفقيه ، في تلك الرسالة ، أنه مؤرخ من النوع الموهوب ، المطلع على بواطن الأمور - وهذا ما يفسر كيف أن الرسالة المنقبية ، أصلاً ، أصبحت المصدر الرئيسي الذي أخذ عنه كبار المؤرخين ، من المشاركة والمغاربة ، مثل : ابن الأثير ، الذي يكاد يكتفي بتلخيصها ، وابن عذاري الذي يعتمد عليها إلى حد كبير ، وإن كان يضيف إليها إضافات هامة من مصادر لم تصل إلى أيدينا بعد ، مما يأخذ بوجوه النظر المقابلة لرأي النعمان .

وبناء على ذلك فقد استخدمنا « افتتاح الدعوة » في الفصول التي خصصناها ، فيما بعد ، لقيام أبي عبد الله بالدعوة في بلاد كتامة والصراع مع الأغالبة . والذي يؤخذ على رواية القاضي النعمان أنها قد التزمت بحدود الدعوة الفاطمية ، لا تخرج عنها إلى ما يحيط بها من أحوال الأغالة ، والأوضاع الداخلية في إفريقية إلا إلى حد محدود . ولذلك فقد اقتضى المنهج أن نعرض للموضوع خلال سياق عرضنا لأحوال الأغالة هنا ، كما يعرضها ابن عذاري ، مكتفين بالإشارة إلى « افتتاح الدعوة » . وإذا كان عيب هذا المنهج أن الحقيقة التاريخية تظهر فيه وكأنها ذات وجهين ، وهذا ما لا نماري فيه - والحقائق نسبية على كل حال - فإن من محاسنه ظهور الأحداث منسجمة مع مقدماتها ، في كل من وجهي الواقع التاريخي . ويتبقى على المؤرخ استخلاص النتائج النهائية عند المقارنة بين كل من الوجهين .

والهم أنه في السنة الثانية من ملك زيادة الله (٢٩١ هـ / ٩٠٤ م) نجح الداعي أبو عبد الله في الاستيلاء على كل من مدينتي ميله وسطيف ، مما أثار الدهر في غفس الأمير الأغلبي (٥٣٣) .

التطلع نحو الخلافة شرقا ، والحسين في الغرب :

والظاهر أن زيادة الله أخذ يطلع الخلافة في بغداد على مجريات الأمور في إفريقية على أن يخرج تلك الحرب من نطاقها المحلي ، بتدخل الخلافة التي يمكن أن تهيب لها مساعدات من خارج إفريقية . فهذا ما يمكن فهمه مما دخله زيادة الله عندما سير ، في نفس السنة ، الحسن بن حاتم رسولا من قبله إلى الخليفة المقتدر ، يهديها وطرف (٥٣٤) ، إلا إذا كان يهدف من اتصاله بالخلافة أمرا ثانيا ، كزيادة تأكيد ملكه باقرار الخلافة له ولو بطريقه معنوية ، وهو الأمر الوارد أيضا ، ولكن في ثنايا الموضوع الأكبر ، المتمثل في الخطر الكتاني .

والتي جانب ذلك حاول زيادة الله أن يوثق صلته بالحسينين ، أقارب الأدارسة في المغرب الأوسط ، حتى يساعده في مقاومة كتامة ، فآقر الحسن بن أبي العيش على رئاسة قبائل جراوة » وذلك بعد وفاة والده أبي العيش (٥٣٥) . ولم تعرف قبل ذلك أن الحسينين كانوا يدينون بالطاعة للأغالبة .

تعبئة الرأي العام في إفريقية ضد الشيعي :

ويؤيد فكرة أن مسألة الشيعي وخطر كتامة أصبحت الشغل الشاغل لزيادة الله ، ما قام به الأمير من دعوة فقهاء إفريقية إلى حيث كان يقيم في تونس . ووصل عدد كبير من فقهاء إفريقية إلى تونس ، واجتمعوا في بيت الوزير عبد الله بن الصائغ ، ولكن بصفته صاحب الشرطة أو رئيس الاستخبارات ، كما نقول الآن . واثناء تباحثهم في أمر الشيعي أخبرهم ابن الصائغ ، على لسان الأمير : ان « هذا الصنعاني (نسبة إلى صنعاء) الخارج علينا مع كتامة ، يلحق أبا بكر وعمر بـ رضا - ويزعم أن أصحاب النبي - صلعم - ارتدوا بعده ، ويسمى أصحابه : « المؤمنين » . . . ومن يخالفه في مذهبه : « الكافرين » . ويبيع دم من خالفه في رأيه » (٥٣٦) .

وكان من الطبيعي أن يكون رد الفقهاء على مثل هذا الخبر : اظهار

(٥٣٤) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٧

(٥٣٥) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٧

(٥٣٦) ابن عذاري . ج ١ ص ١٣٧

اللعنة على الشيعي والبراءة منه ، وتحريض الناس على قتاله ، والفتوى بمجاهدته (٥٣٧) ، فكانه من الكافرين ، في نظرهم ، هو الآخر .

هدية الى الخليفة :

والظاهر ان زيادة الله كان يأمل خيرا في خلافة بغداد ، بدون أن يقدر ما كانت تسير اليه من الضعف والوهن في ذلك الوقت . فالملكفي ولي في سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م والقيرامطة ، اخوة الفاطميين ، يشيرون الاضطراب في الشام ، بل وفي العراق أيضا . والمقتدر الذي ولي في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م انتهى به الأمر أولا الى الخلع سنة ٣١٧ هـ / ٩٢٩ م ، قبل أن يقتل على يدي رئيس الحرس التركي ، وإن كان فيما بعد سنة ٣٢٠ هـ / ٩٣٢ م . فبعد اجتماع العقهاء ، أرسل زيادة الله هدية عظيمة الى الخليفة الملكفي ، فيها ٢٠٠ (مائتا) خادم ، وخيل ، وبز كثير وطيب ، ومن اللبوز المغربية (قماش صوف غليظ) ١٢٠٠ (ألف ومائتان) . وكان بضمن الهدية عشرة آلاف درهم ، في كل درهم عشرة دراهم (٥٣٨) ، وعشرة آلاف دينار سكبت خصيصا للخليفة ، اذ كان وزن الدينار منها عشرة مثاقيل ، أي عشرة دنابر .

والذي قد يهمنا أكثر من ذلك هو أنه كتب في كل مثقال من تلك المثاقيل بيتين من الشعر ، يقولان :

ياسائرا نحو الخليفة قل له ان قد كفالك الله أمرك كله
بزياة الله بن عبد الله سيف الله من دون الخليفة سله (٥٣٩)

فكانه يريد أن يقول للخليفة انه يقاتل الشيعي باسمه ، وتحت أياته السنوداء . ونحن نظن أنه ، وهو يقول انه يكفي الخليفة العباسي حربا هذه في الجبهة الافريقية ، انما كان يعني تأييد الخليفة المعنوي ، على الأقل ، إذ لم يكن المادى - وهو التأييد الذي لا يكون الا من مصر القريبة - وهذا ما لم تفكر فيه الخلافة - نظريا فقط - الا بعد حرب زيادة الله الى مصر ، بل وبما خرجوه من مصر ، وهو الى طريقه الى بغداد (٥٤٠) .

(٥٣٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٧ .

(٥٣٨) انظر الحلة السراء ، ج ١ ص ١٧٨ . والرواية منسوبة الى الصولي في « كما

الرزاء » .

(٥٣٩) الحلة السراء ج ١ ص ١٧١ . ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣٧ .

(٥٤٠) انظر فيها سد ، ص ١٨٤ .

نقل العاصمة الى رقادة : وعيث وقت الجند :

أما أهم ما قام به زيادة الله ، من الناحية العملية ، في مواجهة الخطر
الكتامي ، فهو اعادته لمركز الدولة من تونس المتطرفة الى القيروان ورقادة ،
ليكون قريبا من مركز الأحداث ، أي جبهة القتال في الزاب ، وإن كانت
رواية الرقيق التي نقلها التويري تظهر أكثر تشاؤما : إذ تقصر الثقل من
تونس الى رقادة بأخوف من أن يسير إليها الشيعي ويأخذها في غفلة من
الأمن (٥٤١) .

ففي مطلع سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م وصل وزير المال ، صاحب الخراج ،
أبو مسلم منصور بن اسماعيل بن يونس الى رقادة لاصلاح القصور الملكية
بها ، ورفع ما كان قد وهى من المدينة (٥٤٢) ، كما جدد سورها (٥٤٣) .

والظاهر أن الأمر لم يقف عند الأعمال العمرانية الضرورية للسكنى
أو للدفاع عن المدينة ، إذ أنشأ أبو مسلم مركبا على الماغل الكبير المعروف
بالبحر ، وسماه بـ « الزلاج » (٥٤٤) . وفي شهر ربيع الآخر من السنة /
فبراير ٩٠٥ م ، قدم زيادة الله من تونس الى رقادة ، ونزل في قصره المواجه
للصهريج الكبير (٥٤٥) ، الذي كان يعرف بقصر « العروس » ، كما عرف
بقصر البحر ، والذي نسب اشيأوه اليه ، وبما بهذه المناسبة (٥٤٦) - حتى
يتمتع بالاقامة فوق ماء الماغل في ذلك الزلاج .

وهكذا لم تمنع جدية الموقف الحرج من انصراف الأمير الى التمتع
بمباهج الحياة - ولو أن ذلك لم يمنح الأمير من رقابة عماله ، وكان أول
فرانس مبيته الى منطقة العاصمة ، هو : والي القيروان أحمد بن مسرور
المشهور بالحال ، الذي وإن لم يعزل من منصبه ، فإنه أدب فطرب ، وطوف
به بمدينة القيروان مخشبا على بقل باكاف (٥٤٧) .

(٥٤١) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب .

(٥٤٢) ابن عطار ، ج ١ ص ١٢٧ .

(٥٤٣) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٥ ج - حيث لا نزالها زيادة الله من سورها .

(٥٤٤) ابن عطار ، ج ١ ص ١٢٨ - حيث تذكر الرواية القيروان بدلا من رقادة .

(٥٤٥) ابن عطار ، ج ١ ص ١٢٨ .

(٥٤٦) المظفر فيما سبق ، ص ١١٧ .

(٥٤٧) ابن عطار ، ج ١ ص ١٢٨ .

الإعداد الجنى حرب الداعي :

وهكذا كان زيادة الله يجتهد فعلا في مواجهة الخطر الذي يتهدد دولته ، وكانت عودته الى القيروان علامة جيدة على صحة عزمه . فبدأ بحشد أبطال الرجال من إحرار العرب والموالي من الجند ، كما أخذ في جمع السلاح والآلات الحرب . ولا شك في أن أخبار اعدادات زيادة الله هذه ، وحشد جيش يبلغ ٤٠ (أربعين) ألف رجل (٥٤٨) ، كانت تصل أولا بأول الى أبى عبد الله الشيعي الذي ارتاع . كما تقول رواية ابن عذاري ، وأخذ في حشد كتامة (٥٤٩) .

موقعة خاسرة قرب قسنطينة :

ولقد التقى الجيش الكبير الذي أعده زيادة الله تحت قيادة ابراهيم ابن حبشي ، في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، بحشود كتامة التي قادها الداعي ، غير بعيد من مدينة قسنطينة (٥٥٠) . وانتهت الموقعة العظيمة ، التي تطاعن فيها القوم بالرمح حتى كحطمت ، وبالسيف حتى تكسرت ، بانهزام ابراهيم وجنده الأغلب . وتقول الرواية ان ابراهيم ورجاله لم يتجوا الا بفضل ما تركوه من المغنم التي انشغلت بها كتامة ، من : الأموال والسلاح والسروج والحيل حتى اغتنى أصحاب الشيعي من أولى مغنمهم هذه : فلبسوا أثواب الحرير ، وتقلدوا السيوف المخلاة (٥٥١) .

وكان للامام العاطمي عبيد الله المهدي ، الذي كان مستخفيا في سبجاسة ، قرب وادي دوعة من صيغراء المغرب الأقصى الجنوبية ، حيث بنى مدرار من الجوارح الصغرية ، نصيبه من تلك المغنم ، من : الحرير

(٥٤٨) ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٥ .

(٥٤٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٨ - حيث يشير أيضا الى مسألة أوضاع الداعي الشيعي الذي لم يكن له غيران للجند النظامي . بل كان : « يكتب الى رؤساء القبائل ، فيحشدون من عليهم طاعة له ورغبة فيه » . وكان الداعي يكتب الى من يكتب لهم : « الوعد - يوم كذا من موضع كذا » . بينما يصرخ صائح بين يديه ، « حرام على من تخلف » . ويهله الكلية لم يكن يختلف منه أحد من كتامة لمجيئهم له . بل ما لا يحصى من كثرة . وعن تنظيم : أبى عبد الله لأهوانة على أنظر في هذا . وفي الدعوة للفاطمية . ص ٥٥٣ - وما بعدها .

(٥٥٠) أنظر النتائج الدفوة ، ص ١٥٧ - ابن الأثير . سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٥ . وفي الدعوة للفاطمية . فيا بعد . ص ٥٦٤ وهـ ٩٢٢ : حيث تختلف الروايات في اسم المكان في ما بين : كبونة ، وكبونة ، وكبونة .

(٥٥١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٢٨ .

والدناير التي لا يوجد لها مثيل في ذلك البلد (٥٥٢) .

نتائج الهزيمة: معنويات متدنية في الجيش الأغلبى :

أما عن نتائج المعركة - التي وقعت في تلك السنة (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) التي ولد فيها واحد من أشهر مؤرخي المغرب ، هبوس مجيد ابن يوسف القرواني (٥٥٣) - فتلخصت في ازدياد قوة الشيعة من ناحية ، ووقوع الوهن على أهل إفريقية ، ودخول الجزرع في قلوبهم ، من ناحية أخرى (٥٥٤) . والحقيقة انه منذ تلك الوقعة أصبح الصراع بين الأغلبية وبين الشيعة ومن معه من كتامة ، عبارة عن سلسلة من الهزائم المتوالية لمجند الأغلبى ، لا يعرف زيادة الله لها من علاج . وفي هذا المجال لم تعد يجدى حتى كتب الخلافة الواردة من بغداد ، والتي كان يحث فيها الخليفة أهل إفريقية على نصرته زيادة الله ومحاربة الشيعة ، والتي كانت تقرا في المساجد على الناس ، كما حدث بالنسبة لكتاب الخليفة المكتفى بالله الذي ورد الى القروان في السنة التالية ، وهي سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م (٥٥٥) .

تخبط زيادة الله في اختيار الرجال :

ويتضح من تفاصيل الأحداث أن الأمور اضطربت على زيادة الله الأخير حتى ضاقت به السبل ، ولم يجد من يلجأ اليه من الرجال ، في سبيل انقاذ ما يمكن انقاذه ، الا أولئك الذين كان قد أساء اليهم بالأمس القريب ، ممن كان الحق يملأ قلوبهم عليه .

فبعد هزيمة جند إبراهيم بن حبشى ، التي خسر فيها الجيش كل عتادة وامتنعته جهز زيادة الله في سنة ٢٩٣/٩٠٦ م التالية ، جيشا سيره الى الأربسي - القريبة - لمحاربة الشيعة ، وكان ثقاة على رأس ذلك الجيش ، همما :

(٥٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ ، وقارن النتائج الدعوة ، ص ١٥٨ - حيث توجد تفصيلات والية من المعركة . لخصنا في الدعوة الفاطمية ، ليا بعد ، ص ٥٦٥ - ٥٦٦ .
 (٥٥٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٩ .
 (٥٥٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٩ .
 (٥٥٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٠ ، وقارن النتائج الدعوة ، ص ١٧٤ ، ١٧٨ ، والنظر على الدعوة الفاطمية ليا بعد .

مدنح بن زكريا ، وأحمد بن مسرور الحال . وأحمد بن مسرور ، الذي كان يشغل منصب والي القيروان ، رأيناهم يربوطين إلى خشبة ، في الستة السابقة ، وهو يطوف به في سباط القيروان بعد أن ضرب بأمر زيادة الله . أما زميله مدالج فكان زيادة الله قد نازعه في منية كانت له تصرف به « الجليدية » ، وانتهى النزاع بأن حكم القاضي - حماس بن مروان - ضد مدالج ، مما جعله يحقد على الأمير .

وهكذا خرج الرجلان بأمر زيادة الله من أجل « جهاد الشيعي » ، يوم الاثنين ٢٠ جمادى الثانية / ٨ ابريل ، وهما يضمران الحلاف . فقد رجعا بالمسكن إلى القيروان بعد ثلاثة أيام ، يوم الخميس ١٣ من نفس الشهر / ١١ ابريل (٥٥٦) ، وهي المدة التي لا تسمح إلا بالذهاب إلى الأربس والعودة عنها فقط : وإذا كان القائدان ومن معهما من الجنود قد رضوا لأنفسهم بالجلبى واختنوع ، فإن ذلك ما لم يرض به غسوغاء القيروان الذين خرجوا إليهم يدافعونهم ، ويدفعونهم دفعا إلى القيام بواجبهم ، حتى انتهى الأمر بأن كبا بمدالج فرسه ، فقتل من ساعته ، كما قتل معه واحد من وجوه عسكره ، هو : ابن بربر ، ووصلب الاثنان في التو واللحظة على باب رقادة من أبواب القيروان (٥٥٧) -

الأربس - على أبواب القيروان - ثغرا ، ومقرا مؤقتا للأمير وحشيتة :
وبذلك أصبحت مدينة الأربس - على مسيرة يوم أو يومين من القيروان - وكأنها ثغر إفريقية في مواجهة الشيعي ، بينما القتال ما زال ، يعد ، بعيدا في الزاب ، حيث باغاية وطبنة ، وإن كانتا على وشك السقوط . واضطر زيادة الله إلى الخروج إلى الأربس ، التي صارت مركز القيادة ، حيث اجتتمع الكثير من العسكر ، طمعا في العطاء وليس رغبة في القتال . ولم يذكر ذلك تقول الرواية أن الأمير كان يعطى هناك الأموال جزافا بالصحف فكان يعطى للرجل ملء الصفحة دنانير في كسائه ، ثم يحمل على فرس ، ولكنه كان يخرج فلا يرى بعدها أبدا (٥٥٨) .

(٥٥٦) ابن خلدون ، ج ٢ ص ١٢٩ .

(٥٥٧) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٢٩ - ١٤٠ .

(٥٥٨) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤٠ .

ما بين الجد والهزل في مركز القيادة :

ولمى الأربس خلط زيادة الله أجند بالهزل مرتين معاً . فبدلاً من أن تكون مجالسه ، في القاعدة العسكرية ، متناسبة مع واقع الحال ، سمع لنفسه بمقد مجالس المناظرة . وقد لا يكون في الأمر غرابة ، لأول وهلة ، فالرواية تقول : انه عندما قدم عليه أبو يعقوب اسحق بن سليمان الأسرائيلي المتطبيب من المشرق ، بصحبة أبي الحسن بن حاتم ، رسوله الى الخلافة في سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م ، عقد مجلساً للمناظرة في علوم الأوائل . وكان موضوع المناظرة ، الذي كان على الصالح القيرواني ابن حنيس المعروف باليوناني ، مناقشته مع الطبيب الاسرائيلي الوافد من العراق ، هو : موضوع انلاقة بين اندوحة والحلاوة ، من وجهة النظر الفلسفية المحضة . ولكنسه عندما بدأت المناقشة العلمية العميقة تتحد ، اتضح أن أميرنا اللامعي لا يحسن الاستماع الى مثل هذا الجدال الراقى . فقد تملكه الضحك الشديد أثناء الجدال ، مما يحمل على الظن أنه لم يكن يعقد مثل هذا المجلس الا من أجل المراحة . وهذا ما شهد به اسحق المتطبيب ، اذ قال عن مجلس زيادة الله هذا : انه قليل الوقار ، كثير اللهو (٥٥٩) .

ولهم ان زيادة الله نجح في توجيه المسافر الى باغاية ، أما طينة عاصمة الزاب فشحنها بالرجال والعتاد ، وقدم عليها حاجبه : أبا المقارع الحسن بن أحمد بن نافذ ، يماونه شبيب بن أبي شداد القمودي ، وخفاجة العيسى ، وهم من المعروفين ، من أهل البسالة والنجدة ، وأمرهم بشن الغارات من طينة على أرض كتامة (٥٦٠) .

استيلاء الداعي على بلزمة وطينة :

ومع أن رواية ابن عذارى تقول ان الحرب دارت مسجلاً بين الفريقين (٥٦١) ، فان تكملة الرواية - التي قطعناها بمض الأحداث العارضة (٥٦٢) ، لا تدل على صحة هذا القول . ففي نفس هذه السنة

(٥٥٩) انظر تفصيلات الموضوع في ابن عذارى . ج ١ ص ١٤١ .

(٥٦٠) ابن عشاري . ج ١ ص ١٤٠ - حيث القراءة : ابن الله بدلاً من ابن الله ، وشعيب بدلاً من شبيب . ولقد أخذنا برواية الفتاح المعرة - انظر فيما بعد ، ص ٢٥٠ .

(٥٦١) ابن عذارى . ج ١ ص ١٤٠ .

(٥٦٢) على مثل تولية الفلسفة بركة الى معبد ابن عبد الله للعروف بابن جيبان . ولم يسم عنه عودته . وما كان فيه من اللطافة . ولكن لأنه كان مصوب الوزير صاحب الترقية في السنة

(٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م) تغلب أبو عبد الله الداعي على مدينة بلزمة ، ثم على عاصمة الزاب ، طبنة ، التي دخلها بالأمان ، في آخر ذي الحجة (٢١ أكتوبر ٩٠٦ م) . ولما كان يطبنة أبو المقارع الحسن بن أحمد صاحب زبانة الله ورائي المدينة مع صاحبيه شيب القمودي ، وخفاجه العيسى (٥٦٣) ، فإن ذلك يعني أن أهل البسالة والنجدة لم يغنوا شيئا . وحسب للكتاب أن يعتبروا القضاء على القيسية من العرب في بلزمة ، الذين كانوا يذليون كلمة ، وذلك على عهد إبراهيم بن أحمد ، بمثابة أول حلل طرا على دولة الأغالبة (٥٦٤) .

حرب الدعاية تسير جنباً الى جنب مع القتال :

أبو عبد الله يلقى نظام الضرائب الأغلبى ، ويعلن العودة الى السنة في طبنة : والظاهر أن أبا عبد الله الشيعي كان قد اكتسب قلوب الناس في الزاب ، بفضل دعايته الذكية ، مما يتعلق بالسعودة الى الرجوع بالاسلام الى نقائه الأول على عهد الرسول . فهو - في طبنة - يرفض أموال جبائية العشور التي تقدم اليه ، حسب انتظام الضرائب الثابت ، على أساس أنها من المغارم ، ويقول : « إنما العشر جيوب ، وهذا عيني » ، ويأمر بأن يرد على كل رجل ما أخذ منه ، ويقول : « سنة العشور معروفة » (٥٦٥) . وهو يقول لمن أتاه يمال الحراج . هذا مال - لا خير فيه ، ولا قبالة ، ولا خراج على المسلمين في أموالهم - ثم يأمر ثقات أهل طبنة برده على أهله (٥٦٦) .

وهكذا سر به أهل طبنة ، ورجوا أن يستعمل فيهم الكتاب والسنة .

عبد ابن الصانع ليس الا (ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٠) أو قدوم أمير يقرب اسحق بن سليمان الاسرائيل للصليب على زيادة الله في الارض وعقد مجلس المظفرة المذكور .
(٥٦٣) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٠ ، وقارن التتاج الدعوة الذي يلخصه ابن الأثير (سنة ٢٩٦ هـ) حيث الرواية التفصيلية التي لا يسيبها الا لها غير مؤرخة . وهو تجلج القاطية ، فيما بعد ، ص ٥٦٥ - ٥٦٦ .
(٥٦٤) انظر فيما سبق ، ص ١٣٦ هـ ٤٣٥ .
(٥٦٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤١ - وهو « يناقش في المال الآتي من جباية اليهود »
(٥٦٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ٤١ - وهو « يناقش في المال الآتي من جباية اليهود والنصارى » لأن سنة الرسول كانت تقضى بأن يؤخذ من الآء ٤٨ دوحاً . ومن المتوسط ٢٤ دوحاً . ومن الفلج ١٢ دوحاً . ولا يقبله الا من ان يعرف انه أخذ حسب الترف ألقى كان يتخله سر - رحمه ، فيقول : هذا مال طيب . ويأمر أحد الدعاة بتفريقه على أصحابه .
(٥٦٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٢ .

- ١٧٢ -

يعن هذا الطريق « انتشر فعله في جميع نواحي افريقية ، فتاقت أنفس الناس اليه ، وكاتبوه ، ودخلوا في طاعته » ، مما زاد في غم زيادة الله (٥٦٧) .

زيادة الله يحاول اكتساب أهل قسطنطينية (توزر) برفع الظلم عنهم ، فيسألهم الى عماله :

في هذه الظروف الصعبة لم يكن من الغريب أن يستجيب زيادة الله الى مطلع سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م ، وهو في الأريس ، الى تظلم أهل قسطنطينية من قاضيهم محمد بن مفرج المعروف بابن الشاعر ، فيكتب الى عامله هناك بعزله وتخشيبه ورفعته الى بابه . وتقول الرواية أن كتاب زيادة الله وصل الى قسطنطينية والعامل غائب في بعض مصالحه ، فلما « تسادز بعض القوم الذين رثعوا عليه الى مجلس القضاء الذي كان فيه ، فسبوه وهمووا بالبسط اليه ، فأمر غلمانهم بأخذهم وضربهم ، وقيدهم وحبسهم » - ولكنه لما قدم العامل ، وعرف ما في الكتاب ، « أوثقه حديدا ، وخشبه ، ووجهه الى زيادة الله ، فضربه بالمرة ، وحبسه ، وذلك للنصف من المحرم (٥ نوفمبر) .»

ولا بأس في أن يكون زيادة الله قد أراد ألا يتقرب بهذا العمل من أهل قسطنطينية فقط ، بل انه كان قد أتى به على أنه عمل من أعمال الخير والقربى من الله ، عسى أن يجعل له فيه مخرجا من محنته .

محاولات لاستعادة الزاب :

ابن حبشى يخرج بقواته الى طينة :

وذلك أنه في اليوم الذي كان يضرب ابن الشاعر قاضي قسطنطينية ، وهو حخشب ، في الأريس ، أي في ١٥ محرم سنة ٢٩٤ هـ / ٥ نوفمبر ٩٠٦ م ، خرج ابراهيم بن حبشى بمساركة للاقاة أبي عبيد الله الشيعي بميدنة طينة (٥٦٨) ، وأغلب الظن أن الأمر كان مجرد صدفة . ومع أن الرواية لا تعرفنا بما حدث لذلك المسكر ، هذه المرة ، فمن المعروف أنه لم يكن بأسعد حظا من المرات السابقة ، ان لم يكن قد ذهب للقلد الشيعي على الإطلاق .

(٥٦٧) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٥٦٨) ابن طبرى ، ج ١ ص ١٤٢ .

هرون الطنبى يسير الى بلزمة :

هذا عن رواية ابن عذارى ، أما رواية القاضى النعمان ، فيفهم منها أن ريادة الله وجه جيشا آخر الى بلزمة ، وان قيادة الجيش الذى بلغت عدنه ١٢ (اثنى عشر) ألف رجل كانت الى هرون الطنبى ، أخى زيادة الله . الطنبى ، والى باغاية . وكان مصير تلك الحملة هو الهزيمة . ومقتل قائدها هرون (٥٦٩) ، كما كان من نتائجها سقوط مدينة تيجس (٥٧٠) .

ومما يرجح وقوع كل من حملتى ابراهيم بن حيشى ، وهرون الطنبى فى نفس الوقت ، أى فى أوائل سنة ٢٩٤ هـ / أواخر سنة ٩٠٦ م ، هو اتفاق كل من ابن عذارى والقاضى النعمان فى نتيجة الحملتين . فبينما يقول ابن عذارى أن زيادة الله انصرف من الأربس فى تلك السنة الى رقادة ، بعد أن استخلف على الجيش بالأربس قريبه ابراهيم بن أحمد بن أبى عقاب ، وأنه بدأ بناء سور مدينة رقادة « بالطوب والطوايى » (٥٧١) ، يزيد النعمان تلك الرواية ابصاحا ، فيقول إنه بعد مقتل هرون اغتم ريادة الله كثيرا ، وقرر الخروج بنفسه الى لقاء الداعى ، ولكنه بعد أن احتل مع أهل القيروان بالخروج الى الأربس ، عاد واستمع الى نصيح الناصحين له بالا يفعل ذلك : فهزيمته ، لو وقعت ، لى تكون كمثمل هزيمة قواده ، فرجع الى قصره برقادة (٥٧٢) .

بداية النهاية : تحصين رقادة والانصراف الى اللهو :

وكان تجديد سور رقادة يعنى بداية النهاية ، اذ يبدأ الكتاب فى القول ان زيادة الله انصرف منذ ذلك الحين الى دفن همومه فى العبت واللهو . فالتزم التنزه على البحر ، وهم يقصدون الجلوس وسط الماجسل الكبير ، المعروف بالبحر ، فى المركب المعروف بالزللاج . كما التزم اتباع اللذات ومناذمة الميارين والشطار والزمامرة والضراطين . وهم يقولون انه كان

(٥٦٩) افتتاح الدعوة . ص ١٦٤ - ١٦٦ . وقارن ابن الخطيب . الاعلام ، قسم ٣ - ص ٤٠ (حيث الاسم هارون بن الطنبى ٢) -
 (٥٧٠) افتتاح الدعوة . ص ١٦٧ - ١٦٩ ، وانظر فيما بعد فى الدعاية اللاطمية ، ص ٥٦٧
 (٥٧١) ابن عذارى . ج ١ ص ١٤٣ -
 (٥٧٢) افتتاح الدعوة . ص ١٧٨ - ١٨١ . وانظر فيما بعد . فى الدعاية القفا ٢ ص ٥٦٩ وما بعدها .

- ١٧٥ -

إذا نكر في غلبة عدوه على أكثر مواضع عمله ، يقول لنعمائه : « املا واسمني من القرن يكفيني » (٥٧٣) .

الى غير ذلك من الأخبار التي تدخل في أخص خصوصيات القصور ، مما لا يليق ذكره فضلا عن عمله . وهذا ما يفسر كيف أن مثل هذا النظام المبني على المظاهر الخداعة ، ما كان يمكنه بأي حال من الأحوال ، أن يقف أمام دعوة كتامة : دعوة العودة الى مجتمع الاسلام في ثقائه الأول (٥٧٤) . وفي هذا المقام يذكر الكتاب أنه كان إذا أظهر زيادة الله الفم بأمر الشيعي أخذوا له في اتسلي ، فكان مما غنته جارية له ذات يوم ، هذان البيتان من الشعر ، اللذان كان لهما صدى عميق في نفسه .

اصبر لهدر مال مني لك فهكذا مضت الدهور
فرح ، وحزن مسرة لا الحزن دلم ولا السرور (٥٧٥)

ووسط الانباء المضحكة المبكية ، يستغنى قاضي القيروان الورع حماس ابن مروان ، ويقتيل استعفاؤه ، ويؤلى عوضا عنه والي رقادة : المغفل الجاهل . محمد بن عبد الله بن جيمال ، محسوب الوزير صاحب الأخبار عبد الله بن الصائغ ، ويقتل في منصبه الى أن يهرب زيادة الله (٥٧٦) .

٥٧٣ : ابن عسارى ج ١ ص ٤٢ . وقارن انتاح الدعوة . ص ١٨٢ - حيث يشرح القاضي النعمان ان ههنا الكلمات كانت بيتا من الشعر يقنى في دور في مجلس شراب زيادة الله . وإن احد سمائه له سند معروف بإخاياه . هذا بالإضافة الى ما يروونه عن كلفة بعض العلوان ، وما كان من وجهه عليه . وما كانت تقوم به بعض الجوارى من اصلاح فائده البني بينهما ، وما قالته من الشعر مثل :

يايها الملك الميسون طائره وقتنا فلان يد المشوق غرق يده
كم ذا التجلد والاشياء خالقة أعيد كلك ان تسطر على كبدك .

ابن عسارى ج ١ ص ١٤٢ . وقارن الحلة السوداء . ج ١ ص ١٧٧ - حيث يحسب أن الأمل تلك الرواية الى أبي بكر محمد بن محمد الصول في كتابه « الاخبار المنقورة » ، ولهذا يقول أن نظام العمل كان يدعى خطايا ، وأن زيادة الله نقش اسمه في السكة ، وأنه عندما سخط عليه قيده بقيد من ذهب ، وأن ذلك الشعر الذي غنته الجارية كان من نظم الوزير صاحب البريد والشروط : عبد الله الصائغ . وانظر فيما بعد . ص ٥٧٠ - ١٢٠ .

(٥٧٦) انظر فيما بعد ، في قيلم الدعوة القاطبة . من دعوة أبي عبد الله التي جعلت من الدين أساسا لتنظيم الجماعة (جماعة المؤمنين) . ص ٥٥٣ .

(٥٧٥) ابن عسارى ج ١ ص ٢٤٣ .

(٥٧٦) ابن عسارى ج ١ ص ١٤٣ .

التفكير في الرحيل الى مصر سنة ٢٩٤ هـ / ٦ - ٩٠٧ م :

وجاء سقوط باغاية بالأمان في شهر شعبان سنة ٢٩٤ هـ / مايد ٩٠٧ م (٥٧٧) ، بعد أن كاتبه أهلها (٥٧٨) ، يعلن نهاية النهاية . فعندما طلب زيادة الله المشورة من وزيره وصديقه القديم . عبد الله بن الصائغ ، الذي كان يعرف دقة الموقف بصفته صاحب البريد ، كما كان يعرف ضعف أميره ، صحه بالرحيل الى مصر سرا ، على أن يستخلف على إفريقية قائدا يجعل إليه أمر المسامر ، ويترك له الأموال . وراقت الفكرة للأمير الذي كان يهرب من الفم الى اللهو والعبث ، وأمر بشراء خمسمائة جمل لرحيله ، ولكنه طهر له خطأ هذا الرأي وخشى قيام الناس عليه ، وقوراتهم به ، فتوقف عن تنفيذه (٥٧٩) .

ويفهم من الرواية أن الذي بين له خطأ فكرة الهرب هو قائد جيوشه وابن عمه ابراهيم بن حبشى بن عمر ، الذي تعرض له وأدخله أجمل قصروره في رقادة ، وهو قصر البحر المشرف على المناجل العظيم وجعله يتمتع فيما كان فيه من الزخارف والصور ، وأفهمه أن مل هذا المنزل لا يسبغى أن يهجر أو يترك للأعداء . وضرب له المثل بما فعله جده الذي ظل مقيما بالقصر القديم الذي لا يقارن أبدا بقصره البديع ، وصبر فيه على الحصار أعواما كثيرة ، وقد أبغضه جل أهل بنده . وقام عليه رؤس حمله . فبلى مقيما فيه ، وضابطا له حتى أظهره الله عليهم . ومكده منهم « (١٠) » .

وأطمأن زيادة الله أكثر عندما قال له ابراهيم بن حبشى انه أكثر مالا من جده ، وأن أهل البلاد معه ، بينما عدوه الشيعة شيوخ مجهول غريب عن كتامة ، وأنه في حصن منيع ، وأن النصر معه بحول الله . وهكذا أجعل زيادة الله مشروع الهرب فصار يرسل الرجال والأموال الى الأربس ، التي أصبحت أقصى تغوره ، « فكانت خيل أبي عبد الله الشيعة تغير على الأربس من باغاية ، وخيل زيادة الله تغير على باغاية من الأربس » (٥٨١) .

(٥٧٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٥٧٨) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٨١ - ١٨٢ ، وتلخيص ابن الأثير سنة ٢٩٦ . ج ٨

ص ١٥ - حيث يظهر أن سقوط باغاية كان في سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م .

(٥٧٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٣ .

(٥٨٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٤ ، وعن اضطراب البلاد كل أيام ابراهيم الثاني .

لحمه . انظر فيما سبق ، ص ١٣٦ وهـ ٤٣٨ .

(٥٨١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٤ .

ماتم القيروان يكاد ينقلب عرسا :

زيارة صفيح القسطنطينية :

وبينما كانت رقادة تتخذ وضع التاهب لكل طاريء أو حدث ، وبينما أهل القيروان يتوجسون خيفة ، وينشرون العنثس حول مدينتهم ، ويعيشون في الاخبية المضروبة حولها ، كان على ذلك المنظر الذي يكاد يشبه الماتم أن ينقلب الى حفل عرس أو فرح .

في ذلك الوقت عاد حبيشى وابن أبي حجر وابن عباس ، وهم : رسل ريادة الله الى بلد الروم ، ومعهم رسول صاحب القسطنطينية (٥٨٢) . وكان على ريادة الله أن يحتفل بالسعي ، الاحتفال اللائق بملك : افرقيقة والمغرب ، رم وراء البحار من صعليه وقلوريه (كلايريا) ، وغيرها من النواضع لمه ابطال وسواحل المريج . وهكذا استقبل رسول قيصر الروم بما يليق به هو الآخر من الحفاوة . فكسى واقيم له حفل كبير في الملعب القديم القريب من رقادة . وحشد ريادة الله الناس والمساكر للمباهاة بهم ، فكان جمعا عظيما (٥٨٣) .

عودة ريادة الله الى مدينة تونس في اول سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٧ م :

وهكذا عاشت كل من رقادة والقيروان ما بين الحوف والرجاء ، وظلت الاستعدادات لحراسه العاصمة على قدم وساق ، فجدد زياد الله الحشد ، وكان يرغب الناس في الانضمام الى الجندية بالاموال (٥٨٤) . ولكنه اذا كانت احداث سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م الخاصة بتحصين القيروان ورقادة تنتهي بأن يعين ريادة الله في شهر شعبان (مايو ٩٠٧ م) ابن قهرم لمه حجابته (٥٨٥) ، فان احداث سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م تبدأ بخروج ريادة الله في شهر المحرم (اكتوبر ٩٠٧ م) الى مدينة تونس ، ليحاول ترويق امورهم فيها ، كما تقول الرواية (٥٨٦) . وهو الامر الذي يعنى الكف عن مواجهة الاخطار المحدقة بالقيروان .

(٥٨٢) ابن عذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٣) ابن عذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٤) ابن عذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٥) ابن عذاري . ج ١ ص ١٤٤

(٥٨٦) ابن عذاري . ج ١ ص ١٤٤

جولة كبرى لأبي عبد الله يجتاح فيها ما بين مجانة وقمودة :

وإذا كانت رواية ابن عذارى تكتفى بالإشارة إلى الجفاف الذي حل بمنطقة القيروان ، حتى قام القاضي محمد بن جيمال لصلاة الاستسقاء في يوم الاثنين ٦ ربيع الأول (١٤ يناير ٩٠٨ م) ، ثم عزل ابن أبي الوليد عن الصلاة وتعيين ابن يزيد كصاحب الصلاة مكانه في منتصف ربيع الآخر (٢٣ يناير) . وذكر أهم وفيات علماء البلاد وفقهائها في نفس السنة (٥٨٧) ، فإن رواية النعمان التي يلخصها بن الأثير تسجل للداعي انتصارات متوالية خلال سنة ٢٩٥ هـ / ٧ - ٩٠٨ م . من ذلك . افتتاحه لمدينة مجانة عنوة وقتل عاملها ، وملك مدن . قصر الأفريقي ، وتيفاش ، وقالة . وقاتي بعد ذلك المسيرة المظفرة إلى مسكيانة ، وتبسا ، ومديرة (حيدرة) ومروماجه (قرب الحدود التونسية الجزائرية الحالية) . ومجانة والفصرب (من المليم قمودة الذي تعتبر القيروان على تحومه ، حتى ظن إبراهيم بن أبي الأغلب أن الداعي قرر المسير إلى رقادة نفسها) .

والغريب في الأمر أنه بعد تلك المسيرة المظفرة ، أو النزهة العسكرية كما يقال ، رجع أبو عبد الله الشيعي ، عبر قسطنطينية . إلى ناغدة . ومنها عاد إلى قاعدته . دار الهجرة ، في إيكجان (٥٨٨) .

الاستيلاء على قسطنطينية ، وبلاد الجريد :

وتأتي سنة ٢٩٦ هـ / ٨ - ٩٠٩ م لتكون آخر السنين في عمر الدولة الأغلبية فيها وصلت حيل الشيعة من جديد إلى قسطنطينية حيث انهم أبو مسلم منصور بن اسماعيل صاحب الخراج السابق ، ومعاونه شيب ابن أبي الصارم ، وانسحبوا إلى مدينة توزر ، حيث تبعتهم الحيل الكتامية إلى هناك ، وهي تحرق القرى وتفسد ما تمر به من الزروع والنعم . واتبع الداعي الاستيلاء على توزر بالاستيلاء على قفصة ، عاصمة بلاد الجريد (٥٨٩) . وكانت تلك مفاجأة فاحاً بها الشيعة الجند الأغلبية ، بعد شهرين كان قد أوقف خلالها أصحابه عن الفارات حتى ظن الأغلبية أنه مريض ، بل حتى

(٥٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٥٨٨) انظر الفتاح المودع ، ص ١٩٢ - ١٩٦ . ولخارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ،

ج ٨ ص ١٥ - ولها بعد ، ص ٥٧٣ .

(٥٨٩) انظر فيها بعد ، ص ٥٧٥ .

قالوا : انه قد سمعت (٥٩٠) ، وقد ظننوا أن المفرج قد جاءهم من حيث لم يحتسبوا .

رد فعل اليم في العاصمة :

ولقد كان لعودة نشاط فرسان أبي عبد الله الشيعي ، بعد ذلك السكوت ، أثرا عميقا في قلب زيادة الله الذي هاله الأمر ورأه ، بل وفي صوب أهل الحاضرة التي ارتجت ، ما اضطربت أحوال الجند ، وخيم اليأس على الناس الذين خافوا على ذرائعهم وأهلهم من السبي والاسترقاق . أما عن معاوني زيادة الله الرئيسيين ، وهما : الوزير ابن الصائغ ، وصاحب الخراج أبو مسلم ، فقد فسدت الحال بينهما عندما ألقى ابن الصائغ سبي ساد الدولة على أبي مسلم .

ومع أن الرواية تشير إلى خدمة أبي مسلم أيام إبراهيم بن أحمد (٥٩١) ، عندما كان ابن الصائغ كاتباً له ، حيث يمكن أن يكون القصد من تلك الإشارة هو مذبة عرب بلزمة ، في سنة ٢٨٠ هـ / ٩٣ - ٨٩٤ م ، التي ميل أنها كانت سبب انقطاع الدولة الأغلبية ، فمن الواضح أن ابن الصائغ كان يقصد فساد الدولة بسبب انهزام أبي مسلم الأخير في قسطنطينية . فلقد انتهى الأمر بأن كتب زيادة الله إلى قائده شيب بن أبي الصارم معساون أبي مسلم بتورر ، يأمره بضرب عنق هذا الأخير . وتقبل الشيخ الحكم ، وهو يتحسر على أن يكون هذا جزاءه بعد خدمته وبلائه (٥٩٢) .

الجولة الأخيرة : سقوط الأريس :

وأخيراً جاء سقوط الأريس في ٢٤ من جمادى الآخرة سنة ٢٩٦ هـ / ١٨ مارس ٩٠٩ م ، يعلن نفي الدولة الأغلبية بعد أن انهزم إبراهيم بن أحمد ابن أبي الأغلب في عساكر افريقية وجمهور أجنادها الذين بلغوا ٤٠ (أربعين) ألف رجل ، ودخل الشيعي المدينة بالسيف عنوة (٥٩٣) .

(٥٩٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٥ ، وانظر فيما بعد ، ص ٥٧٦ .

(٥٩١) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٥ .

(٥٩٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٦ - وربما كان أبو مسلم يأمل على نصيحة زيادة الله بقتل صهره وأخوته ، عندما قال لشيب لو أنه لم ينصحه بذلك وشغل به ، ما دار عليه من قبله ما دار .

(٥٩٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٦ . التورق ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٣٦ . - التحفة السيرة ، ج ١ ص ١٧٥ . ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٧٠ - حيث ينص عن المنصور -

وانتهت هزيمة الجيش الأغلبى الكبير بمذبحة كبرى في مسجد الأري
الجامع حيث قزع الناس وفلول بعسكر ، وهم يركبون بعضهم بعضا .
شك أن رواية ابن عذارى ، تبأخ في عدد من قتلهم كتامة بأمر أبي عبد
الشيعة في الجامع ، اذ تقول : « انه قتل داخل المسجد ثلاثين ألف رجل
وكان قتلهم من بعد صلاة العصر الى آخر الليل ، وأن الدماء كانت تسد
من أبواب المسجد ، كما يسيل الماء من وابل القيت » (٥٩٤) . ومن المقبول
يكون عدد القتلى ثلاثة آلاف ، كما يقول ابن الأثير (٥٩٥) .

ولم يبق عسكر الشيعة في الأريس : فعندما أصبح الصباح ، وقد فر
أصحاب أبي عبد الله من القتل والنهب والسبي ، نادى بالرحيل عائدا
اتجاه قاعدته في مدينة باغاية .

وتفسر الرواية الأغلبية ذلك بأنه خشى أن يحاشد عليه أهل
أقريقية (٥٩٦) ، وهو الأمر الذي لم يعمل زيادة الله الذي يأس نهائيا
مواصلة النضال . وحق للأمير أن ييأس طالما أن معنويات رجاله كانت
انحطت الى درجة أنهم فروا في معركة الأريس بمجرد أن صائحا صاح بين
بوجود كمين للشيعة ، في الوقت الذي كانوا أكثر من قد لنكتامين (٥٩٧)
وهنا ما قد يفسر كيف أن أبا عبد الله ترك الأريس عائدا نحو باغاية - ه
المرّة - خشية عودة الجند الأغلبى ، وإن كانت طريقته في الحرب دائما
الضرب بعصف ثم فك الالتحام .

زيادة الله يعد العدة للرحيل :

والهم أن زيادة الله أسقط في يده عندما بلغه نبأ الهزيمة يوم سقو
الأريس ، وتأكدت له نهاية ملكه . ومع أنه كان قد قرر الرحيل وأخ

- النعمان في افتتاح الدعوة . ان حشد أبي عبد الله بلغوا ٢٠٠ (مائتي) ألف فارس .
أصحاب زيادة الله كانوا لا يحصون عددا . وانظر فيما بعد في قيام الدعوة الفاطمية .
٥٧٧ وما بعدها .

(٥٩٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٦ .

(٥٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ٢٥ .

(٥٩٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ . وقارن رواية القاضي النعمان في ان
الدعوة . حيث تفصيلات المعركة ، ولها يقول ان النعمان السحب في طريق قنوة وقسط
(ص ٢٠١ - ٢٠٥) - وانظر فيما بعد ، الدعوة الفاطمية ، ص ٥٧٩ وما بعدها .

(٥٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ٤٥ - حيث يلخص افتتاح الدعوة .

يستعد له ، فقد رأى أنه من حسن السياسة أن يفعل ذلك خفية من أهل القبروان . وهداه تفكيره السيقيم الى أن يعلن أن الأبناء آمنه بالنصر ، وأن يرسل الى السجون أمرا بضرب أعناق خصومه من المحبوسين ، على أن يعطاف برؤسهم في القبروان وفي القصر القديم (٥٩٨) .

والظاهر أن قصده من ذلك كان شغل أهل العاصمة بمواكب قتلاء ، بينما كان يجمع أنقاله وأمواله ، ويرسل الى خاصة رجاله وأهل بيته يهرقهم الحال ، وينذرهم بالخروج معه (٥٩٩) .

أما الوزير صاحب البريد : عبد الله بن الصائغ ، فقد أراد أن يجرب عملية انقاذ أخيرة ، فكذب خبر انتصار الشيعة ، وأعلن على أبواب رقادة أن الأمير بعد حشدا جديدا ، وأنه سيكافئ الرجال مكافأة جزيلة : للفراس عشرون دينارا ، وللراجل عشرة دنانير (٦٠٠) ، وهو ما لا يقارن بما كان يعطى بالصحاف من قبل . وأشار الوزير على زيادة الله بالمقام ، وطمانه الى اجتماع العسكر حوله ، وأن عليه أن يخرج العطاء (٦٠١) .

وأتت النتيجة عكسية تماما بالنسبة لتلك المقدمات التي قام بها ابن الصائغ : « فأهل القبروان بدر اليهم سوء الظن ، وعلّموا أن الدائرة كانت على أصحاب زيادة الله وماجوا فيما بينهم ، وجعلت الخاصة وأهل الخدمة يفرون من رقادة (٦٠٢) » . وأما رد فعل زيادة الله بعد أن ألج عليه الوزير كثيرا ، فكان اتهام ابن الصائغ بالتآمر عليه ، ومواجهته بصدق ما كان يقال عنه من أنه كان يكتب الشيعي (٦٠٣) ، وهو الأمر الذي نفاه بشدة أبو عبد الله ، فيما بعد (٦٠٤) .

فرار ماساوى :

وهكذا ، وفي هذا الجو الماساوى - جو انهيار نظام وقيام نظام ، حيث

-
- (٥٩٨) التبرير : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٥٩٩) التبرير : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٠) ابن طائري ، ج ١ ص ١٤٦ .
 - (٦٠١) التبرير : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٢) ابن طائري ، ج ١ ص ١٤٧ .
 - (٦٠٣) التبرير : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٦ ب .
 - (٦٠٤) التبرير : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب .

يختلط الحابل بالنابل ، كما يقال ، وحيث ترتفع رؤوس وتنخفض هامات
في دوامة التقدير العنيف - أخذ زيادة الله في شد الأموال والجواهر والسلاح ،
وما خف من الأمتعة النفسية . وكذلك فعل رجاله . ثم انه انتخب من
عبيده الصقالبه ألف خادم ، وجعل على وسط كل واحد منهم ألف دينار .
وفي ليلة الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة / ١٩ مارس وهي الليلة التالية لورود
النبا العظيم ، تواعد مع أصحابه على الرحيل ، وتقلد سيفه ، وقدم الأحمال
تمر بين يديه ، وقد حمل من يمز عليه من جواريه وأمهات أولاده . وبدأت
القافلة الملكية المزينة مسيرتها وسط عويل الأعداد الكبيرة ممن كان قد
تركهم في قصوره من الجوارى والحريم ، ونحيبهم (٦٠٥) .

واتخذ الموكب الذي كان يهتدى في مسيرته ليلا بالمشاعل طريق
الشرق ومصر وتبعه الناس قوما بعد قوم - وكانت المحطة الأولى التي توقف
فيها هي مدينة طرابلس التي أقام فيها أكثر من أسبوعين (٦٠٦) .

عمليات النهب تبدأ بالوزير :

وخلال تلك الفترة تأكد لزيادة الله غدر وزيره ابن الصائغ ، الذي كان
قد دبر الهرب بأهله وحشمه وأمواله ، مع بعض أحمال من المال اقتطعها
لنفسه من بيت المال ، وذلك في مركب كان قد أعدها لذلك ، وكان قصده
الالتجاء إلى صقلية . ولكن لسوء طالعها ألقت الرياح بالمركب إلى ساحل
طرابلس ، حيث وقع فريسة سهلة بين يدي زيادة الله الذي انتقم منه .

(٦٠٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ - وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٧ -
١٤٨ ، ١٦٧ ، حيث يقول : انه خرج عاريا على عيون أهله وحرمه وولده . ومن المناظر الرقيقة
التي يشرب إليها الكتاب ، ما قامت به إحدى جواريه ، من تركهن ، وقد اخذت عودا ووضعته
على صدرها ، وغنته لتحركه على حملها منه . فقالت :

لم أس يوم الوقاع موقلها وجفتها في دموعها غرق
وقولها والركاب سائرة تتركنا سيدي وتطلق
استودع الله طيبة جزمت للبيت والبيت فيه لي حرق

فلمست عينا زيادة الله عند سماعها . وتختلف النهاية : فتقول رواية ابن عذاري ان
سوء الموقف وضيق الحال شغله عن حملها منه . بينما تقول رواية النويري انه أمر بحد
حمل مال عن بقل وحملها عليه ، وهو ما يأخذ به ابن الخطيب (الاملام ، قسم ٣ ص ٤٤) .
(٦٠٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٨ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٨ ب - حيث
يقول انه أقام هناك ١٧ يوما .

- ١٨٣ -

بتحريض من كانوا معه ، فقتله (٦٠٧) .

نهب رقادة :

أما عن مدينة رقادة فقد نهبها الناس صبيحة خروج زيادة الله . ورغم ما تقوله رواية ابن عذارى ، من : أنهم أخذوا من بقايا أموال بني الأغلب ومتاعهم ، وصنوف الآنية من الذهب والفضة بآلا يخيط به وصف ؛ فالظاهر أن ما كان قد بقي في قصور رقادة من المتاع لم يكن الا قليلا . وربما كانت رواية التويرى أدق ، إذ تقول : ان الناس بعد أن عرفوا بهروب زيادة الله ، أسرعوا إلى رقادة ، وانتهبوا ما فيها ، واحتلوا على قصور زيادة حتى صاروا إلى البحث في المطاعم ، وانتزع حديد الأبواب ، وحمل الأسيرة ، ونقل الماعون (٦٠٨) . وهذا لا يبع من أن تكون هذه المنهوبات القليلة القيمة سببا في نزاعات بين الناس ، وأن يرجع القوى منهم لياخذ من الضعيف ما سبقه إليه ، كما يقول ابن عذارى (٦٠٩) . وإذا كان التويرى يقول أن ذلك النهب استمر لستة أيام عندما ترامت خيل الشيعة ، فإن ذلك يعني أن النهب كان مستمرا ، بعد أن وصل إبراهيم بن أحمد بن أبي الأغلب المنهزم من الأربس إلى القيروان ، حين كان قد بقي معه من القواد :-

إبراهيم بن أبي الأغلب يقوم بمحاولة فاشلة لتقلد الإمارة في رقادة :

نزل إبراهيم في قصر الإمارة حيث اجتمع على بابهِ خلق كثير ، وبايعوه بالإمارة ثم انه بحث يستدعي أعيان الناس ، من : الفقهاء والتجار والعامة ، وانتقد في حضرتهم تصرفات زيادة الله الذي أسند أمر البلاد إلى الخونة من الرجال ، وهو يقصد بذلك عبد الله بن الصائغ بطبيعة الحال . وحاول إبراهيم بذلك أن يبايعوه أميرا بدل ابن عمه الهارب إذ قال لهم : أن كتامة مفسدون في الأرض ، وطلب منهم الأخلاص له ، وامدانة بالرجس والمال ليندفع عن حريتهم ومهجهم . ورغم أنه أخذ البيعة بالإمارة في الجامع

(٦٠٧) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ ب ، ابن عذارى ، ج ٦ ص ١٤٨ - ١٤٩ . حيث يقول أن ابن الصائغ اقتطع ثلاثين حلا من المال ، فبيعه لكل سقة عشر ألف مثقال . ولكن حامل سوسة ، وهو ابن البغدادي ، وضع يده على الأموال ، وغزوها في قصر الرباط بسوسة ، حتى صاروا إلى الشيعة .

(٦٠٨) التويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٧ - ١٢٨ ب ، راقون ابن الخطيب ، الاعلام ، قسم ٣ ص ٤٤ .

(٦٠٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٤٨ .

بعد صلاة الظهر الا أن عامة الناس الذين كانوا قد سئموا الحرب وخشوا سوء العاقبة ، قاروا به وطالبوا بالأمن والسلام ليلدهم ، وأخبروه أنه إذا كان قد عجز عن دفع كتامة رمة المساكين والسلاح والأموال ، فهو سيكون الآن أعجز عن مدافعتهم مما كان عليه قبلا ، لأنهم لم يعد لديهم أموال ، وعندما لمح ابراهيم الى امكانية الاستفادة من أموال الأحياس (الأرقاف) والموتجات ، صاحوا به . واجتشد الغوغاء وصاح الجميع : « لا طاعة لك علينا ولا بيمة لك في أعناقنا فأخرج عنا » - وانتهى الأمر بأن اضطرروه هو ومن معه الى ركوب خيلهم والنجاة بأنفسهم عن طريق باب أبي الربيع ، والناس يركضون وراءهم ، ويرجمونهم بالحجارة ، ثم انهم لحقوا بزيادة الله (٦١٠) .

وهكذا ، وخلال وجود زيادة الله في طرابلس تقضخ موكبه بالفارين من افريقية ، ممن خافوا على أنفسهم وعلى أهلهم . ولو أن منهم من لم يستطع إنكسار من قدره ، فسعى الى حتفه يظلمه ، مثل عبد الله بن الصائغ الوزير . وعندما لحق ابراهيم بن أبي الأغلب بزيادة الله ، ولما علم هذا الأخير بما كان قد فكر فيه ابراهيم من عقد الولاية لنفسه في القيروان نقم عليه ، ولكنه اكتفى بالاعراض عنه . وعندما عرف أن ابراهيم وصاحبه أبا المصعب بن زرارعة يقمان فيه ويتالان منه ، قرر التخلص منهما لولا هروبهما الى الاسكندرية ، واستجارتهما بعاملها الذي أرسلهما الى عامل مصر : موسى النوشري ، حيث دسا لزيادة الله ، وحذرا من طمعه في مصر .

وهذا ما قد يفسر كيف أن النوشري لم يحسن استقبال زيادة ، الذي لم يبق في مصر أكثر من ثمانية أيام ، خرج بعدها الى طريق بغداد ، بعد أن تخلف كثير من أصحابه في مصر . وفي الرملة من أرض فلسطين هرب كثير من أصحابه ، ورجاله حاشيته . وبعد اقامة سنة في الرقة ، تفرق فيها من كان قد بقي له من رجاله ، وتشتت أمره ، وباع عليه قاضي الرقة بعض خصيائه الصقالية ، انكب على شرب الخمر وسماع الموسيقى والغناء (الملامى) . وأخيرا وصلتته الأوامر من ديوان الخلافة بالمسودة الى مصر ، وكانت الأوامر قد صدرت الى واليها بمعاونته ، وتمكينه من العودة الى بلاده ، واسترجاع دولته ، وهو الأمر الذي لم يتحقق .

-وبعد الأمل. التعرض ما كان قد بقي من قواه في شرب الخمر والانهماك

(٦١٠) ابن عسكاري ، ج ١ ص ١٤٨ ، النويري ، المخطوط . ح ٢٢ ض ١٢٧ / وقارن

ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ٤٥ - ٤٦ .

- ١٨٥ -

في اللذات ، قبل أن ينهى أيامه في بيت المقدس (٦١١) . وبذلك انقضت
دولة الإغالية ، بعد أن عاشت ١١١ سنة وثلاثة أشهر .

الفصل الثاني

صقلية الأغلبية

واستقرار العرب في جنوب إيطاليا

من الفتح إلى نهاية الأغلبية

(٢١٢ هـ / ٨٢٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

تهيئيد :

العرب وصقلية قبل الفتح الأغلبى :

بعد تأسيس مدينة تونس سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م ، أصبحت ولاية إفريقية قوة بحرية بعد أن كانت قوة برية فقط ، منذ إنشاء القيروان بعيدا عن الساحل (سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ م) خشية الأسطول البيزنطى - وبفضل ائراكب الحربية التى كانت تخرجها دار الصناعة فى تونس ، لم يعد عرب إفريقية ينتظرون مجيء الأسطول الرومى من صقلية أو غيرها من سواحل المصطنطية لكى يدافعوه ، بل أصبحت مراكزهم تجوب البحر المتوسط ، وهى تعرض مراكز الروم ، وتغير على سواحلهم فى جزر البحر بصفة خاصة . وهكذا ، قام أسطول تونس بإغارات ناجحة على : صقلية وسردانية وكوزيسكا (قورشيكا) ، قبيل سنة ٩٠ هـ / ٧٠٨ م ، كانت التمديد الحقيقى لسمية الغزو الكبرى فى شبه جزيرة إيبيريا (١) .

ولقد كان لصقلية بالذات دور هام فى الصراع البحرى بين العرب والروم منذ وقت مبكر ، عندما لجأ إليها قسطنطين ، قيصر الروم ، منهزما فى سنة ٣٥ هـ / ٦٥٥ م فى موقعة الصواري ، التى دارت بالقرب من الشواطىء الليبية ، ثم عندما كان الأسطول البيزنطى يقتر على سواحل المغرب ، كما حدث فى برقة حيث فاجأ زهير بن قيس البلوى سنة ٦٩ هـ / ٦٨٨ م ، وكما حدث عندما استرد الروم قرطاجنة سنة ٧٤ هـ / ٦٩٣ م ، بعد أن فتحها

(١) انظر الفترات الخاصة بذلك فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٦ وما يتبعها .

حسان بن النعمان (٢) .

وذلك لا يمنع من أن يكون العرب قد قاموا - قبل بناء القاعدة البحرية في تونس - بغارات أولية على الجزيرة في ذلك الوقت المبكر . فالروايات تشير الى أن معاوية بن حديج أمر بغزو صقلية ، وأنه كان من بين المغانم التي جرى بها من هناك : أصنام من ذهب وفضة (٣) . وإذا صححت حملة معاوية ابن حديج هذه ، فمن المرجح أن تكون أثناء ولايته لأميرية ، حوالي سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م ، وبأسطول مصر .

حملات تونس الأولى على الجزيرة :

أما عن الحملات الحقيقية التي قام بها أسطول تونس على صقلية ، فإنها لم تبدأ إلا بعد ولاية موسى بن نصير للمغرب سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م . وكانت أولها تلك التي قام بها عياش بن أخيل ، وأغار فيها على مدينة سرقوسة . ولا بأس أن تكون قد تمت سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، كما في رواية ابن قتيبة (٤) ، وإن كان خليفة بن خياط يسجل غارة على صقلية في نفس السنة ، قام بها المغيرة بن أبي بردة العبدي (٥) . ويشير ابن قتيبة الى حملة ثانية قام بها عبد الله بن موسى بن نصير على مدينة من مدن صقلية ، ومعه اشراف الرجال الذين بلغ عددهم ما بين ٩٠٠ (تسعمائة) و ١٠٠٠ (ألف) رجل ، مما يعني أن عدد سفن الحملة كان حوالي ١٠ (عشر) سفن . أما عن الغنيمة فغدت بلغت حوالي مائة ألف دينار ، وذلك أن سهم الرجل بلغ مائة دينسار ذهباً . أما عن تاريخ الحملة فتقول الرواية انه سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م . ولكنه لنا كانت ولاية موسى للمغرب في سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، فأغلب الظن أنه يجب تصحيح التاريخ الى سنة ٩٥ هـ / ٧١٤ م ، وقتما كان عبد الله بن موسى ،

(٢) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ١٦٢ - ١٦٣ ، ٢١١ ، ٢٢٨ . ومن المعروف أن الامبراطور البيزنطي كوستانز الثاني كان قد سار من القسطنطينية في سنة ٦٦٢ م الى صقلية لكي يجعل نصبه عينا ولايات الامبراطورية في الجزيرة وفي جنوب إيطاليا حتى يمكنه الحفاظ على ارض اليونان الرئيسية من أن يحاصرها العرب ، وأنه بقي في صقلية الى وفاته في سنة ٦٦٨ . انظر عزيز أسد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، بالإنجليزية ، مكتبة أدنبره ١٩٧٥ ، ص ٣ .

(٣) النويري ، المكتبة الصقلية ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ . وإن كان عياش يشكك في تلك الرواية أنها تجعل تاريخ الحملة هو سنة ٣٣ ، في حلالة معاوية ، وإن التنايل الشبهة لم تجد لها سوقا نالقة الا في بلاد الهند البعيدة .

(٤) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٦ ومات ٣٦٤ حيث غزو سرقانية أيضا .

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ص ٢٩٢ .

- ١٩٦ -

صاحب الحصة ، نائما لوالده على افريقية^(٦) .

ومع أنه من المعروف أن الحرب البرية والبحرية مع الروم في شرق البحر المتوسط كانت تدور في الثغور في شكل صوائف وشواتي سنوية منتظمة ، إلا إذا كانت هناك هدنة مع الروم أو كانت هناك أحداث داخلية تسع من تجهيز الصائفة أو الشتاتية ، فالذي نلاحظه من حوليات الحرب البحرية مع الروم في وسط البحر ، وبالذات في صقلية ، أن الصوائف والشواتي كانت متباعدة . وإذا كان من الطبيعي أن يستقط بعض تلك الصوائف من القرائم التي يقدمها الكتاب ، وإذا كان من المقبول أن تسري الهدنة التي كانت تعقدها الخلافة في المشرق على العمليات الحربية في المغرب ، فمن المرجح أن الاضطرابات التي عرفتيا بلاد المغرب على أواخر أيام الدولة الاموية ، وفي بداية عهد الدولة العباسية ، والتي قام بها ، على وجه الخصوص ، الحوارج من الصفرية ومن الاباضية ، كان لها أثرها في تباعد حملات العرب على صقلية .

ويرجع الفصل لتاريخ خليفة بن خياط الذي ينفرد بمعلومات تكاد تكون سنوية عن نشاط ولاية المغرب في جزر وسط البحر المتوسط خلال الفترة ما بين سنة ١٠٢ هـ وسنة ١٢٢ هـ ، وذلك أنه يسجل فيها أكثر من ١٥ (خمس عشرة) غزوة بحرية ، انصبت جميعا على كل من جزيرتي صقلية وسرديانية باستثناء غزوة سنة ١٠٦ هـ / ٧٢٤ م التي أتى فيها ذكر قرسقة (كورسيكا) ، الى جانب سرديانية^(٧) ، وكانت بقيادة محمد بن أبي بكر مولى بني جمح ، وغزوة سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م التي لم يحدد هدفها في البحر ، وكانت بقيادة عمرو بن فاتك^(٨) . وكذلك الغزوة الكبيرة التي قام بها المستنير بن الحسارث سنة ١١١ هـ / ٧٢٩ م في ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا ، والتي أبطأت في العودة حتى هجم الشتاء ففرقت المراكب ولم ينج منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا^(٩) .

(٦) انظر ابن عتيبة ، المكتبة الصقلية ، ص ١٦٤ - ٢١١ (حيث ينقل ابن السكيت ذلك الرواية) . ومن نيابة عند الله لوالده بعد عودة موسى الى دمشق ، انظر لحيما سبق . ج ٩ ص ٢٥٢ و ٢٩٥ .

(٧) تاريخ خليفة بن خياط - ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٨) نفس المصدر . ج ١ ص ٢٣٨ .

(٩) نفس المصدر . ج ٢ ص ٢٥٥ .

وتدل الدراسة الإحصائية لتلك الحملات ، حسب ترتيبها الزمني اعتباراً من حملة سنة ١٠٣ هـ/ ٧٢١ م ، أنها تمت على عهد ثلاثة من كبار ولاية المغرب في العصر الأموي ، هم : بشر بن صفوان ، وعبيدة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن الحبحاب . فعلى عهد بشر بن صفوان كانت وجهة الحملات البحرية الأربعة إلى سِردانية على وجه الخصوص ، وذلك في سنوات ١٠٣ هـ/ ٧٢١ م بقيادة يزيد بن مسروق اليحصبي (١) ، ١٠٤ هـ/ ٧٢٢ م بقيادة عمرو بن فاتك الكلبي (١١) ، و ١٠٦ هـ/ ٧٢٤ م بقيادة محمد بن أبي بكر حولى بنى جمح (١٢) ، وأخيراً سنة ١٠٩ هـ/ ٧٢٧ م بقيادة محمد بن أبي بكر مرة أخرى (١٣) .

وإذا كانت حوليات خليفة بن خياط تنص على أن كل هذه الحملات قد كللت بالنجاح ، فكانت تعود سالمة بالمغانم ، فانظـاهر أن حملة سنة ١٠٩ هـ/ ٧٢٧ م الأخيرة كانت أنجحها . فبداً ما يمكن أن يفهم من الرواية التي نجدها في كل من ابن الأثير والنويري ، والتي تنسب قيادة الحملة إلى الولي بشر بن صفوان نفسه ، وتقول أنه سار إلى صقلية ففتح شيئاً كثيراً ثم رجع إلى القيروان حيث توفي بها في نفس السنة (١٤) . وهذا لا يسمع من أن تكون سنة ١٠٩ هـ/ ٧٢٧ م قد شهدت حملتين بحريتين دفعة واحدة : الأولى على سِردانية بقيادة محمد بن أبي بكر ، والثانية على صقلية بقيادة بشر بن صفوان .

أما عن الحملات التي تمت على عهد عبيدة بن عبد الرحمن ، وهي ست ، فكانت وجهتها صقلية بصفة خاصة ، على الوجه التالي : في سنة ١١٠ هـ/ ٧٢٨ م قامت حملة صغيرة بقيادة عثمان بن أبي عبيدة على رأس ٧٠٠ (سبعمائة) فارس هاجمت مدينة سرقوسة ، ونجحت في هزيمة القوة البيزنطية التي قصدت لها وأسرت قائدها . (بطريقهم) (١٥) ، وعن حملة

(١٠) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٣٦ .

(١١) نفس المصدر ، ج ١ ص ٣٣٨ .

(١٢) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٤٩ .

(١٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٥٢ .

(١٤) ابن الأثير ، المكتبة الصقلية ، ص ٢١٨ . النويري ، ج ٢ ص ٢٢٥ ، وعن

الحملات على عهد بشر بن صفوان ، انظر لبينا سبق ج ١ ص ٢٧٣ .

(١٥) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ .

- ١٩٤ -

السنة اثني بعدها ١١١ هـ / ٧٢٩ م فكانت حملة كبيرة بلغت عدة مراكبها ١٨٠ (مائة وثمانين) مركبا ، قادها المستنير بن الحارث ، وبطن من سياق الأحداث ان وجهتها كانت سرقوسة التي ظل يحاصرها العرب الى ان هجم عليهم فصل الشتاء ، مما عرضهم الى كارثة مروعة ، وهم على طريق العودة اد عرقت معظم المراكب ، ولم ينج منها الا ١٧ (سبعة عشر) مركبا فقط (١٦) .

وفي سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م تكللت الحملة التي قادها ثابت بن حيشم الاردني بالنجاح : اذ هاجم الجزيرة ، وعاد سالما الى الفريقية بالسببا بالمغانم (١٧) . وكذلك كان حظ الحملة التي قادها في سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م عبد الملك بن قبطي (الحجازي) الى صقلية ايضا (١٨) ، وتلك التي قادها في نفس السنة عبد الله بن زياد الابصارى الى سردينيا (١٩) . أما آخر الحملات التي تمت على عهد عبيدة بن عبد الرحمن فقد قادها في سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م بكر بن سويد الى صقلية ، وأغلب الظن أنها لم تحقق أغراضها بسبب استخدام الروم للقذائف النارية في مدافعهم للأسطول العربي (٢٠) .

أما عن الحملات البحرية التي تمت على عهد عبيد الله بن الحبحاب - فيما بين سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م وسنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ، كما ترد في تاريخ خليفة ابن خياط ، فهي خمس : اثنتان منها سارقا الى سردينيا ، وثلاث كانت وجهتها صقلية . ولقد سارت حملة سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م بقيادة عثمان بن أبي عبيدة الى صقلية ولكنها فوجئت وهي في طريق العودة باعتراض مسيرتها من قبل الأسطول البيزنطي . ورغم نجاح القائد العربي في التخلص من هذا مزلق باحتراق القافلة المعادية ، الا أن الروم نجحوا في الاطاحة بعدد من المراكب الحربية العربية ، وأسروا من كان فيها من المحاربين . وكان من بين

(١٦) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٢٥٥ .

(١٧) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٥٧ .

(١٨) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٢٥٩ - ٣٦٠ - حيث القراء عبد الله بن قطن والتصحيح « عبد الملك » من عندنا ، وذلك ان عبد الملك بن قطن كان له شأن في أحداث الأندلس سنة ١٢٢ هـ عندما هاجم نزل جند الشام بقيادة بلج بن بشر ثم حاولته على ذلك بعد أن استشرت ثورة البربر هناك - انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٨٨ - ٢٨٩ .

(١٩) تاريخ خليفة بن خياط ، ج ٢ ص ٣٦٠ .

(٢٠) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٦١ . ومن الحملات على عهد عبيدة انظر فيما سبق ج ١ ص ٢٧٦ وما بعدها .

- ١٩٤ -

مشاهير الأسرى ، ولدا أمير البحر عثمان بن أبي عبيدة نفسه ، وهما : عمرو وسليمان ، الى جانب محمد الرحمن بن زياد بن أنعم قاضي إفريقية المشهور بـ «روايتها فيما بعد» ، ولن يطلق سراحهم الا في سنة ١٢١ هـ / ٧٣٩ م أو بعدها عندما تم تبادل الأسرى (الفداء) بين العرب والروم (٢١) .

وكانت قيادة حملة السنة التالية (١١٧ هـ / ٧٣٥ م) لأخي عثمان ، وهو : حبيب بن أبي عبيدة الذي سار الى سردانية حيث فاجأ بعض مدنها « وأنحن في القتل والسياء » (٢٢) . وفي سنة ١١٨ هـ / ٧٣٦ م التالية كانت قيادة حملة صقلية الى قشم بن عوانة الكلبي الذي نزل على مدينة أوليه ؟ ، ولكن الحملة لم تستطع أن تحقق أغراضها بعد أن أحاط بها الروم . ولا ندري ان كان نوع من الاتفاق قد تم بين الطرفين المتحاربين يقضى بأن يسحب العرب بعد أن يخلى الروم عنهم أم أن ظروف القتال التي لم ترجح كفة أحد الطرفين هي التي قصت بهذه التسوية (٢٣) . وفي السنة التالية وهي ١١٩ هـ / ٧٣٧ م كان قشم بن عوانة سيء الحظ في حملته على سردانية اذ غرقت بعض سفنه وهي في طريق العودة وكانت مركبة القيادة بينها وفيها قشم نفسه الذي مات غرقا (٢٤) .

اول محاولة للاستقرار في الجزيرة :

أما عن حملة سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م فكانت بقيادة حبيب بن أبي عبيدة . ابن عقبة بن نافع وبصحبه ابنه عبد الرحمن بن حبيب ، الذي صار أميراً لإفريقية في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٤ م (٢٥) . ولقد حقق عبد الرحمن ، الذي أطلقه والده على رأس الحيلة ، نجاحاً عظيماً ، إذ لم يلق جمعا من جموع الروم في الجزيرة الا هزماً ، حتى وصل في جولته العاصفة الى مدينة سرقوسة الكبيرة والعاصمة الرومية وقتل للجزيرة ، فهرم حاميتها ، وضرب الحصار عليها حتى صالحوه على الجزية . وكان هذا النجاح سبباً في أن قرر حبيب بن أبي عبيدة البقاء في الجزيرة الى أن يفتحها جميعاً ، ليولا ثورة البربر الخارجية التي

(٢١) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٦٢ ، والنظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٠ و ١٠٤٠ .

(٢٢) نفس المصدر ، ج ٣ ص ٣٦٢ .

(٢٣) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٦٣ .

(٢٤) نفس المصدر ، ج ٢ ص ٣٤٦ ، وعن الحملات على عهد عبيد الله بن الحجاج .

انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٧٩ وما بعدها .

(٢٥) انظر فيما سبق ج ١ ، ص ٣١٣ وما بعدها .

اضطرت ابن الحجاب الوالى الى استدعائه الى افرقية على عجل (٢٦) .

أما عن الحملة التالية فأتت بعد ١٣ عاما أى فى سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٤ م . وقام بها عبد الرحمن بن حبيب نفسه - بعد أن استقل بافرقية ، ووسع مملكته غربا بالاستيلاء على تلمسان ، والذي كانت تراوده ذكريات نجاحاته اللامعة فى الجزيرة من غير شك - ولقد عاد عبد الرحمن بالسبي من صقلية والغنية ، بعد أن صالحه أهلها على الجزية من جديد . وفى طريق العودة عرج عبد الرحمن على سردانية التى صالحه أهلها أيضا على أن يدفعوا له الجزية (٢٧) -

الروم يحصنون الجزيرة :

ومنذ حملة سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م تلك ، تصمت الحوليات الاثريقية عن ذكر الحملات الحربية فيما وراء البحر لمدة تزيد على أربعين عاما ، بسبب انشغال الولاة فى المغرب بالفتن ، كما تقول رواية ابن الأثير . والظاهر أن غزو صقلية فى سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م كان درسا قاسيا للروم ولاهمل الجزيرة ، تعلموا منه كيف يحسون بلدهم فلقد قام الروم باعمار الجزيرة من جميع جهاتها ، وجددوا ما كان فيها من الحصون والمعاقل (٢٨) .

وأكثر من هذا فقد بدأ الروم (على عهد قسطنطين الخامس) باقتياد الاحتياطات العسكرية البحرية لما كان يمكن أن يفاجئهم به العرب ، فصاروا يخرجون فى الصيف ، عندما تتحسن الأحوال الجوية ، فى مراكبهم يطوفون حول الجزيرة ، فيما يعرف حاليا باسم « دوريات الحراسة » بل وزيادة على ذلك قريبا صادفوا مراكب تحار المسلمين فاستولوا عليها (٢٩) . وعن هذا الطريق جمع أسطولهم بين الدفاع عن الجزيرة وقطع خطوط الملاحة العربية .

(٢٦) ابن الأثير . المكتبة الصقلية ، ص ٢١٩ . النويرى . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب و . وقارن خليفة بن حياث . ج ٢ ص ٣٦٩ ، وانظر فيما سبق . ج ١ ص ٢٢٨ .

(٢٧) ابن الأثير : المكتبة الصقلية . ص ٢٢٠ . ابن عذارى : ج ١ ص ٦٥ . النويرى . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب - حيث السنة ١٣ هـ . وأخلى اللب أن كلمة « خسة » حلت من النسخ (ص سنة ١٣٥ هـ) .

(٢٨) وهكذا فقد كانت لغارات العرب على الجزيرة مما فى أن ينسحب أهلها للمعاقل والحصون ولم يتركوا حلا إلا حملوا عليه حسا - النويرى . المكتبة الصقلية ، ص ٤٢٦ « سنة ١٣٠ هـ »

(٢٩) ابن الأثير . المكتبة . ص ٢٢ . النويرى . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٥ ب - ٢٢٦ أ .

وفي سنة ١٧٨ هـ / ٧٩٤ م تعود الحوليات الى ذكر صقلية ، ولكن بشأن خروج الشتاية بقيادة سليمان بن راشد الذي كان يصحب معه « السد » بطريق صقلية (٣) ، أي حاكمها . ومع أننا نضل أن الأمر يتعلق هنا بالصوائب والشواش في الجهة الشرقية المواجهة للروم في اقليم العواصم في شمال الشام وأرض الروم ، فمن المرجح أن يكون المقصود بالبند هو « إلبيد Elpidus » حاكم صقلية الذي ثار في سنة ٧٨٢ ضد الامبراطورة إيرين وأعلن نفسه امبراطورا ، ثم انه عندما انهزم هرب لاحتسا الى افريقية (٣١) .

الأغلبة يتعرفون على صقلية ، وغيرها من الجزر :

وفي سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م ، على عهد زيادة الله الأول ، حبر الأمير جيشا في البحر في مراكب كثيرة الى سرديانية . وتقول الرواية ان بجاح هذه الحملة لم يكن تاما ، اذ عطبت بعض المراكب بعد أن عنمت الروم في الجريرة وقتلوا الكثيرين منهم ، مما دعا زيادة الله الى مكافاة من وصل من الرجال سالما (٣٣) . ومع أن ابن الأثير يجعل غزو سرديانية هذه في سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م كمقدمة لفتح زيادة الله لصقلية ، فاننا نجد في حوليات ابن عدارى حملة أخرى لزيادة الله قريبة الشبه من تلك الحملة . اذ يظهر من الرواية انها لم تكن موفقة تماما ، وذلك أن رجالها « أصابوا » ، واصيب منهم ، ثم قتلوا ، دون اشارة الى الثغمان أو السبي (٣٣) .

وفي سنة ٤٠٤ هـ / ٨١٩ م سير زيادة الله قريبه أبا العباس محمد ابن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سائلم لغزو صقلية ، قبل غزوها على يدى أسد بن الفرات (٣٤) ، وبذلك يكون قد قطع الهدنة التي عقدها قبل ست سنوات مع قائد الجزيرة البيزنطى (٣٥) .

وهكذا ، بفضل تلك الحملات ، وغيرها مما سقط من حوليات افريقية والمغرب ، كان العرب قد تعرفوا على صقلية وغيرها من جزر البحر ، مثل :

(٣٠) ابن الأثير ، المكتبة ، ص ٢٢٠ .

(٣١) انظر هزيم احمد . تاريخ صقلية الاسلامية . بالانجليزية ، ص ٥ .

(٣٢) ابن الأثير ، المكتبة ، ص ٢٢١ .

(٣٣) ابن عدارى ، ج ٢ ص ٩٧ .

(٣٤) العلة السيرة ، ج ١ ص ١٨١ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ .

(٣٥) انظر قيسا بنه ، ص ٢١٦ ، هـ ٨٢ .

سردانية وكورسيكا . وإذا كانت هذه الجزر قد ظهرت في بعض الأحيان كقواعد للروم يمكن أن تهدد الملاحة التجارية العربية في البحر المتوسط ، كما يمكن أن تهدد أيضا سواحل المغرب ، فإنها كانت قد صارت بالسببة لعرب المغرب أرض المغام الكثرية والسبي البديع .

وبناء على كل ذلك لم يكن من الغريب أن يعكر زيادة الله الأول في غزو صقلية بشكل نهائي في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، رغم ما كان يصادفه من المتاعب الداخلية ، المتمثلة في الثورات والاضطرابات التي لا تعد ، في داخل مملكته . والظاهر أنه عندما قرر القيام بتلك المغامرة ، كان يزعم اصطلياذ عصفورين بجرج واحد ، كما يقال . فمن جهة كان سيفتح بلادا جديدة ينتزعها من الروم ويضمها إلى مملكته أي إلى أرض الاسلام ، ومن جهة ثانية كان يمكنه أن يوجه حماس أهل افريقية من المقاتلين نحو الجهاد في بلاد الروم ، فيتخلص مما كانوا يسببونه له من المتاعب ، ويحقق لبلاده ما كان يصبوا اليه من الأمن والاستقرار . وقبل أن نتكلم في فتح الجزيرة يحسن أن نعرف بأحوالها قبيل الفتح ، فهذا إلى جانب ما ذكرناه من الفسارات التهديدية ، يعتبر المدخل المعقول لدراسة الموضوع .

صقلية ، كما عرفها الكتاب العرب البلاد والسكان

١ - البلاد :

الاسم : صقلية :

فسر الكتاب العرب اسم الجزيرة « صقلية » حسب منهجهم القديم الذي ينسب البلاد والجماعات إلى أجداد حقيقيين أو أسطوريين ، تماما كما قالوا :

ان افريقية نسبة إلى الملكة افريقية أو الملك اليمنى القديم افريقس (٣٦) ، وان أسبانيا نسبة إلى قوم سكنوها في القديم هم الأسبان أو نسبة إلى الملك أشبان ، أو أن الأندلس نسبة إلى قبائل الجرمان المعروفة بـ « الوندال » (٣٧) .

ففي ضوء هذه النظرية قالوا : ان صقلية سميت باسم الملك « شينقلو » ، كما سميت بإيطاليا باسم أخيه « إيطال » ، وفي ذلك لم يتردد بعضهم في

(٣٦) انظر اخبار عتيق ص ١٠١ في كتاب التيجان لومب من مطب . ص ٣٢٢ . ٤٠٧ .

٤٠٨ (نسبة إلى افريقس بن ابرهه) .

(٣٧) الحميري صفة جزيرة الأندلس ، ص ٣ .

القول أن جزيرة صقلية كان يسكنها في قديم الدهر أمه هملة ، ناكس
الناس . أو انه كان فيها جنس من السموخ بعين واحدة في وسط جباههم ،
يسمون صقلوفس (٣٨) ، وهي الأسطورة اليونانية الأصل على ما نظن ، اد
وجد لها شبيها في أوديسة هوميروس .

فكان اسم صقلية مشتق من اسم « صقلوفس » أو « صيقلو » أو
« سيقلو » الذي يرى أنه نفس اسم « شيفلو » (٣٩) . هذا ، كما نجد اسم
صقلية بالسين في « صقلية » و « سكيلية » ، والصناد في « صقلية »
و « صيقلية » (٤٠) كما نجده مهموزا في شكل « اصقلية » أيضا ،
و « اسقلية » (٤١) .

الموقع :

وتشغل صقلية موقعا جغرافيا ممتازا بفضل وحدها بين ذراع شبه
جزيرة إيطاليا ، الممتد في وسط أوروبا جنوبا في قلب البحر المتوسط ،
وبين ذراع القارة الأفريقية الشمالي الذي يمثل قلب ولاية إفريقيا العربية
أو البلاد التونسية الحالية ، والذي يمتد شمالا في مقابل إيطاليا . وبفضل
هذا الموقع تكاد جزيرة صقلية تربط بين سواحل أوروبا وسواحل بلاد
المغرب ، وإن كانت الجزيرة أقرب إلى سواحل إيطاليا الجنوبية ، في إقليم
كلابريا الذي عرّفه العرب باسم « قلورية » .

(٣٨) الكرى . جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق عبد الرحمن حجي ، ص ٢١٧
(والمحقق يقرأها في شكل حقلوفس) .

(٣٩) يرى أن السين في شيفلو كانت سينا في الأصل لأن السين والسين كثيرا
ما تختلطان في اللغة العربية وتحل الواحدة منها محل الأخرى . أما عن السين فالغالب الظن
أنها جيم ، كما تنطق في اللهجة المصرية ، ثم أنها انقلبت إلى سين ، كما في بعض اللهجات
العربية . ولا بأس في أن تكون الـ « جيم » في الكلمة حرف « قاف » أصلا . فكان كلمة
« شيفلو » هي تصغير لكلمة « سيلو » ، وهو الأمر المقبول .

(٤٠) انظر الكلمة الصقلية . من كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة ، ج ١ ص ١٦٢
هـ . ص ١٦٤

(٤١) وذلك لأن حرف الصاد الأول كان ينطق ساكنا . في شكل « صقلية » ، وهو
الامر الريب على اللغة العربية ، فوسعت الهزة قبل الصاد . وذلك ، كما كانت لتكتب
طرابلس في شكل طرابلس . أو كما ينطق اسم « محمد » في بعض اللهجات في شكل
« امحمد »

- ١٩٩ -

مصيقي مسينا ، بين شمال الجزيرة وبين كلابريا ، لا يتجاوز اتساعه
في الموضع الضيق منه ٣ (ثلاث) كيلو مترات ، حتى أن الواقع في مسيني ،
على ساحل صقلية يرى من في ريو على ساحل إيطاليا (٤٢) . ولهذا عرف
مصيقي مسينا ، له في ذلك مثل مصيقي جبل طارق ، باسم « المجاز » ، كما
عرف على وجه التحصيل باسم « مجاز الفارو » ، أي محار المنار ، نسبة إلى
ضوء نار البركان القريب ، الذي كان يستضاء به في السفر على أكثر من
مائة فرسح ، في البر وفي البحر على السواء (٤٣) .

أما عن المسافة بين جنوبي صقلية وبين أقرب سواحل افريقية إليها ،
وذلك في شبه جزيرة شريك في شمال البلاد التونسية ، فإنها تصل إلى ١٢٠
(مائة وعشرين) كيلو متر (٤٤) . هذا وتوجد بين صقلية وسواحل البلاد
التونسية أعداد من الجزر الصغيرة ، من أشهرها جزيرة قوصرة أو قوصرا ،
بين بساجل مدينة المهدية والركن الجنوبي الغربي لصقلية ، حيث مدينة
مازر ، وبينها وبين مازر مجرى واحد أي حوالي ٦٠ ميلا . وقوصرة هي
المعروفة حاليا باسم جزيرة « بنطلارية » (٤٥) .

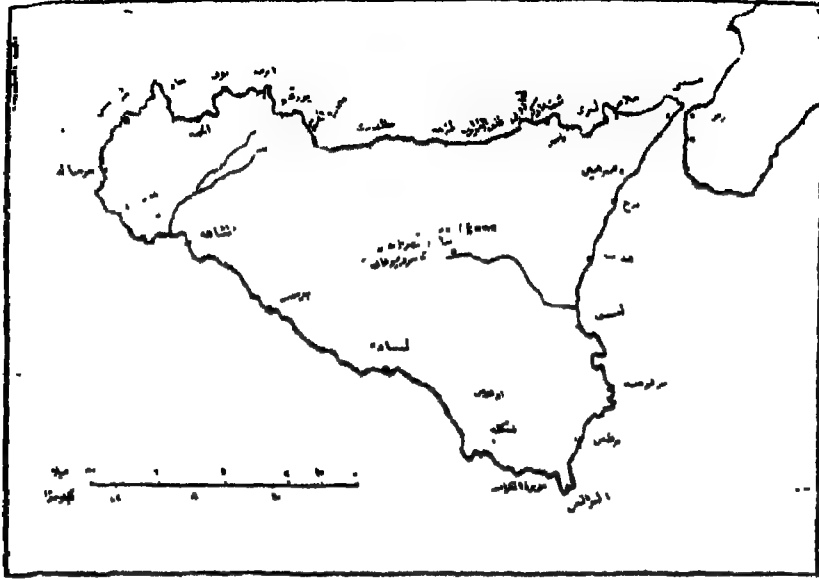
وهكذا كانت صقلية ، بفضل موقعها الوسط بين إيطاليا والبلاد
التونسية ، وبفضل الجزر الصغيرة بينها وبين سواحل افريقية ، ممبرا
طبيعيا ما بين السواحل الأوربية والسواحل الافريقية ، على طول العصور
التاريخية .

الشكل :

الساحل الشرقي :

وصقلية جزيرة على شكل مثلث طولها مسيرة ٧ (سبعة) أيام وعرضه

-
- (٤٢) ياقوت - معجم البلدان . ط أوروبا ج ٤ ص ٥٣٥ (من مسيني) ، ابن حبير .
المكتبة الصقلية . ص ٧٨ .
(٤٣) المسر ، التنبيه والاشراف ، المكتبة الصقلية . ص ٢ . معجم البلدان ، ط أوروبا
ج ٣ ص ٤٠٦ ، ابن جبير . المكتبة الصقلية . ص ٨٢ .
(٤٤) انظر احمد الداني ، المسلمون في صقلية ، ص ٨ . وهي عند الكتاب العرب تعادل
مجرين (١٢٠ ميلا) أو يومين بالرياح الطيبة . ياقوت ، معجم البلدان . ج ٢ ص ٤٠٦ .
(٤٥) البكري . صفة الاندلس وأوروبا . ص ٢٢٦ وعاشق الحق . ياقوت ، المعجم .
ج ٤ ص ٢٠٠ .



شكل رقم (١)

جزيرة صقلية ، توزيع المدن تبعا لرواية الادريسي

مسيرة ٤ (أربعة) أيام (٤٦) . ومدينة ميسينا (Messina) تمثل رأس المثلث الشمالي ، في مقابل مدينة ريجو (Reggio) في كالابريا ، ومنها ينحدر الشاطئ الشرقي ، الذي يوصف بأنه ساحل صخري لا حُلجان فيه الى مدينة قطانيا (Catania) (٤٧) التي عرفت أيضا بـ « قطاليا » ، كما عرفها الكتاب العرب باسم « مدينة الفيل » (٤٨) ، مارا بطبرمين (Tabrmina) على بعد مرحلة (٢٥ ميلا) ، ثم بـ « لياج » على مرحلة أخرى (٤٩) . ولي قطاليا يصبح الساحل رمليا ، وهو يستمر جنوبا ، الى

- (٤٦) ابن حوقل ، المكتبة الصقلية . ص ٤ . وانظر ياقوت . المعجم . ج ٣ ص ٤٠٣ .
والمكتبة ص ١١٤ - وهنا ينسب الإشارة الى أهمية رواية ابن حوقل الذي يتخى الدقة أكثر .
فيقول انها على شكل مثلث متساوي الساقين ، (اويته الحادة من غربي الجزيرة . انظر سيجم البلدان - ج ٣ ص ٤٠٩) حيث ينقل رواية ابن حوقل الذي يصفه بالتاجر .
(٤٧) انظر أحمد القنبي ٦ المسالك في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا . ص ٩ .
(٤٨) الادريسي ، المكتبة الصقلية ص ٣٤٥ .
(٤٩) الادريسي ، المكتبة الصقلية . ص ٣٣ - ٣٦ .

- ٢٠١ -

قلعة « لنتيسى » على بعد مرحلة ، الى مدينة سرقوسة (Syracusa) عاصمة الجزيرة القديمة ، التي يعرفها الكتاب العرب بمدينه أرشميدس ، صاحب نظرية كتافه الأجسام الطافية او الوزن النوعي (٥٠) .

ومن سرقوسة الى قلعة نوطس (Noto) مرحلة ، وهي على بعد ٨ (ثمانية) أميال من البحر ، وبين نوطس والبحر حصن قسباري . ثم الى طرف الجزيرة في هذا الساحل الشرقي ، حيث لا يوجد عمران ، وهو الطرف الذي يسمى « البوالص » ، مرحلة .

الشاطئ الجنوبي :

ومن البوالص يبدأ الشاطئ الجنوبي (٥١) حيث يمر بقلعة « شكله » ، على ٧ (سبعة) أميال (وشكله في الداخل على بعد ٣ أميال من البحر) ، ثم قلعة آرغوص (Ragusa) على ١٣ ميلا (وهي أيضا في الداخل على بعد ٧ أميال من البحر) ، ثم حصن لنبياذة على بعد مرحلة - وهي على بعد مرحلة أيضا من جرجنت (Agrigento) (التي تبعد عن البحر ٣ أميال) .

ومن جرجنت الى « الشاقة » مرحلة (والشاقة أول عمل قلعة البلوط على ٩ أميال من الشاقة) ، ثم الى مازر (Mazara) مرحلتان . ومن مازر ١٨ ميلا الى « مرسى » أو « مرسى على » ، وهي مرسالا حاليا ، ثم الى طرابنش (Trapani) . على بعد مرحلة خميفة (٥٢) . وفي مقابل طرابنش التي تنتهي عند الساحل الجنوبي ، تقع جزر : الراهب ، واليابسة ، ومليطة (٥٣) .

الشاطئ الشمالي :

ومن طرابنش ، ذات المرسى الساكن الذي كان مشتهى للسفن ، يبدأ للشاطئ الشمالي الصخري من الغرب الى الشرق في اتجاه العاصمة بليرم (Palermo) ، مارا بجبل حامد على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، ثم الحمة

(٥٠) الادريسي ، للكتبة الصقلية ، ص ٣٦ . ومن سرقوسة انظر ياقوت ، معجم البلدان ج ٣ ص ٨١ . ومن وصف الساحل الشرقي انظر احمد المدني ، المسلمون في صقلية ، ص ٩٠ .
(٥١) الادريسي ، للكتبة ، ص ٣٦ - ٣٧ .
(٥٢) المرحلة الخفيفة عند الادريسي تزيد على ٢٠ ميلا وتقل عن ٢٩ ميلا .
(٥٣) الادريسي - للكتبة الصقلية ، ص ٣٨ - ٤١ ، احمد المدني ، للمسلمون في صقلية ص ٦٠ (عن وصف الساحل الجنوبي) .

(وهي قلعة حصينة على بعد ثلاثة أميال من البحر ، بها حامية حامية عذبة الماء معتدلة السخونة كان يستحم فيها الناس) التي تقع على مرحلة من طرابنش ، ثم قلعة « أولى » على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، ثم بلدة برطنيق على بعد ١٢ ميلا (ومنطقتها غنية برراعة القطن والحناء) ثم شمس على بعد ٨ أميال ، ثم بلدة قرينش (الفنية باللوذ والتين الناشف والخروب) . ومن قرينش الى بلرم ١٢ ميلا (٥٤) .

ومن بلرم الى مسينا ، حيث يسير الساحل في اتجاه الشرق في شكل أفقي ، بعد الادريسي ١٠ (عشرة) مواضع ما بين حصن وبلدة لطيفة ، هي : حصن بورقاد على بعد ١٢ ميلا ، وصخرة الحرير (الداحة في البحر) على بعد ١٢ ميلا ، وحصن جلفودي (الذي يشبه المدينه) على بعد مرحلة . وحصن طرزة (القابع على سفح جبل مبيع) على بعد مرحلة وبلدة القوارب على بعد ١٢ ميلا ، وبلدة القارونية (التي تعترض أول اقليم - مسر) على بعد ١٢ ميلا ، وبلدة شنت ماركو (التي اشتهرت بحريها وسفحها . وبصاعة المراكب من خشب جبلها) على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، وحصن ناصو على بعد ١٠ (عشرة) أميال ، وبلدة بقطش على بعد ١٢ ميلا ، ثم بليدة ليرى على مسافة ٣ أميال ثم حصن ميلاص (الذي كان كبير الكتان الطيب ، وهي مياهه يصطاد التين الخليل) على بعد ١٢ ميلا .

وبعد ميلاص تأتي مسيني ، على بعد مرحلة في نهاية الشاطئ الشمالي ، وفي رأس الثلث . حيث يلتقي الشاطئ الشمالي بالشاطئ الشرقي في مقابل بلدة ريو في قلورية (٥٥) .

وهكذا يعد الادريسي المواضع الرئيسية على كل من شواطئ صقلية التي تكون أضلاع شكلها الثلث . وطول الجهة الشرقية من الجزيرة التي تمتد من مسيني الى البوالتس أو جزيرة الارنب ٢٠٠ (مائتي) ميل ، والجهة الجنوبية من طرف جزيرة الارنب الى طرابنش طولها ٤٥٠ (أربعمائة وخمسون) ميلا ، وهذا الشاطئ هو أطول أضلاع الثلث ، أما الجهة الشمالية ، من طرابنش الى المجار أو العارو ، فطولها ٢٥٠ (مائتان وخمسون) ميلا (٥٦) . والادريسي يخصص دراسة تفصيلية لكل مراسي تلك

(٥٤) الادريسي ، المكتبة ، ص ٤١ - ٤٢ .

(٥٥) ألف الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٢٨ - ٢٩ .

(٥٦) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٧١ .



شكل رقم (٣)

صقلية بين المربعة وقلوية - كما رسمها الادريس

الشواطئ من كثرة وصغيرة ، ويحدد المسافات بينها ، بحيث يذكر لنا على الساحل الشرقي أكثر من ٤٠ (أربعين) مرسى تتراوح المسافات فيما بينها ، على الجملة ، من ميل واحد الى ٢٥ ميلا . أما المسافات بين معظمها فهي ما بين ٦ أميال و ١٢ ميلا (٥٧) . ويعدد من مراسي الساحل الجنوبي من مرسى البوالص الى طرابنش أكثر من ٣٧ مرسى (٥٨) . ومن مراسي الساحل الشمالى ما بين مسيني وطرابنش بعدد أكثر من أربعين مرسى (٥٩) .

أما عن مدن الداخل ناهما : علقمة (Alcamo) فهو المركز القريب من الجزيرة ، وقصر يانة (Castro Giovanni) وهو الاسم المشتق من إنا (Enna) اسمها القديم ، وقلعة أيس (Caltani Setta) ، وقلعة جيرونة (Caltagirone) التى تقع فى جنوب منتصف المسافة ما بين قطانيا وجرجنت (٦٠) .

الوصف :

جزيرة الخصب والعيوان :

وبفضل موقع صقلية الجزرى فى وسط البحر المتوسط ، فى الاقليم المعتدل الرابع والخامس - حسب تقسيمات الجغرافيين العرب التى أخذوها عن بطليموس - وبفضل جبالها وكثرة مياهها ، كانت فى نظر العرب صخرة الأندلس من حيث : غناها الزراعى والحيوانى ، وكذلك المعدنى . فهي عند المقدسى : « جزيرة واسعة جليلة ليس للمسلمين جزيرة أجل ، ولا أعز ، ولا أكثر مدنا منها (٦١) » . وبها من الخصب والزروع والمواشى والرقيق ما يفضل عن صائر مدن الاسلام المتأخرة للبحر ، كما يقول الاصطخرى (٦٢) .

أما ابن حوقل الذى زار الجزيرة فى سنة ٣٦٢ هـ / ٧٢ - ٩٧٣ م ، فيقول ان الغالب عليها الجبال والقلع والحصون ، وأن جميع أرضها مسكونة.

(٥٧) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٦٨ - ٧٠ .

(٥٨) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٦٧ - ٦٩ .

(٥٩) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٦٦ - ٦٧ ، ٧٠ - ٧١ .

(٦٠) النظر تاريخي ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ٢ .

(٦١) أحسن الظاهرات ، ط ١٩٠٦ ، ص ٢٢٢ .

(٦٢) الاصطخرى ، المسالك ، المكتبة الصقلية ، ص ٢ .

عروعة (٦٣) . وهي في وصف البكري الأندلسي : كثيرة الزرع والضرع والفواكه (٦٤) . والادريسي ، الذي رسم خريطتها مبينا مدنها وقراها وأنهارها ، مما أشرنا الى بعضه ، يصفها قائلا : « ان جزيرة صقلية فريدة الرمان فضلا ومحاسن ، ووحيدة البلدان طيبا ومساكن ، وقديما دخلها المنجولون من سائر الأقطار ، والمترددون بين المدن والأصهار ، وكلهم أجمعوا على تفضيلها ، وشرف مقدارها وأعجبوا بزاهر حسنها ، ونطقوا بفضائلها بها ، وما جمعت من مفترق المحاسن ، وضمنته الى خيرات سائر المواطن (٦٥) » .

ابنة الأندلس :

أما ابن جبير ، الرحالة الأندلسي ، فقد قال في وصفه لصقلية : « وهي كثيرة المدن والعنابر والضياع ، وتسميتها تطول ٠٠٠ ونصب هذه الجزيرة أكثر من أن يوصف ، وكفى بأنها ابنة الأندلس في سعة العنصرة وكثرة الحصب والرفاهة ، مشحونة بالآرزاق على اختلافها ، مملوءة بأنواع الفواكه وأصنافها . وجبالها كلها بساطين مثمرة بالتفاح والشاه بنوط ، والبندق ، والاجاص ، وغيرها من الفواكه (٦٦) » .

ومما نقله ياقوت عن صقلية : « وهي كثيرة المواشي جدا ، من : الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والحيوان الوحشي . وأن بها جميع الفواكه على اختلاف أنواعها ، وأن كلاًها لا ينقطع صيفا ولا شتاء ، وأرضها تنبت الزعفران » . وهو يضيف : « وليس فيها سبع ولا حية ولا عقرب » (٦٧) ، مما يميزها على سائر البلدان .

الثروة المعدنية :

والمهم أن صقلية كانت تتميز عن كثير من بلاد العرب بأنها كانت غنية بمعادنها التي تمثلت ، في : الكبريت والحديد والذهب والنحاس والرصاص والزئبق والنوشادر والتفط وغيرها .

-
- (٦٣) ابن حوقل ، المسالك ، المكتبة الصقلية ، ص ٤٠٠
 (٦٤) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢٦٤
 (٦٥) الادريسي ، المكتبة الصقلية ، ص ٢٨
 (٦٦) ابن جبير ، المكتبة الصقلية ، ص ٨٢
 (٦٧) معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٧

جبل النار :

وأول ما كان يثير انتباه الكتاب العرب ، كما أثار انتباه اليونان والرومان قبلهم ، هو بركان صقلية الشهير . الذى عرف عند العرب باسم « جبل النار » ، كما عرف باسم « الأطلية » أى عن النار التى تنبسط من الأرض (٦٨) . وهو بركان أتنا المشهور الذى يصل ارتفاعه الى أكثر من ٣٠٠٠ (ثلاثة) آلاف متر . ورغم أنه كان بركانا هامدا إلا أنه كانت له ثورات وغضبات ما بين الحين والحين ، ولو أن المقدسى حدد الزمن ما بين الفورة والأخرى بعشر سنوات (٦٩) .

الحجر الخفاف والذهب :

وكان البركان يقذف الذهب الذى كان يتساقط مكونا الحجر الخفاف ، الذى كان يطفو ما يقع منه فى البحر على سطح الماء ، وهو فى شكل حجر اسفنجي أسود اللون ، بينما الذى يسقط منه فى البر يكون أبيض وأصفر ووردي اللون ، فى « هيئة الشهد وأكواز النحل الصغيرة » . وكان الأسود من هذا الحجر يستخدم لحك الأرجل فى الحمام ، ولهذا سمي بحجر الرجل . كما كان يستخدم الأبيض منه مثلما تستخدم المحاة فتحك به الكتابة من الدفاتر والرقوق ، ومنه ما كان يعرف بـ « الفسك » ، وما كان يسمى بـ « القيسور » (٧٠) .

هذا ، كما كان الذهب يستخرج من بعض المناجم فى جبل البركان . ولهذا السبب عرف جبل النار أيضا بـ « جبل الذهب » (٧١) .

الكبريت :

ومما عده الكتاب من عجائب صقلية أيضا معدن الكبريت الأصفر ، الذى وصف بأنه لا مثيل له بموضع آخر . ومنجم الكبريت لم يكن بعيدا من جبل النار ، وكان له : « قطاعون عالمون يتنساولون ذلك ، قد تمرطت

(٦٨) انظر المسعودى ، مروج الذهب ، المكتبة الصقلية ، ص ١ ، والتنبيه والاشتراف ، المكتبة ص ٢ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ص ٤٠٧ ، ج ٤ ص ٥٥٥ .
(٦٩) أحسن التقاسيم ، ص ٣٤٦ .
(٧٠) المسعودى ، مروج الذهب ، المكتبة ، ص ١ ، والتنبيه والاشتراف ، المكتبة ، ص ٢ .
وقارن تحفة الألباب ونسخة الإصحاب لأبى حامد الغزالي ، المكتبة ، ص ٧٤ .
(٧١) المزويرى ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٩ .

- ٢٠٧ -

شمعورهم ، ونصلت أطفارهم من حرة وييسة » . وكانوا « يجدونه في بعض الأيام سائلا متسيعا ، فيتخبطون له في الأرض مواضع يجتمع فيها » ، كما كانوا « يجدونه في غير ذلك الأوان قد تحجر فيقطعونه بالمعاويل » (٧٢).

وكان الكبريت يوجد أيضا في جنوب شرقي صقلية في : جرجنت وفي الشرق في : قطنيا ، وفي الشمال الشرقي ، حول بلرم .

النفط :

والنفط (البترول) كان معروفا في الجزيرة أيضا ، وكان يستخرج من بعض الآبار بالقرب من قلعة المينا ، غير بعيد من سرقوسة . وكان للنفط موسم معلوم من السنة يظهر فيه على سطح الماء في تلك الآبار ، وذلك في أواخر الشتاء وبداية الربيع خلال ثلاثة أشهر ، هي : شباط (فبراير) ، وآذار (مارس) ، ونيسان (أبريل) .

أما عن كيفية استخراج النفط : فكان للآبار درج ينزل عليه الرجل من العاملين في استخراج النفط ، وقد خمر رأسه ، أي غطاها بقطعة من القماش كالحمار أو النقب . ويسد مسام أنفه ، وإن تنفس في البئر هلك في ساعته . وما أخرج من النفط وضع في قصار (أي آنية فخار) فيعلو الدهن منه ، وهو المستعمل (٧٣) .

ومن معادن صقلية المشهورة النوشادر الأبيض الذي كان يرفع إلى بلاد الأندلس رغم وجوده هناك — وكذلك إلى مصر . ولو أن أهل مصر استفادوا عنه بعد ذلك بتراب الحمامات ، كما يقول المقدسي (٧٤) .

٣ - السكان :

لما كانت صقلية ، بفضل موقعها الجغرافي ، في منتصف البحر المتوسط ، أشبه بمعبر بين أوروبا وإفريقية ، لم يكن من الغريب أن يطرا على تكوينها البشري الكثير من التغيير والتبديل ، تبعا لمجريات الأحداث في حوض البحر

(٧٢) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٥ ، وانظر دواية ، البكري ، كما نلها
 بين الشباط - المكتبة الصقلية - ص ٢١٠ .
 - (٧٣) البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٦ .
 (٧٤) الحسن القاسم ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .

المتوسط ، ومي كل من الساحلين المشرفين على الجزيرة ، سواء في أوروبا أم في أفريقيا ، حتى صارت قصة الجنس الأصلي لسكان صقلية ، وهم الصيقلو أو الصقليون أشبه بقصة أسطورية ، كما رأينا (٧٥) .

مسد القديم عرفت الجزيرة العيسقيين ، واليونان ، والإيطاليين ثم الرومان الإيطاليين ، وقبائل الفرنج من : الجرمان والوندال ، قبل أن تدخّل في نطاق الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وهي بيرطة أو دولة الروم كما عرفها العرب ، وذلك عندما استرجعها بليزاريوس من أيدي الوندال ، هي وولاية المغرب حوالي سنة ٥٣٠ م (٧٦) .

ومع أنه مما لا شك فيه أن محي كل موج من العراة أو المهاجرين كان له أثره على التركيب البشري لسكان الجزيرة وعلى لغتهم ، فإن جمهرة السكان ظلت ذات طابع بشري ولغوي ومزاجي خاص بها ، يعرقها - على كل حال - عن جنس الغزاة ، سواء كانوا من العيسقيين أو اليونان أو القرطاجيين أو الرومان والروم . ومثل هذا سيحدث على أيام العرب أيضا ، وإن كان إلى حد محدود ، بسبب التغييرات الأساسية التي طرأت على أهل كل البلدان التي دخلت في حوزة الدولة الإسلامية ، إذ صاروا عربا أولا وقبل كل شيء .

روم أفريقية يعمرن صقلية :

وفيما يتعلق بروم صقلية يقول ياقوت : إن الجزيرة كانت قليلة العمارة ، خاملة قبل الإسلام . فلما فتح المسلمون بلاد المغرب ، هرب أهل أفريقية إليها فاقاموا بها يعمرونها ، فأحسنوا - حتى فنحت في أيام بني الأغلب (٧٧) .

وهذه الفقرة الأخيرة تدل على الصلة الوثيقة بين أفريقية وصقلية ، على عهد البيزنطيين قبيل دخول العرب إلى المغرب . وهي تبين أن الصيغة الرومية البيزنطية كانت الغالبة على أهل صقلية .

(٧٥) انظر فيما سبق ، ص ١٩٧ .

(٧٦) انظر احسان عباس ، العرب في صقلية ، ط ١ - دار المسافر - مصر ، ص ٢٥ .

مارينو موريو ، المسلمون في صقلية ، ص ٣ - ٦ .

(٧٧) انظر منجم البلدان ، ج ٣ ص ٤٠٧ - وقريب من هذا ما يقوله الهمداني ، في نسخة الدهر وعجائب البر والبحر ، عن صقلية : "كثير زرع وهي حياض أفريقية" - فلما كانت في أيدي المسلمين كانت حاضرة قن العلم - كثيرة العسنة والأدهاء والفضلاء - سكانية الأندلس - المكتبة الصقلية ، ص ١٤٤ .

ولا شك أن فكرة صقلية الرومية هي التي جعلت العرب يجعلونها
بلد كبار معكرى اليونان القدماء . فلمزم هي بلد ارسطاطاليس الذي كان
معلقا في حشنة في هيكليها (٧٨) " والفيلسوف فرقدريوس ، صاحب كتاب
اندخل الى كتب ارسطاطاليس المعروف باسم " اليباغوجي " ، هلك فيها
في جبل النار (٧٩) ، وكان بها كذلك قبر جاليوس (٨٠) .

والرواية تبين أيضا أنه إذا كان روم افريقية قد غادروا البلاد وانتقلوا
الى صقلية يعمرونها ، فلم يكن من العسير على العرب بعد أن استقروا في
افريقية أن يتبعوهم الى هناك ، وأن يتابعوا ذلك العمران في شتى المجالات .

(٧٨) مرآة الأطلاع - كتيبي ، المكتبة ، ص ٢٤٧ ، كتاب جغرافية - جغوي ، المكتبة .

ص ١٢ .

(٧٩) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، المكتبة ، ص ٢ ، مروج الذهب ، المكتبة ص ١ .

(٨٠) عن الكرى ، كما نقله ابن السباط ، المكتبة ، ص ٢٩٠ .

فتح الأغالبة لصقلية

للقدمات :

صقلية : دار أهل العهد :

كانت صقلية اذن ، بعد فتح العرب للمغرب ، مركزا للأساطون البيزنطي ، يهدد منه سواحل المغرب العربية ومراكب التجار العرب (٨١) ، كما كانت أيضا منجلا لأعداء العرب من روم افريقية الذين تركوا البلاد ، واستقروا في الجزيرة ، وعملوا - وهم يكونون العداء للعرب - على زيادة امتعاشها الاقتصادي الذي جعل منها توأمة الأندلس . وكان كل من هذين العاملين كافيا ، وحده ، لكي يفكر العرب جديا في غزو الجزيرة عندما أصبحوا قوة بحرية تستطيع مناوأة الروم في البحر . وهكذا بدأت الغارات الاستطلاعية السابقة على صقلية وغيرها من جزر البحر ، مثل : سردينيا وكورسيكا ، وهي الغارات التي كانت تنتهي في كثير من الأحيان بالصلح ودفع الجزية للعرب . وبذلك لم تعد صقلية أرض العدو وبلاد المغانم والسبي فقط ، بل بلاد المعاهدين من أهل الذمة أيضا .

هذا ، ولو أن المصادر لا تمدنا بنفصيلات عما كان يتم بين الروم والعرب من المعاهدات ، مما يعني أن أهل ذلك العصر لم يكونوا يستسيغون قيام السلام بين الروم ودولة الاسلام ، حتى كانت تلك المعاهدات تتم بما يحفظ سريتها ، من : الحماة والكتمان .

ذلك ما يتضح من دراسة الأسباب التي أدت الى غزو الأغالبة لصقلية ، على عهد للأمير زيادة الله الأول ، في سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م . حقيقة أن اضطراب الجند الأغلب ، وعدم الاستقرار الذي عرفته معظم ولايات افريقية يمكن أن يكون من الأسباب التي حلت بالأمير الى توجيه نشاط جنده ورعاياه نحو الجهاد فيما وراء البحار في صقلية ، بدلا من صرفه في العن والتقاتل

فيما بينهم • ولكن نكي يجمع المتح في صقلية ، كان الامر يتطلب اعدادا عسكريا على مستوى مناسب للعملية الكبيرة ، كما كان يتطلب تغطية قانونية تسمح بنقض معاهدة السلام التي كانت معقودة بين روم صقلية من جهة وبين الاغالبية من جهة اخرى ، منذ ايلم ابي العباس عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب الامر السابق (٨٢) •

الصقليون ينقضون الصلح :

ومن الواضح أن معاهدة السلام تلك كانت تقضي بأن يعيد الروم في صقلية كل من كان لديهم من الأسرى : من الجند أو من أهل الريقية (٨٣) • وهو الامر الذي قام حوله جدل في افريقية في أواخر سنة ٢١١ هـ أو أوائل سنة ٢١٢ هـ (٨٢٧ م) ، عندما حضر القائد البيزنطي فيمي (أوفيميرس . Euphemius) الذي كان خارجا على امبراطور القسطنطينية مع بعض أنصاره ، والذي كان يريد أن يستعدي زيادة الله على الروم في صقلية ، أو كان يريد أن يطلب منه معونة عربية ليستعيد بها سلطانه في الجزيرة ، فأعلن أن الروم خرقوا الهدنة في صقلية • وأنهم يحتجزون أعدادا من أسرى المسلمين هناك (٨٤) •

(٨٢) انظر المالكي ، رياض النعوس ، ج ١ ص ٨٦ • والتحقيق ان ابراهيم بن الاغلب كان قد عقد الصلح - في سبيل تأمين الملاحة العربية في البحر المتوسط - لمدة عشر سنوات مع القائد البيزنطي في صقلية ، وهو قسطنطين • ودغم تغير السياسة الاغلبية التي هدفته ان تقوية الامارة بحريا من طريق الاهتمام الكبير بالأسطول مما أثار الغباء البيزنطين في صقلية ، فان الامر انتهى بسقوط صلح جديد لمدة عشر سنوات بين ابي العباس عبد الله الذي خلف والده ابراهيم بن الاغلب وبي جرجودي القائد البيزنطي في صقلية ، وذلك في سنة ٨١٣ ، كما تم تبادل الأسرى ، وتقرر تأمين سلامة التجار من الجانبين - انظر عزيز (أحمد) ، تاريخ صقلية الاسلامية : بالانجليزية ، ص ٥٠ -

(٨٣) انظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ - حيث تقول الرواية عن لسان سليمان بن عمران القاضي القيرواني بعد سجنه (انظر فيما سبق ج ١ ، ص ٧٤ و ٧٠ - الذي كان قد حضر مع شيوخ القيرواني كتاب الهدنة ، الذي قرأه على جماعة الناس ، وكان فيه : بأن من دخل اليهم من المسلمين وإراد أن يردوه إلى المسلمين كان ذلك عليهم •) (٨٤) انظر المالكي ، ج ١ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ - وهذه الرواية مقبولة أكثر من رواية اللخمي مياض الغنضة في المدارك (ص ٤٧٦ ، تراجم الخليفة - ص ٦٦) التي تجعل الرسل الذين حضروا إلى الخليفة - جمع - وسيل طائفة للروم • مما قد يتفق على نفسه الرواية مع شك القاضي أبي حمزة فيهم • ويؤيد رواية المالكي ما كتبه عليهم الروايات التي تقول ان فيمي ، بعد ان أخرجه جرجودي القيصر من صقلية ، سار فملا إلى إفريقيا ، ثم إلى -

وجمع زيادة الله أهل الحل والعقد من مستشاريه ، ومن العلماء ، وعلى رأسهم قاضيا إفريقية حينئذ ، وهما : أبو محرز وأسد بن الفرات ، لمناقشة أمر إحلال روم صقلية بشروط الهدنة ، اذ احتجزوا بعض أسرى العرب ولم يطلقوهم حسب مقالة فيمي وأصحابه ، الذين كان بينهم واحد من المسلمين ، كما تقول رواية المالكي (٨٥) - ولا بأس أنه كان ترجمانا للروم ، اصطحبوه معهم - والظاهر أن فيمي وأصحابه أرادوا أن يظهروا بمظهر أصحاب الأمر الشرعيين في صقلية ، وهذا ما لم يخف على أبي محرز القاضي ، الذي رأى الثروى في أمر تقرير خرق الهدنة حتى تظهر البيعة (٨٦) .

وكان أبو محرز يرى عدم الأخذ بمقالة فيمي وصحبه ، على أساس عدم جواز قبول شهادتهم على أنفسهم أو على خصومهم من أبناء جلدتهم - أمه أسد ابن الفرات الذي كان قد جمع ، الى العلم والعق ، الشجاعة - حتى أنه كان يعد من بين شجعان إفريقية في ذلك الوقت - والذي كان يميل الى نقض الهدنة ، فانه اعترض على تشكيل أبي محرز في شهادة فيمي وصحبه ، واعتبرهم رسل ملك الروم ، وقال في ذلك : « بالرسول هادناهم ، وبهم نجعلهم ناقضين » . وأضاف الى ذلك الآية التي تقول : « فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون » ، وأكد ما تدعو اليه الآية ، بقوله : « فنحن الأعلون » (٨٧) .

وعلى أساس فتوى أسد بن الفرات تلك تم نقض الهدنة مع الروم . وبناء على ذلك قرر زيادة الله غزو حرية صقلية ، وهو الأمر الذي كرمه علماء إفريقية وقتئذ ، لأنه لم يصح عندهم أن الروم نقضوا العهد (٨٨) .

صراعات داخلية في الجزيرة تمهد للفتح :

وهكذا كان فتح صقلية ، مثل فتح الأندلس ، نتيجة مباشرة لصراعات داخلية بين زعماء البلاد ممن طلب بعضهم معونة العرب ، أو سهلوا عليهم

= الأندلس - انظر ياقوت ، حشم البلدان ط - أوروبا ، ج ٣ ص ٢٠٧ ، البكري ، جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢١٩ -

(٨٥) المالكي ، المكتبة ، ص ١٨٤ ، وعن أسد وابن محرز انظر فيما سبق ، ص ٦٦ . وما يفتقر

(٨٦) المالكي ، ج ٢ ص ١٨٦ ، المكتبة ، ص ١٨٢ ، تراجم الخطيب ص ٦٦ .

(٨٧) انظر تراجم الخطيب ، ص ٦٦ ، المنار ، ص ٤٧٧ ، المالكي ، ج ٦ ص ٢٨٧ ، المكتبة ، ص ٢٨٢ - ١٨٣ -

(٨٨) المالكي ، ج ٧ ص ١٨٧ ، المكتبة ، ص ١٨٣ -

أمر الاسبيلاء على الحرية . وفي سنة ٢١١ هـ / ٢٦ - ٨٢٧ م . قام نزاع بين حاكم صقلية البيزنطي قسطنطين ، وبين فيمي قائد جيش الاسطول الذي صفه رواية ابن الأثير المقلوبة عن الرميقي - النبي حافظ عليها التويري بشكل جيد ، بينما انطلمست بعض معالمها عند ابن خلدون ، والتي يعتمد عليها ، على أساس أنها يونانية الأصل - بالخرم والشحاعة (٨٩) . وانتهى ذلك النزاع بأن هاجم فيمي بمراكبه سرقوسة العاصمة ، واستولى عليها بعد أن هزم قسطنطين الذي لجأ إلى مدينة قنانيا القريبة ، على نفس الساحل الشرقي لبحريرة ، شمال سرقوسة ، حيث طاردته قوات فيمي وخسذته وقتلته .

وبموت قسطنطين آل حكم صقلية إلى فيمي الذي اتخذ اللقب الملكي ، بمعنى اعلان الاستقلال عن الامبراطورية ، وعهد بولايات الأقاليم إلى أتباعه ، وكان منهم القائد الأرمي بلاطة ، ابن عم ميخائيل حاكم مدينة بلرم . ولم يلبث بلاطه أن طمع بدوره في ملك الجزيرة فتحالف مع ابن عمه ميخائيل ، ونجح الاثنان في هزيمة فيمي ، وانتزاع سرقوسة من بين يديه - وهنا لم يجد فيمي ملجأ إلا أفريقية حيث كان الأمير زيادة الله (٩٠) .

حقيقة عرض فيمي ، واحتمالات النجاح والفشل ، ودور أسد بن الفرات :

في هذه الظروف ، وبصرف النظر عن نقض الصلح أو عدمه ، عرض القائد فيمي على زيادة الله أن يعاونه على فتح صقلية - وسهل له أمر ذلك ، ووعدته - على ما نقض - بأن يكون تابعاً له في الجزيرة ، إلا إذا كان في نية فيمي الغدر بعد أن يساعده العرب ، وهو الأمر الذي يظهر من خشية العرب من وجوده في صفوفهم ، عندما نزلوا في الجزيرة . والظاهر أن زيادة الله وعدداً لا بأس به من مستشاريه ، وعلى رأسهم القاضي أسد بن الفرات ، أرادوا إتهياز الفرصة ، ودفع حدود الإسلام في قلب البحر المتوسط ، بل وإلى السواحل الأوروبية بضم صقلية . ولكنهم كانوا مترددين في حسياب الكسب والخسارة في المغامرة البعيدة فيما وراء البحر ، وخاصة أن القصد ، هذه المرة ، لم

(٨٩) وعن أسباب ثورة فيمي تقول الرواية البيزنطية أنه أحب راهبة اسمها بهومونيزا وعروها رغم أنزادتها . وعندما بلغ ذلك سماع الامبراطور ميخائيل الثاني أمر حاكم الجزيرة قسطنطين بنقله إلى قسطنطينية وقطع أنفه (انظر عزيز أسد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، المجلد ١ ، ص ٦) .

(٩٠) ابن الأمير المكتبة المصقلية - ص ٢٢١ ، ٢٢٢ - التويري : المخطوط - ص ٢٢٢ . المكتبة - ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ . ابن خلدون ج ٤ ص ١٩٦ . والمكتبة : ص ٤٦٦ .

يكن عادة عادية من تلك الغارات التي كانوا يقومون بها على صقلية وغيرها من الجزر القريبة منها ، مثل : سرداية وكورسيكا ، بل هو الاستقرار والاستيطان في الجزيرة .

ينسخ ذلك من المناقشات التي دارت بين فقهاء افريقية الذين اختلفوا في الامر ، فكره بعضهم غزو الجزيرة ، على أساس أنه لم يصح عندهم أن الروم نقضوا العهد (٩١) ، أو ما نصح به بعضهم ، عندما قالوا : نفزوها ولا نسكنها ، ولا نتخذها وطنا . ويظهر ذلك بشكل أوضح فيما ينسب الى فقيه افريقية وامامها الشهير سحنون بن سعيد ، من أنه : سأل العارفين بالمسألة عن المسافة بين صقلية وبلاد الروم ، وعن المسافة بينها وبين افريقية . وانه عندما عرف أن الانسان يروح مرتين وثلاثة في النهار من ساحل صقلية الى ساحل بلاد الروم - والمقصود بذلك عبور مجاز ميسى الضيق - وان المسافة بين الجزيرة وبين افريقية : يوم وليلة ، أظهر عدم موافقته على الغزو ، على أساس ان امدادات الروم ستكون قريبة جدا من الجزيرة ، بينما سيكون العرب بعيدين عن قواعدهم . وهكذا قال سحنون : « لو كنت طائرا ما طرت عليها » (٩٢) .

توتب على ذلك أن انقسم الناس الى ثلاثة أطراف ، من محبذين للغزو ورابعين فيه ، وعلى رأسهم أسد بن القرات . ومعارضين للمغامرة غير المضمونة ، وعلى رأسهم سحنون بن سعيد .

ثم جماعة الوسط ممن كانوا يودون الغزو ويخشون من القيام بالمغامرة . والمثل لهم زاهد افريقية وعابدها وقتئذ : عبد الرحيم بن عبد ربه الربيعي ، الذي كان يعرف بعبد الرحيم المستجاب ، والذي كان في أول أمره تاجرا في سوق البزازين بالقيروان . فقد كان عبد الرحيم مترددا ما بين الخروج للغزو أو البقاء لاصلاح وإعادة بناء رباط قصر زياد الذي كان يتردد عليه في الساحل ، فاقنعه سحنون بأن يبقى ويبني قصر زياد ليكون حرسا

(٩١) انظر الصفحة السابقة .

(٩٢) النويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب ، المكتبة . ص ٤٢٧ - ٤٢٨ حيث تسمى الرواية صاحب الرأي المعارض باسم : « ابن قادم » الذي ربما كان واحدا من اصحاب سحنون . ومن ابن قادم الذي يظهر في صورة واحد من نواد أسد في صقلية وانه كان يحيل الدعوة الى افريقية قائلا : « نحن حياة وجل مسلم / أحب اليك من أصل الشرك كلهم » . انظر المالكي . ج ٩ ص ١٨٨ ثم ص ١٨٩ : حيث أحب أسد ابن قادم لغربه بالسوط .

للمسلمين ، وعونا لهم يلجأون اليه ، ويرابطون فيه (٩٣) .

رأى الشجعان يقتصر : أسد بن الفرات قائدا :

والهم أن رأى جماعة المتحمسين للجهاد هو انذى انتصر ، فقرر زيادة الله القيام بالفتوة ، وأصدر أمره الى القائد البيزنطي فيمى وأصحابه بالتوجه الى سوسة ، قاعدة الفتح وأرض المحارس والرباط ، والاقامة فيها حتى يتم الاعداد للحملة ، ويستعد الاسطول (٩٤) . ولم يكن من الغريب أن يستد زيادة الله قيادة الحملة الى أسد بن الفرات ، الذى كان على فقهه وعلمه ، معدودا بين الشجعان ، والذى كان قد سبق له غزو سردانية بأمر زيادة الله ، وأشرف على فتحها ، كما تقول الرواية ، لولا حسد من كان معه من القواد (٩٥) .

الاجتهاد فى بناء السفن للحملة :

دار صناعة فى مقبرة سوسة :

ويظهر من سيرة أسد بن الفرات ، كما يعرضها كتاب تراجم علماء افريقية ، أنه كان يتعجل الاعداد للحملة والمسير الى الجهاد ، حتى قيل : انه كان يشعر بتثاقل زيادة الله فى ذلك ويشكو منه (٩٦) . هذا ، ولو أننا نجد فى تراجم غير أسد من العلماء بعض التفصيلات الطريفة عما كان يقوم به زيادة الله من تجهيز الاسطول فى سوسة . ففى ترجمة يحيى بن عمر بن يوسف الأندلسي ، دفين سوسة ، يتضح أنه لما أمر زيادة الله بإنشاء المراكب

(٩٣) انظر المالكي ، ج ١ ص ٢٢٧ ، المكتبة ، ص ١٨٦ - وتقول الرواية أن سحنون بن سعيد صنع عند الرحيم بذلك لانه كان يعرف عنه أنه يخاف البحر . وأن سعيد الرحيم عندما شاور أسد بن الفرات فى نصيحة سحنون له ، رد عليه قائلا : « الذى أشار عليك به حسو الصواب » ، وأن أسدا انتب موافقته على ذلك بأن سعيه فى موافقة الأمير على أن يبنى عند الرحيم قصر زياد ، فأخرج له السجل الخاص بذلك . وتقول الرواية أن عبد الرحيم ألفق فى اصلاح للقصر وإعادة سائه ١٨ (ثمانية عشر) ألف دينار ، منها ١٣ (اثنى عشر) ألف دينار من ماله ، و ٦ (ستة) آلاف دينار من مال اخوانه ومحبيه .

(٩٤) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٦ ب . المكتبة ، ص ٤٢٨ .

(٩٥) تراجم الخليفة ، ص ٦٧ - وتقول الرواية أن حنيد اخوانه له . أثناء الفتح بلغ مسامع الأمير الذى سأل عن أسماء المهتمين فى الامر وأن أسدا رفض أن يستنيهم .

(٩٦) المالكي ، ج ١ ص ١٨٧ ، المكتبة ، ص ١٨٣ .

للحروح الى صغليه . كان فتياته من السودا يشركون في أعمال دلو
الصناعة التي ضاق بها المكان حتى أن العاميين في بناء السور اضطروا إلى
استخدام مقرة سوسة ، وهدموا ما فيها من القيور ، حيث رقدوا تركب
التي كان يحرق أشاؤها ، « الا قبر يحيى من عمر ، ما حسر أحد على هدمه » .
وعندما مثل بعض العاملين من العتيان السودا قال : « أنا مرى عليه بورا
عظما ، فهو الذي سمنا من هدمه » (١٧) .

الذي يعهم من ترجمة أسد بن الفرات أنه ، في الوقت الذي كان
بتعجل الإعداد للحملة ، كان يفضل السقاء في وطيمة القضاء ففي ذلك
بدول الرواية انه قال لزيادة الله « أصلح الله الأمير من بعد القضاء ، والنظر
في حلال الله تعالى وحرامه ، تعزلني وبوليسى الامارة » ، وكان رد الأمير
« امي لم أعزلك عن القضاء ، بل وليك الامارة ، وهي شرف من القضاء .
وأبقيت لك اسم القضاء فأنت قاض أمير » . وزعم ما تقوله الرواية من أنه
« لم يجتمع الامارة والقضاء لاحد بسند اربعية الا لأسد » (١٨) ، فقد كان
ذلك أمرا طبيعيا بالنسبة لأسد ، إذ كان الجيش يحتاج دائما إلى قاض ،
يسمى « قاضي العسكر » ، للنظر في أمور الحلال والحرام ، بين الجند ، وينظر
في مسألة توزيع المغانم وتحديد الخمس الخاص بالأمير . وهكذا ، ييسر كان
الإعداد للحملة يجري على قدم وساق ، والناس يتوافدون على أسد يسألونه
عن الخروج معه ، وما يحسن أن يكون معهم من العدة والعتاد ، أصدر قيادة الله
سجلا بولاية أسد على صقلية أميرا وقاضيا (١٩) .

خروج أسد من القيروان :

وعندما جهر الأسطول في سوسة ، وتم الإعداد للحملة في القيروان ،
كان على أسد بن الفرات أن يخرج لركوب الأسطول في سوسة ، وذلك بعد
إقامة حفل عيقد اللواء له في المسجد الجامع بالقيروان بعرفة الأمير ، حيث
يقرأ سجل الامارة ، أي قيادة الحملة . ويصف مترجموا أسد بن الفرات حفل
خروجه من القيروان ، في الطريق إلى سوسة ، وصفا رائعا : فقد خرج معوها

(١٧) المالكي ، ج ١ ص ٤٠٠ . المكتبة ، ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١٨) المالكي ، ج ١ ص ١٨٨ ، المكتبة ، ص ١٨٢ . تراجم . الخلة ص ٦٦ .

(١٩) المالكي ، ج ١ ص ٣٢٧ . المكتبة ، ص ١٨٦ . ترجمة عبد الرحيم بن عبد ربه .

وتقول الرواية أن أسدا حمل الأمر يصدر أيضا سجلا سه . قصر بن ريد ، كما سبق .

بوجوه أهل العلم من المودعين وكبار أهل امرئيه من عامة الناس ، ورجال الحاشية انديين خرجوا جميعا بأمر قيادة الله .

ويطر أسد الى الناس عن يمينه وعن شماله ، والبنود مشورة فوق الرأس ، وقد صهلت الخيل ، وضربت الطبول ، فاحده التأثير . ووقف القائد الفقيه حطيبيا في الجمع الحاشد من المشيعين ، فقال : « والله يا معشر الناس ما ولي لي أب ولا جد قط ، ولا رأى أحد من بيتي مثل هذا قط ، وما رأيت ما يرون الا بالاقلام ، فاجهدوا أنفسكم واتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتدوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته فانكم تنالون به الدنيا والآخرة » (١٠٠) . وكانت مناسبة استغلها القاضي القائد للحث على طلب العلم الى جانب الدعوة الى الجهاد .

حجم الحملة ومعداتها :

ولا نعرف متى خرج أسد من القيروان ولا كم من الوقت أمضى في موسسة حيث كان يشرف على رجال الحملة الذين بلغ عددهم ٧٠٠ (سبعمائة) فارس بحيلهم ، و ١٠ (عشرة) آلاف راجل . ولكن من المعروف أنهم كانوا قد انتظموا في مراكبهم التي بنفت ١٠٠ (مائة) مركب ، قبل صباح السبت الموافق للنصف من شهر ربيع الأول من سنة ٢١٢ هـ / ١٤ يونية ٨٢٧ م ، حينما أعطيت الإشارة للاستطول بالاقلاع ، وذلك في خلافة المأمون (١٠١) .

وهذا يعني أن حمولة المركب كانت حوالي ١٠٠ (مائة) رجل دون النوتية . وتقول رواية ابن عذاري ان رجال الحملة كانوا يتكونون من أشرف افريقية ، من : العرب والجسد والبربر والأندلسيين ، وأهل العلم والبصائر (١٠٢) . وذلك يعني أن العرب الذين شاركوا في الحملة كانوا من سلالة القرشيين وعرب الفتوح الأولى في افريقية الذين عرفوا بالبلديين ، الى جانب التميميين من أقارب الأغالبة . أما الجند فالمقصود بهم عسكر الأميروفتياته من الصقالبة ومن السودان ، وأما بربر افريقية فلا بأس أن يكونوا جماعات من هوار طرابلس ونغزاة ، ومن قسائل الزاب ويضمثهم كتامة . أما عن

(١٠٠) المالكي ج ١ ص ١٨٨ . المكتبة . ص ١٨٤ ، وقارن تراجم الفلبية . ص ٦٧ .

(١٠٢) النويري . المخطوط . ج ٢٧ ص ٢٣٦ ب . المكتبة . ص ٤٢٨ ثم المخطوط . ص ١١١

حيث تقول الرواية ان أسدا سلك في عشرة آلاف - وقارن المالكي ج ١ ص ١٨٧ .

(١٠٢) ابن عذاري ج ١ ص ١٠٢ .

- ٢١٨ -

الأندلسيين فالمقصود بهم ، كما نرى ، أولئك الذين كانوا قد استقروا في إفريقيا ، ومنهم من كان من أهل العلم والبصائر ، الذين ساهموا في هذا الجهاد ، وهم غير الأندلسيين من الغزاة البحرين الذين سيأتي ذكرهم عما قريب .

أما عن مراكب فيمي التي لا تشير إليها الرواية في تلك الرحلة ، فأغلب الظن أنها سارت بصحبة أسد ، كما تقول رواية النويري (١٠٣) .

إقلاع الحملة الى مازر (مزاره Mazara) :

وإذا كانت الرحلة في البحر في ربح الصيف المواتية تستغرق يوما وليلة ، كما قيل لسحنون (١٠٤) ، وهي مسافة مجريين بمسافات أهل البحر وقتئذ ، أي حوالي ١٢٠ ميلا ، فإن هذا لا يعني أن أسطولا حربيًا مثقلا بالرجال والعتاد كان يمكنه أن يصل في اليوم التالي الى ساحل صقلية . فقد استغرقت الرحلة ٣ (ثلاثة) أيام ، فوصل الأسطول الى ساحل مازر صباح يوم الثلاثاء ١٣ من ربيع الأول (١٦ يونيو) (١٠٥) .

أما عن اختيار ساحل مازر لنزول الحملة ، فكان يحقق للعرب ميزتين : احدهما ، أن ساحلها يعتبر أقرب السواحل الصقلية الى الأرض الإفريقية ، وثانيتهما : أنها كانت بعيدة عن مركز النقل البيزنطي في الجزيرة ، وذلك على الساحل الشرقي حيث : سرقوسة رقطانيا وشرمين ، كما أن مدينة مازر نفسها كانت بعيدة في الداخل على بعد أميال من الساحل .

حازر قاعدة العمليات :

وهكذا ، أمر أسد بن الفرات بالحيل فأخرجت من المراكب في هدوء ، وتبعها الرجال ، واتخذ له في الموضع معسكرا ، وانتظر يتحسس مواضع قديمة في المكان لمدة ثلاثة أيام . ووضح من رواية النويري أن أصحاب

(١٠٣) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ من ٢٣٦ المكتبة . ص ٤٢٨ (حيث يقول ان الأسطول كان في « بحر مائة مركب سوى مراكب فيمي ») .

(١٠٤) انظر فيما سبق ، ص ٢١٣ .

(١٠٥) النويري ، المخطوط . ج ٢٢ من ٢٢٦ ب . المكتبة ص ٤٢٨ . وانظر تاريخ صقلية حسب تاريخ الروم ، المكتبة الصقلية ص ١٦٥ (حيث يجعل الوصول الى مازر في منتصف يوليو) .

فيمى لم ينزلوا فى المعسكر العربى ، بل أقاموا بالقرب منه ، وذلك أن رجال
أسد عندما أخذوا فى اليوم الثالث سرية من سرايا الروم ظهر لهم أنهم من
أصحاب فيمى فتركوهم (١٠٦) ، مما يعنى أن المنطقة لم تكن محصنة ، وأنه
لم يكن بها حاميات من البيزنطيين .

وبذلك استولى أسد على مازر ، وبيت سرايا فى المنطقة قفتم وتسبى ،
حتى امتلا المعسكر بالسائمة الكثيرة والسبى والسلاح (كراعات) (١٠٧) .

اللقاء مع حاكم الجزيرة فى « مرج بلاطه » (Pelato) :

وعندما اطمأن أسد الى سلامة موقعه قرر المسير الى لقاء القائد الأرمنى
بلاطه ، الذى كان قد سيطر على الجزيرة وطرد فيمى . فعبا رجاله وخرج بهم
من مازر متجها الى حيث كان بلاطه فى بعض قلاع مرج يعرف باسمه ،
فهو « مرج بلاطه » ، مسترشدا بفيمى ورجاله . وعندما برز بلاطه ، عبأ أسد
رجاله فى هيئة القتال ، وطلب من فيمى ورجاله أن يقفوا بعيدا على الحياض .
وانتهى القتال غير المتكافئ فى نظر الرواية التى تقول ، بكثير من المبالغة ،
أن بلاطه زحف فى ١٥٠ (مائة وخمسين) ألفا (١٠٨) ، باهزام بلاطه نحو
قصريانة (كاستروجيوفانى) ، وهى المدينة الكبيرة التى تعتبر عاصمة وسط
الجزيرة ، بعد أن فقد كثيرا من رجاله ، وترك الكثير من عده وعتاده غنيمة
بين أيدي رجال أسد .

وللرواية الحق فى تضخيم الدور الذى قام به أسد بن الفرات أثناء
القتال الكبير . فهو عندما طلب الى أصحاب فيمى أن يمتزلوا رجاله ، أمرهم
بأن يجعلوا على رؤسهم سيما يعرفون بها لثلاثتهم واحد من العرب أنهم
من الأعداء ، فيصيبهم بمكره . وينسأ على ذلك فقد جعل أصحاب فيمى
الحشيش على رؤسهم (١٠٩) مما يعنى أنهم كانوا محتبئين فيما يشبه الكمين
وأنهم استخدموا فروع الأشجار والحشيش على رؤسهم للتنويه .

(١٠٦) البويرى ، المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ - المكتبة ، ص ٢٢٨ .

(١٠٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٢ .

(١٠٨) المالكي ، ج ١ ص ١٨٨ ، المكتبة ، ص ١٨٤ . البويرى ، المخطوط . ج ٢٢

ص ١١١ . وتذكر هذه المبالغة بما قيل فى فتح الأندلس أن جيش للدول كان يزيد على
مائة ألف نيسا كان جيش طارق حوالى عشرة آلاف .

(١٠٩) المالكي ، ج ١ ص ١٨٨ . المكتبة ، ص ١٨٥ .

ووقف أسد يحمل لواء القيادة في قلب عسكره ، وهو يزمرم بأيات من القرآن الكريم ، وخاصة سورة « ياسين » . وعندما بدأ الروم حملتهم على رحاله الدين راعهم الأمر ، أقبل أسد يرفع من معنوياتهم ، ويقول لهم : « هؤلاء عجم الساحل ، هؤلاء عبيدكم لا تهابوهم » ، واندفع باللواء تحت إبطه ، وحمل الناس معه . وبلغ من تشبث أسد باللواء تحت إبطه أنساء تموج الناس في المعركة الى درجة أن سال الدم من تحت إبطه على قساة اللواء ، وعلى طول دراعه (١١٠) .

ولم يستقر بلاطه كثيرا في قصر يانعة اذ غلبه الخوف من العرب ، فخرج من قصر يانعة نحو ميسيس من حيث عبر الى قلورية في حوض إيطاليا ، ربما من أجل العودة من كان يدين له بالطاعة في هذا الصقع من الرجال ، ولكنه قتل هناك (١١١) .

وبذلك تحققت أول مرحلة من مراحل غزو صقلية على يد أسد ابن الفرات الذي كتب الى ريادة الله بالفتح ، وكان على الأمير الأغلب أن يخطر بديره الخليفة المأمون في بغداد لما تم في صقلية من الفتح باسم الخلافة (١١٢) .

التوسع نحو سرقوسة :

وبعد ذلك عاد أسد بن الفرات في اتجاه معسكره مازر ، وهو يكتم آلام إبطه الجريح ، واستولى في طريق العودة على الحصون والقرى الواقعة على البحر ، مثل افيمية التي كان بها كنيسة كبيرة . وبعد أن أصلح أسد من شأنه قرر المسير نحو الشرق الى سرقوسة حيث قوات السروم الرئيسية ، فترك مازر بعد أن استحل عليها القائد أبا زكي الكناني ، واتخذ طريق الساحل الجنوبي في اتجاه الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة حيث سرق البوالص أو أنف الأرنب ، كما يسمية الادريسي (١١٣) .

(١١٠) المالكي . ج ١ ص ١٨٨ . المكتبة . ص ١٨٥ . ويشرح المالكي عجم الساحل ما بين الدس كانوا هموا من ساحل افريقية عندما فتحها العرب . واطر براحم الغلبة . ص ٦٧ .
(١١١) البويري المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٦ . ج ٢٢٧ . المكتبة . ص ٤٢٨ . واطر
ابن الأثير . سفة ٢٠١ . ابن حلدون . المكتبة . ص ٤٦٦ .
(١١٢) انظر فيما سبق . ص ٢١٨ .
(١١٣) ٧١-٧٢ . المكتبة . ص ٣٧ . ٧١ . وهو ايضاً انظر التويري المخطوط
ص ٢٢٧ .

- ٢٢٢ -

وتقول الرواية انه التقى بالقرب من البندة المعروفة بكنيسة السفين. بعد من الروم بقيادة بعض بطارقة سرقوسة ، و بهم حذوه ومكروا به ، عندما طلبوا منه الامان نظير دفع الجزية ، وذلك أن هدفهم كان أخذ فسحة من الوقت للاستعداد لمواصلة الحرب .

وتنص الرواية على أن أهل الجزيرة اجتمعوا الى قلعة الكرك في الجزيرة المعروفة بنمس هذا الاسم ، على بعد ٣ أميال من البوالص ، حيث جمعوا فيها كل أموال الجزيرة (١١٤) . أما عن أهل سرقوسة الذين ذلوا وألقوا سلاحهم ، فابهم عادوا الى منارة العرب (١١٥) .

وهكذا بعد أن أقام أسد بن الفرات في موضعه أيما تبين له أن أهل سرقوسة د مكروا به حتى أصلحوا حصنهم ، وأدخلوا اليه جميع ما كان في الزبض وفي الكنائس من الذهب والفضة والميرة ، فتقدم وناصبهم القتال (١١٦) .

حصار سرقوسة :

ومن تحت أسوار سرقوسة حيث استقر أسد في معسكره ، أخذ يبتأسرأيا في أنحاء المنطقة لتعود اليه بالمغانم العظيمة والسبي الكثير ، حتى ضج أهل المنطقة ، واضطر المحاصرون في سرقوسة الى طلب الامان من جديد . وتقول الرواية أن أسدا كان يميل الى أن يجيب الى ما طلبه أهل سرقوسة من الامان ، ولكنه لم يستطع أمام مراضة المتزمتين من أصحابه . فظل مقيما في المنطقة ، وهو يناصب أهلها العداة ، ويواصل عليهم شن الغارات (١١٧) في البر والبحر جميعا ، بينما كان زيادة الله يواصل امداده بالرجال والعتاد (١١٨) .

(١١٤) الويرى ، المخطوط ، ص ٢٢٧ . وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (من ولاية ريادة الله ، ج ٦ ص ١٣٦) . وابن خلدون ، ج ٢ ص ١٩٩ .
(١١٥) نفس المصدر .
(١١٦) نفس المصدر .
(١١٧) الظير المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ . وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ولاية ريادة الله ، ج ٦ ص ١٣٨) ، والويرى ، المخطوط ، ص ٢٢٧ .
(١١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ولاية ريادة الله ، ج ٦ ص ١٣٨) .

القحط والوباء :

والظاهر أن الذي كان قد دفع أسد بن الفرات الى الميل الى عقد الهدنة التي طلبها أهل سرقوسة ، هو القحط والوباء الذي بدأ يحل بالجزيرة منذ السنة التالية لنزوله في مازر ، وهي سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م . فهذا ما يفهم من رواية المالكي التي تشير الى ما نزل بالعسكر من الجوع الذي أضر بهم حتى أكلوا لحم الخيل ، وهو الأمر الذي تؤكد رواية ابن الأثير (١١٩) ، مما دعا بعض كبار القواد الى اقتراح الجلاء عن الجزيرة وانخودة الى الفريقية .

ورفض أسد بن الفرات بطبيعة الحال كسر الغزوة ، ولم يفقد الأمل في مقدرة الرجال على ايجاز المهمة رغم ما كان يواجههم من الصعوبات . وقام جدل يسه وبين ذلك للقائد الذي سمي به رواية المالكي بآبن قادم ، والذي قال في معرض دفاعه عن فكرته : « حياة رجل مسلم أحب اليها من أهل الشرك كلهم » . وعندما وجد أسد أن عددا من رجاله يميل الى ترك الغزو والعودة الى الساحل الأفريقي هددهم باحراق المراكب . وعندما تناول ابن قادم عيبه ، وقال له : « على أقل من هذا قتل الناس عثمان » ، لم يتردد القاضي الأمير في أن يؤدبه بالسوط (١٢٠) ، تلمحا كما فعل موسى بن نصير بطارق بن زياد في قصة فتح الأسطس مع اعتبار عكس الأوضاع .

استمرار الضغط على سرقوسة :

والمهم أنه رغم انواء والشنطة ظل العزب يضغطون على وحاى سرقوسة ، ونجحوا في فتح عدد من الغيران حولها ، وكانت سراياهم تعود من جولاتها بالمغانم والأسلاب (١٢١) التي تعينهم على مواصلة الصراع . بينما كان

(١١٩) المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (ولاية زيادة الله ، ج ٦ ص ١٢٨) .

(١٢٠) المالكي ، ج ١ ص ١٨٩ ، المكتبة ، ص ١٨٥ - والذي يستمرى الاقتباء هو أن رواية النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٦ ، المكتبة ، ص ٤٢٧ ، التي سبقت الإشارة اليها ، والتي نصت على أن الامام سحنون كان من الممارقين لغزو صقلية منذ البداية (انظر فيما سبق ص ٢١٤) تخلط بين سحنون وبين ابن قادم . ولكنه يمكن القول انه ربما كان ابن قادم من اصحاب سحنون . هذا كما يمكن الظن في أن تكون لقصة فتح الأسطس - وما قبل من احراق طارق لمراكبه عقب العبور - وما قبل من أن موسى ضرب طارقا بالسوط هذه طليطة علاقة بتلك القصة الخاصة بفتح صقلية .

(١٢١) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٢٢٣ .

الإمبراطور ميخائيل الثاني يرسل النجدة إلى الجزيرة ، ويعمل على اقتلاع
 درج البسدية « جيوستيانو بارتيسيباريو Guistiniano Partecipazio
 بمساهمة أسطول له في مواجهة العرب (١٢٢) » .

وهكذا تطلبت العمليات العسكرية أن يستقر أسد في معسكره الجديد
 تحت أسوار سرقوسة ، وحسنه فأحاطه بخندق يمنع الروم من مهاجمته ،
 وعندما علم العرب بمسير بطريق (قائد) بلرم في عسكر كثيف اليهم ،
 أأموا لهم مصائد خارج الخندق . إذ حفروا حفرا كثيرة ، أتت بما كان يرجى .
 منها عندما سقط فيها عدد كبير من المهاجمين وقتلوا . وبذلك نجح العرب
 في الدفاع عن قاعدتهم ، كما زادوا من ضغطهم على سرقوسة المحاصرة (١٢٣) .

وفاة أسد في الوفاء مع وصول أسطول من القسطنطينية :

ولم يكد العرب يتنفسون الصعداء وسط تصب القحط والوباء والجوع
 حتى فوجئوا بازدياد متاعبهم بوصول أسطول من القسطنطينية معيا بالرجال
 والعتاد . وكان وصول الأسطول الرومي في وقت ازدادت فيه شدة الوفاء
 الذي راح ضحيته الكثيرون ، وعلى رأسهم قائدهم وقاضيه أسد بن
 العرات (١٢٤) ، الذي توفي في شعبان من سنة ٢١٣ هـ / أكتوبر - نوفمبر
 ٨٢٨ م (١٢٥) ، ودفن تحت أسوار سرقوسة (١٢٦) .

(١٢٢) عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ٨ .
 (١٢٣) ابن الأثير ، سنة ٢٠٢ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٣ . والنظر : ابن خلدون ،
 ج ٤ ص ١٩٩ . المكتبة ، ص ٦٧ هـ حيث النص على أن المسلمين حاصروا بلرم بدلا من خروج
 مكر بلرم إلى المسلمين .
 (١٢٤) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٢٣ .
 (١٢٥) النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ٢٢٧ . وقارن تراجم ألقية ، ص ٧٠ حيث
 يشير إلى ذلك أنه قيل أن وفاة أسد كانت في سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م أو في سنة ٢١٧ هـ /
 ٨٢٢ م .

(١٢٦) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٢٦٧ . حيث يخلط النص بين سرقوسة وبلرم فيقول :
 أنه دنا من المدينة الأخيرة أما من العبر (ج ٤ ص ٦٩٩) فلهذا أنه دنا في قسريالة خطأ .
 وكان من نصيب تراجم صقلية أن يدفن فيه علم أسد الذي كان يحضر على شياخ علمه بولائه .
 لقد كان يرى ليريطي الأسيان وهو يدق صدره ، ويقول : « وأحسبك ! » إن مت : ليدخل
 القبر مني علم عظيم . - والنظر تراجم ألقية ، ص ٦٣ .

اختيار الجند محمد بن أبي الجوارى قائدا :

والظاهر أنه كان لوفاء لشد وقع سيء في نفوس عسكره لى ذلك الر
الذى كان يفنك بهم الوباء ، حتى قيل أن رهائن الروم الذين كانوا لـ
انتهزوا الفرصة وهربوا (١٢٧) . ورغم أن لا نعرف أن الأمير ريادة الله
قد عين قائدا ثانيا للحملة كما جرت العادة ، فإن رؤساء الجند اجتمعوا واختر
واحدا منهم ليخلف أسدا بن الإمامة ، وهو محمد بن أبي الجوارى (١٢٨)

الوباء والروم أمام العرب :

العودة إلى مازر والتفكير في الرجوع :

وأمام الخسائر التي كان ينزلها الوباء بالقوة العربية وتهديد الج
البيزنطية التي اتت في الأسطول بحرا ، وفي البر أيضا عن طريق إ
وكلابريا ، ترك العرب مسمكرهم تحت أسوار سرقوسة وعادوا نحو أ
إلى قاعدتهم مازر من حيث قرروا العودة إلى اقريقية ، فأخذوا في اص
مراكبهم .

وتقول الرواية أنهم عندما ركبوا مراكبهم مغادرين مازر ، وجد
الأسطول البيزنطي يقف لهم بالمرصاد عند المرسى على بعد عدة أميال
المدينة ، ويسمعهم من المغادرة (١٢٩) . وهنا لم يعد أمام العرب من خ
البقاء في الجزيرة ، وأغلب الظن أنهم فصلوا الموت - إذا لم يكن منه
بحر السيف على برد الفرق في جله الماء . والظاهر أن الروم كان
دخلوا مازر بعد خروج العرب منها إذ تطلب الأمر استعدادها بقتال
استمر ثلاثة أيام (١٣٠) .

ورغم ما تقوله الرواية من أن العرب أحرقوا مراكبهم (١٣١) .

(١٢٧) ابن خلدي ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٢٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٣ ، تحرير .

ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ (ج ٤ ص ١٩٩ - حيث أ
بن الجوارى) ، ولقد ابن خلدي ، ج ١ ص ١٠٤ حيث القراءة : الجوارى .

بن أبي الجوارى .

(١٢٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، التحرير ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٧

المكتبة ، ص ٤٦٩ . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

(١٣٠) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

(١٣١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ (زيادة الله) ، التحرير ، المخطوط ، ج ٢٢

٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

الاستعجال في الحرب ، فأغلب الظن أنهم ما كانوا ليضجروا بسفنهم التي تعتبر وسيلة المواصلات الوحيدة بينهم وبين قواعد إمدادهم في أفريقية ، وأنهم إذا كانوا قد أحرقوا بعض سفنهم فإنما يكونون قد فعلوا ذلك ضمن إجراءات الوقاية التي اتخذوها لمقاومة الرواء . وانطلاقاً من قاعدتهم في مازر بدأ العرب يوطدون أقدامهم في الإقليم الشرقي بالاستيلاء على حصن مينارو (Mineo) ، على بعد ٢٤ ميلاً في اتجاه الجنوب الغربي من لنتيني الواقعة على الساحل شمال سرقوسة (١٣٢) ، بعد حصار استمر ثلاثة أيام ، وبمعاونة أصحاب فيمي حيث استقرت جماعة منهم (١٣٣) . وأتبعوا ذلك بالاستيلاء على حصن جرجنت عنوة وسكنوه . وبذلك هدأت نفوسهم ، وأطمأنوا إلى طيب المقام (١٣٤) .

فيمي يستمر في معاونة العرب ، فيقتاله الروم في قصر يانة :

والذي يفهم من قصة الفتح أن التعاون كان وثيقاً بين العرب وبين الطريق فيمي وأصحابه ، على عكس ما قيل من أنه حرض أهل سرقوسة على المقاومة . وهكذا قاد فيمي العرب بعد ذلك نحو وسط الجزيرة إلى قصر يانة . وتقوى الرواية أن القصريانيين غدروا بفيمي عندما فاضهم باسم العرب . فبعد أن خرجوا إليه وبذلوا له الطاعة ، ووعدوه بأن يكونوا معه ومع المسلمين على كلمة واحدة ويخلصوا طاعة الروم ، طلبوا منه مهلة يوم لترتيب أمور الصلح مع العرب . ثم نهم اغتالوه عندما حضر إليهم في اليوم التالي (١٣٥) .

هزيمة الأرومن البيزنطيين في حيز قصر يانة :

والظاهر أن هدف أهل قصر يانة من خداعهم فيمي والعرب، كان اكتساب

(١٣٢) الأديسي . المكتبة . ص ٥٧ .

(١٣٣) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، النوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . وقانون تاريخ جزيرة صقلية من حين دخلها المسلمون . الفيضيل سقط مينارو بين أيدي العرب في السنة الرابعة من نزولهم الجزيرة (المكتبة ، ص ١١٦) ومضى سنة ٢٢٢٦ من تاريخ العالم .

(١٣٤) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة ، ص ٢٢٣ ، النوري ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٧ (كركنت بدأ من جرجنت) ، ج ٤ ص ١٩٩ (حيث كركنت بدأ من كركنت) .

(١٣٥) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ . المكتبة ، ص ٢٢٣ ، النوري ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب . ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٧ .

- ٢٢٦ -

بعض الوقت حين وصول القوات البيزنطية التي كانت تتجه نحوهم للقضاء
العرب . وكانت القوات الرومية تتكون في معظمها من حنود من الأرض يقبذ
البطريق تودوت (Théodote) (١٣٦) . وتم اللقاء بين عرب إفريقية وأرض
القسطنطينية في أحوار قصرية ، وانتهى القتال بهزيمة عسكر تودوت وبنس
الكثيرين ، إذ لم يسلم منهم إلا من لجأ إلى المدينة الحصينة (١٣٧) ، بينما وقع
من قوادهم (بطارقتهم) سبعون أسيرا بين أيدي العرب (١٣٨) .

وفاة ابن أبي الجواري ، وولاية زهير بن رغوث ، وهزيمة مؤلة أمام الأرمن :

وعقب المعركة توفي القائد محمد بن أبي الجواري في أول سنة ٢١٤ هـ /
مارس ٨٢٩ م ، وتم اختيار القائد زهير بن رغوث خلفا له في القيادة (١٣٩) .

وواضح من الرواية أن موقعة قصرية الأولى لم تكن من المعارك الفاصلة ،
إذ لم يلبث تودوت أن ظهر في الميدان مرة أخرى ، بعد أن نظم فلول قواته
الارمنية ، ونجح في الثأر لهزيمته . وكانت بداية دوران الدائرة على العرب
عندما خرجت سرية لهم من معسكرها في المنطقة بحثا عن المغانم - من أجل
القوت على ما يظهر - فخرج عليهم الروم ، فسادوا منهزمين إلى قاعدتهم .
وعندما خرجت القوة العربية في جمعيها للقاء الروم ، حشد هؤلاء كل قواهم
وجحوا في هزيمة العرب في موقعة دامية خسر فيها زهير بن رغوث ألف
قتيل من رجاله ، واضطر إلى العودة مهزما نحو معسكره حيث اتخذ موقعا
دعائيا ، فخنق حول قاعدته (١٤٠) .

حصار العرب في ميتاو :

وهكذا دارت الحرب سجالا بين العرب المحصورين في معسكرهم وبين
الروم . وإزاء اشتداد الحصار فكر العرب في مفاجأة الروم صباحا على حين

(١٣٦) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٧ ب ، المكتبة ، ص ٤٣٠ .

(١٣٧) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٣ .

(١٣٨) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ أ ، المكتبة ، ص ٤٣٠ (حيث القراءة تسعون
بطريقا بدلا من سبعين) .

(١٣٩) التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ أ ، المكتبة ، ص ٤٣٠ (حيث قراءة الاسم
زهير بن رغوث) ، ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ، ص ٢٢٣ (حيث القراءة
ابن رغوث وفي الهامش - ابن رغوث) .

(١٤٠) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ .

عرة ، وهو ما يعرف في المصطلح العسكري العربي بـ «البيات» ، ولكن الروم عرفوا - عن طريق جواسيسهم - بما يبيت له العرب ، ففتحوا عن مصكرهم ، وكانت مفاجأة غير سارة للعرب عندما وجدوا الروم يقبلون عليهم من كل ناحية ، فانهزموا الى حصنهم في ميناو ، بعد ان فقدوا الكثيرين القتلى (١٤١) -

وبذلك انقطعت الكتلة الرئيسية من القوات العربية في ميناو عن بقية اخوانهم الجوردين في جرجنت ، وفي مازر ، واشتد عليهم الحصار وقتل عندهم الميرة والأقوات حتى أكلوا دوابهم ، بل واضطروا الى أكل الكلاب (١٤٢) .

حرب الاستتال : العرب يغربون قاعدتهم في جرجنت (كركنت : Girgenti) وينضمون الى اخوانهم في مازر :

وتندما وصلت أنباء ما يعانيه العرب في ميناو من شدة الحصر والضيق الى اخوانهم في جرجنت ، عبر هؤلاء عن ضيقهم لعجزهم عن مد يد المعونة اليهم بأن هموا مدينتهم ، وساروا الى مازر (١٤٣) ، مما يعنى أيضا أنهم خافوا السقاء وحدهم ، وهم قلة ، من المقام في جرجنت ، وفضلوا الانضمام الى اخوانهم في مازر حتى يكونوا أقدر على مقاومة الروم اذا ما فكروا في الهجوم عليهم .

وهكذا أصبح المسلمون متجمعين في نقطتين فقط من الجزيرة : ١ - في ميناو المحاصرة ، قرب الشاطئ الشرقي فيما بين سرقوسة ولنتيني ، ٢ - وفي مازر قرب الركن الجنوبي الغربي . وظل المحاصرون في ميناو صامدين حتى أشرفوا على الهلاك ، عندما دخلت سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م (١٤٤) ، حينما اتاهم الفرج من حيث لم يحتسبوا .

(١٤١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ص ٢٢٤ .
(١٤٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ (زيادة الله) ، المكتبة ص ٢٢٤ ، التورير ، المخطوط .
ج ٢٢ ص ٢٢٨ ، المكتبة ص ٤٣٠ ، ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٧ .
(١٤٣) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ المكتبة ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، المكتبة ص ٤٦٨ .
د ٤ ص ١٩٩ .

(١٤٤) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٢٤ ، والنص هنا يتخذ التاريخ ببدية سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م الذي صححته الى مدخل سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، على أساس أنه وفاة ابن الجوردي كانت في مطلع سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م - كما سبق .

البحريون الأندلسيون ، وغزو صقلية :

ففي بداية سنة ٢١٥ هـ / - ٨٢٣ م ، كانت صقلية هدفا لغارات تدرية من قتلك التي كان يقوم بها الغرارة الأندلسيون من سكان الشواطئ الشريفة للاندلس على سواحل انروم والفرنج ، ليس في الحوض الغربي لبحر المتوسط فقط ، بل وفي الحوض الشرقي أيضا . والذي يفهم من الروايات أن هؤلاء الغرارة البحريين من أهل الأندلس لم يكونوا من الحند النظامي ، بل كانوا من متطوعة المجاهدين ، الذين اتخذوا الغزو البحري صناعة لهم ، وأن حكومة قرطبة - الاموية لم تكن تمنع فيما يقومون به من أعمال في غير بلاد المسلمين .

وهذا لا يمنع أنهم كانوا يقومون بذلك دون علم أمراء قرطبة ، بل وربما رغم عدم رضائهم عن ذلك . والمهم أنه لا صحة لما تشير اليه بعض الروايات من الربط بين ذلك النشاط البحري وبين بعض الثورات التي عرفتها بعض مدن الأندلس قرب ذلك الوقت ، وخاصة ثورة الربض الشهيرة في قرطبة ، على أيام الحكم بن هشام . فليس من المقبول أن يقال عن رواد البحار هؤلاء : أنهم كانوا من العامة أو من أهل الاسواق .

فمنذ أواخر القرن الثاني البحري (أوائل اقرن ٩ م) كان الأندلسيون قد مدوا نشاطهم الى حرر شرق البحر المتوسط ، حتى أنهم كانوا يقصدون ساحل الاسكندرية فيما بين الغارة والأخرى على سواحل الروم ، من أجل الميرة واصلاح شسأنهم . ورغم أن ولاية مصر كانوا لا يسمحون لهم - كما تقول حوليات الكندي في قضاة مصر وولاتها - بالنزول الى شاطئ الاسكندرية ، بل كان على تجار الاسكندرية أن يخرجوا الى الأندلسيين في الزوارق بما يحتاجون اليه للاصلاح من شئونهم أو شئون مراكبهم ، من طعام وعتاد وسلاح (١٤٥) ، فان اضطراب أحوال مصر ، نتيجة لاضطراب أحوال بغداد أثر فتنه الأمين والمأمون ، سمحت لهؤلاء الأندلسيين بالاستيلاء على الاسكندرية طوال اثنتي عشرة سنة (٢٠١ هـ - ٢١٢ هـ / ٨١٦ - ٨٢٧ م) استقلوا خلالها بالمدينة عن ولاية القسطنطين . وعندما استقرت الأمور للمأمون

(١٤٥) انظر الكندي ، القضاء والولاية ، ٢ ط - لندن ، ص ١٥٨ وما بعدها . واد
للمؤلف ، الاسكندرية من الفتح الاسلامي الى بداية العصر المملوكي ، في كتاب الاسكندرية ،
القدم للمصور ، ط ١٩٦٣ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، والمؤلف أيضا الاثر الغربي والاندلسي
المجتمعي الإسكندري ، كتاب تاريخ المجتمع الإسكندري ، ط ١ - حاسة الاسكندرية ١٩٧٥ ،
٢٢٤ - ٢٢٧ .

أرسل قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى مصر حيث نجح في إخراج
الأندلسيين من الإسكندرية إلى البحر ، شريطة ألا ينزلوا في أية أرض تابعة
للخلافة .

العلاقة مع غزو كريت :

وهكذا غادر الأنديسيون الإسكندرية في مراكبهم التي كانت تبليغ
أربعين مركبا ، تحمل حوالي أربعة أو خمسة آلاف رجل ، عندما نزلوا إلى
المدينة قبل عشرين سنوات ، واتجهوا بقيادة زعيمهم أبي حفص عمر البلوطي نحو
جزيرة كريت التي استولوا عليها ، في نفس الوقت الذي كان أسد بن الفرات
ينزل برجاله في جزيرة صقلية . وهذا يدعو إلى التأمل فيما إذا كانت هناك
ثمة علاقة بين ترتيب غزو كل من صقلية وكريت على الروم ، بمعرفة خلافة
بغداد .

حقيقة أن الاتفاقية التي تمت بين عبد الله بن طاهر وأنديسيي
الإسكندرية لم تشترط على الغزاة إلا عدم النزول في أرض تابعة للخلافة ،
والا يصحبوا معهم أيما من المصريين أو العبيد أو المطلبين (١٤٦) ، ولكن هذا
لا يمنع من نزولهم في أرض الروم (١٤٧) . وأغلب الظن أنه لم يكن يخفى على
قائد المأمون أنهم سيطرقون ساحل جزيرة كريت القريبة . وإذا كانت رواية
فتح صقلية لا تشير إلى دور الخلافة في تلك العملية ، فهي تنص على أن الروم
كانوا قد خرقوا اتفاقية الهدنة بينهم وبين الأغالبة ، وليس من الغريب أن
الهدنة مع الروم ما كانت تتم بغير علم الخلافة في بغداد أو موافقتها الضمنية
على الأقل .

وإذا كانت النصوص تشير إلى أن زيادة الله قد كتب إلى الخليفة المأمون
بخبير فتح أسد بن الفرات لصقلية ، فهذه الإشارة تعني أن الخلافة كانت على
علم بما يدبره الأغالبة ضد الروم . هذا ، وإذا كانت تفصيلات العمليات
الحربية تحت لواء أسد بن الفرات لا تشير إلى مشاركة الأنديسيين فعلا في
غزو صقلية ، كما تذكر الرواية التي يسجلها ابن عذاري ، فإن مجرد
ذكر أن الأنديسيين كانوا يكونون جماعة لها كيائها الخاص في قوات أسد ،
وإن كانت غير صحيحة ، يمكن أن تفسر على أنها إشارة ضمنية إلى ترتيب

(١٤٦) نفس المصادر السابقة .

(١٤٧) انظر فيما سبق ، ص ٢١٨ .

عزو كريت على أيدي الإسكندرانيين (١٤٨) في نفس الوقت الذي كان عرب اريفيصة يقومون بغزو صقلية ، وذلك بمعرفة الحلافة أو تحت اشرافها حتى تتم مفاجأة الروم في جبهتين دفعة واحدة وان كانت معساة صقلية قد أذهلت الامبراطور من غير شك عن غزو كريت .

حملة الغزاة الأندلسيين :

وبذلك يكون الأندلسيون الذين شاركوا في غزو صقلية مع أسد ابن العرات اما من المستوطنين في اريفيصة أو من جماعات الغزاة من تحسب أندلسي الاسكندرانية . وقياسا على ذلك يكون الغزاة الأندلسيون ، الذين نزلوا الى صقلية في أوائل سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م ، أيضا من غير أهل كريت . وهذا يعني أن الكثيرين من أهل سواحل الأندلس الشرقية كانوا قد اتخذوا من الغزو في البحر صناعة لهم ، وأنهم كانوا يجوبون البحر المتوسط من أقصاء الى أدناه ، مما يعني أنهم كانوا قد غلبوا على سواحل البحر جميعا ، منذ ذلك الوقت المبكر ، قيل أن تم لهم تلك الغلبة على أيام عبد الرحمن الناصر الى جانب الفاطميين (١٤٩) .

والحقيقة أن أعمال الأندلسيين في البحر المتوسط حيث تذكروا بأعمال النورمانيين (أو الفيكيتج) في بحر الشمال وحتى سواحل الأندلس الغربية ، وكذلك سواحل المغرب - حيث عرفوا بالمجوس - بعد ذلك بقليل ، فكان غزاة البحر الأندلسيين هم نورمانيو العرب في ذلك الحين .
ويفهم من الروايات العربية أن الأندلسيين وصلوا الى صقلية على دفتين

(١٤٨) ويمكن ان يؤيد حقيقة استقلال عمل الأندلسيين عن أمير الأندلس ما قام به امبراطور بيزنطة تيوفيل بعد ذلك بحوالى عشر سنوات ، من الاتصال بالأمير عبد الرحمن الثانى حيث أرسل اليه سفارة في سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م تحمل رسالة يحثه فيها على المطالبة بعرض أسره ثم التماس وهاجم المباسين وأتباعهم الأغالية (أعداء الأيوبيين والبيزنطيين) ، ويمطالب باعادة كريت من أيدي الأندلسيين السكندريين . اذا كان رد الأمير الأندلسي الذى بحث به مع سفيره الشاهر يحيى الغزال فيما يتعلق بكريت : ان الأندلسيين بها هم نوار ليسوا من رعيته ، وأيجب يمكن لا امبراطور طردهم وعقابهم . اما عن الأغالية فقد قال : انه لا يستطيع الكار جهادهم ، لم سبيل يفتح دابة الاسلام . انظر بروفسال . تاريخ إسبانيا الاسلامية ، ج ١ ص ٢٥١ - ٢٥٢ . ويذكر ابن حبان أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم أشار الى رده على شكوى امبراطور القسطنطينية ، من نزول الأندلس الى كريت ، وما يطلبه من معاقبتهم : « بأنهم ليسوا من بلدنا ولا برتبتنا حتى نفيهم علينا ، وتكليف مؤذنتهم . وما أفنك عاجز من اخراجهم مما تطرقوه من بلادك » (انظر المكتبي ، مخطوط كلية الآداب المصور بجامعة الاسكندرية ، ص ١٨٧) .

(١٤٩) انظر مقدمة ابن خلدون ، فصل قيادة الأساطيل . ط - التجارية . ص ٢٥٣ .

في ثلاثمائة مركب ، وأن الدفعة الأولى كانت بقيادة أصبغ بن وكيل الهواري المشهور بـ « فرغلوش » ، بينما كانت الدفعة الثانية بقيادة سليمان بن هانية الطمطوش . وهذا لا يمنع من مجيء مدد من إفريقية بعد ذلك بقليل ، كما تقول بعض الروايات (١٥٠) .

التزول قرب مازو :

أعمال الأندلسيين تحت قيادة فرغلوش : فك الحصار عن ميناو ، وهزمها :

ولا توضح الروايات أين نزل الأندلسيون في صقلية ، ولكن يمكن القول أن الدفعة الثانية نزلت في الركن الغربي من الجزيرة بالقرب من مازر ، وأن هذا هو السبب أيضا فيما قيل من أن الدفعة الثانية كانت مددا من إفريقية : وهذا ما يفهم أيضا من مسيرة الأندلسيين عندما تقدموا لنجدة المحاصرين في ميناو .

والهمهم أن فرغلوش أنزل برجاله ومن تحت امرته من القواد ، وأخذوا يثبون سراياهم التي استولت على عدد من القلاع الرومية وعادت منها بالمغانم والسبي ، كما تنص على ذلك رواية ابن عذارى التي تمدنا ببعض المعلومات التفصيلية (١٥١) . والظاهر أن عرب مازر هم الذين اتصلوا أولا بالفزة من الأندلسيين ، وطلبوا منهم اغاثة اخوانهم الذين كانوا يكابدون متاعب الحصر وقلة القوات في ميناو ، كما عرضوا عليهم ما كان يلزمهم من الخيل والدواب (١٥٢) .

ولم ييخل الفزة الشجعان بتقديم ما طلب اليهم من المعونة ، ولكن

(١٥٠) الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ، وقارن ابن الأثير ، المكتبة الصقلية . ص ٢٢١ ، ورواية ابن الأثير التي تتفق مع رواية البكري القطعة الأوسال بشأن مدد إفريقية وصل إلى الجزيرة (جغرافية الأندلس وأوروبا ، ص ٢٢١ حيث تقرأ « صروس » بدلا من فرغلوش) ، وكذلك مع رواية ابن خلدون (المكتبة ، ص ٤٦٨ ، ج ٤ ص ١٦٦) ، التي تجعل الدفعة الثانية مكابدة للمجاهدين في صقلية آتى من إفريقية أى من قبل زيادة الله . وهو الأمر الذى لا تشير إليه الروايات الأخرى . ولا بأس من أن يكون ابن الأثير أو من نقل عنه ، لهم من لقب الهواري - ولو أنه لا يذكر أسماء القادة - نسبة إلى قبيلة حوارة لقبيلة فيما بين طرابلس والفزاة أن أصبح سكان يقدو جيشا إفريقيا . أما رواية ابن عذارى فهي لا تذكر إلا الكلمة الأولى من لأندلسيين بقيادة فرغلوش (ج ١ ص ١٠٤) .

(١٥١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٠٤ ، الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .

شريطه أن يـ . القيادة الى رئيسهم فرغلوش ، وهو الأمر الذي لم يكن أمام قائد الجند الأعلى رهبر بن رعوت ، الا قبوله . وهكذا اجتاحت فرغلوش برجاله الجريرة من معربها الى مشرقها ، وهو يستولى على القلاع ويوجه غاراته في كل اتجاه ، حتى أشرف على ميناء (١٥٣) . ولم يكن أمام البطريق تودط ورجاله من الأرمن الا الانسحاب نحو قصر يانة (١٥٤) . وهكذا تم خلاص المحاصرين في ميناء ، في جمادى الآخرة من سنة ٢١٥ هـ / يولية ٨٣٠ م (١٥٥) ، وعبروا عن ضيقهم بالحصر وكراهيتهم للمكان الذي تعرضوا فيه للأهوال ، بأن هدموا المدينة وأحرقوها (١٥٦) . ولا بأس في أن يكون احراقها بسبب ما كان قد ألم بهم من الوباء أثناء مقامهم فيها .

أخذ بلرم ، و وفاة القائد فرغلوش في الوباء :

وسار رجال ميناء مع الأندلسيين نحو بلدة « غلوالية » (Calloniana) القريبة وتغلبوا عليها (١٥٧) . وتابع الأندلسيون والمغاربة مسيرتهم نحو مدينة بلرم وضربوا عليها الحصار ، وضيقوا على من بها الحناق لمدة عام ، الى أن طلب قائدها الأمان لنفسه وأهله وماله . وأجابه العرب الى مطلبه ، فغادر المدينة سحرا الى « بلد الروم » ، ودخل العرب بلرم في رجب من سنة ٢١٦ هـ / أغسطس ٨٣١ م (١٥٨) .

وتقول رواية ابن الأثير أن المسلمين لم يجدوا في بلرم « الا أقل من ثلاثة آلاف انسان ، وكان فيه لما حصروه سبعون ألفا وماتوا كلهم » (١٥٩) ،

(١٥٣) ابن عذاري . ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٤) الريزي المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٨ . المكتبة ص ٤٣٠ ، وانظر تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون منذ بدء العالم المكتبة ص ١١٦ (حيث يجعل مقتل تودط بعد أخذ ميناء) .

(١٥٥) الريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ . المكتبة ، ص ٤٣٠ .

(١٥٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٧) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٥٨) ابن الأثير . سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون ... ، المكتبة ، ص ١٦٦ (الذي يجعل سقوط بلرم في السنة التالية لأخذ ميناء ومقتل تودط ، وقاد ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٦٩ ، المكتبة ، ص ٤٦٨ (الذي يقول ان فتح بلرم كان في سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م) ، وقاد التريزي ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ (حيث تقول الرواية أن حصار بلرم استمر الى سنة ٢٢٨ هـ / ٨٣٥ م حينما استسلمت المدينة للأمان في ولاية ، محمد بن عبد الله بن الأغلب) .

(١٥٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ .

مما يعني أن الرباء الذي كان قد ظهر في صقلية سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م لم يكن قد 'قطع بعد ، وأنه كان ما زال يفتك بأهل الجزيرة . والظاهر أن المسلمين لم يسلموا بدورهم من فتك الرباء ، وذلك ما تشير إليه رواية أبي عذاري التي تقول أن جماعة من المسلمين اعتلوا وأخذهم الرباء ، وكان منهم فرغلوش وغيره من القواد (١٦٠) .

الخلاف مع الأندلسيين ، وعودتهم إلى بلادهم :

والظاهر أن غزاة البحر الأندلسيين استفاقوا على ما أنزله بهم الرباء من الحسائر ، ليجدوا أنفسهم قد انغمسوا في أمر ليس من شئونهم ، بصفتهم باحثين عن المعام والأسلاب ، وليسوا جندا نظاميا فاتحا ، يحتل البلاد ويستوطنها . وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يدب الخلاف بينهم وبين اخوانهم الأفريقيين . ورغم ما يقوله ابن الأثير من أن الوفاق تم بين الجانبين بعد الخلاف والنزاع (١٦١) ، فتحن نميل إلى الأخذ برواية ابن عذاري التي تقول أن الأندلسيين قرروا العودة إلى بلادهم ، بعد وفاة قوادهم في الرباء وعلى رأسهم فرغلوش . وأنهم لقوا متاعب كثيرة أثناء رحلة العودة إلى قواعدهم ، إذ « ركب العدو أقرهم . فقتل منهم خلق كثير » ، وذلك قبل أن يأخذوا في إصلاح مراكبهم ، قافلين إلى الأندلس (١٦٢) . وبذلك تنتهي قصة مشاركة الأندلسيين في فتح صقلية ، بعد الاستيلاء على بلرم التي اتخذها العرب عاصمة لهم بعد أن انسعت رقعة أراضيهم واستولوا على كل الإقليم الغربي من الجزيرة .

ولاية أبي نصر محمد بن عبد الله التميمي لصقلية سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م :

ومع أننا لا ندري ماذا حدث لقائد جند صقلية الثالث ، وهو : زهير ابن نرغوث ، فأغلب الظن أنه راح ضحية الرباء مع فرغلوش ، وأنه خلفه في قيادة المسكر قائد آخر ، هو عثمان بن قره ب ، الذي لم يحظ بموافقة زيادة الله . فهذا ما يفهم من رواية ابن عذاري التي تشير إلى أن الأمير وبلدة الله اتخذ قرارا في أواخر سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م ، بتولية قريبة أبي نصر محمد

(١٦٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٦١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ .

(١٦٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

- ٢٣٤ -

أمر عبد الله التميمي على صقلية ، فوصلها في سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م ، وإن عثمان بن قهرم صرب عنها (١٦٣) . ولا شك أن العهد بولاية صقلية إلى أحد خراطة الأمير الأغلي يعني رعاية خاصة من حانه لأحوال الجزيرة . وإن كان باستقلال شخصية الوالي يعنى بحكم الضرورة نوعا من استقلال ولايته .

ها بين صقلية وتونس :

والظاهر أن اضطراب منطقة تونس في السنة التالية ، وهي سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م ، تطلب عودة أبي مهران محمد بن عبد الله من صقلية ، والبقاء في إفريقية إلى سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، بعد أن قضى على ثورة مدينة تونس . وخلال وجود محمد بن عبد الله في إفريقية قامت القوة الأغلبية في صقلية بالفازة على منطقة قصر يانة مرتين . في الربيع والصيف من سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م ، وهزموا الطامية الرومية في المربين ، عندما خرجت للعائهم (١٦٤) ، وعادوا إلى بلرم بالمغانم والأسلاب (١٦٥) .

وأثناء رحلة العودة إلى ولايته في صقلية تعرض محمد بن عبد الله للتميم في رمضان من سنة ٢٢٠ هـ / سبتمبر ٨٣٥ م ، لتعاقب شديدة من جانب البحر الذي ثار بمراكبه التي كانت تحمل الإمدادات والرحال ، فأعطل بعضها وحطم له بعضاً آخر ، كما أن الروم اعترضوه في البحر وأصابوا له حراقة من مراكبه . زعم بلاه فاند الأسطولون محمد بن التميمي الذي خرج في عدد من الحراقات ، وأحسد يطاردهم حتى حال الليل بين المريقين (١٦٦) .

غارات على قصر يانة (Castro Giovanni) :

ولم يبق محمد بن عبد الله التميمي طويلا في بلرم ، إذ خرج برجاله في

(١٦٣) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ ، وأبظر النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ .
 المكتبة ، ص ٤٢١ - حيث يسمى أبا مهران محمد بن عبد الله بن الأغلب ، وابن عذاري (ج ١ ص ١٠٥) الذي يسمى أيضا « ابن الأغلب » وأبظر الحلة السراء » ج ١ ص ١٨١ : حيث يفسر على أن محمد بن عبد الله بن الأغلب هذا يعرف هو وأخوه الأغلب بن عبد الله ، وابنه عبد الله بن محمد الذي ولي صقلية فيما بعد سنة ٢٥٩ هـ كما كانت له ولاية طرابلس والقيروان ، بنى عبد الله : نسخة إلى حاكم عبد الله أبي إبراهيم بن الأغلب الأمير الأول .
 (١٦٤) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ . المكتبة ، ص ٢٢٥ .
 (١٦٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٥ .
 (١٦٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ .

نفس السنة (٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) نحو قصر يانة في وسط الجزيرة ، ونجح في
هزيمة الروم الذين خرجوا إليه ، وعاد إلى بلرم محملاً بما غنمه في معسكر
الروم ، وبصحبه امرأة القائد (البطريق) وابنه أسيرين (١٦٦) .

غارات على طبرمين (Tabrmina) ، وغدر الجند بقائدهم محمد بن سالم :

وإذا كان ابن عذاري يقول بشكل عام انه كان في تلك السنة غزوات
كثيرة للمسلمين في صقلية (١٦٨) ، فان ابن الاثير يذكر أن محمد بن عبد الله
سير جيشاً إلى ناحية طبرمين على شمال الشاطئ الشرقي للجزيرة ، جنوب
ميسيا ، بقيادة محمد بن سالم . ومع أن الحملة حققت أغراضها بعد أن عادت
بالمغانم الكثيرة ، إلا أنها انتهت نهاية تعسة ، عندما عدا بعض جنود محمد
ابن سالم عليه فقتلوه ، ولجأوا إلى الروم (١٦٩) ، مما يرجح أن الجريمة قد تمت
بتحريضهم .

وبذلك تكون تلك الحادثة فاتحة سلسلة من جرائم الغدر التي يقوم
بها العسكر ضد قوادهم ، كما سنرى ، وهو الأمر الذي لم تعرفه الجيوش
العربية ، في عصر صقلية ، من قبل .

غارات على سرقوسة بقيادة الفضل بن يعقوب :

ولا شك أنه كان لذلك الحادث التمس صدى أليم في قلب الأمير زيادة
لله ، الذي بعث ، خلفاً لمحمد بن سالم ، أحد قواده المشاهير ، وهو : الفضل
ابن يعقوب ، الذي قاد سرية كبيرة عانت في نواحي سرقوسة ، وعادت بالمغانم
والأسلاب (١٧٠) .

من المواجهات الحربية التي أظهرها كل من العرب والروم :

ورضيف ابن الأثير إلى ذلك موقعة هامة بين سرية إسلامية كبيرة وبين
القوة الرئيسية للروم في الجزيرة التي كان يقودها البطريق حاكم صقلية ،
والتي أظهر فيها كل من الجانبين ما كان يتميز به من مواهب قتالية خاصة .
ففي أثناء عودة السرية الإسلامية ، وهي محملة بالمغانم ، قطع عليها البطريق

(١٦٦) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ .

(١٦٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٠٤ .

(١٦٩) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ .

(١٧٠) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٩) .

- ٢٦٦ -

الطريق ، فاضطرت الى التحصن من الروم في أرض دعرة كثيرة الشجر حتى عجز الروم عن ملاحقتهم ، فوقف البطريق الى وقت العصر يتحداهم أن يخرجوا اليه . ولما طال انتظاره ذوب تقدم العرب للقائه ترك المكان ، وتفرق عنه كثير من أصحابه . وكانت قرصة انتهزها العرب للحملة عليه حتى هزموا من كان بقي معه من الرجال ، وتجهوا في الوصول اليه ، واصابته عدة جراحات حتى سقط عن فرسه . ومع ذلك لم يتمكن العرب من قتله ، اذ أسرع اليه عدد من أبطال فرسانه ، واستنقذوه جريحا وحملوه معهم .

وخرج العرب من الواقعة - التي وصفت بانها وقعة عظيمة - بما كان في يدي الروم من السلاح والمتاع والدواب (١٧١) .

ومع أن ابن الأثير - الذي تظهر روايته ملخصه عند ابن حلدون - يضع كل تلك الأحداث في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، فالظاهر أن بعض تلك الأحداث، وبصمها معركة البطريق الأخيرة ، وقعت في سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م . وذلك أن الأحداث التالية ، التي تمت في ولاية أبي الأغلب ابراهيم بن عبد الله الذي حل محل أخيه أبي فهد محمد ، يصعبها ابن عداري في أحداث سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (١٧٢) ، مما يعني أن عهد ريادة الله بولايته لصقلية التي وصل اليها في رمضان ، كما يصح على ذلك ابن الأثير دون تحديد السنة ، كان في نفس سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ ، على ما نرى (١٧٣)

ولاية أبي الأغلب ابراهيم بن عبد الله

أعمال جريية في الطريق الى الجزيرة :

وصل أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله الى صقلية أميرا في منتصف رمضان (سنة ٢٢٢ هـ / ٢١ أغسطس ٨٢٧ م) ، وقد زوده زيادة الله بأسطول حربي كبير التقى به في الطريق بأسطول رومي فهزمه وغنم كثيرا من مراكبه . وأمر أبو الأغلب بضرب رقاب كل من وجد فيها من الروم . ويقول ابن الأثير أن أبا الأغلب سير أسطولا آخر الى قوصرة ، فاستولى على حراقة

(٢٧١) ابن الأثير ، ص ٢٠٠ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، وأخر ابن حلدون (الذي

يلخص نفس الرواية التي نلن أنها مأخوذة من الرقيق) ، المكتبة ، ص ٤٦٨ .

(١٧٢) ابن عداري ، ج ١ ص ١٠٦ .

(١٧٣) ابن الأثير ، ص ٢٠٠ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ .

- ٣٣٧ -

للمروم ، وجد فيها رجل منتصر من أهل إفريقية ، فأمر بضرب رقبتة أيضا
ومن معه (١٧٤) .

وسيع النشاط الحربي الى مسينا :

ووسع أبو الأغلب دائرة نشاطه نحو الشمال الغربي للتجزيرة ، فبعث
سراياه الى جبل التار في منطقة اتنا وما فيها من الحصون ، وذلك بقيادة
الفضل بن يعقوب ، فكاد للعدو وأحرق الزروع ، وعاد سائلا بالمقائم والأتلاب .
ولقد بلغت المقائم في بعض تلك الغزوات من الكثرة الى حد يسع الرقيق
يايخس الاثمان (١٧٥) . ويقول ابن الأثير أن أبا الأغلب سيرايا أسطولا الى
الجزائر - وربما كان المقصود بها جزائر الايوليان (Eolian) - في منطقة
قلورية القريبة من مسينا - فغنموا غنائم عظيمة ، وفتحوا مدنا ومعاقل ،
وعادوا سالمين (١٧٦) .

الى قطنانية :

اما السرية التي وجهها الى قطنانية فلم يخالفها التوفيق ، اذ لقيها العدو وهي
محملة بالمقائم - ونجح في الظهور عليها (١٧٧) .

الى قصر يانة : هزيمة السرية ، واسر قائدها عبد السلام بن عبد الوهاب :

وكذلك لم توفق السرية التي وجهها الى قصر يانة ، والتي نرى أن قيادتها
كانت الى القائد عبد السلام بن عبد الوهاب ، كما في رواية ابن عمادى .
فقد خرج اليها الروم ، وانتهى القتال بانهزام المسلمين واصابة جمعاة

(١٧٤) ابن الأثير سنة ٢٠٢ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٩٩ ،
المكتبة ، ص ٤٦٨ - الذي يطع تلك الأحداث في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، وكذلك الأحداث
التالية التي يقصها ابن عمادى في سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م - وهو ما اخذناه به .
(١٧٥) ابن عمادى ، ج ١ ص ١٠٦ (أحداث سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م) حيث يجعل الخوذة
الفضل بن يعقوب « مدلول » وغيره من المقاتل . ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ المكتبة ، ص ٢٢٦ (حيث
أحداث سنة ٢٢٠ و ٢٢١ هـ) . ابن خلدون (ملخص عن ابن الأثير ، سنة ٢٥٩ هـ ، المكتبة ،
ص ٤٦٨ .

(١٧٦) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة - ص ٢٢٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ،
المكتبة ، ص ٤٦٨ .

(١٧٧) ابن الأثير سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة - ص ٢٢٦ ، حيث اسم المدينة في النص
عسقلانية ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٢٢٦ (حيث اسم المدينة قطنانية) - ج ٤ ص ٢٠٠ ،
حيث الاسم : قطنانية .

- ٢٣٨ -

منهم (١٧٨) ، كما وقع قائد الحملة عبدالسلام في أسر الروم ، وبقي بين أيديهم إلى أن تم فداؤه بعد ذلك (١٧٩) .

اخضاع قصريانة :

ولا بأس من أن يكون القائد عبد السلام بين عيد الوهاب قد تم فك أساره في نفس سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، في فصل الشتاء ، عندما دخل المسلمون مدينة قصريانة قاعدة البريرة الوسطى ، فجاء بعد أن عثر بعض المسلمين من رجال السرايا التي كانت تحوم حولها على ثغره في أسوار ريف المدينة ، فاستدعى العسكر الذي دخلها على حين غرة من أهلها ، واستول على الرض ، ثم حاصر الحامية الرومية في الحصن . ولكن الأمر انتهى بالصلح على أن يدفع أهل قصريانة الجزية ، وعاد العرب إلى بنرم محملين بالمخاسم والأسلاب (١٨٠) .

الحرب البحرية و وفاة زيادة الله :

وفيما بين معركتي قصريانة حقق العرب نجاحا على الروم في بعض المعارك البحرية التي انتهت بأن غموا إحدى عشرة قطعة من سفن الروم ، منها : ٩ (تسع) مراكب كسار برحائها ، واثنيتين من نوع الشلندي (المخصص لحمل العرسان والعتاد الثقيل) (١٨١) .

وفي نفس السنة ، وهي سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، كان العرب يحاصرون مدينة جلفوذي (Cefalu) - على الشاطئ الشمالي ، على بعد ٥٠ ميلا شرقي بلرم (١٨٢) - منذ مدة ، ويضيقون عليها المحتاق ، عندما وصلت قوات رومية كبيرة في البحر إلى المنطقة ، فاضطر العرب إلى فك الحصار ، والتفوا بالروم . وببعض كانت المعارك تدور بين الجانبين ، في منتصف سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م ، آتت من إفريقية أنباء وفاة الأمير زيادة الله ، فكان ذلك سببا في وهن العرب لبعض الوقت ، ولكنهم ما لبثوا أن تماسكوا ، وضبطوا أنفسهم ،

(١٧٨) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٦ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٨ ، ابن عسكاري ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(١٧٩) ابن عسكاري ، ج ١ ، ص ١٠٦ .

(١٨٠) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ .

(١٨١) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٦٩ ، ج ٤ ، ص ٢٠٣ .

(١٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٠١ هـ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ .



شكل رقم (٣)
صقلية وجنوب إيطاليا كما رسمها الإدريسي

ونشطوا كسابق العهد بهم ، كما تقول الرواية (١٨٣) .
خلاصة ما تم حتى صقلية على عهد زيادة الله الأول :

وهكذا يكون المجاهدون في صقلية قد أمصوا عشر سنوات من عهد
زيادة الله في الجزيرة ، وطردوا أقدامهم خلالها في الجزء العربي منها ، ما بين
جرجنت على الساحل الجنوبي وبلرم على الساحل الشمالي . وكانوا قد مدوا
نفوذهم في وسط الجزيرة الى قصرية ، بينما سرحت سراياهم في كل مكان
من الجزيرة ، ما بين سرقوسة في الجزء الجنوبي من الساحل الشرقي الى ميناو ،
قرب لنتيني ، ثم الى جبل النار حتى منطقة مسينا في أقصى ذلك الساحل
نحو الشمال .

الفتوح في عهد أبي عقاب الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب :

حملة من افريقية ، وتوسع في داخل الجزيرة ، وفي جنوب إيطاليا :

وفي عهد أبي عقاب الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب ، الذي لم يطل الا
الى أقل من ثلاث سنوات ، استمر نشاط العرب في استكمال الفتح في
الجزيرة ، بل وبدأوا في التوسع في جنوب إيطاليا . فتقول رواية ابن الأثير
أن الأمير الأغلب سبر سرية في سنة ٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م الى صقلية فغنمت
وسلمت (١٨٤) . وهذا يعني أن تلك السرية سارت في البحر من افريقية ،
وهو الأمر الذي يسترعى الانتباه ، اذ يعني أن قوات الأمير الرئيسية في
افريقية كانت تشارك في الأعمال الحربية في صقلية بأوامر مباشرة مع الأمير -
وهذا ما سيظهر بشكل أكثر وضوحاً على أيام الفاطميين -

وفي سنة ٢٥٥ هـ / ٨٤٠ م استأنف للعرب ، أي دخل في عهدهم ، عدد
من حصون الجزيرة ، منها : جرجة (Geraci) ، وقلعة البلوط (Caltabellotta) ،
فيما بين جرجنت ومازر ، وابلانغو (Platani) ، وقلعة قارلون
(Corleone) ، ومريناو (Marineo) (١٨٥) .

(١٨٣) ابن الأثير ، حنة ٢٠٦ ص ، المكتبة - ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، ح ٤ ص ٢٥٠ .
المكتبة ، ص ٤٦٩ ، ومن وفاة زيادة الله أنظر فيما سبق ، ص ٧٥ .
(١٨٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٣ هـ - ج ٦ ص ٤٩٦ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ .
(١٨٥) قارن الانديسي ، المكتبة ، ص ٤٤ ، حيث القردة حرسة دلا من حرسه ، وقارن
دلا من قارلون ، ومريناو دلا من مريناو ، كما من القردة الجيدة في نهاية العرب للويزي -

- ٢٤١ -

الفتح في كلابريا (قلورية) بجنوب إيطاليا :

وفي نفس السنة (٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م) ، وسع العرب في صقلية نشاطهم الى قلورية (كلابريا) في جنوب إيطاليا ، حيث سار الاسطول وفتحها ، كما تقول الرواية ، وهزم الاسطول البيزنطي الذي تعرض له هناك ، فانسحب عائدا الى القسطنطينية ، وكان فتحها عظيما (١٨٦) .

العرب يوطدون أقدامهم في وسط الجزيرة :

وفي السنة التالية (٢٢٦ هـ / ٨٤١ م) ، وهي السنة التي توفي فيها أبو عقاب الأغب ، ظهرت سيطرة المسلمين على منطقة وسط الجزيرة ، عندما سبوا سراياهم الى منطقة قصر يانة ، ففعلت بها الأفاعيل ، من : افساد الرزق ، واحراق الدور ، وأخذ المغانم والسبي . ولم يعترضهم معترض ، فساروا الى حصن الغيران الذي كان يشتمل على أربعين عارا فغنموا جميعا (١٨٧) .

وبذلك يكون العرب قد ووطدوا أقدامهم في وسط الجزيرة على عهد أبي عقاب القصير ، كما مدوا نشاطهم العسكري الى كلابريا في جنوب إيطاليا ، وهو الامر الذي سيجذب انتباههم منذ ذلك الوقت ، مما يعني أن صقلية لم تعد - بالدرجة الاولى - أرض الرباط والجهاد ، بعد أن استولى العرب على كثير من أجزائها ، وأخضعوا معظم ما كان قد تبقى بين أيدي الروم من مدنها لمهندم .

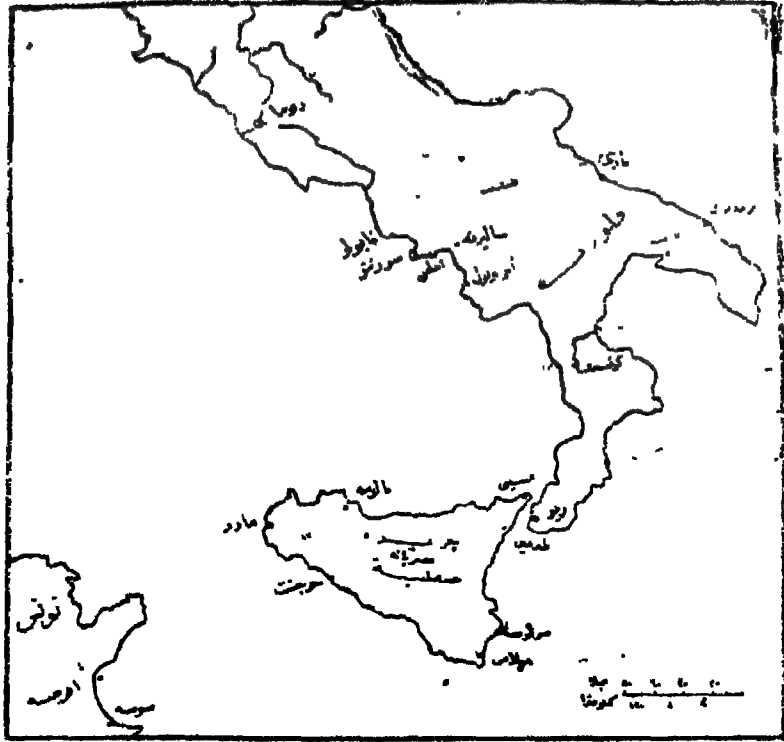
محاولة فتح باري :

ففي سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م غزا حياة مولى أبي عقاب الأغب منطقة باري . شمال برتديزي ، التي لم يكن أهلها من الروم ، ولكنه لم يقدر

(١) المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب ، المكتبة ص ٤٣١ ، وقارن ابن الأثير في سنة ٢٢٣ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٤ المكتبة ص ٢٢٨ ، رحيب القراءات حسن البلوط بدلا من حرمسوقلة البلوط ، وقرولون بدلا من قلعة قاروب ، ورو أو مرناو بدلا من مريا ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ (حيث يكتب يذكر كلسية عدة حصون) ، وانظر هزير أسد تاريخ صقلية الإسلامية ، ص ١٢ .

(٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٤٦٩ .

(٣) (١٨٧) ابن الأثير ، سنة ٢٢٢ هـ ، ج ٦ ص ٤٩٤ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٢٢ هـ .



شكل رقم (٤)
صقلية وجنوب إيطاليا

عليها (١٨٨) : والنص هنا على أن أهل باري لم يكونوا من الروم يعني أنهم كانوا من الإيطاليين المستقلين عن البيزنطيين .

فتح نابولي وميسينا :

وفي سنة ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م - على عهد أبي العباس محمد بن الأغلب ، سار الفضل بن جعفر الهمداني في الأسطول ، ونزل في مرسى ميسينا وأحاط به . ورتب امتناع ميسيني عليه فانه أخذ بيت سرايا في كلابريا وإيطاليا حيث وصلت إلى مدينة نابل (نابولي) التي طلبت الأمان ، نظير دفع الجزية .

- ٢٤٣ -

والذين معهم من الرواية أنه كان من شروط صلح نابولي أن يسيرة بعض أهلها مع العرب لمعاونتهم على اخذ مسيني فكان مملكة نابولي أصبحت جليلاً للأغالبة في إيطاليا (١٢٩) ، وذلك حرياً عن سياسة الخلف التي مارسها العرب في موحهم والتي قضت بالتحالف مع أهل البلد المتوح من أجل المعاونة على فتح ما وراءه من البلاد . وفعلاً بينما كان أهل مسيني مشغولين بقتال جنفر استدار العرب وحلفائهم من أهل نابولي خلف الجبل (جبل النار) المطل على المدينة ، وصعدوا اليه ثم انهم نزلوا منه اليها ، فانهمز أهل مسيني وفتح العرب البلدة (١٩٠) ، كما فتحوا أيضاً مسكان (١٩١) . وفتح مسيني سيظهر العرب على المضيق وأصبح أسطولهم في موقف استراتيجي ممتاز بالبسيطة للأسطول البيزنطي وسط البحر المتوسط .

استئساد العرب ، وانهايا مقاومة الروم :

الإخاح على مدينة لنتيني (Lentini) :

وأمام هذه الفتوح العظيمة قويت نفوس العرب واستأسدوا ، بينما ذل الروم في صقلية ، حتى أنه عندما سار أبو الأغلب العباس بن الفضل في سرية ، في سنة ٢٢٩ هـ / ٤٣ - ٨٤٤ م التالية ، الى مدينة بثرية (Butera) اسبى القتال الكبير باهزام الروم هزيمة فاحشة ، اذ تركوا في أرض المعركة أكثر من عشرة آلاف رجل ، بينما لم يستشهد من المسلمين سوى ثلاثة نفر - ولا بأس في مبالغة الرواية العربية التي تقول انه لم يكن بصقلية قبلها

(١٨٩) أسار أحمد المدني ، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ، ص ٧١ - حيث الإشارة الى الأوضاع المضطربة في جنوب إيطاليا حيث كان النزاع قائماً بين مملكة نابولي وحارتها مملكة بنيفنتو (Benevento) اللومباردية . وان تحالف أهل نابولي مع العرب كان يهدف مقاومة الخطر الذي تهددهم من جانب أهل بنيفنتو . وهكذا طمأن هذا الوقت استقرار العرب المغاربة في قلب إيطاليا وكونوا مملكة مستقلة هي الأخرى عن صقلية الأغلبيية ، وهذا ما تشير اليه النصوص بشكل مجمل فيما بعد . أنظر فيما بعد ، عن فتح طبري وتسمية تلك المملكة العربية الإيطالية الى خلافة بغداد ص ٢٦٤ - ٢٦٥ .

(١٩٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ ، ج ٧ ص ٢ من المكتبة ، ص ٢٢٩ (حيث النص : ولما قل أفضل جزيرة مستنيرة - بدلا من مدينة لنتيني - فهي القراة الصحيحة الموجودة في النسخ) ، وقانون نابلي خلدون من المكتبة ، ج ٤ ص ٤٧٠ (حيث يكتب بذكر فتح بنسبي: فون. ذكر صلح أهل نابولي)

(١٩١) نفس المصدر

حثلها ، بعض الشيء (١١٢) .

واستمر الهدوء في صقلية في سنتي ٢٣٠ و ٢٣١ هـ (٨٤٤ - ٨٤٦ م) ، ولا بأس أن يكون ذلك الهدوء بسبب غموض الأحوال في القيروان ، لا انقلاب الذي دبره أحمد بن الأغلب ضد أخيه الأمير محمد ، إذ لا يستعيد العرب نشاطهم في صقلية إلا في سنة ٢٣٢ هـ / ٤٦ - ٨٤٧ م ، بعد أن يستعيد محمد سلطانه من أخيه أحمد . أما عن السلم الذي كانت الامبراطورة تيودورا قد عقدته وقتئذ مع العباسيين في المشرق (١٩٣) ، فأغلب الظن أنه لم يكن يقيد نشاط الأغلبية أو اليزنطيين ضد بعضهم البعض .

أخذ لتيني :-

ففي تلك السنة (٢٣٢ هـ / ٤٦ - ٨٤٧ م) سار الفضل بن جعفر على رأس قواته الى مدينة لتيني على الساحل الشرقي لصقلية ، شمال سرقوسة ، وضرب عليها الحصار وراسل أهل لتيني بطريق صقلية الرومي ، المقيم في سرقوسة ، وطلبوا منه النجدة ، فاتفق معهم على أن يحضر اليهم برجالهم على حين غرة من العرب الذين يقعون ، عندئذ ، بين شقي الرحا . وتم الاتفاق على أن تكون علامة وصولهم اليهم ، هي : إيقاد نار في بعض جبال المنطقة لمدة ثلاثة أيام ، ويكون وصولهم اليهم في اليوم الرابع . وعرف الفضل ، عن طريق جواسيسه تلك الإشارة ، ورد على أهل لتيني كيدهم في نحرهم ، فأوقد هو النار في الجبل الموعود ، وأعد الكائن لاستقبال حامية لتيني في اليوم الرابع من إيقاد النار .

وعندما خرج أهل لتيني لاستقبال النجدة ، انهزم العرب الذين كانوا يحاصرونهم نحو الكمين ، فلما جازوه وقعوا هم بين شقي الرحا ، ووضع السيف فيهم ، فلم ينج منهم الا القليل . وبذلك انتهت المعركة بأن سلم أهل لتيني مدينتهم الى العرب في ظنير الأمان ، في : نفوسهم وأموالهم (١٩٤) .

(١٩٢) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٢ . المكتبة ، ص ٤٢٩ - حيث الترامة شرة
وسرة . والتصحیح : بشرة ، لأعلى .

(١٩٣) أبو عزيز أحمد ، تاريخ صقلية للإسلامية ، ص ١٣ .

(١٩٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٢ . المكتبة ، ص ٤٢٩ - ٤٣١ . ابن خلدون ،
المكتبة ، ج ١ ص ١٧٠ : ج ٢ ص ١٠٢ . حيث لتيني يبدون تقي . - تاريخ المسلمين في صقلية
حسب تاريخ العالمين للروم . المكتبة ، ص ١٦٦ (حيث ينص على أخذ لتينية في سنة ٦٣٥٥ ،
وهو الأمر الصحيح إذا عرفنا أنها فتحت بعد عشرين سنة من نزول العرب في الجزيرة) . وذلك
في سنة ٦٣٥٥ حسب نفس لتاريخ (ص ١٦٥) .

الاستيلاء على طارنت في لبارديا :

وفي نفس السنة (٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م) ، اجتاح العرب جنوب إيطاليا واستولوا على مدينة طارنت من إقليم لبارديا (انكردة) ، وسكنوها (١٩٥) ، كما وصلوا إلى غاراتهم حتى مدينة زوما نفسها (١٩٦) . وفي سنة ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ - ٨٤٨ م التالية ، أتت عشر شلنديات للسرور وأرست في مرسى الطين ، على بعد ١٠ (عشرة) أميال غرب يلرم (١٩٧) . وعندما خرجت للفاخرة على العرب ضلت الطريق ، وغرق منها ٧ (سبع) شلنديات ، وهي في طريق العودة (١٩٨) .

أخذ أرغوس ، وهدمها :

وفي السنة التالية (٢٣٤ هـ / ٤٨ - ٨٤٩ م) أرغم العرب أهل مدينة أرغوس على بعد ١٣ ميلا من مدينة شكلة في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة ، و ٥٠ ميلا من بثيرة (١٩٩) ، على طلب الصلح نظير تسليم مدينتهم التي هدمها العرب ، وأخذوا منها ما أمكنهم حمله (٢٠٠) . وهذا يعني أن فتوحات العرب في الجزيرة كانت أكبر مما يحتمله توزيع الجند عليها ، فكانوا يتخلصون منها بالهدم والتخريب .

أما في سنة ٢٣٥ هـ / ٤٩ - ٨٥٠ م ، فكانت منطقة قصر يانة همدنا لغارات العرب الذين أفسدوها ، وشرروا الذعر بين أهلها ، قبل أن يعودوا بالمغانم والأسلاب (٢٠١) ، مما يعني أن أهل قصر يانة كانوا قد أخذوا بالعهد ، وأن تلك الحملة كانت تآديبية لردعهم .

(١٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ ، وأنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٠ - الذي يجعل ذلك في السنة التالية ٢٣٣ هـ ، ولو أنه لا يذكر اسم المدينة .

(١٩٦) أنظر فولفرد هيدن ، الألمانية (بالفرنسية) ، ص ٢٧٨ .

(١٩٧) الادريسي ، المكتبة ، ص ٦٦ -

(١٩٨) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ .

(١٩٩) الادريسي ، المكتبة ، ص ٢٨ .

(٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ ، ابن خلدون

ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٠ .

(٢٠١) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ هـ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٢٣٠ .

وفاة أبي الأغلب ابراهيم بن عبد الله :

وبعد هذه الانتصارات اللاحقة ، توفي والى صقلية أبو الأغلب ابراهيم ، في ١٠ من شهر رجب سنة ٢٣٦ هـ / ١٠ يناير ٨٥١ م ، بعد ولاية استمرت أكثر من خمسة عشر عاما ، منذ سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (٢٠٢) . والحقيقة إنه رغبت ما قد يظهر من الخلط بين أبي الأغلب ابراهيم بن عبد الله هذا ، وأخيه أبي فهر محمد بن عبد الله الذي كانت له الولاية من قبل (٢٠٣) ، مما يمكن أن يعظم منه أنه ربما حدث خطأ في الاسم ، وأن المقصود بالاسمين شخصية واحدة فقد رأينا ترجيح رواية ، ابن عذارى ، التي أنهت ولاية أبي فهر محمد سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م ، وختمت ولاية أبي الأغلب ابراهيم في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م . وبناء على ذلك فقد أخذنا رواية ابن الأثير ، ومن نقلها عنه من الكتاب ، وهي خاصة بوفاة أبي فهر محمد ، أمير صقلية ، في سنة ٢٣٦ هـ / ٨٥١ م على أنها خاصة بأبي الأغلب ابراهيم . وتشير تلك الرواية الى أنه كان لا يغزو بنفسه ، بل أقام في بلرم ، من حيث كان يسير الجيوش والسرايا مع نوابه ، فتفتح وتضم (٢٠٤) .

ولاية العباس بن الفضل بمعرفة الجند : قيادة قوية حازمة :

واجتمع قواد العسكر بعد وفاة أبي الأغلب ابراهيم ، ونظروا فيمن تكون له القيادة بعده ، وتم اتفاقهم على أن تكون قيادتهم الى العباس بن الفضل ابن يعقوب ، وكتبوا بذلك الى أمير إفريقية محمد بن الأغلب الذي أقر العباس في ولاية صقلية ، وكتب اليه العهد بالجزيرة ، ولم ينتظر العباس الى أن يصله عهد العيوان له ، فبدأ يمارس سلطاته ، فكان يقود الجيوش بنفسه أو يبعث السرايا ، وهو مقيم في بلرم ، تغير وتعود اليه بالمغانم والأسلاب (٢٠٥) .

(٢٠٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ .

(٢٠٣) انظر فيما سبق ، ص ٢٢٢ .

(٢٠٤) ابن الأثير ، سنة ٢٢٨ ، ج ٧ ص ٣ ، المكتبة ، ص ٣٠ - ٢٢١ ، أبو الفدا لمحمدر ، المكتبة ، ص ٤٠٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ (حيث النص : « وكان من قبل مرو (بدون لا) وبعث السرايا ») ، المكتبة ، ص ٤٧١ ، التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب .

(٢٠٥) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٣ ، المكتبة ، ص ٢٢٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ص ٤٧١ (حيث اسم العباس : العباس بن الفضل بن جعفر بن يعقوب ابن فزارة) ، التويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب .

وعندما وصل كتاب !ولاية الى العباس بن الصعل (٢٠٦) ، بدأ يتسجّل نشاط عظيم جعل من عهده فترة مميزة في تاريخ صقلية العربية ، وهذا ما خبر عنه ابن عَدّارى ، اذ يقول : « فجاهد كثيرا ، وعزا طويلا . وكان له من الروم مواهب آدلهم بها » (٢٠٧) - فقد خرج العباس بنفسه في سنة ٢٢٧ هـ / ٨٥١ م ، على رأس قواته التي جعل على مقدمتها عمه رباح (بن يعقوب) ، الذي وجهه نحو قلعة أبي نور ، بينما اتجه هو نحو قصر يانة (٢٠٨) ، التي كان قد اتخذها الروم عاصمة لهم بدلا من سرقوسة المعرضة للغارات البحرية . وذلك بعد استيلاء العرب على يلرم (٢٠٩) .

وادی رباح المحلة فاغار على قلعة أبي نور ، وأسر وغنم ، ولحق بالعباس حيث قتل الأسرى . وعانت القوة العربية في اقليم قصر يانة ، وهي تفسد وتعرق وتخرب ، وتأسر وتسيى . ولما تم إخراج البطريق قاندها للقاء العرب عادوا الى يلرم (٢١٠) .

الامحاح على قصر يانة وسط الجزيرة ، واجتياح الساحل الشرقي :
وواضح من تتبع العمليات الحربية التي قام بها العباس بن الفضل ، انه كان يرمى الى تحقيق أهداف أبعد بكثير من أهداف سابقه من الولاة ، وأنه كان يطمح في إنهاء الوجود البيزنطي في الجزيرة ، وأنه كان قد قرر الاستيلاء على قصر يانة ، كهدف اول له .

ولكنه لما كان من الصعب اقتحام المدينة الحصينة في قمة جبلها المنيع ، فإنه رأى الامحاح عليها بالقتال والتخريب حتى ينتهي أمرها بالارهاق ثم السقوط . فقد قام العباس بالغاارة على منطقتها في سنة ٢٢٨ هـ / ٨٥٢ م الثانية في عسكر عظيم ، فغنم وخرب وقتل ، وبعث برؤس القتلى الى يلرم . ومن قصر يانة سار العباس ليوسع عملياته في نواحي الساحل الشرقي مبتدئا

(٢٠٦) ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٦ . أبو اللدا ، المختصر ، المكتبة ، ص ٤٠٥

(٢٠٧) ابن عَدّارى ، ج ١ ص ١١١ .

(٢٠٨) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢ ، المكتبة ، ص ٢٢١ (حيث اسم :

رباح بن سحر بدلا من ابن يعقوب) .

(٢٠٩) النويري ، المغرور ، ج ٢٢ ص ٢٢٨ ب .

(٢١٠) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢ ، المكتبة ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤

ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧١ . وقانون ابن عَدّارى ، ج ١ ص ١١١ (الذي يقول بشكل عام انه

غنم فنانم عظيمة ، وسبي سبيا كثيرا ، واقتاح يلاغم) .

من قطنانيا ، في اتجاه الجنوب ، نحو سرقوسة ونوطس ، ثم أرغوس في الطرف الجنوبي الشرقي للجزيرة ، ، فضم من جميع هذه البلاد وخرّب وأحرق ، ، قبل أن ينزل على بشيرة التي ضرب عليها الحصار لمدة خمسة أشهر - فكان أخذها في سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م الثانية - ولم يرفعها عنها الا بعد أن صالح أهلها على خمسة آلاف رأس من الماشية (٢١١) .

واستمر العباس يلج بالصوائف على مدن الروم وحصونهم في الجزيرة خلال السنوات التالية ، كما يتضح من الموليات الصقلية في ابن عذارى ، الذي يكتفى بالإشارة الى أعمال الفساد والتخريب والنكابة في الروم ، في سنوات ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م و ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م . وهو يشير الى إقامة الفضل في تلك السنة الأخيرة في بعض الجبال لمدة ثلاثة أشهر ، يصرب كل يوم حول قصريانة ، فيقتل ويصيب ، وتضم سراياه في كل حهه . كما أنه سير اخاه على بن الفضل في البحر فأصاب وعثم ، وعاد بأعداد كبيرة من الماشية (٢١٢) .

أما في سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٦ م ، وهى السنة التي توفي فيها الأمير الأغلب أبو العباس محمد بن الأغلب ، وولى ابنه أبو إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب ، فقد استولى فيها العباس على عدد من حصون الروم (٢١٣) .

الاستيلاء على الحصن الجديد :

واستمر الحاج العباس على قصريانة (عاصمه الروم) فخرج اليها في

(٢١١) ابن الأثير . سنة ٢٣٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٢٤ المكتبة ، ص ٢٢١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧١ - الذي يلخص الرواية تلخيصا أعبه باليتر ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ - الذي يكتفى بالإشارة الى أعمال القتل وسب الرؤس الى بلرم وسف الزروع وسب السبايا في سنة ٢٣٨ هـ . ثم يجعل تلك الحملة ضمن أحداث سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٣ م . وقارن تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة الصقلية ، ص ١٦٦ (حيث يجعل أحد بشيرة في سنة ٦٣٦٢ . أى بعد ٢٧ سنة من الفتح ، وهو ما يكاد يتفق مع تاريخ ابن عذارى) .

(٢١٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١١ - ١١٢ .

(٢١٣) ابن الأثير . سنة ٢٣٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ ، المكتبة ص ٢٢١ - حيث القراءة ما بين خمسة وجمة ، بينما أخذ ابن خلدون (المكتبة ، ص ٤٧١) قراءة الكلمة « حصون جمة » ، التي منحها أقالى الى « حصون غسبة » ، لانه فضل غسبة على جمة ، فليس ابن الأثير . وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ - حيث يقول ان العباس كان ينتقل من حصن الى حصن ففتح أكثرها ، وصالحه بعض أهلها .

سنة ٢٤٣ هـ / ٨٥٧ م ، وهزم أهلها عندما خرجوا الى لقائه ، ثم انه ساقب
هسيرته من جديد الى سرقوسة وطبرمين حيث نشر النهب والتخريب والاحراق
على طول الطريق . ونزل العباس على الحصن الجديد الذي كان قد بناه الروم -
في طبرمين ، جنوب مسيني على الساحل الشرقي رضيق الحناق على الحامية
الرومية التي كانت به حتى أنهم فاضوه على أن يشتروا رحيله عنهم بخمسة
عشر ألف دينار ، ولكنه لم يقبل منهم ذلك .

وأمام الحاح العباس على حصن طبرمين الجديد يقول ابن الأثير ان الروم
عرضوا على العباس الاستسلام له في نظير شروط مجحفة بهم ، تقضى بأن
يسلموا له الحصن ومن فيه على أن يطلق المائتي نفس منهم فقط . ووافق
العباس وملك الحصن ، وباع كل من وجده فيه ، بعد أن وفى لهم بشرطهم
فاطلق المائتي شخص الذين عينوهم ، ثم انه هدم الحصن . ويظهر شك
ابن الأثير في تلك الرواية عندما يتبعها بكلمتي والله أعلم (٢١٤) . ونحن نرى
أنه ربما كان المقصود بشرط اطلاق المائتي نفس هو الا يأخذ منهم فدية ،
بينما كان على الآخرين أن يفقدوا أنفسهم بالمال أو أن يسرقوا .

والى حاسب ذلك نجح العباس في ارغام أهل حصن « شلمودة ،
(جلفودي) على مصالحته ، شريطة أن يخرجوا من الحصن (٢١٥) .

فتح قصر يانة :

وأخيرا صارت الظروف حواتية لفتح قصر يانة في سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ -
٨٥٩ م . فعندما تحسنت الأحوال الجوية بعد فصل الشتاء ، سار العباس
في جيسوشه من بلرم قاصدا قصر يانة ، حيث نشر الرعب والحراب في
اقليمها . ثم انه اتجه نحو سرقوسة حيث كان قد سير أسطولا بحريا بقيادة
أخيه علي ، ليتم حصار المدينة من جهتي البر والبحر جيمعا . والتقى أسطول
علي بن الفضل بأسطول رومي يتكون من أربعين شلنديا ، على رأسه قائد
تسميه رواية النويرى بالاقريطشى أى الكريتى (الكريتلى) (٢١٦) . وانتهى

(٢١٤) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ج ٧ ص ٢٤ ، المكتبة ، ص ٢٣٢ ، وقارن ابن عذارى ،
ج ١ ص ١١٢ - الذى يسمى المكان بـ « قصر الحديد » (بدلا من القصر الجديد) ، ويقول
ان العباس والفق على فدية الـ ١٥ ألف دينار .
(٢١٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ .
(٢١٦) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ ، المكتبة ، ص ٤٣٢ ، وقارن ابن عذارى .

القتيصال البحري العنيف باكتصار المسلمين وأسر عشر شلنديات رومية
برجالها . ولكن الجيش البري ، وكذلك الأسطول عاماً الى قواعدهما في بلرم
بما أخذ من المقائم والسبي والاسلاب (٢١٧) .

والظاهر أنه أمام عدم تمكن العباس من تحقيق ما كان يرجوه من
الاستيلاء على قصرية خلال ما كان يقوم به من الصوائف ، فكر في معرفة
ما يمكن أن يقدر لذلك من السباح خلال فصل الشتاء ، وقت البرد والثلج ،
على غير المعتاد .

وقام العباس فعلاً بتسيير شاتية الى قصرية ، نهب رجالها وخربوا
في الإقليم ، وعادوا الى بلرم ومعهم رجل من وجهاء الروم . وتقول الرواية
أن العباس أمر بقتل الرجل الذي انزعج للأمر ، وعرض أن يشتري حياته
نظير أن يدل العرب على عورة لقصرية ، يمكن لهم الدخول منها والاستيلاء
على المدينة ، والقوم آمنون غير محترسين ، بسبب الشتاء والثلوج .

وانتخب العباس حوالى ألفي رجل من انجاد فرسانه وأبطالهم ، وسار
بهم في شهر كانون (ديسمبر - يناير) مع الرجل الى أن قرب من قصرية
حيث كن معهم مستترا ، بينما سير معه رباحا مع شجمان هؤلاء الرجال ،
فساروا مستخفين في الليل ، ودليلهم الرومي مفيد بن يدي رباح (٢١٨) .
ودلهم الرجل على المكان الذي يمكنهم عن طريقه دخول المدينة . وكان الموقع
الضعيف في تلك العصور ، هو حيث الثغرة في أسوار البلدة التي كان يخرج
منها ماء نهرها محملاً بالأرساخ ، وكان في منطقة وعرة من الجبل . وهكذا

ج ١ ص ١١٢ - الذي استنتج من اسم « الاقريطس » ، وهو قائد الأسطول الرومي ان المعركة
دارت بين العرب والروم قرب سواحل كريت .

... (٢١٧) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٤٢ (ابن خلدون .
ج ٤ ص ٢٠٢ حيث يجعل ذلك في سنة ٢٣٧ هـ وهي السنة التي خصصها ابن الأثير لكل
تلك الفتوح ، المكتبة ، ص ٤٧١) . وقارن ابن طاروق ج ١ ص ١١٢ - الذي يذكر أنه حدث
ذلك « دارت على المسلمين جولة ، فقتل منهم ، وأخذت لهم عشرون مركبا . وهذا ما تشير
اليه رواية كتاب التاريخ حسب تاريخ العالم عند الروم - المكتبة العسقلية . ص ١٦٦ - إذ
تقول روايته أنه أخذت مركب لعل (ابن الفضل) في تلك السنة - والنظر ص ٢٥٢ .

(٢١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٣٧ هـ ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ص ٢٣٣ . وقارن النويري ،
المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ . حيث تنص الرواية على أن رجال العباس كانوا ألف فارس
وسبعمائة رجل وأله جبل على كل عشرة منهم مقدما .

تطلب الأمر استخدام السلاخيم لارتفاع ذلك الموضع من الجبل ، والوصول الى السور حيث النخرة أو الخوخة - وقبيل الغبر ، وأثناء استغراق الحراس في النوم ، تسلمت جماعة الاستطلاع الى داخل السور ، ووضعت السيف في حراس الأبواب وفتحتها ، لكي يأتي العباس ورجاله على عجل ، ويدخلوا للمدينة على حين غرة من أهلها مع آذان صلاة الصبح من يوم الخميس منتصف شوال/ ٢٥ يناير ٨٥٩ م - وقتل العباس من وجد في المدينة من المقاومة ، وأخذ بنات البطارقة بحليهن وأبناء الملوك ، وأصاب في المدينة من الكنوز والنخائر ما يعجز عنه الوصف (٢١٩) . وكان للخليفة المتوكل الذي أظهر بهذا العصر الكبير ، نصيبه من السبي الجليل (٢٢٠) .

وتقول الرواية أن العباس بنى في قصر يانة مسجدا في الحال ونصب فيه منبرا ، وخطب فيه يوم الجمعة (٢٢١) ، وهو اليوم التالي : ولا بأس أن يكون العباس قد حول كندراكية المدينة الى مسجد جامع بعد أن زودها بمنبر أمكن اعتداده في يوم وليلة .

رد الفعل لدى الروم :

حملة بحرية على الجزيرة تنتهي بالفشل :

وكان استيلاء العرب على قصر يانة ضربة شديدة للروم لم يكن من المقبول أنه يفتقرها ساكنين - فلقد أرسل القيصر (ميخائيل الثالث) - في السنة التالية (٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م) ، حشبا يقضى تنسيق الأحداث - من القسطنطينية أسطولا في ثلاثمائة شلندي نحو صقلية ، يحمل الجنود والعتاد ، في محاولة للتصدي للعرب واسترجاع المدينة الهامة . وعندما علم العباس برمسول تلك الحملة - التي كانت بقيادة قيسطنطين كوندوميتيس (Constantine Kondomytes) - (٢٢٢) - الى سرقوسة ، خرج بنفسه

(٢١٩) ابن الأثير . سنة ٢٢٧ هـ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ص ٢٢٢ - ٢٢٣ . ابن خلدون . ج ٢ ص ٢٠٢ . المكتبة . ص ٤٧١ - ٤٧٤ . التويري . المخطوط . ج ٢٢ ص ٢٢٩ . أبو الهيثم . المكتبة . ص ٤٠٥ . تاريخ المسعودي في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم . المكتبة . ص ١٦٦ (سنة ٦٣٣٧ هـ بعد ٢٢ سنة من النج) . (٢٢٠) ألفار فونند هيدن (بالفرنسية) . ص ٢١ (من ابن خلدون) . (٢٢١) ابن الأثير . سنة ٢٢٧ هـ . ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة . ص ٤٧٣ . ابن خلدون . المكتبة . ص ٤٧٢ . (٢٢٢) عزيز أحمد . تاريخ صقلية الإسلامية . ص ١٢ .

فى رجاله واساطيله ، والتقى بهم عند آحواز سرقوسة ، ونجح فى هزيمتهم حتى ألجأهم الى مراكبهم ، كما أنه تمكن من الاستيلاء على ٣ (ثلث) من مراكبهم .

وتشير الرواية الى تفوق المسلمين على الروم فى فن الحرب وقتئذ ، حتى قيل إنه فى الوقت الذى كثر القتل فى الروم لم يصب من العرب بالشباب - أى من بعيد - الا ثلاثة نفر (٢٢٣) ، وهو الأمر المستغرب فعلا .

انتفاضات للروم :

ولا بأس من أن يكون الروم قد استطاعوا الناز لتلك الهزيمة البحرية المفاجئة ، فهذا ما تشير اليه حوليات ابن عذارى ، بعد الانتصار الذى حققه على بن الفضل فى البحر على الروم سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م ، اذ تقول : « ثم دارت على المسلمين جولة ، فقتل منهم ، وأخذت لهم عشرون مركبا » (٢٢٤) .

وهذا ما ترجحه الحوليات الصقلية فى سنة ٢٤٦ هـ / ٨٦٠ م ، عندما سجل نكت عدد كبير من القلاع الصقلية ، وخروجها على طاعة المسلمين ، مثل : سطر ، وأبلا (Avola) ، وأبلاطنو (Platani) وقلعة عبد المؤمن ، وقلعة البلوط ، وقلعة أبى ثور (Caltavuturo) ، وغيرها من القلاع مما اضطر العباس الى الخروج اليهم فى حملة تأديبية ، ألحق فيها الهزائم بعساكر الروم ، وحاصر قلعتى عبد المؤمن وأبلاطنو .

وفى أثناء الحصار بلغته أنباء عن وصول قوات رومية الى الجزيرة فترك حصار القلعتين ، وسار الى لقاء الروم قرب قلعة جلفودى (Cefalu) شرق بلرم . وانتهى القتال بانهزام الروم الى سرقوسة ، وعودة العباس ابن الفضل الى بلرم (٢٢٥) .

(٢٢٢) ابن الأثير . سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٢٢ : حيث النص على الاستيلاء على « ثلث مراكبهم » (أى مائة شلندى) وهو الأمر المستبعد . وقارن ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٢ ، ج ٤ ص ٢٠٢ : حيث النص ، « وأقلع لهم الى بلادهم بعد أن غنم المسلمون من أسطولهم ثلاثة أو أكثر » .

(٢٢٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٣ ، وانظر فيما سبق ، ص ٢٥٠ هـ ٢١٧ .
(٢٢٥) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٤ . المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٢ - حيث تصرف فى الرواية وجعل مسير العباس الى سرقوسة لقتال الحملة الرومية ، وعودته الى قسريانة وليس الى المدينة « بارم » .

اعمار قصر يانة ، و وفاة العباس بن الفضل :

واهتم العباس بقصريانة فعمرها وحصنها وشحنها بالمقاتلة . وفي السنة التالية (٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) ، وبينما كان العباس يحول برجاله في منطقة سرفوسة ، يمكى في الروم ويضم أموالهم ، اعتل في بومصع غيران قرنة (Caltaglione) غلته التي مات فيها بعد ثلاثة أيام . وذلك في ٣ جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ هـ / ١٥ أغسطس ٨٦١ م ، ودفن هناك - غير بعيد من قبر أسد بن العرات - ولكن الروم نبشوا قبره وأحرقوه (٢٢٦) .

تقييم أعمال العباس :

وهكذا تميزت ولاية العباس بن الفضل التي استمرت إحدى عشرة سنة ، داوم فيها الجهاد صيفا وشتاء ، بتحقيق انجازات لم يسبقه الي مثلها من تقدمه من الولاة . فكان من أهم أعماله غزو أرض قلورية (كلايريا) وأنكبردة (لومبارديا) التي أسكنها المسلمين (٢٢٧) . وكان تتويج أعماله في صقلية بالاستيلاء على قصر يانة التي أصبحت من أهم مسدن العرب في الجزيرة . وهكذا حتى لابن عذارى أن يقول : انه « حاهد كثيرا ، وغزا طويلا ، وكان له في الروم مواقف أذلهم بيا » (٢٢٨) . وهكذا لم يكن من الغريب أن يعبر الروم عن حقدهم على العباس أو عن خوفهم منه ميتا ، كما كان حيا ، بنش قبره ، و « احراق شلوه » ، كما يقول ابن خلدون .

(٢٢٦) ابن الأثير ، سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ . وعن دس العباسي في « كالتاجرون » انظر عزيم تاريخ صقلية الاسامية ، ص ١٤ .
 (٢٢٧) ابن الأثير سنة ٢٢٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ .
 (٢٢٨) البيان ، ج ١ ص ١١١ .

- ٢٥٤ -

أمير قوى في مستوى العباس بن الفضل وابنه عبد الله :

خفاجة بن سفيان (٢٤٨ - ٢٥٥ هـ / ٨٦٢ م - ٨٦٩ م) وابنه محمد :

فترة إنتقالية :

أحمد بن يعقوب ، وعبد الله بن العباس (جمادى الآخرة ٢٤٧ هـ / جمادى الأولى ٢٤٨ هـ) :

عندما توفي العباس بن ميدان القتات ، اجتمع قادة العسكر ، كما كانت تجري العادة في مثل هذه الظروف ، وتناقشوا فيما بينهم في قيادة الجيش ، وإمارة صقلية بالتالي . وببعض نص رواية ابن الأثير على أن العباس ولوا عليهم . ابن عبد الله بن العباس ، وكتبوا بذلك إلى الأمير الأعلى في القيروان (٢٣٩) ، يصح ابن عذارى على آل الدي ولي بعد العباس هو عمه أحمد بن يعقوب ، وأن أهل صقلية انذروا ولوه : « كتبوا بذلك إلى صاحب إفريقية أبي إبراهيم أحمد بن محمد بن الأعلم ، فجاء كتابه بإثباته » (٢٣٠) .

والظاهر أن الأمرين جميعا صحيحين مع اختلاف الترتيب الزمني ، فهذا ما يظهر من رواية الثوري التي تقول ان النساس ولوا « على أنفسهم أحمد بن يعقوب » ثم ولوا عبد الله بن العباس ، وكتبوا إلى أمير القيروان ، في خمسة أشهر (٢٣١) . إذ لما كان الولي التالي ، وهو خفاجة بن سفيان ، قد وصل من القيروان إلى الجزيرة في شهر جمادى الأولى من السنة التالية (٢٤٨ هـ / يولية ٨٦٢ م) ، فكان الفترة ما بين وفاة العباس ووصول خفاجة بلغت ١١ (أحد عشر) شهرا ، ولي منها عبد الله بن العباس خمسة أشهر ، فتكون ولاية عمه أحمد بن يعقوب قبله - التي لا نعرف الظروف التي انتهت فيها ، وهل كانت بسبب وفاته أم بسبب عدم رضاه الجند عنه - قد استمرت لمدة ستة أشهر ، من جمادى الآخرة سنة ٢٤٧ هـ / أغسطس ٨٦١ م إلى ذي الحجة من نفس السنة (فبراير ٨٦٢ م) ، وتكون ولاية عبد الله بن العباس - التي لا نجد لها في حواريات ابن عذارى - قد بدأت من ذي الحجة وانتهت في

(٢٣٩) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٣ ص ٤٠٠ المكتبة ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون .
ج ٤ ص ٢٠٢ ، المكتبة ، ص ٤٧٢ .
(٢٣٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٢ .
(٢٣١) الثوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٢٩ ب .

جنادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ/ يولية ٨٦٢ م . ونص ابن الأثير على أنه خلال
الإشهر الخمسة التى ولى فيها عبد الله بن العباس ، سار على نفس سياسة
إبرو القوية التى ابغها والده ، والتى كان يشاركه فى تنفيذها ، فأخرج
الرايا ، ففتحت قازعا عدة ، منها : قلعة جبل أبى مالك وقلعة الارمنيين ،
وسعة الشبرقة (٢٣٢) .

اختيار خفاجة بن سفيان :

أما لماذا لم يترك الأمير أبو ابراهيم أحمد بن محمد القائد عبد الله .
ابن العباس فى منصبه ، وهو الذى خبر أحوال الجهاد فى صقلية وفى إيطاليا
طوال الاحدى عشرة سنة التى ولى فيها والده ، وكان فيها بمثابة الشريك له ،
بلا ندرى ان كان الأمر خاصا بمزاج أمير القيروان أم أنه كان قد حدث خلاف
بين أفراد أسرة عبد الله بن العباس بن الفضل ، شارك فيه الجند ، مما أدى
إلى عزلهم لعمه أحمد بن يعقوب وتوليته ، وهو الأمر الذى يجعل اختيار
إمير القيروان لقائد آخر من لدنه ، وهو خفاجة الذى كان له شأنه بين قواد
الدريقية ، أمرا مقبولا .

والهم أن خفاجة وصل الى الجزيرة فى جمادى الأولى سنة ٢٤٨ هـ/
يونيه ٨٦٢ م ومعه ابنه محمد . وتسبب مقاليد الأمور فى بلرم ، وانتهج
سياسة عسكرية قوية ، تعتبر استمرارا لسياسة العباس بن الفضل .

التوسع فى اقليم سرقوسة والركن الجنوبي الشرقى : فتح نوطنس :

فلقد بدأ خفاجة نشاطه فى التو واللحظة ، فسير ابنه محمدا على رأس
سرية قصدت منطقة سرقوسة ، حيث غنمت وخربت وأحرقت ، وظهرت بمن
تعرض لها من الروم . وقبل أن يعود الى بلرم عرج على أرغوص وضيق عليها
حتى طلب أهلها الأمان (٢٣٣) ، أى أنهم تعادوا الى الخشوع لدفع الجزية .

(٢٣٢) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤٠ .

(٢٣٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤٠ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ - والمكانات الحوليات.

المستقلة تذكر أن العرب قد عادوا الى أرغوص مرة أخرى فى سنة ٢٥٢ هـ/ ٨٦٦ م ، فان
ابن الأثير يتساءل عما اذا كان قد حدث خلط بين التاريخين أم أن الأمر يتعلق بعزوتين
مختلفتين - بعد تكس أهل أرغوص - وهو الأمر الذى نراه مقبولا فى حرب الصوائف المبنوية .
وله - وهذاها تؤكد رواية-تاريخ المسلمين فى صقلية-حسب تاريخ العالم عند الروم (المكتبة .
ص ١٦٦) حيث أغلقت أرغوص للمرة الأولى فى سنة ٦٣٥٦ هـ -وانشئت-لحق المرة الثانية فى
سنة ٦٣٥٥ هـ - وان كانت المسافة بين التعتين كبيرة تبلغ حوالى ١٦ سنة .

يوصل خفاجة - الذي أرسله في ولاية صقلية الأمير زياده الله (الثاني) بن محمد
ابن الأغب ، وأرسل إليه بالخلع رمز الامارة ، عندما ولي امارة الاغالبة في
ذي القعدة سنة ٢٤٩ هـ / ديسمبر ٨٦٣ م ، عقب وفاة أخيه أحمد (٢٣٤) -
يلج بالصوائف على اقليم الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة حتى تمكن من
فتح مدينة بوطس جنوب سرقوسة ، في المحرم من سنة ٢٥٠ هـ / مارس
٨٦٤ م ، وذلك بالاستعانة ببعض أهل المدينة الذي ذل العرب على الموضع
الذي أمكنهم الدخول منه ، وأخذ العرب في نوازل أموالا عظيمة - ومن
نوازل سارت القوات العربية عربيا حيث فتحت شكنة (Scith) في جنوب
أرغوس ، بعد أن ضربوا عليها الحصار مدة (٢٣٥) .

وعندما توفي زياده الله الثاني في ذي القعدة من سنة ٢٥٠ هـ / ديسمبر
٨٦٤ م ، أي بعد سنة واحدة من الولاية ، أقر خفاجة في ولايته الأمير الجديد
محمد بن أحمد أبو الغرابيق .

خصائص الفتوح في الجزيرة حتى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م :

والواضح من عرض أحداث هذه الحرب العجيبة التي كان يشنها العرب
على مدن الروم في صقلية منذ حوالي أربعين سنة ، أن صب الأمان من جانب
حصون الروم ومدنهم ، كان يعني الصلح ، وكذلك كانت معنى كلمة «الفتح»
في معظم الأوقات ، إلا إذا كان هناك نص صريح على امتلاك العرب للحصن
أو المدينة ، فضلا عن الإشارة إلى إقامة العرب فيه . ما عدا حسم المدينة أو
الحصن أو إحراق الواحد منهما أو الآخر . لهذا يعنى - هذه سيعودون إليه
عما قريب ، لكي نعود لطويات العملية لتذكر الحرب في نفس الموضع من
جديد .

وهكذا كانت منطقة سرقوسة هدفا لغارة شديدة في سنة ٢٥١ هـ /
٨٦٥ م التالية ، حيث نصب خفاجة للروم كميناً بقيادة ابنه محمد نجح في
أن يقتل منهم ألف فارس ، حتى سميت سرية محمد هذه بـ « سرية ألف

(٢٣٤) ابن الأثير ، سنة ٢٤٩ هـ ج ٧ ص ٤٧ ، المكتبة ، ص ٢٣٨ ، ابن عسدي . ج ١
ص ١١٣ - ١١٤ .

(٢٣٥) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ ، ولقد تاريخ
المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم ، ص ١٦٦ (عن فتح الباطن - سنة ٦٧٤ هـ) ،
ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ .

- ٢٥٧ -

فأمر . . كسبا يقول ابن عذاري (٢٣٦) . وفي ضوء فكرة حرب الصوائف المتواليه هذه ، يمكن لنا أن نفهم الحاح العرب بالحرب على نفس الموضع أكثر من مرة . رغم الأمان أو الصلح أو الفتح .

صلح طبرمين :

ملفوظات طريقة تشترك فيها النساء :

وهذا ما حير ابن الأثير في صوائف سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م (٢٣٧) ، حيث سار خفاجة إلى سرقوسة ، ومنها اتجه إلى أقصى الشمال إلى منطقة جبيل النار ، حيث أتاه رسول مدينة طبرمين يطلبون منه الأمان .

ونصر ابن الأثير هنا بحري عبارة غريبة ، إذ يقول : « فأرسل (ابن خفاجة) امرأته وولده في ذلك ، فتم الأمر » (٢٣٨) ، مما يعني أن مسألة الأمان أو الصلح كانت تتطلب نوعا من المفاوضات المتعارف عليها في ذلك الوقت . وفكرة إرسال خفاجة لابنه محمد ليفاوض أهل طبرمين نيابة عنه محقولة ، فقد كان محمد بمثابة المساعد الأيمن له في أعماله أو الشريك له في ولايته . وأما إرسال امرأته التي نطن أنها كانت أم محمد أيضا ، فربما كانت لبهاة الروم المسلمين كانوا يعتزون بنسائهم ، بل ويصحبونهم معهم في حروبهم ، كما رأينا في أكثر من معركة .

وهذا يعني أن العرب في صقلية بدأوا يتأثرون بعبادات الروم في الجزيرة ، ومنها ما يتعلق بتشريفهم للنساء واعتزازهم بهن . ولا توضح الرواية الأسباب التي دعت أهل طبرمين للفرار أو نقض الصلح الذي أبرمته محمد بن خفاجة والسيدة والدته مع أهل طبرمين ، وهو الأمر الذي جعل خفاجة يرسل ابنه محمد من جديد إلى طبرمين ولكن لحربها ، هذه المرة . وتقول الرواية أن محمد بن خفاجة فتح طبرمين وسبى أهلها - والفتح ، كنا قلنا ، لا يعني هنا أكثر من الحرب أو إغلاء الصلح .

صلح أرغوص والقيزان :

وفي نفس هذه السنة طلب أهل أرغوص الأمان من جديد ، بمعنى أنهم

(٢٣٦) ابن عذاري ، ص ١ من ١١٤.

(٢٣٧) انظر طبعاً سبق ، ص ٢٥٥ و ٢٢٢ .

(٢٣٨) ابن الأثير ، سنة ٢٥٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، نسخة ، ص ٢٢٥ .

كانوا قد نكثوا صلح سنة ٢٤٨ هـ / ٨٦٢ م (٢٣٩) . وهذا ما يعبر قسوة شروط الأمار هذه المرة ، إذا اضطر أهل أرغوس إلى أن يعرضوا على حفاضة السماح لعدد معين من أهل الحصن (سقط من النص) - كما حدث في طبرمين أيام العباس ، حينما طلبوا إطلاق مائتي نفس عيسوهم (٢٤٠) - يطلقون بأموالهم ودوابهم ، على أن يقسم الباقي . وهذا ما حدث فعلا إذ أخذ حفاضة جميع ما في الحصن من مال ورقيق ودواب ، غير ذلك (٢٤١) .

وتشير الحوليات الصقلية في نفس السنة (٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م) إلى أن أهل الغيران - القرية من سرقوسة - هادئوا خفاضة (نظير الجزية) ، وأنه انتصح حصونا كثيرة ، ثم أنه مرض مرضا شديدا حتى أنه عاد إلى بلرم محمولا في محفة (محمل) (٢٤٢) .

اللاح مستمر على أقاليم سرقوسة ، وقطانيا :

ولم يطل مرض خفاضة في بلرم ، إذ أنه عاد في السنة التالية (٢٥٣ هـ / ٨٦٧ م) إلى أقاليم سرقوسة وقطانيا حيث خرب البلاد وأفسد المزروعات . وبث سراياه في أرض غير المعاهدين من الروم ، فظفرت وعادت بالمفسانم الكثيرة (٢٤٣) . وظل اللاح على منطقة سرقوسة في سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م التالية ، حيث بعث خفاضة سراياه للاستكشاف قبل أن يسير إليها بنفسه ليمسك زروعها في ربيع الأول (مارس) . وكذلك سير في البحر ابنه محمدا في الحراقات عندما علم بوصول حملة من القسطنطينية ، فيها الكثير من الجنود . وكان الظفر في البحر وفي البر جميعا لخفاضة ، إذ انهزم الروم أمام القوات العربية ، وقتل منهم آلاف كثيرة ، وأخذ لهم سلاح وخيل كثير ، عاد بها المسلمون إلى بلرم ، في أول شهر رجب (أواخر يونيه) (٢٤٤) .

(٢٣٩) أنظر ليا سيق ، ص ٢٥٥ وهـ ٩٣٣ .

(٢٤٠) أنظر ليا سيق ، ص ٢٤٩ .

(٢٤١) ابن الأثير سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ . المكتبة ، ص ٢٣٥ . ابن خلدون ، المكتبة .

ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٢٤٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٤ . ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤٠ .

المكتبة ، ص ٢٣٥ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢٤٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤٠ ، المكتبة ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ . ابن خلدون ،

المكتبة ، ص ٤٧٣ ، ج ٤ ص ٢٠٣ .

(٢٤٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ١١٥ .

بجرد عوثة خفاجة الى بلرم سير ابنه محمدا على رأس الاسطول لغزو مدينته عطة . في أرض إيطاليا على ما يظهر ، فحاصر محمد المدينة في البحر ، حيث سراياه حولها في البر لمدة زادت على شهرين ، قبل أن يعود بمراكبه مشحونة بالمقاتل الى بلرم في شهر شوال (سبتمبر) (٢٤٥) .

محاولة لم يقتدر لها النجاح لاختطط طبرمين :

وكانت مدينة طبرمين - التي توصف بأنها من أحسن مدن صقلية ، والتي لا تعرف ان كانت قد تقضت ثانية بعد فتحها على يدى محمد بن خفاجة ، بعد صلح سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م - هدفا لخفاجة في السنة التالية (٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) ، وذلك عندما عرض عليه بعض أهلها تسهيل مهمة دخول العرب اليها ، عن طريق غير مطروق ، كان يعرفه الرجل - ففي شهر صفر (يناير - فبراير) سير خفاجة ابنه محمدا مع جماعة من الفرسان وبصحبه ذلك الرجل الدليل الطبرميني . وعندما اقتربت الجماعة من طبرمين توقف محمد بأمر بعض عسكره أن يقدموا رجاله مع الدليل ، على أن يلحق بهم الى داخل المدينة عندما يفتحوا أبوابها . ودخلت المجموعة من المفاوير (الكوماندوس) المدينة فعلا ، وامتلكت بابها وسورها . ولكنها بدلا من أن تعطى إشارة الهجوم النهائي لمحمد وبقيّة العسكر ، شرعت في السبي والغنيمة . وأظهر أن محمد بن خفاجة كان هو الآخر مترددا أو غير واثق من نجاح العملية في وقتها المحدد ، فتأخر عن ذلك الوقت الذي كان قد ضربه لرجال تلك الطليعة ، حتى ظن هؤلاء أنه ربما كان العدو أوقع به وبرجاله .

وهكذا أوقفت الجماعة السبي ، كما تقول الرواية ، وخرجوا منهزمين - وأغلب الظن أنهم فعلوا ذلك عندما هاجت المدينة وماجت بعد أن شعرت بما يحدث داخل أسوارها .

هذا ولا بأس في شرح ابن خلدون الذي قال : ان محمدا أبى من قاحية أخرى غير التي كان قد تم الاتفاق عليها ، فكان وصوله المفاجيء من تلك الناحية سببا في ذعر جماعة الطليعة الذين ظنوه وريثاله مددا للروم . فنجفوا ، مما دعاه هو الآخر الى الجفول خلفهم .

(٢٤٥) ابن الأثير . سنة ٢٤٧ هـ ج ٧ ص ٤١ . المكتبة . ص ٢٣٦ . ابن خلدون . المكتبة . ص ٤٧٣ .

والهم أن محمد بن خفاجة عندما وصل الى باب المدينة في رجاله التقى بأصحابه وقد خرجوا منها ، فلم يكن أمامه الا العودة وراهم (٢٤٦) . وهذا يؤيد فكرة تنسح حامية المدينة وأهلها ، وأخذهم بالأهبة للمقاومة . وهكذا لم تتحقق أمنية عزيزة على خفاجة كان يسكن أن يوازن بها ما قام به من أعمال بما قام به سلفه العباس بن الفضل ، عندما استولى على قصر يافة بطريقة مشابهة ، قبل ذلك الوقت بأحدى عشرة سنة .

الضغط على سرقوسة :

ولم يشبط هذا الفشل من عزيمته خفاجة الذي خرج من بلرم في الشهر التالي (ربيع الأول / فبراير مارس) ، على رأس قواته الى برسة ، بينما سير ابنه محمدا في عسكر كبير الى سرقوسة . ودار قتال شديد بين عسكر محمد وبين جيش رومي كبير ، انتهى لغير صالح محمد الذي عاد مفلولا الى والده ، بعد أن فقد كثيرا من رجاله . وهنا خرج خفاجة بنفسه على رأس قواته نحو سرقوسة وضرب عليها الحصار ، وضيق على أهلها ، بينما كانت سراياه تفسد الاقليم وتهلك الزرع (٢٤٧) .

هقتل خفاجة بيد رجل من عسكره :

، وعندما رأى خفاجة أن حملته التأديبية ضد سرقوسة حققت أغراضها ، رفع عنها الحصار وأمر بالعودة الى بلرم عن طريق وادي الطين . والظاهر أن خفاجة كان يخشى من مكيدة يقوم بها الروم ضده ، وهو في طريق العودة ، فقرر الرحيل من وادي الطين ، وهو مدليج ليلا . وأثناء المسيرة الليلية ، وقع ما كان يحذر خفاجة ، إذ اغتاله رجل من عسكره بطعنة قاتلة مات منها . وذلك في أول شهر رجب سنة ٢٥٥ هـ / ١٥ يونية ٨٦٩ م .

والغريب في الأمر أن القاتل نجح في الهرب ولجا الى سرقوسة (٢٤٨) ، مما يضفي أن الأمر حدث ، في غالب الظن ، بتدبير من الروم .

- (٢٤٦) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ص ٢٢٦ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ (ج ٤ ص ٢٠٣ - حيث القراء طرميس بدلا من طبرمين) .
- (٢٤٧) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٣ ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ - الذي يقول ان سبب الهزيمة كان مقتل شجاع من شجعان المسلمين ، فأنكروا لقتله .
- (٢٤٨) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٢٧ ، ابن خلدون ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، أبو اللدا ، المكتبة ، ص ٤٠٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٥ .

اختيار محمد بن خفاجة للولاية :

ولاية قصيرة لمدة سنتين ، تم خلالها فتح مالطة :

وحمل خفاجة قتيلا الى بلزم حيث دفن ، واحتج قسواد العسكر في العاصمة ، واتفقوا على أن يعهدوا بالقيادة الى ابنه محمد ، وكتبوا بذلك الى الأمير أبي الفرائق محمد بن أحمد ، الذي وافق على اختيارهم ، وكتب الى محمد بن خفاجة عهده بالولاية على صقلية ، وسير اليه الملابس الرسمية ، المعروفة بالحلج ، وهي رمز الولاية (٢٤٩) .

ولم تستمر ولاية محمد بن خفاجة الا مدة سنتين ، تم في الأولى منها الاشارة على اقليم سرقوسة بمعرفة عمه عبد الله بن سفيان ، الذي أهلك رروعها في سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م (٢٥٠) ، وأخذ جزيرة مالطة بمعرفة أحمد ابن عمر بن عبد الله (٢٥١) . وفي السنة الثانية (٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م) تشير الحوليات الى هزيمة الأسطول البيزنطي ، الذي حاول استرجاع الجزيرة ، وفك الحصار عن مالطة (٢٥٢) . ثم يأتي مقتل محمد بأيدى بعض خدعه الحصيان ، من الصقالبة ليضع نهاية نمرة لأعماله المجيدة في صقلية ، وذلك في نهاية اليوم الثالث من رجب سنة ٢٥٧ هـ / ٢٨ مايو ٨٧١ م . وكنم الحصيان قتله الى أن هربوا ليلا ، فلم يعرف قتله الا من الغد ، وعندئذ طلب الخدم ، وقتل الذين قتلوه منهم (٢٥٣) .

-
- (٢٤٩) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، سنة ٢٥٥ هـ ، ج ٧ ص ٨٦ ، المكتبة ص ٢٣٧ ، ابن حنون ، ج ٤ ص ٢٦٣ ، المكتبة ، ص ٤٧٣ ، ابن عسدي ، ج ١ ص ١١٥ ، النويري المخطوط ، ج ٢٤ ص ٢٢٩ ب .
- (٢٥٠) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ .
- (٢٥١) النويري ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ١١٦ ب .
- (٢٥٢) تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة الصقلية ، ص ١٦٦ ، وقارن فيما سبق ، ص ١٠٦ .
- (٢٥٣) ابن الأثير ، سنة ٢٤٧ هـ ، ج ٧ ص ٤١ ، سنة ٢٥٧ هـ ، ج ٧ ص ٩٩ ، المكتبة ، ص ٢٣٧ ، النويري ، المخطوط ، ج ٢٤ ص ٢٢٩ ب ، ٢٣٠ أ ، أبو الفدا ، المكتبة ، ص ٤٠ ، ابن عسدي ، ج ١ ص ١١٥ .

فترة قلقة :

خلفاء محمد بن خفاجة :

وتختلف الروايات عند كل من ابن الأثير ، وابن عذارى ، والنويرى ،
قيمن خلف محمد بن خفاجة في ولاية صقلية ، ونرى أن رواية النويرى التي
تتصف بالاتساق وانتظام الأحداث أولى بالتقديم على غيرها . فحسب
النويرى ، اجتمع قواد العسكر وولوا على أنفسهم محمد بن أبى الحسين ،
وكتبوا الى أبى الغرائيق محمد بن أحمد فى إفريقية بذلك (٢٥٤) . ولكن
الأمير الأغلبى عهد بولاية صقلية الى رباح بن يعقوب ، كما عهد بولاية الأرض
الكبيرة ، أى قلورية وانكبردة وما وراءها من إيطاليا ، الى أخى رباح ، وهو
عبد الله بن يعقوب (٢٥٥) . وهذا يعنى أن الممتلكات الأغلبية فى إيطاليا كانت
قد أصبحت من الاتساع والأهمية بحيث تكون ولاية يمكن أن يكون لها
كيانها المستقل عن الولاية الأم فى صقلية .

ولم تطل ولاية رباح بن يعقوب الذى توفى فى المحرم سنة ٢٥٨ هـ /
نوفمبر - ديسمبر ٨٧١ م ، وكذلك مات أخوه عبد الله فى إيطاليا ، بعده
فى شهر صفر التالى من نفس السنة (يناير - فبراير) . وعندما اختار
قواد العسكر أبا العباس بن عبد الله بن يعقوب لامارتهم ، لم يلبث الا أشهراً
ثم مات ، فعهدوا بقيادتهم الى أخيه ، الى أن وصلهم عهد الأمير أبى الغرائيق
بالولاية الى الحسين بن رباح . ولكنه لم يلبث أن عزله ، واستعمل عبد الله
ابن محمد بن عبد الله التميمي ، قريبه ، الذى كان « أدبياً شاعراً ، طالباً
للحديث والفقه ، وذلك فى شوال سنة ٢٥٩ هـ / أغسطس ٨٧٣ م (٢٥٦) .

(٢٥٤) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ .

(٢٥٥) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ . وقارن رواية ابن عذارى ، ج (ص
١١٥ - التى جعل ولاية صقلية لأحد بن يعقوب والأرض الكبيرة لأخيه عبد الله بن يعقوب .
أما ابن الأثير ، سنة ٢٥٧ هـ ، ج ٧ ص ١٩ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ ، فيقول ان أبا الغرائيق
« محمد بن أحمد » استعمل على صقلية أحمد بن يعقوب ابن الحفص بن سلمة الذى لم تطل
أيامه ، ومات فى سنة ٢٥٨ هـ . وتذكر حركات السلجوق فى صقلية حسب تاريخ الروم
(المكتبة ، ص ١٦٦) ان السلجوق لواء حمزة كبيرة فى سالرنة (ساليرنو) فى إيطاليا ، قريب
تلك الفترة . وفى سنة ١٢٨٠ التى تعادل سنة ٨٦٣ م تقريباً .

(٢٥٦) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ . (حيث آخر الاسم « ابن ابراهيم بن
الأغلب » « جلال » ابن الأغلب بن سالم . كما يوضح ذلك ابن الأثير فى الحلة السيرة ،
ج ١ ص ١٨١ . المكتبة ، ص ٢٢٧ ، الذى يعرف بأنه كان والياً على طرابلس ، ويذكر بعض
شعره منسوبة عزله عن طرابلس) .

وهذا يعنى نوال أربعة أمراء على صقلية فى أقل من سنتين (٢٥٧) .

وحلال فترة السنتين تلك ، تشير الحوليات الى حملة قام بها المجاهدون فى صقلية ضد سرقوسة ، سنة ٢٥٩ هـ / ٧٢ - ٨٧٢ م فى عهد الحسين ابن رباح ، انتهت بالصلح على أن يطلق أهل سرقوسة ٣٦٠ (ثلاثمائة وستين) من أسرى المسلمين الذين كانوا لديهم (٢٥٨) .

ومنذ سنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م والى سنة ٢٦٤ هـ / ٨٧٧ م ، حينما فتحت مدينة سرقوسة فى عهد الأمير الأغلبى ابراهيم بن أحمد الذى خلف أخاه أبا الفرائيق محمد بن أحمد فى جمادى الأولى سنة ٢٦١ هـ / ١٧ فبراير ٨٧٥ م ، لا نجد ذكرا لأحداث ذات بال فى حوليات صقلية التى رايناها حافلة بالصوائف والشوائب فى البر والبحر على السواء ، مما يمكن أن يفسر بأن الجريرة كانت تمر بفترة مضطربة بعد مقتل خفاجة ثم ابنه محمد (٢٥٩) . والحقيقة انه لا يفسر فترة الاضطراب التى نراها حتمية وقتند الا قائمة النويرى التى تحتوى على سبعة ولاة تداولوا حكم صقلية وإيطاليا الجنوبية فيما بين سنة ٢٥٧ هـ / ٨٧٠ م وسنة ٢٥٩ هـ / ٨٧٢ م (٢٦٠) .

بارى ولاية عربية مستقلة : خروج المفرج بن سالم فى إيطاليا على أبى الفرائيق :

والحقيقة أن العرب كانوا قد بدأوا يتطلعون نحو جنوب إيطاليا اعتبارا من سنة ٢٢٢ هـ / ٨٢٧ م عندما وسعوا نشاطهم الحربى الى مسينا وسيرا أسطولهم الى جزائر الايوليان المتاخمة لكلابريا (٢٦٠ م) . ولم تأت سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م حتى كان الأسطول الأغلبى يوطد أقدام العرب فى كلابريا

(٢٥٧) ونلاحظ أن النويرى (نفس المصدر) يذكر ان ذلك حدث قبل أن يل أبر مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن الأغلب المعروف بحبش ، الذى بقى متوليا عليها ٢٦ (مسينا وعشرين) سنة . وهو الأمر الذى لا يتفق مع واقع الأحداث . إذ نجد النوال سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٥ - ٨٧٥ م هو جعفر بن محمد فى كل من ابن الأثير وابن عذارى .

(٢٥٨) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ١١٦ ، الذى يجعل النوال الحسين بن أحمد بن يعقوب حسب روايته التى رجحها عليها رواية النويرى . وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٥٥ هـ ، ج ٧ ص ١٠٥ ، المكتبة - ص ٢٢٨ - حيث لا يذكر اسم النوال .
(٢٥٩) انظر أسد الغنى ، صقلية الإسلامية ، ص ٨٢ .
(٢٦٠) النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ، ص ٢٣٠ .
٢٦٠ م انظر فيما سبق ، ص ١٨٩ .

(قلورية) نفسها ، ما اعتبر في افريقية وقتئذ فتحاً عظيماً (٢٦١) ، ولا بأس في اعتبار سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م علامة مميزة في تاريخ الفتوح العربية في البحر المتوسط ، تماماً كما هو الحال بالنسبة لسنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ حيث كان فتح كل من كريت وصقلية . في السنة التالية (٢٢٦ هـ / ٨٤١ م) بدأت أول محاولة عربية لغزو واحدة من عواصم جنوب إيطاليا ، وهي . مدينة باري الواقعة شمال برنديزي على ساحل البحر الادرياتي ، وإن لم تكمل تلك المحاولة بالنجاح . وبعد ذلك بسنتين (في ٢٢٨ هـ / ٨٤٣ م) كان العرب يضافون على اماره نابولي ، على المتوسط ، التي لم تعقد الصلح مع العرب فقط بل حالفتهم نكاية في اماره بنيغنتو اللومباردية - جارتها الداخلية - وقدمت لهم العون في غزو اقليم مسينا ، بل وربما سهلت لهم طريق سياحتهم نحو روما والماتيكان (٢٦٢) .

وفي سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧ م كان العرب يستولون على مدينة طارنت اللومباردية ويقيمون فيها (٢٦٣) ، ثم يتبعون ذلك بالاستيلاء على باري مما كان يقتضي فتح برنديزي على نفس الطريق . وهكذا ، فقل أن ينتصف القرن الثالث الهجري (منتصف القرن ٩ م) كانت كسل اراضي جنوب إيطاليا - من سيبونتو (Siponto) شرفا الى مستوى مصب نهر التيبر غربا - بين أيدي جماعات مختلفة من العرب والمسلمين (٢٦٤) .

والظاهر أن الموقع الجغرافي المتطرف للأقاليم الادرياتيكية الإيطالية التي استقر فيها العرب ، بالنسبة الى صقلية وافريقية ، كان يسمح للمستولين المباشرين عن تلك الاقاليم بحرية العمل ، سواء على المستوى الحربي أو على المستوى السياسي أو الاداري . هكذا تنص رواية ابن الأثير على أن القوات الأغلبية لم تنجح في فتح مدينة باري سنة ٢٢٦ هـ / ٨٤١ م وإن الذي فتحها بعد ذلك هو « خلفون البربري » الذي تحقق له ذلك على عهد الخليفة المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) . وبعد ذلك تذكر الرواية ، التي جمعت بتلخيص شديد أحداث الفتوح في إيطاليا بهذه المناسبة ، أن من يسمى المفرج بن سالم الذي لا تعرفنا بهويته ، استطاع أن يفتح ٢٤ (أربعة

(٢٦١) انظر فيما سبق . ص ١٦٢ .

(٢٦٢) انظر فيما سبق . ص ١١٩٢ .

(٢٦٣) انظر فيما سبق . ص ١٩٤ .

(٢٦٤) انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية بالانجليزية . ص ١٦ .

وعشرين) حصنا استولى عليها (٢٦٥) في منطقة أبوليا (Apulia) (٢٦٦) وكان المخرج بن سالم يعمل لحسابه الخاص مستقلا عن أمير القسبروان .
٧- بأس أن يكون ذلك صحيحا ، فالغزاة من الأندلسيين والمغاربة الذين كانوا يعملون لحسابهم الخاص في أوروبا التي يمكن أن يشملها اصطلاح « الارض الكبيرة » ، كانوا يمثلون طلائع القوات النظامية ، في تلك الفترة التي انتابت جماعة المسلمين في الجناح الغربي من المتوسط موجة من الحماس من أجل الجهاد الذي لا ينتقص من قدره ما صاحبه من الرغبة في القام الثمينه والنسبي الجميل .

وهذا ما يفهم مما تذكره رواية ابن الأثير بعد ذلك ، من أن المخرج بن سالم كتب الى والي مصر يعلمه خبره ، « وأنه لا يرى لنفسه ، ومن معه من المسلمين صلاة الا بأن يعتمد له الامام على ناحيته ، ويوليهاها ، ليخرج من حد المتغلبين » . وهذا النص يدل على أن المخرج كان يعمل في إيطاليا لحسابه الخاص ، بمعنى أنه كان خارجا فعلا على سلطان الأمير الأغلبى ، وكان يطمح في أن يكون ولاءه مباشرة الى خلافة بغداد ، عبر والي مصر أحمد ابن طولون . وما تضيفه الرواية من أن المخرج بن سالم ، الذي بنى مسجدا جامعيا في بارى ، انتهى بأن شغب عليه أصحابه وقتلوه ، وذلك قبل وفاة الأمير الأغلبى محمد بن أحمد أبي الفرائق ، وولاية ابراهيم بن أحمد (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) ، يدل على أن المخرج قام بخروجه على الأغلبة في نفس تلك الفترة التي نعالجها (٢٦٧) . وهذا ولا بأس أن يكون سقوط بارى بين

(٢٦٥) اس الاثير ، سنة ٢٢٦ (ط . بيروت ١٩٦٥ . ج ٦ ص ٥٢٠ - ٥٢١) ، المكتبة .
ص ٢٢٩ . واذا كانت النصوص العربية لم تقدم لنا التفاصيل الخاصة بنتج تلك الحصون فان الحوليات اللرجية يمكن ان تساعد في حد هذا النص ، وهو ما اتجهت اليه الدراسات الحديثة . ومن لغوج العرب في منطقة الادرياتي ، كما حدث في استريا (Istria) وجزيرة شرسو (Cherso) وسيبونتو (Siponto) وأبوليا (Apulia) وراجوسا (Ragusa) الى جانب استعمارة الامارات الايطالية واللومباردية بالعرب في صراعاتها الداخلية ، كما حدث في بينفنتو (Benevento) وبارى وكذلك علاقات العرب بملقاتهم أهل نابولي وغيرهم من أهل أمالفي (Amalfi) وجايتا (Gaeta) وشرينتو (Sorrento) وموقف البساسبوية منهم ، انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٨ - ٢١ .
(٢٦٦) انظر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، ص ١٩ (حيث الاشارة الى أن عدد الحصون هو ٤٨ وليس ٢٤) .
(٢٦٧) اس الاثير ، سنة ٢٢٦ (ط . بيروت ١٩٦٥ . ج ٦ ص ٥٢٠ - ٥٢١) ، المكتبة .
ص ٢٢٩ . والحقيقة أن سعى العرب في إيطاليا للاعتراف بخلافة بغداد كان يبنى - الى جانب التخلص من سواده الاعالة - محاولة الاسماطة بالشرق الاسلامي لمواجهة ما كان يهددهم في

أبدي الفرنج سنة ٨٧١ م (٢٥٧ هـ) هو السبب في تلك الثورة التي راح ضحيتها المخرج بن سالم مما سمح للأمير أبي العراب بن عبيد الله بن يعقوب واليا على « الأرض الكبيرة » (سنة ٢٥٨ هـ) الى جانب أخيه رباح والي صقلية ، مما سبق ذكره .

فتح سرقوسة : حصارها برا وبحرا :

والهم أن الوالي على صقلية في سنة ٢٦٤ هـ / ٧٧ - ٨٧٨ م كان جعفر بن محمد ، والذي تابع سياسة الإطاح على سرقوسة بالصوافف والشواتي التي أصبحت تقليدية ، فغزا إقليمها في تلك السنة وأفسد زروعها ، ثم وشنح عملياته العسكرية بحيث شملت أرض قطاية وطيرمين ورمطة ، في شمال الساحل الشرقي للجزيرة . والظاهر أنه أمام سهولة تلك العمليات،

= ذلك الوقت من أخطار . فبعد منتصف القرن ٩ م كان قد تم إحياء البحرية البيزنطية بفضل مجهودات الأسرة المقدونية . ونجح البيزنطيون في استعادة بعض أملاكهم في جنوب إيطاليا . كما نجحت أمارة نابولي بالتعاون مع عناصر من أمالي وجايتا وسورينتو في طرد العرب من بعض مواقعهم جنوب خليج ساليرنو الى جانب توقعهم في منطقة الادرياتي رغم تمكنهم لباري وبرنديزي . ومع ذلك فقد كانوا يستطيعون الرد على ما كان يهددهم من تلك الأخطار . ففي سنة ٨٤٦ م كانوا يستطيعون الاقتراب من روما . ويقتحمون تحصينات البابا جريجوري الرابع . ويستولون على ثفاني كنديانية القديس بطرس . وهزيمة لويس الثاني قبل أن يصبح إمبراطورا لفرنسا . ولمصلح محافظة العرب على مواقعهم في الجنوب الايطال بفضل اوتكازهم على معز طارنت - باري ، تمكن المخرج بن سالم من احتلال ٢٤ حصنا في منطقة أبوليسا (Apulia) . أما عما قام به الإمبراطور الفرسى لويس الثاني - بالتعاون مع باسيل الأول البيزنطي - من أعمال حربية غير موفقة في أول الأمر (سنة ٨٦٦ م) فانها منعت ، على كل حال ، سقوط المزيد من الأراضي الايطالية بين أيدي العرب . أما عن نجاح لويس في فتح باري على العرب ، سنة ٨٧١ م (٢٥٧ هـ) فانقلب الفتن انه كان السبب في الثورة ضد المخرج وعودة جنوب إيطاليا الى الحكم الأغلب عندما وليها عبد الله بن يعقوب الذي حاصر ساليرنو ولكنه توفي أثناء الحصار . وبعد وفاة لويس الثاني ضد العرب الى أمالي الادرياتيكي، كما قامت سراياهم من طارنت بالمسيرة على إمارة بيلنتو التي عقدت الصلح معهم خشية البيزنطيين الذين لجؤوا في احتلال باري آخر الأمر . وهكذا فبعد سنة ٨٧٥ كان العرب في طارنت يقفون موقف الدفاع بينما كانت لهم اليد العليا في خليج نابولي مما جعل أسقف نابولي يطلب موافقتهم في سنة ٨٨٠ ، وهو الأمر الذي جعل «لانا يوحنا الثامن» يصدر شهادته الحرمان . انظر عزيز أسد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٨ - ٢١ ، وقارن فيما يتعلق بآثار باري ، محمد الطالبي ، الأغلبية ، في كتاب تاريخ تونس في العصر الموحد ، بالفرنسية ، ص ١٥٢ .

- ٢٦٧ -

وجد أن الفرصة أصبحت مواتية ليقتطف ثمرة جهود خمسين سنة وأكثر ، بالاستيلاء على سرقوسة ، التي كانت تمثل حينئذ عاصمة الروم في الجزيرة . فلقد نزل جعفر برجاله حول المدينة وحصرها من جهة البر ، بينما سير أسطول يلزم ليحصرها من جهة البحر ، وأخذ يضيق الخناق عليها حتى نجح في الاستيلاء على بعض أرياضها .

ولما كان الحصار قد طال لعدة أشهر بلغت تسعا عند سقوط المدينة ، فقد كانت هناك نسحة من الوقت لكي يأتي أسطول من القسطنطينية (بعده الإمبراطور باسيلئوس بقيادة الأميرال ادريان) ، في محاولة يائسة لإفك الحصار عن المدينة الرومية الهامة . ولكنه عندما وصل الأسطول البيزنطي لم يستطع الوقوف أمام أسطول صقلية العربي الذي حطبه . وبذلك تم تطويق المدينة تطويقا تاما (٢٦٨) .

ولم تستطع سرقوسة مواصلة الدفاع عندما انتهى الشهر التاسع من الحصر ، فدخلها المسلمون عنوة ، وقتل من أهلها أكثر من أربعة آلاف رجل ، وأصيب فيها من الخائف ما لم يصيب بمدينة أخرى ، حتى أنه لم ينج من رجالها الا الشاذ الفذ . كما تقول رواية ابن الأثير ، وذلك في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤ هـ / ٢١ مايو ٨٧٨ م (٢٦٩) .

هدم المدينة :

وبعد أن أقام العرب مدة شهرين في سرقوسة هدموها في منتصف ذي القعدة (٢٠ يوليو) . والظاهر أن العرب هدموها عندما وصل أسطول بيزنطي في محاولة جديدة لانتقاذ المدينة أو لاستعادتها - فظفروا به ، وأخذوا منه أربع قطع ، قتلوا من فيها - حتى يقطعوا الأمل على الروم في العودة إليها . وعاد العرب الى يلزم الى آخر ذي القعدة (٣ أغسطس) (٢٧٠) .

(٢٦٨) ابن الأثير ، سنة ٢٦٤ هـ ، ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ .
 (٢٦٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦٤ هـ ، ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ . النويري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١١٧ . ابن طهاري ، ج ١ ص ١١٧ ، وأظفر تاريخ المسلمين في صقلية .
 نقسب تاريخ العالم عند الروم - المكتبة - ص ١٦٦ - (أدخلت في ٢١ مايو ١٦٨٦) .
 (٢٧٠) ابن الأثير ، سنة ٢٦٤ هـ ، ج ٧ ص ١٢٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، وقارن ابن طهاري ، ج ١ ص ١١٧ . ومن الجانب المسيحي فإن قصة سقوط سرقوسة البيزنطية وحرق حصونها وسلب أحيائها يرويها الراهب ثيوفوسيوس الذي كان بين الأبرار الذين اقتيدوا الى يلزم .
 أظفر محمد طاهي ، الأهالية ، في كتاب تاريخ تونس في العصر الوسيط ، بالفرنسية ، ص ١٤٥ ، عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الإسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٥ .

المقتل جعفر بن محمد فى مؤامرة اغلبية :

ولم يكتب جعفر بن محمد أن يستع طويلا بالنصر العظيم الذى حققه فى سرقوسة ، وذلك أنه راح ضحية عذر علمانه الصقالة الذين استجابوا لأغراء كل من الأغلب بن محمد الأغلب الملقب بـ « خرج الرعونة » ، وأبى عقاب للأغلب (بن محمد) بن أحمد ، ولى العهد السابق ، اللذين كانا محبوسين عنده بأمر من الأمير إبراهيم بن أحمد . ونجح « خرج الرعونة » فى الاستيلاء على بلرم وضبطها بمعاونة أبى عقاب ، ولكن أهل بلرم لم يطعنوا اليهما خوئبوا بهما وبمن اتصل بهما ، فأخرجوهم من صقلية الى افريقية . وآلت ولاية صقلية الى الحسن بن رباح (٢٧١) .

الحسن بن رباح :

محاولات ضد طبرمين ، وصراع غير موفق ضد الاسطول البيزنطى :

وبسقوط سرقوسة لم يبق من المدن الهامة فى صقلية بين أيدي الروم سوى مدينة طبرمين التى بدأ العرب يتطلعون الى الاستيلاء عليها ، وان كان ذلك لن يتم الا بعد حوالى ٢٥ سنة . وفى سنة ٢٦٥ هـ / ٧٨ - ٨٧٩ م سار الحسن بن رباح على رأس الصائفة لغزو طبرمين ، حيث التقى بالروم . وكانت الحرب سجالا بين الفريقين ، فبعد أن دارت الدائرة على العرب عادوا واسترجعوا شجاعته المفقودة ، فكانت لهم الكرة على الروم فهزمهم وقتلوه ، وقتلوا قائدهم البطريق (٢٧٢) .

وتقول رواية ابن عذارى ، فى سنة ٢٦٦ هـ / ٧٩ - ٨٨٠ م «التالية ، لأن صاحب صقلية (الحسن بن رباح) أغزى البروم ، فالتقى فى البحر بمراكبهم ، مما يعنى أن الغزوة كانت فى ايطاليا الجنوبية . والظاهر أن عدد المراكب الصقلية العربية كانت قليلة إذ لم تستطع الوقوف أمام الاسطول البيزنطى المكون من نحو ١٤٠ (مائة وأربعين) مركبا . فرغم أن المراكب العربية قاتلت قتالا شديدا الا أن الأمر انتهى بأن سلم البحارة العرب عددا من مراكبهم الى الروم الذين أخذوها . وفى الوقت الذى عاد المنهزمون الى بلرم ، فانتقموا بشن الغارات على من يجاورهم من الروم لعدة شهور ، وهم

(٢٧٢) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ .

(٢٧٣) ابن عذارى . ج ١ ص ١١٧ .

- ٢٦٩ -

يفنمون ويفسدون أرضهم (٢٧٣) . كان الروم يتزلون جيشا بریا فی کلابریا یقدر بحوالی ٣٥ ألف رجل لکی یحاصروا طارنت یرا بینما کان الأسطول یحاصرها بحرا حتی اضطروها الی الاستسلام بعد مقاومة عنیة فی أواخر سنة ٨٨٠ م . وبذلك لم یبق للأغالبة فی ایتالیا نفسها الا ثلاثة مواقع حصينة أهمها سبرینة (٢٧٤) .

الحسن بن العباس : قيادة غیر موفقة :

وهكذا ظهر ضعف الحسن بن رباح ، فی ولاية صقلية وقيادة جیوشها وأساطیلها ، فعهد ابراهیم بن أحمد بالجزيرة فی سنة ٢٦٧ هـ / ٨٠ - ٨٨١ م التالية ، الی الحسن بن العباس ، الذی بث السرايا ضد الروم فی نواحي صقلية ، كما خرج بنفسه الی نواحي قطانية وطبرمين ، فاقصد الزرع وقطع الأشجار ، وكذلك فعل بتاحية « بقارة » ، قبل أن یعود الی بلرم محملا بالغانم .

هذا وتشیر الرواية الی أن الروم نجحوا بدورهم فی تسیر سراياهم ضد المسلمین ، فی أيام الحسن بن العباس ، وأنهم نجحوا فی اصابة کثیر منهم (٢٧٥) . والظاهر أن الروم فی الجزيرة كانوا قد انتهزوا لثرة الاضطرابه التی أشرنا الیها بعد مقتل خفاجة وابنه محمد فاستأسدوا . وذلك انهم فی سنة ٢٦٨ هـ / ٨١ - ٨٨٢ م التالية ، نجحوا فی مواجهة سرية کان قد سیرها الحسن بن العباس بقیادة رجل یعرف بأبی ثور ، ربما کان صاحب القلعة المعروفة بهذا الاسم . وأنزلوا بها هزيمة منكرة ، اذ تقول الرواية : ان المسلمین أصیبوا کلهم غیر سبعة نفر فقط (٢٧٦) .

-
- (٢٧٣) ابن عذاری ، ج ١ ص ١١٧ ، ابن الأثیر : سنة ٢٦٦ هـ ، ج ٧ ص ١٢٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٣ . وانظر محمد طالبي ، الاغالبة ، فی تاریخ تونس فی العصر الوسيط . ص ١٥٣ (حيث كانت قيادة الأسطول البیزنطی الی أمیر البحر لزار (Nasar) السوزی الأصل وحيث تعدید موضع الحركة البحرية فی عرض البحر أمام میلازو (Milazzo) .
- (٢٧٤) انظر محمد طالبي ، الاغالبة ، فی کتاب تاریخ تونس فی العصر الوسيط ، ص ١٥٣ (والمواقع الثلاثة التی بقيت للحرب فی ایتالیا بعد سقوط طارنت ، هي : منتیة (Amantea) ، وسبرینة (Santa Severina) وتروپیا (Tropea) .
- (٢٧٥) ابن الأثیر ، سنة ٢٦٧ هـ ، ج ٧ ص ١٤٤ ، المكتبة ، ص ٢٤٤ . ابن السكيت ، المكتبة ، ص ٤٠٦ ، أما ابن عذاری فلیکن بالاشتغال الی ولاية الحسن فی سنة ٢٦٧ هـ .
- (ج ١ ص ١١٧) .
- (٢٧٦) ابن الأثیر ، سنة ٢٦٨ هـ ، ج ٧ ص ١٤٨ ، المكتبة ، المكتبة ، ص ٢٤٤ .

محمد بن الفضل : عود الى عهد القوة :

غزو اقليم قطنيا وطبرمين :

وهكذا كان من الطبيعي أن يعزل الحسن بن العباس . بعد هذا العشل .
في نفس السنة (٢٦٨ هـ / ٨٨١ م) ، وأن يعهد الأمير ابراهيم بن أحمد
بولاية جنقلية الى محمد بن الفضل (٢٧٧) ، الذي نجح في تقويم الموقف من
مواجهة الروم ، وجدد ذكريات أعمال العباس بن الفضل ، وخفاجة بن
سفيان - فقد بث محمد بن الفضل السرايا في كل النواحي التي يسكنها
الروم ، وعاد بالاطح بالجرب والاصداد في منطقة الساحل المرقى الشمالي
حيث قطنيا وطبرمين .

فلقد خرج بعد ولايته مباشرة في جيوش عظيمة ، واتجه نحو قطنيا
حيث اهلك زروعها . ووجه محمد بن الفضل مراكبه الى الشلديات التي
كانت في ميناء المدينة ، ونجح في تدمير كثير منها وقتل بحارتها . ومن
قطنيا اتجه محمد بن الفضل شمالا الى اقليم طبرمين حيث افسد زرعها ،
وعندما خرجت قوات الروم ألحق بها هزيمة منكرة حتى قيل ان المعركة
انجلت عن مقتل ثلاثة آلاف رجل من الروم ، وأنه أرسل رؤسهم الى
يلرم ، اعلنا عما حققه من الظفر .

اقتحام القلعة الجديدة : « مدينة الملك » :

وهاجم المسلمون ، في منطقة طبرمين ، القلعة الجديدة التي كان قد
بناها الروم ، وسموها « مدينة الملك » ، ونجحوا في اقتحامها عنوة ، وقتلوا
المقاتلة ، وعادوا الى يلرم محملين بمن سبوه ممن كان فيها من النساء
والذاري (٢٧٨) . واستمر الحاج محمد بن الفضل في السنة التالية (٢٦٩ هـ
/ ٨٨٣ م) على نفس المنطقة فخرج في عساكره الى ناحية روطه ، وبلغ في
مسيرته الى قطنية حيث خرب نواحيها ، وقتل وسبى وغنم ، وعاد الى يلرم
في شهر ذي الحجة (يونيو ٨٨٣ م) (٢٧٩) .

(٢٧٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦٨ هـ ، ج ٧ ص ١٤٨ ، المكتبة ، ص ٢٤٤ . ابن حاربي
ج ١ ص ١١٩ .

(٢٧٨) ابن الأثير ، سنة ٢٦٨ هـ ، ج ٧ ص ١٤٨ ، المكتبة ، ص ٢٤٤ ، تاريخ المسلمين
في حقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ ، (حيث يذكر ان اسم القائد
الرومي المهزوم في طبرمين هو برسامس : (Barsamius)) .

(٢٧٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦٩ هـ ، ج ٧ ص ١٥٩ ، المكتبة ، ص ٢٤٤ .

- ٢٧١ -

الحسين بن أحمد واليا :

ولا نعرف كيف انتهت ولاية محمد بن الفضل ، وذلك أن الحوليات للصقلية لا تشير الى أية أحداث في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٢ - ٨٨٤ م ، ثم تفاجئنا بعد سرد ما قامت به صائفة سنة ٢٧١ هـ / ٨٤ - ٨٨٥ م في منطقة رمطة ، من : التخريب ، وما عادت به من الفخية والسبي والأسر الكثير ، بوفاة أمير صقلية ، وهو الحسين بن أحمد (٢٨٠) ، مما يعنى وفاة محمد بن الفضل أو عزله في سنة ٢٧٠ هـ / ٨٢ - ٨٨٤ م ، وتولية الحسين بن أحمد الذي ينبغي إذن أن تنسب له غزوة سنة ٢٧١ هـ / ٨٤ - ٨٨٥ م .

سودة بن محمد بن خلفا :

لقيادة حازمة تبعا لتقاليد الأسرة : غارات على قطنيا وطبرمين :

وهكذا صارت اماره صقلية في سنة ٨٤ / ٢٧١ - ٨٨٥ م الى سودة ابن محمد بن خماجة (التميمي) ، الذي أعاد سيرة والده وجده العظيمين في الجزيرة . فقد خرج في نفس السنة في عسكر كبير الى مدينة قطنية حيث بث الحراب والذعر في أرجائها ، واتبع ذلك بالمسير الى طبرمين والح على أهلها بالقتال وفساد الزروع ، حيث أرغم قائد الحامية الرومية ، وحاكم المدينة المحل على طلب الهدنة . وانتهت المفاوضات بين سودة ورسول الروم الى تقرير الهدنة لمدة ثلاثة أشهر في نظير فداء ثلاثمائة أسير من المسلمين ، دفع بهم الروم الى سودة الذي رجع الى بلرم (٢٨١) .

ومع اقبال ربيع سنة ٢٧٢ هـ / ٨٨٦ م ، كانت هدنة الثلاثة أشهر قد انصرفت ، فأعاد سودة تسيير سراياه الى مواطن الروم في الجزيرة ، تفسد وتعود بالغنائم والسبي .

(٢٨٠) ابن الأثير . سنة ٢٧١ هـ ج ٧ ص ١٦٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ ، ابن عسار ، ج ١ ص ١١٦ .
 (٢٨١) ابن الأثير ، سنة ٢٧١ هـ . ج ٧ ص ١٦٧ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ . ويذكر تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم محمد الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ ، أن الذي أتى بالهدنة عليه البوليطي واهل أخرج سبي سرقوسة . وعن ولاية سودة بعد وفاة الحسن بن أحمد ان ابن عسار ج ١ ص ١١٦ .

عناد الأسطول البيزنطي والعمل على إنهاء الوجود العربي في إيطاليا :

والغريب في أمر الصراع بين العرب والروم في صقلية أن البيزنطيين لم يياسوا ، ولم يهتوا كثيرا من طول القتال ، ومما كان يرل بهم من الهزائم . ففي نفس السنة وصل أسطول من القسطنطينية ، منسحون بالعساكر بقيادة قائد اسمه ابجفور (نقفور أو نيقفوروس) الى بلاد العرب في إيطاليا ، وضرب الحصار على مدينة سبرينة (Santa Severina) ، وضيق على من بها من المسلمين حتى أنهم سلموها . اياه على الأمان ، وعادوا الى أرض صقلية (٢٨٢) . واتبع نقفور ذلك بحصار مدينة منتتينة (Amantea) حتى أرغم أهلها على تسليمها ، هي الأخرى ، والعودة الى بلرم (٢٨٣) . وبذلك فقد العرب معظم فتوحاتهم في إيطاليا ، فكان ذلك نذيرا يسوء المصير لصقلية العربية نفسها رغم محاولات ابراهيم الثاني بن أحمد (٢٨٤) .

ومما يؤسف له أن الحوليات الصقلية في كتاب ابن الأثير ، وهي التي عليها المعمول الأول في دراسة تاريخ فتوح العرب في صقلية ، تنقطع بعد سري أحداث سنة ٢٧٢ هـ / ٨٥ - ٨٨٦ م تلك ، فلا تظهر من حديد إلا بعد ١٥ (خمسة عشر) عاما ، مع أحداث سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م . ولحسن الحظ فإن حوليات ابن عسار تعاون الى حد لا بأس به في سد تلك الشفرة ، بتكملة ما يمكن اكماله من هذا الفراغ .

ثورة أهل بلرم على سودة :

فابن عسار يعرفنا في أحداث سنة ٢٧٣ هـ / ٨٦ - ٨٨٧ م ، بنهاية إمارة سودة بن محمد بن خفاجة على صقلية ، اذ وثب عليه أهل بلرم ،

(٢٨٢) ابن الأثير ، سنة ٢٧٢ هـ ، ج ٧ ص ١٦٩ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ . ابن عسار . ج ١ ص ١٢٠ . أما عن القائد البيزنطي فهو نقفور لوكاس القديم الذي سبيل حليده اللوي حمل نفس الاسم عرش بيزنطة فيما بعد . انظر محمد طالع ، الأغالبة ، في تاريخ تونس في العصر الوسيك ، ص ١٥٤ .

(٢٨٣) ابن الأثير ، سنة ٢٧٢ هـ ، ج ٧ ص ١٦٩ ، المكتبة ، ص ٢٤٥ .
(٢٨٤) والعطية أن البيزنطيين بمساعدة حلفائهم من العرب والكروات والمندوبين كانوا قبل ذلك قد استمادوا طارنت (Tarente) قبل ذلك بحوالى ست سنوات (٨٨٠ م) . مما كثر بعض الجز عن مقاومتهم لكثير من الأسباب الداخلية والخارجية مما كانت تعاني منه دولة الإغالية (انظر محمد طالع ، عن الأغالبة ، في تاريخ تونس - العصر الوسيك ، بالفرنسية ، ص ١٥٣ - ١٥٤) .

ومعظمهم من البربر وعلى أخيه وبعض رجاله - ربما بسبب ما أنزله الروم في العام السابق بأهل كل من سبرينة ومننتينه في إيطاليا - ورجهوه من قبل إلى أفريقية . « واجتمع وجوه أهل البلد على أن يرأسهم أبو العباس بن علي ، فولوه على أنفسهم » (٢٨٥) .

- والظاهر أن الأمير إبراهيم بن أحمد لم ترقه أحداث صقلية ، ففكر في رجل قوي من بطائنه ، يمكنه أن يضبط الأمور في الجزيرة ، ويقف بقوة أمام تهديدات الروم وانتقاضات أهل البلاد . ووقع اختياره على قريبه أبي مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب المعروف بحبشي (٢٨٦) ، الذي عرف بأنه كان من أبطال الرجال وشجعان القواد .

ولاية حبشي : أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب :

ولاية حبشي (أحمد بن عمر) موضع خلاف بين الكتاب . لبينا بضعا ابن عذارى هنا في سنة ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م ، نجد أن النويري يضعها سنة ٢٦٦ هـ / ٨٧٤ م على أن تستمر ٢٦ سنة أي إلى سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م ، في الوقت الذي نجد فيه توالي غيره من الولاة في حكم صقلية ، مما يجعلنا نظن أنه ربما كانت ولاية حبشي لصقلية ، وهو القائد الكبير ، شرفية ، وأنه ربما كان قد بقي بأفريقية ، وهو ينسب عنه في إمارة الجزيرة ، وقيادة عسكرها ، ففي العمليات العسكرية التي دارت في الجزيرة في سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٩ م لا تذكر رواية ابن عذارى اسم حبشي ، بل تقول إن أهل صقلية حققوا انتصارات عظيمة : فكانت لهم على الروم صولة في البر والبحر جميعا ، في ساحل ريو ، قتل فيهما من الروم أكثر من سبعة آلاف رجل . وغرق لهم نحو من خمسة آلاف ، وأخذت مراكب الروم في ميلاص ، وهرب أهل ريو .

وكان من نتيجة هذا الظفر العظيم أن أدخل الروم كثيرا من المسدن . والحصون التي تجاوز المسلمين . وظهرت سطوة أهل صقلية أيضا في إيطاليا (الأرض الكبيرة) التي تناهت عليها السرايا تغتم وتسبي ، وتعود

(٢٨٥) ابن عذارى . ج ١ ص ١٢٠ . وانظر تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ - حيث جرد الحادث منقول : « الحرب الأولى بين الجند والبربر » (٢٨٦) ابن عذارى . ج ١ ص ١٢٠ . وانظر النويري . ج ٢٢ ص ٢٢٠ - الذي يجعل ولاية حبشي لصقلية لمدة ٢٦ سنة ابتداء من ٢٦٦ هـ / ٨٧٥ م

ياحمالها الى بطرم (٢٨٧) .

والظاهر أن الانتصارات السهلة التي حققها الأغلبة في جنسوب إيطاليا ، وخاصة في وقعة ميلاص (٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م) ، جعلت الأمير ابراهيم ابن أحمد يستهين ، هو وبعطائه ، بتلك الحرب حتى أنه عهد إلى قريبه مجبر ابن ابراهيم بن سليمان ، الذي كان يناديه لحذقة الغناء ، بقيادة عسكر مسيني وكلايريا (قلورية) . واثناء عبور القائد المغني في أحد الشوانى إلى الشاطيء الايطالى أسره الروم ، وحملوه إلى القسطنطينية حيث مات في السجن هناك (٢٨٨) .

سودة بن محمد :

وفي نفس تلك السنة (٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) كانت الصائفة الصقلية إلى طبرمين . وتذكر الرواية أن القروة كانت بقيادة سودة بن محمد الذي خرب الحصار على المدينة (٢٨٩) ، وهو الأمر الذي إذا صح فإنه يعنى أن الأمير ابراهيم بن أحمد كان قد رد سودة إلى صقلية على أن يعمل تحت امره حبشى أو أن يكون مثلاً له هناك .

محمد بن الفضل ، وصلح بين مع الروم :

وبعد ذلك يسنة ، أى في سنة ٢٧٨ هـ / ٩٠١ م ، نجد أن محمد بن الفضل يعود واليا لصقلية من جديد (٢٩٠) ، ولكن يظهر من النصوص بعد ذلك أنه لم يصل إلى صقلية الا في السنة التالية (٢٧٩ هـ / ٩٠٢ م) ،

(٢٨٧) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٠ ، تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (سنة ٦٣٩٧) .

(٢٨٨) انظر الحلة السراة ، ج ١ ص ١٨٥ ، المكتبة ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ . ومجبر هذا هو الذى قال في أسره قصيدة طويلة يمت بها من محبته عند الروم . وراحت في الطريقة حتى دواها - لرقتها - منظم الناس . ولها يقول :

ألا ليت شمري ما الذى فعل الدهر
ياخروانسا يا لسروان ويا قصر
ولى آخرها يقول :

لمل الذى نعى من الحب يوسفا
وخلص ابراهيم من نار قومته
يصير أهل الأسر على طول اسرحم
على حطلات الأسر . لا سلم الأسر

(٢٨٩) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢١ .

(٢٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

حيث دخل حصرة بلرم في اليوم الثاني من شهر صفر/ ١٧ يناير ٩٠٢م (٢٩١) -
والظاهر أنه بسبب اضطراب الأحوال في ايريقية على ابراهيم بن
أحمد خعت وطأة العرب على الروم في الجزيرة ، حتى اضطر الأمير الأغلب
الى الموافقة على أن يعقد أهل صقلية ، في سنة ٢٨٢ هـ/ ٨٩٥ م ، صلحا
مع الروم لم تكن شروطه ، كما عهدنا ، في صالح المسلمين . فلقد تم الصلح
لمدة ٤٠ (أربعين) شهرا ، وإذا كان الروم قد وافقوا على فك أسر ألف رجل
من المسلمين ، فإن المسلمين في صقلية وافقوا على أن يقدموا رهائنهم الى
الروم ، ضمانا للوفاء « في كل ثلاثة أشهر ثلاثة من العرب ، وثلاثة من
البربر » (٢٩٢) .

الفتنة بين العرب والبربر :

ولا شك في أن الاضطرابات التي عرفت في ايريقية في ذلك الوقت كانت
لها أصدؤها في صقلية التي هاجت فيها الفتنة بين العرب والبربر ، في
سنة ٢٨٥ هـ/ ٨٩٨ م . ووضح من النصوص أن صاحب البريد كان يوالى
الأمير ابراهيم بن أحمد بأخبار الفتنة وأسماء المتسببين فيها . فقد أرسل
ابراهيم الى المسئولين في الجزيرة الكتب يطلب منهم دعوة الناس الى الرجوع
الى الطاعة ، ويعطيهم الأمان أجمعين ، حاشى بعض زعماء الفتنة ، وهم :
أبو الحسن يريد وولده ، وزعيم عربى آخر لا عرف الا لقبه ، وهو :
الحضرمي .

وتم القبض على هؤلاء المطلوبين الذين سيروا الى ايريقية في نفس
السنة ، حيث انتحر منهم أبو الحسن بالسهم ، مات لساعته في حصرة الأمير
ابراهيم بن أحمد . وأمر ابراهيم عقب ذلك بقتل ولدى أبي الحسن ، كما
أمر بقتل الحضرمي ضربا بالمقارع بين يديه (٢٩٣) .

(٢٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٢ .

(٢٩٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٩ . تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم عند
الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث يجعل الهدنة بين المسلمين والروم في أيام (الخوال) أمير
على سنة ٩٤٠ هـ ، التي تمادى سنة ٧٠ من هذه الفتنة بالسنة الرومية) .

(٢٩٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣١ . تاريخ المسلمين في صقلية حسب تاريخ العالم
عند الروم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث توثق البربر على الجند واسلمهم إلى الحصن وأولاده
الى أهل ايريقية سنة ٢٤٠٦) .

أبو العباس بن إبراهيم بن أحمد :

أبو العباس ، ولي العهد ، واليا والفتنة على أشدها :

والذي يفهم من ابن الأثير أن والى صقلية خلال تلك الفترة المضطربة ، كان أحمد بن عمر الأغلبى المعروف بحبشى ، الذى راباه واليا فى سنة ٢٧٣ هـ/ ٨٨٦ م ، حسب رواية ابن عذارى - مما دعانا الى الظن أن ولايته كانت شرقية ، إن لم يكن قد عزل بعد فترة قصيرة ثم عاد أخيرا الى ولايته - .
جوان الأمير إبراهيم بن أحمد استضعفه ، فعهد فى سنة ٢٨٧ هـ/ ٩٠٠ م بولاية صقلية الى ابنه رولى عهد أبى العباس ، الذى كان قائدا محترفا ، مارس الحروب وأطلقا الفتن فى افريقية وغيرها .

ووصل أبو العباس الى صقلية فى غمرة شعبان (١ أغسطس) فى أسطول مكون من ١٢٠ (مائة وعشرين) مركبا ، وأربعين حربية (٢٩٤) .
فى وقت كانت الفتنة على أشدها - فقد كان جيش العاصمة يلرم ، حيث العرب ، يهاجم أهل جرجنت ، حيث البربر ، فى بلدهم - ويتضح من مسار الأحداث أن الأمير الأغلبى أبا العباس كان على دراية بتلك الفتنة التى كانت تفتت المسلمين فى الجزيرة ، ولهذا نزل بأسطوله على مدينة طرابنش الرومية ، وحاصرها (٢٩٥) .

وكانت تلك سياسة حكيمة منه اذ أظهر أنه حضر من أجل الجهاد - الذى يمكن أن يحتج عليه المتقاتلون فيما بينهم من المسلمين - قبل أن يحضر من أجل اصلاح الأحوال فى البلاد .

حصيان أهل العاصمة :

والهم أنه عندما علم قواد عسكر يلرم بوصول أبى العباس،عادوا من جرجنت

(٢٩٤) ابن الأثير . سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . ومارى النويرى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب (حيث ينص هل أن ولاية أبى العباس لصقلية كانت حتى سنة ٢٨٤ هـ/ ٨٩٧ م ، وأنه سار اليها فى جمادى الآخرة/ يونيو) . وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ (حيث النص هل أنه وصل اليها فى ١٦٠ (مائة وستين) مركبا) .
(٢٩٥) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ . وقلون غازى المسلمين صقلية حسب تاريخ المسالك عند إيلرزم ، المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث النص على أن أبا العباس نزل فى مازد فى ٢٤ يوليو - سنة ٣٤٠٨) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٠٣ (حيث القراءه طرابة مدلا من طرابلس) .

الى العاصمة ، وأرسلوا جماعة من شيوخهم ، وعلى رأسهم قاضي المدينة ،
يصلون اليه الطاعة ، ويعتذرون عما بدر منهم ، من قصد جرجنت وقتال
أهلها ، فاستمع إليهم ثم انه سمح للقاضي بالعودة ، بينما استجوز جماعة
المشايخ لديه (٢٩٦) . ثم ان ولدا من أهل جرجنت وصل الى أبي العباس ،
وشكوا من البلرميين ، « فأخبروه أنهم مخالفون عليه ، وأنهم أبا سنجروا
مشايخهم خديعة ومكرا ، وأنهم لا إيمان لهم ، ولا عهد » ، وسألوه أن يختار
صدق كلامهم ، اذا شاء ، بأن يرسل في طلب بعض زعماء أهل بلرم من
حددوا له أسماهم ، لعلمهم أنهم لن يلبوا طلبه (٢٩٧) .

وأرسل أبو العباس الى بلرم ثمانية من مشايخ أهل الرقبة يطلبون
حضور من سماع الجرجنتيون من زعمائهم الى حضرة الأمير ، فأبشع
البلرميون ، بل أنهم حبسوا المشايخ الأتريقيين ، « مكافأة للعلة في
مشايخهم » (٢٩٨) .

وهكذا أظهر أهل بلرم الخلاف على الأمير الأغلبين ، وحشدوا حشودهم .
وفي منتصف شعبان (١٦ أغسطس) كانوا يزحفون نحو طرابنشي لمروية ،
ومقدمهم مسعود الباجي وأصحابه من زعماء الفتنة ، وعلى رأسهم وجيصل
يسمى ركموية ، كصفه الرواية ، بأنه : « أمير السلفاء » .

ولم يكنف البلرميون يعيشهم البرى ، بل أرادوها حربا كئيبة - كما
نقول الآن - فسيروا الى طرابنشي أسطولا في البحر مكونا من نحو ثلاثين
قطعة ، ولكنه لم يقدر له ان يتم مهمته اذ « هاج البحر على الأسطول » ، فغلب
أكثره وغاد الباقي الى بلرم .

هزيمة الثوار في طرابنشي :

ووصل الجيش البلرمي الى طرابنشي حيث التقى بقوات أبي القاسم .

(٢٩٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ ، ابن عذاري ،
ج ١ ص ١٣١ .
(٢٩٧) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ ، وفاروق ابن
خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ .
(٢٩٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٣١ ، وفاروق ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ،
المكتبة ، ص ٢٤٦ - حيث يقول ان أبا العباس احتل شيوخ بلرم بعد ان علم بانهم قد
جشايخ أهل الرقبة . يسمى اذ زعماء بلرم لم يكونوا في جبهة بل كانوا مستعجلين لفتنة
لقبهم بالفيروز منهم بالرحمان او المتقلين .

ولم يكن اللقاء الأول حاسماً ، رغم أنهم اقتتلوا أشد القتال ، فقتل من الفريقين جماعة والفرقوا . أما اللقاء الثاني الذي وقع في يوم ٢٢ شعبان (٢٢ أغسطس) ، فاستمر من الصباح الى وقت العصر ، عندما انهزم جيش البلرميين ، بعد أن قتل منهم عدد كثير ، وتبعهم أبو العباس الى بلرم في البر والبحر (٢٩٩) .

هزيمة ثانية للعصاة علي أبواب بلرم :

ورغم الهزيمة فلم يستكن الثوار المجاهدون الذين اتخذوا الحرب صناعة وطنية لهم ، إذ أنه عندما اقترب أبو العباس من بلرم نفسه عادوا الى قتاله ، بعد أن جيشوا أهل البلد ، في العاشر من رمضان / ٨ سبتمبر ٩٠٠ م . واستمر القتال من الصباح الباكر الى العصر عندما انهزم البلرميون . ووقع السيف فيهم الى المغرب (٣٠٠) .

النجوء الى بلاد الروم :

وهكذا انتهت فتنة بلرم بدخول أبي العباس المدينة وسيطرته على أرباعها التي وزع عليها قواده في عشرين من رمضان (١٨ سبتمبر) . ولكنها كانت نهاية تمسة بالنسبة للفرقة الصقليين من أهل العاصمة ، الذين انتهبت أموالهم ، كما هرب كثير من رجالهم ونسائهم لاجئين لدى الروم . وكذلك هرب زعماء الفتنة مثل : « دكمويه » وأقرانه من رجال الحرب الى بلاد النصرانية كالقسطنطينية وغيرها (٣٠١) . والمقصود بذلك أنهم لجأوا الى الأرض الكبيرة في إيطاليا ، عبر مضيق مسينا ، على ما ظن ، حيث كانت هناك مجالات واسعة لنشاطاتهم الحربية ، مع العرب أو الروم ، أو مع غيرهم من الفرنج .

(٢٩٩) ابن الأثير . سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ص ٢٤٦ ، ولقد ابن طهاري ج ١ ص ١٢٦ .
 (٣٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٠ ، المكتبة ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، والمطر ، تاريخ المسلمين في صقلية ، المكتبة ، ص ١٦٧ - حيث النص على أن (أبا العباس) أخذ بلرم بعد معركة كبيرة في ٨ سبتمبر سنة ٣٤٠٩ .
 (٣٠١) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، ولقد ابن طهاري ج ١ ص ١٢٦ ، الفوري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٦ .

أبو العباس في طبرمين وقطانيا :

وبعد أن ملك أبو العباس المدينة ، وعمل على إقرار الأمور فيها : فأمن أهلها ، واكتفى بأخذ جماعة من أعيانها وجههم إلى والده في إفريقية ، بدأ ولايته العملية بالمسير إلى طبرمين التي كانت تروا إليها أصحاب المجاهدين منذ مدة طويلة ، فقطع كرومها ، وشن الحرب على الروم فيها .

ومن طبرمين سار أبو العباس جنوباً إلى قطانيا ، وضرب عليها الحصار ، ولكنه لما لم ينل منها غرضاً ، رجع إلى المدينة ، أي بلرم ، حيث قضى فصل الشتاء (٣٠٢) .

حصار دمنش ، وأخذ ريو :

وعندما تحسنت الأحوال الجوية وطاب الزمان في مطلع صيف سنة ٢٨٨ هـ / ٩٠١ م ، تجهز أبو العباس للغزو عصر الأسطول وسيره في أول ربيع الآخر (٢٥ مارس) ، ليحط على مدينة دمنش ، التي تفتتح عليها المجانيق وأخذ يضرب أسوارها بالهجارة - والظاهر أنه لم يرد أن ينهك قواه على أسوار دمنش ، فانصرف عنها بعد أيام إلى مسيني ، من حيث عبر البحار في « الحربية » إلى مدينة ريو المقاتلة ، حيث كان قد اجتمع فيها جيش رومي كبير .

وعندما نزل عسكر أبي العباس إلى البر الإيطالي في شهر رجب (يونيو) ، لقبهم الروم على باب المدينة ، ولكن العسكر الأغلب تمكن من هزيمتهم هزيمة تامة ، ودخل المدينة عنوة ، وحصل فيها على مغانم عظيمة . وإلى جانب ما غنمه أبو العباس في ريو من أحمال الذهب والفضة ، فإنه شحى مراكبه بالدقيق والامتعة ، وعاد راجعاً إلى مسيني . ورواية ابن الأثير هنا لا تذكر ، ماذا كان من أمر ريو ، وإن كانت قد بقيت فيها حامية إسلامية ، مما يرجح أنه تم الصلح بين أهلها وبين العرب ، رغم قسح العنوة . وهذا ما يمكن أن يفهم من رواية ابن عذاري التي تذكر أيضاً أنه استعانت له حصون ، وأعطوه الجزية (٣٠٣) .

(٣٠٢) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ - المكتبة ، ص ٢٤٧ ، ابن خلدون ،

ج ٤ ص ٢٠٦ .

(٣٠٣) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ - المكتبة ، ص ٢٤٧ ، ولقد ابن

عذاري ، ج ١ ص ١٣٦ ، والنويري ، ج ٢٢ ص ١٢٠ ب . تاريخ المسلمين في صقلية ، ص ٠٠٠

المكتبة ، ص ١٦٧ (حيث النص على أخذ ريو في ١٠ من شهر يونيو سنة ٢٨٩ هـ) .

وفي مسيى التقي أبو العباس بأسطول رومى كان قد وصل لثوره من القسطنطينية ، فهاجمه وأخذ منه ثلاثين مركبا . وبعد أن هدم سور مسيى رجع الى المدينة بلمر ، ليقضى فصل الشتاء (٣٠٤) .

استدعاء أبي العباس الى افريقية :

وهكذا تنتهى ولاية أبي العباس بن ابراهيم بن أحمد لصقلية التى استمرت حوالى سنتين ، ملاها بأعمال البطولة والفتوة ، ومزج فيها أعمال السيف بأعمال القلم . وفي ذلك أنشد أبو العباس فى دواء شره بصقلية : فقال :

شربت الدواء على غربة بعيدا عن الأهل والمنزل
وكننت اذا ما شربت الدواء تطليت بالمسك والمنديل
فقد صار شرى بحار الدماء ونقع المعاجاة والقسطل (٣٠٥)

وبذلك قطع أبو العباس دابر الفتنة ، وأقر الأمور فى الجزيرة ، وأعاد للجهاد فى صقلية وإيطاليا ، أيام عزه وإمجاده . وكان والده ابراهيم بن أحمد ، الذى أظهر التوبة والنسك فى أواخر أيامه ، قد قرر أن يهب ما تبقى من عمره للجهاد فى صقلية ، قري لله وزلفى ، وكتب اليه يأمره بالخودة سريعا الى افريقية . واستجاب أبو العباس لأمر والده ، وترك العسكر مع ولديه أبي حضر (زياد الله) وأبي معد ، ورجع الى افريقية « جريدا » ، فى خمس قطع من المراكب المعروفة بالشوانى . وعند وصوله استخلفه أبوه ابراهيم ابن أحمد كنائب له على البلاد ، بينما تجهز هو الى الجهاد ، فأخرج ما كان قد أدخره من المال والسلاح ، وهو يظهر العزم على أن يتبع الجهاد بالحق (٣٠٦) .

ابراهيم بن أحمد مجاهدا فى صقلية :

وسار ابراهيم بن أحمد من القيروان الى سوسة ، أرض الرباط وقاعدة العمليات العسكرية فى صقلية وإيطاليا ، « فدخلها وعليه فرو مرقع فى رضى الزهاد » ، وذلك فى مطلع سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ - ٩٠٢ م (٣٠٧) ، وكان قد تم تجهيز الأسطول الذى لم يدخر وسعا فى سبيل اعداده .

(٣٠٤) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٧ .

(٣٠٥) انظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٧٥ .

(٣٠٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧ ص ٢٠١ ، المكتبة ، ص ٢٤٨ ، سنة ٢٦٦ .

ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٢ ، وانظر فيما سبق ، ص

١٤٥ - ١٤٦ .

(٣٠٧) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٠ .

وعندما اطمأن الأمير الى أن كل شيء متعلق بإعداد الحسلة وتجهيزها على ما يرام ، سار من سومرة في الاسطول الى صقلية حيث نزل في أواخر شهر رجب سنة ٢٨٩ هـ (أوائل يولييه) على مدينة نرطونا (Neritimum) وملكنها . وفي صقلية أظهر ابراهيم بن أحمد العدل وأحسن الى الرعية - في سبيل تهيئة كل امكانات الصقليين للجهاد - وفي ذلك تقول الرواية انه فرق الخيل والسلاح على أصحابه وأمر بالعطاء ، فأعطى الفارس عشرين دينارا والراجل عشرة . ومن هناك سار في البحر الى طرابنش حيث أقام ١٧ (سبعة عشر) يوما يعطى الأرزاق لمن معه . ومن طرابنش رحل الى بلرم فوصلها في ٢٧ شعبان (٨ أغسطس) . وفي بلرم أقام ابراهيم بن أحمد أربعة عشر يوما ، أمر فيها برد المظالم ، وأعطى أهل المدينة (بلرم) ومن كان بها من الغزاة البحرين الأرزاق (٣٠٨) .

الاستيلاء على طبرمين :

وبعد أن أتم ابراهيم جهازه ، سار الى طبرمين التي كانت هدفا عزيزا على ولاية صقلية ، وقواد جيوشها ، منذ سنوات وسنوات . وعرف أهل طبرمين قصد الأمير الأغلبى ، فكانوا على أتم الاستعداد للقائه بمجرد وصوله أمام أسوار مدينتهم .

وأعد ابراهيم بن أحمد قواته في هيئة القتال ، وأخذ القراء في قراءة الآيات القرآنية التي تحض على الجهاد ، فقرأ القارىء : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ، ولكن الأمير أمره بأن يقرأ الآية التي تقول : «هذان خصمان اختصموا في ربهم » . وعندما انتهى القارىء دعا ابراهيم ربه ، وقال : « اللهم انى اختصم أنا والكفار اليك فى هذا اليوم » ، فكان هذا الدعاء بمثابة إشارة للبدء بشن الهجوم على قوات طبرمين الرومية . وكان الأمير ابراهيم نفسه أول المهاجمين : « فحمل ، ومعه أهل البصائر فهزم الكفار ، وقتلهم المسلمون كيف شاموا » .

ويظهر من الرواية أن هجوم القوات الأغلبية كان من العنف والشدّة بحيث أنه لم يسمح للروم بالعودة الى المدينة والإعتصام بأسوارها . إذ عندما

(٣٠٨) التوريق : المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ بـ . ابن الأثير ، سنة ٢٨٧ هـ ، ج ٧

ص ٢٠٩ ، المكتبة ، ص ٢٤١ .

كان الروم يتهزمون الى الداخل عبر الأبواب كان المسلمون يدخلون معهم المدينة عنوة ، وهكذا اندثمت جماعات من العسكر الرومي الى المراكب الموجودة في الميناء ، وهربوا فاجن بأنفسهم بينما التجأت جماعات أخرى الى حصن المدينة واعتصموا به . وهؤلاء احاط بهم الجند الأغلب ، و قاتلوهم فاستنزلوهم قهرا ، وغنموا أموالهم ، وسبوا ذراريهم ، وذلك في يوم ٢٢ شعبان من نفس سنة ٢٨٩ هـ / ٢ أغسطس ٩٠٢ م . وبذلك فتحت طبرمين عنوة ، وأمر إبراهيم بن أحمد بقتل المقاومة ، وبيع السبي والغنيمة (٣٠٩) .

صدى سقوط طبرمين في القسطنطينية :

وكان للتح عاصمة الاقليم الشمالي الشرقي من صقلية رنة حزن شديدة في القسطنطينية ، حيث أعلن الامبراطور الخداد ، كما كانت تقضى رسوم المملكة او كما رأى الملك رسمه في تلك المناسبة : « فبقى سبعة أيام لا يلبس التاج ، وقال : « لا يلبس التاج محزون » (٣١٠) .

ابراهيم بن احمد وفكرة الحج عن طريق القسطنطينية :

ولا شك أن الرواية العربية تبالغ عندما تقول ان الروم الذين حالهم الامر قرروا ارسال حملة كبيرة لحفظ ما كان قد تبقى بأيديهم من الجزيرة ، ولكنهم خشوا أن يقصد ابراهيم بن أحمد ، بعد ذلك النصر الكبير ، القسطنطينية نفسها ، حتى أن الملك احتاط للامر فترك في عاصمته قوات كبيرة قادرة على حمايتها (٣١١) . وأغلب الظن أن هذه الفكرة هي أصل الرواية التي قالت ان ابراهيم بن أحمد ، عندما تنسك وترك المملكة كان يفكر في الذهاب الى الحج ، ولكنه عاد وقرر أن يجمع بين الحج والاجهاد ، ورأى أن يكون

(٢٠٩) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤١ ، وقارن الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢١ ب ، التتاج الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٩٢ ، تاريخ صقلية من حين دخلها المسلمون حسب تاريخ العالم عند الروم ، المكتبة ، ص ١٦٨ (حيث النص على انه طبرمين في أول يوم من شهر أوسه سنة ٣٤١٦) ، والمظفر عزيز أحمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ، بالانجليزية ، ص ١٧ - حيث الإشارة الى ما نص عليه بعض الكتاب البيزنطيين من التمسك قواعدهم وبفسهم قائد البحر الأصملي يوستاثيوس أرججر (Eustathius Arggrus) بالنقص الاجرامى ، بل بالخيانة والعدو ولم ان يوستاثيوس اعيد الى منصبه مباشرة منحة الامبراطور ليو الرابع .

(٣١٠) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤١ .

(٣١١) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ .

حجة عن طريق صقلية ، مما يعنى أن صقلية كانت محطة في الطريق الى
القسطنطينية والمشرق ، وهى الفكرة التى أثارت خيال الكتاب العرب ، وهما
ربما الحرب والسياسة أيضا ، منذ فتوح المغرب أو فتح الأندلس .

فتوح ابراهيم بن أحمد بعد طبرمين :

والهم أن ابراهيم بن أحمد ، بعد أن ملك طبرمين ، بث سراياه لى مدن
صقلية وقلاعها التى كانت ما زالت بين أيدي الروم لى المنطقة ، فوجد بعضها
قد تركها أهلها ، وجلو عنها ، مثل : ميقش ، التى هاجمها حليده زيادة الله
ابن أبى العباس ، ودمش ، التى سب إليها ولده أبا الأغلب ، بينما أذهن
بعضها وعرض الصلح على دفع الجزية ، ولكن القادة العرب لم يقبلوا إلا تسليم
الحصون نفسها ، مثل : رمطة التى سار إليها ابنه أبو مضر ، والياج ، التى
سار إليها سعدون الحلوى (٣١٢) .

حصار كسنته (Cosenza) ، ومرض ابراهيم :

وسار ابراهيم بن أحمد الى مسيني ، حيث أقام بها يومين ، ثم انه أمر
عسكره بالتعمدية الى قلورية (كلايريا) فى يوم ٢٥ رمضان (٣ سبتمبر) .
وسار حتى قرب من مدينة كسنته . ورفض ابراهيم ما عرضه عليه أهل
كسنته من طلب الأمان ، وأمر عسكره بالتقدم الى المدينة ، بينما بقى هو فى
الساقة ، إذ ألم به الضعف من المرض الذى مات فيه . ونزلت العساكر فى
الوادي ، وأحاطوا بالمدينة . وفى ٢٥ من شوال (٢ أكتوبر) لرق أبناءه
وحفدته وكبار قواده على أبواب كسنته ، وأمر بالزحف عليها ، بينما بدأت
المجانيق تضرب الأسوار بجاراتها (٣١٣) .

وفى نفس هذا الوقت زاد بالأمير المرض ، وهو علة الذرب ، أو البطني ،
الذى اشتد عليه ، واضطره الى الانفراد بعيدا عن العسكر . وكان لغياب الأمير
آثره فى هبوط مستويات الجند الذين لم يجتهدوا فى قتال كسنته ، كما تقول

(٣١٢) ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، الدورى ،
المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ .
(٣١٣) الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٤ ، ابن الأثير ، سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص
١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٠٤ (حيث الآراء : كسنه تبدأ من
كسنته) .

رواية ابن الأثير . وزاد اشتداد المرض بإبراهيم حتى منعه النوم ، وأخيراً عندما أصابه الفواق ، كان ذلك يعنى إعلان وفاته التي وقعت في ليلة السبت ١٨ من ذي القعدة سنة ٢٨٩ هـ / ٢٥ أكتوبر ٩٠٢ م (٣١٤) .

زيادة الله بن أبي العباس واليا :

واجتمع قواد المسكر ، وبعد أن تشاوروا فيما بينهم ، قرروا أن يؤول القيادة الى حفيد إبراهيم بن أحمد ، وهو أبو مضر زيادة الله بن العباس ، الذي عرضها بدوره على عمه أبي الأغلب الذي لم يتقدم على زيادة الله ، لأنه كان يحب السلامة . وهنا عرض زيادة الله على أهل كسنته الأمان الذي كانوا له طلبوه ، وهم لا يعرفون بوفاة الأمير ، فأجابوا .

وعندما عادت سرايا التي كانت قد سارت الى نواحي كسنته ، عاد المسكر بأجمعه ، وهم يحملون تابوت إبراهيم بن أحمد الى بلرم ، ومنها أرسل الى القيروان ليدفن هناك (٣١٥) .

عزل زيادة الله :

ولم تطل ولاية زيادة الله لصقلية الا الى أقل من ستة أشهر ، إذ استدعاه والده أبو العباس الى الفريقية بسبب : « اعتكائه غسل اللهو وادمانه شرب الخمر » ، كما تقول رواية ابن الأثير (٣١٦) ، ولو أننا نفضل رواية ابن عداري ، التي نصت على أنه : « وشى به اليه أنه يريد الانتزاع عليه » ، ويرجع ذلك ما تضيفه الرواية من أن زيادة الله عندما عاد الى الفريقية في ٢٠ جنادى الأخيرة من سنة ٢٩٠ هـ / ٢٢ مايو ٩٠٣ م ، أخذ أبوه ما كان معه من الأموال والعنة وحبس داخل القصر ، كما حبس جماعة من أصحابه الذين كانوا معه (٣١٧) .

(٣١٤) ابن الأثير سنة ٢٦١ هـ ، ج ٧ ص ١١٢ ، المكتبة ، ص ٢٤٢ ، أبو الفيداء ، المكتبة ، ص ٤٠٦ ، الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ (حيث وثق إبراهيم بن أحمد في ١٢ من ذي القعدة / أكتوبر) ، وانظر انتاج الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٩٢ « حيث وفاة إبراهيم في ١٣ من ذي القعدة » .

(٣١٥) الدورى ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ١٢٢ - ١٢٤ هـ ، حيث يقول ابن إبراهيم دفن في بلرم ، وانظر انتاج الدعوة ، ص ٩٢ . أما ابن الأثير (سنة ٢٨٩ هـ ج ٧ ص ١١٣ ، المكتبة ، ص ٢٤٢) الذي أخذ روايته هنا فيصير على أنه دفن في القيروان ، وهو الأمر الذي لم يلبس من ابن خلفون (ج ٤ ص ٢٠٤) .

(٣١٦) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٩ ، المكتبة ، ص ٢٤٦ .

(٣١٧) ابن عداري ، ج ١ ص ١٣٤ ، وانظر فيما سبق ، ص ١٥٩ .

محمد بن السرقوسي واليا لصقلية :

وعهد أبو العباس بولاية صقلية الى القائد محمد بن السرقوسي (٣١٨) ، الذي يتصح من اسمه انه صقل اصيل ، من أبناء جيل المجاهدين الأول في الجزيرة . وهذا الامر له أهميته ، من حيث انه يعنى انه ، بعد ثمانين سنة من غزو الجزيرة ، أصبح من الممكن أن تؤول ادارة شؤون صقلية ، من : جهاد وغيره الى أبنائها ، بعد أن كان حكامها من رجال الأغالبة الوافدين من افريقية . ولا شك انه كان في ذلك تعرضية للصقليين المعتزين بأنفسهم ، بصفتهم المجاهدين أولا وقبل كل شيء ، دون غيرهم من أهل المملكة الأغلبية ، والذين كانوا قد بدأوا يسبون المتاعب لأمير القيروان منذ مدة ، كما رأينا ، وخاصة في ذلك الوقت الذي كان الشيعي يشكل خطرا داهما على الأغالبة في افريقية .

فكان تولية السرقوسي كانت تعنى له الى حد ما - ترك جبهة صقلية لأهلها ، فهم أدري بما فيها ، ولو لفترة من الوقت تسمح بتوجيه كل الجهود الى الشيعي ومن معه من كتامة . وذلك ما يرجحه سكوت حوليات ابن الأثير وغيره عن أحداث صقلية طوال عهد زيادة الله تقريبا ، باستثناء الإشارة ، في سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م ، الى عودة السفارة التي كان قد أرسلها الى بلد الروم ، ومعها رسول صاحب القسطنطينية ، والتي ربما كان هدفها اقرار الهدنة بين الطرفين (٣١٩) .

أحمد بن أبي الحسين بن رباح واليا :

وفي السنة التالية (٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م) ، عزل زيادة الله والي صقلية : محمد بن السرقوسي ، واستعمل بدلا منه أحمد بن أبي الحسين بن رباح ، وهو أيضا سليل قواد الجزيرة وولاتها (٣٢٠) .

الصقليون يخضعون طاعة الأغالبة ويعترفون بأبي عبد الله الشيعي :

ولم يبق الوالي الجديد في منصبه الا حوالي سنة واحدة ، وذلك انه عندما

(٣١٨) ابن الأثير ، سنة ٢٨٩ هـ ، ج ٧ ص ٢٠٦ ، المكتبة ، ص ٢٤٩ ، وانظر الديري - المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ - حيث اللزاة الخاطئة : « محمد بن أبي القواس » .
(٣١٩) انظر نيسا سبق ، ص ١٧٧ .
(٣٢٠) الديري ، المخطوط ، ج ٢٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٠ ب .

غاز الشيعي بأفريقية في السنة التالية (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) ، ونبأ أهل صقلية عليه ، وانتبهوا حاله وحبسوه ، وولوا على أنفسهم علي بن أبي الفوارس حتى ١٠ من رجب سنة ٢٩٦ هـ / ١٥ أبريل ٩٠٩ م . وبعث الصقليون بأحمد ابن أبي الحسين بن رباح إلى أبي عبد الله الشيعي وكتبوا إليه أن يبقى على « ابن أبي الفوارس » ، فأجابهم إلى ذلك ، وكتب إليه أن يغزو بسرا وبحرا (٣٢١) .

وبذلك كان أحمد بن أبي الحسين بن رباح آخر ولاية الأغالب في صقلية، وكان على بن أبي الفوارس أول من حكم الجزيرة باسم الفاطميين .

الحسن بن أحمد بن أبي خنيزر ، أول والي فاطمي :

ولكنه عندما دخل المهدي رقادة ، تعود أخبار صقلية متواترة على طول الحوليات . ولقد بدأ ذلك بتعيين الحسن بن أحمد بن أبي خنيزر واليا على صقلية في أواخر سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م ، وهو ما سنعود إليه - انشاء الله - عند دراسة العصر الفاطمي في أفريقية والمغرب .

الفصل الثالث

الدولة الرسمية

في تاهرت وجبل نفوسة
(١٦١١ هـ / ٧٧٧ م - ١٢٩٦ هـ / ١٩٠٨ م)

قيام الرستميين في تاهرت :

رغم أن دولة الأغالية كانت مثلة الخلافة ، صاحبة الحق الشرعي في حكم بلاد المغرب من أقصاها إلى أقصاها ، إلا أن استقلالها كان نتيجة طبيعية للأوضاع السياسية في المغرب في ذلك الحين . فالرستميون كانوا قد اقتطعوا المغرب الأوسط بينما كان الإدارة في طريقهم إلى تثبيت أقدامهم في المغرب الأقصى بمعنى أن الرشيد عمل على إيجاد نوع من توازن القوى عندما هب عبد الأفرقية إلى ابن الأغلب . ومؤسس أسرة الرستميين هو عبد الرحمن بن رستم ابن بهرام الفارسي ، وكان بهرام جده من موالى عثمان بن عفان ، ولو أن الكتاب يجعلون له نسباً يرتفع به إلى ملوك الفرس القدماء (١) أما عن كيفية هجرته إلى الأفرقية فتقول الرواية أن أباه رستم قدم من العراق إلى مكة وبصحبه زوجته وابنه عبد الرحمن ، لأداء فريضة الحج فمات ، فتزوجت امرأته برجل من أهل القيروان حمينا وابنها عبد الرحمن معه عند عودته إلى بلده (٢) . وترى عبد الرحمن بن رستم في القيروان وأخذ العلم عن فقهاءها وعال إلى تعاليم الخوارج ، ووقع تحت تأثير سلامة بن سعيد الذي كان يدعو إلى مذهب

(١) يقال أن جده هو بهرام بن ذي شراز بن سابور بن ناكان من سابور في الإكتاف

الملك الفارسي . انظر الكرى ، ص ٦٧ وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، الدرجيني ، طبقات الأماشيّة ، المخطوط ورقة ٩ (ط الجزائر ، ص ١٩) عن نسب عبد الرحمن . ص ٢٠ = ١ (ط الجزائر ، ص ٤٢) عن نسب ميمون حفيد عبد الرحمن .

(٢) الدرجيني ، طبقات الأماشيّة ، المخطوط ، ورقة ٩ (ط الجزائر ص ١٩ - ٢٠)

حيث تقول الرواية المتقدمة الطابع أن رستم والد عبد الرحمن عندما سار إلى الحج كان يقصد الذهاب إلى المغرب عن طريق مكة حيث أنه كان خبيرا بعلوم النجوم وأنه كان يعرف أن طريقه سئل بلاد المغرب ، وانظر الشماخي ، سمع عليه جيل نفوسة ، ص ١٤٢ -

الأباضية (٢) - ولما بلغ مبلغ الشباب رحل الى البصرة حيث درس على ائمة المذهب هناك ، ومنهم أبو عبيدة مسلم بن أبي سريمة التميمي ، مع بعض اخوانه من المغاربة - وبذلك أصبح واحدا من خمسة هم « حملة العلم » . كما ذكرنا من قبل (٤) .

وعندما عاد عبد الرحمن أدراجه الى المغرب جد في تحقيق أمنية شيخه سلامة بن سعيد الذي كان يقول : « وددت أن يظهر هذا الأمر يوما واحدا فما أبالي أن تضرب عنقي » (٥) ، فاشترك في ثورة طرابلس بقيادة أبي الخطاب ، وعندما استخلص هذا الأخير مدينة القيروان من صفورية ورفجومة عهد اليه بولايتها - وبقي عبد الرحمن بن رستم بالقيروان الى أن قدم محمد بن الأشعث بالقوات العباسية فخرج تلبية لنداء أبي الخطاب ، ولكنه عاد من قايس عندما رأى هزيمة الأباضية قبل أن يفر من القيروان خفية نحو المغرب الأوسط سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م (٦) - ورغم ما تقوله بعض الروايات من أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره أي في سنة ١٤٤ هـ أو بعدها بقليل (٧) ، فالأقرب الى الصحة أن ابن رستم لم يفكر في ربط مصيره وأتباعه بالمغرب الأوسط الا بعد أن فشلت محاولاته في العودة من جديد الى أفريقية - ففي سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م اشترك ابن رستم مع بقية الخوارج من أباضية وصفورية في حصار عمر بن حفص في طبنة ، وانتهى الأمر بالانهزام الى تاهرت (٨) - ولظاهر أن المقصود بتاهرت هنا ليست المدينة بل أرض تاهرت أي اقليمها - فابن عذارى يحدد اختطاط تاهرت الرستمية في سنة ١٦١ هـ / ٧٧٧ - ٧٧٨ م (٩) ، وهو

(٣) انظر الدجيني (الطقات ، المخطوط ، ورقة ٦ ، ط الحرائر ، ص ١١) السدي يسجل رواية الأباضية التي ترجع الى الامام الملح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم من مذهب استشار مذهب الأباضية والصفورية ، والتي تقول ان اول من دعا الى هذين المذهبين في القيروان افريقية هما - سلامة بن سعيد وعكرمة مول ابن عباس اللذان قتلما من البصرة ، وان سلامة كان يدعو الى مذهب الأباضية بينما كان عكرمة يدعو الى مذهب الصفورية -

(٤) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤١ وهامش ٥ .

(٥) السامري ، ص ١٢٣ ، والدجيني ، طقات الاباضية ، ورقة ٦ (ط الجزائر ، ص ١١ - ١٢) حيث النص « وددت أن لو ظهر هذا الأمر يوما واحدا من أول النهار الى آخره فلا أسف على الحياة بعده » وانظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣١٩ و ٣٠ .

(٦) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٤٥ .

(٧) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢٣ والترجمة ، ج ١ ص ٢٤٢ ، النويري ، ص ٩٢ .
لوترجمة (ابن خلدون) ج ١ ص ٢٧٥ .

(٨) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٩) البيان ، ط - كولان - ص ١٩٦ .

الامر الذي تؤيده روايات الأباضية عن اقامة ابن رستم فيها بين سنة ١٦٠ هـ و سنة ١٦٢ (١٠) ، أى بعد أكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبد الرحمن من العبروان وعشر سنوات من انهزامه فى طنبنة ، وذلك امر منبوهل .

وهذا لا يعنى أن تاهرت لم تكن موجودة قبل ذلك التاريخ ، فالمدينة قديمة يرجع الى العصر الرومانى ثم البيزنطى (١١) ، ولقد جاء ذكرها أيام الفتوح الأولى سنة ٦٦٢ هـ / ٦٨١ - ٦٨٢ م فى حملة عقبة بن نافع التى استشهد فيها (١٢) . فللكى يستقر ابن رستم وأتباعه الذين جاؤا من بلاد افريقية وطرابلس فى المغرب الأوسط كان لابد لهم من تنظيم دعابة واسعة النطاق لنشر تعاليم المذهب الأباضى بين قبائل المنطقة ، ونداء هذه القبائل الى تأييد ابن رستم ، وهذا امر طبيعى يتطلب تنفيذ حوالى خمسة عشر عاما . ولقد ساعد على نجاح دعوة ابن رستم أن المنطقة التى نزلها تعتبر امتدادا لبلاد الراب ، وأن كثيرا من قبائلها من لواته وهوارة وزواغة ومطاطة (١٣) أصلها من أقاليم المغرب الشرقية فى طرابلس ونفزاوة وبلاد الجريد - مهد الدعوة الأباضية . ولقد سهّل هذا الأمر مسير كثير من أباضية تلك الأقاليم الى ابن رستم حيث أقاموا بين بنى جلدتهم فى المغرب الأوسط . (انظر شكل ٥ ص ٢٩٢) .

اما عن السبب فى اختيار منطقة تاهرت مركزا للدعوة فيرجع أولا الى أنها منطقة داخلية منطوية على نفسها - فرغم أن تاهرت على رأس الطريق الموصل من منطقة التلول الى أسافل وادى شلف المؤدى الى البحر ، ورغم أنها معلقة فى أعلى المنطقة الجبلية (تلول منداس) على ارتفاع ١٠٠٠ متر الا أنها تقع على السفح الجنوبي للجبل - جبل كروك - (الذى يرتفع الى ١٢٠٠ متر) (١٤) بمعنى أنها توجه أنظارها نحو الداخل ، وتدير ظهرها للبحر . وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتازا بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب ، وترجو أن تعيش فى أمان - فى حاضرها على الأقل - بعد أن فشلت فى الاحتفاظ بانتصاراتها فى عواصم المغرب الشرقية .

(١٠) آيو دكريا . كتاب السير واخبار الآلة . المطرط ، ص ١٢ - ١٠ . الدرجيني

حلبات الأباضية . المطرط ، ص ١٩ - ١ (ط - الجزائر ، ص ٤٠ - ٤١) .

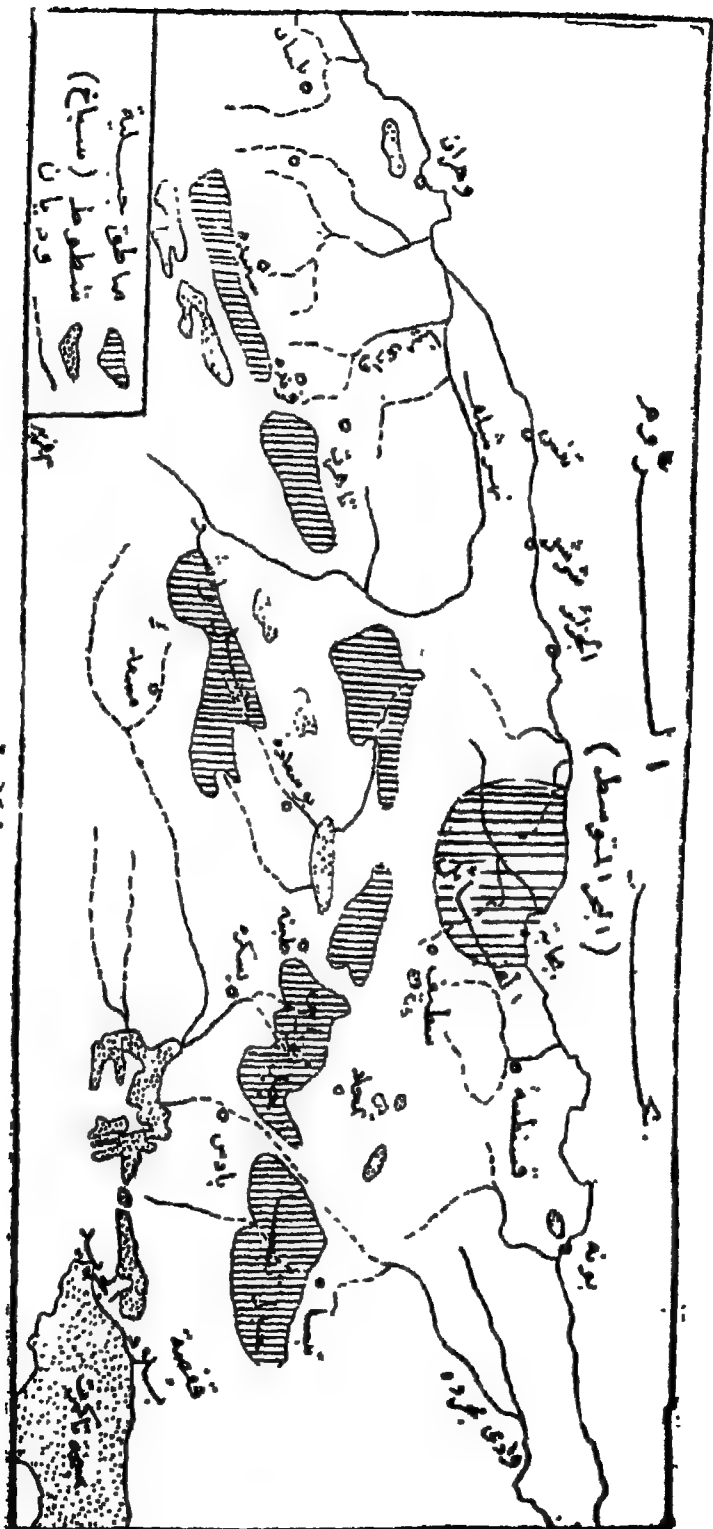
(١١) ص خراف تاهرت الرومانية والبيزنطية انظر :

Gautier : Le passé de l'Afr du Nord, p. 322

(١٢) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ١٩٧ .

(١٣) انظر البكرى ، ص ٦٧ (يكتب لواته بالهاء : و لواطه) .

(١٤) انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، وانظر أيضا Gautier: op. cit., p. 328



شكل رقم (٥).
الخليج العربي

وزعم وعورة المنطقة وقسوة طقسها وخاصة في فصل الشتاء حيث يغزو الفيوم والأمطار ، وتسقط الثلوج وتشتد البرودة . ويعز الدفء ، مما كان موضوعا لنكت الظرفاء وشعر الشعراء (١٥) ، فإن المنطقة عرفت بثروتها الزراعية وكثرة مراعيها الغنية على وجه الخصوص ، وهي مدينة بذلك لكثرة مياهها . ساهرت « على نهر كبير يأتيها من ناحية الغرب يسمى مية (مياس) ولها فهر آخر يعبر من عيون تجتمع يسمى فانس ، ومنه تشرب أرضها وبساتينها ، وبالقرب منها نهر سيرات ، وهو نهر كبير مشهور يقع في البحر عند مدينة أزواوا ، وهي مدينة قديمة رومية » (١٦) . وينوء كل الجغرافيين بكثرة ذروعها وبساتينها ، ولكنهم يؤكدون شهرتها كإقليم للمراعي والانتاج الحيواني . وفي ذلك يقول ابن حوقل عن تاهرت : « وهي أحد معادن اللواب والماشية والغنم والبقال والبراذين الفراهية » (١٧) . والحقيقة أن صفة الرعي هي الغالبة على بلاد المغرب الأوسط ، « فهي كثيرة الخصب والزرع ، كثيرة الغنم والماشية ، طيبة المراعي ، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها » (١٨) وعلى أساس طبيعة المنطقة يفسر جوتيه (استنادا إلى ابن خلدون) طبيعة الإمارة الرستمية : فهي مملكة بترية أي بدوية (١٩) ، على عكس الممالك

(١٥) من ذلك ما يقال من أن أحد أهل تاهرت سئل كم عدد شهور الشتاء عندكم ؟ فأجاب ثلاثة عشر شهرا (ابن عداري ، ج ١ ص ١٩٨) . كما يقال أن بعض التاهرتيين ذهب إلى مكة لقضاء فريضة الحج فلما رأى توقد الشمس بكفة نظر إليها وقال : « أحرى ما شئت فراءه أنك بتاهرت لذيلة » . وفي بردها قال أبو بكر بن حماد (توفي سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

ما أصعب البرد وريحته	وأطرف الشمس بشاره
تيسر من العيم إذا ما بدت	كانها تنفر عن كعبه
فمن في حجر بلا لجة	تجري بنا الريح على السمت
تفسح بالشمس إذا اشرفت	كلوحة النسي بالسبت

(انظر الكرى ، ٦٧ ، كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ ، الدرجيني ، خطبات الإباضية ، المخطوط ، ص ١٩ - ب (ط الجزائر ، ص ٤٢ - ٤٣) ، وعن ابن حماد انظر مباحث الجبل ، تلويخ الجزائر ، ج ٢ ص ٣٦) .

(١٦) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١٧٨ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٩٢ . ولقد كانت كثرة مياه تاهرت سببا في كثرة الشعراء بها ، فقال بعضهم :

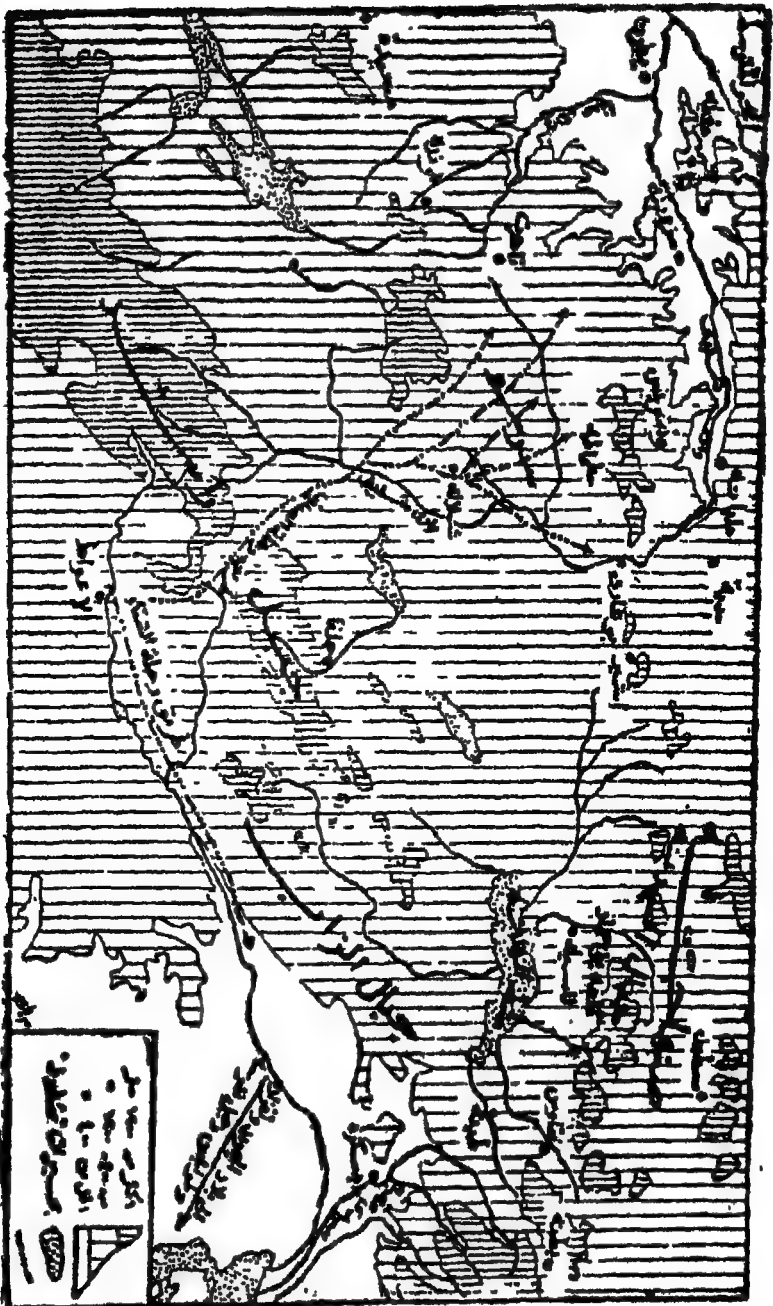
بقي الله تاهرت الماء وسويقة
 (ابن عداري ، ج ١ ص ١٩٨)

(١٧) ابن حوقل ، طيبة بيروت ، ص ٨٦ .

(١٨) كتاب الاستبصار ، ص ١٧٩ .

Gautier, Le Passé de l'Afr du Nord, p. 326-330. (١٩)

وانظر شكل ٦ ص ٢٩٤ .



شكل رقم (١)
البحر المتوسط : طريق رحلتى الرعاة في الشتاء وال الصيف
انظر جويته من ١٩٣٣ ، وبارك الميلى (الخريطة
المستقلة ، المجلد ١٠٠ ، ١٩٣٣)

الحضرية في القيروان وفي فاس .

قيروان جديد في المغرب الأوسط : بناء تاهرت الرسمية أو تاهرت الجديدة :

نجحت العناية التي قام بها عبد الرحمن بن رستم وأتباعه فانصبت اليه قبائل المغرب الأوسط التي استجابت للدعوة الأباضية ، كما انضم اليه كثير من الخوارج الصفرية ، بل ومن جماعة تسمى بالواصلية السذين يعتبرهم البكرت من الأباضية (٢٠) - رغم أن المعروف عن الواصلية أنهم من المعتزلة وهو الأمر الذي تقره الروايات الأباضية - فابو زكريا يعرف الواصلية بأنهم قوم من البربر أكثرهم من قبائل زقاته (٢١) ، والدرجيني الذي يسميهم بالواصلية يعرفهم أيضا باسم المعتزلة (٢٢) . والظاهر أن الفرقتين تحالفتا نتيجة لأخذهما بموقف الوسط بالنسبة لمركبي الكبائر (موقف للمعتزلة بين الملتزتين) ، وأنه لهذا السبب اعتبر معتزلة المغرب من الأباضية أو اعتبرت بعض جماعات الأباضية من المعتزلة ، واعترف الجميع بإمامته (٢٣) ، وعلى رأسهم أبو حاتم الذي خلف أبا الخطاب في طرابلس . فابو حاتم - في نظر أئمة الأباضية - كان أمام دفاع (٢٤) ولم يكن أمام ظهور كابي الخطاب ، وعلى ذلك كان « يرسل مازاد على ما يحتاج إليه مما جمع من الزكاة لعبد الرحمن بن رستم قبل أن يتولى الأمور وولاية الظهور » (٢٥) والحقيقة أن اجتماع هذه الفرق المتنافرة في دعوة واحدة يمكن أن يفهم منه أن المسألة لم تكن مسألة إصلاح ديني يسمي إليه البعض أو الآخرون ، بل مسألة سياسية هدفها مدافعة حكم مبتلى الخلافة والاستقلال عن الدولة : بمعنى أن الدين لم يكن إلا ستارا لاختفاء هذا

(٢٠) انظر البكري ، ص ٧٢ .

(٢١) كتاب السير واختيار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص

٢٦ - ١ (ط - الجزائر ، ص ٥٧) .

(٢٢) طبقات الأباضية ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ ، ط - الجزائر ، ص ٥٧ (الواصلية) .

ص ٢٧ - ب ، ط - الجزائر ، ص ٦٠ (المعتزلة) .

(٢٣) انظر البكري (ص ٦٧) الذي يقول : « كل مجمع الواصلية قريبا من كاهنت ... »

وإن عددهم نحو ٣٠ ألفا في بيوت كبريت العرب يحولوها » ، بمعنى أنهم يدر خواصم .

وانظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ . وعن الأباضية وعلاقتهم بالفرق الأخرى انظر فيما سبق .

ج ١ ص ٢٨٤ ، ٣١٨ . وانظر مياديد بن محمد الميل ، تاريخ الجزائر طبعة قسنطينة سنة

١٣٥٠ هـ ، ج ٢ ص ٧ - ٩ ، ١٢ .

(٢٤) الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ، ورقة ١٧ (ط - الجزائر ، ص ٣٧) .

(٢٥) الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ، ص ١٧ - ١ (ط - الجزائر ، ص

٣٦ - ٣٧) . وانظر التمامي ، السير ، ص ١٣٨ .

الهدف أو لاعتلاء موقف الانفصال نوعا من الشرعية .

وبعد أن بويج عبد الرحمن بن رستم بالإمامة في سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م - وهو التاريخ الذي رجحته كتب الأباضية ابتداء من أبي ذكريا ومن نقل عنه (٢٦) ، كان من الطبيعي أن يتخذ مقرا له يكون مركزا للدولة الناشئة . ووقع الاختيار على منطقة تاهرت للأسباب التي بينها . من « استراتيجية » المكان الجبلي ، وتوفر العصبية البترية ، وعنى الموقع بالماء والمراعى . هذا ولا بأس من أن يكون ابن رستم قد إرتاد المكان من قبل ، وأنه استحسنه بعد أن أقام فيه عقب فراره من القيروان ، كما يقول الكتاب .

ويصفى كتاب أهل المذهب من الأباضية على فرار عبد الرحمن بن رستم الى جبل تاهرت ، وعلى بناء المدينة ، لونا قصصيا مثيرا كذلك الذى سببه من سبقهم من الكتاب الذين أرخوا لبناء الاسكندرية والفسطاط والقيروان وكذلك القاهرة الى هذه المدن عند بنائها . فابن رستم قبل أن يفر من القيروان وقس بين يدي عبد الرحمن بن حبيب (القهرى) ولكن أحد القيروانيين شفع له فأطلقه ابن حبيب (٢٧) . وخرج الامام ومعه ابنه عبد الوهاب وغلالم له ، وفى الطريق مات مرسه فى قسطنطينية من بلاد الجريد فمضى على رحليه حتى ضعف عن المشى ، فكان ابنه وغلالمه يحملانه (٢٨) . وبعد جهده جهيد وصل الى جبل سوفجج(٢٩) حيث اعتصم قبل أن يلحق شيوخ أهل الدعوة من طرابلس ،

(٢٦) انظر السير لأبى ذكريا ، المخطوط . ص ١٢ - ا الذى يسجل هنا أن ابن رستم بويج سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م - ٧٧٧ م ، ثم يعود ليقول : وقيل انه بويج فى سنة ١٦٢ هـ / ٧٧٨ م - ٧٧٩ م . وانظر الدرجى ، طبقات الاباضية ، المخطوط . ص ١٩ - ا والمطبوع . ص ٤٠ - ٤١ . الشاسى ، السير ص ١٣٩ . ولقد أحدها بالرواية الأولى نظرا لأن احتطاط تاهرت تم فى سنة ١٦١ هـ ، كما يحدد ذلك ابن عذارى (انظر فيما سبق ، ص ٢٩١) .

(٢٧) الدرجى ، طبقات الاباضية ، المخطوط . ص ١٦ - ب (ط . الجزائر ، ص ٣٥) : الذى يقول ان ابن رستم كان يكره عبد الرحمن بن حبيب ، وأنه وصله ذات مرة « ياله شيطان عليه بشر ابن آدم » فعقدما عليه ابن حبيب . وانظر الشاسى ، ص ١٣٢ . وعن فراد ابن رستم من القيروان انظر فيما سبق . ج ١ ص ٣٤٢ وكذلك ص ٣٤٥ . وعن مشاركة القهرى فى ثورة الخوارج انظر فيما سبق . ج ١ ص ٣٥٢ - ٣٥٥ .

(٢٨) الدرجى ، الطبقات ، المخطوط . ص ١٦ - ب ، ١٧ - ا وتقول الرواية أنهم دفنوا فى الفرس حتى لا يقتصدوا أثره فسمى الموضع بقبر الفرس (وانظر ط . الجزائر ، ص ٣٥ - ٣٦) . (٢٩) الشاسى ، ص ١٣٣ . ولا سرف ان كان المقصود بهذا الجبل هو جبل تاهرت الذى يسميه صاحب كتاب الاستبصار (ص ١٨٧) « قرقل » ، وابن خلدون (ج ٦ ص ١٢١) « كزول » (جزول) أم ليرة . وانظر الدرجى ، الطبقات ، ص ١٧ - ا (ط . الجزائر ، ص ٣٦) ، الذى يسمي الجبل المشيخ « وادى ابيج » .

الذين بلغوا ستين شيخا وأكثر ، مع أعوانهم من تغير شك (٢٠) . وحسب هذه الرواية تبع ابن الأشعث الامام الى الجبل وضرب عليه الحصار كما احتاط للامر . فحندق حول عسكره خشية هجوم مفاجيء . يقوم به ابن رستم ، وفي خلال ذلك دحرجوا الجبل بأهله ، ومات من أصحاب عبد الرحمن بشر كثير . . . فابى منه ابن الأشعث وعاد الى القيروان ، كما يقول الشماخي (٢١) ، ولو أنه من المقبول أيضا أن يكون الجدرى الذى أصاب الجبل قد وقع ايضا في عسكر ابن الأشعث والحق به خسائر كبيرة مما جعل ابن الأشعث يتشاور مع قواده ويقرر الرحيل ، كما يقول الدرجيني (٢٢) .

لما عني بناء المدينة فله قصة عجيبة أشبه بقصة عقبة وبناء القيروان . فبعد أن اتفق رؤوسا العابدين وكبار الراهدين وجماعة المؤمنين على بناء مدينة ، أرسلوا الرواد من أهل المعرفة في اختيار الجهات ليختاروا المكان الذى يصلح لبناء مدينة تكون حرزا للمسلمين وحصنا لهم ، فطافوا أطراف البلاد واستبحروا موضع تيهرت . وكانت تيهرت غياضا (٢٣) وأشجارا ملتفة يسكنها أنواع السباع والوحوش . وهكذا ، وكما فعل عقبة بن نافع أمام شمرة القيروان ، فعل عباد الأباضية ، فأرسلوا مناديا فنادى بأعلا صوته سمعها ووحوشها وهوامها أن أخرجوا وارتحلوا ، فأتوا يريدون عمارتها ونازلين بها ، وأجلوها ثلاثة أيام . ويذكر أبو زكريا الذى ينقله الدرجيني والشماخي : وذكروا أنهم رأوا بها وحوشا تحمل أولادها في أفراها يعنى سباعا - والله أعلم (٢٤) . ثم انهم عمدوا الى تنظيف المكان مما كان فيه من الأعشاب والشجيرات فأطلقوا فيها النيران ، وهو الأمر المقبول الذى رأينا أنه ربما كان سببا معقولا لهروب السباع والهوام ، مما اعتبره البعض كرامة لعقبة بن نافع بالنسبة لبناء القيروان ، وبذلك أصبح لتاهرت - كى نطرس

(٢٠) الدرجيني . الطبقات . المخطوط ، ص ١٧ - ١ (المطبوع ، ص ٢٦) .

(٢١) الشماخي . ص ١٣٣ .

(٢٢) طبقات الأباضية . المخطوط ، ص ١٧ - ١ (المطبوع ، ص ٢٦) .

(٢٣) البكري ، ص ٦٨ (نسخة أشبه) ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٩٦ (نسخة) ، وانظر الدرجيني ، الطبقات ، ص ١٩ - ١ (المطبوع ، ص ٤١) ريان لا عبارة بهذا الا السباع (الهوام) ، ص ٣٥ - ١ (المطبوع ، ص ٤٤) (نسخة أشبه) ، وانظر الشماخي ، السج ، ص ١٣٩ (خيالليل م) .

(٢٤) انظر أبو زكريا ، كتاب السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ - ب ، الدرجيني

الطبقات ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ (المطبوع ، ص ٤١) ، الشماخي ، السج ، ص ١٣٩ .

الاباضية كراميا ، مثلها في ذلك مثل القيروان بالنسبة لأهل السنة (٢٥) .

هذا عن القصة أو الأسطورة الشعبية التي ظهرت في وقت متأخر والتي تحمل في ثناياها بعض الحقائق من غير شك . أما أقدم نص قاريخي عن بناء تاهرت فنجد في البكري الذي يقول - نقلا عن محمد بن يوسف - انه يعد اتفاق الجماعة الاباضية على امامة عبد الرحمن بن رستم وبتيان مدينة تجمعهم ، نزلوا موضع تاهرت وهو غيضة (٢٦) على خمسة اميال غربي المدينة (٢٧) . واختار ابن رستم موضعا مريعا لاشعراء فيه ، ولهذا شبهه البربر بالدف لتربيته وسموه تاقدمت (٢٨) . ورغم أن الموضع كان لقوم مستضعفين من مراساة وصنهاجة ، فان عبد الرحمن بن رستم فاضهم في يمينه ، ولما رفضوا اتفق معهم على أن يبيحوا للجماعة البناء على أن يكون لهم الحق في جباية خارج الأسواق (٢٩) .

وكما هي العادة في بناء المدن الاسلامية بدء بتخطيط المسجد الجامع ، وقطع الخشب اللازم للبناء من شجر الشعراء . أما عن تخطيط الجامع فيذكر البكري أنه ظل على حاله الى أيامه أو الى أيام محمد بن يوسف الذي ينقل هو عنه (٤٠) مكونا من أربعة بلاطات (٤١) .

(٢٥) انظر أبو زكريا ، السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٢ - ب ، وقارن الدرجيني ، طبقات الإمامية ، المخطوط ، ص ١٩ - أ حيث تضيف الرواية الى ذلك أن أصول الأشجار القوية التي لم تات عليها الزيران عولجت بأن وضع الخث والصل في أصولها ماتت الخنازير ليلا وحمرت أصولها حتى قلعتها مما يعني أن الشقيقة كانت معروفة بخنازيرها الوحشية وقارن المطبوع ، ص ٤١ (حيث كلمة حيس بدلا من خث) - أما عن قصة بناء القيروان المماثلة ، انظر فيما سبق ج ١ ص ١٨٥ - ١٨٦ .

(٢٦) البكري ، ص ٦٨ ، وانظر الدرجيني ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٣٠ - ١ (المطبوع ، ص ٤٣) حيث ينقل نص البكري .

(٢٧) البكري ، ص ٦٧ (تاهرت القديمة شرقي الحديثة على خمسة اميال منها) . وانظر الدرجيني ، الطبقات ، المخطوط ، ص ٢٠ - ١ (المطبوع ، ص ٤٣) .

(٢٨) البكري ، ص ٦٨ ، قارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ١ ، حيث كلمة الدف بالبربرية = « بانراست » . وقارن المطبوع ، ص ٤٤ ، والشاسي (ص ١٣٩) الذي ينقل هنا ما سبق أن قيل من أنهم أحرقوا الأشجار في الموضع .

(٢٩) انظر البكري ، ص ٦٨ الذي ينقله الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٤) ، والشاسي ص ١٤٥ .

(٤٠) البكري يكتب حوالي سنة ٤٦٠ هـ / ١٠٦٨ م . أما عن محمد بن يوسف فهو متولى سنة ٣٦٣ هـ / ٩٧٤ م . انظر مقدمة Le Slane لكتاب البكري ص ١٦ .

(٤١) البكري ، ص ٦٨ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٤) .

ابن هنادي ، ج ١ ص ١٩٦ .

وزعم ما يقوله البكرى من أنهم اختلطوا وبنوا - حول المسجد كما جرت العادة - وزعم ما يقوله أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الأباضية مثل الدرجيني والشماسي من أنهم اختلطوا دورا وقصورا وبيوتا ، فالمعروف أن تهاورت الجديدة - مثلها مثل قيروان عقبة - لم تكن تعني في أول أمرها أكثر من معسكر للجماعة الأباضية . ولقد ظلت صفة المعسكر هذه لاصقة بالمدينة مدة طويلة ، وذلك ما يسجله البكرى ، عندما يقول : « وسمى الموضع معسكر عبد الرحمن بن رستم إلى اليوم » (٤٢) ، وهي التسمية التي ينقلها الدرجيني ثم يضيف بعدها ما ينقله من أبي زكريا من أن تهاورت سميت بـ « المعسكر المبارك » (٤٣) .

امامة عبد الرحمن بن رستم ، وتطور الأفكار الخارجية :

والظاهر أنه بعد أن تم بناء تهاورت الجديدة لتكون « حوزا وحصنا للإسلام » أخذت وفود القبائل تأتي من الأقاليم المجاورة لبيعة الامام . فهذا ما ينص عليه كتاب الأباضية الأوائل عندما يجعلون مبايعة ابن رستم بعد بناء تهاورت والرواية الأباضية تقول : أنهم نظروا فيمن يصلح للولاية من رؤساء القبائل فوجدوا في كل قبيلة رأسا أو رأسين يمكن أن يكونوا من بين المرشحين ، وأخيرا اتفق رأيهم على عبد الرحمن للأسباب التي لخصها الشماخي في قوله : المضلة ، وكونه من حملة العلم ، وكونه عامل أبي إ لخطاب على الفريقية ، ولأنه لا قبيلة له تمتعه إذا تغير عن طريق المدل (٤٤) . والواضح

(٤٢) البكرى . ص ٦٨ . أما ما يذكره البكرى عن أسوار المدينة وأبوابها التي يذكر منها باب الصفا وباب المنازل وباب الأندلس وباب المطاحن وقصبتها المسماة بالمصومة ، لذلك من وصف تهاورت بعد أن تمددت وعظمت وأما الناس من كل مكان ، كما وصفها ابن الصغير (أخبار الأئمة ص ١١ ، ص ١٣) في أواخر القرن الثالث الهجري/٩ م . وهو مصدر البكرى ومن نقل عنه مثل الدرجيني ، المخطوط ، ص ١٩ - ب (المطبوع ، ص ٤٢) .

(٤٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ . الدرجيني ، المخطوط ص ٢٠ - ب ، ٢١ - أ (المطبوع ، ص ٤٤) .

(٤٤) الشماخي ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، وانظر ابن الصغير ، ص ٩ ، الذي يجعل سبب طلبهم اختيار الامام خفيثتهم من « ويزيد كثير من رؤساء القبائل الذين يمكن أن يطهروا في الولاية فيؤدى ذلك إلى الفتنة » وانظر الدرجيني ، طبقات الأباضية ، المخطوط ص ١٩ - ب «

إن هذه الرواية لا يقصد بها تحديد وقت اختيار عبد الرحمن بن رستم للإمامة. بعد بناء المدينة الجديدة فذلك ما لم يقل به أحد من قبله إذ كانت له الرئاسة فيه إباحية القروان منذ أيام أبي الخطاب ، بل حتى قيل أنه عرضت عليه الإمامة تخيل تولية ابن الخطاب فأعرض عنها (٤٥) ، ثم أصبحت إمامته على الجميع بعد وفاة هذا الأخير ، وذلك ما يقوله فقهاء الإباحية كما أشرنا (٤٦) . وبناء على ذلك معتقد أن هذه الرواية تمنى مبايعة رؤساء القبائل إلى جانب أنها تبين ظروف انتخاب عبد الرحمن التي أراد فقهاء الإباحية أن يجعلوا منها مبادئ أساسية لانتخاب الإمام . فلقد تولدت في الإمام الأول شروط أربعة ذوات طبيعة مختلفة : أولها أخلاقي ، وثانيها علمي ، وكل من تألفها وبأنها سياسية . أما عن البرنامج الذي تمت على أساسه البيعة ، فكان العمل بكتاب الله وسنة رسوله وآثار الراشدين ، وعلى هذا الشرط قبل عبد الرحمن إماماتهم (٤٧) ، واشترط عليهم هو الآخر « الطاعة في الحق » (٤٨) .

ولا ينس من أن يكون ذلك الترتيب الخاص باختيار الإمام صحيحا . فالمبدأ أن الأولان من المبادئ المطلوب توفرها في اختيار الإمام أو الخليفة كما اتفق على ذلك الفقهاء : « فالفضل » في هذا النص أو حميد الأوصاف عند الدرجيني أيضا هو ما يوازى « العدالة » التي تمنى الكمال الأخلاقي . من حيث سلامة الاعتقاد وسلامة الجوارح ونزاهة التصرفات الشخصية (٤٩) . وأما كونه من حملة العلم ، فالعلم شرط أساسي ليس بالنسبة للمرشح لتولي الإمامة أو الخلافة فحسب بل هو ضروري أيضا بالنسبة لطبقة أهل الاختيار ، أي أصحاب الحق في انتخاب الإمام أو الخليفة . هذا ولو أن العلم بالنسبة للطبقة الثانية هو العلم الذي يوصل إلى اختيار الأصلح ، أما بالنسبة للأفهام فهو

« (الملبوع ، ص ٤٣) الذي ينسب إلى ما سبق : لدينه ، وعلمه ، وسابقتها ، ومكانته ، جوده أوصاله .

(٤٥) أبو ذكريا ، المخطوط ، ص ١٢ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٦٩ - ب « (الملبوع ، ص ٤٢) .

(٤٦) أنظر فيما سبق ، ص ٢٩٥ وخامس ٢٤ .

(٤٧) أبو ذكريا ، كتاب السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٦٣ - ب . وقادش الدرجيني ، طبقات الإباحية ، المخطوط ص ١١ - ب (الملبوع ، ص ٤٢) .

(٤٨) ابن القيم أجاب الأئمة ، ص ٩ .

(٤٩) أنظر الماوردي ، الأحكام السلطانية ، طبعة القاهرة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م . فخصلي عقد الإمامة ، ص ٤ . ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٦ في اختلاف الأئمة في حكم منصب الخلافة والإمامة ، ص ٦٨٨ -

العلم الذي يوصل الى مصلحة الجماعة في الدنيا وسعادتها في الآخرة (٥٠) .
أما الشرط الثالث وهو « كونه عامل أبي الخطاب على أفريقية » ، أو أنه
كان قاضيا له وناظرا (٥١) ، فيمثل فكرة التعيين أو الوصية التي تحولت الى
مبدأ الوراثة . وهذا يعني تحول الجماعة الأباضية عن مبدأ الاختيار . فعند
أهل السنة قبل مبدأ التعيين أو الوصية على أنه حقيقة تاريخية : بعد أن عهد
النبي لأبي بكر بإمامة الصلاة ، وبعد أن أوصى أبو بكر بخلافة عمر ، وبعد
أن حدد عمر أهل الخلافة في ستة نفر ثم أتى معاوية وجعل العهد لابنه يزيد ،
وبعد الأمويين طبق العباسيون أيضا مبدأ الوراثة - حدث كل ذلك مع الاحتفاظ
بالشكليات من حيث تطبيق مبدأ الاختيار المثل في البيعة . ولقد انتهى الأمر
باشتراط صفة القرشية في المرشح للخلافة (٥٢) .

والمعروف أن الخوارج لم يوافقوا على مبدأ التعيين أو الوراثة ، وأنهم
طالبوا بتطبيق مبدأ الشورى أى الانتخاب ، وألا تقتصر طبقة المرشحين على
طائفة من الطوائف ، بل يكون الترشيح مفتوحا أمام الجميع دون أية تفرقة
عنصرية حتى أجازوا إمامة العبد الأسود طالما يتمتع بالأهلية (٥٣) . وهذا يعني
أن الأصل السياسى عند الخوارج هو تطبيق مبدأ الجمهورية التي تكون السلطة
العليا فيها للشعب جميعا دون تمييز . أما المبدأ الرابع ، وهو « أنه لا قبيلة
له تمنحه إذا تغير عن طريق العدل ، فهو شرط سياسى يتنافى مع نظرية العصبية
التي تقوم عليها الدولة ، كما لاحظ ابن خلدون في أنهار وقيام الدول
الإسلامية (٥٤) » . ومبدأ عدم استناد الإمام الى قبيلة أو عصبية يهدف الى دفع
ما يمكن أن تتعرض له الجماعة الأباضية من الاستبداد ، كما يطمح الى تحقيق
الإمامة ، أو الحكومة المثالية ، التي يكون العدل عصبيتها . وهذا الأمر يمثل
مرحلة من مراحل تطور الأفكار الخارجية ، إذ سيقول بعض مفكرى الخوارج

(٥٠) الماوردى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٥ (فى معنى الخلافة
والإمامة) -

(٥١) ابن الصثير ، ص ٩ -

(٥٢) الماوردى ، نفس الفصل ، ابن خلدون ، الفصل ٣٦ (اختلال الأئمة فى حكم منصب
الأئمة والخلافة) -

(٥٣) انظر ابن خلدون ، فصل اختلال الأئمة فى حكم منصب الخلافة وشرطه - ص

١٩٤ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص ٨٧ -

(٥٤) ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ١٨ (فى أن الغاية التي تجرى اليها العصبية هي

الملك) ص ١٣٩ -

انه اذا تحقق العدل بين افراد الجماعة فلن تكون هناك حاجة الى الامامة اى الى الحكومة (٥٥) .

ومن الواضح ان اصحاب هذه الافكار كانوا نظريين اكثر مما يجب . فعندما اقام الاباضية امامتهم فى تاهرت لم يستطيعوا تطبيق نظرية الانتخاب الجمهورية فى اختيار الامام ، فاصبحت امامتهم وراثية فى بنى رستم - مثلهم فى ذلك مثل العباسيين فى المشرق والامويين فى الأندلس . وهذا يعنى انهم لم يتمكنوا من التخلص من تأثير مبدأ الوراثية الذى أصبح تاريخيا تقليديا عند اهل السنة او انهم لم يستطيعوا التخلص من افكارهم الأولى عندما كانوا شيعة بطالبون بان تكون الامامة وراثية فى آل البيت .

حقيقة ان الجماعة الاباضية فى تاهرت بدأت فى الانقسام على نفسها منذ ان خلف عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم والده فى الامامة سنة ١٦٨ هـ (٧٨٤ - ٧٨٥ م) ، عندما أنكر البعض ان يرث عبد الوهاب والده فى الرئاسة . ولهذا السبب أطلق عليهم اسم النكار أو النكارية ، بينما تمسكت الغالبية بصحة امامة عبد الوهاب على أساس اختيار الأفضل (٥٦) ، وربما كان ذلك صحيحا . ولكننا سنصبح امام أسرة من الأئمة الأفاضل تورث الحكم لابنائها الأفاضل - دون غيرهم من الناس - وربما كان ذلك شبيها بما عرف عند الشيعة رغم أنه لا ينبغى على مبدأ الوصية .

اعمال عبد الرحمن بن رستم :

والحقيقة ان عبد الرحمن بن رستم كان عند حسن ظن الجماعة فيه ، فقد أحسن السيرة وجلس فى مسجده للأرملة والضعيف فلم ينقم عليه أحد فى حكومة ، ولم يكن فى أيامه اختلاف (٥٧) . وفى هذا المقام يؤكد كتاب

(٥٥) الشيرستانى ، الملل والنحل ، طبة ليزج ص ٦٧ ، الحاردي ، الفصل الأول فى هذه الامامة ، ابن خلدون ، المقدمة ، الفصل ٢٦ (ويشير الحاردي وابن خلدون هنا الى اتفاق بعض فرق الخوارج فى هذا الرأى مع الاسم لقيه المعتزلة) ، وانظر أحمد بن أبي عبيد ، الحاشى أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان تونس ١٩٦٣ ، ج ١ ص ٦ .

(٥٦) عن صفات عبد الوهاب بن رستم انظر فيما بعد ص ٣١٥ .

(٥٧) ابن الصغير ، السير وأشجار الأئمة ، ص ١٠ ، وانظر أبو ذكريا ، السير وأشجار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٣ ب ، الدرر جنى ، الطقات المخطوط ص ١٩ - ب (المخطوط ص ٤٢) .

- ٣٠٣ -

الاباضية فصل عبد الرحمن وعدالته التي كانت سبباً في الاعتراف به ليس
كامام لجماعة الاباضية في تاهرت والمغرب فقط بل وكذلك لاباضية المشرق ،
وذلك في الوقت الذي كان أبو عبيدة حياً في البصرة ، وكان لعنان أمامها
ذوالها (الاباض ، الذي يسمى عبد الوارث (٥٨) .

فعندما وصلت أخبار عدل ابن رستم الى مدينة البصرة - مركز المذهب
في العراق - قال أهل الدعوة : « ظهر في المغرب أمام ملاة عدلا وسوف يملك
المشرق (٥٩) » . وجمعوا ثلاثة أحمال من المال سيروها الى المغرب مع بعض
الرسل ، وطلبوا منهم أن ينظروا في أمره فان كان حاله على مايلفهم أعطوه
المال (٦٠) . وعندما وصل الرسل الى تاهرت ، نزلوا خارج المدينة ، في بعض
المصليات هناك ، حيث تركوا أحمال المال ثم دخلوا المدينة من بابها المعروف
بباب الصفا ، كما يقول ابن الصغير ، وهم يسألون عن دار الامارة (٦١) .

وعندما وصلوا الى الدار وجدوا صاحبها في أعلى بيت يعمل يده السقف
وعبد له يعجن الطين في أسفل الدار ويتناوله إياه . وعندما سألوا الغلام ان
يستأذن لهم على سيده ، طلب عبد الرحمن الى غلامه أن يهلهم بعض الوقت
حتى ينزل ويفسل جسده من الطين (٦٢) .

وعندما دخل البصريون على الامام وجدوه جالسا على حصير فوقه جلد ،
ولا شيء في بيته سوى وسادته التي ينسج عليها وسيفه ورمحه وفرسه
المربوط خارج البيت (٦٣) . وعندما أمر الغلام بأن يقدم لهم الطعام أتت
المائدة وعليها قرص خبز وسمي وشيء من ملح . فهشمت القرص ، ولثت

(٥٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ ، وانظر الدجيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب
(حيث النص : وأبو عبيدة حي وتوفي في امامة عبد الرحمن . وقارن المطبوع ، ص ٤٥ -
حيث النص : وأبو عبيدة حي الى ذلك وفي امامة عبد الرحمن) .
(٥٩) ابن الصغير ، ص ١٠ .
(٦٠) ابن الصغير ، ص ١٠ ، أبو زكريا المخطوط ، ص ١٤ - ١ ، الدجيني ، المخطوط ،
ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .
(٦١) ابن الصغير ، ص ١١ (يقول عن الحسل انه الذي كان به غير مسألة « مسألة ») .
(٦٢) ابن الصغير ، ص ١١ ، أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ ، الدجيني المخطوط .
ص ٢٠ - ب (المطبوع ، ص ٤٥) .
(٦٣) ابن الصغير ، ص ١١ .

بالسمن واكل الجميع (٦٤) .

وهكذا لم يختلف الامام الشعبي في حقيقته عن تلك الصورة التي صورتها أخباره لهم في المشرق ، فاجتمع رأيهم على أنهم رضوا عنه ، « فقال بعضهم لبعض يكفيننا من السؤال عنه ما رأينا منه : من اصلاحه لداره بنفسه ومطعمه وملبسه وحلية بيته فما نرى الا أن ندفع اليه المال ولا نشاور أحدا فيه (٦٥) ، ولأدى عبد الرحمن الناس الى الصلاة الجامعة ، وشاور أصحاب الرأي وزعماء القبائل فيما يفعل بالمال فأشاروا عليه أن يفرقه في وجوهه المشروعة ، على أن يكون الثلث لشراء الكراع ، والثلث لشراء السلاح ، والثلث لباقي الفقراء وذوي الحاجات (٦٦) ، وتم ذلك بمحضر الرسل (٦٧) . ولقد ترتب على ذلك أن قويت جماعة الاباضية في تاهرت وانتعش فقراؤها وحسنت أحوالهم .

وبذلك تحقق الأمن لتاهرت وأصبح يخافها من كان يحيط بها من القبائل . وعندئذ أخذ التاهرتيون يشرعون في العمارة والبناء ، وأحياء الأرض الموت وغرس البساتين ، بفضل أعمال الري ، من : شق القنوات وإجراء الأنهار واتخاذ الأرحاء عليها لطحن الخلال .

وهكذا فمتدما قرر أباضية المشرق أن يساندوا إمام أهل الدعوة الذي تحقق ظهوره في المغرب ، على أساس أنه الخليفة الحقيقي للائمة الأوائل ، مثل : أبي بلال مرداس وأبي حمزة الشاري ، كما تقول رواية ابن الصغير ، فبعتوا اليه من جديد بمشقة أحمال من المال ، رفض عبد الرحمن بن رستم قبول المال وطلب رده الى أهله ، رغم الحاح الرسل وتكمل بعض وجوه أصحابه . ولقد فعل ذلك الامام عندما سأل عن أحوال اخوانه بالمشرق وعرف

(٦٤) ابن الصغير ، ص ١١ ، وقارن الدرر جيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المخطوط ، ص ٤٥) .

(٦٥) ابن الصغير ، ص ١١ ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ - الدرر جيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المخطوط ، ص ٤٥) .

(٦٦) ابن الصغير ، ص ١٢ ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ - الدرر جيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المخطوط ، ص ٤٥) حيث النص « ولم يلا من » وغيره (السلاح ») .

(٦٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ١ - الدرر جيني ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب (المخطوط ، ص ٤٥) .

- ٣٠٥ -

أنهم « مستترون غير ظاهرين » وأنهم « مستضعفون غير قاصدين » وأنهم « جماعتهم مثل ما جماعة الناس من الغناء والقرء » (٦٨) .

وهذا النص الأخير يبين أن عهد الرحمن بن رستم لم يكن ليكتفى من الناحية النظرية على الأقل - بما تحقق من استئلال « أهل البيت » في تاهرت ، أعمالها ، بل كان يرمى إلى تحرير الجماعة الاباضية في المشرق من الحكم العباسي ، وهذا لا يمنع فكرة ملموح الجماعة الاباضية في نشرها في كل دولة الخلافة . وذلك ما يشير إليه كتاب الاباضية عندما يقولون « هذا هو كل فتعجب أهل المشرق من زعمه في الدنيا ورأوا أن إمامته فرض عليهم » واعترف كل أباضى بإمامته ، وواصلوه بكتبهم وصاياهم (٦٩) ، طوال مدة إمامته التي استمرت ثمانى سنوات ١٦٠ - ١٦٨ هـ / ٧٧٦ - ٧٨٤ م (٧٠) .

٢٢٠٠ هـ (١٠١٠ م) تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم :

وهكذا نجحت الجماعة الاباضية في المغرب الأوسط في إقامة دولة مستقلة لها ، وأصبحت تاهرت العاصمة لها حكومتها المستقلة عن دول المغرب المعاصرة ، وعن دولة الخلافة في المشرق . فلقد حمل عبد الرحمن بن رستم لقب الامام أي رئيس الجماعة جريا على تقاليد الخوارج ، وهو اللقب الخلافي ذو الصبغة الدينية بصفة أن الامام هو الذي يؤم جماعة المؤمنين في الصلاة مما ترتب عليه أن ابن رستم حمل أيضا لقب أمير المؤمنين ، كما برى ذلك عند كتاب الاباضية (٧١) . ورغم أن لقب أمير المؤمنين كان اللقب الخلافي المميز -

(٦٨) ابن الصغير ، ص ١٣ - ١٤ . وقادوت أبو زكريا ، المجلد ١ ، ص ١٤ - ١٥ .
الدرجي ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب ، ٢١ - أ (المخطوط ، ص ٤٥) ، السباخي ، ص ١٤٠ .
(لأن أهل بلاده يتشبهون بالعدل ، وأصحاب المسائل في حاجة إلى أن يدركوا به من الله هم العلم) .
(٦٩) ابن الصغير ، ص ١٥ ، أ ، زكريا ، المخطوط ص ١٤ - أ ، الوجيشي ، المخطوط ، ص ٢١ - أ (المخطوط ، ص ٤٥) .

(٧٠) فلهذا أن عهد الرحمن بن رستم ترقى سنة ١٦٨ هـ . ومن أساس أنه يرجع بالامامة سنة ١٦٥ هـ ، كما سبق ص ٢٩١ . انظر ، سكرات ، نسخة ابن الصغير (بالفرنسية) ص ٦ ، وهو التاريخ الذي رجحناه على سنة ١٦٢ هـ ، تكون إمامته ثمانى سنوات .

(٧١) انظر الدرجي ، المخطوط ، ص ١٧ - ب : حيث يقول أن « والى طرابلس فاستلمها » خرج إلى جماعة أبي حاتم وطلب منهم الطاعة لأمير المؤمنين والقوة وهم يتصرفون إمامهم (والمخطوط ، ص ٢٧) .

على اعتبار أن الامام هو أمير المؤمنين فإن ابن رستم لم يحمل لقب الخليفة رغم اعتراف أهل الدعوة بامامته في المشرق ورغم طموحه في أن يظهروا هناك أيضا ، كما ظهورا في المغرب . وإذا كان الرستميون قد حملوا لقب « الخليفة » ، فلا بأس أن يكون ذلك قد حدث بعد أن استفحلت الدولة على عهد عبد الوهاب ابن عبد الرحمن (٧٢) .

ورغم أن عبد الرحمن بن رستم قام بمهمة الامامة حسبا قضت اليمة . من : سلوك سبيل العدل من جهته والتزام الجماعة بطاعته في الحق من جانبيه . ورغم الاجماع على أنه : لم يبدل في سيرته ولم يغير وأن الجماعة لم تعترض عليه في أمر ولم تخالفه في حكومة ، فلقد مارس ابن رستم سلطاته ممارسة ديمقراطية ، كما تقول آلاء ، أي حسب أصول الشورى المتعارف عليها عند جماعة المسلمين الأوائل ، على عهد الرسول والراشدين وآثار التصالحين : حقيقة انه كان يمارس وظيفة امام الصلاة والقاضي بين الناس في مسجد تاهرت ، كما كان مستعدا لقيادة المجاهدين من أهل الدعوة في كل وقت اذ كان سيفه ورمحه في متناول يديه بينما كان فرسه مربوطا الى عضادة بابيه ، فان ذلك لا يعنى أنه كان يحكم الجماعة حكما استبداديا ، وان كان صالحا . فقد كان يجتمع بالناس في مسجد المدينة عقب كل صلاة ، كما كان يشاور وجوه أهل الدعوة عقب انصراف عامة الناس في كل مناسبة . وهذا ما تنص عليه الروايات الخاصة باستقبال رسل أهل البصرة عندما ساروا اليه بأحمال المال ، في المرتين جميعا ، وان كانت نفس الروايات تشير الى أن أعيان الجماعة من مستشارية . وان كانوا قد قدموا له المشورة في المرة الأولى ، فانهم تركوا له اتخاذ القرار النهائي في المرة الثانية عندما رفض أخذ أى شيء من المال ، وأمر برده الى أهله . وهكذا ظهر زهد الامام - الذي لم تتبدل أحواله رغم تغير أحوال أهل بلده الى ما هو أحسن - وعفائه ، وضرب لأهل بلده ولاخوانه من أهل البصرة المثل في المحافظة على سنن السلف الصالح ، وهي التي كانت تقضى بعلم خروج صدقة أهل بلد من البلدان الى أهل بلد غيره طالما كان فيهم المستحقون لها من الضعفاء والمساكين (٧٣) .

(٧٢) حقا ما قد يفهم من رواية ابن حطون (ج ٦ ص ١٢١) الذي يقول عن عبد الوهاب أنه « ول بعد أن هلك والده عبد الرحمن وأنه ول ابنه ميسونا » وكان رأس الأياشية والصفرية والواصلية . وانصرف الى نفوسة (نفوسة) والصفرية والواصلية ، وكان يسلم عليه بالخلافة . »
« وافر لييل يعل » ، ص ٣١٤ و ٣١٢ و ٩٣ .

(٧٣) انظر التابودي ، الأحكام ، الباب ١١ في ولاية الصدقات ط ١ ص ١٩٠ م ص ١٠٤ . « ولا يجوز أن تنقل زكاة بلد الى غيره الا عند علم أهل البلدان فيه » .

وفى إطار هذا الحرص على تطبيق الكتاب والسنة وأثار الصالحين حاول فيها الإباضية فيما بعد الاجتهاد فى تفسير كيفية قبول عبد الرحمن بن رستم لما قدمه أهل البصرة من المال فى أول مرة ، ورفضه أخذ ماحملوه إليه منه فى المرة الثانية . وفى اجتهادهم هذا قالوا انه ربما عرف الامام انه كان فى احمال المال الثانية أموال أتت عن غير طريق الصدقة ، مما يمكن أن يشكك فى سلامة مصدرها ، بمعنى أن ذلك كان سبب رفضها (٧٤) . بينما الرواية صريحة فيما تنسبه إلى الامام من انه قبل الاموال فى أول مرة لأن أهل تاهرت كانوا فى حاجة إليها للدفاع عن انفسهم بينما كانت أحوالهم قد تحسنت واستغنوا عندما أتت دفعة الاموال الثانية ، لمكان غيرهم من ضعفاء أخوانهم أولى بها منهم ، وهذا ما رفع من شأن الرجل وزاد فى تعظيم معاصريه له .

دولة المشاركة والمساواة :

وعن طريق العدالة فى توزيع الاموال والأرزاق حققت اقامة تاهرت الرستمية على عهد عبد الرحمن ما كان يصبو اليه الكثيرون من المساواة فى الحقوق والواجبات ، وخاصة ما يتعلق منها بالاموال وهى المشكلة التى فجرت الفتنة الكبرى بمقتل الحليفة عثمان بن عفان الذى يقف منه الخوارج وبضمنهم الإباضية موقفا عدائيا مرا (٧٥) .

التنظيم المالى :

وفى جمع الاموال وانفاقها يقول ابن الصغير عن عهد عبد الرحمن بن رستم : « والسيرة واحدة ، وقضاته مختارة ، وبيوت أمواله ممتلئة ، وأصحاب شرطته والطلائمون به قائمون فيقبضون أعشارهم فى حلال كل (شهر) من أهل الشاة والبعر ٠٠٠ لا يظلمون ولا يظلمون ٠٠ فاذا حضر جميع ذلك صرف الطعام إلى الفقراء وبيعت الشاة والبعر - فاذا صارت أموالا دفع منها إلى العمال يقدر ما يستحقون على عملهم ، ثم نظر فى باقى سائر المال فاذا عرف مبلغه أمر بأحصاء من فى البلد وقيما حول البلد ثم أمر بأحصاء الفقراء والمساكين ، فاذا علم عددهم أمر بأحصاء ما فى الأهرام من الطعام ثم أمر بجميع مابقى من مال الصدقة فاشترى منه اكسية صوفا وجبايا صوفا وفراء وزيتا ثم دفع فى كل أهل بيت بقدر ذلك . ويؤثر باكثر ذلك أهل الفاقة من مذهب . ثم ينظر إلى

(٧٤) انظر الدرجيني ، المخطوط . ص ٢١ - ١ ، المطبع ، ص ٢٦ .

(٧٥) الورق - المخطوط . ص ٢٢ .

ما اجتمع من مال الجزية وخراج الارضين ، وما أشبه ذلك فيقطع لنفسه وحشمه وقضاة وأصحاب شرطته والقائمين بأموره ما يكفيهم في سنتهم ، ثم أن فضل صرفه في مصالح المسلمين (٧٦) -

تنظيم دولة رعاء :

من هذا النص الفريد في الموضوع ، والذي يعتبر أقدم النصوص التي وصلتنا عن الامامة الرستمية في تاهرت ، يتضح لنا أن تنظيم امامة تاهرت كان تنظيم دولة بدوية تمشي على الرعى أولا وقبل كل شيء ، فاهم مورد لخزائن مال الامام عبد الرحمن هو ضريبة الاعشار ، من الشاة والبعر التي كانت تجبي في أول كل شهر قمرى - ولما كان من المفهوم أن ضريبة الاعشار التي تمنى العشر تمثل الزكاة أو الصدقة ، وهي الواجب المالى الوحيد الذى يقع على عاتق المسلمين ، فالمفروض أن الضريبة المقررة كانت ربع العشر - في مجتمع تاهرت المتمسك بالسنة الأولى - لا تتجاوزه بأى حال من الأحوال ، وأن تسميتها بالعشر كان نوعا من التخفيف لكلمتى ربع العشر ، على ما نظن . وكلمتى « لا يظلمون ويظلمون » معنى التمسك بشكل لا يقبل الجدل فى تحديد قدر الضريبة دون زيادة أو نقصان - والمفهوم أيضا من ثنايا النص أن الضريبة لم تكن تجبى على قطعان الماشية وحدها ، بل كانت تجبى على ناتج الأرض من الحب ، من : القمح والشعير ، الذى يعرف بالطعام ، والذى كان يصرف عينا بمجرد جمعه على الفقراء - وذلك أن أرزاق العمال (من جامعى الصدقات) كانت تصرف لهم نقدا بعد بيع غم العشر وحماله - وكانت الأوراق تصرف لهؤلاء العمال تبعا لنوع الوظيفة التى يقوم بها كل منهم -

معاونو الامام :

ولما جزم من ترتيب الموظفين الرئيسيين ، من عمال الامام وأعوانه ، أنهم يتوالون على الوجه الآتى : القضاة ويمثلون الطبقة الأولى ، ويحتلوهم أصحاب الشرطة الذين يمثلون ثواب القاضى ، من المحتسبين المشرفين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الأسواق وعلى القبائل ، وبعدهم تأتي طبقة العمال من جباة الاموال المعروفين بالطائفين أو الطوائف - والتسمية مشتقة من طبيعة الوظيفة التى تتمثل في الطواف على القبائل والبلدان وجمعيات أهل الدعوة لحياة الصدقة أو العشر -

أموال الصدقة :

وبعد توزيع الطعام ورواتب عمال الصدقة السنوية من الزكاة كان على أعوان الإمام أن يحصوا ما تبقى في الأهرام من الطعام (الحبوب) وما تبقى من أموال الصدقة . وكانت هذه البواقي من نصيب أهل الدعوة في تاهرت وليما حولها من الضواحي والظواهر ، وكان للفقراء والمساكين نصيبهم الوافي فيها مرة أخرى ، فكان على العمال أن يحصوا الجميع . وعندما يتم ذلك الإحصاء السكاني الدقيق كان الإمام يأمر بشراء الملابس اللازمة لفصل الشتاء ، من : الأكسية الصوف والجيايب الصوف وكذلك ملابس الفرو ، ويوزع كل ذلك على أهل كل بيت حسب حاجته وحسبما تسمح به الأموال . والنص على أن عبد الرحمن بن رستم كان « يؤثر بأكثر ذلك أهل الفاقة من مذهبه » يعني أن القاطنين في حيز تاهرت من غير أهل المذهب كان لهم نصيبهم في ذلك التوزيع الجماعي السنوي .

وهكذا كانت توزع أموال الزكاة أو الصدقة على المستحقين من الفقراء والمساكين ، وكان المشرفون على الجباية من الطائفتين لهم أجرهم من نفس المال الذي جمعوه . أما كسوة الشتاء والزيت اللازم للطعام أو لآلئ المشاعل والقناديل فكان يصرف لجميع أهل البلد من فاقض الأموال في الأهرام وفي الخزائن .

رواتب الامام وأعوانه :

أما الإمام وأعوانه من الحشم والقضاة وأصحاب الشرطة وسائر معاونيه فكانت أرزاقهم السنوية تقطع من مال الجزية وخراج الأرضين وما أشبهه . ويفهم من ذلك أنه كان من بين رعايا تاهرت أهل ذمة ، من : اليهود ، على وجه الخصوص ، والنصارى . ولا بأس من أن نضيف ، إلى ما كان يجمع منهم ، المال الذي كان يجبي من غير أهل المذهب من السنة أو من الصفرية أو الشيعة . وهو الأمر الذي نكتفي بالإشارة إليه .

وبعد ذلك كان إذا فضل من المال فضل حرفة الإمام في « مصالح المسلمين » ، في المرافق العامة : كالمساجد والمصليات ودور العلم والضيافة والجماعات ، وكذلك فيما تقوى به الجماعة من أمور الدفاع كشراء الكراع والسلاح والخيول ، أو تحصين العاصمة وتوسيع أسوارها ، أو غير ذلك مما يصلح به شأن الجماعة .

ازدهار تاهرت على عهد عبد الرحمن بن رستم : العاصمة الإباضية سوق عالية :

وهكذا عاشت الجعاعة الإباضية في تاهرت في ظل إمامة عبد الرحمن ابن رستم في نظام مثالي يحقق العدالة والمساواة بين جميع أهل الدعوة . فالإمام كان القدوة الطيبة لرعيته في الزهد والعفاف والتفاني في مصلحة الجعاعة ، وعلى الجملة في حسن السيرة وإقامة الحق والعدل - ولقد ظهرت العدالة في شكلها الملموس في أحكام الإمام المنصفة بين المتخاصمين ، وأكثر من ذلك في المسألة الشائكة الخاصة بتوزيع الأموال - ولكنه لما كانت إمامة تاهرت دولة رعوية ، كما رأينا ، فإن ناتج دخلها الوطني ما كان يمكن أن يهيء حياة الرخاء التي يتحدث عنها ابن الصغير والتي لا تكفي بالنص على انتعاش فقرائها بل ترسم لمدينة تاهرت صورة زاهية بفضل دورها وقصورها وبساتينها وطواحينها وكثرة خيراتها - وكل ذلك على عهد الإمام عبد الرحمن الذي لم يتجاوز ثمانية أعوام ، كما قلنا .

والحقيقة أن ابن الصغير المالكي الذي عاش في تاهرت على أواخر أيام الرستميين والذي يقر بأنه لم يحرف ما سمعه من الإباضية ولن يزيد أو ينقص - يشرح أسباب انتعاش التاهرتيين وازدهار المدينة بفصل أنها أصبحت قلة الرفاق من التجار الذين أتوا من كل الأمصار - ففي خلال سنوات قليلة لم يعد يزل تاهرت أحد من الغرباء إلا استوطن معهم « وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن سيرة إمامه ، وعدله في رعيته ، وأمانه على نفسه وماله » . وبصرف النظر عما يقوله ابن الصغير من أن ما طرأ على المدينة قد حدث خلال السنوات القليلة التي ولي أمرها عبد الرحمن بن رستم ، فمن المقبول أنه مع مرور الوقت ، وعلى عهد خلفاء عبد الرحمن ، صارت تاهرت مدينة عالمية ، كما نقول الآن : « حتى لا ترى داراً إلا قيل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي » . وهذا مسجد ألقرويين ورحبتهم ، وهذا مسجد البصريين ، وهذا مسجد الكوفيين » (٧٧) ، مما يعني أن رواد تاهرت الأوائل كانوا من أهل العراق الحواري حيث مركز الدعوة الأول ، ومن القيروان إفريقية حيث نشأ أقطاب الدعوة الأوائل وجاهدوا في سبيل إقامة المذهب .

وتنص رواية ابن السفر هذه على أن تاهرت دانت بتحضيرها هذا إلى ازدهار تجارتها بعد أن أصبحت سوقاً دولية « فاستعملت السبل إلى بلد

السودان ، وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة ؛ ضروب الامتعة ، فأتوا على ذلك (سنتين أو أقل من ذلك أو أكثر) والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الاقطار تاجرون (٧٨) . ويفسر الشماخي ذلك فيقول ان التجار ساروا الى تاهرت بتجاراتهم وأموالهم من مصر وأفريقية والمغرب (٧٩) . ولا ندرى أن كان الاندلسيون الذين كان لهم نشاطهم في بدء الحركة الخارجية في المغرب قد ساهموا في ازدهار مدينة تاهرت في ذلك الوقت ؟ وذلك أن البكري يذكر أنه كان من بين أبواب تاهرت الأربعة الأولى باب يسمى باب الاندلس (٨٠) مما يعني وجود طائفة من الاندلسيين في المدينة حتى نسب اليهم ذلك الباب ؛ وإذا صحت رواية ابن الصغير من أن باب الصفا الذي يذكره البكري كان من أبواب المدينة على عهد عبد الرحمن بن رستم فلا بأس من أن يكون باب الاندلس هو الآخر من أبواب المدينة الأولى ، وهذا يعني أن الاندلسيين ساهموا في بناء المدينة ، وفي إقامة مجتمع تاهرت الأول (٨١) . وهو الأمر الذي يؤكد عدد من كبار المشايخ من أصحاب عبد الرحمن من الاندلسيين ، كما سنرى حالا .

والهم من كل ذلك أن تاهرت بدأت ترقى وتزدهر منذ أيام عبد الرحمن ، وأن التجارة - وخاصة تجارة بلاد السودان حيث الذهب - كانت من الأسباب الرئيسية التي احتذبت الباحثين عن الربح من المشرق والمغرب والاندلس . ولا شك أن طبيعة التنظيم الأباضي الذي لا يقبل جباية الضرائب على المتاجر ، على اعتدائهم من المغارم ، كان من الأسباب الإضافية التي شجعت التجار على ارتياد تاهرت ، إلى جانب ما ساد المدينة من الأمن واجتماع الكلمة وحسن سيرة الامام عبد الرحمن الذي توفي في سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م ، تاركا لكبار أصحابه اختيار خلف له على سنة السلف من الراشدين .

امامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم : (١٦٨ هـ - ٧٨٤/٨١٩ م)

هكذا نجح عبد الرحمن بن رستم في توطيد أركان الامامة الأباضية

(٧٨) إبي الصغير ، ص ١٢ - ١٣ .

(٧٩) السير ، ص ١٥٨ .

(٨٠) الكرى ، ص ٦٨ .

(٨١) ابن الصغير ، ص ١١ (عن باب الصفا) ، وانظر إلى بناء المدينة ، فيما سبق ،

ص ٢٩٣ و ١٨ .

في تاهرت ، بفضل عدلته وحسن سيرته الى أن توفي سنة ١٦٨ هـ / ٨٤ - ٧٨٥ م ، وأصبح النموذج الصحيح للامام الاباضى ، ولم يكن من الغريب أن يستفيد ابنه عبد الوهاب من سمعته الطيبة ، وأن يفوز على منافسيه ويتولى الامامة . وابن الصغير الذى يمثل أقدم وثيقة وصلتنا عن اباضية تاهرت يقول فعلا أنه لما مات عبد الرحمن بن رستم قامت الاباضية وعقدت الامامة لابنه عبد الوهاب (٨٢) ، و ن المتأخرين من الاباضية أوردوا للامام عبد الرحمن أن يسير على نهج عمر بن الخطاب . فمتدما مرض عبد الرحمن مرضه الذى مات فيه ، جعل الأمر شورى فى ستة نفر من كبار أصحابه وسابعهم ابنه عند الوهاب (٨٢) ، وهم : مسعود الأندلسى ، أبو قدامة يزيد بن قندين اليفرنى ، عمران بن مروان الأندلسى ، أبو الموفق سعدوس بن عطية ، شكر ابن صالح الكتانى ، مصعب بن سلمان ، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم . كما انتهى أمر السبعة هنا بعد جدل ومناجاة طالت الى شهر عند أبى زكريا وزادت الى شهرين عند الدرجينى بعده ، وانتهت ازاء فسقط العامة ، الى المفاضلة بين اثنين هما : مسعود الأندلسى ، وعبد الوهاب بن رستم . وكادت كفة مسعود ترجح - كما تقول الرواية الاباضية - ولكنه عندما علم بميل الجماعة الى مبايعته اختفى زهدا فى الولاية (٨٤) ، ولو أنه ظهر وكان أول المبايعين عندما تم الأمر لعبد الوهاب . والظاهر أنه الى جانب ما اقتصف به عبد الوهاب من العلم والشجاعة والتقوى واللين (٨٥) ، كان للعصية دورها فى اختياره : اذ أن الزعيم اليفرنى أبو قدامة يزيد بن قندين لما أيقن أنه لن يصل الى الامامة مال الى عبد الوهاب لصلة الرحم لأن أمه يفرنية من بنى يفرن مثله ، وأنه رجا من وراء ذلك أن يؤثرهم فى الأمر (٨٦) .

(٨٢) ابن الصغير ، ص ١٦

(٨٣) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٦ - ا (المطبوع ، ص ٤٦) . وقاوى الساسى ، ص ١٤٥ . اما ما يورده الكرى ص ٦٧ : ٩٨ ، وكذلك ابن عذارى ، (ج ١ ص ١٩٧) من اسة الرستميين فهو مقتضب ، كما أنه مختلط فى سطر الأحيان - فبينما يجعل الكرى تاهرت ليدون بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بمعنى تقديم عبد الوهاب على عبد الرحمن ، يجعل ابن عذارى الامامة مد عبد الرحمن لابنه عبد الوارث وليس عبد الوهاب .

(٨٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٦ - ا (المطبوع ، ص ٤٦) ، الشماشى ، ص ١٤٤ .

(٨٥) الشماشى ، ص ١٤٤ .

(٨٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٦ - ب (المطبوع ، ص ٤٧) ، الشماشى ، ص ١٤٥ .

ابن فندين ، زعيم بني يفرن ، يطالب بمجلس للشورى :

والهم من كل ذلك أن عبد الوهاب استفاد من رصيد والده الضخم ، في : الزهد والعدالة وحسن السيرة ، ونجح في انتزاع ائمة الاباضية من كبار منافسيه ، من رؤساء القبائل وشيوخ المذهب ، بعد جدل استمر حوالى الشهر أو أكثر . وكان من الطبيعي أن يطالب هؤلاء الشيوخ بأن يكون لهم رأى فى إدارة شئون الدولة ، كما كان قد عودهم الامام عبد الرحمن ، بصفتهم أهل الشورى أو أهل الحل والعقد ، كما هو الحال عند السنة ، وأن يكون على رأس المطالبين بذلك يزيد بن فندين زعيم بني يفرن ، وهى القبيلة المغربية (البربرية) القوية التى صاهرها عبد الرحمن ، فكانوا سنداً له ، وخاصة بعد أن صاروا أخوال عبد الوهاب ، والظاهر أن ابن فندين نادى باقامة مجلس استشارى من الزعماء يعاون الامام فى الحكم وذلك أثناء مداورات مجمع المشايخ الذين تفاقلوا عن مطلبه ، ولو أن مسعودا الأندلسى كان ضد تقييد الامام بشرط من الشروط (٨٧) .

امامة قوية على عهد عبد الوهاب :

وسارت الأمور على ما يرام على عهد الامام الرستمي الثانى عبد الوهاب ، فقيوت امامة تاهرت حتى قال ابن الصغير : انه « اجتمع (عبد الوهاب) من أمر الاباضية وغيرهم مالم يجتمع للاباضية قبله ، ودان له مالم يدن لغيره ، واجتمع له من الجيوش والحفلة ما لم يجتمع لاحد قبله » (٨٨) . ويضيف صاحب اخبار الائمة الرستميين ما حكاه له مشايخ الاباضية : « أنه بلفت سمته (قوته) الى أن حاصر مدينة طرابلس وملك المغرب بأسره الى مدينة يقال لها تلمسان ، فلم يزل كذلك وعلى ذلك ، وأمور الناس مجتمعة ... الى

(٨٧) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٤ - ب ، ١٥ - أ : حيث يقول ان ابن فندين اشترط ألا يقضى عبد الوهاب أمرا دون جماعة معلومة ، وأن مسعودا الأندلسى وافق على هذا الشرط . وقارن الدرجيني (المخطوط ، ص ٢١ - ب والمطبوع ، ص ٤٧) الذى يقول ان يزيد بن فندين وافق البيعة ما لم يستجب لشرطه وأن الامام عبد الوهاب حوّن من أمر مبايعته سبباً ما يسهل من السبب ، وأن مسعودا الأندلسى قال : لا نعلم لى الامامة شرط غير السبل بالكتاب والسنة وآثار الصالحين ، وأن جماعة المتعصبين وافقوا وتركوا الشرط .
ومذلك تمت البيعة وحصل عبد الوهاب الى دار الامارة .

(٨٨) اخبار الائمة ص ١٦ .

ان حدثت الفرقه « (٨٩) » .

وحصار عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم لمديه طرابلس ، الذى انتهى بعد وفاة ابراهيم بن الاعلب سنة ١٩٦هـ / ٨١٢ م بالاتفاق بين ولى العهد الاغلبى عبد الله بن ابراهيم الذى حلف والده وبين امام تاهرت على ان تظل المدينة واقليمها الساحلية تحت حكم الاغالبه ، وأن تصير الاقاليم الظاهرية الأخرى الى حكم عبد الوهاب معروف لنا (٩٠) - والقصد من الاشارة اليه عند كتاب الاباضية هو النص على أن المملكة الرستميه كانت تمتد غربا الى طرابلس . وفى اطار هذا المعنى يريد ابن الصغير ، بإشارته الى ملك المغرب بأسره الى تلمسان ، النص على أن امامة تاهرت نشرت سلطاتها على كل المغرب الأوسط الذى تعتبر مدينة تلمسان حده الغربى حيث تبدأ وراها حدود المغرب الأقصى . ورغم أن اشارته « الى مدينة يقال لها تلمسان » تعنى انه لم تكن لديه فكرة واضحة عن عاصمة المغرب الأوسط الغربية التى ستكون كما سرى ، مجال صراع بين الرستميين وبين الادارسة الذى سيستولون عليها (٩١) ، فالمهم أن انتشار سلطان عبد الوهاب من طرابلس الى تلمسان هو الذى دعا ابن خلدون الى القول أنه « كان يسلم عليه بالخلافة » (٩٢) ، الأمر الذى يسميه ابن الصغير : الانتقال من حال « الامامة الى حال الملك » (٩٣) .

وهكذا تستمر امامة عبد الوهاب من سنة ١٦٨ هـ حينما بويج والى سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ م حينما انتهى حصاره لطرابلس بمعاونة هوازة وزناته ونفوسه ، أى لمدة حوالى ثلاثين عاما ، لا مدنا خلالها حوليات أفريقية والمغرب التاريخية بمعلومات عن النشاطات السياسية والعسكرية للدولة الرستميه . اما كتاب الاباضية : من أبى زكريا ومن نقل عنه مثل الدرجيتى والوسيانى وأخيرا الشماخى - ودون استثناء ابن الصغير المالكى رغم اشاراته التاريخية - فانهم لا يمدوننا بغير المعلومات ذات الطبيعة المنقبة الا فيما يتعلق بالانقسامات

(٨٩) ابن الصغير . ص ١٧ . وقارب أبو زكريا . المخطوط . ص ١٥ - أ : الذى لا يشهد
 الا الى مجتمع تاهرت ، فيقول « ولم يلق عليه أمره أحد من حكومة ولا من حكومة
 حتى ضم من فديين وأصغده » وهو النص الذى تكفى الدرجيتى سفله المخطوط .
 ص ٢١ - ب (المخطوط . ص ١٧) .
 (٩٠) انظر فيما سبق ص ٤٠ .
 (٩١) انظر فيما بعد ص ٤٤٤ .
 (٩٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ وهـ ٧٢ .
 (٩٣) انظر فيما بعد ، ص ٣٢٦ وهـ ١٢١ .

المذهبية التي عرفتها جماعة أهل الدعوة . وفي هذه اندائرة الضيقة يكتفى ابن الصغير ، كما أشرنا ، بتلخيص الأعمال السياسية الخارجية لعبد الوهاب : حصار طرابلس وبسط سلطانه الى تلمسان ثم يشير الى افتراق الاباضية بعد ذلك ، أي بعد سنة ١٩٧ هـ / ٨١٣ م . أما أبو زكريا فيلخص فترة الثلاثين سنة السابقة على الانقسام من عهد عبد الوهاب بقوله : « ولم يتم عليه في أمره أحد في حكومة ولا خصومة حتى نجم ابن فندي وأصحابه » (٩٤) .

الفئة بين اباضية المغرب :

الانشقاق الأول : التكار (أو النكارية) :

كان من الطبيعي وقد ثبت عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم طوال هذه الفترة الطويلة وتؤكد سلطانه شرقا في جبل نفوسة وأحوال طرابلس وغربا حتى أحواز تلمسان أن يزداد استنثاره بالأمور مع تضخم ملكه . وكان من الطبيعي أيضا ألا يرضى المعارضون لمبدأ استبداد الإمام بالسلطة ، وعلى رأسهم يزيد بن فندي - صاحب هذا الشرط - وأن ينازعوا عبد الوهاب في أن يكون له السلطان المطلق . ومن هنا ارتفعت أصواتهم تطالبه ألا يقطع أمرا دون مشورة . وكان رد عبد الوهاب ومسانديه منذ البداية ، مثل ابن مسعود الأندلسي - كما رأينا - : أنه لا شرط للامامة الا الحكم بالكتاب والسنة وآثار الصالحين قبله . ولم يقف الاختلاف الفقهي الدستوري - في الدولة التي اتسعت وازدادت رفاهيتها وانتشر العلم بين أبنائها - عند المطالبة بالمشاركة في إدارة شئون البلاد وعدم الاستبداد بالأمور ، بل انه اتسع عندما أثار المعارضون مسألة نظرية جديدة سبق لأهل المشرق ، من المعكرين ، الكلام فيها ، وهي : مسألة شرط العلم عند الإمام ، وهل يجوز أن يبقى الإمام في السلطة اذا ما ظهر بين أفراد الجماعة من هو أعلم منه ؟ وعن هذا الطريق شككوا في صحة استمرار عبد الوهاب في الامامة (٩٥) . والحقيقة انه اذا كان الإمام الأول عبد الرحمن بن رستم قد عرف بأنه امام دفاع أي رجل حرب يجلس ، كما رأينا ، ومليفه ورمحه قرب يده وفرسه غير بعيد من بابه ، وأنه لم يكن له كتاب معروف من تأليفه ، كما يقول ابن الصغير ، فإن عبد الوهاب كما كان له كتاب معروف بمسائل نفوسة الجبل ، لأن نفوسة كتبت اليه مسائل

(٩٤) أنظر فيما سبق ، ص ٢١٤ وما ٨٩ .

(٩٥) الشافعي ، ص ١٤٦ .

أشككت عليها ، وهذا الكتاب أطلع عليه ابن الصغير بنفسه (٩٦) .

دور سدراته ومزاةة في الخلاف :

هذا عن النظر الى مسألة المعارضة من الناحية النظرية الصرفة التي أعطاها أياها المتأخرون من الإباضية . أما عن واقع الحال ، كما يظهر عند ابن الصغير المالكي التاهرتي الذي حافظ على ماسمعه من أبناء بلدته من الإباضية ، فيدل على أن المسألة كانت سياسة وأنه شارك فيها قبائل الإباضية المغربية (البربرية) من سائر بوادي المغرب الأوسط . فقد جرت العادة على أن ترحل قبائل مزاةة وسدراتة في فصل الربيع من بواديهم الجنوبية نحو تاهرت وأحوازها طلبا للنجعة لشيائهم وبعيرهم ، وبينما كانت قطعان الماشية ترعى الكلأ في حراسة الرعاة من أبناء القبائل ومن العبيد كان رؤسائهم ووجوههم يترددون على المدينة حيث يكرمهم مشايخها ويحسون اليهم . ويشير ابن الصغير إلى أنه في « سنة الفرقة » كان الربيع طيبا ، وأن المزاتيين والسدراتيين انتجعوا أكمل انتجاع انتجموه قتل (٩٧) ، مما يعنى طول المدة التي قضوها حول تاهرت في ذلك الموسم . والظاهر أن طول مدة السجدة كانت كافية لتجاذب أطراف الحديث بين المعارضين من التاهرتيين : ممن يكتفى ابن الصغير بالإشارة اليهم دون تسميتهم بينما يجعلهم أبو زكريا ومن نقل عنه ، على وجه التحديد : يزيد بن فندين وأصحابه ، وهم الذين كانت قلوبهم قد تغيرت على الإمام عبد الوهاب ، فعادوا يطالبون بشرط مشاركة الجماعة المعلومة في إدارة الأمور ، وأخذوا يشيعون أن الإمام حاجي عليهم بعض الناس قعهدهم بالولايات دونهم . وتضيف الرواية أن دعوة المعارضة التي قالت تارة : نحن ولينا ، وتارة : كيف يلينا وقينا أعلم منه ، وتارة : إنما كانت ولايته على شرط ، لقيت أذانا صاغية من طوائف من الناس ممن تصفهم بالجهال والعلفام حتى إنتشر الخلاف (٩٨) .

في هذا الجو المكفهر استمع الضيوف من المزاتيين والسدراتيين إلى ما أسره اليهم مضيفوهم من المعارضين الذين قالوا لهم ، حسب رواية ابن الصغير : « أن الأمور قد تغيرت ، والأحوال قد تبدلت : قاضينا جائر ،

(٩٦) أخبار الأئمة الرسامين ، ص ١٧ .

(٩٧) أخبار الأئمة ، ص ١٧ .

(٩٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ الدريحي ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١

(المطرغ ، ص ٢٨) .

صاحب بيت مالنا خائن ، وصاحب شرطتنا فاسق ، وأمامنا لا يغيرن من ذلك شيئاً - وقد جاء الله بكم ، فادخلوا الى هذا الامام واسألوه عن - قاصيه صاحب بيت مالنا وصاحب شرطتنا ، وأن يولى علينا حيارنا ، فأجابوهم (١٩) .

ورغم ما يقوله كتاب الإباضية من أن سياسة الامام عبد الوهاب فيما يتعلق باستخدام العمال والاعوان تتلخص في : رغبته في أهل الخير ، واستعمال أهل العلم والبصيرة والدين ، وخاصة ممن ليست لهم رغبة في الولاية (١) ، فان رواية ابن الصغير ، فيما يتعلق بالحوار الذي دار بين المراتيين والسدرانيين وبين الامام عبد الوهاب بهذا الصدد ، مقبولة - حسب تقاليد أهل ذلك العصر - ان لم نقل معقولة . فوجوه زناتة عندما فاتحوا عبد الوهاب في أمر عماله الذين أثاروا المعارضين ، أجابهم قائلاً : « جزاكم الله من وفد حيرا ، فقد تم من الاسلام ما يقتضيه من كان مثلكم - الأمر اليكم - قدموا من رأيتم وأخروا من رأيتم » ، فدعوا له واثبوا عليه .

وعندما انصرف المراتيون أخبر الامام وجوه رجاله بما حدث من كلام المراتيين وجوابه عليهم ، فلم يوافقوه على ما فعل : على أساس أن ذلك يسيء اليه ، كما يسيء الى اخوانه ورجالهم . ولفتوا نظره الى أن رضوخه لمطالب المراتيين سيجرئهم عليه وعلى أولاده فيما بعد ، وأن الأمر قد يصل في سلسلة مطالبهم التي قد تتوالى الى حد مطالبتهم بخلعه ، عندما يقولون له : « ان المسلمين في ابتداء أمرك لم يجتمعوا عليك فانخلع واردد اليهم أمرهم ، فان اجتمعوا عليك بجملة ، فزت بخطك وكان ذلك زيادة لك في شرمك (١٠١) » .

وانتهت المداوالات بين الامام وبين مستشاريه الى تعديل وعده للمراتيين بأن يطلب اليهم استشارة اخوابهم في المسألة ، كما سيستشير هو الآخر اخوانه ، وأنه يجب أن يكون حلح من يخلعونه وتقديم من يقدمونه في حضور الجميع ، على أن يستدعى عبد الوهاب وجوه رجاله هؤلاء اذا ما وافق المراتيون على ذلك .

(٩٩) ابن الصغير ص ١٨ -

(١٠٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٣ - ٩

(المخطوط ، ص ٤٨) ، الشماخي ص ١٤٨ -

(١٠١) ابن الصغير ص ١٨ - ١٩ -

وعندما حضر للزائون استدعى عبد الوهاب مستشاريه الدين شكرهم على حسن صنيعهم ، ولكنهم لفتوا نظرهم الى المبدأ القانوني الذي يعصب به : « لا يجب عزل قاض ولا صاحب بيت مال الا بجرحة يظهر عليه ، ولا يجب عزل القضاة ببعي البغاة وسعي السعاة » . ورغم أن جماعة مشايخ البدو الجزائرية أخذت بهذا المطلق الذي لم تمتد عليه ، فاتهم قالوا : « ما هكذا كان عقدنا مع الامام بالأمس ، ما هذا الا رأى حدث أو أمر أبرم » (١٠٢) . وكان من الطبيعي أن يعتبروا ذلك اخلافاً للوعد من جانب عبد الوهاب ، وأن يخرجوا من مجلسه غاضبين . ويدل ذلك يكون الاختلاف فد راد بين جماعة الاباضية ، اذ انضمت قبائل مزاة وسدراتة الى جانب المعارضين من اصحاب ابن فندين .

تجمع المعارضين والمطالبة بمحاكمة عيد الوهاب :

وتجمع المعارضون لعبد الوهاب من أهل تاهرت وخاصة من اليفرنيين أنصار ابن فندين ، ومن القبائل الواقعة الى بوادي العاصمة الاباضية ، في موضع جبلي في ظاهر المدينة عرف عند الاباضية بـ « كدية النكار » (١٠٢) ، تسعة الى النكار أو النكارية ، وهو الاسم الذي أعطى للمخالفين على عبد الوهاب لأنهم أنكروا امامه ، كما ساءهم خصومهم أيضاً بالنكات لسكنهم ببيعة الامام (١٠٤) - وتم نوع من الحلف بين النكار على انهم لا يدخلون الغرب (أي تاهرت) « أو يعرف ما سألوا عرله ، ويحكموا عبد الوهاب ومن معه » (١٠٥) . وكان من الطبيعي ، أن تبدأ المناوشات الحربية بين النكار وبين عيد الوهاب وأنصاره من أهل تاهرت ، طالما ان المفاوضات بين الجانبين انتهت الى عدم الاتفاق .

ورغم ما يقوله ابن الصغير من أن عبد الوهاب قضى على خصومه بسهولة يمدان أعذرهم وأنذرهم (١٠٦) ، فان أبا زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية لا يريدون للامام أن يكون متسرعاً في قتال خصومه . اخوة الأمس ، قبل أن

(١٠٢) ابن الصغير ، ص ١٩ .

(١٠٣) ابن الصغير ، ص ١٩ .

(١٠٤) الشاشي ، ص ١٤٨ ، ابن الصغير ، ص ٧٩ .

(١٠٥) ابن الصغير ، ص ١٩ - ٢٠ والقراءة في النص الا يدخلوا العرب بدلاً من العرب

لأنني تمنى أن يسلكهم كانت في شرقها .

(١٠٦) أخبار الأئمة الرستقيين ، ص ٢٠ .

يستنفد كل الأساليب القانونية المتعارف عليها ، وليس الاعذار والانتذار فقط .

فلقد عرض عبد الوهاب على خصومه أصحاب أبي فدين أن يضعوا أوزار الحرب حتى يستشيروا اخوانهم في المشرق فيما أثير من مسألتى : شرط الحكم بمشورة جماعة معلومة ، وجواز امامة من يوجد أعلم منه . وفى هذه المرة لم يكن الاخوة الذين طلبت مشورتهم فى البصرة ، كما كان الحال قبل ذلك ، بل فى مصر وفى مكة : مما يعنى أن مركز الثقل الخارجى الاباضى ، من الناحية النظرية أو الايديولوجية ، كما يقال الآن ، كان قد انتقل من العراق الى مصر والحجاز ، وهو الأمر الذى يسترعى الانتباه ، اذ يعنى انحسار المدارس الفكرية الخارجية من مركز الخلافة ، جنوبا نحو الجزيرة العربية ، وغربا نحو مصر .

وتم الاتفاق على ارسال رسولين لقياء فى مصر : شعيب بن المرف وشيعته ومعتهم شخص يعرف بأبى المتوكل (١٠٧) ، وفى مكة التقيا بأبى عمر والربيع بن حبيب وآبى غسان مخلص بن المرد الفسائى (١٠٨) . ولقد أجاب زعماء أهل الدعوة فى مكة ببطلان الشرط وجواز امامة العالم اذا وجد من هو أعلم منه ، وأن الامامة لا تبطل الا بحدث فى الاسلام بعد الاعذار والانتذار من جانب الجماعة ، والاصرار والاستكبار من امامهم (١٠٩) ، أما شعيب بن المرف

(١٠٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٥ - ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب (المطبوع ، ص ٤٩ - حيث : شعيب بن المرفوف بدلا من بن المرف) .
(١٠٨) أبو زكريا ، ص ١٥ - ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب (المطبوع ، ص ٤٩) .

(١٠٩) انظر أبو زكريا ، السير واخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ١٥ - ب ، ص ١٦ - ٦ حيث يورد نص كتاب أهل المشرق على الوجه التالى : « بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد . يا اخواننا قد بلغنا ما كان قبلكم ولهمنا ما كتبتمونا (كاتبتمونا) به من أمر الشرط ، فليس من سيرة المسلمين أن يحملوا الشرط فى الامامة : أن لا يقضى أمر إلا دون جماعة معلومة ، والامامة صحيحة والشرط باطل ، فلو صح بالامامة شرط لما قام شيء حتى ولا القيم له حد . ولما طلت العهود وبطلت الأحكام وضاع الحق . والجماعة يقتلوا اتفاقا على أن الامام ان قسم اليه سائق فلا يصيب أن يقيم عليه الحد لمقطع يده حتى تحضر الجماعة ، ولا يجاهد الامام صوا ولا يتها من فساد الا بضرورة الجماعة المعلومة بالامامة صحيحة والشرط باطل . وما ذكرتم من تولية رجل وفى جماعة المسلمين من هو أعلم منه لذلك جائز (جائز) اذا كان فى القناعة والفضل منزلة حسنة ، وقد ولى أبو بكر الصديق رضى الله عنه وزيد بن ثابت الرضى عنه . وعلى بن أبى طالب اقضى منه ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنه . أعلم منه . وهذا ما ليس =

يرأس الجماعة في مصر ، فإنه قرر المسير الى تاهرت (١١٠) للنظر في امسالة
على مسرح الاحداث ، كما يقال ، أو ينظر شاهد العيان .

والحقيقة انه لا بأس في أن يكون أهل الدعوة في مصر قد ماوا أن
رأى المعارضين للامام عبد الوهاب . فهذا ما يمكن أن يذهب من رواية أبي
ذكرى التي تقول إن شعيباً عزم على السير الى تاهرت فخرج في نفر من
أصحابه بغير مشورة من مشايخ مصر طمعا في الامارة . وقد كان بها جماعة
المسلمين : مشايخ ذوو فضل وعلم وورع ، وقد انهاء بعضهم عن الخروج الى
تاهرت ، فقالوا له : تقدم الى بلد اختلف أهلها ولم يشتغل (بكلامهم)
واسمعهم بل هو وأصحابه طمعا في الامارة ، فمضوا مستعجلين حتى أنصوا
رواحلهم فصاروا يسوقونها سوقا ، وحكي عنهم أنهم وصلوا من مصر الى
تاهرت في عشرين يوما (١١١) . ورغم ما تقوله الرواية من أن شعيب دخل

« فيه خلاف لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم . أعرصكم زيد واقصاكم علي وأعلم أمتي
بالآل والحرام معاد بن حنبل ، وقول صلى الله عليه وسلم : معاد بن جبل سيد العلماء ،
هو أنه سيحضر هذا يوم القيامة (القبة) أمام العلماء بنده . » ويضيف أبو ذكرى بعد ذلك
أنهم ردوا الإيواف بأثبات ولاية عبد الوهاب وذكروا أن الإمامة لا تبطل الا بحدث في الاسلام .
وقال الدرجيني (المخطوط ، ص ٢٢ ب ، والمطبوع ، ص ٤٩ - ٥٠) أنه ينقل النص
وكيف بعد البسلة والتصلية والعمدية (قد اتصل بنا ما وقع قبلكم وما كتبتم فيه . فاما
ما ذكرتموه من أمر الشرط . . . أن يجعلوا في الإمامة شرطا أن لا يقطع الإمام . . . الامانة
صحيحة . . . في الإمامة الشرط . . . ولطفت الحدود والأحكام . . . يمتنع اتفاقهم . . . فلا يمكن
أن يقيم عليه الحق فيقطع . . . أو زنا أحد علم يرجم أو يحل حتى تحضر المجاعة . . .
يحاهد . . . ولا يسعى من مكر الا يحضر الجماعة فيكونوا كلهم اذا احابا وكلهم للامام عهد
إبطال الإمامة وتتمه غير الاستقامة ، ورمى الإمامة به يفي والسؤال من هذا في . وأما ما
ذكرتم من تولية . . . جائز اذا كان مستكملا لشروط الإمامة ، وكان من أهل الفضل والدين
والعالم والسياسة والمرلة المرصية ، فقد ولي أبو بكر . . . » وأنظر السماخي ، ص ١٤٨ .
وقارن الماوردي ، باب عقد الإمامة ، ص ٥ (فلو تمين لأهل الاختيار واحد هو الأفضل للجماعة
ليأمره على الإمامة وحدث بعده من هو أفضل منه انقضت بيمينهم إمامة الأول ، ولم يجز
المدرك منه الى من هو أفضل منه) . وبمثل هذا قال الزيدية من فرق الشيعة المنزلة .
شريطة أن يكون الأئمة من أولاد فاطمة بطبيعة الحال (انظر الشهرستاني : الملل والنحل ،
ص ١١٥) . وقارن ابن خلكان (طبقات مشيخ الدين ، ج ٢ ص ٢٢٥) الذي يقول أن الإمام زيد
« من على من الحسين » كان يجوز إمامة المنقول مع قيام الأفضل للصلحة . »
(١١٠) أبو ذكرى : المخطوط ، ص ٦٥ ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ ب .
(المطبوع ، ص ٥٠) .

(١١١) السير وأشا الأئمة ، للمخطوط ، ص ١٦ - ١٧ (انظر الايل يعني أفعالها من كثرة

السفر - انظر لسان العرب ، الفضل نسا ، ج ٢٠ ص ٢٠٢ - ٢٠٤) .

- ٣٢١ -

على الامام عبد الوهاب وما كان يمكنه الا أن يفعل ذلك ، وأنه أقتام بنفسه
طنوى أهل مكة التي وصلت فيما بعد بضعة أمانته ، الا أن ألقم هو أنه
انضم إلى جانب يريد بن فندين وأصحابه ، فكان يناجيهم ويأازرهم .

تسميات جديدة للتكار :

وعن هذا الطريق اكتسب التكار تسميات جديدة عند خصومهم اتباع
عبد الوهاب ، منها : النجوية ، والشيعية الذين عرفوا بالشعية والملحدة ،
والنكائة (١١٢) .

علاقة المعارضين بأهل تاهرت الذين عرفوا بالوهبية :

ومع أن المعارضين لعبد الوهاب من التكارية كانوا يعيشون خارج تاهرت
الا أنهم كانوا يدخلون المدينة جماعات حيث احتفظوا بمساكنهم القديمة ،
مما أثار حشيه أعوان الامم الذين طلبوا منه أن يمنعهم من ذلك . وتشير
رواية أبي ركريا إلى أن عبد الوهاب عندما كلمهم في الخروج نهائيا من المدينة
لم يهتموا كثير بكلامه . اد قالوا له : « هذه مدينتنا وتلك منازلنا » . وسألوه
شم اذا كانوا قد اقترفوا جرما يستحقون عليه الخروج . ومع ان الامام تركهم
سحبون المدينة ويخرجون منها . فالظاهر أن العلاقات ساءت بين التكارية
وبين تناع عند الوهاب الذين صاروا يعرفون عند الكتاب باسم الوهبية
نسبة إليه (١١٢) .

(١١٢) أنظر أبو ركريا (المخطوط . ١٦ - ١ - ١٦ - ب) حيث يشرح النجوية ،
لانهم صاروا يجتمعون ويتناجون . أما الشيعية فهي هي الص في شكل « الشعية لانداليم
في الاسلام الشيع » . والظاهر أن هذا تحريف مقصود من جانب الوهبية لتبريح خصومهم
بنسبهم إلى الشيع . بينما المفهوم من سياق الرواية أن المقصود هو شيعب الحسرى والنسبة
إليه الشيعية . وأما الملحدة : فالتهم « الحدوا في أسماء الله قوله تعالى : الذين يلحدون في
أسمائهم سيجزون ما كانوا يعملون » والمقصود بذلك هي مسألة تثن الصفات عند المعتزلة .
أما النكائة : « لكنتم يمة الامام بغير حق » . وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب ،
٢٣ - ١ (المطبوع ، ص ٥٠ - ٥١) .

هذا ولا بأس من الإشارة إلى أن الدرجيني يشير فيما بعد (المطبوع ، ص ١٦١) إلى أن
« التكارية من الخصوم الوهبية قبلوا سنة « التكار » على أنها تشمل الخوارج جميعا لأنها
نسبة إلى انكار حكم الحكيم بصلين . فكان هذه التسمية عماد اصطلاح « التكية » الذين
كانوا : لاسم الله .

(١١٢) أنظر ابن الصغير (ص ١٦) الذي يصر على الفرق الألفية على بين عبد الوهاب
على : تكار . ووهبية . ولكن يصر إلى أنه لا يعرف اسم الوهبية . فيما يعرف باسم « التكية » .

تأزم الموقف بين الفريقين :

وانتهى الأمر الى تأزم الموقف بين الجماعتين عندما اعتاد النكار على دخول تاهرت وهم يحملون السلاح ، فحمل أهل المدينة بدورهم السلاح بأمر عبد الوهاب خشية الغدر . ولقد تحقق محدر النكار في مغامرة قصصية قاموا بها ، كما يقول أبو زكريا ، للتحلص من الامام .

مؤامرة قصصية لاغتيال الامام :

فقد تظاهر النكار بأنهم يتنازعون على صندوق (تابوت) وضعوا فيه رجلا معه سيفه وحملوه الى دار عبد الوهاب حيث وضعوه الى أن يحكم بينهم ، وكان هدفهم أن يخرج الرجل لاغتيال الامام ليلا . وفشلت المؤامرة بسبب سهر الامام من أجل الصلاة والقراءة والدرس من جهة ، ثم بسبب فطنته وحرصه . حيث وضع زقامنوخا في فراشه ، وجلس يترقب الخائن الى أن خرج من تابوته وضرب الزق ، فقدم الامام بسيفه نصفين ، وأعاد قتيلا الى التابوت (١١٤) . وهكذا اتضحت نية الغدر لدى النكارية ، وأمر عبد الوهاب أن يكون أهل تاهرت على أهبة الاستعداد دائما بسلاحهم . وآسهن خصوم الامام ، من : ابن فندين وأصحابه ومنهم شعيب المصري ، خروج الامام من تاهرت في بعض حاجاته واستغلوا أهل المدينة وحاولوا الدخول عليهم على حين غرة ، « فقامت الصيحة في المدينة من كل مكان » (١١٥) .

احدهما هي اليريدية اتباع عبد الله بن يزيد والآخرى هي المبرية اتباع عيسى بن عمر ثم أحد بن الحسين ، وأن من يسمى بالوهابية يميلون الى هذين المذهبين ، مما يعني تطوروا او تقسيمات جديدة بين اتباع عبد الوهاب الذين لم يعودوا يعرفون باسم الوهابية على أيام ابن النعمان . على أواخر الرستينيين ، حيث كانوا يسمون في ذلك الوقت أيضا باسم العسكرية الذي كان يعرف به مطم قائل نفوسة في تاهرت . هذا ، كما ظن ابن حوقل أن تسية الوهبة في جبل نفوسة نسبة الى عبد الله بن وهب الراسبي أول أئمة الحرورية في العراق ، ويقول انه وصل مع عبد الله بن امام الى الجبل وماتا فيه (ط - بيروت ، ص ٩٣) . (١١٤) أنظر أبو زكريا ، المحفوظ ، ص ١٧ - ١٧ ، ١ - ١٧ ، ب (وقارب الدرر الحثي . المطبوع ، ص ٥٢ - ٥٣) . حيث كان الترتيم أن يؤذن القتال بعد أن يقتل الامام ليأتي أصحابه الى دار الامارة . فلما لم يسموا إلاذان أتوا أصحابا وحملوا تابوتهم ووجدوا صاحبهم فيه قتيلا . فخرجوا من المدينة خوفا من صيغهم من المسلمين ، وقارب الشماخي (ص ١٤٩) . حيث يقول ان اصحاب الامام هم الذين هردوا بالمنازين ووصعوا الرق المفلوخ .

(١١٥) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ١٧ - ب حيث تقول الرواية أن السبب في تعجل ابن فندين وشعيب بالقيام بتلك المحاولة أنهم كانوا يخشون وصول فتوى أهل المشرق في ذلك الحلاف خشية بادانتهما ، وهو ما سيحدث بعد قليل (وقارب الدرر الحثي . المطبوع ،

بلاء ولى العهد أفلح ، ومقتل ابن فندين :

وترجع رواية أبى زكريا فضل أنقاذ تاهرت مما كان يدبره لها خصومها إلى شجاعة ولى العهد أفلح بن عبد الوهاب الذى عاجلته الحادثة وهو يتزين مخرج يأخذ شقياً رأسه مضطراً والآخر دون تضفير ، ووقف وحده يدافع عن باب المدينة حتى أنسلخت رجله إلى العرقوب وحتى تحطمت درقته ، فاقتلع الباب الضخم يتقى به ضربات الأعداء . وكان من بين ضحايا أفلح يزيد بن فندين الذى لم تمنح البيضتان اللتان كانتا على رأسه من أنه يضربه أفلح على أم رأسه ضربة «فقدته والبيضتين والرأس ، وتشبب السيف فى عمود باب المدينة ، وحس أفلح بن عبد الوهاب فى يده الشدة فظن ذلك كله رأسه فقال له : ما أقوا رأسك يا بربرى يامشوم» (١١٦) .

خلاف شعيب فى حيز طرابلس :

وبمقتل يزيد بن فندين انهزم أصحابه بعد أن تركوا من قتلاهم ١٢ (اثنى عشر) ألفاً كانت دماؤهم تجرى كالسيل ، كما تبألغ الرواية ، على باب المدينة . وزعم أن الامام عبد الوهاب أمر عندما رجع بجمع القتلى ، وصلى عليهم ودفعهم . « طمعا فى العافية لعامة المسلمين من بقية أصحاب ابن فندين » ، فان شعيبا الذى فر إلى حيز طرابلس ، ربما فى المنطقة الواقعة بين المدينة وجبل نفوسة ، وظل يظهر الخلاف للامام يعلن البراءة منه ، وينشر دعايته المناهضة لامام تاهرت بين الحجاج الوافدين من المشرق (١١٧) . فكان وأصحابه يقولون : « قتل المسلمين » (١١٨) . ولم تتم دعاية شعيب ضد عبد الوهاب ، إذ عندما وصلت أنباء تلك الفتنة إلى أهل الدعوة بالحجاز من جماعة المسلمين ، وعلى رأسهم الربيع بن حبيب ، « برءوا من شعيب ويزيد بن فندين وأصحابه الذين قتلوا معه ، ومن كان على سبيلهم إلا من تاب » . وكان الربيع بن حبيب يقول فى مجالسه : عبد الوهاب أماننا وتقينا وامام المسلمين أجمعين ، (١١٩) .

(١١٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٧ - ب ، ١٨ - أ ، الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٢ .
(١١٧) انظر أبو زكريا ، ص ١٨ - ب ، ٢٨ - أ (الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٥) .
أما ابن الصنوبر (ص ١٩) فإنه يقول أن الامام عبد الوهاب هو الذى تخرج اليهم وصرعهم فى لمح البصر .
(١١٨) التمشاوى ، ص ١٥١ .
(١١٩) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - أ : حيث قيل للربيع كيف تبرأ من شعيب من غير حدث ، فقال وادى حدث أعظم من برأته من عبد الوهاب أمير المؤمنين (الدرجينى ، المطبوع ، ص ٥٥) .

اعتزال المخالفين الذين عرفوا بالواصلية ، وتحول الامامة الى ملكية اى خلافة :

وبذلك تمت القطيعة تماما بين تاهرت وبين خصومها من أصحاب ابن فندين الذين بقيت في نفوسهم حزازات وصعائن فتسحوا بساجيهم بالقرب من تاهرت التي لم يعودوا يدخلونها ، ووظن أن ذلك هو السبب في تسميهم أيضا بالمعتزلة (١٢٠) لاعتزالهم أهل تاهرت ، وأن ذلك هو السبب في تسميهم فيما بعد بالواصلية ، ولو أن كتاب الاباضية يفرقون بين النكار وبين الواصلية من الخارجين على امامة تاهرت ، كما سنرى . هذا ، كما يمكن التفكير في أن يكون المقصود بالاعتزال والواصلية هنا نوعا من الفكر الشيعي الزيدي الذي كان قد امتزج بالاعتزال عن طريق تلمذة الامام زيد لوصل بن عطاء حتى قيل انه صار « وجميع أصحابه معتزلة في المذهب والاعتقاد » (١٢١) وهذا ما قد يعتبر من مقدمات قيام الدولة الادريسية (١٢٢) وحق لابن الصغير أن يقول : انه بعد انتصار عبد الوهاب هذا على خصومه اشتد أمره ، « وانتقل من حال الامامة الى حال الملك » (١٢٣) ، أي من حال الدولة الدينية الى حال الدولة السياسية - نشيها بما حدث في دولة الخلافة أيام معاوية (١٢٤) .

ومع أن ابن الصغير يبدأ تاريخه لمرحلة « الملك » في تاهرت بالافتراق الثاني الذي عرفته الاباضية على عهد عبد الوهاب أيضا ، ويجعل سبب الافتراق هو الخلاف مع قبائل هواة ، فالأقرب الى المنطق أن تكون تلك المرحلة بعد الانتهاء من الصراع مع الواصلية في أحوار تاهرت ، كما يفصل ذلك أبو زكريا ومن تقل عنه . وذلك أن هواة كانت تسكن في حيز طرابلس

(١٢٠) أنظر أبو زكريا (ص ١٨ - ١) الذي يعود فيكرز انهم تسحوا بالريوة أو الكدبة التي سببت كدبة الكار ، الشاسي ، ص ١٥٤ (حيث يسميهم معتزلة) .

(١٢١) أنظر ابن خلكان (عن الامام زيد المتوفى سنة ١٢٣ هـ) ، ج ١ ص ٣٣٥ .

(١٢٢) أنظر فيما سبق ، ص ٣١٩ وهـ ١٠٨ ، هذا ، ولو أنه من الغريب أن يتركس تقسيم البربر عند تسميتهم ، مع مرور الوقت ، الى معتزلة واباضية وسنية ، بل وأن تسمي غالبية رماة في أواخر القرن الخامس الهجري/ ١١ م الى المعتزلة باستثناء بعضهم ، مثل : مي يرزال ومنى واسين الاناصية ، وكذلك بني معاوية ومنى يفرق السنية - أنظر ابن حزم جبهة إنساب العرب ، ص ٤٦٣ ، حيث يسبب ابن حزم تلك الرواية الى معاوية أي محمد بويكني الرزالي ، الساك الاباضي ، الذي كان عالما بالساجيهم) .

(١٢٣) أحبار الأئمة الدرستين ، ص ٣٠ .

(١٢٤) أنظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ وهـ ٧٢ .

حيث كان الصراع الذي أدى الى الانشقاق الثاني بين الاباضية (١٢٥) .

الصراع ضد النكار والواصلية :

وحسب رواية أبي زكريا ينقسم الصراع بين عبد الوهاب وبين خصومه الى مرحلتين الأولى ضد النكار والثانية ضد الواصلية ، وهو الأمر الذي يتضمن في ثنياه أن يكون هناك فرق زمني معقول بين الصراعين .

النكار :

وكان سبب الصراع ضد النكار هو اغتيال « ولي العهد » ميمون بن عبد الوهاب الذي قتل غدرا بليل، ومثل به قمز لحبه اربا خارج تاهرت (١٢٦) . ومع أن عبد الوهاب دفن ابنه دون أن يدري من قتله ، فإنه لم يلبث أن يتيقن أن النكار هم الذين قتلوه ، وذلك عندما مر ابن ميمون بهم ، وهو يسعى في بعض حاجاته ، فصاحوا به : « يا ابن المهدور دمه » . وهنا قرر عبد الوهاب الانتقام من قاتلي ولده فجهز جيشا أنفذه اليهم ، ولكي يتم الثأر جعل قيادته الى واحد من أبناء القتيل . وعلى بعد أيام من تاهرت التقى جيش عبد الوهاب بخصومه ، وهزمهم هزيمة مكررة حتى قيل انه عد من اسمه هارون ، وهو أقل الاسماء شيوعا بين القتلى ، فكانوا ٣٠٠ (ثلثمائة هارون) قتيلا (١٢٧) .

الواصلية :

أما عن الصراع ضد الواصلية فأتى بعد ما نزل بالنكار من الوهن والضعف ، مما يصح أن جماعة الواصلية تختلف عن جماعة النكار ، وهو الأمر الذي يشير اليه أبو زكريا عندما يعرف الواصلية بأنهم « قوم من الربر

(١٢٥) انظر ابن الصغير ، ص ٢٠ ، حيث يحمل عبارة ولوثة في حيز تاهرت ، وهو الأمر الذي لا يتفق مع واقع الحال وان كان الأمر لا يسع من وجود عشائر مهاجرة عن طرابلس الى تاهرت .

(١٢٦) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - ب ، الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٦ ، الذي يقول ان الامام حزر عندما رآه وقال . « أي بني احتجنت خبيك ثلاثة أمثال للعامة في قولهم : ويك لمن مرت الليل بكساء . ويح لم أصيب بليل . وقال التتال : اذا مسست ابن السلطان فاحسبه مسا عنيلا » . ومن ولاية ميمون العهد ، انظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ ، وانظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ و ٧٢ .

(١٢٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٨ - ب ، الدرجيني ، المطبوع ، ص ٥٦ .

أكثرهم قبل زل زلته (١٢٨) . ويضيف الدرجيني الى ذلك أنهم كانوا يعيشون قريبا من تاهرت ، وأكثرهم أهل البادية (١٢٩) وأن عددهم كان - على أيام ميمون - نحو ثلاثين ألفا في بيوت كبيوت الاعراب يحملونها (١٣٠) ، مما يعني أن الحصومة حملت هذه المرة طابعا عرقيا شعوبيا وليس مذهبيا ، كما في حالة الكار . ويعطى أبو زكريا لخصومه الواصلية لونا سياسيا عندما يشير الى أنهم تحركوا « حين أحسوا ببعض الفرقة في الاباضية ، وأرادوا أن ينتهزوا بعض الفرصة » (١٣١) . وواضح من النص أن زعماء الواصلية هؤلاء كانوا يحسنون الجدل في المسائل التي كانت موضع خلاف بين أهل المذهب ، مما جعل الكتاب ينسبونهم فعلا الى الممتزلة بعد أن كان اعتزالهم سياسيا بمعنى الانحياز عن محتج تاهرت والابتعاد عنه . فهذا ما تشير اليه الرواية التي تقول : ان ابن سيدهم كان فارسا مغوارا صعب المثل ، وأنه كان فيهم أيضا رجل مناظر يجيد فنون الكلام ، وكثيرا ما ناظر الامام : وكان شديد المعارضة حديد العارضة ، مما يفهم منه أن عبد الوهاب لم يكن له طاقة به في هذا الفن (١٣٢) .

الاستعانة بنفوسة في الصراع ضد الواصلية :

وهكذا نفهم من قصة الفارس الواصلى المغوار وصاحبه المناظر الشديد المراس أن جماعة الواصلية كانت قد قويت من الناحيتين العسكرية والمذهبية، وأن الأمر كان سينتهى بالصراع بينهم وبين امام تاهرت عندما اشتدت معارضتهم له . وتقول رواية أبى زكريا ان عبد الوهاب أئذهم وأعذرهم قبل أن يلتاقهم في عدة معارك . ويفهم من الرواية التي تنص على أن الامام استنجد في آخر الأمر بقبائل جبل نفوسة أنه لقي منهم شدة . فقد طلب من نفوسة ، « أن يعتثوا له جيشا نجيبا يكون فيهم رجل عالم بفنون الرد على المحالفين ، ورجل عالم بفنون التفسير ، ورجل شجاع بطل يبارز الفتى المعتزلى الموصوف

(١٢٨) السير واخبار الائمة . المخطوط . ص ١٩ - ١ (الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ ، المطبوع ، ص ٥٧) .

(١٢٩) الطبقات . المخطوط . ص ٢٦ - ١ (المطبوع ، ص ٥٧) .

(١٣٠) الطبقات . المخطوط . ص ٢٠ - ١ : المطبوع ، ص ٤٣) . وناظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٢١ .

(١٣١) أبو زكريا ، المخطوط . ص ١٩ - ١٠ .

(١٣٢) أبو زكريا ، المخطوط . ص ١٩ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ : المطبوع ، ص ٥٧) .

بالشمجاعة» (١٣٣) . واختار عامل عبد الوهاب على جبل نفوسة أربعة رجال أرسلهم الى عبد الوهاب ، وهم : مهدي الويفري الخير بفن المناظرة ، ومحمد بن يانيس العابد الزاهد العالم بتفسير القرآن ، وأيوب بن العباس الفارس الذي لا يشق له غبار . أما الرابع فاختلف في أمره أما محمد أبو محمد أو أبو الحسن الأيدلاني (١٣٤) .

ومع أن الامام الذي كان ينتظر عسكريا كثيفا من نفوسة ، حتى انه وعد من يبشره بوصولهم من عبيده بالحرية ، عجب من غير شك لوصول الرجال الأربعة وحدهم ، فان هؤلاء لم يلبثوا ان اكتسبوا ثقته في أنهم أكفاء للقيام بالمهمة التي كان يرجوها من نفوسة . فبعد أن أنزلهم في دار الضيافة وأجرى عليهم ما يلزمهم الى أن استراحوا ، ناقشهم في أمر مواجهة الواسلية في المناظرة والحرب . فعرف مهديا بأسلوب الفتى الواسلي المنتحل للمناظرة ، وفهم مهدي كيف كان المعتزلي يزوغ عن الحجة ويحيد عن الجواب ، وكيف كان يلبس على الامام ويسرق منه السؤال (١٣٥) . أما عن أيوب بن العباس فقد أذهل القوم بقوته الأسطورية حتى أنه عندما أراد اختيار فارس من دار الدواب في تاهرت لم تعجبه جميع الافراس التي كانت تكاد تقع بين يديه ، عندما كان يجذبها (يجندها) محاولا اختبار قوتها . حتى انتهى به الأمر

(١٣٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ١٩ - ١ ، الدرجيسي ، المخطوط ص ٢٦ - ١ (المطبوع . ص ٥٧) ، التماسي ، ص ١٥٤ .

(١٣٤) أبو زكريا ، ص ١٩ - ١ الدرجيسي ، ص ٣٦ - ١ (المطبوع . ص ٥٧ - ٥٨) .

وتقول الرواية ان الأريسة عندما خرجوا في هيئة السمر الى تاهرت اسر محمد بن يانيس هل ان يكون حادما لهم ، فكان يجهز طعامهم ويملف حيلهم ثم يقص قصة ليلة قائما يصل . وأنه تمادى في ذلك رغم اعتراضهم عليه والباحهم في أن يرفق بنفسه ، حتى انه عندما أشبرهم انه لن يصل الا ركعتين لم ينته منهما الا مع طلوع الفجر . لأنه قرأ نصلا من القرآن مسح كل من الركعتين . وبلغ أمر ابن يانيس من الاحتداد في الصلاة ليلا حتى في الأيام الباردة المنعزة الى ان قالوا له « ان كان لا يصل الجنة الا من كان مثلك يابن يانيس سيصيبك فيها الوحشة » (وقارن الدرجيسي ، ص ٣٦ - ب ، ٢٧ - ١ ، المطبوع . ص ٥٨ - ٥٩) .

(١٣٥) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٠ - ب ونضيف الرواية هنا ان مهديا كان يترك أصحابه ويخرج لمناظرة المخالعين وأنه أعاد منهم الى اللحد تسعين عالما . أما عن سلات مهدي الذي أكل غداء وملائه ليلا وهو صعب لم يطع فكانت ثلاث اولا قدم اليه أى طعام قضى منه حاجته ولا يزال ، والثانية اذا أخذ لقمة من الليل اكتفى بها ولا يزال . والثالثة انه كان لا يتخاف محالما على نفسه أن يفلس في الحجة . وقارن الدرجيسي ، المخطوط ص ٢٧ - ١ ، المطبوع . ص ٥٩ - ٦٠) .

الى علاج فرسه الذى كان قد أصابه الحفا ، وذلك بالرمل المحمى الذى كان على الفرس أن يطأه بحوافره لمدة ثلاثة أيام (١٣١) .

مناظرة حربية تنتهى بهزيمة الواصلية :

وهكذا عندما استعد الامام عبد الوهاب ، ضرب الموعد لخصومه الواصلية بعد ثلاثة أيام حيث خرج بعسكره ومعه جماعة نفوسة الأربعة . وتم اللقاء العجيب بين الاخوة المنشقين ، ودعا عبد الوهاب الواصلية الى الحق واعذرهم ، ولكنهم طلبوا المناظرة . وهنا صف كل من الطرفين صفوفه ، وكان على المتناظرين أن يتباريا بين الصفيين ، ومع كل منهما وجوه أصحابه . وخرج الفتى المناظر من المعتزلة، وخرج اليه مهدى الذى قدمه محمد بن يائيس . وأحس الفتى المعتزلى بشبح الهزيمة أمام مهدى فعرض عليه أن يستتر كل منهما على صاحبه اذا تمت له الغلبة . ومع أن مهديا وافق على ذلك الا انه قال لأصحابه أن علامة انتصاره على المعتزلى أن ينزع شاشيته عن رأسه، ويضعها تحت ركبته .

وهكذا بدأ الجدل الفقهى بسيطا معهما من الحاضرين ، « فلم يفلح منهم أحد على صاحبه ، ثم أنهما دخلا فى فنون العلم ، فخفى ذلك عن حضرهما » ، دون الامام بطبيعة الحال . ولو أن الجدل بين العملاقين العالمين لم يلبث أن صار غير مفهوم من الجميع ، فكانه « الصفق بين الحجرين » . وعلى حين فجأة نزع مهدى شاشيته من على رأسه ، فكان ذلك علامة انتصاره، فعلا التكبير والتهليل فى صفوف الوهيبية (١٣٢) .

وكان على المباراة أن تبدأ بعد المناظرة ، فخرج الفارس المعتزلى المعروف بالشجاعة وخرج أيوب بن العباس للقاءه . ولم تكن الا حولة بالخيول أو بعض جولة حتى حمل أيوب على خصمه فقتله بسيفه القصير ذى الحد الواحد أو سلكه فى رمحه ، فكانت تلك اشارة بيده المعركة الحامية الوطيس . وكان بطلا تلك الملحمة : أفلح بن الامام الذى صار يضرب فى ناحية ، وأيوب

(١٣٦) أبو زكريا . المخطوط ص ٢١ - ٢ . وقارن الدرجينى ، المخطوط ص ٢٧ - ب (المطبوع ، ص ٦٠ - ٦١) .

(١٣٧) أبو زكريا المخطوط ٢١ - ب هذا . سيما احتج الفتى المعتزلى على مهدى وقال له مدرس يامهدى وقارن الدرجينى المخطوط ، ص ٢٧ - ب ، المطبوع ، ص ٦١ (حيث التفتونة على رأس مهدى بدلا من الشاشية) .

ابن العباس الذي كان يضرب في الناحية الاخرى . واثبتت المعركة الدامية هزيمة الواسلية بعد أن بقي معظمهم مجتدلين في ميدان القتال (١٢٨) .
وبذلك يكون الامام عبدالوهاب قد كسر شوكة خصومه المذهبيين في اسبواز تاهرت ، وعن هذا الطريق تصح مقالة ابن الصغير من أنه « انتقل من حال الامامة الى حال الملك » .

مقدمات الانشقاق الثاني :

اضطراب منطقة طرابلس :

وتبدأ حال الملك السياسية بالافتراق الثاني بين الاباضية ، وذلك في الجناح الشرقي من الامامة ، في منطقة طرابلس حيث يبدأ الصراع مع قبائل هواره ، كما يقول ابن الصغير ، وهو الأمر الذي تزيده رواية أبي زكريا التي تمهد للانشقاق بحصار مدينة طرابلس التي كانت تابعة للأغالبة . وإذا كانت الرواية الاباضية تقول ان عبد الوهاب عندما اتخذ طريق المشرق كان يقصد الحج ، فانه مما يشكك فيها أنها تشبه الرواية الأغلبية الخاصة بالأمير ابراهيم بن أحمد ، عندما ترك الامارة وسار للجهاد في صقلية (١٢٩) فقبل . انه كان يقصد الحج . فعندما وصل الامام الى جبل نفوسة رفض أهل الجبل لأنه يتبركوه يواصل طريقه خشية المسودة « فتتعطل أمور المسلمين وحدود الله » . ومما يؤيد الشك في أمر الحج أن اقامة الامام عبد الوهاب في جبل نفوسة (في بني زمر) التي طالت الى سبع سنوات ، لا يكفي لتفسير طول أمدها انه كان ينتظر وصول الفتوى من علماء المذهب في مكة - وهم : أبو عمرو

(١٢٨) ابن زكريا ، المخطوط ، ص ٢٢ - ١ : حيث يقول ان عدد من قتلهم أفلح ثاد . ولحدنا فقط من عدد من قتلهم أيوب . كما أن أيوب ضرب بسيفه عمودا وهو يظنه رجلا فصار العمود يصعب . وتروى الرواية الاباضية ان الواسلية أرادوا القدر أيوب بعد يومين فدعوه فصار اليهم فلم يصح الناصحين له مالا يفعل . وفي حى الواسلية ظهر أيوب بمظهر الرجل الخارق ، كما يقال الآن ، فهو يأكل قصعة التريد والشاة التي عليها حتى عظامها ، ويشرب . وطلب اللبس كله ثم يقضى ليله مكتبا يقرأ القرآن ، ويصل الصبح يوشو العشاء الآخرة . وبعد طلوع الشمس يلعب فتيان الحى على الخيل ، وعندما جاول البعض انتهاز الفرصة لشنق على أيوب بالرمح كان مصيبه القتل مع سبعة من أصحابه ، ولم يتوقف أيوب عن القتل الا عندما صارت له ساء التي يرجونه الكف . وفي طريق عودته الى تاهرت يقطع أرجل سبع وليمزة وينادى من يريده أكل اللحم من أهل الوادى من الربر ، فأكل من يأكل المكروه (وقارن المدرجيس ، المطبوع ، ص ٦٢ - حيث : شكك بالرمح واحتمله كالجرادة بدلا من سلكه في الجمع) .

والربيع بن حبيب - وابن عباد - بأنه يمكنه بعث مال ليحج به من يتوب عنه ، وبأنه « ليس عليه حج لأن أمان الطرق من الشروط التي يجب بها الحج على من استطاعه » (١٤٠) ، والحقيقة أن خصوم الامام عبد الوهاب في منطقة طرابلس كانوا يسببون له المتاعب ، منذ أن لجأ الى هناك شعيب المصري حليف يزيد بن فنديل بعد مقتل هذا الأخير ، كما رأينا (١٤١) .

الحرب مع هوارنة :

ومع أن رواية ابن الصغير عن الامران الثاني لا تتعلق بهذا الانشقاق مباشرة فانها تصلح كمقدمة منطقية له رغم ما يكسبها من الأخطاء مثل إقامة هواره ولواته في حيز تاهرت . فالذي يفهم منها أن مصاهرة كادت تتم بين بعض مقدمي قبائل هواره من بني مسالة الذين يعرفون بالأوس ، وبين بعض زعماء قبائل لواته ، عندما خطب الأول ابنة الثاني التي عرفت بحسنها وجمالها ، وأن بعض المقربين من الامام عبد الوهاب حذره من مغبة تلك المصاهرة أو ذلك الحلف ، مما دعا عبد الوهاب الى خطبة الصبية الهوارية الجميلة لنفسه . وكان من الطبيعي أن يغضب مقدم الأوس ، وخاصة عندما مشت السمعة بين الفريقين ، مما أدى الى الحرب واغارة هوارنة على أعوان عبد الوهاب ، قرب نهر يقال له نهر أبي سعد الله .

والذي يفهم من الرواية أيضا أن المسألة كان يمكن أن تنتهي عند هذا الحد ، لولا ما قيل من أن هوارنة أخلت بمبادئ المذهب ، عندما سمح بمص رجالها بأخذ خاتم من أصبح قتيلا في تلك المعركة رغم أنه لم يسلب : فلم ينزعوا له ثوبا ولا أخذوا له فرسا ولا سرحا ولا نجما . ادلسا عرف الامام أن هوارنة قد استحلوا الاموال أعددة لقتالهم ، فخرج اليهم في ألف فرس أبلق وحشود من العسكر لا يعلم عددها الا الله ، وكانت نفوسة تمثل جزءا كبيرا منهم ، مما يؤيد أن اللقاء كان غير بعيد من جبل نفوسة ، ان لم يكن قد وقع في الجبل نفسه .

وتم اللقاء بين الامام وبين بني أوس وهوارنة ومن معهم من القبائل على مجرى نهر جاف يقال له أسلان ، وانتهى القتال العظيم ، الذي ثبت فيه

(١٤٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٣ - إ ، ٢٢ - ب ، وقارن الدجيني ، المطبوع ، ص ٦٥ - ٦٦ (حيث الاشارة الى الاخوان في المشرق ، والقتل في ذلك العصر : أبو الترياح حبيب ، وابن عباد المصري) ، السامري ، ص ١٥٩ .
(١٤١) انظر فيه ، سابق ، ص ٢٢٢ .

الناس : « لا يولى بعضهم لبعض الدبر حتى سال الوادى ذلك اليوم دما » ،
بانتهزام الهواريين ، ولكن بعد أن هلك خلق كثير ، وان « كان القتل فى
هوازء أفضح وأشع » . وأثبت أفلح بن عبد الوهاب من حديد بطولة نادرة
فى المعركة ، فكان يجول فى ميدان القتال ذات اليمين وذات اليسار وفى
القلب ، مما لفت نظر عبد الوهاب الذى كان جالسا فى محمل والى جابه
رجل من نفوسة ، وهو يدير المعركة بحماس أثار الفزع فى قلب عديسة
المعوسى . ولو أن الرواية تعود لتقول أن عبد الوهاب هو الذى فضح
القوم بكتيبتهم .

وهكذا انتهت الموقعة بأهرام هواراة الى حل بيجان (ايكجان ؟) ،
وبترشيح أفلح بن عبد الوهاب لولاه عهد امامة تاهرت بعد والده « فاقطع
اليه المنقطعون ودارت اليه الحوائج والعطاء من تحت يديه » (١٤٢) .

عبد الوهاب فى جبل نفوسة وحصار طرابلس :

والظاهر أن توتر الأحوال فى منطقة طرابلس هى التى جعلت الامام
عبد الوهاب يقيم فى جبل نفوسة ، وهو أحد مواطن الدعوة الرئيسية ، تلك
الاقامة التى طالت الى سبع سنوات كما تقول الرواية . وعندما استقرت
الأمور فى الاقليم رنا عبد الوهاب بانظاره نحو مدينة طرابلس العاصمة نفسها ،
على أمل انتزاعها من الأغالة . ولا نعرف أن كان يمكن الربط بين أحداث
بلاد الراب حيث قام الصراع بين الأغالية وبين القبائل الاباضية هناك ، وبين
محاولة عبد الوهاب للاستيلاء على طرابلس أم لا . والمهم أن عبد الوهاب سار
لحصار المدينة ، كما يقول أبو زكريا ، ومعه أهل الاقليم المتأخمة لها وأهل
جبل نفوسة وعامة من بجبالهم . وأنه دار مع أهل المدينة ومن معهم من الجند
الأغلبى قتال شديد ، « استشهد » فيه عابد جبل نفوسة وزاهد مهادى (١٤٢)
الذى قال فيه ابن خالته ، عندما تخصصا فى حضرة عبد الوهاب انه اشتغل
بآخرفته حتى أضر بدنياء .

وهذه الشهادة هى التى أقرها الامام أثناء اقامته تلك ببجل نفوسة ،
عندما لحا فى يوم مطر وقر الى دار مهادى فلم يجد فيه شيئا مما أشعره فعلا

(١٤٢) ابن الصير ، ص ٢٠ - ٢٣ .

(١٤٣) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ب (الذى كان وجهه يعسر أو ينسب وهو قتيل عندما

يسمع صرير القوس أو هزم المسودة) .

بالضرب ، يسما وجد في دار ابن حالة مهدي المتروكة ما كان يلزمه من الثياب
اللطيفة ، والعرش والطعام ، فصلا عن النار التي بعثت الدفء في اوصال
الجماعة ، وهذا ما جعل الامام يرجع في حكمه ، ويقيم الحجة لابر حالة
مهدي (١٤٤) . وهذا يصح تطور في افكار الاباضية نحو التحفيف من النزمت
في مسائل الزهد ، والتسامح التدريجي في مسائل الدنيا وما يتعلق بها من
المعاملات ، حتى انتهى الأمر بأن أصبح « الرخص » سنة من سمات فقههم .

أزمة عدم ثقة بين عبد الوهاب وأتباعه :

والغريب في الأمر أن ابن الصغير لا يذكر شيئا عن حصار عبد الوهاب
لطرابلس ، بينما لا يعرف أبو زكريا الاتماتية السياسية التي انتهت بها
حرب طرابلس مع الأغالبة في سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م ، وذلك باعتراف عبد الله
ابن ابراهيم بن الاغلب بالسيادة للاباضية على الاقاليم السداحلية من
طرابلس (١٤٥) ، وإن كان ما يقوله بشأن تلك الحرب يمكن أن يكون إضافة
الى ما تسجله الحوليات الافرقية . فأبو زكريا يشير الى أنه حدث نوع من عدم
الثقة بين الامام عبد الوهاب وأتباعه بلغ حد أنه ، عندما كان يتناجى معهم
عن حرب الأغالبة (كيد العدو) كان يحرج سرهم رغم ما اتخذه من الاحتياطات
التي انتهت بتقليل عدد من كان يتناجى معهم ، حتى ارتاب في الأمر هو ووزير
ابن عمران الذي لم يعد يتناجى مع أحد سواه . وحتى قال عبد الوهاب انه
لا يستطيع أن يحاصر طرابلس برجل واحد ، فعاد أدراجه الى حصيل
نفوسه ، « وقد آيس (يأس) من فتح المدينة » ، رغم حلمه واحتماله وصبره .
وفي الجبل أقام عبد الوهاب لبعض الوقت وهو ينشر العلم بين اهله ويحكم
بين المتخاصمين من أهل المذهب (١٤٦) .

والذي يفهم من الروايات الاباضية أن الامام عبد الوهاب كان يقيم
في جبل نفوسة في منطقة بني زموور حيث عرف الجبل هناك باسمهم ، وحيث
كان للامام مصلى في قرية تلال (١٤٧) . واثناء مقام الامام عبد الوهاب هناك

(١٤٤) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ١ .

(١٤٥) النظر فيما سبق ، ص ٤٠ وماض ٦٦ .

(١٤٦) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ب .

(١٤٧) وكان في المكان الذي يصل اليه ملاحه يتكرو عليها ويبلغ ارتفاعها الى ارتفاع
أسمه وهو جالس . وكانت على أيام أبي زكريا « تلج للراقت ال الصدر » ، ما يعني ظم
بماء عبد الوهاب . السيد وأحيان الألة ، المخلوط ، ص ٢٢ - ب . أما عن زموور فهي
مستوية في شكل تمر . وقارن الشامي ، السيد ، ص ١٥٩ .

استعمل رجلا على المنطقة يقال له مدرار (١٤٨) •

الخلية : الانشقاق الثاني :

وبسبب الولاية على حيز طرابلس ، وهل يجب أن يستمع الامام الى رغبة أهل المنطقة في اختيار واليهم ، أم أنه صاحب الحق المطلق في تولية من يشاء وحجب ولاية من يشاء ، مما يذكر بمسألة الشرط التي كان يطالب بها يزيد بن فنديس ، كان الانشقاق الثاني أو الافتراق بين اباضية الرستمين •

السمح بن ابي الخطاب : وولاية طرابلس :

فعندما قرر عبد الوهاب العودة الى تاهرت طلب اليه أهل حيز طرابلس ان يولي عليهم ابا عبد الأعلى السمع بن ابي الخطاب عبد الأعلى • وتظهر رواية ابي زكريا أن عبد الوهاب لم يكن راضيا عن ذلك ، ولكن على أساس ان السمع وزيره ، وأحب الناس اليه وأنصحهم له ، وأنه لكل ذلك لا يجب مفارقتها • وأمما الحاج الناس وافق عبد الوهاب على تولية السمع على حيز طرابلس التي نظن أنه يعنى المنطقة الواقعة بين المدينة وبين جبل نفوسة ، على أساس أنه آثرهم على نفسه (١٤٩) • وأحسن السمع السيرة في رعيته ووفر أعوانه في أرجاء البلاد ، وهو مقر يمامة عبد الوهاب ، فاصح له الى أن مرض مرضه الذي مات فيه • واجتمع أعيان أهل الاقليم يطلبون اليه الوصية ، فأوصاهم ، كما يقول أبو زكريا ، بتقوى الله واتباع أمر الامام عبد الوهاب وطاعته • ما دام مستقيما على الحق الذي عليه سلفكم وجهاد من خالفكم •

خلف بن السمع ، وولاية طرابلس :

ولكنه عندما توفي السمع كان لموته صدى عظيم في نفوس الناس الذين أحبه وعظموه حتى أنهم ائتمروا بأمر العامة من الناس ، ممن ليس له بصيرة ، بأمور الدين ولا علم بأمور المسلمين ، : فولوا على أنفسهم ابنه ، وهو : خلف ابن السمع (١٥٠) • ونحن لا ندرى أن كان خلف هو اسمه الحقيقي أم أنه اسم تجريع أطلقه عليه الكتاب من خصومه ، كما سيطلقون عليه لقب الخبيث

(١٤٨) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ٢٤

(١٤٩) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب وقارن الدجيجير ، المطبع ، ص ٦٧ ، الانشقاق

ص ١٦٢ •

(١٥٠) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب

أبي انطرب (١٥١) ، تماما كما فعل أهل السنة بمحمد بن أبي بكر الذي اتهم في مقتل عثمان ، وكما فعل كتاب الامويين بأمان بن عثمان عندما اتهم في قتله ابن الزبير .

ورغم اعتراض علماء المذهب مثل : أبي المنيب اسماعيل بن دراز والغدامسي ، وأبو الحسن أيوب عامل الامام على جبل نفوسة ، على هذا الاجراء ولتهم الانظار الى أنه لا يجوز أن يسبقوا امامهم الى شيء من أمورهم ، رد الرأعيون في تولية خلف بأنه اذا لم يرض الامام عنه عزلوه . وبعد أن أعلنوا ولايته حلف عليهم كبوا بذلك الى الامام .

عبد الوهاب لا يوافق على ولاية خلف :

وكان رد عبد الوهاب الذي يحمل في كتابه لقب أمير المؤمنين (١٥٢) على أهل حيز طرابلس ان من ولي خلفا بغير رضا امامه فقد أخطأ سيرة المسلمين . وان من أبي توليته فقد أصاب ، ثم انه أقر كل العمال الذين استعملهم السمع الا خلف بن السمع الى أن يأتيه أمره ، كما أمرهم بالتوبة من هذا العمل . وتمسك أنصار خلف به وراجعوا عبد الوهاب فيما كتب به اليهم ، وطلبوا اليه أن يستجيب لرغبتهم في تولية خلف . ورفض الامام ذلك مستندا الى أنه لا يسهه ذلك فيما بينه وبين ربه ، وطلب اليهم من جديد أن يتوبوا ، كما أرسل كتابا خاصا الى خلف يعرفه فيه بأنه حرام على من يقدم اليه صدقات ماله أن يفعل ذلك ، وأنه حرام عليه أن يأخذها ، وأمره بأن يعزل أمور المسلمين .

خلف يرفض الاعتزال :

ولم يكن من الغريب أن يرفض خلف ، وهو حفيد الامام الأول أبي الخطاب الاعتزال ، وأن يعتز ويأبى ويستكبر ، في الوقت الذي تصادى الجهال في توليته ، بينما تركه المسلمون في غيه وزيفه ، كما يقول أبو زكريا حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين (١٥٢) .

(١٥١) أبو زكريا ، ص ٢٥ - ب (الدويجي ، المخطوط ، ص ٢١ - ب ، المطبوع ، ص ٧٠) .

(١٥٢) أبو زكريا ص ٢٤ - ب .

(١٥٣) السيد وأنصار الأئمة ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب . وتقول الرواية ان الامام عبد الوهاب كتب كتابين الى خاصة حير طرابلس أحدهما فيه عزل خلف والثاني فيه تعيينه =

- ٣٣٥ -

استفتاء علماء المشرق والاحتجاج بالاستقلال :

وكما جرت العادة من قبل ، بعث المخالفون لعبد الوهاب كتابا إلى شمشايخ المذهب في المشرق وكان رأسهم في ذلك الوقت هو أبو سفيان محبوب ابن الرحيل (١٥٤) .

ورغم أن ابن الرحيل كتب اليهم بخطي* من لم يوافق عبد الوهاب ويحضهم على طاعة الامام ، فانهم صرفوا النظر عن جوابه الذي لم يصادف هواهم ، وأعلنوا أن عبد الوهاب ليس امامهم ، واعتلوا بأنهم يسكنون في اقليم منقطع عن بلاده ، مما يسمح لهم بأن يكون لهم امامهم الخاص ، وهو خلف بن السمع . وعلى هذه المسألة وعد أبو زكريا بأن يرد في كتاب خاص يكرسه لافتراق الاباضية ، ولكن الظروف لم تمكنه من ذلك على ما نفهمه من الدرجيني (١٥٥) . وكان ذلك يعنى اعلان استقلال اباضية حيز طرابلس الذي كان تابعا لجبل نفوسة عن امامة تاهرت ، وقبل ذلك عن ولاية جبل نفوسة ، وعلان امامة خلف .

أبو عبيدة عبد الحميد الجناوي واليا لجبل نفوسة : والنزاع بين اباضية طرابلس واباضية نفوسة :

توفي عامل جبل نفوسة أبو الحسن أيوب الذي كان مناهضا لخلف ابن السمع ، وأرسل أهل الدعوة في الجبل إلى عبد الوهاب يطلبون تولية عامل جديد عليهم ، حسبما كانت تقضى تقاليد الجماعة والمحافظة على

= واليا اذا قل كتاب المرل الاول ولم تكن له رغبة في الامور ، وان خلفا بعض كتاب العزل فتركة الخامسة من اهل طرابلس في حية ال أن يحكم الله بينه وبين الامام (وقارن الدرجيني ، المطبوع ، ص ٦٩) -

(١٥٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ ، ١ - ٢٥ - ب حيث يعتبره تابعا لطبقة الربيع ابن حبيب ، وأبي هسان بن مخلد بن المرد ، وأبي المهاجر ، وأبي أيوب والي .

(١٥٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب : حيث يقول أنهم فعلوا ذلك من غير حجة وانه لم يكن بينهم مسائل الا الاقرار امامة عبد الوهاب - وهي الله عنه . وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢١ - ب ، ٢٢ - أ (المطبوع ، ص ٤٧ - ٤٨) :

حيث يذكر أن الشيخ استاعيل بن صالح سأل الشيخ أبا لروح بن يوسف عن الكتاب الذي وعد به الشيخ أبو زكريا ، فرد عليه بأن الذي قام به عنه هو الشيخ أبو صابر عبد الكافي وهو الكتاب الموجز . وعن اعلان امامة خلف ، قارن الشماخي . ص ١٨١ حيث يقول : « واعتلوا بأن حوزة طرابلس منقطعة عن حوزة تيهرت وسيدة منها » .

الشكليات . وقد أرسل الامام بدوره الى قادة أهل الدعوة يطلب اليهم ترشيح من يرضون عنه من أفاضلهم وأولادهم بإدارة أمور المسلمين ، ووقع الاختيار على أبي عبيدة عبد الحميد الجناوي ، وهو رجل من ناحية ايجاوز عرف بالصلاح والتقوى والعفاف والزهد في طلب الدنيا وتولى المناصب .

وهكذا فعندما عرضوا الولاية على أبي عبيدة ، قال : « أنا ضعيف لست أقدر على القيام بأمور المسلمين » . وكان زهد أبي عبيدة في الولاية سببا في تشبث الامام عبد الوهاب - الذي كان يميل الى من ليست لهم رغبة في الولاية ، وهو الرأي المعروف عند كثير من الفقهاء المسلمين وقتئذ - به . وفي ذلك يقول أبو زكريا : ان الامام عبد الوهاب حلف لهم بالعربية والبربرية ، وبالحضرية ، وبالخشية : انه لا يقلد أمور المسلمين الا رجلا يقول « أنا ضعيف » (١٥٦) .

واذا صح هذا الأمر فان مجتمع الاباضية في تاهرت يكون مؤلفا في ذلك الوقت من العرب والبربر والسودان ، من أهل البادية ومن أهل الحضر أيضا . وهكذا لا يكون « الضعف » في الفكر السياسي الاباضى مانعا من تقلد الولاية . ففي رأى عبد الوهاب أن الشخص المرشح لتقلد مصالح المسلمين يمكن أن يكون ضعيفا من ثلاثة أوجه : ضعف البدن ، أو قلة العلم ، أو الفقر في المال ، مما يعني بطريقة عكسية ، أن شروط الولاية هي : صحة البدن وكثرة العلم ووفرة المال . وفيما يتعلق بأبي عبيدة عبد الحميد قال الامام : انه ان كان ضعيف البدن قواه الله بالدخول في أمور المسلمين ، وان كان ضعيفا في العلم فعليه بالاستعانة بأبي زكريا يصلتن التوكيتي أوحد أهل الجبل في العلم والفضل ، وفيما يتعلق بالفقر ، لو كان ، فيمكنه الاستغناء ببنت مال المسلمين (١٥٧) .

وهكذا ولي أبو عبيدة عبد الحميد على جبل نفوسة وأحسن السيرة (١٥٨)

. (١٥٦) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ١ . الدرجيني ، ص ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٧٦) .
وقارن الشاشي ، ص ١٨٢ .

(١٥٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ . وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٢ - ١ .
المطبوع ، ص ٧٦ ، الذي يقول من ضعف البدن ان « الحق » يقويه ، ويسس ابا زكريا باللاتومي .

(١٥٨) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ١ : حيث تأخذ الرواية طابعا قصصيا تقول انه لم يقبل الا بعد أن استشار عسوزا مسروفا بالصلاح والورع والتقوى ، وبعد أن حذره بتفسيخ عظامه في جهنم الا لم يقبل . وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٧٦) .

بعض من كان حوله من علماء الجبل وفضلائه وزهاده، مثل أبي زكريا الذي قيل فيه « الجبل هو أبو زكريا ، وأبو زكريا هو الجبل » ، وأبي مرداس العابد الزاهد الذي اشتغل بأمر آخرته حتى أصبح أمر دنياه ، وأبي العباس (١٥٩) .

معارضة خلف لولاية عبد الحميد :

وعندما علم سب بن التمسح بتولية أبي عبيدة عبد الحميد أخذته العزة بالاثم واستكبر ، كما يقول أبو زكريا ، وعمل على أن يفرض أمر ولايته الواقع « فُدس القارات واللصوص على أهل الدعوة » - دعوة المسلمين من رعية أبي عبيدة (١٦٠) . ورد أبو عبيدة على استفزازات أفلح بطلب الكف عن اذية المسلمين ، والاكتفاء بكون الخلاف نظريا أو تركه على مستواه القانوني . ولكنه أصرار خلف على أعماله العدائية أرسل يطلب الاذن من تاهرت بمناجزته . وكان رد الامام عبد الوهاب أن يستخدم أبو عبيدة الإدارة والملاطفة مع خلف والا يحاربه الا حارب دفاع عن النفس والمال . وهكذا كانت أوضاع امامة تاهرت وعلاقتها بجبل نفوسه وحيز طرابلس عندما توفي الامام عبد الوهاب في سنة (١٩٨ هـ) .

عهد أفلح بن عبد الوهاب (بن عبد الرحمن بن رستم) (١٩٨ - ٢٤٧ هـ / ٧٨٤ - ٨٦١ م) :

صفات الامام الجديد : الشجاعة والعلم :

كان من الطبيعي أن تؤول الخلافة ، كما يقول ابن الصغير ، الى أفلح بن عبد الوهاب ، بعد وفاة والده الذي كان قد رشحه للامارة . فلقد كان أفلح مؤهلا لولاية امامة تاهرت ، لما عرف عنه من الشجاعة التي أظهرها في أكثر من لقاء مع الخصوم ، والعلم الذي نبغ فيه وهو بعد شاب يافع ، حتى قيل : « انه قعد بين يديه أربع حلق يتعلمون عنده فنون العلم قبل أن يبلغ الحلم » (١٦١) .

(١٥٩) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ١ ، ٢٦ - ب أما عن تاهرت ، كما قال أهل المشرق فلم يكن بعد فيهم الا الامام عبد الوهاب ووزيره مزور بن عران -
(١٦٠) أبو زكريا ، ص ٢٦ - ب (الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٠ - ب ، المطبوع ، ص ٧١) .
(١٦١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٤ - ٣٩ - (المطبوع ، ص ٧٧) . وإلى جانب علوم الدين قيل له وكذلك آفته بلقاء في حساب النبأ والجماعة ملقا عظيما حتى أنه كان يعرف عدد ما سيذبح في السوق من البقر في اليوم التالي .

وهكذا وجد رؤساء الجماعة الإباضية بتاهرت في ولى عهد الامام عبد الوهاب اهم صغين لارمتين للامام ، وهما الشجاعة اللارمة للامام في وقت الخوف من الاعداء الذين تدانوا من تاهرت طمعا في الاستيلاء عليها (١٦٢) ، حوما يتبعها من العرم والحرم (١٦٣) ، ثم العلم اللازم لماجرة الخصوم المذهبيين بعد أن أخذت الانشقاقات تدب بين أبناء أهل الدعوة ، مما تطلب مناجزتهم بالمناظرات قبل السيوف . وهكذا حدا فقهاء الإباضية حذوا مشرعى أهل السنة الذين يشترطون في اختيار الامام : العلم وقت السلم والشجاعة وقت الحرب (١٦٤) ، وإن كان الإباضية يصرون على خصلة التواضع وضرورة المشورة فيمن يلى أمور الجماعة ، من الامام الى أعوانه (١٦٥) .

والمعلومات الخاصة بامامة أفلح ابن عبد الوهاب تنقسم ، كما يبدو لنا على المصادر الاناصية الى قسمين : أحدهما خاص بأحداث تاهرت ، وهذه توجد على كتاب ابن الصغير ومن نقل عنه ، والآخر خاص بأحوال جبل نفوسة وحسين طرابلس ، وتلك توجد في كتاب أبي زكريا ومن أخذ عنه . ولكنه مما يؤسف له أن عهد أفلح الذي طال الى حوالي ٥٠ سنة أو يزيد (١٦٦) ، كان من المفروض أن تعج بالأخبار التاريخية الهامة ، لا يظهر لنا في كتب أهل المذهب الا في شكل السيرة المتقنية المعتادة ، دون تواريخ الوقائع أو علامات مميزة تبين العلاقات الرسمية بين الأحداث المتتالية بطريقة عفوية من غير ضابط وقنى أو رابط .

= يل وانه كان يعرف أنه سديع بقرة صفراء في ملتها جبل له حرة في جبهته . وإن اخته كانت تستطيع أن تصحح له ذلك فتعرفه أن ما توهمه غرة في جبين العجل الذي لم يولد بعد ، إنما هو طرف ذئبه الأبيض الذي القلب على جبهته .

(١٦٧) الدرجيني ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وأطر الشماشي ، السير ، ص ١٩٢ .

(١٦٨) ابن الصغير ، ص ٢٣ .

(١٦٩) أنظر الماوردي ، الفصل الحامس بعقد الامامة .

(١٧٠) أطر الشماشي (ص ١٩٢) الذي ينقل من ابن الصغير روايت لا نجدها في طبعة مونتيسكي من كيفية امتحان نفوسة لأفلح ولبوت تواضعه لهم . فقد كان يحل لهم المصباح يستطيعون به وهم ياكلون ليلا ، وعندما أعطوه لئمة من الطعام جعل المصباح على مركبته فأتبعها يديه معاً كالمملوك .

(١٧١) أنظر ابن الصغير ، أخبار الأئمة ص ٣٦ (٥٠ سنة) ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣١ - ب (٦٠ سنة . والدرجيني ، المطبوع ، ص ٨٢) .

تاهرت على عهد الفلح :

ويلخص ابن الصغير عهد الفلح الطويل فيقول انه تميز بسياسة الأخذ بالعرف والحرم فطار صيته واستقرت أمور دولته ودان له الجميع : من أهل المذهب ، ومن الخارجين عليهم من الشراة الذين لم يطعنوا عليه في شيء من أحواله ، ولا في صدقاته ولا في أعشاره (١٦٧) ، فكانت النتيجة الطبيعية لذلك ، هي : ازدهار تاهرت ، ذلك الازدهار الذي نسيه نفس الكتاب إلى عهد المدينة الأول أيام عبد الرحمن بن رستم .

رضاء « الشراة » عن الفلح الذي كان يشاورهم في الأمر :

أما عن رضاء الاباضية الذين يسميهم ابن الصغير بالشراة عن امامة الفلح ، فقد أتت نتيجة سياسته المتزنة التي لم تنكر عليهم المشاركة بالرأي في تدبير أمورهم . فلقد بدأ « الشراة » بامتحانه عندما توفي قاض من قضاة والده عبد الوهاب ، فسألوه أن يولى عليهم قاضيا يستحق القضاء ، فطلب اليهم أن يتفقوا على من يريدون من بين خيارهم وأنه سيعينه ، وبماضده في القيام بأمره .

اختيارهم لمحكم الهواري قاضيا :

ولم يجد « الشراة » بينهم من يستحق القضاء ، بل وقع اختيارهم على أحد مشاهير أهل الورع والدين ، وهو محكم الهواري الساكن بعيدا بجبل أوراس (١٦٨) . وعندما أخبروا الامام الفلح بذلك لفت نظرهم الى أن الرجل « نشأ في بادية ، ولا يعرف لدى القدر قدره ، ولا لدى الشرف شرفه » . وامام تمسك الجماعة برأيهم وافق الفلح ، وخاصة أن أخاه أبا العباس كان من أشد المحبذين لولاية محكم .

وظهرت مشاركة الجماعة في تدبير أمورهم عندما « خرجت الرسل بكتاب من الفلح وكتاب من « الشراة » إلى محكم ، في داخل كل كتاب منهما ، بعد اثبات . بسم الله العظيم : » . أما بعد فقد نزل بالمسلمين أمر لا غنى بهم عن حضورك ، وهم منتظرون لقدمك ولا يسمك التخلف فيما بينك وبين الله عن اللجوء بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح

(١٦٧) ابن الصغير ، أخبار الأئمة ، ص ٢٣ .

(١٦٨) ابن الصغير ، ص ٢٣ .

المسلمين» (١٦٩) *

ينوى بين مرفهين ، لا يفرق بين المتخاصمين :

وأخذ محكم كساء وعصاه ، وركب دابته متجها نحو البلدة (تاهرت) حيث نزل في المسجد الجامع . وأتى القوم اليه وسألوه أن يقبل القضاء والا كان مستولا عما يحدث من الفتن وارقة الدماء ، بل أنهم ابتغوا ذلك بالتهديده بأنهم سيجبرونه على تقلد المنصب ، وأن الأولى به أن يقبل حتى يكون جزاءه للشكر منهم . وأمام الحاحهم قبل الرجل البدوي الخشن ولاية القضاء بعد أن حذرهم ، من : « ان الحق مر أمر من الدواء ، ولا يشرب الدواء الا كرها » . وبعد أن عرفهم بأنهم مرفهون أبناء نعم ، وإن غيره ربما كان أحب اليهم منه (١٧٠) . وهكذا انزل القوم محكما الهواري في دار القضاء ، واشتروا له خادما صغيرة ، وأجروا عليه من بيت المال قوته (١٧١) .

وسار محكم في قضائه السيرة التي أملوها منه فلم يفرق في أحكامه بين غني وفقير أو شريف ووضيع . فعندما تنازع أبو العباس ، وهو أخو أفلح الذي كان من الراعبين في تولية محكم ، مع أحد أصهار الامام بسبب قطعة من الأرض ورفعها إلى أفلح ، أمرها الامام بالمسير إلى محكم الهواري . وعندما رأى محكم أن أبا العباس يسمح لنفسه بطلب الماء ، وهو في مجلس القضاء في سقيفة داره بينما خصمه واقف بالباب ، غضب لذلك وأمر بأن يقدم الماء إلى الخصم حتى يساوي بينهما مما أثار حفيظة أبي العباس . وعندما اشتكى أبو العباس من معاملة محكم قال له الامام أفلح ان الحق كان في جانب محكم وأنه لو فعل غير ذلك لكان مدهانا ، مما زاد في أعجاب الاباضية بأمامهم الذي لا يعرف الهوادة في الحق ولا يخشى فيه لومة لائم (١٧٢) .

توطد أركان المملكة وزيادة ازدهار تاهرت :

وهكذا توطدت أركان الامة الرستمية وازدهرت تاهرت على عهد أفلح الذي ظالم ملكه حتى نشأ له الننون وبنون البنين ، وشيخ في ملكه ، وابنتي القصور واتخذ بابا من حديد ، وبنى الجفان ، وأطعم فيها أيام

(١٦٩) ابن الصثير ، ص ٢٤ -

(١٧٠) ابن الصثير ، ص ٢٤ -

(١٧١) ابن الصثير ، ص ٢٥ -

(١٧٢) ابن الصثير ، ص ٢٥ - ٢٦ -

الحفان (١٧٣) وفي ازدهار تاهرت على أيام الفلح يضيف ابن الصغير :
« وعمرت معه الدنيا وكثرت الأموال والمستغلات وأتته الرفاق (التجار)
والرفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات » (١٧٤) .

قصور تاهرت :

هذا ، كما تنافس الناس في البنيان داخل العاصمة وخارجها ، فبنوا
القصور وعمروا الضياع وأجروا خلالها الانهار . ومن أشهر المباني التي أقيمت
في أرياض تاهرت قصر عبد الواحد الذي كان مشهورا على أيام ابن الصغير ،
وكذلك القصران اللذان عرفا باسم بانيهما : أبان وحمويه . وكان سكان
هذين القصرين على قدر طيب من الرفاهية وسهولة الحياة بفضل عناية
صاحبيهما بهما ، كما سمع ابن الصغير من بعض شهود العيان . فعندما كان
أبان وحمويه يذهبان لزيارة القصرين ، كان أهلها يستقبلونهما في شرفات
منازلهم ، وعليهم الثياب الملونة ، من : أحمر وأصفر ، كأنهم البدر على
الجدران (١٧٥) .

بوادي تاهرت وعناصر السكان :

وبفضل سياسة أفلح الرشيدة ورجال دولته المجتهدين انتشرت القبائل
حول تاهرت ، وعمرت العماثر ، وكثرت الأموال بأيديهم ، في الحسناوات
والبوادي .

ويفهم من رواية ابن الصغير ان عناصر سكان إقليم تاهرت النشطة
كانوا من الفرس الذين ابتنوا القصور ، ومن نفوسة الذين ابتنوا العدو ،
ومن الجند القادمين من أفريقية الذين ابتنوا المدينة التي كانت عامرة عندما
كان ابن الصغير يدون مذكراته هذه (١٧٦) .

تنظيم تاهرت على عهد الفلح :

والظاهر أن الفرس كانت لهم ، على عهد الفلح ، مكانة ممتازة في تاهرت
حتى أن بعض الكتاب سمي امامة تاهرت الاباضية بالدولة الفارسية . وفي

(١٧٣) ابن الصغير ، ص ٢٦ .

(١٧٤) ابن الصغير ، ص ٢٦ .

(١٧٥) ابن الصغير ، ص ٢٦ .

(١٧٦) ابن الصغير ، ص ٢٦ - ٢٧ .

ذلك يروى ابن الصغير ، مما سمعه ، أنه كان للمعجم (الفرس) مقدم يقال له « ابن وردة » ، وأنه كان قد ابتنى سوقا عرف باسمه ، « فكان صاحب شرطة أفلح إذا تخلل المدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة ولا يتخلله هيبة » (١٧٧) . أما عن النفوسيين فلم تكن بلادهم تمثل فقط مركز الثقل الشرقي من الامامة الرستمية فيما وراء بلاد الأعالية ، بل كانوا هم أنفسهم يمثلون عصب الدولة في تاهرت نفسها : « فكانت نفوسة تلي عقد تقديم القضاة وبيوت الأموال ، وانكار المنكر في الأمور ، والاحتساب على الفساد » (١٧٨) . أما الاجتاد من بطانة السلطان فكانوا من اهل امريقية ، كما سبقت الإشارة ، وكان قوادهم ، كما يتضح من الرواية ، من اولاد أفلح وحشمه (١٧٩) .

هكذا ازدهرت أحوال تاهرت على عهد أفلح بن عبد الوهاب وأخذت شكل العاصمة العالمية بفضل تنوع سكانها من الفرس والنفوسيين والأفارقة . ولقد عم الرخاء القبائل المنتشرة حول المدينة ، بفضل ما اكتسبوه من الأموال وما اقتنوه من العبيد والخيول الى أن نالهم من الكبر ما نال أهل المدينة : ، حتى خاف أفلح أن تجتمع الأيدي عليه فتريل ملكه ، (١٨٠) وهكذا رأى أفلح في أواخر سنوات امامته أن يتبع بين القبائل سياسة « فرق تسد » ، وهذا ما سئموا اليه بعد استعراض الاحوال في بلاد نفوسة .

جبل نفوسة وحيز طرابلس :

خلف بن السمح يحمل لواء المعارضة .

على عكس ابن الصغير الذي انفرد بقصة تاهرت على أيام أفلح ، خصص أبو زكريا ومن نقل عنه ، مثل : الدرجيني كل روايته على عهد أفلح لأحوال جبل نفوسة وحيز طرابلس ، حيث كان حلف بن السمح يحمل لواء المعارضة ضد أفلح وواليه أبي عبيدة عبد الحميد الجنائري بعد أن رفض التعايش السلمي الذي اقترحه عليه هذا الأخير أيام الامام عبد الوهاب ، على أساس أن يتفرد

(١٧٧) انظر ابن الصغير ، ص ٢٧ ، الذي يضيف ان ابن وردة كان من وحمه المعجم وأنه كانت قد بقيت منهم بقية على أيامه في مدينة ميجانة .

(١٧٨) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

(١٧٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

(١٨٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

كل منهما بناحيه (١٨١) . فقد رفض خلف الاعتراف بالامام أفلع ، واحاز
بمن انصم اليه من الرجال الى موضع يعرف بـ « تيمتى » (١٨٢) ، وما يليها من
المشرق ، وهو رافع راية العصيان ، غير مقر بامامة أفلع ولادان بطاعته .

الحرب بين خلف وأبى عبيدة عبد الحميد :

ومن تيمتى (تمتى) أخذ خلف يشن الغارات على رعايا الامام المقيمين
فى حيز أبى عبيدة عبد الحميد ، ويستبيح أموالهم ويخرب ديارهم ويقتل
رجالهم دون تمييز ، كما يقول كتاب الاباضية ، حتى أنه قتل خطأ فى بعض
الاحيان بعض أولئك الذين كانوا قد دانوا له بالطاعة ، وهو يحسب أنهم
من رعية أبى عبيدة عبد الحميد (١٨٢) . وهكذا عظمت شوكة خلف الذى
استخدم الترغيب أيضا الى جانب التهيب ، فاستمال الرجال بعهائمه من
الاقطاعات والأموال ، وصارت اليه الخيل والى أهل بيته ومواليه وماليكه ،
وساعده على ذلك أن ما كان تحت حوزته من الأرض كان خصيبا بينما كانت
أرض أبى عبيدة جربة (١٨٤) .

وكتب عبد الحميد الى الامام أفلع يستشيريه فى أمر الخبيث بن الطيب ،
كما تقول رواية الدرجينى ، ويستأذنه فى الدفاع ، ولكن الامام كتب اليه
بمثل ما كان قد كتب به والده من استخدام اللين والمدارة (١٨٥) . واستمر
خلف فى أعمال العدوانية ضد رعية عبد الحميد فبعث بسرية من أربعمائة رجل
نهبت قرية تعرف بـ « تسمات درف » فأخذ رجاله ما قدروا عليه من أموالها ،
وفكروا ما قدروا عليه من الجمال بعد أن كان قد أخذ أكثر الخيل ، كما قتلوا
عددا من أهل القرية . وأصابوا عشرة أنفس من أصحاب أبى عبيدة
عبد الحميد (١٨٦) . وتقول الرواية الاباضية أن عبد الحميد الذى كان واقفا

(١٨١) أنظر فيما سبق ، ص ٣٣٧ .

(١٨٢) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب حيث الكلمة تمتى ، ولان الدرجينى
الذى اخذنا نكتاته ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، الشاخشى ، ص ١٨٣ .

(١٨٣) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب ، الدرجينى المخطوط ، ص ٣٢ - ب
(المطبوع ، ص ٧٢) ، الشاخشى ، ص ١٨٣ .

(١٨٤) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب
ص ٣٢ - أ (المطبوع ، ص ٧٢ - ٧٣) .

(١٨٥) الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب (المطبوع ، ص ٧٢) ، وما سبق ، ص ٣٣٧ .
(١٨٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - أ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٣ - أ

(حيث يسمى القرية ايدوف) والمطبوع ، ص ٧٣ (حيث تسمى القرية ويدوف . وحيث
وقتلوا ما قدروا عليه من الرجال يدلا وفكروا ... الجمال) .

على رأس عسكره ببعد من الجبل كان قد منع أصحابه - بناء على تعليمات
الإمام أفلح - من التعرض لرجال حلف (١٨٧) ، ولكنه لما استبان له تعيين
أمر رجاله (المسلمين) بمناذتهم ، فهرموهم وقتلوا منهم كثيرا ، ولكن
عبد الحميد منع عسكره من اتباعهم . وبذلك عاد كل من حلف وعبد الحميد
إلى موضعه : الأول إلى تيمتى والثانى إلى موطنه وكذلك أصحابه (١٨٨) .

معركة تعادل غزوة بغر :

وعاد عبد الحميد إلى مداواة خلف فأرسل إليه يطلب منه السلام على
أن يكون كل منهما في حيزه ، ولكن خلفا أبى من ذلك واستمر في شن الغارات
على أهل طاعة أبى عبيدة واعداد العدة لاستئصالهم . وهكذا عندما اجتمع
إلى خلف عدد كبير من الرجال خرج للملاقاة عبد الحميد في معركة فاصلة ،
ودلك بعد سنة من لقاء « قسما درف » . ومع أن عبد الحميد خرج إلى هذا
اللقاء في عدد قليل من أصحابه « عددهم هو عدد أصحاب بدر » أى ٣١٣ رجلا
أو سبعمائة بينما كان خلف في ٤ (أربعة) آلاف فارس ، فإنه كان مطمئنا
إلى أن رجاله كانوا من أهل البصائر الذين يموتون على ما أبصروا ، وهذا
مالم يشاطره إياه خلف (١٨٩) .

المناظرة قبل القتال :

وذلك أنه قبل القتال بدأت مناظرة بين الفريقين حاول كل منهما فيها
أن يشت صحة موقفه ، فلقد أرسل خلف إلى أبى عبيدة رسولين طلبا منه
خلع الإمام أفلح وأثبت ولايته هو ، وكانت الحجة في ذلك أن حيز جبل
نفوسة منقطع عن تاهرت . ويعرض أبو زكريا الأسانيد التي ارتكز عليها
اتباع الإمام أفلح في تفنيد حجج خلف وأتباعه على الوجه الآتى : فقد بدأ
أبو عبيدة عبد الحميد بأن سأل رسول خلف عما إذا كان الإمام عبد الوهاب
ثم ابنه أفلح قد أحداثا أمرا يحل به خلع ولايتهما ؟ واحتج لذلك بطاعة

(١٨٧) الدرجي ، المخطوط ، ص ٣٣ - ١ (المطبوع ، ص ٧٣) ، الشماخي ، ص ١٨٣ .

(١٨٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ١ ، الدرجي ، المخطوط ، ص ٣٣ - ١ (المطبوع ،

ص ٧٣) .

(١٨٩) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ب ، حيث يسجل أن رجال أبى عبيدة
كانوا ٣١٣ رجلا وأن رجال خلف كانوا أربعين ألفا (وقادون الشماخي ، السرد ص ١٨٦) .
بينما يقول الدرجي أن رجال عبد الحميد وسوا بلغ سبعمائة رجلا وأن رجال خلف كانوا ٤
آلاف فارس وهو ما رجحناه فاختارنا به (المخطوط ، ص ٣٣ ب ، المطبوع ، ص ٧٤) .

السمح اي والد حلف لعبد الوهاب . وعندما اعتل رسل خلف بالحوروات وانقطاعها رد عليهم من جديد بطاعة السمع لعبد الوهاب رغم اختلاف الحوزات .

وعندما اجاب رسولا خلف بالخوف من اراقة الدماء ان لم يطع عبد الحميد خلفا ، سألها : أيهما أعظم ، اراقة الدماء أو ترك القيام بدين الله ؟ ولما قالا له أن اراقة الدماء أعظم احتج عليهما بأعمال السلف الصالح من رؤساء الخوارج ، وقال لهما : لو صح ذلك لافترق أصحاب النهر (النهروان) وغيرهم ، وذعنوا لطاعة الظلّة المسودة ، وأصحاب النخيلة ، وأبو بلال وأصحابه ، وعبد الله بن يحيى ، وأبو حمزة وأصحابهما ، من روادهم في المشرق ، ثم أبو الخطاب ومن تبعه من المسلمين ، وأبو حاتم ومن تبعه من رؤسائهم في المغرب . فكل أولئك لم يتركوا القيام بحق الله مخافة اهراق الدماء ، بل انهم حبذوا الجهاد في سبيل الله وفضلوه . وأضاف عبد الحميد الى ذلك أنه اذا كانت اراقة الدماء أعظم من القيام بدين الله تعالى ، فعلى ما يقتلون الناس ؟ (١٩٠) .

المباهلة بعد المناظرة :

وانتهت المناظرة في يوم خميس دون الاتفاق ، وكان على السيف أن يقرر لمن يكون الحكم . فهكذا طلب أبو عبيدة عبد الحميد من الرسولين أن يرجعا الى صاحبهما ، وأن يكون الابتهاال الى الله مرجعا ثانيا لهم قبل الالتجاء الى الحرب . وكان الابتهاال ، كما قال لهما عبد الحميد ، يقتضى من الخصمين - خلف وعبد الحميد - الصيام يوم الجمعة ثم الطلوع مع أحد كبار أهل الثقة وهو أبو المنيب اسماعيل بن دراز الغدامسى ، فكانه الحكم ، على شعب الجبل : « فنتبهل ، فنجعل لعنة الله على الكاذبين ، وأن يقتح بيننا وبينكم ، وهو خير الفاتحين » (١٩١) .

وأغلب الظن أن المباهلة المقترحة لم تتم إذ تشير الرواية مباشرة الى استبعاد خلف للقاء أبي عبيدة وأمره لرجاله بالتهيز لهذا اللقاء ، وأن أبا عبيدة

(١٩٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - ب ، وقائى الدرجينى المخطوط ، ص ٣٣ - ب
(المطبوع ، ص ٧٥)
(١٩١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ - ب
٥ المطبوع ، ص ٧٥ - ب

أمر رجاله عندما اقتربوا من حصومهم - بناء على نصيحة من أحد اصحاب خلف - بالتراجع الى سفح الجبل ليكونوا في موقع استراتيجي جيد ، حيث يمكنهم أن ينالوا من عدوهم اذا كانت الجولة لهم ، وليصبحوا في مأمن منهم لو دارت الدائرة عليهم . وعندما تراجع أصحاب أبي عبيدة الى سفح الجبل ظن خلف أنهم حبنوا وخافوا فأمر رجاله بالهجوم عليهم .

وهنا قام أبو عبيدة بالانهال الى الله ، وبعد أن توشأ وصلى ركعتين - فدعا الله وابتهل اليه أن يفل شوكتهم (١٩٢) . وذلك قبل أن يرغب أصحابه في القتال ، ويدعو لمن يموت تائباً من العاملين الصالحين منهم (١٩٣) .

معركة أجناون ، وهزيمة خلف (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م) :

وهكذا تم اللقاء غير بعيد من أجناون بالجبل ، كما يقول الشماخي (١٩٤) ، عشية الخميس ١٣ من رجب عام ٢٢١ هـ / ٤ يولية ٨٣٦ م ، وأصحاب أبي عبيدة يقاتلون للدفاع في سبيل الله - دفاع أهل السني - وانهى القتال الشديد الذي أبلى فيه العباس بن أيوب بن العباس نلاء حسنا . فكان يكشف خيل خلف يسينا وشمالا ، بانهمزام أهل البغي من أصحاب خلف هزيمة منكرة ، بعد أن قتل منهم مقتله عظيمة . ورغم نفى الخلفيين من النكار فقد أمر أبو عبيدة عبد الحميد رجاله بالا « بتبعوا مديريهم ولا يجهزوا على جريحيهم ، وأحسن السيرة فيهم (١٩٥) » .

(١٩٢) أبو ذكريا المخطوط ، ص ٢١ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٤ - ٢ (المطوع ، ص ٧٥) .

(١٩٣) الشماخي ، السير ، ص ١٠١ : حيث يقول انه دعا بالجنة لمن مات تائباً « لا من كان على فراش حرام أو قتل به ، أو عصب مالا » .

(١٩٤) السير ، ص ١٨٩ .

(١٩٥) أبو ذكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، حيث تقول الرواية المنقوبة أن العباس « ابن أيوب ضرب رجلاً فطار رأسه ، فقال الناس للرائي : « الى النار ، فقال له الرأس عجيباً وبش الحسير » . هذا ، كما تشير الرواية الى أن الرجل من أصحاب أبي عبيدة كان يرمي بالزرداني ليخرج من ظهر خصمه ويكرر خلفه . وقارن الدرجيني ، المخطوط ص ٢٤ - ١ (المطوع ، ص ٧٦) .

خلف يهجر خصومه :

وهكذا عاد خلف مهزوما الى موضعه في تيمتى ، ولكنه بدلا من أن يتعظ من درس الهزيمة تمادى فى أعماله العدوانية ضد أتباع عبد الحميد وأفلح . فنقول رواية أبى زكريا أنه أخرج من إقليم تيمتى من كان هناك من نفوسه وغيرهم ممن لم يكونوا متعاطفين معه ، « وأجل لهم ثلاثة أيام ، فمن وجد بعد ذلك فمهدور دمه وماله » ، لم يفرق فى ذلك بين اليتامى والمساكين والأرامل ومن ليس له ذنب ، ممن أخرجوا على كره منهم . وصار هؤلاء يتوافدون على أبى عبيدة ويعلنون التوبة ويرجمون عن خلف ، الذى وهن بعد ذلك « حتى مات فى زيفه وغيه » ، وحتى أن ابنه اضطر الى الانحياز بأعوانه فيما بعد الى جزيرة جربة (١٩٦) . وبذلك انتهت قصة الافتراق الثانى ، وهو افتراق الخلفية ، فى امامة تاهرت الرستمىة ، وتمكنت امامة أفلح الذى « ألقا بيده يمينا وشمالا ، وتمكن فى امامته واطردت له الأمور واستقامت له الأحوال » . أما أبو عبيدة عبد الحميد فقد ظل ملازما للطاعة الى أن أدركته منيته ، فاستعمل الامام أفلح مكانه ، على نفوسة ، العباس بن أيوب بن العباس الذى أحسن السيرة على سبيل أصحابه الى أن توفى (١٩٧) ، وكانت وفاته ايذانا بالانشقاق الثالث بين أباضية تاهرت .

النفائية ، والافتراق الثالث فى الاباضية على عهد الامام أفلح :

تسمية النفائية :

إذا كانت نفوسة وجبلها قد مثلت مركز الثقل فى امامة تاهرت الرستمىة، فإن مدينة قنطراة وحيزها كانت بمثابة مركز الثقل فى جبل نفوسة (١٩٨) . وبسبب التنافس على ولاية إقليم قنطراة كان الانشقاق الثالث بين الاباضية

(١٩٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب ، ٢٩ - ١ ، وقارن الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ - ١ (المخطوط ، ص ٧٦) : الذى يذكر أن حفيد خلف هو الذى انحاز بأمران جده الى جربة حيث أقاموا بعيدين عن المشاركة فى أمور الدولة الرستمىة .
(١٩٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ ، الدرجينى ، المخطوط ، ص ٣٤ - ١ (المخطوط ، ص ٧٧) .

(١٩٨) انظر البادوى ، كتاب الأزمات الرياضية فى أمة وملوك الاباضية ، قسم ٢ ص ١٩٦ - ١٩٧ : حيث يقرر المؤلف أن قنطراة هى المدينة المعروفة حاليا بـ « تيجى » وكانت ذات عمادة ولجنة وعمار متصومة ، وحيون جارية فى ذلك العهد ، وإن لم يبق فيها الآن إلا قليل من التخييل وبعض البيوت التى لا ينتفع بها .

على عهد الامام أفلح بن عبد الوهاب ، وهو الانشقاق الذي عرف أصحابه بالنفائية نسبة الى نفاث ، وهو اسم الشهرة الذي عرف به قائد الحركة فرج ابن نصر النفوسي (١٩٩) . ومع أن الباروني يسجل اسمه في شكل نفاث ويقول انه ربما كان من القرية المعروفة الآن بتعاته ، والتي ربما كان أهلها المالكية من سلالة (٢٠٠) ، فالواضح من النصوص أن أصحاب الامام أفلح هم الذين أطلقوا اسم نفاث على فرج : كلقب تجريحي ، كما فعلوا مع النكار ، وهو الاسم الذي يكاد يعادل اسم الخوارج الذي أطلق على أسلافهم الأوائل . وإذا صح ذلك فأغلب الظن ان اسم نفاث مشتق من الفعل نفث نفث ، والمقصود به هو نفث سموم الخلاف والفرقة .

نفاث : فرج بن نصر النفوسي : تكوينه العلمي :

وكان فرج بن نصر النفوسي ، الذي اشتهر بنفاث ، من علماء الاباضية المشهورين بغزارة العلم والاجتهاد وصواب الرأي . اعترف له بذلك خصومه من شيوخ المذهب ، وسجلوا الحقائق والاساطير حول علمه ورجاحة عقله وقوة فكره . فقالوا انه أخذ العلم عن الامام أفلح نفسه (٢٠١) الذي كان قد طهر بيوغه قبل أن يبلغ الحلم . ونصوا على أنه لم يكن يكتفى بالعلم النظري بل كان يسعى الى اثبات النظرية بالتجربة ، كما حدث عندما سأله امرأة عن بيضة طاهرة طبخت في قدر ميجوس . « فدخل الدار فأخذ بيضة وفيلاً ، وطبخها ، ونزع القشر فوجد النيل قد سود القشرة وتغير داخل البيضة حتى صار كلون النيل ، فعلم أن القشر لا يمنع النجس » (٢٠٢) .

هذا ، كما قيل انه سار الى المشرق ما بين الحجاز والعراق - لطلب العلم على شيوخ المذهب هناك - وأنه دخل بغداد ، حاضرة الخلافة ، وبلغ به الأمر الى حد أنه تحدى العلماء والفقهاء من بطانة أمير المؤمنين وناظرهم في مجلسه ، وأجاب على أسئلتهم ، « حتى عيوا فلم يقدروا له على شيء » ، وحتى تعجب السلطان من علمه مع سخافته ونسبه وقلة أدبه ، وقال نعم العسل في ظرف

(١٩٩) أبو زكريا ، ص ٢٩ - ب ، الدرجي ، ص ٢٤ - أ (المطبوع ، ص ٧٧) .

(٢٠٠) الأذهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٦ .

(٢٠١) أبو زكريا ، ص ٢٩ - أ (الدرجي ، المطبوع ، ص ٧٨) .

(٢٠٢) أبو زكريا ، المطبوع ، ص ٣٠ - أ ، وقارن الدرجي ص ٣٥ - ب (المطبوع)

ص ٧٩) .

سنة (٢٠٣) .

ديوان جابر بن زيد :

وكانت فرصة انتهزها نفاث لكي يسمح له الخليفة بنسخ ديوان جابر ابن زيد (٢٠٤) الذي كان محصورا في خزائن دار الخلافة لا ينتفع به أحد (٢٠٥) .

اسباب دينية للخلاف :

وتشير الرواية الى أن نفاثا عندما وصل معه ديوان جابر الى طرابلس الغرب أخذ يضعف أهل مذهبه ، وساء ظنه بهم ، مما يؤكد أن رحلة المشرق قد كانت اكسبته من العلم ما لم يكن معروفا لدى أهل المذهب في المغرب ، وأن ذلك كان من الأسباب الرئيسية للخلاف بينه وبين الامام أفلح . أما ما تقوله رواية ابن زكريا من أن نفاثا خاف أن يصير ديوان جابر الى أهل دعسنة المسلمين ، فيزدادوا به علما ، وأنه فضل أن يدفن الديوان في بعض المواضع ،

(٢٠٣) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ ، ١ - ٣٠ - ب . حيث تقول الرواية ان نفاثا كان حائسا في حابوت بعض لبيدانيين عندما سمع المادى ، فقال له صاحب الحانوت : ان من أحاب لأمر المؤمنين مسألة فله سؤاله والا قطعت رأسه ، فأصر نفثات على التمسك للاجابة ، وأنه عندما أدخله الأعران على أمير المؤمنين الذي قرره وسأله عن أحواله وبلده ونسبه بدأ نفاث كلامه قائلا : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل من البربر ، والبربر ليس معهم أدب فأريد أن أتكلم في مجلسك بما يدى لي . وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ١ ، ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٨٠) .

(٢٠٤) عن جابر بن زيد الأزدي صاحب الديوان (٢١ هـ - ٩٦ هـ) الذي يعتبر من مؤسسي المذهب الإباضي وشيخ أبي هبيدة مسلم بن أبي كريمة ، انظر على يحيى مسر ، الإباضية في مركب التاريخ ، ج ١ ص ١٤٣ - ١٥١ .

(٢٠٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٠ - ب ، ٣٦ - ١ . وتضيف الرواية ان وُذِرَ الخليفة اعترضوا على السماح لنفاث بنسخ ديوان جابر وخروجه من دار الخلافة ، واستدلوا بذلك على علم نفاث وعقله وما سيصير اليه بعد ان ينسخ ديوان جابر ، وأنهم فكروا في حيلة تمنع من ذلك فعرضوا على نفاث أن يستعير الديوان لليلة واحدة عندما يريد . وواجه نفاث المأزق بأن اختار أطول ليالى السنة ، وبذل المال بسخاء لعدد كبير من الوراقين ، من : نساخ ومسلين وأمدم بالورق والحبر الكثير حتى نجحوا فعلا في نسخ ديوان جابر في تلك الليلة الا كتابا واحدا من الشجرة كتب ، أبي عليه السلطان أن ينسخه ، ولكنه سمح له أن يقرأ مرة واحدة بين يديه ، كانت كافية لان يحفظه نفاث عن ظهر قلب . وتضيف الرواية ان السلطان حاول ان يحتال على نفاث حتى لا يخرج بالديوان من بغداد عن طريق حجة حمزة بالاجابة لغير عدد من المسائل ، ولكنهم لم يقتضوا له على شيء ، ثم انه خرج على مكة قبل أن يأخذ طريق المغرب حتى يصلهم . وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ب (المطبوع ، ص ٨١ - ٨٢) .

« وأنه لم يعرف موضعه الى يومنا هذا » ، وهذا كله بغيا وحسدا (٢٠٦) ،
فالمقصود به تأكيد أن رحلة المشرق كانت بعد الافتراق ، وهو الامر الذي يجافى
المنطلق السليم الذي يرجع أن الانشقاق كان بعد رحلة نفاث الى المشرق حيث
تلقه في المذهب ، ورأى أن ينشر اجتهاداته التي أشرنا اليها -

أسباب سياسية للخلاف :

ومع أن أبا زكريا يصح حياة نفاث العلمية الحافلة هذه عقب خلافه مع
الامام أفلق ، الامر الذي أدى الى ذلك الافتراق الثالث في الإباضية بالمملكة
الرسنية ، فالواضح أن أبا زكريا أراد بذلك - وهذا ما فعله أهل المذهب الذين
نقلوا عنه - أن يجعل أساس الانشقاق الثالث سياسياً ، وإن كان الافتراق
قد أصبح مذهبياً . فهو يجعل المنافسة على ولاية قنطرة والحاح نفاث في
الوصول الى منصب الوالي هي السبب في ذلك الانشقاق . وفي ذلك ينص أن
الامام أفلق كان قد استعمل على قنطرة أبا يونس وسيم بن يونس
النفوسي الذي أصلح ما كان يدور في المنطقة الزراعية الغنية من افسنسناد
للزنجوع (٢٠٧) ، كما انه اشتد في جمع الزكاة من مستحقى دفعها ، حيث أعلن
أنه « لافرار من الصدقة » (٢٠٨) .

ولاية قنطرة : منافسة بين نفاث وسعد بن وسيم :

وعندما توفي أبو يونس وسيم كان ابنه سعد يطلب العلم لدى الامام
أفلق وبصحبته فرح بن نصر وهو نفاث . وعندما نظر أفلق فيمن يستعمله على
قنطرة ، فاختبر الناس وميرهم ، « وجد سعد بن يونس لأمور المسلمين أصلح ،
ولأمور الدين أحسن ، ولحدود الله أصلب » - فكتب سجلاً باستعماله ، ودفع
السجل بعد ختمه الى سعد ونفاث ، ولم يبين لهما من العامل ، وأمرهما ألا
يفضيا السجل الا في قنطرة . وخلال الطريق « استخف الشره وسوء الخلق
وحب الرياسة » نفاثا ، « ففتش وراء الكتاب وقضى خاتمه وقراءة » . واستاء

(٢٠٦) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢١ - ١ ، ٣١ - ب ، وقارن الدرجيني ص ٣٧ - ١
المطبوع ، ص ٨٢) .

(٢٠٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ : حيث يصح على أن سبب خروج أبي يونس
الى قنطرة أن الخدم كن يحتجبين من أجرة الناس فإذا جاء المطر في المواضع التي احتجبين
حدها فتتهدم الجسور من ذلك - وقارن الدرجيني ، ص ٣٤ - ب ، ٣٥ - ١ (المطبوع .
ص ٧٧) .

(٢٠٨) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ١ .

نفث لأن الإمام أفلح فضل عليه سعد بن وسيم لولاية قنطرة : « فاضمر في قلبه الخش والعداوة » . وهكذا فرغم أن سعدا ولي قنطرة فاحسن السيرة ، وقام بحق الله ، وأقام له منبرا وجمعه ، بمعنى أنه كان يؤم صلاة الجمعة ويدعو للإمام أفلح في الخطبة ، فإن نفثا أظهر الطعن في الإمام (٢٠٦) .

نفثا يطعن في الإمام ويشير خلافاً فقهية ، ما بين التقليد والتحديث :

والى هنا ورؤية أبي زكريا تسجل أن سبب خلاف نفثا سياسى دينوى . من أجل ولاية قنطرة . ولكنه يأتى بعد ذلك بأسباب أخرى ذات طبيعة فقهية مدمية ترجع أن الخلاف كان دينيا من حيث الشكل على الأقل ، أو أنه صار هكذا . من ذلك ما ينسب الى نفثا من أنه قال في الإمام أفلح : « أضاع أمور المسلمين ، ويزيد في الخلقة ويلبس الطرطور ، ويخرج الى الصيد ، ويطلق بالأسبر » (٢١٠) . مما يعنى أن نفثا كان متمسكا بسنن أهل الدعوة القديمة ، وأنه كان ضد مظاهر التطور التي أخذ به الإمام أفلح ، من التجديد في الزي وتقليد خلفاء بغداد وعالمهم في لبس القلائس ، والعناية بالملبس والمظهر ، وانفاق بعض الوقت في الرياضة والقتص . ثم تتسلسل الخلافات المذهبية والفقهية في عدد من المسائل التي يظهر فيها اجتهد نفثا ، والتي انكرت عليه حتى نسب بسبب بعضها الى الكفر .

فمن المسائل التي ابتدئها نفثا : زعمه أن خطبة الجمعة بدعة . ومن أخطرها فتواه بأن إبناء أخى الرجل من الأب والأم (أى الشقيق) أولى بوراثته من أخيه من الأب فقط . ويعلق أبو زكريا على هذه الفتوى ، فيقول : ان نفثا راد بها ضلالا ، وأن المشايخ قالوا : « لو لم يفت الا هذه المسئلة لكفريها » (٢١١) .

(٢٠٩) أبو زكريا ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ١ ، ٣٥ - ب (المطبوع .

ص ٧٨) .

(٢١٠) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ب .

(المطبوع ، ص ٧٨) ، وانظر الباروى ، الأزهار الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٨ : حيث يشرح .

« ويزيد في الخلقة » بمعنى أنه عظيم السماعة كبر الوجه بطول اللحية جدا ، كما يقرأ .

« ويصل بالأسبر » ص الدرجيني ، بدلا من « ويطلق بالأسبر » التي تشبه : ويصيح شعره .

بالحناء .

(٢١١) أبو زكريا للمخطوط ، ص ٢٩ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٥ - ب .

(المطبوع ، ص ٧٩) ، ويذكر أبو زكريا بعد ذلك (ص ٣٥ - ب) بعض الروايات التي

يدلل بها على خلال نفثا ، فيقول ان ابن أخته رآه على المنام يحمل الشمع على رأسه ، وقد

وضع عليه سنور وهو فوق رأسه ، ويفسر ذلك ان الشيطان استولى عليه وهو يجمع العلم .

وهكذا كانت شقة الخلاف للمذهبي تتسع بين نفاث وأعوانه في حبل
تفرسه وبين أصحاب الامام أفلح ، وعلى رأسهم سعد بن أبي يوسف وسيم
والى تطرارة . واضطر سعد الى ترك مقر ولايته والحروج الى حبل ففرسة
حبل مقام نفاث مخافة أن يضلل الناس . وبني سعد دارا بجبال نفاث . الذى
كان بناء عظيما ، فأسرع لمعالوته فى البناء . ويقول أبو ركريا أن سعدا خشى
« ان يتوهم الناس أنه رضى عن نفاث فكان يقول له : الى متى تترك كفرك
يانفاث ، فيقول له نفاث : معاد الله من الكفر يا شيع » . وكان سعد يقول
لأخصائه فى ذلك : « ليس جزء من يساعدي الشتم انما تخوفت العنة
وجراؤه اللحم والخيز (٢١٢) »

ويضيف البارونى فى الازهار الرياضية فى أئمة وملوك الانصارية عدد
من مسائل الخلاف التى أثارها نفاث ، منها قوله ان الله هو الضر الدائم
وانكاره استعمال للامام العمال والسعاة لجباية الحقوق الشرعية ومطاب بيت
مال المسلمين من الرعايا . وقوله أن المضطر بالجوع لا يسطى بيع ماله اذا باعه
لأجل ذلك وعلى من شهد مصرته تبيحته . بقوله ان العقد لا يتحقق الا بيمين
تجاوز البحر الى غير ذلك من المسائل التى يتحل فيها الخلاف (٢١٣)

هذا كما يسجل البارونى ثلاث رسائل مسبوقة الى الامام اصبح فى حق
نفاث وبى الرد على بدعه ومسائله . والأولى منها موجهة الى والى بغداد وهو
حيال بن يوسف ، يدعو فيه الى تنبيه رعيته الى ضلال نفاث ويحذر من ترده
على مجالس أهل الدعوة حتى يرجع الى سنة المسلمين وذلك قبل الرد على
ضلالته (٢١٤) . والرسالة الثانية التى لا يعرف اسم من أرسلت اليه من
العمال ، وكان يشكو للامام من أعمال نفاث تشير الى ضلال نفاث وبدعه ومخالفة
شريعة السلف الصالح والائمة المرضيين ، وتدعو الى اقامة الحق عليه وهجره
وأبعاده (أى البراءة منه) أن تمادى فى خلافه . ثم تنص الرسالة على أن من

كما يذكر أن ر : أواء الدخول فى ملهه للحق فى الطريق قسمه ، وهو يقول : « ضللت
واضللت بالفتا » . ويغنم أبو زكريا بقوله ولما انه اعطى فى العلم مرة عظيمة والفقه
والعلم... ولكنه السد ذلك كله بالحد وحسب الأمور بمعنى أن أسباب الخلاف المذهبي كانت
شخصية سياسية .

(٢١٢) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب ، ٢٠ - أ ، وقارن الدريبي ، ص ٣٥ - ب

٢١ - (المطبع ، ص ٨٤) م .

(٢١٣) البارونى ، الأوامر الرياضية ، قسم ٢ ص ١٩٥ - ١٩٦ .

(٢١٤) البارونى ، الأوامر ، قسم ٢ ص ١٩٩ - ٢٠١ .

- ٣٥٣ -

ينكر شيئا على عامل من العمال فعليه أن يكتب بذلك إلى الامام ، كما تنص على منع الوثوب على العمال (٢١٥) أما الرسالة الثالثة فقد وجهها الامام أفلح إلى نفاث نفسه يحذره فيها من ابتداء غير الحق ، ويدعوه إلى العودة إلى الرشد ، ويكرر خلق كل من خالف سيرة المسلمين وتقيته وهجره وقصائه ، وكذلك البراءة منه ، مع اشارة خاصة إلى من يزعم أن عمال الامام أساقفة ، وأنهم لاطاعة لهم في حال كتمانهم ، وتوى نهايتها يطلب من نفاث أن يعود إلى حظيرة الجماعة ، وأن يترك المخالفة ، وما كان يطالب به من التصحيح ، الامر الذي يقتضى أن يعلن أفلح توبته حتى يرضى عنه (٢١٦) .

ورغم ما يقوله الباروني ، من : أن نفاثا قاب ورجع عن مسائله التي خالف فيها « مستندا إلى أنه لم يرو أحد أنه ذكر الامام أفلح بسموه أو تكلف لاثارة فتنة أو سعى في فساد ، وذلك بعد رجوعه من المشرق ، إذ استقامت الامور لأفلح (٢١٧) ، فالمعروف هو أن النفاثية ، مثلها مثل : النكارية والخلفية ، ظلت من الفسيفساء المنشقة على المجتمع الاباضي إلى ما بعد نهاية امامة تاهرت الرستمية . وفي ذلك يقول الدرجيني : انه : « لم يبق ببلادنا من يقول بقول نفاث ، وينصر حجة الا فريق من مطمطة ، فمنهم بالحمة ، ومنهم بالجبل ، واليه ينسبون ، فيقال لهم النفاثية » (٢١٨) .

ازدهار المملكة على عهد افلح ، وسياسة « فرق تسد » :

هكذا تكون الامور قد استقرت للامام أفلح - رغم انشقاق الخلفية ثم الانفثية خلال ملكه الذي دام إلى أكثر من نصف قرن (إلى حوالي ٢٤٧ هـ / ٨٦١م) حسب رواية كل من ابن الصغير وأبي زكريا . وخلال تلك المدة توطأت أمور المملكة في تاهرت ، وأغتنت القبائل حول تاهرت وتحضرت ، وبدأ يظهر فيها الفساد والبطر ، مما جعل الامام يخشى على مملكته ، كما يقول ابن الصغير ، حتى انه بدأ يطبق مبدأ « فرق تسد » بين القبائل كي يلهيها بالصراع فيما بينها ، حتى يظل محتفلا لنفسه بموقف الحكم .

(٢١٥) الباروني ، ص ٢٠١ - ٢٠٤ .

(٢١٦) الباروني ، الأزهال الرياضية ، قسم ٤ ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٢١٧) الأزهال الرياضية ، قسم ٢ ، ص ٤١٠ - ٤١١ .

(٢١٨) الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٧ - ٢٨ (المخطوط . ص ٨٢ - حيث التواضع بالجملة

يبدل من الحمة) .

وفي ذلك ينعرد ابن الصغير بالقول أن الامام أفلح « أرض بين لوانة وزناتة » من جهة ، « وما بين لوانة ومطاطة » من جهة أخرى ، كما أثار العرات بين الجند وبين العجم حتى تنافرت النفوس وقلمت الحروب ، « وصارت كل قبيلة ملاطفة لآلح حوفا من أن يعين صاحبيتها عليها (٢١٩) » .

اعتقال ولي العهد أبي اليعقظان محمد في بغداد الى وفاة المتوكل :

وبفضل تلك السياسة التي أدت الى انفاق حماس القبائل العسكرية فيما بينها اطمأن أفلح الى ملكه حتى نهاية عهده ، « فاستلقى على ظهره أمنا ومد يديه ورجليه مطمئنا وعلم أنه قد كفي أمرهم » . ولم ينقص عليه عيشه الا افتقاده لابنه الأكبر وولي عهده الأمير أبي اليعقظان محمد الذي كان قد سار الى المشرق لاداء فريضة الحج ، وربما للتعققة أيضا على شيوخ المذهب هناك . اذ تقول الرواية أن رسل بني العباس الوافدين في قافلة الحج المغربية كشفوه في مكة وأخبروا انه جاء لبث الدعاة في المشرق فحمل الى دار السلام ببغداد . وذلك على عهد الخليفة العباسي « المتوكل » (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ) على ما يظن . وحبس أبو اليعقظان في سجن المتوكل مكرما مع ابن الخليفة كما يقول ابن الصغير ، وظل في الحبس الى مقتل المتوكل (سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م) حيث أخرجته الخليفة الجديد زميله في السجن (٢٢٠) ، وهو المنصور بن المتوكل (الذي لم يملك في الخلافة الا ستة أشهر فقط) الذي أحسن جائزته ، وأحرى عليه العطاء الى حين عودته الى تاهرت (٢٣١) . وكانت عودة أبي اليعقظان الى تاهرت بعد وفاة والده أفلح الذي « اشتد حزنه عليه وطال غمه به فلم يزل مهجوما محزوناً الى أن وافته منيته (٢٣٢) » . وكانت امامة تاهرت قد آلت الى أخيه أبي

(٢١٩) ابن الصغير ، ص ٢٧ .

(٢٢٠) ابن الصغير ، ص ٢٧ - ٢٨ (حيث القراء في النص انه سجن مع ابن الخليفة التي عدلتها الى ابن الخليفة) .

(٢٢١) أنظر ابن الصغير ، ص ٢٨ - ٣٠ - حيث تقول الرواية انه عندما سمح لأبي اليعقظان بالانصراف من بغداد طلب منه أهل الديوان أن يوصي لمن يقض جاريته التي بلغت ١٢٠ درهما يوميا ، لئلا يلحق رسبه من دفاتر ديوان الخلافة ويعفو ذكره . وعرض أبو اليعقظان على خادمه النفوس أن يقيم في بغداد ويقض جارية ال ١٢٠ درهما يوميا ، ولكن الخادم رفض ، وطلب اعطاهما الى الخياط الذي كان يجلس عنده ويشاوره في أمر أبي اليعقظان وهو في السجن . ويضيف ابن الصغير قائلا : وكان النفوس بعد ذلك بتاهرت اذ ذكره لمر أو نزل به ضيق ، يقول لابي اليعقظان : لم أقبل منك ، ولو قبلت لكان المشرون والمائة درهم أهدت علي ما أريد .

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٣٠ .

بكر الذي كان ميرا بين أبناء أفلح بعد أبي اليقظان محمد .

أبو بكر بن أفلح (امام تاهرت الرابع) : ٢٤٧ هـ = ٨٦١ م / ٣٦٠ هـ = ٨٧٣ م)
اختياره : ما بين الرضى والكراهية :

وغم ما يقوله ابن الصغير من أنه عندما واقت أفلحاً منيته : « اجتمعت
الاباضية فلم يصيبوا في أولاد أفلح ، إذ فقدوا أبنا اليقظان ، أرجع عندهم من
ولده أبي بكر (٢٢٢) ، فالواضح من تكملة الرواية أن مسألة اجتماع الاباضية
للمشاورة في اختيار الامام كانت شكلية ، وإن رعنا نفوسه كان ييدهم مقاليد
الأمور حقيقة ، وكانوا يولون من يقع اختيارهم عليه من أبناء الامام الراحل .
هذا ما يفهم من نص ابن الصغير أيضاً الذي يقول انه عندما قدم الناس أبا بكر
إلى أفلح ، بعد وفاة والده « كان عبد العزيز بن الأوز ينادى بأعلى صوته
الله سائلكم معاش نفوسه إذا مات واحد جعلتم مكانه آخر ، ولم تجعلوا الأمر
للمسلمين وتردوه اليهم فيختارون من هو أبقى وأرضى ، فلا يلتفتون الى كلامه
ولا يشتغلون بمعاليه (٢٢٤) . ومن الممكن أن يكون المقصود بهذا الكلام هو
المطالبة بتطبيق مبدأ الاختيار بشكل عام ، كما يمكن أن يكون احتجاجاً خاصاً
بالنسبة لاختيار أبي بكر بمعرفة نفوسه (٢٢٥) .

وقد يرجح فكرة أن أبا بكر بن أفلح لم يكن الامام المنشود ، ما يذكره ابن
الصغير من أنه « لم تكن فيه من الشدة في دينه ما كان فيمن كان قبله من
آبائه ، أو ما ضيقه من أنه « كان سمحاً حواداً لى العريكة ويسامح أهل
المروات ويشايخ على مرواتهم ويحب الآداب والأشعار وأخبار الماضين » (٢٢٦) .
وهو الأمر المقبول بالنسبة للامامة الرستمية السائرة في طريق التطور والرقى
مما لا يجعل أمر المقارنة بين صفات الأئمة الأوائل وخلفائهم المتأخرين خير موازين
المفاضلة بينهم . هذا ، ولو أن ما وقع من الأحداث في امامة أبي بكر تعدل
فعلاً على ابن الامام وتساهله في أمور السياسة والحكم .

(٢٢٢) ابن الصغير - ص ٣٠ .

(٢٢٤) ابن الصغير - ص ٣١ .

(٢٢٥) وهذا ما أخذ به الدكتور في الإحصاء الرياضية (قسم ٢ ص ٢٢٢) إذ قرر
« نظرياً قائلاً : « ولا تم إيراد البنية المعلن للامامة أكثر من بعض الناس ذلك من أولاد أفلح ، أهل
لغة ، وعابوا نفوسه باستقلالهم بهذا الأمر وإحصائهم به ثم سكتوا » .

(٢٢٦) ابن الصغير - ص ٣١ .

غلبة محمد بن عرفة على أبي بكر :

وأول ما تشير إليه النصوص في هذا المقام هو غلبة صهره محمد بن عرفة على أمور الدولة . والذي يفهم من تلك النصوص أن محمد بن عرفة هذا كان يتمتع بصفات عظيمة جعلته في مصاف رجال تاهرت المرموقين ، منذ أيام الامام أفليح الذي أولّيه بهدية من قبله على ملك السودان فحاز رضاه ، وأعجب بفروسيته وحسن خصاله وجماله . والظاهر أن الجمال الباهر لم يكن وحده أهم تلك الصفات ، فقد كان ابن عرفة يتمتع أيضا بالوسامة والجواد والسماحة الى جانب الهيبة والفروسية وحسن الأفعال . ولم يكن من الغريب على الامام أبي بكر ، الذي عرف بسماحته ولين عريكته أن يقدر للجمال والوسامة قدرهما ، فتزوج أخت ابن عرفة وكلف بها ، كما زوج هذا الأخير أخته هو في المقابل .

وأصبح محمد بن عرفة أقرب المقربين الى الامام أبي بكر حتى أصبح أشبه بما نسميه الآن بالمثل الشخصي للرئيس أو الملك . ولا شك أن رابطة النسب ساعدت على تقوية أواصر القربى بين أبي بكر وابن عرفة ، حتى كان الأخير يستطيع الدخول على الامام في أي وقت يشاء ، وفي أي مكان كان دون موعد سابق أو إذن ، حتى انتهى الأمر ، كما يقول ابن الصغير ، الى أن : « كانت الامارة بالاسم لابي بكر ، وبالحقيقة لمحمد بن عرفة (٢٢٧) » .

عودة أبي اليقظان محمد بن الفلح :

تأثره بالنظم البغدادية :

في هذه الظروف عاد الى تاهرت أبو اليقظان محمد بن أفليح عقب مقتل المتوكل (أي قبيل سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م) ، وبعد أن عرّكته تجربة السجن في دار الخلافة ، وتقريب من ولى العهد المنتصر الذي آلت اليه الخلافة ، وصار على دراية بالنظم الادارية والصنكرية المتقدمة في بغداد . من ذلك ما رآه من اجراء الرزق اليومي على اهل الوجاهة واعيان الناس من ديوان الخلافة ، وامكان التوصية بهذا العطاء الجارى لمن يريد صاحب الشأن . ومن ذلك ترتيب الجيش في طبقات من الثقباء يتلو بعضهم بعضا ، وكل رجل من الطبقة الاعلى

« (٢٢٧) - اخبار الائمة الرستينين ، ج ٣٦ ، ٣٣ - ويضيف الى ذلك ان محمد بن عرفة « كان اذا ركب من داره يريد انا نكرمشي بين يديه ومن خلفه ومن يمينه ومن يساره اعم من الامم ، وشهدت بذلك الرستية وغارت به » .

يرأس عشرة رجال من الطبقة التي تليه حتى أن القواد العشرة الكبار يمكنهم جمع عشرة آلاف فارس خلال يوم واحد ، وهو الأمر الذي لم يكن أبو اليقظان يصدق له لولا أن عاينه بنفسه في صحن قصر الخلافة (٢٢٨) .

اعترافه بالأمر الواقع ، وإقامة أخيه أبي بكر

« وهكذا ، رغم ما يحرف به أبو اليقظان من أنه كان أكثر أبناء أفلح أهلية للإمامة ، ورغم التجارب التي حنكته في المشرق وفي دار السلام ، حتى قيل أن القوم هناك أطلقوه لأنهم عرفوا أن ستكون له دولة في المغرب ، كما قيل أنه بلغ النهاية والغاية في العلوم وخاصة علم النجامة (٢٢٩) ، فإنه عندما رجع إلى تاهرت وعرف ب وفاة والده وولاية أخيه أبي بكر قيل الأمر الواقع ، فلم يغير شيئاً ولم ينكره ، ولا ادعى أماره ولا نازع فيها أخاه ، بل أظهر القيام له والحجسة بين يديه (٢٣٠) » .

أبو اليقظان نائباً للإمام في الحكم أو وزيراً ؟

ولما كان الإمام أبو بكر يحب اللذات ويميل إلى الشهوات ، كما يقول ابن الصغير فإنه « استعان بأخيه أبي اليقظان محمد في الحكم فعهد إليه بالنظر في أمور تاهرت وأحوازها » وأظهر أبو اليقظان ما كان يتمتع به من الكفاية في شئون الإدارة بالإضافة إلى ما اكتسبه من أدب المشرق ، والأخذ بالحزم فيما رآه من ولاية بني العباس وسيرهم (٢٣١) . وهكذا ، فبينما كان أبو بكر معتكفاً في دار الإمارة كان أبو اليقظان يجول في المدينة ، ويركب إلى أعلى مسجد فيها ، حيث يجلس للنظر في شئون الناس وحوله الأعمال والقضاة وأصحاب الشرطة وينظر في ذلك نظراً شافياً ، ويجري الحق على الكبير والصغير حتى حمد له « الشراة » ذلك ، جيب رواية ابن الصغير ، وحمد له أخوه فعله . وفي آخر النهار كان يأتي باب أخيه أبي بكر ، « فإن وجده جائلاً دخل عليه وأعلمه بما حدث في يومه من خبر وحكم » ، وإن لقيه مشتغلاً طلب من

(٢٢٨) ابن الصغير ، ص ٢٨ - ٣٠ .

(٢٢٩) الخطيب المراكشي ، المملوك ، ص ٣١ ، وفي ذلك يقول الرواية أنه احتال على علماء المدينة ولما لم يجدوا له ما يرجعوا إليه في المغرب فدخل لهم قصعة ملاها سلاط حتى لا يسموا ، حاولوا تسميه وحسبوا الوقت الذي يخرج فيه من بغداد وجدوه في ذلك القصر وأنه يشغل الجيوش ، لم يخرجوا منه .

(٢٣٠) ابن الصغير ، ص ٣٤ .

(٢٣١) ابن الصغير ، ص ٣٤ .

حجابه أن يبلغوه ما عليه المدينة من هدوء و سلام . ولم يزل أبو اليقظان مجتهدا في شغله ليلا ونهارا « حتى جلب قلوب الناس » (٢٢٢) .

الصراع بين محمد بن عرفة وبين أبي اليقظان :

وبذلك آلت أمور الامام أبي بكر إلى فائضه القوم : محمد بن عرفة صهره ، ومحمد أبي اليقظان أخيه الأكبر ، وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر بصراع خفي - في أول الأمر - بين الشخصيتين العارمتين ، قبل أن ينقلب إلى نزاع علني تكون له آثاره السيئة في المملكة الرستمية . ويلقى ابن الصغير بثمة انهجار الموقف المتأزم على صهر أبي بكر عندما يقول : ان محمد بن عرفة كان مشغولا بما كان فيه من « دوى وصيت عال » ، لا ينظر أبا اليقظان في حربه ولا في طائفته ولا في الناحية التي هو بها ، ولا ينظر ببينة له أو اجلال أو حذر منه . « هذا ، وبينما كان أبو اليقظان وعمومته وأخوته لا يصلون الى أبي بكر الا بعد الاستئذان ، كان محمد بن عرفة لا يحجبه عن الوصول اليه حاجب .

الرستميون يتربصون بأبن عرفة ، ويعرضون الامام على التخلص منه :

وهكذا أخذ أبو اليقظان وقرابته يتربصون بمحمد بن عرفة ، ويتربصون له الفلتات الى أن نجحوا في اثاره أبي بكر عليه عندما خوفوه من سلطانه وما صار يتمتع به من هيبة بين الناس كادت تلمس هيبتهم للامام نفسه (٢٢٣) . وعندئذ أخذ أبو بكر يراقب صهره ، وما يتمتع به من حول وسلطة حتى تأكد له الأمر ، وهاله ما رأى من سلطان أبي عرفة فدير مقتله غدرا عندما دعاه الى خلوة في بعض متنزهااته ، وأغرى أحد خدمه بقتل الرجل طعنا بالرمح بين كتفيه ، وهو يتهايا لرفع يديه بالتكبير لأداء صلاة المغرب (٢٢٤) .

(٢٢٢) ابن الصغير ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢٢٣) ابن الصغير ، ص ٣٣ - وتضيف الرواية هنا انه قيل ان الذي سمى «عروة» ابن عرفة ، وتكلم في حقه فكان أبو اليقظان وحده . « وأنظر تلخيص الدرجيني ص ٧ - ٨ (المطوع ، ص ٨٣) .

(٢٢٤) ابن الصغير ، ص ٣٤ - ٣٥ - هذا ويشير ابن الصغير بعد ذلك الى أن أبا بكر علم بعد فوات الأوان أن الحسد والبغى أداما الى ما أدام لا النصيحة . ولكنه لذلك ما كان قد عزم عليه ، ومحمد بن عرفة في ذلك كله أسلم الناس صدورا وأكبرهم له حبا . .

أصله مقتل ابن عرفة :

ورغم احكام الجريمة ومحاولة طمس معالمها فقد نجح أهل محمد بن عرفة وأصحابه في كشف خباياها ، فعرفوا الموضع الذي قتل فيه والمكان الجبلي البعيد الذي القيت الجثة فيه . وكان للنبا أصداء محزنة بين العامة والخاصة والنساء والصبيان في تاهرت ممن كانوا يعرفون لمحمد بن عرفة أياديه البيضاء عليهم ، إذ د لحق الناس من الجزع بالم يلحقهم في قتل قبله ، . وهكذا ، فيسجد أن نادي المنادي : « الا أن القتل المظلوم يأمركم بطلب ثأره ودمه ، حتى حاجت الفتنة بتاهرت (٢٣٥) . وكان يحرك الثورة رجلا يعرف بمحمود بن الوليد الذي انتهز الفرصة ، فصعد الى أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة ، ف ضرب الطبل قبادر الناس اليه ، وأمرهم بأخذ السلاح والزحف الى أبي بكر » (٢٣٦) .

وعندما بلغت أبا بكر أنباء ثورة العامة ضده بادر باستنفاذ أعوانه ، من السمجيين (٢٣٧) ولرستميين وغيرهم . وهكذا تجمع الثوار من العامة في أعلى المدينة من ناحية الشرق بينما حشد أبو بكر أعوانه وشيعته في جهة الغرب ، واستعد كل فريق للحرب بالدروع تقي الصدور والبيض فوق الرؤس ، وكان لكل جماعة راياتها المميزة ترفرف فوق رؤسها . وزحف أبو بكر رجاله نحو الثوار وتم اللقاء الذي شارك فيه معظم أهل تاهرت قرب أحد المساجد . وكانت ملحمة مروعة صبر الناس فيها حتى تطايرت أيدي المقاتلة وأرجلهم وانقلعت هاماتهم ، وعندما تعبوا من الضرب تماسكوا بالأيدي وتقاذفوا بالسباب (٢٣٨) .

أطراف الصراع : العجم ، والعرب ، ونفوسة :

ولما بلغ القتل والتعب غايته تطور الأمور بتدخل جماعة يسميها ابن الصغير بـ « العجم » ، والمقصود بهم الفرس من أعوان الرستميين الأوائل .

(٢٣٥) ابن الصغير ص ٢٥ - ٣٦ .

(٢٣٦) ابن الصغير ص ٣٦ .

(٢٣٧) القراء في أبي الصغير ص ٣٦ . السجيين . وهو الأمير الذي رغب فيه في مجتمع الأمازيغي بتاهرت والذي أدى اليه تسمية ذلك الموضع بـ « الكنيسة » عل ما ظن ، أما السجيين فهي قراءة البارودي (الرياض قسم ٢ ص ٢٣٦) التي أخذها بها السجيين إلى أبي الخطيب السج من عبد الأعلى ، وهو الأمر المقول .

(٢٣٨) ابن الصغير ص ٣٦ - ٣٧ .

ومن سى جلدتهم • كما يمكن أن يكون العرس أيضا من سلالة الجند الأعلى الذي هجر أفريقية إلى تاهرت، وقد يكون المص على أنه في أثناء القتال بين العرب والعجم قبض العرب على مولى من موالى الأغلب يقال له حلف الخادم (٢٣٩) قرينة على ذلك •

ومع أن المفهوم من رواية ابن الصغير أن العجم أو الفرس أرادوا استغلال الموقف لمصلحتهم الخاصة ، فلا بأس من أن يكون هؤلاء العجم ، الذين لم يدخلوا في الصراع إلا بعد أن انهكت قوى الفريقين المتحاربين ، من المتعاطفين مع الأمير أبي اليقظان محمد وأعوانه ، إذ تقول الرواية : إن أبا اليقظان اعتزل الفريقين ، كما وعد نفوسة . التي بقيت معترلة عن الفريقين أيضا • ومن الواضح أن النفوسيين كانوا من أعوان أبي اليقظان ، هذا كما يشير النص إلى أن العرب ، وهو الاسم الذي صار يطلق على المتحاربين الأوائل من أنصار أبي بكر وخصومه من العامة ، كانوا لا يشقون في حياض أبي اليقظان ويقولون : إنه يعين عليهم في الباطن • وهذا ما أكدته الأحداث فيما بعد عندما انضم النفوسيون إلى جانب العجم •

ومنذ تدخل العجم اندمج المتحاربون من عامة التاهرتيين وأعوان أبي بكر ، الذي بقى في داره لا يأمر ولا ينهى وقد تشام الناس به ، جبهة واحدة تصبح جبهة العرب والجند من أنصار أبي بكر ، في مقابل جبهة العجم التي تعمل لمصلحتها الخاصة • وذلك قبل أن تظهر حبة فاكهة هي جبهة نفوسة : أنصار أبي اليقظان الصرحاء •

شريط الأحداث :

ولقد دارت أحداث الصراع على الوجه التالي ، حسب رواية ابن الصغير :

العجم يعملون لأنفسهم :

أراد العجم انتهاز فرصة تعب المتقاتلين من العامة وأعوان أبي بكر من الجند ، فظنوا أنه يمكنهم القضاء على العرب والجند ومواليهم وأتباعهم وأخبار ديارهم ، وبذلك يصفو لهم البلد والسلطان • وبدأ العجم في التركز في بعض أطراف تاهرت استعدادا للهجوم على الناحية المعروفة بموقف الدوت ،

ولكن لسوء حظهم فان اهل تلك الناحية كانوا يتوحدسون منهم خيفة ، فاستعدوا لهم واخذوا حذرهم . فما أن وافاهم العجم حتى بدروا اليهم وقتلوهم قتالا شديدا . وكان غدر العجم بالجماعتين المتقاتلتين من الجند والعرب سببا في تلاحمهما : اذ تركوا قتال بعضهم وتعاونوا . ثم اذهب قاموا بأجمعهم قومة رجل واحد ضد العجم ، فقتلوا كثيرا منهم ، كما أخذوا بعض الأسرى (٢٤٠) .

يوم حربة : وتحالف نفوسة مع العجم :

واستمرت الحرب بين أنصار أبي بكر من الجند والعرب وبين العجم ، وكان العرب يضغطون على العجم ، ويخرجونهم من بعض ديارهم في حال انتصارهم . وظل الحال على هذا المنوال الى أن وقعت المعركة المعروفة بـ « يوم حربة » ، في جوار درب النفوسيين في تاهرت . ففي هذا اليوم استمع العرب الى نصيحة خليف الخادم ، وهو المولى الأغلبى الذى كان يحلب في عداد العجم قبل أن يقع أسيرا في أيدي العرب فيعاون أنصار الامام أبي بكر بماله ونصائحه ، بأن لا يكتفوا باخراج العجم من ديارهم ، بل أن يطلقوا النار في كل ما يغلبون عليه منها (٢٤١) . وهكذا فعندما استولى الجند والعرب على موضع العجم المجاور لدرب النفوسيين ، اضرما النار فيه مما تسبب في الاضرار ببعض النفوسيين المقيمين هناك . وكان هذا الحادث سببا في تحالف نفوسة مع العجم ، بعد أن وقفوا موقف الحياد ، ولم يكن من الغريب أن يجذبوا الى جانبهم الأمير أبا اليقظان ، وكان النفوسيون اخلاص حلفائه .

انتهاء الحياذ : انشقاق الأسرة الرستمية : العرب في صف أبي بكر والعجم ونفوسة في صف أبي اليقظان :

وهكذا شاركت جميع الأطراف في فتنة محمد بن عرفة ولم يعد هناك متحاربون ومحايدون ، اذ كون المتحاربون الأوائل بمن الجند والعامة من العرب جبهة مؤيدة للامام أبي بكر ، بينما انضم المحايدون من العجم ونفوسة وبعض الرستمية وكونوا جبهة مؤيدة للامير أبي اليقظان . وبذلك انشقت الأسرة الرستمية على نفسها ودارت الحرب الأهلية باسم أفرادها .

وفي بداية الأمر حقق العجم ونفوسة انتصارات قوية على الجند والعرب

(٢٤٠) ابن الصمير ، ص ٣٧ .

(٢٤١) ابن الصمير ، ص ٣٧ .

فى عدد من الوقائع ، مثل وقعة قسرة الدمس ، و قنطرة سليس حيث فرغ صناديد العرب ، وانتهى الأمر بغلبة العجم ونفوسه على أكثر تاهرت بعد أن ردوا خصومهم الى أطرافها . وبعد ذلك دارت الدائرة على العجم ونفوسه منذ حقق الجند والعرب انتصارهم الكبير فى الوقعة المعروفة « بيوم الرد المعوج » ، حيث : « ذكر أن نفوسة فروا بعضها على بعض » (٢٤٢) ، مما جعلهم يقررون فيما بعد أن يشدوا أرحلهم فيما بينهم بالحبال ، حتى يشبثوا فلا يفروا من أمكتهم ولو قطعت السيوف هاماتهم (٢٤٢) .

تفوق العرب على العجم ونفوسة . وحرب الحصون :

واستمرت فتنة ابن عرفة « وأمور العرب والجند تقوى ، وأمور العجم ونفوسه تضعف » ، الى أن انتهى الأمر باحلالهم عن ديارهم التى أضربت فيها النيران فى أحوار تاهرت ، باستثناء موضع واحد فى ناحية النهر الصغير المعروف بعدوة نفوسة حيث بنوا لهم حصنا قويا . وفى مقابل حصن عدوة نفوسة بنى العرب والجند حصنا لهم بأموال قدمها لهم من كان فى حيزهم من التجار ، مثل : أبى محمد الصيرفى ، وابن الواسطى ، وغيرهما من رجوة التجار أصحاب الأموال . ويشير ابن الصخر الى أنه لم يكن يفصل بين الحصنين الا مقدار رمية سهم ، وأنه « ربما كان البناءون يبنون والنبيل تصيبهم فيجعلون لهم ستاره ، حتى استدار الحصن وركبوا أبوابه وعلته أبرجته ، والحرب لا تغتر ليلا ولا نهارا ، وحملت فيما بينهم حمية الحاهلية ، وجرت بينهم الحرب سمعة ورياء » (٢٤٤) . ومن أبطال حصن عدوة نفوسة رجل من العجم يعرف بأبن وردة كان مبارزا من الطراز الممتاز حتى طسقت شهرته الآفاق (٢٤٥) . وأغلب الظن أن ابن وردة هذا هو صاحب السوق فى تاهرت الذى كان لا يدخله عمال الامام من المحتسبين ، كما سبقت الإشارة (٢٤٦) .

تفرق الاخوة المتناحرين فى البلاد :

خروج أبى بكر من تاهرت ، ونزول أبى اليقظان فى كنف لواتة :

وانتهت فتنة ابن عرفة بتفرق العجم ونفوسة والريستمين فى أقاصى

(٢٤٢) ابن الصير . ص ٢٨

(٢٤٣) ابن الصير . ص ٢٨ .

(٢٤٤) ابن الصير . ص ٢٨ - ٢٩ .

(٢٤٥) ابن الصير . ص ٢٩ .

(٢٤٦) أظن فيما سبق . ص ٣٤٢ .

البلاد ، على الوجه الآتى : نزلت العتج بموضع يقال له « تناقيلت » ، وهو على بعد مرحلتين من مدينة تاهرت اما الرستمية ومن انضاف اليهم ، فقد لحقوا بالامير ابي اليقظان محمد بالموضع الذى يقال له « اسكدال » ، وهو بقبلة تاهرت على مسيرة يوم وأزيد قليلا فى مجمع الاباضية . هذا ، ونزلت قفوسة بقلعة مائنة تعرف الى اليوم بقلعة نفوسة . وعندما نزل محمد بن مسالة تاهرت خرج منها الامام ابو بكر مع من خرج « لا حيا ولا ميتا » ، كما يقول النص (٢٤٧) ، مما يعنى انه لم يعرف ماله ؟

ولم تنزل أمور الناس فى تاهرت هادئة الى ان وقعت الوحشة بين قبائل حرارة وقبائل لواتة . وذلك ان قبائل لواتة كانت من بين سكان تاهرت عندما اتت حرارة وتسلطت على لواتة بمعونة اهل المدينة . وعندئذ رأت لواتة ان ترحل عن تاهرت فخلت عنها ، ونزلت بحصنها المعروف بحصن لواتة ، ومن هناك ارسلت الى ابي اليقظان تدعوه الى الإقامة معها ، فنزل فى تجوارهم على مسيرة اميال بموضع يقال له « تساونت » ، وهو الموضع الذى يخرج منه عيون نهر مينة الذى يجرى من قبلة تاهرت حيث تنصب عليه الأرحاء .

نشاط ابي اليقظان فى شراء الأعوان : والاعداد لفزو تاهرت على محمد بن مسالة :

وواضح من رواية ابن الصغير ان الامير ابي اليقظان محمد اخذ فى استخدام طريق الذهب لجذب الانصار ، بعد ان انتهت الفتنة التى شارك فى تدبيرها نهاية لا ندرى فى مصلحة من كانت . فابو بكر ترك تاهرت الى حيث لا ندرى ، وابو اليقظان نزل بالقرب من لواتة . ومن مقره فى جنوب تاهرت اخذ ابو اليقظان يستخدم ما كان معه من الاموال التى قدم بها من بغداد ، اذ كان كثير من اهل تاهرت متعاطفين معه ولم يكن يلزمهم للحركة واتخاذ جانبه صراحة الا التلويح لهم بالذهب والفضة ، وهذا ما حدث قبلا : « اذ صارت الدعوة والامامة كلها لابي اليقظان » (٢٤٨) . ولكن الامير لم يصيب تماما لابن اليقظان اذ ظل لمحمد بن مسالة كثير من الأعوان فى تاهرت ، يوالوهم ولا يرون راي ابي اليقظان لاسباب لم يعلمها ابن الصغير . وبذلك تعادى العرب من جديد على تاهرت اذ أعد ابو اليقظان المدة لفزو المدينة بعد ان اسقط

(٢٤٧) ابن الصغير ، ص ٣٩ .

(٢٤٨) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

والدعوة لأبي بكر - الذي لا نعرف ماذا صار إليه أمره - كما أنكر أمر محمد بن مسالة ، ودعا لنفسه بالامارة والامامة (٢٤٩) .

أبو اليقظان اماما ، بعد حرب السبع سنوات وخراب تاهرت :

واستمرت الحرب بين أبي اليقظان والتاهريين طوال سبع سنوات قاسمت منها المدينة كثيرا من الأحوال حتى حربت وعادت عجورا شمسطاء بعد أن فقدت بهجتها ونضارتها . ولما طالبت الحرب وامتنت تاهرت على أبي اليقظان اتجه نحو نفوسة في حلهم وطلب منهم العون وتجديد البيعة (٢٥٠) .

شروط الصلح :

واستجابت نفوسة لمطلب أبي اليقظان فبعثوا إليه جموعا من رجالهم سار بهم لنزال تاهرت التي هاجمها من جهة العرب . وطلب النفوسيون أنذار أخواتهم في تاهرت قبل قتالهم ، ودعوهم إلى الرجوع إلى الطاعة ، قيل أن ينزلوا معهم على حكم الله ، وهو حكم السيف . ووافق خصوم أبي اليقظان في تاهرت على الصلح شريطة أن يؤمنهم أبو اليقظان ، وأن يسوغهم ما أصابوا من دم أو مال فلا يتبع أحدا منهم . ووافق أبو اليقظان على هذا الشرط فتم عقد الصلح بين أهل تاهرت وعسكره ، وفي ذلك قالت نفوسة : « نحن إنما جئنا لاصلاح بيضتنا ، وتأليف أمرنا وقوام ديننا ، ولم نأت بطلب علو في الأرض ولا فساد » (٢٥١) .

الأثر المشرقى في بلاط أبي اليقظان :

والظاهر أن رحلة أبي اليقظان إلى المشرق واقامته في بغداد عاصمة الخلافة العباسية كان لها أثر عميق في نفوس الناس . يظهر ذلك في إحاطة كتّاب الإباضية للامام الجديد بهالة من الجلال والعظمة التي لم يتسبّن لغيره التمتع بمثلها ، باستثناء نفائس من نصر صاحب الانشقاق الثالث في الإباضية . فابن الصغير ينص على أن مراسم الصلح بين أبي اليقظان وأهل تاهرت تمت في السراشق العظيم الذي كان رأبوا اليقظان قد أتى به من بغداد . والذي خبر به في ظاهر تاهرت في الموضع المشرف على المدينة ، الذي عرف بقلعة

(٢٤٩) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

(٢٥٠) ابن الصغير ، ص ٤٠ .

(٢٥١) ابن الصغير ، ص ٤٠ - ٤١ .

- ٣٦٥ -

نموسة . وكان هذا السراق اول سراق مضروب يراه اهل المنطقة ، اذ كانت لهم مضارب وقباب يقيمونها في مثل تلك المناسبة (٢٥٢) .

تاهرت تنفض عن نفسها غبار الحرب :

و يتم الصلح بدأت تاهرت تنفض عن نفسها غبار أيام الحرب والنحاسة ، فقام اهل المدينة وهدموا بقايا دار أبي اليقظان التي كانت مزينة وكدية من الكدا ، فكسوها في يومهم فابتوها في اسرع الايام . وبذلك تهيأ لاهل اليقظان النزول في المدينة حيث بدأ يمارس سلطانه ، كما نزلها الناس (٢٥٢) .

امامة أبي اليقظان محمد بن الفلح في تاهرت (٢٦٠ هـ - ٢٨١ هـ / ٨٧٣ م - ٨٩٤ م) :

مع امامة أبي اليقظان تأخذ رواية ابن الصغير شكل المذكرات اليومية الخاصة ، او طابع احاديث المعاصر شاهد العيان . فمؤرخنا عاش شابا الايام الأخيرة من امارة أبي اليقظان في تاهرت ، وسمحت له الظروف بحضور مجلسه مرتين على الأقل (٢٥٤) . واذا كان ابن الصغير يسجل أن امامة أبي اليقظان دامت نحو ٤٠ (أربعين) سنة (٢٥٥) ، وأن وفاته كانت في سنة ٢٨١ هـ / ٩٤ - ٨٩٥ م (٢٥٦) ، يكون وصول أبي اليقظان الى الامامة في نحو سنة ٩٤٠ هـ / ٩٥٤ م ، وهو الامر غير المقبول ، اذ المفروض أن وصوله من بغداد كان بعد سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م (٢٥٧) . وبناء على ذلك ، فإذا أخذنا سنة ٢٨١ هـ / ٩٤ - ٨٩٥ م كتاريخ لوفاة أبي اليقظان - وهو الامر المقبول - لا تطول امامة أبي اليقظان الى أكثر من ثلاثين سنة اذا أدخلنا في الحساب

—————

(٢٥٢) ابن الصغير ، ص ٤١ .

(٢٥٣) ابن الصغير ، ص ٤١ - وقارن ابن زكريا (المخطوط من ٣١٠ - ٣٢٠) الذي يقول عن امامة أبي اليقظان : انه اجتمع عليه عامة المسلمين فلولوه على اطمين دون اختلاف . (٢٥٤) ابن الصغير ، ص ٤٤ : حيث يقول : وقد لقيت أنا بعض أيامه وحضر مجلسه وقد جلس خلفي خارج المسجد الجامع ورايته يوما قائما في فصل الجنائز .

(٢٥٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ ، ابن زكريا ، ص ٣١ - ب ، الدجيني ، ص ٣٧ - ١

(المخطوط ، ص ٨٢) ، الشامي ، ص ٢٢٢ .

(٢٥٦) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٥٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٥٤ .

- ٣٦٦ -

تلك الفترة. التي استولى فيها على زمام الأمور إلى جانب ابن عرفة ، أو إلى وقت انفجار فتنة ابن عرفة وحرب السبع سنوات . أما إذا اعتبرنا إمامة أبي اليقطان الحقيقية ، أي بعد الصلح مع أهل تاهرت ، فمن الواضح أنها لا تطول إلى أكثر من عشرين سنة ، وهذا ما حملنا فلنخذ سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م . كتاريخ لإمامة أبي اليقطان الخالصة - دون مزارع .

وأبو اليقطان الشيخ الذي كان يناصر التسعين من عمره عندما رآه ابن الصغير ، كان مربع القامة ، أبيض الرأس واللحية ، وكان إذا جلس حيمت هيته على الحضور فلا ينطق أحد بين يديه إلا أن يكون صاحب علامة (٢٥٨) .

دولة نفوسية في تاهرت :

ترتيب الدولة ، وتقدم نفوسة :

وكان أول ما بدأ به أبو اليقطان عندما استقر في تاهرت . هو اقرار قواعد الدولة بانتخاب حير الأعوان والعمال . وكان أول شيء نظر فيه من أمور الناس في تاهرت . هو البحث في أصلح من يلي وطيمه العضاء . وبعد أن شاور جماعة من أعيان المدينة استقر رأيه على أن يكون أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ قاضيا . ثم انه ولي على بيت المال رجلا من نفوسة . أما في إمامة الصلاة وخطة الجمعة فقد قدم لها من ارتضاه هو نفسه (٢٥٩) ، مما يعني أن اختيار القاضي وصاحب بيت المال كان محددًا في نفوسة أو مشروطًا بموافقتها .

أهمية الحسبة :

وهذا ما يؤكد أن أبا اليقطان « أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » ، مما يعني أن النفوسيين كانوا أقرب أعوان الإمام . ويشير ابن الصغير إلى بعض اختصاصات هؤلاء المحتسبين من نفوسة ، كان يروون قصابا ينفخ في شاة فيعاقبونه ، أو أن يروا دابة حملت فوق طاقتها فينزّلون حملها ، ويأمرون صاحبها بالتخفيف عنها ، أو أن يروا

(٢٥٨) ابن الصغير . ص ٤٤ .

(٢٥٩) ابن الصغير . ص ٤٦ .

قد راخى الطريق فيأمررون من حول الموضع أن يكتسه وينظفه (٢٦٠) .

وأنى جانب هذه الأعمال الخاصة بأداب الأسواق والطريق العام ، يشير ابن الصغير الى بعض أعمالهم المنهية ، ومنها : أنهم كانوا لا يمنون أحدا من الصلاة فى مساجدهم ، ولا يكشفون عن حالة ولو راوه راعا يديه ، ماخلا المسجد الجامع : ان راوا فيه من رفع يديه منعه وزجروه ، فان عئاد خبروه . أما عن خطب الجمعة على منابرهم ، فيقول : إنها « خطب أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، ما خلا خطبة التحكيم » (٣١١) التى كانوا ينكرونها .

قضاء لا يفرق بين الأمير والرعية :

تلك كانت نظم الحكم فى تاهرت على عهد أبى الیقطان ، وكانت أهم الخطوط هي خطة القضاء التى ظل يشغلها محمد بن عبد الله بن أبى الشيخ الذى عرف بحسن السيرة وبأنه لا تأخذه فى الله لومة لائم ، الى أن استغنى عندما نما اليه سوء سيرة الأمير أبى زكريا بن أبى الیقطان ، فسار الى الامام ، « فرمى اليه خاتمة وقمطره ، فقال له : ول على قضائك من تريد » (٢٩٢) .

امام يعيد سيرة الراشدين من أئمة الرستمين :

- ولم تنقص هذه الحادثة التعسة التى أدت الى استقالة القاضي الحازم من تقدير ابن الصغير لأبى الیقطان - التى لحق بعض أيامه وحضر مجلسه مرتين -

٢٦٠-٢٦١ ابن الصغير ، ص ٤١ .

٢٦١-٢٦٢ ابن الصغير ، ص ٤٢ .

(٢٦٢) انظر ابن الصغير ، ص ٤٢ : حيث تشير الرواية الى جانب مني الحاسدين الذين أمروا من سرورهم عندما قال القاضي لهم : « والله لا وليت له قلعة ابدا » ان ابن الصغير استطاع ان يعرف حقيقة القضية من سليمان مولى محمد بن عبد الله القاضي وعهله . ويتلخص الأمر فى ان امرأة دقت باب القاضي ليلا (بعد المشاء الأخيرة) ومعها غلام مقل يحمل لها سراجا ، واخبرت القاضي ان خدام الأمير أبى زكريا دخلوا عليها السابعة وأغلوا ابنتها من بين يديها ، وان ابنتها خافت متابعتهم خشية القتل من قبل بعض عمالهم أو من خصوصهم . وعندما أفاق القاضي الذى سقط كالقلى عليه ، أمر مولا سليمان بقتل سيف وحمل سراج بينما أخذ هو عصاه وسار الى - دار الزكاة حيث اشبهت المياة - ان يكون الجنة قد لجأوا اليها . وهناك لاحظ القاضي ارتياح أهل : اليك التوسل ويهتفون . ورغم انه لم يجد شيئا فان شكوكه فادت عندما سأل عن ابن الأمير أبى زكريا وعرف أنه كان فى الدار أثناء النهار ، وأنه ركب فرسه « أتى الليل .

- ٣٦٨ -

اذ يقول : انه « كان زاهدا ، ورعا ، فاسكا ، سكيئا (٢٦٣) » . اما أبو زكريا فيقول عن أبي اليعقوب انه « بلغ في العدل والفضل غاية عظيمة » ، وان نفوسه كانت « لا تعدل بولايته الا ولاية جده عبد الرحمن » ، فقد كانت « نفوسه تجعل باب داره كالمسجد يسهرون حوله : طائفة يصلون ، وطائفة يتراون القرآن ، وطائفة يتحدثون في فنون العلم (٢٦٤) » .

مجلس أبي اليعقوب ، في الجامع :

وفي مجلس أبي اليعقوب ينص ابن الصغير على انه « كان اذا جلس في المسجد الجامع جلس على وسادة من آدم مستقبل الباب البحري وله سارية تعرف به يجلس اليها ، ولم يكن غيره يجلس اليها » . وكان يقابله نصب عينييه رجل من نفوسه يعرف بعيسى بن فرناس ، وكان عندهم من النورع بمكان . ويلى عيسى رجل من هواراة يقال له ابن الصغير لشابه في الفقه ، ولم يكن في ورع عيسى . وكان عن يمينه وعن يساره وبين يديه وجوه الناس (٢٦٥) .

والى جانب العلماء من نفوسه وهواراة ، « كان أخص الناس به رجل من العرب يعرفون بمحمود بن بكر » (٢٦٦) . ولكنه على عكس ما سبق أن أشار اليه ابن الصغير من أن خطب الرستميين على عهد أبي اليعقوب كانت خطب على بن أبي طالب ماخلا خطبة التحكيم (٢٦٧) ، فإنه ينص هنا على أن محمود بن بكر « كان غالبا فيهم » ، تذكر عنه البراعة من أمير المؤمنين على بن أبي طالب « . وكان محمود هذا « مدارهم الذي يذب عن بيضتهم ، ويدافع عن دينهم ، ويرد على الفرق مقالاتهم ، ويؤلف الكتب في الرد على مخالفينهم (٢٦٨) » .

تاهرت تعود مركزا علميا مرموقا : ازدهار علم الكلام :

والظاهر أن سوق العلم كانت قد نفقت في تاهرت بعد فترة الاضطراب التي عرفتها العاصمة الرستمية على عهد أبي بكر ، وفي السنوات الأولى

(٢٦٣) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٤) أبو زكريا ، المطبوع ، ص ٣١ - ب . الدرجيني ، ص ٢٧ - أ (المطبوع) .

ص ٤٨٣ .

(٢٦٥) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٦) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

(٢٦٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٦٧ ، وفيما بعد ، ص ٢٨١ .

(٢٦٨) ابن الصغير ، ص ٤٤ .

من عهد أبي اليقظان . فهذا ما يفهم من المناظرات التي كانت تقام بين الاباضية
رحصومهم النكار الذين عرفوا بالمعتزلة ، والتي كانت تعقد بنهر مينة ، وكان
يحضرها علماء الرستميين من مختلف القبائل ، وخاصة من هواره . ومن بيد
متكنى الرستميين يذكر ابن الصغير رجلا يقال له عبيد الله بن اللطفي ، وكان
حسيرا يعمون المنطق وعلم الكلام بدرجة أثارت إعجاب خصومه المتخصصين في
هذا اللون من فنون الفلسفة (٢٦٩) الذي كان غريبا على الكثيرين من علماء
المغرب في ذلك الحين (٢٧٠) .

أبو عبيدة الأعرج - نموذج للعالم الأمر بالمعروف :

وكان من علمائهم الذين رآهم ابن الصغير رجل يعرف بأبي عبيدة الأعرج ؛
كلهم مقرون له بالفضل معترفون له بالعلم مسلمون له في الورع ، اذا
اختلفوا في أمر من الفقه أو من الكلام صدروا عن رأيه ، وكان أبو عبيدة
الأعرج معتزا بنفسه ، قليل الدخول على أبي اليقظان ، ولم يكن يجمعه أيام
سوى المسجد الجامع . وكانت عادة الفقهاء والقراء وغيرهم الخروج الى أبي
اليقظان عندما يضرب سرادقه لحدث يريده فيضربون أبينتهم حول سرادقه
خلا أبي عبيدة ، الذي لم يكن يدخل على أبي اليقظان الا من أجل أمر معروف
أو نهي عن منكر ، مثل : طلب اطلاق مجبوس من جيرانه أخذه صاحب حرس
الامام وسجنه لغير ذنب يستحق ذلك ، مما كان يثير «عجب الناس من صدقه وتركه
للتصنع ، وإظهاره على لسانه ما أسر في قلبه (٢٧١) » .

. وكان أبو عبيدة الأعرج عالما بالفقه والكلام والوثائق والنحو واللغة .
وكان مع ديانتته حسن الادب والمروءة ، حتى ان ابن الصغير المالكي : كان يترك
مكانه الذي كان يبيع فيه ويشترى في حي الرهادنة ليقرا عليه في اللغة
والنحو . ولو انه لم يستفد كثيرا من العالم الذي كان كثير الشغل ، اذ كان
الناس يأتونه كثيرا يطلبونه للشهادة اكثر من مرة في الجلسة الواحدة ، فيأخذ

(٢٦٩) انظر ابن الصغير ، ص ٤٤ - ٤٥ : حيث يورد نماذج من الأسئلة التي طرحت
في مجلس المناظرة ، مثل : هل تستطيع الانتقال من مكان نيت فيه الى مكان لست فيه .
وكان رد اللطفي لا . ومثل : هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه .
وكان رد اللطفي اذا شئت ، مما جعل سائلا يقول له : « خرجت منها يابن اللطفي » .
(٢٧٠) وقارن مجلس زيادة الله الألهي للمناظرة بين الألبس الذي جردوا لتطبيق البغدادية
أو اسحق الاسرائيلي ، فيما سبق ، ص ١٧١ .
(٢٧١) ابن الصغير ، ص ٤٥ .

تعلته وعصاه ويسير معهم ، دون أن ينسى الاستئذان من طالبه ، الذي كان قد
ألفت نظره إلى أنه يترك ضالعه من أجل العلم (٢٧٢) . ويؤكد ابن الصغير :
أن المغرب كله وكان مفتونا بهذا الرجل حتى أن من كان من الاباضية يسجل ماسه
ييمشون إليه بزكاتهم يصرفها حيث شاء (٢٧٣) .

مهدى خارجي - التفتان نفوسة بابي اليقظان :

ويختتم ابن الصغير كلامه في عهد أبي اليقظان بالحديث في منقّب
هذا الإمام فهو يعود إلى تأكيد التفتان قبائل نفوسة الجبل بابي اليقظان ،
ويبالغ في ذلك إلى حد القول : أن نفوسة أقامت في دينها ، وتحليلها وتخزينها ،
مثل ما أقامت النصارى عيسى بن مريم ، وهو الأمر الذي لم يسجله مؤرخو
المرستمين من أهل المذهب . ويتبع ذلك بالقول : « وكان أكثرهم لا يحج
إلا باستئذانه ، وكانت المرأة تبعث بابنها أو ابنتها يأخذ لها الإذن منه . وكان
إذا ضرب سرادقه وأنته وقودهم لا ينامون الليل حول فسطاطه ، شأنهم التهليل
والتكبير من أول الليل حتى الفجر ، فإذا صلوا الفجر معه خرجوا بأنفسهم إلى
الأرض فناموا » (٢٧٤) .

وهكذا لم يكن من الغريب أن يكون النفوسيون عصب دولة أبي اليقظان ،
وأن يطعموه طاعة لم يطعموا مثلها غيره من الأئمة ، حتى أنهم عندما كانوا يأتونه
ليقدم عليهم أميرا من أنفسهم ، كان يسمح باختيار من يريد ، ويأمر كاتبه
بتدوين السجل المعتاد ويطويه ويختمه (يطبعه) ، ويطلب منهم ألا يفتحوا
السجل إلا بالجبل ، دون أن يعلم أحدا من الناس من المقدم عليهم ، حتى من
كبار أخصائه النفوسيين المقيمين معه في قاهرت ، مثل : حمود بن بكر ،
وعيسى بن فرناس (٢٧٥) .

وحق لنفوسة أن تفتتن بالإمام الورع المتقشف الذي كان لا يسمح لحاجته
بأن يقدم علقا لفرسه من بيت المال وقد جن الليل وعز الطلب ، فيقول له :

(٢٧٢) ابن الصغير ٢٤٠ ص ٤٦ -

(٢٧٣) ابن الصغير ، ص ٤٦ -

(٢٧٤) ابن الصغير ، ص ٤٦ - ٤٧ -

(٢٧٥) ابن الصغير ٢ ص ٤٧ : « حيث يقول أن محمد فقهائهم » وهو عبد العزيز بن الأوز
اللقني - ولم يسمه ولا فقهه - كان مكفيه الستة نفقات - كماله - مولى من اختاره - ابن اليقظان لولاية
جبل نفوسة بالمراسة ، وذلك بما بدا على وجه الإمام . عندما ذكر له اسم القلق بن المباس
(ابن يعقوب بن المباس) الذي وقع عليه الاختيار بين أسماء غيره من المرشحين .

« والله لإقام محمد (أبو اليقظان) ولا أكل ولا شرب حتى تمضي وترد في.
بنت المال ما أخذته منه » (٢٧١) .

نهاية ناسك : وفاة أبي اليقظان :

ولم يكن من الغريب إذن أن يموت الإمام المتقشف في سنة ٢٨١ هـ .
٨٩٤ م ، بعد أكثر من عشرين سنة من الإمامة ، فلا يوجد له من العين في
تركته إلا سبعة عشر ديناراً (٢٧٧) . ولا بأس من أن تكون تلك الدنانير التي
لم تبلغ العشرين هي قيمة الكتب التي وجدت عنده ، والتي كانت من تأليفه
في الرد على المخالفين ، كما يفهم من رواية أبي زكريا (٢٧٨) .

وخلف أبو اليقظان عددا من الأبناء الذكور ، منهم : يقظان ابنه الأكبر
الذي كنى باسمه ، ويوسف وهو المكنى بأبي حاتم ، وأبو خالد ، وعبد الوهاب ،
ووهب . وغيرهم ممن يشير إليهم ابن الصغير دون أن يذكر اسمهم . وكانت
الإمامة من بعده من نصيب أبي حاتم يوسف وهو ثاني أبنائه .

إمام من طراز جديد : « ققيب » للعلماء وأهل الحرف :

أبو حاتم يوسف بن محمد أبي اليقظان إمام تاهرت الخامس (٢٨١ هـ -
٢٩٤ هـ / ٨٩٤ - ٩٠٧ م) :

يبرر ابن الصغير ولاية يوسف وتقدمه على أخيه الأكبر يقظان ، بأن هذا
الأخير كان قد خرج لاداء فريضة الحج عندما توفي والده (٢٧٩) ، مما يعني
أنه لم يكن من الممكن ترك الإمامة شاغرة لحين عودة يقظان . ولكن الروايات
المكتملة لذلك يمكن أن يفهم منها أن أباحاتم يوسف كان نشيطاً طموحاً
يرفو بأبصاره الى الامارة منذ حياة والده . وهكذا نجد رواية تقول : « لما مات
أبو اليقظان قامت العوام ، وأهل الحرف ومن لف لفهم ، فقدموا ابنه أباحاتم
بلا مشورة أحد من الناس لا من القبائل ولا من غيرهم » (٢٨٠) . بينما تقول .

(٢٧٦) ابن الصغير ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢٧٧) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٧٨) انظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٦ ب - حيث يقول إن قبيباً خلفه .

؛ تسعة عشر (ديناراً) .

(٢٧٩) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

(٢٨٠) ابن الصغير ، ص ٤٩ .

أخرى : إن أبا حاتم كان فتى شايًا معتزًا بنفسه ، يجمع الفتيان حوله فيطمعنهم ويكسيهم ، وأن أمه « غزالة » التي كانت مسيطرة على أبي اليعقظان كانت تدله ، حتى أنه اقتهر فرصة غياب والده عن المصلى في يوم عيد وسمح للعوام بأن يحملوه على درقة وهم ينادون بظاعته ، مما جعل أبو اليعقظان يقول لأمه : أحذري يا غزالة فقد أصبح اليوم ابنك ياغياء (٢٨١) . فكان أبا حاتم كان يشترق إلى الامارة ، ويعمل على الوصول إليها منذ صباه .

والظاهر أن أبا حاتم لم يكن شابًا وصوليًا ، بل كان جدًا مجتهدًا حتى أن والده كان يهذ اليه بالنيابة عنه في الأمور العظيمة ، مثل : قيادة الجيوش . فعندما توفي أبو اليعقظان لم يكن يقظان وحده غالبًا في الحج ، بل كان أبو حاتم يوسف أيضًا خارج تاهرت يقود جيشًا من وجوه زناتة « ليحوزوا قوافل قد أقبلت من المشرق ، وفيها أموال لا تحصى ، قد خافوا من قبائل زناتة » (٢٨٢) . وبينما أبو حاتم في مهمة القوافل تلك ، إذ وافته رسل من تاهرت تفيد به وفاة أبيه وعقد الامارة له . « وذلك أن إياه لما مات اجتمعت العوام والعربان دون القبائل فنادوا لا طاعة لأحد إلا لأبي حاتم » ، وكان أبو حاتم حينئذ على مسيرة يومين المدينة أو أكثر (٢٨٢) . ثم أوضح من النص أن إجابته قبول في تاهرت بتظاهرة شعبية عظيمة ، إذ : « لما وصل إلى باب المدينة ازدحم الناس بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه وعن يساره ، فبايعوا ، فما وصل المسجد الجامع إلا وقت الظهر ، فاصعدوه المنبر وبايعوه وكبروا حوله وحملوه على الأيدي والأعناق حتى أوصلوه إلى داره ، ثم أرسلوا إلى القبائل فيبايعته » (٢٨٤) .

ترتيب جديدة تناسب شعبية الأمير ، واتجاهات غير إباضية في علاقاته مع الآخرين :

وظهرت شعبية أبي حاتم التي اكتسبها أيام فتوته عندما حاول أهل بيته ووجوه الرستمية « أن يجعلوا له حجابًا وبغية » ، وأبى العوام من ذلك ، وادعت الدنو إليه في كل الأوقات على ما كانت تعرف قبل إمارته (٢٨٥) . وهذا الأمر يكون مقبولا فعلا إذا عرفنا أن عقد البيعة لأبي حاتم تم بمعرفة

(٢٨١) ابن الصغير ، ص ٤٦ - ٥٠ .

(٢٨٢) ابن الصغير ، ص ٥٠ - ٥١ .

(٢٨٣) ابن الصغير ، ص ٥٠ .

(٢٨٤) ابن الصغير ، ص ٥٠ .

(٢٨٥) ابن الصغير ، ص ٥٠ .

رجلين من خاصيته من أهل الحرب والنجدة ، هما : محمد بن رباح ، ومحمد ابن حماد اللذان عرف عنهما من الجراحة ما بلغ حد ان اقتربا ذات يوم على : أبي حاتم ، عندهما شكا لهما من والده الذي نازعه في بعض أشياء ، أن يخلي بينهما وبين والده فيقتلانه ويصير الأمر إليه ، مما أثار الهلع في قلبه (٢٨٦) . وفي علاقاته القوية بغير أهل المذهب وبالعوام ، يقول ابن الصغير أن بعض مشايخ تاهرت من غير الإباضية كانوا قد استولوا عليه ، مثل الفقيهين الكوفيين : أبي مسعود وأبي ذنون ، وكنا على مذاهب الكوفيين في الفقه ، « علويين أو معتزلة ؟ » ، ومثل علوان بن علوان الذي لم يكن من أهل الفقه ، ولكن كانت له رئاسة في البلد ، ومحبة عند العوام . والغريب أن ابن الصغير المالكي هو الذي يشير إلى أن تلك الجماعة كانت تهدف إلى الكيد للإباضية ، ويطمعون به في القضاء على مذهبهم ، وأن يكن غداراً . وهو الأمر الذي لا نجد أصداً له عند كتابهم ، مع أنه كان يمثل مرحلة تطور غريبة في تاريخ تاهرت الرستمية ، تنذر بأضمحلال المذهب الإباضي قبل ظهور الفاطميين .

انهيار حلف المتناقضات :

فالتجاء مذهب الكوفيين العراقي إلى تاهرت ، كما يشير ابن الصغير ، بل وجود ابن الصغير نفسه وهو المالكي المذهب في عاصمة الرستميين ، إلى جانب تدخل العامة في شئون الإمارة بتشجيع أبي حاتم ، كل ذلك يمثل قرائن مقبولة توضح أن المذهب الإباضي لم يعد كافياً للاستجابة إلى متطلبات مجتمع تاهرت ، وأنه كان يتآكل داخلياً قبل أن يواجه المذهب الفاطمي آتياً من الخارج ، وأنه لم يعد كافياً وحده . كما كان الحال من قبل - لكي يشد أركان الدولة الرستمية - وهكذا تكون إمارة أبي حاتم بن أبي اليقظان قد حملت بذور ضعفها في ثنايا بدايتها . وذلك أن محمد بن رباح ومحمد بن حماد ، اللذين كانا من خاصة أبي حاتم ، كما عرفا بالحرب والنجدة والجراحة الزائدة ، بدأ يسيران السيرة ، ويهددان بعض مشايخ تاهرت ، مما أثار الأمير أبي حاتم فأمر بأخراجهما من المدينة .

محنة القتال بتاهرت :

ولما كان لمحمد بن حماد منزل عظيم على مسافة أميال من تاهرت يعرف بـ « الثلث » فيه أنواع الأشجار والمزارع والنخل ، وتجرى فيه الأنهار بين

«القصور» - فإن الرجلين خرجا جميعا الى ذلك المنزل حيث عاشا ، كما يقول ابن الصغير «حي انعم عيش وارغده» (٢٨٧) . والظاهر أن الرجلين الفاتكين ساءهما أن يكون جزءا من النفي من قبل أبي حاتم بعد ما قدماء اليه مسن الخدمات قبل أن يصل الى الامارة ، « فأخذوا في الاتصال باتباعهما ، في المدينة : يشكوان كيف ينفيان من المدينة بلا جناية » - ونجح تدبير الرجلين في العودة الى تاهرت ، على رضا الراضى وسخط السائح ، فعما شعر أبو حاتم الا والتكبير عليهما في المدينة ، ففرغ لذلك وإرتاع ، وعلم أنها (تاهرت) ليست يدار قرار » (٢٨٨) .

أبو حاتم يلجأ الى حمى لواتة :

هكذا وجد أبو حاتم نفسه غريبا في عاصمة مملكته ، فجمع أهل يه وشاورهم في الأمر ، وتم الاتفاق على أن يخرج الرستمية من تاهرت لكي يعتصموا في حصنهم الذي كانت به مواشيهم وعبيدهم ، وهو حصن يعرف بنماليت . وكان يقع في طرف أرض لواتة حيث كان يمكنهم جمع لواتة وغيرها من القبائل ، وحشد يدعونه للخروج اليهم . وعندما خرجت الرستمية من تاهرت تبعهم المعجم الساكنين بتاهرت فخرجوا الى حصنهم ، كما فعلت نفوسة ، بدورها ، مثل ذلك . ولم يلبث أبو حاتم في المدينة الا اياما قليلة بعد ذلك ، ثم انه خرج في نحو مائة رجل من وجوه أعوانه من السحيين ومن حماة البلد ، وعلى رأسهم مقدما كل جماعة ، وهما بكرى ابن يبيدي وبكر بن عبد الواحد ، وكانا فارسي الغرب في ذلك الزمان (٢٨٩) .

محاولة استعادة تاهرت بالقوة :

وبذلك تمت القطيعة مرة أخرى بين تاهرت التي بقي فيها العامة ومشايخ البلد ، في جمع عظيم وبين الرستميين ومن معهم من المعجم ونفوسة ولواتة وغيرها من القبائل ، وأخذ كل من الطرفين يستعد للحرب المنتظرة . فلقد أسرع عامة تاهرت في بنیان حصنهم وترميم ما تصدع منه ، بينما اجتمعت لواتة على أبي حاتم فأعطاهم الاموال وحملهم على الخيل . كما وفدت عليه قبائل الصحراء ، لم يتخلف منهم الا أهل حصن تالغمت : لأنهم كانوا من

(٢٨٧) ابن الصغير ، ص ٥١ .

(٢٨٨) ابن الصغير ، ص ٥١ - ٥٢ .

(٢٨٩) ابن الصغير ، ص ٥٢ .

الصقرية - وعندما أتى أبو حاتم استعداداه قسم قواته الى ثلاثة جيوش هاجم بها تاهرت من ثلاثة مواضع - هي

١ - القبلة حيث تولى القيادة بنفسه ، ومعه لواتة والرستنية ومن شايعهم -

٢ - المشرق حيث تقدم العجم ومعهم صنهاجه ومن شايعهم -

٣ - المغرب حيث احتشدت نفوسة مع طوائف من الناس -

وكانت نتيجة القتال الأولى على الجبهات الثلاث في غير صالح أهل تاهرت الذين فقدوا بعض القتلى في مواجهة لواتة في القبلة ، وفي مواجهة العجم في المشرق ، بينما لم يصيب لهم أحد من جهة المغرب حيث نفوسة (٢٩٠) -

ورغم أنه من الواضح أن القتال الذي وصف بالشدة لم يكن حاسماً فإن الأمور تطورت من جراء ذبوله في داخل تاهرت بشكل جعل أهل المدينة يفضلون الاتفاق مع أبي حاتم على مواصلتهم القتال الذي رأوه عقيماً لا يؤدي الى الغرض منه - وذلك أن ابن رجل قتله العجم في ناحية المشرق ثار برجل من العجم من سكان المدينة فقتله غيلة أخذاً بثأر والده - وعندما علم التاهريون بذلك يادروا اليه ليقتلوه به ، فولى هارباً قلم يقدروا عليه ، ولم يعرفوا له مكاناً - واثارت ثائرة أهل المدينة الذين اجتمعوا فقالوا : « نحن إنما قمنا لمحاربة هؤلاء القوم لتأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، وإذا كان يقتل بين ظهراننا رجل بغير حق ، فامضوا بنا الى أبي حاتم لندخله يقتل هذا وأشباهه ، ويحكم فيمن بقي كيف يشاء » (٢٩١) -

الانقسام في صفوف الرستميين : يعقوب بن أفلح أميراً منافساً لأبي حاتم :

وهكذا فشل التاهريون ومشايخهم في اقامة الحكم المثالي الذي كانوا يحلمون به بعيداً عن تسلط الرستميين ، وأرسلوا بياً يستقر عليه رأيهم الى أبي حاتم الذي اشترط عليهم ألا يدخل المدينة الا بعد أن يدعوا اليه بمشايخهم والمسؤولين عن اثاره تلك الفتنة - ورغم أن هذا الشرط كان صعباً في تجدد

(٢٩٠) ابن الصغير ، ص ٥٢ -

(٢٩١) ابن الصغير ، ص ٥٢ - ٥٣ -

القتال الا أن وجوه أهل تاهرت رأوا إلا قبل لهم بمواصلة القتال ضد تحالف القبائل والاباضية الذين كلبوا عليهم ، ورموهم عن قوس واحد . ثم ان المشايخ رأوا أن خير وسيلة لدفع خصومهم هي أن يبحثوا لأنفسهم عن رئيس من الريستيين ، ينحل مذاهب الاباضية « - ووقع اختيارهم فعلا على يعقوب ابن أفلح ، وكان على غير اتفاق مع ابن أخيه أبي حاتم حتى أنه رحل منذ ولايته عن تاهرت ، ونزل بزواغة « فلم يدخل للرستمية جمعا ، ولا أعان ابن أخيه برأى ولا غير ذلك » (٢٩٢) .

فشل الاسرة الرستمية وانشقاقها : انصراف بين المطالبين بالامامة :

ولما تم اجماع أهل المدينة على ولاية يعقوب بن أفلح ارسلوا اليه بدخلوه المدينة حيث عقدوا له الولاية ، وبذلك تحقق لهم ما كانوا يأملون فيه من شرخ الوحدة الرستمية . فبمجرد اعلان امارة يعقوب بن أفلح انكسرت شوكة الاباضية ، كما يقرر ابن الصغير ، « ودخل عليه جماعة منهم ورجعت اليه جماعة من لواتة ، وبقيت الحرب متماسكة بين يعقوب بن أفلح وابن أخيه أبي حاتم » . وهكذا تكون الاسرة الرستمية قد انقسمت على نفسها في سبيل الحكم ، وكان ذلك يعنى استمرار الحرب وان كانت قد ضعفت عن ذي قبل وانكسرت حدتها (٢٩٢) .

فشل ابي حاتم في دخول تاهرت :

ولكنه رغم ما أصاب أبا حاتم من الضعف فانه ظل متمتعا بولاء جمهور الاباضية : وكان يمكنه أن يناجز تاهرت القتال وأن يزحف عليها . وأمر يعقوب بن أفلح باغلاق أبواب المدينة الا بابا واحدا ، وقف هو عليه بجمهور الناس للدفاع . ويصف ابن الصغير قتال الاخوة غير المرغوب فيه ، فيقول : ان الناس ظلوا يواجهون بعضهم بعضا الى أن حضرت صلاة الظهر . فاذن المؤذنون في مصافهم ذلك . وصلى الناس صلاتهم ثم أخذوا ينظرون إلى بعضهم ليسقط في أيديهم وتحولت قياتهم على المحاربة ، وكلموا على قدوتهم (٢٩٤) « . وبناء على ذلك لم يكن من الغريب أن يقتل أبو حاتم فيمن من العجم عندما أرادوا انتهاز الفرصة وفجأة المدينة من جهة المشرق

• (٢٩٢) ابن الصغير ، ص ٥٣

• (٢٩٣) ابن الصغير ، ص ٥٣

• (٢٩٤) ابن الصغير ، ص ٥٤

لعلهم يصيبوا غرة ، اذفتح من كان بناحية الباب الشرقي من المدينة الباب
وخرجوا اليهم حملة واحدة ، وارغموهم على الفرار منهزمين . وهنا انصرف
القائد وانودين الذي كان أكبر معاوني أبي حاتم بمساركه ، وبذلك ضعفت
الحرب ، وتطلع الناس الى السلم والعافية (٢٩٥) .

**تكريس الانقسام بين الرستميين ، تقييم يعقوب بن افلح : قديس يتر في
سيرته سيرة الائمة الاول :**

وهكذا يكون انقسام الرستميين قد تكرر ، ويكون يعقوب بن افلح
قد حقق حسن ظن تاهرت ومشايخها فيه . ويصف ابن الصغير يعقوب بن
افلح فيقول : انه كان بعيد الهمة نزيه النفس ، ماجس يده ديناراً ولا درهماً ،
فكانه أعاد سيرة الامام الاول في ورعه وتقشفه . فقد كان اذا أتى وكيله
بفلاته أمره بأن يجعلها تحت بردة له يجلس عليها ، واذا أراد اخراج شيء
منها دفعه بقضيب من يده . « وكان يعقوب اذا سافر ونزل يقوم لم يأكل
لهم طعاماً ، وكانت له بقرات يأمر بحلبها بين يديه في اثناء جديد ، فاذا امتلا
شربه أجمع ثم يقوم عليه ثلاثاً لا يأكل طعاماً ولا يشرب شرباً ولا يخرج
لبراز » .

ويستمر ابن الصغير في وصف مناقب يعقوب فكانه يضعه في مصاف
كبار الاولياء : فقد كان وضوءه طأخراً في الموضع الذي يكون فيه ، وكانت
له أخلاق في لباسه وركوبه يخرج عن طبع البشر . والى جانب ذلك فهو أحد
الفرسان الشجعان ، « وكان له فرس أشقر لم يكن بالمغرب مثله ، لا قبله ولا
بعده » ، وكان يضرب به المثل الى الوقت الذي كان يكتب فيه ابن الصغير في
أواخر أيام الرستميين (٢٩٦) .

**المضطربات تهلك الحرث والنسل لا يتهيأ الا توسط زعيم مزاتي في القوار
الهدنة :**

والهم أنه لا مناقب يعقوب بن افلح ولا فروسيته خفقت عما كان يطمح
فيه الناس من الأمن والعافية سمعنا أن طالت الحرب بينه وبين ابن أبي
« وقطعت السبل وفرض من أيدي الناس طرقاتهم والنهل » ، الى أن قبض الله .

(٢٩٥) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

(٢٩٦) ابن الصغير ، ص ٥٤ .

لهم أبا يعقوب المزاني الذي نزل بجميع مزاته حول تاهرت ، « وكان رأس القوم وملكهم ، فمشت إليه القبائل ، وقالوا : لو جعلت الهدنة بين هذين الفريقين إلى مدة معلومة يأمر الناس إليها ٠٠٠ ، وانتهى مسعى الزعيم المزاني في الهدنة التي اشتهاها الفريقان إلى النجاح .

التحكيم :

وتم الاتفاق على أن يختار كل من الطرفين المتحاربين مثالا لعهدة الهدنة : فقدم يعقوب بن أفلح لتمثيله الفقيه عبد الله بن المظلي ، الذي عرفناه مناظرا واسخا في فن الكلام والجدل ، بينما قدم أبو حاتم رجلين ، هما : منكود وابن أبي عياض اللواتين .

وانتهى مؤتمر التحكيم الجديد بحكم أشبه بالحكم الشهير في تاريخ الاسلام الذي أنكره سلف الاباضية الأوائل ، والذي ظل الرستميون ينكرونه حتى هذا الحين ، إذ تم عقد الهدنة على : « أن يرفعوا أيدي كل من أبي حاتم ويعقوب عن النظر أربعة أشهر ، ويمشي الناس إلى الناس ، ويدخل بعضهم على بعض ، وتأمين الساحات . قتم العقد على ذلك وتطامع الناس العافية (٢٩٧) ، » .

عودة أبي حاتم يوسف إلى تاهرت أميرا دون منافس ، بعصيته الشعبية من غير الرستمية :

وأحسن أبو حاتم استقلال فترة الهدنة لصالحه فاستمال وجوه أهل تاهرت وشبابهم بالوعد الحسن وبالعهدة الجزيل ، وبذلك مال أصحاب الدنيا إليه ، ولم يبق إلى جانب يعقوب إلا الراغبين عن سفك الدماء واكل الأموال ، بينما ظل أبو يعقوب المزاني قائما بمساعيه الحميدة لاصلاح ذات البين (٢٩٨) ، « وكان الطيفعي بعد أن تطور مجتمع تاهرت إلى ما تطور إليه من عدم التمسك بتقاليد الرستميين الأوائل أن ترجع كفة أبي حاتم ومناخنا يفرى به من أمور الدنيا وعرض الحياة . ففي يوم عيد من أعياد تاهرت أقبل أخوان من وجوه أهل تاهرت ، هما أحمد ومحمد ابنا دبوس ، وأعلنا أن من يريد العافية من أهل المدينة ليعليه للصيود إلى بلخي المعروف باسم الكنيسة ،

(٢٩٧) ابن الصنبر ، ص ٥٤ - ٥٥ .

(٢٩٨) ابن الصنبر ، ص ٥٥ .

حيث كانا يسكنان . واستجاب الناس للدعوة ، عدا يعقوب بن أفلح وبعض المشايخ ممن كانوا يكرهون أبا حاتم وعلى رأسهم شيخ البلد ومقدمه ابن مسعود الذي حاول أن يثنى الرجلين عن غرضهما دون جدوى . وهكذا سار ابنا دبوس تحت جناح الليل يتبعهما كثير من الناس قاصدين قصر أبي حاتم في نهار . بينما ركب يعقوب بن أفلح وشيعته خيولهم وخرجوا من المدينة نحو زواغه حيث كان يعيش يعقوب قبل دعوته إلى تاهرت . وهكذا نتحت تاهرت أبوابها من جديد لأبي حاتم الذي دخلها في صباح اليوم التالي وحده ، وليس معه أحد من عشيرته ولا من رجاله ، وبادر إليه الناس جميعا (٢٩٩) .

إعادة تنظيم الحكومة في تاهرت : حكم حازم يقضى على أوكار الفساد :

بمجرد دخول أبي حاتم العاصمة الرستمية جمع مشايخ البلد من الأباضية وغير الأباضية وشاورهم في ترتيب الحكم والإدارة . من : القضاء وبيت المال والشرطة وغيرها . وطلب أهل العقد والحل منه أن يسير فيهم بسيرة والده محمد الذي كانوا لا يعدلون بولايته إلا ولاية جده الأكبر عبد الرحمن بن رستم . ففيمما يتعلق بولاية القضاء أشادوا بقاضى والده وهو محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ ، وطلبوا تعيين ابنه عبد الله الذي ليس دون والده في الورع والعلم ، فوله القضاء . وفي إدارة بيت المال ولى عبد الرحمن بن صواب النفوسى الذي أشاروا به . وفي الشرطة عرضوا عليه أحد رجلين ، وهما : زكار الذي عرف بجودة فكره وبالتفانى في الخدمة ، أو إبراهيم بن مسكين المعروف بصلابته ، فى الحق ، فاستصوب أن يوليها جميعا (٣٠٠) . وقام الرجلان بعملهما خير قيام ، ففضيا على أوكار الفساد الذى كان قد استشرى فى المدينة نتيجة الحروب والضيق ، من : انتشار المنكر والعبت بالفلمان . فحملا الناس على عمل المعروف والابتعاد عن المنكر ، حملا ، ولم ينورعا عن انزال العقوبة الصارمة بالمخالفين . من : الضرب والسجن والقيد ، حتى قطعا كل ذلك فى أشرع من طريقة العين . كما يقول ابن الصغير ، لم يفرقوا فى ذلك بين العظيم والصغير . هذا ، كما احتما أيضا بالقضاء على السرقات قطعاع الطريق حتى أمنت السبل وأطمأن المسافرون (٣٠١) .

وهكذا حسنت سيرة أبي حاتم فى ولايته الثانية لتاهرت ، ولم ينقم

(٢٩٩) ابن الصغير ، ص ٥٥ .

(٣٠٠) ابن الصغير ، ص ٥٦ .

(٣٠١) ابن الصغير ، ص ٥٦ - ٥٧ .

عليه الناس شيئا ، لولا ما تقوم عليه من أخذ بعض الناس بالشبهة وانزال عقوبة الضرب بالسوط على بعضهم على الظنة (٣٠٢) .

ازدهار مجالس العلم والمناظرة :

ونتيجة لثقل هذا الحكم الحازم وما أدى إليه من انتشار الأمن والثاقفة كان من الطبيعي أن ينصرف الناس إلى أمور دينهم بعد أن اطمأنوا إلى أمور دنيائهم فعمرت المساجد ، واهتمت الجمعة والخطبة في الجامع ، ولم ينكر الناس شيئا سوى ما انصرف إليه الفقهاء من المناقشات الفقهية - وهذا أمر طبيعي في أوقات الأمن والسلام - وما أقاموه فيما بينهم من المناظرات بين أعلام الفرق المختلفة ، مما كان يشنب بعض المنازعات ، كما هو معروف . ولكن الكلف بالجدل العلمي والمناظرات الفقهية أدى إلى أن أصبحت كل فرقة تسعى إلى المزيد من العلم عن طريق معرفة آراء مخالفيها . وفي سبيل ذلك استخدم الجميع اللطف في المناقشة وإكرام المحالين سواء كانوا من الإباضية أو من غيرهم ، دونما حقد أو تعصب (٣٠٣) . وهو الأمر الذي لم يكن معهودا من قبل .

مناظرات المؤرخ ابن الصغير :

وابن الصغير المالكي يشير إلى ما كان يقوم بينه وبين رجل يسمى سليمان ويكنى بابي الربيع من وجوه الإباضية من هواره ، وذلك في بعض مساجد الرهانة حيث كان يقيم مؤرخنا ، من المناظرة في بعض المسائل المختلف عليها بين المالكية والحنفية (الحجازيين والعراقيين) وبين الإباضية . من ذلك ما يتمسك به أهل السنة من أن الرجل إذا زوج ابنته البكر ، وهي صغيرة ، وأدركت أن لا خيار لها في نفسها ، بيتما يقولون : إن الرجل إذا زوج أمته ، وعتقت فإن لها الخيار . وجنا يلفت سليمان الهواري الإباضي نظر ابن الصغير إلى أنه لا فرق بين الأمة وبين الصغيرة (٣٠٤) .

٣٠٢ ابن الصغير ، ص ٧٧ ، ولاري الشيباني ، ص ١٦٢ .

٣٠٣ ابن الصغير ، ص ٥٧ .

٣٠٤ ابن الصغير ، ص ٥٧ . وشرح ذلك : « لأن الأمة لم يكن لها حكم ، فو نفسها وإن كان الحكم ليس لها ، فلما عتقت وصار الحكم إليها جعلتم لها الخيار ، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها وإن الحكم لا يبيها ، فلما أدركت صار الأمن إليها - فليحفظ لها ما اجزمت للأمة والمعنى واحد » . ويقول ابن الصغير انه ناقض قوله المسألة مع كثيرين وأنه رد على ذلك بقوله : « أنا إنما اجزنا تكاح الصغار لأن النسب صلح - فزوج عائشة بنت أبي بكر » .

ومتى موضوع المناظرة وما يحدث فيها من اختلافات فقهية ولغوية .
ينتقل ابن الصغير إلى موضوع الخطبة على منابر الإباضية ، فينص على أن
خطبائهم ربما حرفوا اللفظ عن موضعه ليقيموا الأمر الذي يريدونه . وهو
يعدد خطبائهم الذين حضر لهم ، وأولهم ابن أبي إدريس ، وبعده : أحمد التيه ،
وأبو العباس بن فتوخ ، وعثمان بن الصغار ثم أحمد بن منصور (٢٠٥) .
ويذكر أن الثاني منهم وهو أحمد التيه حاول في شرحه للكلمات القرآنية :
« الرحمن على العرش استوى » ، أن يجعل ذلك بابا من الحلول على
العرش (٢٠٦) .

ويؤكد ابن الصغير أن كل من رآهم من خطبائهم على منابرهم لا يستعملون
الخطب أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، باستثناء خطبة التحكيم . وكان
الخطيب إذا فرغ من خطبته الأولى وقام إلى الخطبة الثانية بدأها بالتحكيم (٢٠٧)
أي : « لا حكم إلا لله » ، وهو نفس شعار جماعة الخوارج من الشراة القديم .
عندما رفضوا حكم عمرو وأبي موسى - وهذا ما تشير إليه خطبة التحكيم التي
ينقلها ، ابن الصغير ، ففيها : « فتبارك الله أحسن الخالقين » ، تعالى أن تطلق
في وصفه آراء المتكلمين أو أن تحكم في دينه أهواء المتقلدين ، بل جعل القرآن
ماما للمتقين ، وهدى للمؤمنين . وحكما بين المتخالفين (٢٠٨) . وكذلك
يأتي بعد الحمد لله : « الله ربنا ، ومحمد نبينا ، والاسلام ديننا ، والكعبة

« بنت سبع سنين وبنى بها وهي بنت سبع سنين » . ورفض الرجل ذلك وطلب منه أن يكلمه
من القرآن أو من باب النظر . بعد أن أشار إليه أن الله أحل لرسوله من النساء ومن عد من
أكثر مما أحل لأهله . ويستمر الجدل فيذكر كاتبنا أنه ذكر من القرآن الآية التي تقول :
« واللاتي يشن من الحيف من نساتكم (آل) » . واللاتي لم يحسن . « لعل عجايبك
أما أسالك من عقد الكاح وفسخه وانت تخبرني ثم عنة المويسات وعدة اللاتي لم يحسن .
وهنا أقدم ابن الصغير مناظرة سليمان عندما شرح له كيف غاب عنه المراد من الآية المتعلقة
بالطلاق ، والطلاق لا يكون من غير زوج - فسكت ولم يرد جوابا . هذا ولو أن شخصا آخر
قال له : « واللاتي لم يحسن » : المراد من الآية التي لم يتكلم فيها عن الحيف . ومن الكتاب لا الصغار .
فكان رده : « هذا غلط في اللغة » .

(٢٠٥) ابن الصغير ، ص ٥٦ .

(٢٠٦) ابن الصغير ، ص ٥٦ . - ٦٠ - وربما ينظم ذلك الجول الصغير من أجل يورده .
ابن الصغير بعد ذلك في خطبة التحكيم ، وفيها : « الذي لم يزل يسلطه وأسامه ، لا يستل
عليه زمان ولا يحيط به مكان ، خلق الأماكن والأزمان ثم استوى إلى السماء وهي هضلة ٨٠٠٠ » .

(٢٠٧) ابن الصغير ، ص ٥٦ .

(٢٠٨) أخبار الأئمة ، ص ٦٠ .

حقيلتنا ، والقرآن ايماننا : لا حكم الا لله اتباعا لكلام الله وسنة نبيه عليه السلام ، وخلصنا لاهل البدع وأشهد أن من لم يحكم بما أنزل الله : فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون ، وفي الديعة : قبيل الختباء يطلب الرحمة - بعد ذكر النبي وآله والصحابه والتابعين - للشرقة ، كما يدعو بالصلاة على ابي بكر وعمر : وأخيرا الديعة بالصلاح للأمير يوسف بن محمد (أبو حاتم) (٢٠٩) .

والظاهر أن مجتمع تاهرت ظل في تطور مستمر ، وهو الأمر الذي يحمد للاباضية الذين ظهروا ، على عكس ما كان يظن ، بمظهر التساهل والتسامح على كثير من أمور الفقه والأحكام . فعندما ولي الخطابة رجل من الاباضية ، يقال له : أحمد بن منصور ، وسمعه ابن الصغير وهو يثنى بخطبة التحكيم ، أثار ذلك انتباهه حتى أنه لفت نظر الخطيب الى أن هذه لم تكن سنة أسلافه . ورد الخطيب على ملاحظة ابن الصغير بأن أحد زعماء الجماعة ، واسمه : عثمان بن أحمد بن يحيى هو الذي جملة عليها ، إذ كان الرجل مقدا عندهم ولا يكادون يخالفونه فيما استحسن لهم ، فخطب الخطيب بها (خطبة التحكيم) لأنه استحسنها له (٢١٠) .

وبخطبة التحكيم تلك ينهى ابن الصغير كتابه في سير الرستميين على أيام الأمير ابي حاتم يوسف بن أبي اليقظان ، ولا بأس في أن يكون ذلك حوالي سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٢ - ٩٠٣ م ، إذ أن عدم وجود أي ذكر في الكتاب لموقعة « مانو » التي تحطم فيها اباضية نفوسة أمام القوات الاغلبية ، قبل ذلك بستوات ، لا تعنى بالضرورة أن تأليف ابن الصغير قد تم قبل تلك الوقعة (أي قبل ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م) . والحقيقة هي أن ابن الصغير لم يهتم الا بأحوال تاهرت بلده ، أما جبل نفوسة الذي كان يمثل الدعامة الرئيسية للامارة الرستمية ، فكان موضوعا بعيدا عن اهتمامه وإن كان له المعنيون به من مشاهير الكتاب النفوسيين .

أحوال جبل نفوسة على عهد ابي حاتم يوسف :

أبو منصور الياس بن منصور وائيا :

والنفوسيون : وعلق رأسهم ابي زكريا ، لم يهتموا في تاريخهم لامامة

أبي حاتم يوسف بن أبي اليقظان ألا بأحوال جبل نفوسة - فأبو زكريا الذي يقول عن يوسف أنه مكث في إمامته ١٤ (أربعة عشرة) سنة ، يذكر : « أنه أطرقت له الأمور ولم ينقم عليه من رعيته أحد » ، ويتبع ذلك بالحديث في سيرة أبي منصور الياس بن منصور وإلى جبل نفوسة على أيام أبي حاتم (٢١١) ، وهو واحد من أشهر الشخصيات النفوسية في تاريخ إمامة تاهرت الرستمية على وجه العموم - فلقد ولي أبو منصور جبل نفوسة على عهد كل من أفلح وأبي اليقظان ثم أبي حاتم يوسف (٢١٢) .

عمروس بن فتح النفوسى قاضيا :

وواضح من النصوص أنه رغم ما كان يتصف به أبو منصور الياس من الفضل ، حتى قيل إنه كان مستجاب الدعاء (٢١٢) ، فقد كان من أسباب شهرته وذيع صيته بين كتاب الإباضية هو عهده بالقضاء إلى عمروس بن فتح النفوسى ، الذى كان من الشخصيات العارمة التى عرفها جبل نفوسة بسبب : علمه وفضله وجزقه وفطنته وحضور حجته (٢١٤) . ففى علمه قيل أنه كان عالما كبيرا له كتب فى الأصول والفقه (الفروع) ، وأنه كان قد عزم على تأليف كتاب جامع يعالج فيه مسائل الفقه على أساس القواعد التشريعية الثلاثة المعروفة ، وهى : الكتاب والسنة والرأى ، ولكن أجله لم يمهله لكى يتم مشروعه هذا (٢١٥) .

وفى شدة عمروس فى الحق وعدم خوفه فى الله لومة لائم ، يذكر أبو زكريا من مناقبه أنه كان يظا الرجل الذى يمسك عن الإجابة على أسئلته برجليه فى حضرة الوالى أبى منصور الياس . وعندما لفت الياس نظره إلى أنه عجل على الرجل ، لم يتردد فى أن يبين له الحجة فيما فعل - بل أنه عرض استقالته من القضاء أن لم يقبل حكمه بالعقوبة العظمى ، وهى القتل ، لى ثلاثة : الطاعن فى دين المسلمين إلى المعارضين للإباضية - لمن الإنكار

(٢١١) المخطوط ، ص ٣٢ - ١ . وقارن الدرجين الذى يجعلها (١٢) (اثنى عشرة) سنة فقط ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .

(٢١٢) النظر الدرجين ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .

(٢١٣) أبو زكريا . ص ٣٢ - ١ . الدرجين ، المخطوط ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .

(٢١٤) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ١ .

(٢١٥) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ١ . الدرجين ، ص ٣٧ - ١ (المطبوع ، ص ٨٤) .

ومن نهج تهجم) ، والماتع الحق ، والعدل على عورات المسلمين (أهمل المذهب) (٣١٦) -

الياس وعمروس رجلا الجبل :

وهكذا أكملت مناقب كل من الرجلين سنجايا الآخر ، وعمل كل منهما على الزرع من شأن صاحبه : عمروس بعلمه وفطنته وشدة في الحق ، والياس بتقواه وورعه وشجاعته التي بلغت مبلغ الأسطورة ، مما ضمن لذريته استمرار الولاية والحكم في جبل نفوسة . ففي الحروب كان أبو منصور اذا خرج في العسكر « ينطح العدو نطحة من غير صفوف » ، مما يذكره بالحيلة الخارجية ، التي صارت مضرب المثل . وفي الحرب كان يقود رجاله وهو راكب بغلة ليكون قدوة للعامة من رجاله للشباب في المعركة ، وعدم التفكير في الهزيمة أو الفرار (٣١٧) ، وهو الامر الذي بالغ فيه المتأخرون ، حتى جعلوه كرامة من الكرامات . اذ ليست البغلة مما يركبه مقتحمو الحرب ، فقالوا ان نبال الأعداء كانت تنحاد عنه ، رغم أنه كان هدفا ثابتا قريب المنال ، وهو فوق بغلته (٣١٨) -

مطاردة حميد خلف بن السمح :

ومن أهم الأعمال الحربية التي تذكر لأبي منصور الياس مطارדתه بقاء الخلفية بقيادة حميد خلف بن السمح في آخر ولاية الرستميين . وكان الخلفية قد وهنوا بعد صراعهم مع أبي عبيدة عبد الحميد والي الفلج على جبل نفوسة ، ولكن فلولهم ظلوا متشبثين بأبن خلف ، أو حفيده ، الذي ظل متمسكا بمذهب أبيه (٣١٩) . والرواية لا تشير الى أعمال عدائية قام بها الخلفية ضد أبي منصور أو وعيته ، بل تقتفى بالقول أن والي جبل نفوسة الشهير خرج على أيام أبي حاتم يوسف لطلب ولد خلف الذي لا تذكر لنا اسمه ، وأن هذا الأخير هرب لاحقا لدى قبائل زواغة ، خارج طرابلس في ساحل جزيرة جربة . والتف الزواغيون حول زعيم الخلفية ، وأجمعوا على أن

(٣١٦) أبو ذكريا ، ص ٢٢ - ١ -

(٣١٧) أبو ذكريا ، ص ٢٢ - ١ -

(٣١٨) الدرجيني ، ص ٢٧ - ب (المقطوع . ص ٨٤) : حيث يقول أيضا انه كان قاتلا

مستجاب الدعاء في كرامات -

(٣١٩) انظر فيما سبق ، ص ٢٤٧ -

يستمعوه من النفوسيين : اذ « كانوا على مذهب أبيه فسمعوا قوله واطاعوه
وقبلوا دعوته (٢٢٠) » .

الوساطة ، وشروط الصلح :

ومكذا وصل أبو منصور الى حيز زواغة ، ووجد أعدادا كبيرة منهم
محدقة بحميد حلف . وقبل أن يبدأ القتال تدخل أحد زعماء بني يوراسن
(أو يهراسن) الذي يعرف بأبي سلامة لحقن الدماء ، وعرض على زواغة
أن نقل واحدا من تلاته حلول ، وجدها كفيلة بواد الفتنة وهي في مهدها :

١ - أن يترك الزواغيون من الخلفية البرية ، وأن يعبروا الى داخل
حزيرة جربة حيث يمكنهم أن يجتمعوا باخوانهم في المذهب هناك وأن يستمعوا
زعيمهم الخلفي ، وبذلك يكونون قد ابتعدوا عن حيز أبي منصور .

٢ - أن يرسلوا وفدا منهم الى الامام أبي حاتم يوسف يطلبون منه ان
يولي عليهم واليا منهم ، وبذلك يخرجون عن طاعة نفوسة . فكان الاستقلال
عن حكم النفوسيين كان مطلبيا من مطالب الزواغيين .

٣ - ان يدفع الزواغيون زعيمهم الخلفي الى أبي سلامة اليوراسني
ينطلق به الى نفوسة ، وهو يضمن لهم أمنه وسلامته . وهو الحل الذي يعني
ان الزواغيين ربما كانوا قد تورطوا ، عن غير قصد ، مع حميد خلف ، وانه
يمكنهم الودق مع النفوسيين اذا ضمنوا لهم الا يصبوا الخلفي بضرر ما .

خشل الوساطة ، وهزيمة زواغة :

وفشلت وساطة الزعيم اليوراسني عندما قام بعض الزواغيين فندد
بحسن نواياه ، وهو يقول : « أن اليوراسني يريد الوقيعة بزعيمهم الخلفي
الذي تسميه الرواية بـ « الخليفة » ، مما أثار أبا سلامة ، فأعرض عن
الاستمرار في وساطته ، رغم نداء بعض العقلاء من الزواغيين ، فأنصرف
عن محفلهم (٢٢١) » .

(٢٢٠) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ١ ، وقارن الدرجيني ، ص ٢٧ - ب (المطبوع ، ص

٨٤ - ٨٥) .

(٢٢١) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب ، الدرجيني ، ص ٢٧ - ب .

- ٣٨٦ -

وبذلك تحسم القتال بين الفريقين ، وانتهى بانتهاء زواغة بعد قتال شديد فتدوا فيه كثيراً من رجالهم ، الذين لم يتمكنوا من الفرار ، بسبب وقوعهم في الحبال التي كانت ممدودة في المنطقة بين الأشجار الصغار المفروسة لمنع الوحش من الفساد فيها . ولم يسرف أبو منصور الياس في قتل زواغة اذ رجع عنهم ، وتمكن الباقون منهم من الدخول الى جزيرة جربة (٢٢٢) ، كما نصحبهم أبو سلامة اليوراسني أول الأمر .

دخول الخلفية في جربة ، وغزو زواغة بأمرهم :

وفي جربة استجار حفيد خلف برجل من زواغة يسميه أبو زكريا بمقل من بني مزانت ، فادخله في قصر من قصور جربة يقال له غردانت (٢٢٢) . وهنا لجأ أبو منصور الذي وصل الى ساحل جربة الى وسيلة الاغواء بالمال ، فأرسل رجلاً من يوراسن (يهراسن) الى الزواغي الذي آوى حفيد خلف بصرة فيها مائة دينار من الدراهم . وما أن شعر الزواغي بالدراهم تنصب من كم اليوراسني الى كفه ، حتى قال له : « لو أتيت الى أولادنا دفعناهم اليك (٢٢٤) » . وبناء على ذلك فلم يكن من الغريب عندما وصل أبو منصور الى ساحل جربة بعد يومين أو ثلاثة أيام ، اذ كان من عادته أن يوقف جيشه عند وقت كل صلاة ليصلي بهم ركعتين ، أن يقوم بمقل الرواعي برد جوار حفيد خلف ، اذ توجه اليه ، فقال له : « انزل أيها الأمير فعد طال ما أرملت نساء زواغة على يديك » . وكان جواب الخلفي : « ليتكم لم تسموني أميراً يامشومات » ، وذلك باللغة البربرية التي كان لا يحسنها لأنه رجل عربي . وهنا دفعه الزواغيون الى أبي منصور الياس الذي سار به (٢٢٥) .

أبو منصور يسجن حفيد خلف في الجبل :

وهكذا استقرت الأمور ، في جزيرة جربة فلم تعرف بها فتنة تسبب

- (٢٢٢) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ب ، الدرجيني ، ص ٣٧ - ب ، ٣٨ - أ (المخطوط ، ص ٨٥ - ٨٦) .
- (٢٢٣) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ب ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٧ - ب ، الذي يسمى قبيلة الرجل تلمستارت ، ويسمى القصر غردان (المخطوط ، ص ٨٦) .
- (٢٢٤) أبو زكريا ، ص ٣٢ - ب ، وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٨ - أ (المخطوط - ص ٨٦) .
- (٢٢٥) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٢ - ب ، ٣٣ - أ ، الدرجيني ، المخطوط ص ٨٦ - أ (المخطوط ، ص ٨٦) .

عليها الخلفية أو قتال . أما رئيس الحركة ، حفيد خلف ، فقد صحبه أبو منصور الياس الى مقره قتي جبل نفوسة حيث سجنه . وكان الرجل مكرما في سجنه معززا لشرفه وعلمه وفقهه ، فقد كان مرجع القوم عندما تنزل بهم نازلة أو تعرض لهم قضية وعرة أو معضلة ، مما جعله يتساءل متعجبا : يسجنوني ويستلوني (٢٢٦) ؟

وينهي أبو زكريا قصة الخلفي قائلا : « وذكر بعض أصحابنا أنه رجع الى مذهب أهل الحق وحسنت أحواله ، والله أعلم » (٢٢٧) ، وهو الأمر الذي لا يعدو أن يكون أمنية من أمنيات خصومه العزيزة .

أما أهم الأحداث التي عرفها جبل نفوسة على أيام الامام أبي حاتم يوسف حبي الكسرة الخطيرة التي لحقت بقوات نفوسة أمام القوات الأغلبية بقيادة الأمير ابراهيم بن أحمد ، وذلك في وقعة مانو الشهيرة ، بعد وفاة أبي منصور الياس وولاية افلح بن العباس على نفوسة (٢٢٨) .

وقعة مانو سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م واضمحلال جبل نفوسة كقوة مساندة لامامة تاهرت (٢٢٩) :

وأول ما يسترعى الانتباه ، أن كتاب الاباضية متفقون على أن الهزيمة الكبيرة لنفوسة ، في حيزطرابلس ، كانت السبب المباشر لاضمحلال امامة تاهرت الرستمية واقراضها (٢٣٠) . فقبائل نفوسة كانت تؤيد « السلطنة » الرستمية ومذهبها الاباضي بشكل لا نظير له بين قبائل المغرب . ولهذا السبب قل الاباضية هناك . . . قام هذا الدين بسيوف نفوسة ومال مزاة » ، كما

(٢٢٦) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ١ ، وقارن الدرجيني (ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٦ - ٨٧) الذي يصيف أنهم سألوه في قضية قطع رجل وحل لما خنلقوا ، فقال : قطع الرجل دون المقب . وعندئذ قال مقاله جابر بن زيد لا استفتي في السحن ، وغيره مشهور . وهذا يعني أن مقاله « يسجنوني ويستلوني » هي أصلا لجابر بن زيد الذي رأينا كيف أن ثقلنا احتال الى أن كتب ديوانه في بنغاز ، ولو أن الرواية قالت ان ثقلنا عاد ودفته حتى لا يستطيع منه خصومه - انظر فيما سبق ، ص ٢٥٠ .

(٢٢٧) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، الدرجيني ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

(٢٢٨) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ ، الدرجيني ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

(٢٢٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢٣٠) أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ : حيث يحمل عنوان الحركة : « وقعة مانو واقراض

الامامة ، وهو العنوان الذي يتقله الدرجيني ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) .

قالوا ان احاد نعيسة انتشرت لدى المسودة (العباسيين) فى المشرق على انهم المناصرين والقائمون بدولة العرس الرستمى فى بلاد طرابلس وتاهرت وغيرهما ، وذلك بفضل المكاتب التى كان يبعث بها الى بغداد اهل كل من مدينتى القيروان وطرابلس (٢٢١) .

ومما يسترعى الانتباه ايضا ، ما اخذ به كتاب الاباضية من ان ذلك حدث على عهد الخليفة المتوكل العباسى الذى قتل فى سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، مع انهم يعرفون ان وقعة مامو كانت على اواخر ايام الرستميين سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . وادا لا حظنا انهم عرفوا قبل ذلك ان ابا اليقظان بن افلح كان قد قبض عليه فى مكة وسير به الى بغداد ، حيث حبس على عهد المتوكل قبيل مقتله سنة ٢٤٧ هـ / ٨٦١ م ، فانه يكون من المقبول ان القصد من ذكر عهد المتوكل هنا هو تحديد بداية اهتمام بغداد بامور الرستميين فى تاهرت وطرابلس ، وليس تحديد وقت الواقعة ، وان ظهر التعبير بضر هذا المعنى ، كما فى ابي زكريا الذى يظهر الامير الاغلبى وكأنه يرحف نقواته من شرق طرابلس (فى المغرب) ، قاصدا تاهرت بناء على اوامر بغداد (٢٢٢) .

فى اسباب الواقعة :

ومع انه لا بأس فى أن نكون خلافة بغداد لها دورها فى تحريض الامير الاغلبى ابراهيم بن أحمد ضد اباضية طرابلس ، أو أن يكون الاغلبى أراد أن يكتسب رضا الخلافة عنه بعد سحقها عليه اثر أعمال العنف والقسوة التى قام بها ضد رعاياه ، فى اقليم تونس وطرابلس ، فلا بأس ايضا فى أن تكون أعمال القهر التى قام بها ضد الاباضية من قبائل هواة وغيرهم فى اقاليم الزاب وطرابلس ، هى السبب فى قيام نفوسة على الأغلبية فى اقليم طرابلس ، كما سبقت الإشارة (٢٢٣) . وهكذا سار ابراهيم بن أحمد من رقادة فى اثر ابنه أحمد نحو طرابلس حيث اعترضته قبائل نفوسة فيما بين قابس وطرابلس (٢٢٤) .

(٢٢١) أبو زكريا ، ص ٢٣ - ١ ، الدرجيني ، ص ٣٨ - ب (المطوع ، ص ٨٧) .
(٢٢٢) السير وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٣٣ - ١ ، وقانون الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٨ - ب (المطبوع ، ص ٨٧) . وعن سحن أبي اليقظان فى بغداد انظر فيما سبق ، ص ٣٥٤ .

(٢٢٣) انظر فيما سبق - ص الأغلبية - ص ١٤١ .

(٢٢٤) انظر فيما سبق ، ص ١٤٢ .

وإذا كانت الرواية الاباضية تقول أن الأمير الأغلبى طلب من النفوسيين أن يتركوا له مبراً على شاطئ البحر لا تزيد سعته عن مقدار نشر عمامته ليجوز منه إلى طرابلس (٢٣٥) ، فإن من الممكن أن يكون الأمر متعلقاً بواحد من احتمالين :

١ - إما أن تكون الرواية الاباضية تخلط هنا بين ما حدث قبل ذلك مع عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب عندما حاصرت الاباضية في طرابلس أيام الامام عبد الوهاب ، وانتهى الأمر بالصلح على أن يكون شاطئ البحر للأغلبية والدواخل لعبد الوهاب .

٢ - وما أن يكون هدف إبراهيم بن أحمد هو الاكتفاء بتهدئة الأحوال في طرابلس التابعة له ، دون رغبة في التدخل في شئون الاباضية فسي الدواخل .

مكان القوقعة :

والهم في الرواية أن الاباضية عزموا على ألا يسمحوا لإبراهيم بالمرور بينما قرر هذا الأخير الجواز على ساحل البحر دون أن يتعرض أصحابه لنفوسة إذا تركوهم ورأى العقلاء من الشيوخ مثل سعد بن أبي يونس ، الذي رأيناه عالماً كبيراً ووالياً لقطرارة التي كان من مشاهير أبنائها ، أن يتركوا الأغلبية يجوزون ، ولكن الكثرة الغالبة من الشباب المتحمس رفض ذلك ، بل وعير بعضهم سعداً بالجبن والخوف من القتل . وكان رد سعد بن أبي يونس مقالته المشهورة : « خفت أن تذبح البقرة فيتبعها عجلها » ، يعنى بالبقرة نفوسة وبالعجل قنطرة (٢٣٦) ، بله . وهكذا اعترضت نفوسة قوات الأغلبية في موضع لا يذكر مؤرخو المغرب اسمه (٢٣٧) بينما يعرفه كتاب الاباضية باسم « مانو » ، وفيه يقول أبو زكريا : انه « قصر من قصور الأولين » على ساحل البحر .

(٢٣٥) انظر أبو زكريا ، ص ٣٣ - ١ : والرواية هنا تقول انه كان يريد الجواز من طرابلس إلى تلمذت ، وقارن الدرجيني ، ص ٣٦ - ١ (المطبوع ، ص ٨٧ - ٨٨) .
(٢٣٦) أبو زكريا ، المطبوع ، ص ٣٣ - ب ، الدرجيني ، المخطوط ، ص ٣٩ - ١ (المطبوع ، ص ٨٨) .
(٢٣٧) انظر فيما سبق ، عن الأغلبية ، ص ١٤٦ وما بعدها والهوامش .

المعركة وتلشى القتل في نفوسة :

أما عن القتال الشديد بين الفريقين فيصفه بأنه « لم يسبق مثله في أرض المغرب » . وبصرف النظر عن العطولات الشخصية التي أظهرها بعض الفرسان من الجانبين ، فقد استشرى القتل في الفريقين ، ولحق بموسسة إلى جانب ذلك كبير من الجراح حتى أنهم هموا بالانهزام (٢٢٨) .

وهنا طرأت على بال أفلح بن العباس ، وإلى الجبل وفارس نفوسة . فكرة حث الناس على الثبات عن طريق تركيز البند أو الراية ، شعاع الجيش ، في الأرض ، وهو الأمر الذي لم يفعله صاحب البند أي حامل الراية إلا على مضض . ولكنه إذا كان غرس البند في الأرض قد جعل الناس يسرعون بالتفاف حوله للدفاع عنه ، فقد جعلهم احتشادهم هذا هدفا سهلا للعسكر الأغلب الذي أوقع بهم وقتل منهم الكثيرين ، بينما فر أفلح ابن العباس عندما رأى سوء موقفه وتفشى القتل في أصحابه (٢٢٩) . ولا شك في أن فشل خطة الصمود حول البند المركز في الأرض ، وما تبعه من فرار أفلح بن العباس كان السبب في أن القيت تبعة مقتلة نفوسة وحلفائهم في مانو على عاتق هذا الأخير . ففي ذلك يقول أبو زكريا : « أفلح كان قد كره الخروج للقاء الفاسق وكذلك فعل بهم ما فعل » ، فكانه كان من المعارضين لتحدي إبراهيم بن أحمد الأغلب ، مثله في ذلك مثل سعد بن أبي يونس ، وأنه انتقم منهم بتدبير مسألة البند الذي كساد الرجال جميعا يستأصلون حوله ، لولا أن قبض الله له رجلا من أهل البصائر ضربه بالسيف فأسقطه . فعند ما وقع البند « انهزم من بقي من المسلمين ، وأفلت من أفلت من أهل دعوتنا من أهل الجبل » ، كما يقول أبو زكريا (٢٤٠) .

قائمة الخسائر الإباضية :

وتدل قائمة الخسائر على أن هزيمة « مانو » كانت كارثة حقيقية بالنسبة لنفوسة وحلفائهم من قبائل إقليم طرابلس . فقد بلغت عدة القتلى

(٢٢٨) أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب ، الدرجيني ، ص ٢٩ - أ (المطبوع ، ص ٨٨) .
 (٢٢٩) انظر أبو زكريا ، ص ٢٢ - ب : حيث يقول ان الهزيمة وقعت حول البند بعد انهزام أفلح ، وقادر الدرجيني ، ص ٢٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٨ - ٨٩) .
 (٢٤٠) السير ، وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٢٢ - ب وانظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٢٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٩) .

١٢ (اثنى عشر) ألف رجل ، منهم : ٤ (أربعة) آلاف من نفوسة ، و ٨ (ثمانية) آلاف من كان معهم من البربر وغيرهم ، الى جانب ما سبى منه لساكنهم الكلاتي كن خرجن معهم . وربما كان الاخطر من كل ذلك فقدان ٤٠٠ (أربعمائة) عالم فقيه ، أشهرهم عمرو بن قنح (٢٤١) الذي كان له قضاء جبل نفوسة منذ ولاية أبي منصور الياس (٢٤٢) .

وأغلب الظن أن الرواية الاباضية لا تبالغ كثيرا عندما تقول ان الامير الاغلبى ابراهيم بن أحمد انتقم من مشايخ الأسرى انتقاماً مروها يصبر عن الحق الذي لا حدود له والتشفي . فإلى مثل هذا تشير روايات مؤرخي المغرب التي عرضناها عن تلك الواقعة في تاريخ الأغالبة ، إذ تنص على القسوة اللاإنسانية التي مارسها الأغلبى ، عندما كان يأمر بشق صدر الرجل ثم يقطع يده في موضع القلب مباشرة . أو ما قيل من أنه نظم قلوب العشرات منهم في الخيوط كأنها قلائد النصر أو عقود الظفر . ولا شك أن ما قيل من أن مشايخ الاباضية هؤلاء كانوا يعتبرون من الامام على بن أبي طالب لا يصح أن يكون ذريعة مقبولة تبيح كل ذلك (٢٤٢) .

مقتل القاضي عمرو بن قنح :

فاؤ ذكرى يذكر أن القاضي عمرو بن قنح كان مشاركا بشخصه في القتال ، وانه كان في مؤخرة العسكر ، على فرس سابق ، يحمي الناس ويذب عنهم ، وعسكر الأغالبة لا يدرون ماذا يصنعون معه . فلما أعياهم نصبوا له حبالا تمشي بها فرسه « السابق » فأخذوه أسيراً الى « الفاسق » . وطلب ابراهيم بن أحمد من عمرو أن يطلب العفو ، ولكن القاضي الشديد في أحكامه والذي كان لا يخاف في الله لومة لائم أبى من استجداء العفو ، « وطلب فقط الا يكشفوا عن سراويله » . وكانت العقوبة الشنيعة التي أنزلت به هي تقطيعه بالحديد من ابهامه الى عضده حيث استشهد « (٢٤٤) » أما عن اخته العاملة الفقيهه مثله ، والتي أخذت مع نسوة نفوسة ، فإنها « طلبت من النساء أن تستحلف كل واحدة منهن أن يتزوجها من يريد بها سوا » (٢٤٥) .

(٢٤١) أبو ذكريا ، المخطوط ، ص ٢٤ - ١ ، الدريجي ، المخطوط ، ص ٣٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٩) .
(٢٤٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٨٢ .
(٢٤٣) انظر فيما سبق ، ص ١٢٣ .
(٢٤٤) أبو ذكريا ، ص ٢٤ - ١ ، الدريجي ، ص ٣٩ - ب (المطبوع ، ص ٨٩) .
(٢٤٥) أبو ذكريا ، ص ٢٤ - ١ .

وبذلك قصت الواقعة المشنومة على مشايخ الإباضية في جبل نفوسة فلم يبق من علمائهم إلا أبو القاسم البقطوري وعبد الله بن الحير ، اللذان بقيا يفتيان لاهل الجبل نوازلهم من تلك الواقعة ولولاها لعطلت (الفتوى) الى يوم القيامة (٢٤٦) .

الانتقام من قنطرة ثم من اباضية نفزاوة :

ولم يكتف ابراهيم بن أحمد بما ألحقه بالنفوسيين في مانو من القتل والتنكيل ، بل انه اتجه نحو قنطرة ، حيث عرف من أعرائه انها المعقل الثانى في المنطقة من معقل الإباضية ، فاجأ أهلها في الصباح المبكر . ويقول أبو زكريا انه ، الى جانب قتله لاهل قنطرة ، « اختار من فقهاءهم وعلمائهم ثمانين عالما فشد بهم وثاقا » (٢٤٧) .

ومن قنطرة تابع الأغلبى مسيرته الدامية ضيف الاباضية الى نفزاوة للقضاء على من بقى هناك من أهل الدعوة ، وكان أشهر مشايخهم في ذلك الوقت « رجلا عالما فقيها » . يقال له : أبو بكر يوسف النفوسى . وعندما بعث ابراهيم بن أحمد رجاله للقضاء عليه أظهر الرجل كرامة منعت من خصومه ، اذا استمهلهم الى أن صلى ركعتين اتبعهما بالدعاء ، « فبعث الله اليهم ريحا عاصفا مظلما فعال بينهم وبين الشيخ ، فأخذ ابنه يوسف - وكان الشيخ اذ ذاك قد كف بصره - ومضى الى تناوت ، من قبائل نفزاوة (٢٤٨) .

(٢٤٦) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ . وبصل متلة العلماء العقلاء ، صاغ الإباضية حول موقعة مانو وشهدائها الأساطير ، كما فعلوا بكان الموقعة التي قتل فيها أبو حاتم الامام ، خليفة أبي الخطاب قبيل تأسيس الامامة الرستمية (انظر فيما سبق ص ٢٨٧) . ففي مناقب شهداء الإباضية في مانو ومثالب خصومهم ، يقول أبو زكريا : انه عندما جن الليل بعثه افراتق المتحاربين جاء رجل من المسكر الأغلبى ليحصل أخاه القليل ، فلما يشخص يطوف بين القتل وينادى الاباضية بهم : كبروا يا أهل الجنة فيكبرون . وينادى على المسوفة منهم : ابصروا يا كلاب النار فينبحون . وكان آخر الرجل يتبع معهم وهو قتل على الدابة . انظر أبو زكريا ، ص ٢٤ - ١ ، ٢٤ - ب ، الدرجينى ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) .

(٢٤٧) أبو زكريا ، ص ٢٤ - ب ، الدرجينى ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩٠) .

حدا ، ولا بأس من أن تكون وقعة قنطرة قد حدثت في السنة التالية ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م ، كما يمكن أن يفهم من رواية ابن عذارى - انظر فيما سبق ، عن الأغلبية ، ص ١٤٣ وهـ ٤٦١ .

(٢٤٨) انظر أبو زكريا ص ٢٤ ، ب (حيث اسم القرية : ماوتة) ، وقرن الدرجينى ، ص ٤٠ - ب (المطبوع ، ص ٩١) : حيث يقول انه « مضى الى تناوت ، وهم أهل القرية المعروفة بشيطان من قرى فزاوة ، متجاه الله » .

- ٣٩٣ -

ومن الزاب عاد ابراهيم بن أحمد ، وبصحبته أسراء الشمانين من فقهاء
قنطرة ، الى القيروان حيث قتلهم بأجمعهم (٢٤٩) .

وهكذا حطم ابراهيم بن اغلب مقاومة الاباضية الرستميين في كل من
جبل نفوسة ونفزاوة ، قبل أن يعود تمعا مرهقا الى القيروان . والحقيقة
لا تجاوز كثيرا ما يقوله كتاب الاباضية من أن وقعة مانو وما اتصل بها كان
سببا في القاء الوهن والضعف في نفوسة مما أدى الى انقراض الدولة
الرستمية وانقطاع الدعوة الاباضية ، « وذلك لأن نفوسة كانوا عمدتها :
قامت بقيامهم وانقطعت لانقطاعهم (٢٥٠) » .

عزل أفلح بن العباس من ولاية الجبل : والسنوات الأخيرة للإمامة الرستمية
بعد وقعة مانو :

بعد الهزيمة المنكرة عادت بقية نفوسة من مانو الى جبلهم ، وتحصنوا
فيه ، ثم انهم تشاوروا في عزل واليهم أفلح بن العباس الذي اعتبروه مستولا
عن الكارثة ، وقولية ابن بزم له بدلا منه ، وخطر الامام بذلك ليصدر سجل
الولاية . وتم اتفاق رعوس الجماعة على هذا الأمر ، لم يخالف في اقراره
الا الشيخ أبو معروف الذي « أبا ذلك خشية الاختلاف » . وهكذا عزل أفلح
الذي حقق على هذا الفعل واستنكره الى حد أنه رام الخروج على جماعة
اصحابه ، والقيام بمخالفتهم (٢٥١) . وعندما بلغ الشيخ أبا معروف ما يضره
أفلح بن العباس سار اليه خفية ، « وقبح عليه الخلاف وسوء عواقبه ووعظه ،
فبركن اليه ، ولم يهتم قوله لما تقدم منه أيضا من كراهية خلق أفلح » ، فأراد
الله به خيرا ، كما يقول الدرجيني (٢٥٢) .

(٢٤٩) أبو ذكريا ، ص ٣٤ - ب : حيث يفهم من النص أن الأمير الأعلى قتل هؤلاء
الرجال كعقوبة جماعية لهم لأن أحدهم يدعى يابن توب. كان مخطوط المرويت ما سمح له
بجبل دجلة من القيد والفرار ، ولو أن الرواية المنقوبة تنص على أن الرجل استأذن اخوانه في
المغرب وانهم لا ذنوا له . وقارن الدرجيني ، ص ٤٠ - ب . الذي يسمى الرجل المخطوط
المعروف بـ يابن تيب (المخطوط ، ص ٩١ : ابن تيب) .
(٢٥٠) الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (وقارن المخطوط ، ص ٩١ : حيث النص على انقراض
الدعوة بدلا من « انقراض الدولة وانقطاع الدعوة ») .
(٢٥١) الدرجيني ، ص ٤٠ - ب (المخطوط ، ص ٩٠) : وقول الرواية هنا انه عرض
الخلاف على أحد اصحابه ولكن هذا الأخير لم يستجب له . وانتفع من مباحثته .
(٢٥٢) الطبقات ، المخطوط ، ص ٤٠ - ب (المخطوط ، ص ٩٠) . أبو ذكريا ، المخطوط ،
ص ٣٤ - ب .

ويظهر عزل أفلح من ولاية جبل نفوسة وكأنه بدء النهاية بالنسبة للدولة الرستمية إذ يقول أبو زكريا : ان ابوالى الجديد ، ابن عمه ، لم يسكت فى الحكم الا حوالى ثلاثة أشهر ، ولم يتمكن خلالها من احسان السيرة ، فتركه الناس ورجعوا الى أفلح . وبذلك يكون بدء قصة قيام الدولة الفاطمية فى المغرب الأوسط وكيف تمها لها القضاء على دولة تاهرت الرستمية منذ حوالى سنة ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م .

وهكذا تنتهى الدولة الرستمية عند ابن الصغير فى دوامة الاضطرابات التى عرفتها تاهرت والخلافات التى عرفها افراد الاسرة المالكة على عهد الامام ابي حاتم يوسف بن افلح ، دون ذكر لموقعة مانو فى سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . أما أبو زكريا ومن نقل عنه من كتاب الاباضية فقد اعتبروا وقعة مانو ، كما رأينا ، وكأنها نقطة الختام بالنسبة لتاريخ الرستميين ، وبذلك ضاعت فى روايتهم معالم تاريخ الفترة الأخيرة من عهد امامة تاهرت الرستمية ، التى تقدر بأكثر من اثنتى عشرة سنة ، الى فتح تاهرت واستباحتها على يد ابي عبد الله الشيعى سنة ٢٩٦ هـ / ٨ - ٩٠٩ م ، وقتل آخر أمرائها وهو يقطان بن محمد ابي يقطان بن أفلح .

ابناء الامام ابي حاتم يعرضون ابا عبد الله الشيعى :

يقطان بن محمد ابي يقطان آخر الائمة الرستميين فى تاهرت (٢٩٤ هـ - ٩٠٧ م / ٢٩٦ هـ - ٩٠٩ م) :

يتضح من القطع المتناثرة فى اخبار السنوات الأخيرة لامامة تاهرت ، التى خصصها أبو زكريا لتاريخ بدء الدعوة الشيعية فى كتامة وقيام الدولة الفاطمية فى المغرب والتى رأى الدرجين أن يختزلها ان الامام أباحاتم يوسف واج ضحية مؤامرة قام بها افراد أسرته وشارك فيها بعض الفقهاء ، مثل : ابي الخطاب وسيم (ابن سنتين الزواغى) أحد حدة ابي الخطاب (الكبير) المعافى ، وذلك فى سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٧ م (٣٥٣) . وانتهت بولاية ابن أخيه يقطان ابن اليقطان - فعندما سار أبو عبد الله الشيعى - الذى يعرف عند كتاب الاباضية بالايكجاني ، نسبة الى قلعة آيكجان التى اعتصم بها فى نظر مدينة

(٣٥٣) انظر أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب : حيث يقول ان ثلثة الجبل ماتت على أنه
١٠ الزم الامر يقطان ، وأنه اضطر من ذلك بأنه فعله احتساباً - وانظر الباتوني ، الاذهار
الرياضية ، قسم ٢ ص ٢٩٦ .

ميلة من بلاد كتامة (٢٥٤) من رقادة في طريقه الى سجلماسة لطلب الاسام
المهدى (٢٥٥) ، حرحت اليه دوسر بنت يوسف مع واحد من اخوتها تشكو اليه
مقبل ايها ، وتطلب منه الانتقام من عمومتها بني أبي يقظان الذي غدروا به ،
مما يهجم منه ان السيدة دوسر كانت المحرصة للشيعي على فتح تاهرت (٢٥٦) .
والواضح من الرواية انه ما ان اقبل الشيعي على تاهرت حتى خرج اليه
وجوه اهلها يعلنون الطاعة ويطلبون الامان . أما زعماء الجماعات المعارضة
(المخالفين) ، من : المالكية والواصلية والشيعة والصفرية ، فقد « نافقوه » ،
كما يقول أبو زكريا ، وشكوا اليه اماراة الفرس ، وواعدوه العون من أنفسهم
على جميع الرستميين ، وأمروا باستئصال شأفتهم وتوهمين شوكتهم « (٢٥٧) ،
مما يفهم منه ان المقصود بجماعة وجوه أهل تاهرت ، الذين طلبوا الامان ،
هم من أفراد الأسرة الرستمية المالكة وأنصارهم . وهذا لا يمنع من أن يكون
أبناء عمومتهم من أولاد يوسف ، وعلى رأسهم دوسر ابنته ، قد انتهزوا
الفرصة لتحريض الشيعي عليهم ، مما كان يهيئ لهم النجاة من انتقامه ، وفي
نفس الوقت تحقيق النار لقتل والدهم .

مجتمع غير متناسق في تاهرت :

وكل هذا يعني أن عاصمة الرستميين تاهرت كانت تعاني من الانشقاقات
المتوالية التي عرفتها جماعة الاباضية منذ وفاة عبد الرحمن الأول بن رستم ،
وانما كانت ثمرة ناضجة في انتظار من يأتي ليقطفها . ولا أدل على الانفصام
الذي كان قد وقع بين الأسرة المالكة وبين شعب تاهرت ، مما تقوله النصوص

(٢٥٤) انظر الدرجيني ، المخطوط ، ص ٤١ - ب (المطبوع ، ص ٩٢) : حيث اسم
القلمة ايكجان بينما لقب أبي عبد الله الشيعي الكجاني ، وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص
٢٥ - ب ، الذي يسمى الشيعي بأبي محمد وسيم ويلقبه بالحجاني ، مما يطن الى من أخطاء
الساح أو تصحيقاتهم .
(٢٥٥) انظر فيما بعد ، ص ٥٤٩ .

(٢٥٦) انظر أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب - الذي ينص على ان دوسر اشيرته يقصة ايها ،
وما انتهك من حرمتها ، وان حرصها على الانتقام من قتلة ايها بلغ الى حد ان « اوعده من
نفسها اذا هو أخذ بثأرها ان تزوجه من نفسها » ، ولو أنها اختلعت بالوحد بعد ذلك :
« فتثيت » وهرمت من الحجاني (الايكجاني) مخالفة ان يتزوجها . ، والله جلليها العلم . يقصد
عليها - وقارن الدرجيني ص ٤٢ - ٤٣ : حيث اسم « دوسر » منسوخ الى شكل « دوس » ،
وانظر المطبوع ، ص ٩٤ و ٩٥ - ١ : بحيث الإشارة الى أن صاحب الأذهار الرياضية بينت الاسم
في شكل « دوسر » .

(٢٥٧) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب .

الاباضية من أن الشيخ أبي الخطاب وسيم الذي كانت إليه الزعامة ففسى
للمدينة والذي قام بدور رئيسي في تولية يقظان ، كان يفرم اليتامي والأرامل
للظلمة ، ويستفتى نكاريا ، ويقدم في الصلاة خلفيا وفي الأذان نفائيا (٢٥٨) ،
وإذا كان ذلك يعني نوعاً من المداهنة والمداواة من أجل التعايش السلمي
بين الجماعات المتنافرة مذهبياً ، كما يفهم من رد أبي الخطاب على منتقديه (٢٥٩) ،
غلا شك أن هذه الفيفساء الاباضية كانت من الرقة بحيث لا تتحسس أية
مقاومة ، وهذا ما يفسر استسلام المدينة بالأمان ، ودون مقاومة ..

الشيعية يدخلون تاهرت ويقتلون يقظان :

والهم أن أعيان تاهرت خرجوا وعلى رأسهم يقظان لاستقبال ابن عبد الله
الايكجاني - بناء على طلبه أو مبادرة من أنفسهم - ، وذلك على بعد أميال
من المدينة . وينص أبو زكريا على أنه بعد حوار قصير سأل فيه الشيعي
الأمير الرستمي عن اسمه ورد فيه بجفاء عليه ، قائلاً له : بل اسمك حيران بدلاً
من يقظان ، قل أن يتبع ذلك بتعنيه على سوء السيرة وقتل أخيه أبي حاتم
يوسف ، إذ قال له : « وكيف قتلتم أميركم ، وسلبتم لأنفسكم ملككم ،
فاطفيتم نور الاسلام بغير سبب ، وألقيتم بأيديكم إلينا بغير قتال ؟ » وبعد
ذلك أمر بقتل يقظان وأبنائه الذين نفذ فيهم الحكم فقتلوا عن آخرهم (٢٦٠) ..

تغريب تاهرت وأخذ ذخائرها :

ومع أن الرواية تنص على أن أبا عبد الله الشيعي دخل تاهرت بالأمان
فأنها تشير إلى أنه عذر : فانتبه مدينة الأئمة وانتبهك حرمتها ، وأحلا كثيراً
من أهلها ، وحمل أعزة أهلها أذلة (٢٦١) . ولم يكتف الشيعي بقتل يقظان
وأبنائه بل أنه أتبع ذلك بقتل « أهل بيت الإمامة من الرستميين ، وأهل
الملك ، وأهلك الحرث والنسل (٢٦٢) » .

وكان من الذخائر التي وقع عليها الشيعي في تاهرت صنوعة مملوءة .

٢٥٨) أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب .

٢٥٩) أبو زكريا ، ص ٤٤ - ب .

٢٦٠) أبو زكريا ، ص ٣٦ - ب . الدحيتي ، ص ٤٢ - أ (المطبوع ، ص ٩٤) .

٢٦١) أبو زكريا ، ص ٣٧ - أ . الدحيتي ، المخطوط ، ص ٤٢ ب (المطبوع ،

ص ٩٤) .

٢٦٢) الدحيتي ، ص ٤٢ - ب (المطبوع ، ص ٩٤) .

بالكتب الثمينه ، فأمر باخراج تلك الكتب من مكنها ، كما نزل الرواية ،
واخذ منها كل ما يصلح للملك والحساب (أى للإدارة المدنية) ، والتقى بقيتها
فى النار (أى كتب المذهب) (٣٦٢) •

خروج بقايا الرستميين الى وارجلان :

وإذا كانت رواية أبى زكريا نمرؤ انتقال الشيعى من تاهرت الى هرب
السيدة دوسر بنت يوسف التى لم تف بوعدها بالزواج منه ، بعد أن حقق
لها أميتها وثأر من بنى عمومتها قاتلى أبيها ، فلا بأس من أن يكون الشيعى
قد شملها بعفوه بعد أن وقفت الى جانبه • ولا بأس من أن يكون العفو قد
شمل أيضا يعقوب بن أفلح ، عم يوسف ويقظان الذى كان له حظ المناخسة
على الامامة ، من قبل (٣٦٤) • وذلك أنه بينما تقول بعض روايات أبى زريا
أنه خرج من تاهرت متوجها الى وارجلان لما سمع باقبال الإيكجاني (٣٦٥) ،
يذكر الدرجيني « أن يعقوب بن أفلح وابنة أخيه دوسر خرجا فى خفاء الى جهة
وارجلان حتى نزلاها (٣٦٦) • فإذا كان الأمر كذلك يكون يعقوب قد وقف
الى جانب ابنة أخيه دوسر فى طلب النار لأبيها ، وحينئذ يصح ما نريد
استنباطه من أن يكون عفو الشيعى قد شمل كلا من دوسر ويعقوب ، وتكون
مسيرتهما الى وارجلان قد تمت بموافقته •

يعقوب بن أفلح فى وارجلان :

ولا يصف من هذا الافتراض ، الذى نراه منسجما مع واقع الحال ،
ما تشير اليه رواية تالية ، لأبى زكريا ، يقول فيها : أنه عندما سار الإيكجاني
متوجها الى تاهرت « خرج يعقوب بن أفلح فى خيل من أصحابه مع عيالاتهم
ومواليهم » • اذ الواضح ان الرواية المتنبية تهدف الى إحاطة يعقوب بهالة
من الهيبة والشجاعة غير المعتادة : فعندما تبعت عساكر العدو القافلة التى
كانت تحوى الذرية والأهل الى جانب الرجال وقع عبء حمايتها على يعقوب

(٣٦٢) انظر أبو زكريا ، ص ٣٧ - ١ ، وقارن الدرجيني ، ص ٤٢ - ب حيث يقول :
« ان صومعة الكتب هذه كانت مشتملة على ديوان تاهرت أى سجلات المدينة الرسمية ، كما
ذكر النزاية (المشايخ من طلبة العلم) » (والمطبوع ، ص ٩٤ - ٩٥) •
(٣٦٤) انظر ليما سقى ، ص ٣٦٦ •
(٣٦٥) أبو زكريا ، ص ٣٧ - ١ •
(٣٦٦) الدرجيني ، ص ٤٣ - ب (المطبوع ، ص ٩٤ - واسم الأختة دوسر ، كما
حسبت الإشارة) •

وحده ، اذ « كان له حصان عظيم فكان يقف للعدو حتى يسير أصحابه » .
 « وكان فرسه (هذا) يضرب به الامثال في المغرب ، فاذا نظروا اليه وعرفوه .
 وقفوا له من هيئته ٠٠٠ » وهكذا كان يعقوب يسير خلف قافلة أهله وأصحابه
 الى أن يلحقهم العدو فيقف وحده - والرجل سائر - ويقف العدو دهشة
 وعجبا - وهكذا دواليك على طول الطريق ، « حتى آيسوا منه . ورجعوا عنه ،
 هو وأصحابه » . ومضى يعقوب بعد أن تفسرق عنه معظم أصحابه الى
 وارجلان (٣١٧) .

وهكذا يظهر من رواية تلك المطاردة الطريفة أنها متقبية أكثر منها
 تاريخية ، مما يرجح دعوانا في أنه ربما كان من الأرجح أن يكون يعقوب
 ابن أفلح قد خرج من تاهرت الى وارجلان بصحبة ابنه أخيه دوسر ، وأن ذلك
 كان بموافقة أبي عبد الله الشيعي بعد أن وقفوا الى جانبه مع من وقف من
 السكارية والواصلية والمالكية والحلمية وغيرهم . وتكون تاهرت الرستميين
 قد سقطت بالأمان دون قتال بين أيدي الفاطميين ، وبذلك تبدت قسوى
 الاباضية هناك في واحات الصحراء ، مثل : وارجلان التي صارت منذ ذلك
 الوقت من أهم مراكز الاباضية في صحراء المغرب الأوسط (بلاد الحزائر
 الحالية) ، بعد محاولة فاشلة للاستيلاء عليها من جانب عبيد الله المهدي
 في رحلة عودته من سجن ماسة الى رقادة . وستشهد وارجلان منذ ذلك
 الحين مجتمعا اباضيا مزدهرا يعيد - نشأ من الحياء - سيرة تاهرت الرستمية
 على مستوياتها الاجتماعية والحضارية . وكان من أوائل الأحداث الهامة
 التي عرفت وارجلان الاباضية هو الانقسام المدهى الرابع الذي ينسب الى
 أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح .

وارجلان وريثة تاهرت الرستمية في المغرب الأوسط :

يعقوب بن أفلح يجد سيرة الأئمة الأوائل :

عندما وصل يعقوب بن أفلح - بعد سقوط تاهرت - الى وارجلان ،
 كان حكم الواحة الصحراوية الكبيرة الى رجل يعرف باسم صالح بن جنون
 ابن يمران الذي خرج لاستقباله في جموع أهل وارجلان . وبسبب مركزه

(٣١٧) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٤١ - ب : حيث تقول النصوص ان يعقوب بن أفلح
 مضى وأصحابه الى وارجلان ، وأنه « نظر الى الطالع في طريقه ذلك فقال لأصحابه : لا يجتمع
 منكم ثلاثة الا كان عليهم الطلب فامتحروا » ، وقارن الدرجيني ، المخطوط ، ص ٤٧ - ٤٨
 (المخطوط ، ص ١٠٤ - ١٠٥) .

للاجتماعى وشرفه وعلمه اقتضت أصول الآداب فى ذلك العصر أن يعرض عليه أهل وارجلان - وبضمنهم أميرهم صالح بن جنون ، على ما نظن - أن يكون أميراً عليهم . وكان من الطبيعى ، أيضاً ، أن يرفض يعقوب هذا العرض الذى ، وإن كان كريماً ، لم يكن مناسباً للامام الأسبق الذى قال للناس وهو يمتنع : « لا يستتر الجمل بالقمم » ، فذهبت تلك الجملة المعبرة مثلاً (٣٦٨) .

واشتهر يعقوب فى وارجلان بالعلم والتقوى وبأنه كان حافظاً للقرآن مجيداً له ، وفى ذلك قيل أنه عندما سأل بعض الوريثين عما إذا كان يحفظ القرآن كله ! رد عليهم قائلاً : « معاذ الله أن ينزل على موسى وعيسى حال أحفظ وأعرف معناه ، فكيف يكتب الله ؟ » ، بمعنى أنه : كان يعرف التوراة والانجيل الى جانب القرآن . أما عن ورعه وعبادته فكان مجتهداً فى الليل . وفى ذلك يروى أنه قام ذات ليلة يصلى : « فخر عليه السقف » ولكن الله نجاه إذ لم تسقط خشبة السقف التى تقابل رأسه ، مما سمح بإنقاذه من تحت الأنقاض (٣٦٩) .

والى جانب العلم والورع ترك يعقوب بن أفلح كثيراً من الآثار ، وذلك بفضل بنيه خاصة . فقد كان له ابنتان وابنتان أخوة أشقاء صاحبهما معه من تاهرت ، ولكنه رغم بقاءه فى وارجلان لمدة طويلة فإنه حبس ابنتيه عن التزويج ، مما يفهم منه أنه ربما لم ير فى أهل وارجلان من هو كفه لهما . وهذا ما قد يرجحه تزويج يعقوب - فى آخر الأمر - لاهلى ابنتيه لرجل صالح ، هو : حمو بن اللؤلؤة ، والأخرى لرجل من أهل الدنيا ، اسمه : العز بن محمد . وتضيف الراوية أنه كان عند حمو امرأة أخرى ، فلما عرفت بزواجه من ابنة يعقوب « خالطها الهم حتى ماتت (٣٧٠) » . ولا ندرى إن كان لهذا الحادث أثره فى قبيلة المرأة المتوفاة وهو الأمر المحتمل - أم لا .

(٣٦٨) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ١ ، قانون الدرجينى ، ص ٤٧ - ١ (المطبوع ، ص ١٠٥ : حيث اسم الشيخ الوريثانى « أبو صالح جنون بن يريان » الذى هو والد صالح) ، المجلد ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

(٣٦٩) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ١ ، وقانون الدرجينى ، ص ٤٧ - ب ، الذى ينص على أن يعقوب كان صاحب كرامات وإن تلك الحادثة كانت أحداثاً (المطبوع ، ص ١٠٥ - ١٠٦) . (٣٧٠) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ١ ، وانظر الدرجينى ، ص ٤٧ - ١ ، ٤٧ - ب ، حيث النص على أنه كان مع يعقوب ابنتاه وابنة ابن أخيه ، واسم الرجل الذى من أهل الدنيا هو العز بن محمد . وقانون المطبوع ، ص ٢٠٥ - حيث اسم الرجل من أهل الدنيا « حمو بن اللؤلؤة » ، والرجل من أهل الدين « العز بن محمد » .

الافتراق الرابع فى الإباضية بوارجلان : أبو سليمان بن يعقوب مرجع الإباضية فى وارجلان :

أما أهم آثار أبناء يعقوب بن أفلح فى وارجلان ، فهو الانشقاق (الافتراق) الرابع فى الإباضية هناك ، وينسب الى أبى سليمان بن يعقوب . والمعروف أن أبا سليمان كان محبا للدرس ، مثلما كان والده مقربا بالعلم . وكان من أهم الكتب التى درسها فى شبابه أحد الدواوين الذى كان يشك المتمسكون من أهل الدعوة فى أصالته ، حتى قالوا أن يعقوب والده أخذ على ابنه أبى سليمان ذلك ، وحذر منه أهل وارجلان فقال لهم : « لا تطعنوا اليه (أبى سليمان) فانه درس من ديوان أحمد بن الحسن » ، وهى العصة التى ينسبها إلا نأخذها على عواهنها . وبعد وفاة يعقوب بن أفلح الذى دُفن فى المقبرة الأميرية فى وارجلان — وهى المقبرة التى بناها جنون بن يمرى والد الأمير صالح ، والتى كانت حرائبها فى أيام أبى ركريا كالكربوة ، والتى يقول الدرجيني أنها من المشاهد المرورة — اجتمع أهل وارجلان على ابنه أبى سليمان واتخذوه مرجعا لهم فى فتاواهم ونوازلهم . وكانوا يجرون عليه وتلامذته الضيافة الى أن حدث الخلاف بينه وبين بعض كبار المشايخ ، مما أدى الى الانشقاق الرابع الجديد (٣٧١) .

ميل أبى سليمان بن يعقوب الى التشدد فى فتاواه ، والتزاع مع شيخ وارجلان الكبير أبى صالح جنون :

والظاهر من فتاوى مشايخ الإباضية التى وصلت إلينا أنها كانت تميل الى الرخص — على عكس ما كان يظن — وخاصة ما يتعلق منها بأمور الطعام والشراب ، فى الأقاليم شبه الصحراوية التى تمثل أوطان الإباضية ، وإن أبا سليمان بن يعقوب كان يميل الى التشدد فى تلك الأمور . وفى هذا المجال كانت أول مسألة أثارها أبو سليمان هى تنجيس الفرث ، وهى المسألة التى عارضها الشيخ أبو صالح جنون ، والد الأمير وصاحب المقبرة التى دُفن فيها يعقوب ، حتى أنه سمح لنفسه — وهو صائم — أن يفطر على العصب فيها فرث خوفا من الفتنة فى وارجلان . واستمر الجدل والمناظرة بين أبى سليمان والشيخ جنون فى تلك المسألة حتى تحولت الى مشاجرات ومنازعة ، ثم

(٣٧١) أبو ذكرى ، ص ٤٢ - ١ ، وقولن الترجمينى ، ص ٤٧ - ب (المطبوع ، ص ١٠٦)

(٣٧٢) أبو ذكرى ، ص ٤٢ - ب . وقولن الدرجيني ، المطبوع ، ص ١٠٧ .

انتهت الى المباحلة بين الرجلين . أى . طلب حكم الله عن طريق الاستخارة (٢٧٣) .

المباحلة بين الزعيمين :

وكما كانت العادة فى المباحلة : اتفق الرجلان على أن يتباهلا يوم الجمعة ، وأخذ الشيخ جنون فى العبادة والابتغال الى الله أن ينصر أحب الفريقين اليه . ولما كان يوم الجمعة اقترعوا فى موضع بين الكدية العظيمة المعروفة هناك باسم كريمة ، وبين الموضع المعروف باسم تسرسرين . وانتهت المباحلة فى مصلحة الشيخ جنون ، كما يقول أبو زكريا ، اذ بعد أن تم الدعاء على المبطل فضح الله إباسليمان ، « مما دعا الشيخ جنون الى إقامة مصلى - شكرا لله - بتسرسرين ، كان موجودا على أيام أبى زكريا (٣٧٣) » .

مسألة الخلاف بين السليمانية والوهبية فى وارجلان :

ورغم ما تقوله الرواية الإباضية من الانتصار على تحريف السليمانية ، فالظاهر أن تلك المازعة انتهت بتكريس الانشقاق وخروج فرقة رابعة فى وارجلان خالفت أهل المذهب من الوهبية فى سبع مسائل تشددت فيها الى حد التحريم ، وهى :

٢ - ثلاث تتعلق بالطعام ، من :

- ١ - تحريم الفريث
- ٢ - تحريم الجنين بعد ما ذبحت أمه (٢٧٤) .
- ٣ - تحريم المروق التى استبطنت الظهر بعد ما ذبحت .
الشاه .

ب - واثنتان تتعلقان بالطهارة ، من :

- ٤ - تحريم عرق الجنب .
- ٥ - تحريم عرق الحائض .

ج - وواحدة خاصة بالصوم ، وهى :

- ٦ - تحريم صوم يوم الشك .

«

(٢٧٣) أبو ذر . ص ٢١ - ب . وثلاث النوبختي . المجلد . ص ١٠٧ .
(٢٧٤) وعن الأئمة التى تعرف بالسفال ، انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٢ و ج ١١٨ .

- ٤٠٢ -

- د - والاخيرة خاصة بالزكاة : وهي :
٧ - تحريم الزكاة للقراية (٣٧٥) .

وهكذا لم تنته خلافات الاباضية الفقهية بسقوط تاهرت ، بل انهم حملوها معهم في مهاجرهم الجديدة ، رغم عدم وجود الامامة الرسمية التي ظهرت الانشقاقات السابقة وكأنها نوع من المعارضة لها ، باستثناء الافتراق الرابع الذي ظهر في وارجلان ، وكانه محاولة من يعقوب بن اقلح وابنه ابي سليمان للم التمثل حولهما . اما الانشقاق الخامس فقد قام في حيز جبل نفوسة في بلدة قنطرة .

الافتراق الخامس في الاباضية بقنطرة :

ظهر الانشقاق الخامس في الاباضية - مثله في ذلك مثل الانشقاق الرابع - كرد فعل للرخص والتساهل الذي ظهر في المجتمع الاباضى ، والذي كان نتيجة طبيعية للمعاماة التي كابدتها المجتمع في المناطق الانعزالية التي عاش فيها بعد سقوط تاهرت ، وخاصة من الناحية الاقتصادية ، بعد عصر الازهار الذي عرفه الاباضية على أيام الائمة الاوائل .

وصاحب الانشقاق الخامس رجل من أهل قنطرة اسمه عبد الله ، ويكنى بأبد الله ، واشتهر بلقب السكاك . وعرف والد أبد الله بالصالح

(٣٧٥) أبو زكريا ، ص ٤٢ - ب - حيث يقول ان تعصيل الخلاف في هذه المسائل وارد في كتاب أخبار أبي الربيع سليمان بن روتون النفوسى - الذي لا سر ، للأسف ، عن حصيه شيئا ، ولو ان أبا زكريا يشير الى أن بعض مصاصيه أدرك ديوان أبي الربيع سليمان ، وكتبه بقرية « تاديوت » . وفي سيرة أبي الربيع - الذي كان يلقى في مسائل الرخص كثيرا ، إذ يصح أبو زكريا (ص ٤٣ - ب) حل أنه كان يرقع جيبه برقعة منجوسة بعد أن ينزع بعض أطرافها ، كما كان يسبح لنفسه بشرط كل ما كان من الماء في كوز قدمته له صبيوؤ وهي تقول له احرب قليلا ، وذلك بناء على تفسيره للآية التي تقول : « قل محتاج الدنيا قليل » ، مثله في ذلك مثل أبي الخطاب وسليم الزواغى . مسامر أبي الربيع ، الذي كان لا يرى منازعة رجل ادعى عليه دينار وهو لا يعرفه . كما كان يلقى رجلا من اغنياء بني يهراسن أن يعطى الزكاة الى أخ فقير له (ص ٤٤ - ب) - ينص كاتبنا على أنه كان معاصرا وذهيلا لأبي يزيد مخلص بن كيداد المعروف عند مؤرخي المغرب بصاحب الحمار الذي قام بالثورة على القائم والمنصور الفاطميين (ص ٤٢ - أ) . والذي تتميز دعوته انحرافا جديدا من منحى أهل الحق من الوهبية (ص ٤٣ - ب) وقارن البريجيني ، المخطوط ص ٤٣ - ب والمطبوع ، ص ١٠٩ : حيث قرأه لضم قرية أبين ذوقون « تاديوت ») ، وهو ما سنعود اليه عند كلامنا في الدولة الفاطمية .

والتقوى ، ووجه ابنه السكاك الى طلب الغلم الذى نبغ فيه ، فكانت له .
اجتهاداته الخاصة التى خالف فيها أهل المذهب . والحقيقة أن المسائل السبعة
التي خالف فيها مشايخ قنطرة تختلف كثيرا عن مسائل الانشقاق الرابع .
انتى نادى بها أبو سليمان بن يعقوب ، مما جعل خصومه من الوهبية الذين
سموا أنفسهم بأهل العدل يقفون منه موقفا عدائيا شديدا ، حتى قالوا : انه .
عندما ولد أبده الله (عبد الله السكاك) فى قنطرة ، بينما كان والده
يؤدى فريضة الحج ، رأى هذا الأخير : « انه رأى فيما يرى النائم أنه توالد
عنده شيطان » (٢٧٦) . والحقيقة أيضا أن مسائل السكاك الخاصة بالنجاسة .
والطهارة إذا كانت مقبولة فإن المسائل الأخرى الخاصة بأصول التشريع .
والصلاة تدل على تعصب غير مقبول ، يسمح بالوقوف منها موقف المعارضة
الشديدة . ومسائل السكاك السبعة هي :

- ١ - إبطال السنة والرأى - مما يعنى انه لا يقبل إلا القرآن كمصدر .
وحيد للتشريع .
- ٢ - صلاة الجماعة بدعة .
- ٣ - الأذان بدعة .
- ٤ - الصلاة لا تجوز إلا بالمفهوم من القرآن .
- ٥ - الاجنة نجسة .
- ٦ - الصلاة لا تجوز بثوب فيه القمل .
- ٧ - إذا بالت الدواب فى الأندر (القمح أثناء الدرس) لا يطهر
إلا بالغسل (٢٧٧) .

وهكذا يظهر تشدد السكاك ، فى : أمور التشريع ، والعبادات ، ومسائل
الطهارة والنجاسة فى الثياب وفى الطعام ، بشكل يخالف ما اتفق عليه .
جمهور المشايخ ، سواء فى تاهرت الرستمية ، أو فى مراكز الإباضية المتفرقة .
فى صحراوات المغرب ، أو فى جبل نفوسة فى العصور التالية ، كما يظهر
فى سير المشايخ وطبقاتهم .

وبهذا التعريف المقتضب بالافتراقتين الرابع والخامس عقب سقوط
تاهرت بين أيدي الفاطميين ، وبعد ذلك بفترة زمنية لا بأس بها ، تكون قد

(٢٧٦) أبو زكريا ، ص ٤٥ - ب ، وقارن الدرجين ، المطبوع ، ص ١١٨ .
(٢٧٧) نفس المصدر . ويلاحظ أن الدرجين يضع بدل نجس الاجنة نجس القول التى
ثبتت فى الجئات فى ساد بنى آدم ، وذلك لنجاسة ما ثبت عليه .

• انتهينا من موضوع الدولة الرستمية في المغرب الاوسط ، فلا يبقى لنا قبل عرض تاريخ المغرب الأقصى حيث الدولة الادريسية الى حين قيام الدولة الفاطمية الا محاولة رسم خريطة لامامة تاهرت .

• حدود اماره تاهرت :

رغم ما رأيناه من أن امامة تاهرت كانت تمتد بمعددها الى طرابلس وجبل نفوسة ، فانه من الصعب رسم خريطة محددة لامارة الرستمين ، وذلك لأنها كانت مملكة بدوية أو صحراوية تبسط سلطانها على قبائل البادية أو الصحراء . فمع أن هذه القبائل اتخذت بعض المراكز في القرى الجبلية أو الواحات الصحراوية الا أنها ظلت في حالة ميومة لا يستقر لها قرار ، فكانت تنتقل من مكان الى مكان حسب الظروف الطبيعية أو السياسية . والمثل لذلك هو ما اشرنا اليه من انتقال (الكار) الى ظاهر تاهرت ثم الى حيز طرابلس ، وانتقال عبد الوهاب بن رستم الى جبل نفوسة وخروج أبي حاتم يوسف من تاهرت نفسها الى حصن لواته وأخيرا التجاء يعقوب بن افلق الى وارجلان (٢٧٨) . وهذا يعني أن مساح الرعي للقبائل التي ساندت الدعوة الخارجية في المغرب الأوسط ، والتي كانت تنتشر جنوبا في كل بلاد الزاب ، دخلت في نطاق الامامة الرستمية .

وإذا كانت الاقاليم الساحلية القريبة من تاهرت مثل أسافل وادي شلف قد خضعت للمغرب الأقصى حيث قام الإدارة في فاس ، فإن القبائل الخارجية امتدت في الصحراء غربا حتى فجيج (٢٧٩) وجنوبا بغرب حتى سجلماسة ، حيث أقامت جماعة الصفرية امامة لها هي الاخرى . أما من جهة الشرق فقد رأينا أن خوارج تاهرت أصلا من اقليم طرابلس ، مهدد الاباضية في المغرب (٢٨٠) . ولما كانت صحراوات طرابلس الجنوبية امتدادا طبيعيا لصحراوات الريفية والمغرب الاوسط ، حيث تلتقي الطرق الصحراوية في الاقاليم الثلاثة ، فإن هذا يعني ان اماره تاهرت امتدت الى منطقة طرابلس وجبل نفوسة ، أو أنها كانت متصلة بها بشكل من الاشكال (٢٨١) :

(٢٧٨) انظر فيما سبق ، ص ٢١٥ ، ٢٢٥ ، ٢٧٣ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٢٧٩) انظر جوتييه ، ماضي شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٢٢١ - ٢٢٢ .

(٢٨٠) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٠ وهـ ٧ .

(٢٨١) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٦ ، ٣٥١ وانظر فيما بعد ، ٤٠٦ .

وإذا كثرت المصادر التي بين أيدينا لا تبين حدود الامامة الرستميّة والبلدان الداخلة في نطاقها ، فانه يمكن القول ان كل اقليم من الاقاليم والقرى التي كانت تدين بمذهب الخوارج وخاصة الاباضية - كانت داخلة في سلطان تاهرت . وفي هذا المجال تكون كتب الجغرافية والرحلة أهم مصادرنا ، ولو أن معظمها تم تأليفه بعد انتهاء تاهرت على أيدي الفاطميين وانتشار آباضيتها في واحات الصحراء ، مما يمكن أن يكون قد ترتب عليه ازدياد انتشار المذهب في الواحات الجنوبية ، بالشكل الذي يشير اليه الكتاب (٢٨٢) .

وإذا ما قبلنا هذا المنهج على علته يكون امتداد مملكة تاهرت ما بين جبل نفوسة شرقا وتاهرت غربا - فأهل جبل نفوسة كانوا أباضية متعصبين الى مذهبهم ، مفضلين اياه على سائر المذاهب (٢٨٣) ، وما زالوا على ذلك الى اليوم .

وهكذا كان تازيح هذا الجبل طوال حياة امامة تاهرت جزءا من تاريخ تلك الامارة ، وهذا ما ينص عليه اليعقوبي (٢٨٤) . ولقد كان جبل نفوسة مركز اشعاع للمذهب الاباضى في كل الاقاليم المجاورة ، كما يتضح من كتب أهل الجبل التي وصلت الينا ، من : أمي زكريا والدرجيسي والوسيانى ومن نقل عنهم مثل الشماخي (٢٨٥) ومن أتى بعده من المحدثين كالباروني ، فالغبنوم

(٢٨٢) انظر البكري ، ص ٧٩ (من انتقال أهل تاهرت الى مدينة فكان على مسيرة ٤ مراحل سنة ٢٣٨ هـ وتدينها على أيديهم) . وانظر ص ٣٩٨ وما بعدها .
(٢٨٣) الشماخي ، ص ٣٦٦ .

(٢٨٤) انظر البلدان ، ص ٣٤٦ (حيث يقول عن نفوسة وهم قوم عجم اللسان اباضية كلهم ، لهم رئيس يقال له الياس لا يخرجون عن امره ، ومنازلهم في جبال طرابلس في ضياع وقرى ومزارع وصناعات كثيرة لا يؤدون خراجا الى سلطان ولا يسطون طاعة الا الى رئيس لهم بتاهرت ، وهو رئيس الاباضية ، يقال له عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن وستم - فارسي) . وقانون ابن حوقل (ط بيروت) ، ص ٩٢ : حيث يقول ان جبل نفوسة كان دار حجرة الخوارج من قديم الايام . بل ويص على أن عبد الله بن ابادس وقبيلة عبد الله بن وصب الراسبي ما لا به ، والله لم يدخل أهل هذا الجبل في عهد الاسلام اى سلطانه ولا سكنه غير الخوارج منذ أول الاسلام . بل منذ خروجهم على علي بن أبي طالب ووقطعة النهروان .

(٢٨٥) وتكفي هنا بالنظر في الشماخي ، ص ٢٦ (عن تطبيق مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحييل نفوسة واصلاح الاسواق : ... عاثبوا التصاب على تلغ الشقة . ومنمو الجبال ان يحمل على دابته فوق طاقتها ...) ص ٢٢٨ (رجع الفضل الى قاضي الجبل - صبروس بن فتح في نقل مدفوعة امي غانم الغرساني ، وهي في ١٢ جزءا ، ولولاهما لبقي اذ المذهب من غير ديوان المغرب يمتدنون عليه - وذلك بعد سقوط تاهرت واحراق كتبها) .
ولو انه ينقل بعض هذه المعلومات عن مؤرخي تاهرت مثل ابن الصغير (انظر فيما سبق ص ٣٦٦) .

- ٤٠٦ -

ان المنهب انتشر منه الى الصحراوات الجنوبية في فزان وودان (٢٨٦) ، وفي غرب نفوسة انتشر الخوارج في أرض نفزاوة (٢٨٧) . وفي الاقليم الساحلي انتشروا ما بين طرابلس وقابس ، وكانت أشهر مراكزهم الساحلية جزيرة جربة (٣٨٨) . وانت واحات قسطنطينية وبلاد الجريد - في الاقاليم الجنوبية لافريقية من قواعد الخارجية الهامة (٢٨٦) . وفي الغرب من افريقية كان جبل أوراس من أقوى معاقل الخارجية (٣٩٠) .

وبعد ذلك تأتي بلاد الزاب - المؤدية الى ورجنة (وارجلان) - التي كانت تعتبر من أعمال مملكة تاهمرت (٣٩١) . أما من جهة المغرب الأقصى فلقد سيطر الخوارج على الصحراء حتى سجلماسة التي عرفت كمركز للصفرية . وعن طريق الواحات وسجلماسة ، وأودغست في جنوبها ، نقل الخوارج نشاطهم الى بلاد السودان في تادمكت (تادمكة) وغانة ثم مالي - فيما بعد - حيث نشروا الاسلام وجمعوا كثيرا من الثروات في العصور التالية للامامة (٣٩٢) .

-
- (٢٨٦) الشماخي ، ص ١٩٠ (حيث يخصص فصلا لتراجم اباضية أهل فزان) .
 (٢٨٧) عن خوارج نفزاوة ابن حوقل ، طبعة بيروت ، ص ٩٣ .
 (٢٨٨) الكرى ، ص ٨٥ ، الشماخي ، ص ١٦١ . وانظر ص ٤١٦ حيث يقول ان أهل حرمة نكلر ، وعن عقيدتهم ، ص ٥٦٢ . وعن حرمة يقول ابن حلفون (ج ٦ ص ١٢٢) انهم من بطون قبائل لماية - حلفاء الرستينيين - وبهم سميت الجزيرة البحرية تجاه قابس .
 (٢٨٩) ابن حوقل ، ص ٩٢ (يذكر وجود الخوارج في قصبة وطفة والحمامة وسباطة ويشري) والشماخي ، ص ٣٤٧ (العامة) ، ص ٣٥٠ (الجريد) ، ص ٤٠٣ (توزد) ، وعن قسطنطينية (يكتبها في شكل قسطنطينية) ص ٢٨٠ .
 (٣٩٠) الكرى ، ص ١٤٤ (تسكنه قبائل مراة وخريسة وكلهم اباضية) :
 (٣٩١) من مدن الزاب القريبة من أوراس يافاية وكلهم اباضية على أيام البكري (البكري ، ص ١٤٤) ، وكذلك أهل طبعة وادس (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، وتهمدة - حيث كان يسكن في جوليها هواره ومكناسة وهم من الاباضية (البكري ، ص ٧٢) - وبسكرة (ابن حوقل ، ص ٩٣) ، وعن ورجلان وخوارجيا ابن الشماخي ، ص ٣٥١ ، ٣٦٥ ، ٣٧٣ ، ٤١٨ .
 (٣٩٢) الطر الوسبياني ، المخطوط ، ص ٢٦ - ١ (غانة وتادمكت) ، ص ٥٢ - ١ (طريق القبلة) ، ص ٨٢ - ب (تادمكت) الخ . وقارن الشماخي حيث نجد خلال تراجم الشيوع أمثلة لهذا النشاط ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ (عن نشاط الاباضية بسجلماسة) ص ٤٧٨ (عن رحلتهم الى اودغست) . ص ٣١٢ عن تيشير ملك السودان ودخوله الاسلام) ، ص ٤٥٧ (عن نشاطهم في جميع المدن والدعوة الى الاسلام في لماة) ، وعن نشاطهم في جميع الاحوال في تادمكت ، ص ٤١١ .

الفصل الرابع

إمامة بنى واسول الضُّفيرة في سِجْلَمَاسَة

(١٤٠ هـ / ٧٥٧ م - ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م)

موضع سجلماسة :

تقع سجلماسة في شمال وادي درعة ، على طرف الصحراء جنوبا في آخر بلاد العمران ، وتليها المفازة الكبرى التي تؤدي الى غانة من بلاد السودان، وكان يسكن تلك المفازة قبائل الملثمين الصنهاجية من مسولة وملتونة (١) . ومنطقة سجلماسة تعرف الآن باسم تافللت (٢) . أما المدينة القديمة (الريساني حاليا) فلم يبق لها الا الذكر - والمعروف ان مدينة سجلماسة لم تكن قديمة، بل محدثة : مثلها مثل تاهرت ، وان بناتها كانوا من الصفرية من قبيلة مكناسة . ولقد كانت قبيلة مكناسة من أهم قبائل البربر التي ايدت ثورة ميسرة في اقليم طنجة (٣) .

والحقيقة أنه يوجد طريق قديم هام ، سلكته الهجرات والقوات الفاتحة ، يربط شمالا بين مدينة فاس ومدينة مكناسة - التي مازالت تحمل اسم تلك القبيلة - وبين اقليم تافللت أي سجلماسة جنوبا (٤) .

بناء المدينة :

وينسب ابن عذاري بناء المدينة الى أبي القاسم سمفون بن واسول المكناسي،

(١) كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ والهوامش .

(٢) انظر فيما سبق (تافللت) ، ج ١ ص ٧٣ .

(٣) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٨٦ ، وابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ (الفصل الخاص بمكناسة ودولة بني واسول) .

(٤) انظر جوتييه ، ماضي شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٣١٧ (هذا الطريق يسمى « طريق السلطان » كما يقول جوتييه)

الذي « كان صاحب ماثية كثيرة ، وكان ينتجع موضع سجلماسه » (٥) .
والحقيقة أن ابن واسول هو مؤسس الأسرة التي ستسود سجلماسه الى قيام
الدولة الفاطمية ، نظرا لفناءه ، ولأنه كان يرتاد تلك المنطقة التي كانت سوقا
يجتمع فيه بربر تلك النواحي (٦) . أما عن باني المدينة الحقيقي أو مؤسس
الجماعة الخارجية في سجلماسه ، فهو - كما ينص البكري وابن خلدون وكما
يشير ابن عذاري أيضا - رجل سوداني الأصل من الموالي ، اسمه عيسى بن
يزيد الاسود (٧) . ويتفق صاحب الاستبصار وابن عذاري وابن خلدون على
أن جماعة من الصفرية يبلغ عددها ٤٠ (أربعين) رجلا اجتمعوا ، في سنة
١٤٠ هـ / ٧٥٨ م ، في موضع سجلماسه حيث تدهاولوا في أمرهم ، وبعد
أن قدموا على أنفسهم عيسى بن يزيد الاسود - الذي كان له شأن بين الخوارج -
شرعوا في بناء سجلماسه (٨) .

والفهم ، بطبيعة الحال ، أن جماعة الصفرية هؤلاء من قلول اصحاب
ميسرة . واختيار رجل من السودان للإمامة هنا يبين اتجاه الجماعة الصفرية
الى تطبيق مبدأ اللاعنصرية و (اللاعصبية) للإمام ، وهو الشرط الذي أشرنا
اليه عند اختيار عبد الرحمن بن رستم (٩) . وذلك حتى يمكن التخلص من
الامام اذا ما حاد عن العدل ، وهذا ما ستفعله جماعة سجلماسه بامامها عيسى
ابن يزيد . ومع ان البكري يذكر ان بناء سجلماسه من الصفرية ، الا أنه
يجعل عيسى بن يزيد الاسود من اصحاب أبي الخطاب الاباضي ، وينسب

(٥) ابن عذاري ، ج ١ ص ٥٦ . وقارن ، ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠) الذي يسميه
مسكو (سحر) بن واسول بن هلال بن أبي يزول .

(٦) الاستبصار ، ص ٢٠١ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ .

(٧) البكري ، ص ١٤٩ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ، ج ١ ص ٢٦١ ،
ابن عذاري ج ١ ص ١٥٦ .

(٨) نفس المصادر السابقة . ونلاحظ هنا أن صاحب الاستبصار (ص ٢٠١) يخطئ
عندما ينسب بناء مسجد سجلماسه في سنة ١٤٠ هـ الى مدوار بن عبد الله ، وينسب اليه أنه
كان رجلا من أهل الحديث وأنه لقي عكرمة مولى ابن عباس رشح عنه (عن عكرمة البربري
الأصل والتوفي سنة ١٠٤ هـ / ٧٢٢ م النظر ترجمة ابن خلدون ، حاشي ٢ ص ٢٠٣ ،
والظاهر أنه يقصد والده سمعون بن واسل كما يصح على ذلك ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠)
والترجمة ج ١ ص ٢٦١) . أما عن مدوار فيسكن له دوره في عمران المدينة كما تنبئ
فيما سدد .

(٩) أنظر ليليا سبق ، ص ٣٠١ .

عزل عيسى بن يزيد والتخلص منه الى مقالة قالها ابو الخطاب في حقّه (١٠) .
وهذا يعنى أن قيادة جماعة سجلماسة كانت اباضية الأصل .

ومع أن البكرى يخطئ عندما يجعل مقالة ابي الخطاب سببا في عزل عيسى الذي ولى ١٥ (خمسة عشر) عاما ، أى أنه عزل في سنة ١٥٥ هـ / ٧٧٢ م بعد أكثر من عشر سنوات من مقتل ابي الخطاب ، فإن ذلك لا يعنى نفى أن عيسى كان من أصحاب ابي الخطاب . فمن الممكن أن يكون قائل المقالة التى أودت بعيسى هو أبو حاتم خليفة ابي الخطاب (١١) ، وليس الأخير نفسه . هذا . كما يمكن التفكير فى أن تكون المقالة لعبد الرحمن بن رستم الذى كان له زعامة الخوارج في المغرب في ذلك الوقت . ويمكن أن يؤيد وجهة نظرنا هذه أن صغرية سجلماسة كانوا على علاقة وثيقة باباضية تاهرت مما جعل التفرقة صعبة بين الاباضية والصغرية ، حتى أن ابن خلدون يقول عن سمفون (سسكو) بن واسول أنه كان اباضيا صغريا (١٢) . وهذا الأمر مقبول ، فالحركة الخارجية كانت قد انتهت منذ سنة ١٢٣ هـ أو ١٢٤ هـ في المغرب الأقصى ، وتسلمت أقاليم المغرب الادنى قيادة الحركة بعد أن غيرت تعاليمها، وجعلتها اباضية أكثر اعتدالا تحت قيادة ابي الخطاب .

سجلماسة الأولى وتطورها العمراني :

والذى يهمننا هنا هو أن سجلماسة في أول أمرها ، عندما كانت منزلا لسمفون بن واسول ، لم تكن بأكثر من مجمع للخوارج الصغرية يضربون فيها خيامهم (١٣) . وأخذ المنزل البدوي يتطور مع تطور الأحداث ، فبعد انتخاب عيسى بن يزيد الاسود اماما « شرعوا في البناء » (١٤) . ولكنه كان بناء ساذجا بطبيعة الحال ، يتفق مع بساطة الجماعة في ذلك الوقت : بمعنى أن سجلماسة لم تكن بأكثر من قرية صحراوية . وظلت المدينة ، بعد التخلص من عيسى بن يزيد ، على شكلها هذا على أيام ابي القاسم سمفون

(١٠) انظر البكرى ، ص ١٤٩ (قال ابو الخطاب يوما لأصحابه في مجلس عيسى : السوادان كلهم سراق حتى هذا . وأشار الى عيسى فأخبروه وشدوه ولاقوا الى شجرة في رأس جبل وتركوه حتى قتله البعوض ، لمسى الحبل جبل عيسى الى اليوم) . ولارن ابن خلدون ج ٦ ص ١٣٠ وعن ابي الخطاب انظر فيما سبق ، ص ٤٠١ وما بعدها .
(١١) من ابي حاتم انظر فيما سبق ، ص ٣٧١ وما بعدها .
(١٢) المعبر ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة . ١ ص ٣٦٢ (هذا وان ابن خلدون يذكر بهذا ذلك أن بعض الأئمة كان صغريا وبعضهم كان اباضيا) .
(١٣) ابن هدارى ، ج ١ ص ١٥٦ (وسكنوا منه هناك في خيمات) .
(١٤) ابن هدارى ، ج ١ ص ١٥٦ .

ابن واسول (١٥٥ - ١٦٨ هـ / ٧٧٢ - ٧٨٤ م) (١٥) ثم ابنه الياس بن ابي القاسم (١٦٨ - ١٧٤ هـ / ٧٨٤ - ٩٠ - ٧٩١ م) (١٦) :

وعلى أيام الرابع من أمراء سبلماسة ، وهو اليسع بن ابي القاسم ، الذي خلع أخاه الياس والذي عرف بأبي الوزير ، وطالت امارته الى ما يزيد على ثلث قرن (١٧٤ - ٢٠٨ هـ / ٨٩٠ - ٨٢٣ م) ، اتخذت سبلماسة شكل العاصمة . فلقد عرف اليسع بن سمفون بنشاطه وجده في سبيل تقوية الامارة الصفرية ، وتوسيع رقعتها ، حتى وصفه الكتاب بأنه كان جبارا عنيدا (١٧) . اخضع اليسع قبائل البربر المحيطة بسبلماسة ممن لم تكن قد خضعت لهم وادخلها في طاعته ، فكان صاحب الفضل في نشر المذهب الصفرى (١٨) . وانتشر سلطان اليسع حتى وادى درعة ، وبفضل ما كان يأتيه من الأموال وخاصة ما كان مفروضا على مناجم درعة (خمس معادن درعة) ، ازداد العمران في سبلماسة . ويرجع الفضل الى اليسع - كما قلنا - في أن اتخذت المدينة شكل العاصمة اذ جعلها مقرا له ، وبني فيها القصور والدور ، وخزانات المياه (المصانع) ، وبذلك اتم بناؤها وتشبيدها ، كما يقول ابن خلدون (١٩) .

وكان من الطبيعي أن يحيطها - بعد ذلك - بسور قوى حتى يأمن فيها من عدو يطرقه . ولما كانت المنشآت ذات المنافع العامة تعتبر من أعمال البر والتقوى ، رأى امام سبلماسة أن يكون السور، الذي يحمي المدينة والجماعة.

(١٥) انظر البكري ص ١٤٩ (يقول انه مات فجأة في صلاة العشاء بعد ١٣ سنة) ، ابن عسار ، ج ١ ص ١٥٦ (يقول فلم يزل واليا عليهم الى ان مات سنة ١٦٨ هـ) ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢) الذي يقول انه حكم ١٢ سنة ومات فجأة سنة ١٦٧ هـ .

(١٦) انظر البكري (ص ١٥٠ الذي يقول ان الياس كان يلقب بأبي الوزير) ، وقارن ابن خلدون (ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢) الذي يلقبه بالوزير ، والاصل يجل ولاته سنة ١٩٤ هـ وهي في الترجمة سنة ١٧٤ هـ . وقارن ابن عسار (ج ١ ص ١٥٦) الذي يقول ان حكمه سنتان فقط ويكمل خلفه يندى أخيه اليسع في سنة ١٧٠ هـ ، ويظهر خطأ ابن عسار هنا عندما يجل وفاة اليسع سنة ٢٠٨ هـ ويحسب سن حكمه فيجلها ٢٤ سنة (ص ١٥٧) . فلكي يكون هذا الرقم صحيحا ينبغي أن تكون ولاية اليسع سنة ١٧٤ هـ .

(١٧) ابن عسار ، ج ١ ص ١٥٧ .

(١٨) ابن عسار ، ج ١ ص ١٥٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ (وكان صفرى ١٠٠٠) .

(١٩) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ - ١٣١ ، والترجمة ج ١ ص ٢٦٢ .

من عمله هو لا يشاركه فيه أحد (٢٠) . ويضيف صاحب الاستبصار الى ذلك . ان حملة النقة على السور بلغت ألف مد من الطعام (٢١) ولقد بنى السور بالحجارة من أسفله وبالطوب من أعلاه (٢٢) .

هذا ويقول صاحب الاستبصار أنه كان لمدينة سجلماسة ١٢ (اثنا عشر) بابا ، ولكننا نظن أن ذلك كان على إمامه هو ، بعد أن عظمت المدينة في عهد المرابطين الذين وجهوا جهودهم نحو بلاد السودان التي كانت سجلماسة بابها . ولهذا السبب اعتبرها صاحب الاستبصار « من أعظم مسكني المغرب » (٢٣) .

أما عن تاريخ بناء السور فيحدده ابن خلدون بالسنة الـ ٣٤ (الرابعة والثلاثين) من ولاية اليعسج (٢٤) ، أي في السنة الأخيرة من حكمه ، وهي سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ - ٨٢٤ م . وهذا يعني أحد شيئين : إما أن السور قد تم بناؤه خلال سنة واحدة (سنة ٢٠٨ هـ) ، وإما أن يكون اليعسج قد بدأ البناء وأكمّله بعده ابنه مدرار (سنة ٢٠٨ - ٢٥٣ هـ / ٨٢٣ - ٨٦٧ م) الذي اتخذ اللقب الحلفي « المنتصر » (٢٥) . وذلك ما يؤيده اللبس الذي وقع فيه الكرى ، وتبعه فيه صاحب الاستبصار ، عندما نقل بعض الروايات التي تسبب بناء سجلماسة نفسه في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٨ م الى مدرار بن اليعسج (٢٦) . ولما كان المعروف أن مدرار ملك ابتداء من سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، قائل تلك الرواية أن مدرار المقصود كان رجلا حدادا « من ربيعة قرطبة » ، خرج من الأندلس عند وقعة الربيض فنزل منزلا بقرب سجلماسة ، وموضع سجلماسة إذ ذاك سوق البربر بتلك النواحي ، فأنشأ مدرار خيمة وسكنها معي الناس حوله ، فكان ذلك أصل عمارتها ، وكان رجلا أسود وأولاده هجوا بذلك « (٢٧) . وواضح من تلك الرواية ان المقصود بمدرار فيها هو

(٢٠) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢١) الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٢) ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٢٣) الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٠ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢ .

(٢٥) عن تقليده بالمنتصر انظر البكري ، ص ١٥٠ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ .

ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٣٦ والترجمة ج ١ ص ٢٦٢ ، وقول الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٦) البكري ، ص ١٤٩ . الاستبصار ، ص ٢٠١ .

(٢٧) الاستبصار ، ص ٢٠١ . البكري ، ص ١٤٩ .

نعيسى بن يزيد الأسود أول امام لسجلماسة ، وهذا يعني أن تلك الرواية خاطئة ، كما ينص على ذلك البكري نفسه (٢٨) .

ورغم خطأ تلك الرواية فالظاهر أنها تحوى شيئا من الحقيقة . ففي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م أى قبيل الوقت الذى بدأ اليعسج ينشئ فيه السور (سنة ٢٠٨ هـ) ، وقعت فى قرطبة الفتنة المشهورة « بوقعة الرضى » والتى انتهت بأن خرب الحكم ابن هشام الحى الجنوبي الكبير من قرطبة ، المعروف بالربضى أى الضاحية ، وطرد أهله من الأندلس ، فسار كثير منهم الى المغرب ، كما اشتركت أعداد منهم مع الغزاة فى مغامرات كبرى عبر البحر انتهت بهم الى الاسكندرية ثم الى كريت (أقریطش) (٢٩) . والمعروف ان أولئك الربضيين الذين ساروا الى المغرب وصلوا فى الوقت الذى كانت فيه تنشأ مدينة فاس ، وأنهم اشتركوا فى إعمارها ، واتخذوا لهم حيا فيها سمي باسمهم فهو « عدوة الاندلسيين » (٣٠) .

وبناء على ذلك نرى انه ربما كانت مدرار الرضى أصلا من الصحة ، ولا يستبعد أن يكون بعض هؤلاء الربضيين ، الذين أوغلوا فى المغامرة حتى شرق البحر المتوسط قد اتخذوا طريق الهجرات القديم المؤدى من منطقة فاس الى سجلماسة (٣١) ، وأن اليعسج بن ابى القاسم سمفون رحب بهم واستعان بهم فى بناء السور سنة ٢٠٨ هـ ، ولكنه مات فى نفس السنة قبل أن يتم السور ، فأكملوه على عهد ابنه مدرار المنتصر ، وعن هذا الطريق يمكن تفسير التصاق اسم مدرار بالربضيين .

ونعتقد أن حركة العمران الكبيرة التى عرفتها سجلماسة أيام اليعسج ، من بناء القصور والدور والمصانع ، والتى جعلت المدينة بحق عاصمة الجنوب ، تمت بمشاركة الأندلسيين من أهل قرطبة ، وذلك انه كانت قد وقعت عدة اضطرابات فى رضى قرطبة قبل ثورة سنة ٢٠٢ هـ . والحقيقة ان انتقال سجلماسة من قرية صحراوية الى عاصمة من عواصم المغرب لا بد له من تفسير مثل هذا ، مثل سجلماسة فى ذلك مثل مدينة فاس .

(٢٨) البكري ، ص ١٤٩ .

(٢٩) أنظر ليلي بروفنسال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية (بالفرنسية) ، طبعة ١٩٤٤ ص ١١٩ - ١٢١ ، وأنظر للمؤلف ، تاريخ الاسكندرية من اللج العربى الى قيام الفاطميين .

لغير كتاب تاريخ الاسكندرية منذ أقدم العصور ، الاسكندرية ١٩٦٣ ، ص ٣٦٧ ، ٢٧٥ .

(٣٠) أنظر فيما سجد فى جهاد مدينة فاس ، ص ٤٤١ .

(٣١) أنظر فيما سبق ص ٢٢٨ .

مدرار بن اليسع : مرحلة أولى (٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م - ٢٢٤ هـ / ٨٣٦ م)

الاضطراب في سجلماسة يعقبه فترة ازدهار :

والظاهر أن سجلماسة عرفت فترة من الاضطراب في السنة الاخيرة من حكم اليسع أو بعد وفاته في سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م بسبب التنافس على الملك بين الأمير السابق الياس وبين ابن أخيه ولي العهد مدرار بن اليسع . بهذا ما يمكن أن يكون حلا للمشكلة التي يثيرها ابن عذارى في حولياته سنة ٢٠٧ هـ / ٨٢٢ م عندما يقول انه بعد وفاة اليسع في تلك السنة : « قدم أهلها (سجلماسة) على أنفسهم أخاه الياس المنتصر بن أبي القاسم الذي كانوا خلعوه (٣٣) » ، وهو الأمر الذي يخالف ما يذكره في الفصل الخاص بالتحريف بسجلماسة عندما يذكر ان اليسع توفي سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م « ثم ولي ابنه مدرار بن اليسع ، وهو المنتصر بن سمفون المتقدم ذكره » (٣٣) .

والواضح من نعت النصوص التي وصلتنا ، هو أن سجلماسة واصلت عهد الرقي والازدهار على أيام مدرار بن اليسع ، الذي كان يزعم بمصاهرته لائمة تاهرت اد كان قد تزوج منذ أيام والده بإحدى الاميرات الرستميات التي كان لها شأنها في سجلماسة حتى انها أعطت اسمها ، وهو أروا إلى ابنها ميمون بن مدرار ، فاشتهر باسم ابن أروا وبابن الرستمية (٣٤) . ولما كانت النصوص تقول ان أروا هي ابنة عبد الرحمن بن رستم الذي توفي سنة ١٦٨ هـ / ٧٨٤ م فان ذلك يعني أن مدرار بن اليسع لم يكن في مقتبل العمر عندما ولي الامامة الصغرية سنة ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م ، بل كان شيخا مسننا . وهذا ما يؤيده الاضطراب الذي حدث في سجلماسة سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م أي بعد حوالي ١٣ (ثلاثة عشر) سنة من ولاية مدرار ، وذلك بسبب الصراع على السلطنة بين ولديه ميمون بن أروا الرستمية والآخر الذي عرف بابن بقية ، نسبة إلى والدته هو الآخر ، كما نظن (٣٥) .

(٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٦٧ (في ذكر ولاية ريادة الله بن الأغلب الريقية وبعده .

أخباره) .

(٣٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٣٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٧ .

(٣٥) انظر بن عذارى ، أخبار سنة ٢٢١ ، ج ١ ص ١٠٦ ، والتحريف بسجلماسة .

ص ١٥٧ ، وقارن الكرى (ص ١٤٩) ، الذي ينقله ابن عذارى ، كما نظن ، حيث القراحت

نقبة بدلا من بقية ، كما يقول ان اسم ابن بقية هو ميمون أيضا .

الصراع على السلطنة في سجلماسة بين ولدي مدرار ، ميمون وابن بقية :

والذي يفهم من الرواية هو أن مدرار بن اليسع ، وهو الامام ، كان يقف موقف المتفرج على ولديه اللذين ظلا يتقاتلان طوال ثلاثة أعوام ، من سنة ٢٢١ هـ / ٨٢٦ م الى سنة ٢٢٤ هـ / ٨٢٩ م . وفي السنة الأخيرة وقف مدرار الى جانب ابنه ميمون بن الرستمية ، فمال اليه أهل سجلماسة وبذلك رجحت كفته ، ونجح في اخراج أخيه ابن بقية من سجلماسة .

استبعاد ابن الرستمية ، وعودة الأمر الى مدرار :

وما أن استقرت الأمور لميمون حتى رأى أن يستقل بالأمر تماما ، فأمر باخراج والده مدرار ووالدته أروا الى بعض قرى سجلماسة التي لا يذكر النص اسمها ، والتي يمكن أن تكون بلدة درعة التي ساهمت بحفظ وافر في الاضطراب الذي عرفته سجلماسة حينئذ (٢٦) . آذ يتضح من النصوصي المقتضية أن ميمون بن مدرار لم يحسن السيرة أو أنه لم ينجح في اكتساب قلوب أهل سجلماسة لوقت طويل ، إذ لم يلبثوا أن ثاروا به وخلعوه من الامارة ، وبذلك تمهد الطريق من جديد امام والده مدرار ، بمعونة أخيه ابن بقية ، لكي يعود الى الامامة (٢٧) .

ابن بقية أميراً : الى سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م :

والظاهر أن مدرارا ظل ماليا لابنه ميمون بن الرستمية الذي كان مقيما في درعة ، وأنه أراد أن يتقوى به في سجلماسة فأرسل اليه يستدعيه هو وأعوانه من درعة . وهنا ثارت نائرة أهل العاصمة الدين توجها الى قصر مدرار وضربوا عليه الحصار الذي انتهى بخلعه وإعلان امامة ابنه « ابن بقية » الذي اشتهر بلقب « الأمير » (٢٨) . وعلى عهد ابن بقية الذي لا نعرف تحديدا زمنا لبدايته توفي مدرار بن اليسع والده ، أي قبل سنة ٢٦٣ هـ / ٨٧٦ م ، وهي سنة وفاة ميمون « الأمير » بن بقيه . وهو في الامامة (٢٩) .

(٢٦) انظر ابن عذاري ، الحواشي سنة ٢٢٤ هـ ، ج ١ ص ١٠٧ ، والتعريف بسجلماسة ص ١٥٧ ، وقارن البكري ، ص ١٤٩ .

(٢٧) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٥٧ حيث يقول ان أهل سجلماسة بعد ان خلعوا ميمون « أرادوا خلق أخيه وتقديم أخيه بن بقية ، فابى أن يتأمر هل أبيه ، فأعادوا إياه مدرارا بعد خلعه ، وقارن البكري ص ١٤٩ .

(٢٨) البكري ، ص ١٤٩ .

(٢٩) ابن عذاري ، ج ١ (التعريف بسجلماسة) ص ١٥٧ ، وقارن البكري ، ص ١٤٩ .

- ٤١٧ -

وخلف « الأمير » ابنه محمد بن ميمون الذي لا يذكر البكرى عنه الا سنة وفاته ، وهى سنة ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م حينما آلت الامامة الى عمه اليسع بن مدرار المنتصر فى صفر من نفس السنة / أغسطس - سبتمبر (٤٠) .

واليسع بن مدرار ، الذى ولى فى صفر سنة ٢٧٠ هـ / أغسطس - سبتمبر ٨٨٣ م ، واتخذ لقب المنتصر وهو لقب والده مدرار وربما جده اليسع الاول أيضا ، هو آخر أئمة سجلماسة من المدراريين ، اذ يقى فى الحكم ٢٧ (سبعا وعشرين) سنة ، أى الى سنة ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م عندما دخل أبو عبدالله الشيعى - بعد استيلائه على رقادة وتاهرت - سجلماسة ، واستخلص عبيد الله المهدى فى تلك السنة ثم ظفر باليسع فقتله ، وهو الامر الذى سنعود اليه بعد الفراغ من دولة الأدراسة فى المقرب الأقصى (٤١) .

(٤٠) انظر البكرى ، ص ١٤٩ ، وقارن ابن طارى ، ج ١ (التعريف بسجلماسة) ، ص ١٥٧ - الذى يسقط فى روايته امامة محمد بن ميمون الأمير ، ويجعل اليسع الأخير ابن ميمون بن مدرار (ابن الرستية) بن اليسع بن سفيون بن مدلان المكافى .
(٤١) انظر فيما بعد ، فى قيام الدولة الفاطمية ، ص ٥٩٤ ، ٥٩٥ وهـ ٢٢٧ .

الفصل الخامس

الدولة الإدارية

في قاس والمغرب الأوسط -

« ١٧٢ هـ / ٧٨٩ م - ٢٠٥ هـ / ٩١٧ م »

قيام الإدارة في المغرب الأقصى وبناء مدينة فاس :

أصول خارجية للدولة العلوية :

بينما كانت تقوم الإمارات الحارثية في المغرب وسجلها ساهم المغرب الأقصى قيام إمارة علوية جديدة هي دولة الإدارة في فاس . والاختلاف هنا لا يقتصر على اللون القبلي لكل من المالك الثالث بل يتخطاه إلى طبيعة كل منها . فبينما كانت الأوليان مملكتين صحراويتين كانت مملكة الإدارة حضرية مدنية صميمة ، وهذا ما يمثله في عاصمتها فاس التي مازالت تحتفظ بلونها الحضاري الأصيل بعد أكثر من ألف عام ، بينما ضعفت تاهرت وهان أمرها ابتداء من القرن الرابع الهجري (١) . ودالت دولة سجلماسة ، بعد ازدهار استمر إلى القرن الثامن الهجري نتيجة للدور الهام الذي قامت به صحراوات المغرب الجنوبية ابتداء من عهد المرابطين ، وأصبح إقليمها لا يعرف إلا بتناقلات . وحتى القيروان نفسها فقدت أهميتها بعد أن استعادت قرطاجنة ممثلة في تونس مركزها كعاصمة لأفريقية .

والقوى يستحق الملاحظة لأول وهلة في قيام مملكة الإدارة العلوية (أي الشيعية من الناحية الشكلية على الأقل) هو الاسم الذي اتخذته قاعدة لها كان بالأمس القريب مهدا للحركة الخارجية ولا حاجة إلى الإشارة إلى

(١) انظر ابن حوقل طبعة هروت ص ٩٢ . وقلاوون البكري . ص ٧٦ حيث يذكر أنه كان من بني من هجروا مدينة فكان وهو من أمال تلمسان . عندما مدنها على بن محمد ابن صانع الهجري سنة ٢٢٨ هـ . ابن حوقل من أهل تاهرت الذين لوتعلوا إليها .

ما آل اليه أمر اخوة الأمس - ونقصد الخوارج والشيعة - من العداء الحريز الذي بلغ حد التكفير والاتهام بالخروج عن الدين . أما كيف انقلب خوارج المغرب الأقصى من الضد الى الضد ، أى من مناصرين لميسرة الصغرى وأعوانه الى أتباع لادريس « العاطى » (٢) وحلفائه ، فلدلك أسباب تختلف فى طبيعتها وتباين فى كنهها ، وتتراوح ما بين السياسة والدين .

وأول هذه الأسباب بطبيعة الحال هو المشاركة فى الخروج على الدولة ، إذ ظل كل من الفريقين - رغم انشغالهما - معارضا للخلافة سواء أكانت أموية أم عباسية . فلقد وجدت هذه المعارضة هوى فى نفوس بربر المغرب الذين ضاقوا ذرعا بفساد الادارة الأموية ، والذين كانوا يرسعون الى حكم يحقق لهم المساواة بالعرب ، ويجرى حسب مبادئ الإسلام (٣) وإذا لم يكن من الغريب أن يتمسك بربر المغرب الأقصى بموقفهم هذا إزاء الخلافة العباسية ، فإن العجيب فى الأمر هو التفافهم حول امام علوى يمارس مبدأ احتكار السلطة ، ويمثل قانون الوراثة الملكى الذى يناقض مبدأ السورى والانتخاب الجمهورى ، الذى صار الأصل السياسى لدى الخوارج . وهنا نجد أن الخوارج ينسكون بالشماع والشكل فقط دون المضمون . فهم عندهم تسنح لهم الفرصة لتطبيق مبادئهم عمليا ينحرفون عن المبدأ الجمهورى فى تنصيب الامام ، ويمارسون مبدأ الوراثة الملكى ، وإن كان مغلفا فى شكله الانتخابى المثل فى البيعة - وهذا ما فعله الأمويون تماما وما سار عليه العباسيون بعدهم . ففى قاهره أصبحت الآماة الاباضية وراثية فى نبي رستم ، كما رأينا ، مما تسبب فى حركات الانشقاق التى ذكرناها (٤) .

وكان الأمر كذلك بالنسبة لامامة سجلمامة الصغرى ، فقد تخلصت القبائل من الاتام الأول السودانى الأصل ، والذى لم يكن له عصبية ، لكى يتوارث بنو واسول الآمامة . وهنا يمكن التفكير فى أن الجماعات الخارجية لم تكن لتستطيع الخروج على الأصول التى أصبحت تقليدية تاريخية فى

(٢) انظر كتاب المصحصار (ص ٦٨٠) الذى يلقب لادريس فعلا بالعاطى ، وكذلك ابن أبى دينار (ص ٩٩) الذى يسمى الادارة بـ « العواطم » .

(٣) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٦ .

(٤) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٤ وهـ ١٢١ - حيث تسمية المشققين عمل امام قاهره يملكون بالمتزلة وبالزواجعية . مما دجياهم الى التفكير فى انه ربما كان القيسىود بالتصنيفين بعض الجماعات المغربية التى اعتنقت الانكار الزيدية الشيعية التى احتلقت تماما بالفكر المتزلى . أو أن يكون المضمون بالاعتزال هو موقف الحياء بالنسبة للفتنة أو الانشقاق .

اختيار الخليفة وهو الامم ، كما يمكن التفكير ايضا في ان شيعة الامس - نقصد حوارج اليوم - لم يمكنهم التملص من مبادئهم الاولى التي تجعل الامامة تركة من نصيب العلويين من آل البيت ، فطبقوا مبدأ الوراثة ، وان لم يكن في آل البيت . ولما سحبت الفرصة لتقديم أحد العلويين ، سارع قبائل المغرب الأقصى من خوارج وغيرهم في الالتفاف حوله ، وتطبيق نظام الوراثة في أبنائه ، كما تقضى أصول الشيعة .

ولكنه ينبغي ان نساخر بالاشارة هنا الى انه رغم ان ادريس علوي ، وان الدولة الادريسية كانت ملكية وراثية ، إلا أنها لم تكن دولة شيعية بالمعنى المعروف . وهي ان كانت كذلك فتكون شيعية زيدية أي من النوع المعتدل القريب من أهل السنة . ولهذا فهي في نظر الكتاب « الدونسية الهاشمية » (٩) . وهذا أمر طبيعي فالدولة الادريسية ظهرت فجأة ، دون تمهيد أو دعاية سابقة كتلك التي مهدت لإقيام الدولة العباسية من قبل الدولة الفاطمية من بعد . أو حتى بالنسبة لامامة تاهرت . وبناء على ذلك فهي لم تقم بسبب مبادئ سياسية أو دينية معينة ، بل قامت على إكتاف رجل واحد يمثل هيبه الأسره العلوية العظيمة ، كما يمثل مناقب آل البيت .

دخول ادريس المغرب - ما بين الحجاز ومصر والمغرب :

ومؤسس الأسرة هو ادريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (١) أم عن سبب مسيره الى المغرب فهو اشتراكه في الثورة التي قام بها الحسينور في مكة بقيادة الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن (السبط) . والتي اسهمت بانفكس بعد ان أوقع بهم العباسيون في موضع فتح ، أثناء موسم الحج سنة ١٦٩ هـ / يونية ٧٨٦ م ، على أيام الخليفة

(٥) انظر ابن خلدون (ص ٨٢) - أما ما أشيرنا اليه من ان صاحب كتاب الاستبصار يصف ادريس الفخري بالفاطمي (انظر الصفحة ٤٤٤) وهو كالمذهب الشيعي فلا يحمل أكثر من معانيها الأولى . وهو الانتساب الى الفاطمي الزهراء - ولا يقتضي معناه زيدا أو إماما سياسيا معيناً كما سيحدث على أيام الفاطميين - وهو الزيدية انظر فيما يدرجه ص ٤٢٩ .

(٦) انظر البلاذري ص ٢١٨ . وابن خلدون ، ص ١١٠ . ولان لابن الأثير ٢

الحلة السيرة ، ج ١ ترجمة رقم ١١ ص ٥٠ ، حيث ينقل عن الوكيل في إيراد هذا الخبر ابن شاذلي عن عبد الرحمن بن سعيد القنذلي ، ان عبد الله والد ادريس كان شيخ بني حاتم بنو وهب . وروى ادريس يقول ان أمه ملكة بنت عبد الملك بن الحارث المخزومية . وان أخواه عيسى وسليمان معها .

البإدى (٧) . فقد قتل الحسينيون فى فخ قتلا ذريعا ولكن عددا منهم تمكن من الفرار ، ومن هؤلاء يحيى بن عبد الله الذى هرب نحو المشرق الى بلاد الديلم ونجح فى إثارة أهل البلاد هناك على الخلافة ، الى أن تخلص منه الرشيد بالسياسة على يدى الفضل بن يحيى البرمكى (٨) . أما أشهر الفارين من وقعة فخ فهو أدریس بن عبد الله الذى اتجه نحو المغرب . ويضفى كتاب الأدارسة على بداية أمر أدریس لونا قصصيا طريفا ، تختلط فيه الحقيقة التاريخية بالرواية الشعبية ، والمثل لذلك كتاب روض القرطاس الذى يجمع فيه ابن أبى زرع هذه الروايات حنبا الى جنب ، وهتفه فى ذلك اظهار مناقب أهل البيت .

خرج أدریس من الحجاز متخفيا بين قوافل الحاج السائرة نحو مصر ، وبصحبه أحد موالیه الذى يتصف بالشجاعة والعقل ، وهو راشد الذى يقال انه بربرى الأصل ، وانه لهذا السبب اصطلح أدریس نحو المغرب ليثويه فى قومه (٩) . والذى يفهم منا اتفق عليه الكتاب ان الفضل يرجع الى راشد هذا فى وصول أدریس سالما الى المغرب الأقصى ، وكذلك فى الدعاية له بين القبائل . وهذا أمر هام ليس بالنسبة لقيام دولة الأدارسة فقط ، بل بالنسبة لمعظم الدول المغربية التى اقتطعها من الخلافة أمراء أتوا من المشرق ، مثل الدولة الأموية فى الأندلس التى تدين بقيامها الى مجهودات بدر مولى

(٧) انظر الطبرى ، أحداث سنة ١٦٩ . ابن الأثير ، أحداث سنة ١٦٩ ، ج ٦ ص ٣٦ . - ٢٨ ابن خلدون ، ج ٤ ص ٦ ، البكرى ، ص ١١٨ ، الاستيعاب ، ص ١٩٤ ابن الأبار ، الحلة السراء ج ١ ترجمة ١١ ص ٥١ ، ابن عسكاري ، ج ١ ص ٨٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٨ (فجه بدلا من فخ) وص ١٢ (عجه) وج ٦ ص ١٤٧ (حيث القراءة الصحيحة) (بلج) والترجمة ج ٢- ص ٥٥٩ . هذا ويلاحظ أن الأمر يختلط على بعض الكتاب فيجسولون اشتراك أدریس فى ثورة محمد النفس الزكية فى المدينة سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م أو يجسولون ثورة محمد النفس الزكية الى سنة ١٦٩ هـ (انظر المسعودى ، مروج الذهب ، ج ٣ ص ٣٠٨ ، روض القرطاس ، ج ٤ ص ١٠٠ ابن عسكاري ، ج ١ ص ٢١٠) .

(٨) انظر ابن الأثير ، أحداث سنة ١٧٦ هـ ج ٦ ص ٥٠ . ابن الأبار ، الحلة السراء ج ١ ص ٥١ .

(٩) الاستيعاب (رواية المؤلف) ، ص ١٩٤ . وانظر البكرى ص ١٢٢ . والحلة السراء لابن الأبار ج ١ ص ٥٣٠ . حيث نجد رواية للمؤلف تقول ان سادشيا كان يهوى لأخي أدریس وهو عيسى بن عبد الله ، وكذلك ص ٩٨ فى ترجمة إبراهيم بن الأخطب .

صاحب الرحمن بن معاوية (١٠)، والدولة الفاطمية التي تدين بقيامها في أفريقيا إلى جهمود أبي عبد الله الشيعي مولى عبدة الله المهدي (١١) .

والظاهر أن الخلافة كانت نشطة في تتبع آثار الحسين ، إذ سرعان ما عرف أمر ادريس وإلى مصر في ذلك الحين ، وهو علي بن سليمان العباسي (١٢) . وتتفق معظم الروايات على أن الفضل في نجات ادريس يرجع إلى صاحب البريد أبي مصر . وهو واضح مولى صالح بن الخليفة المنصور ، الذي يسميه ابن خلدون بواضح أسكنين ، وكان شيعي المذهب (١٣) . وهذا لا يناقض رواية الكندي التي تقول صراحة إن وإلى مصر العباسي علي بن سليمان ، هو الذي سبيل لا تدرى الخروج من مصر ، بعد أن علم بمكانه ولقيه سرا فسأله بالله وأرحم الأستر عليه فإنه خارج إلى المغرب (١٤) ، فلا بأس من صحة الروايتين جميعا أي اتفاق صاحب البريد الشيعي والوالي العباسي على ستر العلوي . إذ تفسر رواية الكندي تستر العباسي على قربه وعدوه العلوي بأنه - أي الوالي - كان طامعا هو الآخر في الخلافة . وأن ذلك كان سببا لاستزله للرشيد له (١٥) . وهذا ما تبينه رواية القرطاس التي تنص على أن علي بن سليمان أمن الرجل الشيعي الذي كان قد آوى ادريس وراشد ، وطلب إليه أن

-
- (١٠) انظر كتاب الخوار مجوعة ، ص ٥٣ ، ٦٧ ، ٧٤ الخ .
 (١١) انظر الاستيعاب ، ص ٢٠٢ والهاشم وما بعده ، انطاط الحنفا باختيار الآلة الخلافة ، ص ٧٤ وما بعدها ، وانظر فيما بعد ، ص ٤٤١ وما بعدها .
 (١٢) انظر الكندي ، ص ١٣١ - ١٣٢ ، ولايته من شوال سنة ١٩٦ هـ / إبريل ٧٨٦ م ، أيام المهدي . راجع الأثر - سنة ١٧١ هـ المص ٧٨٧ م أيام الرشيد) .
 (١٣) انظر الكرى (الذي يقل رواية التوفل) ص ١٢١ ، ابن الأثير ، أحداث سنة ١٦٩ هـ ج ٦ ص ٢٨ ، ابن عسار ، ج ١ ص ٨٣ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٧ ، ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٥٩ ، الحلة السيرة لأبي الأبار ، ج ١ ص ٥١ - ٥٢ ، وقانون روض القرطاس (ص ٥) الذي يقل رواية الكرى (ص ١١٨ - ١١٩) التي تفرد بتفاصيل طريقة مفضلا : أن ادريس وراشد كان يجومان شوارع القضاة فاستلقت نظرها دار حسنة البناء والأخرف .
 فصار حديث بينهما وبين صاحب الدار المختلج بأن عرف إليهما من شيمة الحسين . وظلما استوثق منه راشد عرفه بادريس فأصبح أن الرجل من الشيعة لأحسن شراهما . ولا بأس من أن يكون الشيعي هو واضح صاحب البريد . هذا ولا يذكر الكندي شيئا من أمر فضل بواضح لوطيفة صاحب البريد ، ولكنه يذكر أنه ولي مصر مدة تبلغ ثلاثة أشهر من سنة ١٧٨ هـ / ٧٧٩ م . انظر الكندي ، ص ١٢٩ .
 (١٤) الكندي للمؤلف (١٤) ، ص ١٣١ ، وقانون الميراث ، ص ٢١٩ .
 (١٥) الكندي ، المؤلف ، ص ١٣١ - ١٣٢ .

يخرجنا من عمه . ولو أنها تفسر ذلك بأن الزواى كان لا يحب اراتة دم إهبل البيت (١٩) .

هكذا دبرت مؤامرة على مستوى عال - كما يقال - لهربه ادريس نحو المغرب . ويفهم من رواية البكرى وابن عذارى أنه تقدر أن يخرج راشد من مصر ويتخذ الطريق العام مع قوافل الحاج والتجار (الرفقة) ، بينما يسير ادريس مع واضح فى «طريق غامضة» - نعتقد انها خاصة بالبريد - على أن يكون نقاؤهم فى برقة (١٧) . وفى برقة اطمأن واضح على سلامة ادريس وراشد فودعها بعد ما أمدهما بما يلزمهما من مال ومتاع ، والظاهر أنه تم الاتفاق على أن يتخفى ادريس فى زى تخشى ، ويظهر بمظهر غلام فى خدمة راشد (١٨) . وهنا تختلف الروايات فى تحديد الطريق الذى اتخذه ادرينش وراشد - ونحن نميل الى الاخذ بالرواية التى ينقلها البكرى وصاحبة الاستبصار، والتى تقول ان راشد لم يدخل بلاد افرقية (خشية عمال الخلافة لدى المهلبين) ، وأنه سار به الى بلاد البربر (١٩) (أى التى لا تخضع لامير القيروان) . وبعد أن استراح ادريس بتلمسان عدة أيام خرج به راشد نحو الغرب ، فميرا وادى ملوية ودخلا بلاد السوس الأدنى ، حيث أقاما بعض الوقت فى طنجة التى كانت يومئذ أعظم مدن المغرب الأقصى (٢٠) ، وذلك قبل أن يستقر فى مدينة ولبلى ، كما يتفق على ذلك معظم الكتاب (٢١) ، بعد رحلة استغرقت حوالى سنتين (٢٢) .

(١٦) روى القزاس - ص ٦ .

(١٧) البكرى - ص ١١٩ ، روى القزاس - ص .

(١٨) البكرى - ص ١١٨ ، الاستبصار - ص ١٩٤ .

(١٩) البكرى - ص ١١٩ ، الاستبصار - ص ١٩٤ . أما روى القزاس (ص ٦)

فيقول ان راشد دخل بادريس القيروان حيث أقام بها مدة ولا يستدل لذلك بأن البكرى ادريس

لهاها خشية وصبره كالمعتمد له خوفا عليه فى ذلك الوقت .

(٢٠) القزاس - ص ٦ .

(٢١) البكرى - ص ١١٨ ، الاستبصار - ص ١٩٤ ، انظر السواء - ج ١ ص ٥٤ .

ابن عذارى - ج ١ ص ٨٣ ، ليلة ١ ، ابن خلدون - ج ٤ ص ٧ (وليل) ، (« وليلة »

وصحتها « ليلة ») ، انظر شكل ٧ ، ص ٤٧٧ .

(٢٢) انظر القزاس (ص ٦) الذى يقول انه يزول له كانه فى غروردينج الادلى

سنة ١٧٢ م / ٢٠ أغسطس ٧٨٧ م . وقارن الرحلة للسواء (ج ١ ص ٥٤) . حيث فيفسد

رواية أم بكر الزواى التى تقول ان ادريس بن عبد الله دخل المغرب سنة ١٧٢ هـ على شهر

رمضان - البكرى - ص ١١٨ ، ابن خلدون - ج ٤ ص ٧ (سنة ١٧٦ خطأ) وص ٧٢ (سنة

١٧٢) (ج ٦ ص ١٤٧ . وقارن ابن عذارى الذى يقول (ج ١ ص ٨٢) ان جرشول ادريس =



شكل (٧)
المغرب الأقصى

القول في الجبل :

ورغم ما يقوله صاحب القرطاس من أنه لما لم يجد أدريس بطنجة مراده رجع مع موته راشد حتى نزل مدينة ويلي ، فانا نعتقد أنه لم يضيع وقته سدى في عاصمة المغرب الأقصى بل أخذ يستقصى أخبار القبائل ، ويعرف ما هي عليه من الرأي ومن القوة إلى أن احتدى إلى قبائل ويلي . وويلي مدينة قديمة (Volubilis) تقع على طرف جبل روهون (٢٢) ، بين فاس ومكناسة حاليا (٢٤) . وهي عاصمة تلك المنطقة الفنية بخصبها وكثرة مياهها وزروعها ، والتي كانت تسكنها قبائل أوربة البرنسية في ذلك الوقت (٢٥) . وأوربة هي التي رأيناها في المغرب الأوسط تفترض عقبة بن نافع بزعامة رئيسها كسيلة وتقتله قرب تهودة ، والظاهر أن القبيلة غيرت مواطنها بعد الحملات التاديبية التي قام بها العرب ضدها فسكنت السوس الأدنى ، فيما بين وادي ملوية ووادي أم الربيع (٢٦) .

ونزل أدريس في ويلي على زعيم أوربة وهو سحق بن محمد بن عبد الحميد الأوربي ، الذي أكرمه وأحسن وفادته (٢٧) . وتصف بعنفس

= المغرب كان سنة ١٧٠ هـ / ٨٦ - ٨٨٧ م . ولكننا نعتقد أنه يقصد بذلك خروجه من مصر إلى المغرب ، إذ أنه يجعل اجتماع القبائل على أدريس في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٧ م (ج ١ ص ٨٣) . (٢٢) أنظر الجزائري رهرة الأس (بشر الفرديل ، الجزائر ١٩٢٢) ، ص ٩ - حيث يقول « وهذه البلدة قديمة البناء - من بنيان القبط ، وهي معروفة الآن بقصر مرهون من أرض أولاد تاملو - كان لها سور عظيم قد بقي بعضه » . (٢٤) ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ ، وأنظر شكل ٧ ص ٤٢٧ . (٢٥) البكري ، ص ١١٨ ، الاستبصار ، ص ١٩٤ . القرطاس ، ص ٦ . (٢٦) أنظر السوس الأدنى (وحدة من وادي ملوية إلى وادي أم الربيع) أنظر القرطاس ، ص ٦ . ومن سكنى أوربة المغرب الأقصى بعد هزيمتهم أمام زهير بن قيس أنظر ابن خلدون ، ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ . (٢٧) الاستبصار ، ص ١٩٤ ، ابن خلدون (عن تايخ أوربة) ج ٦ ص ١٤٧ والترجمة ج ١ ص ٢٩٠ ، ومن الأداسة ، ج ٤ ص ١٢٧ والترجمة ج ٢ ص ٥٥٩ (والاسم في الترجمة أبو ليل اسحق ، ولا نعرف أن كان المترجم خطأ فعمل كلمة بوليل « بوليلة » أي بمدينة ويلي كنية للزعيم الأوربي (Abou Laila = Bou Laila) ؟) . إذ الحقيقة أن البكري يكتبه فعلا بأبي ليل (ص ١٢٣) القرطاس ، ص ٦ - ٧ (يسميه عبدة الحميد الأوربي) .

المصوح الرعيم الأوربي بأنه كان معتزلي المذهب (٢٨) . ونحن لا نعرف ماذا يعنى بالاعتزال هنا اذ لا نعرف للاعتزال أصولا سياسية الديني الا اعتزال الأوائل الفتنة ، وموقفهم منها موقف الحياد ، ثم مشاركة القدريّة في بعض الاضطرابات السياسية على اواخر أيام الأمويين في عهد هشام والوليد بن يزيد ، وكذلك علي أيام الأميين عندما أثاروا محنة خلق القرآن ، الى جانب أصول الاعتزال المذهبية المعروفة من التوحيد والعدل والوعد والوعيد والأمر بالمعروف (٢٩) . ولو كانت هذه الأصول هي المقصودة ، لكان ذلك يعني ان الحركات الفكرية التي ظهرت في مركز الخلافة في المشرق كان لها صلتها البعيد - ليس في القيروان فقط ، كما سبقت الإشارة (٣٠) ، بل وفي قلب بلاد الأيرير التي يقول بعض الكتب ان كثيرا من قبائلها كانت - وحتى ذلك الوقت - على المجوسية واليهودية والنصرانية ، كما سنرى . وربما كان المقصود بالاعتزال هنا تلك الطائفة من الخوارج التي يسميها البكري بالواصلية وينص على انها اباضية ، كما سماها كتاب الاباضية صراحة بالمتزلة (٣١) . اذ الحقيقة انه يوجد نوع من القرابة أو التوافق بين افكار المعتزلة وافكار الخوارج (٣٢) .

وحسب الأصول الفنية التي يعرفها الدعاة لم يظهر راشد دعوة سيده في أول الأمر ، اذ تقول رواية الاستبصار ان ادريس وافق اسحق بن محمد على مذهب المعتزلي (٣٣) . وهذا ما يعبر في نظرنا عن بداية التوافق بين الفكر الشيعي الزيتي وبين مبادئ الاعتزال التي اضعف اليها رأي الزيدية على الامامة . ولما كان ذلك النوع من الاعتزال السياسي قد ظهر لدى الخوارج - الاباضية ، فيمكن القول ان الاعتزال افتزج بأحزاب المعارضة مع مطلع الدولة العباسية ، قبل ان يصحح مذهب بغداد الرسمي على أيام المأمون .

(٢٨) البكري ، ص ١١٨ . الاستبصار ، ص ١٢٤ ، القريظ ، ص ٣ .

(٢٩) أصول الاعتزال ، انظر للمسعودي ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٢٢٤ .

(٣٠) انظر فيما سبق ، ج ١ ، ص ٢٨٧ ، ٣١٨ - ٣١٩ ، ٣٦٩ .

(٣١) انظر فيما سبق ، ص ٤٢٢ ، هـ ٤ .

(٣٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٧٥ ، ص ٢٦١ ، وانظر فيما سبق في امامة كاهن ، ص ٢٨٩ ، عن الواصلية والعتزلة ، وعن أصول الخوارج التي تتناول التوحيد والوعد والوعيد وهي من أصول المعتزلة . انظر للمسعودي ، ج ٣ ، ص ١٢٦ . وعن آراء اباضية الغرب في مسألة الصفات .

وحدثني محمد الأشعرية في عدم خلق القرآن ، وكذلك في الوعد والوعيد ، انظر :
 Allouche, Deux épîtres de théologie abadites, Hespéris, t. 22, 1936,
 fasc. I, p. 57.

(٣٣) البكري ، ص ١١٨ ، الاستبصار ، ص ١٢٥ .

حيطة ادريس :

ومع مرور الوقت أظهر ادريس امره للرعي الأربى وأعلن أحييته في الإمامة ، فواجهه دون تردد . وبطبيعة الحال كانت هذه فرصة مواتية لاسحق : كما فنزل أحد رعاء انصريين عليه كان يعمل من شأنه بين أفراد قبيلته . كما كان يحقق له نوعاً من التفوق على رعاء العشائر الأخرى . وهكذا نزل ادريس في منزله ، وتولى اسحق خدمته بنفسه ، وذلك في أول ربيع الأول من سنة ١٧٢ هـ / ٢٠ أغسطس ٧٨٧ م . وجمع اسحق زعماء أوربة وعرفهم نادريس وبسبة فاستقبلوه بالترحاب وقالوا : « الحمد لله الذي أتى به وشرفنا بجواره ، فهو سيدنا ونحن عبيد نموت بين يديه » . وانتهى الأمر بأن بايعوا لادريس بالإمامة ، وذلك في منتصف رمضان سنة ١٧٢ هـ / ١٥ فبراير ٧٨٩ م (٢٤) ، فكان ذلك بداية الدعوة العلوية الأولى بالمغرب الأقصى . وتبع ذلك حركة دعائية بين قبائل الأقاليم المحيطة ، فدخلت في دعوة الامام ادريس قبائل زناتة وزواغة وزواوة ولماية وسدراتة ومسراتة وعيانة وفرة ومكناسة وغمارة ، كما قصد اليه الناس من كل مكان (٢٥) .

العمل الإيجابي :

بانضمام كل هذه القبائل الى الدعوة العلوية بدأت المرحلة الإيجابية في تأسيس الدولة الإدريسية ، وذلك حسب الأهداف التي أخذ الامام على عاتقه القيام بها والتي تتفق مع رسالة آل البيت ، وهي العمل على نشر الاسلام، والجهاد في سبيل الله . أما عن مجال هذا العمل فكانت الأقاليم التي لم ترسخ أقدام الاسلام فيها بعد أو التي عرف أهلها بالزيغ وانحراف العقيدة .

الصراع ضد بني طريف ملوك برغواطة في تامسنا :

وحقّ للإمام ومستشاريه أن يختاروا إقليم تامسنا - حيث قبائل برغواطة - للقيام بأول نشاط لهم . فلقد عرف إقليم تامسنا بميولهم الانفصالية والحرثانية المعنوية منذ وقت مبكر ، ونسب هذا الانحراف

(٢٤) القوطاس - ص ٨٠ - ابن أبي حديقل - الخراسي - ص ٩٩ (في رمضان سنة ١٧٢ هـ) ، وقارن ابن هادي (ج ٩ ص ٨٣) ، الذي يحدد السنة فقط (١٧٢ هـ / ٨٨ - ٧٨٩ م) .
(٢٥) القوطاس - ص ٧ - وقارن من حدود ج ٤ - ص ١٢٠ - ج ٦ ص ١٤٧ ، الذي يذكر قبيلة مسراتة في شكوسراتة . يحددها القوطاس في شكل مزارة .

الى قبائل الاقليم فعرف بـ بزندقه برغواطه ، ولقد كانت زندقه سرغواطية هذه ، مثل كثير من الحركات السياسية والدينية في المغرب ، وليدة الحركة الخارجية الصفرية الاولى . فبعد القضاء على ثورة ميسرة تفرق اصحابه في البلاد ، ولجا أحدهم ، ويسمى طريف - والظاهر انه طريف بن ملوك الذي بدأ بأول غارة على ساحل الأندلس قبل طارق بن زياد ، والذي سميت بإسمه جزيرة طريف (طريفه) (٢٦) - الى بلاد تامسنا التي كانت ملكا لقبائل زناتة وزواغة (٢٧) ، وذلك على ساحل المحيط فيما بين مصبي بورجرج (وادي سلا) وأم الربيع ، وهناك تزعم بربر المنطقة الذين عرفوا من حينئذ باسم برغواطية (٢٨) .

ويقول الكتاب نقلاً عن الرواية البرغواطية التي ترجع الى زمرور بن موسى بن هشام بن وازيزن رسول ملك برغواطية أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار عبد الله في سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ان طريفا كان على دين الاسلام ، ولكن ابنه وولي عهده ، صالح بن طريف (ولد سنة ١١٠ هـ / ٢٨٠ - ٧٢٩ م) ، انحرف ففتبأ فيهم وسمى نفسه « صالح المؤمنين » ، كما يقولون أكثر من هذا - انه شرع لهم ديانة جديدة . وأوصى صالح ابنة الياس بن

(٢٦) انظر البكري ص ١٣٥ (حيث النص هل ان طريفا كان من اصحاب ميسرة ، وابنه نسبت جزيرة طريف) ، ص ١٢٨ حيث يذكر في حجاب برغواطية بيتا يقول فيه الشاعر :

فليس اليوم . ردتكيم ولكن خيال كنتم متيسريناً .
ويعلق قائلا : وهذا البيت يصدق قول زمرور البرغواطى ان طريفا كان من اصحاب ميسرة ويشهد له . وقارن ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٠٨ (يكتفي بأبي صبيح) و ابن عدادى ، ج ١ ص ٢٢٤ ، الاستبصار ص ١٩٧ (الذى يجعل طريفا . يهودى الأصل من الأندلس) . وانظر برونسفال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، بالفرنسية ، ص ١٣ .
- (٢٧) البكري ، ص ١٣٥ .

(٢٨) ودراسة برغواطية ينقل البكري (ص ١٢٧ - ١٢٨) عن ابن العباس الخفسل ابن حنبل بن عمرو الملقب ان صاحب المنطقة المحققين بأى اول من غابها « وحسنو يونس ابن سليمان بن صالح بن طريف » . أصله من سلالة « منقادى يوحنا (ديريال) » والله لهذا السبب يسمى من ابيه يرمطى . ثم هجره الى غلبتهم ، لقالواية « برغواطى » . ابن عدادى ، ج ١ ص ٢٢٤ ، وقارن الاستبصار ، الذى يقوله (ص ١٩٧) ان يونس قاسمى الى ذلك الوقت ، كانوا قوما جبالا من زناتة ، كما يقول ان الذى دخل عليهم هو صالح بن طريف . (Bacquates) وعن الاجتهادات الحديثة في تفسير اسم برغواطية يسمى « زمرور بركات » (Bacquates) فى عماد ياكوس (Bacchus) القدماء - انظر تفسير كلمة « ياكوس » فى ص ٤٢٢ .

يظهر ديانتته هذه عند ما يشتد أمره ، بينما وحل هو إلى المشرق ، وقال انه
سيمود يصفه النبي الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن مهلت جورا (٣٩) . وهذا
أمر له أهميته إذ يبين كيف شارك الخوارج خصومهم الشيعة في فكرة نبوي
المنتظر - وهي من أفكار الشيعة الرئيسية - بعد أن شاركوهم عليها في
تطبيق فكرة الوراثة الملكية في نظام الحكم . ومن الناحية السياسية أمر
صالح أبته بموالاته أمير الأندلس - بمعنى موالاته الأمويين - وتناحضة أمراء
المغرب (٤٠) . وظل بنو صالح بن طريف يتداولون إمارة تلمسان ويبسطون
سلطانهم على قبائل برغواطة ، التي كانت تقدم لهم في منتصف القرن الرابع
الهجري (١٠م) أكثر من ١٠ (عشرة) آلاف فارس (٤١) ، وعلى غيرها من
القبائل التي كانت متسكة بالإسلام نقيًا خالصا ، والتي كانت تقدم لهم
أكثر من ١٢ (اثني عشر) ألف فارس (٤٢) واستمر بنو طريف في انحرالهم
وزلتهم إلى أن قامت عليهم قبائل بني يفرن بقيادة الأمير تميم اليفرنى
فغلبهم على بلادهم بعد سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩ م ، ونسبهم حتى «جلا من بقي
منهم» (٤٣) . ولكنه رغم ما يقوله البكرى من أن تميميا اليفرنى «استوطن
ديارهم» ، وبذلك «انقطع أمرهم» (٤٤) ، فالمعروف أن انحراف برغواطة ظل

(٣٩) البكري . ص ١٣٤ (عي زموذ) ، ص ١٣٥ (حيث يقول النص ان موت صالح كان سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م (سنة ١٠٠ بعد وفاة النبي) وانه حضر مع ابيه حروب ميسرة وهو صغير ، اى في سنة ١٢٢ هـ / ٧٤٠ م ، مما جعلنا نرجح ان تكون سنة ١١٠ هي سنة مولده . ص ١٣٦ حيث يوصف الياس الذي ملك ٥٠ سنة بالطير والمغال) = الاستبصار ، ص ١٩٨ ، ابن عذاري ج ١ ص ٢٢٤ ، وقول ابن خلدون (ج ٦ ص ٢٠٧) الذي يقول ان طهور صالح كان في خلافة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٧ هـ وانه ملك مدة ٤٧ سنة . (٤٠) انظر البكري ، ص ١٣٥ ، الاستبصار ، ص ١٩٨ ، ابن عذاري ، ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ج ٦ ص ٢٠٧ - ٢٠٩ .

٤١) انظر الرواية في البكري (ص ٦٤٠ - ٦٤١) حيث تقول : « اننا قبائل برغواطة الذين يدينون لهم ، وكل منهم : جريرة ، وزواغة ، والبراس ، وبنو أبي ناسر ، ومنجعة ، وبنو أبي نوح ، وبنو ناصر ، وعطفرة ، وبنو بورغ ، وبنو دمر ، وعطاطة ، وبنو ذؤكسية ، ومنهم بنو ، اذيد من عشيرة آل فارس » .

١٢٧) انظر البيرني - ص ١٤١ - حيث عرفت الرواية الى برعواطة : حين يدين لهم من المسلمين في ويضاف الى مملكتهم : ثلاثة الجبل ، حردوليت ، حوالة ، وبنو وارسلية ، وبنو بيلون ، وبنو عافيه ، وبنو الضمان بمطيلو القوسه ، وبنو كوكبة وبنو يسكره واصحابه ، وبنو كاهة وبنو اوجيت ، وبنو عداة ، وبنو عديف ، وبنو ضارة ، وبنو اركه ، وبنو عتقهم نحو ٦٢ (التي عشر) الف الفارسه .

(۵۴) البکریۃ لیس۔ ۱۹۸۰ء

(٤٤) البكرى، ص ١٤١.

قائما الى أن غزاهم المرابطون ، واستشهد في بعض شرايتهم عبد الله بن ياسين سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م (٤٥) .

(٤٥) ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٠٩ . وعن بنو صالح بن طريف أمراء برغواطة . انظر ليس اصناف . محمد الياس بن صالح (ملك ٥٠ سنة) ذو يونس بن الياس سنة ٤٠ سنة أو أكثر (٤٤ سنة) . وينسب الى يونس اظهار الزندى وسبي : فلقد سار الى المشرق مع زيد بن سنان الزناتي صاحب الواصكية ، وغباس بن ناصح ، وبرغوث بن سعيد الشراوى ، جد بنو عبد الوثاق المعروفين ببنى وكيل الصلوية (البكرى ، ص ١٢٧) . ومناد صاحب الكلمة المنادية ، قريبا من سجلماسة ، وغيرهم . ونقله يونس من الدين مع ثلاثة منهم وطلب كل ما سمع ، وطلب علم النجوم والكهانة (البكرى ، ص ١٢٧ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٦٩ - ٢٠٨) . وبعد موتى على أبو غلبير يعبد الياسين بنو بالمتف والقنوة الى اخضاع خصومه . سنة ٢٩٠ هـ (الذى يجعله البنى ابنه ليونس - الاستيصار ، ص ١٦٨ - بينا يجعله البنى من فرع آخر من الاسرة فيسمى ابا طير بن مباد ابن الياس بن صالح بن طريف (البكرى ، ص ١٢٦ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٠٨) . ثم ملك أبو الانصار عبد الله بن أبي غدير ، الذى عرف بالسفاه والظرف والوفاء بالعهود (صاحب الاستيصار يسميه ابا جعفر حصص - ص ١٦٨) عند تمام المائة الثالثة : سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م . ودام ملكه مدة ٤٣ سنة قضاهم فى دعة . ثم أبو منصور عيسى بن ابي الانصار (سنة ٣٤١ هـ / ٩٥٢ م) وهو السابع من أهل بيت صالح بن طريف ، وكان يظن رجسته حسب فكرة المهدى المنتظر من الشيعة على أيام هذا الأمير ، الذى راسل المستنصر بالله الاموى فى سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م ، وذلك جريا على السنة التى استنها جدهم صالح بن طريف (البكرى ، ص ١٢٧) .

ويروى الكتاب أخبارا غريبة عن انحراف أبناء صالح بن طريف وقومهم برغواطة : من التنبؤ وتحريف أصول الاسلام ، وابتكار آيات من القرآن . ونعتقد أن فى ذلك كثيرا من المبالغة من الكتاب الذين يخضعون لافراسا ملهية وسياسية معادية لبني طريف . وهذا لا يمنع صحة بعض تلك الانحرافات الخاصة بالصلاة والوضوء والمسلم والزكاة أو بعض الرخص الخاصة بالزواج والطعام وقامة الحدود ، وذلك تما للظروف البيئية المتغيرة ، من اجتماع واقتصادية ونسبة الى يلجوا من العادات والتقاليد المتوارثة . ونعتقد أن الأصل فيما نسب اليهم من التحريف هو أنهم كانوا يؤدون شعائر الدين بالبربرية ، كما أنهم ترجموا القرآن الى لغتهم حلة . من هنا ما يقال من أنهم كانوا يقولون « ملن ياكش » وتفسيره « الكبير الله » - أى « الله أكبر » على ما نطق . كما كانوا يقولون « آيسن ياكش » وتفسيره « يسلم الله » و « آيسن ياكش » وتفسيره « الواحد الله » . و « ودام ياكش » معناه « لا نريد مثل الله » . ونظن انها ترجمة لـ « لم يكن له كفوا أحد » . مما يعنى أن عليه الميزات من ترجمة سورة الاخلاص . انظر البكرى ، ص ١٢٨ - ١٤٢ . الاستيصار ، ص ١٩٩ . ابن خلدون ، ج ٦ ص ٢٢٤ . ومن ياكوش (ياكش) الذى كان يسلان (De Slane) . ياكوش (الذى ياكش) (Bacchus) . والذى يقول ياسين (Basset) ان معناه حقبة . البنى ابن الماطي أو الوهاب ، والطرف ج . مارسى (G. Marcy) الذى حاول - على غير أساس - قنع نحن وانما - أن يقولوا له « جيزونى » . أى المسيح . يسوع . Jesus . G. Marcy, Le Dieu Abadites et des Bargwata, Hisperis, t. 22, 1936, fasc. I, p. 33 et suiv.

فتح تامسنا :

جمع ادريس جيشاً من زناتة وأوربة وصباحة وهوارة وسار بهم نحو مدينة شالة (شلة - شلا) ، وهي مدينة سلا القديمة ، قبالة مدينة الرباط « رباط الفتح » الحالية على الضفة الأخرى من مصب النهر ، ففتحها ثم جرد في كل بلاد تامسنا فاجتمعها . وأتبع ادريس ذلك باخضاع إقليم تادلا . وفتح حصونه وقلاعه ، وأدخل أهل البلاد في الإسلام ، وكانت جماعات منهم على دين النصرانية واليهودية ، كما يفهم من رواية ابن أبي زرع (٤٦) . والظاهر إن ادريس قام بهذه الحملة بعد أن بايعته القبائل مباشرة ، إذ أنه عاد إلى ويلي في آخر شهر ذي الحجة من سنة ١٧٢ هـ / آخر ماية ٧٨٩ م (٤٧) . ولم يمكث ادريس في ويلي إلا ريثما يستريح رجاله ثم انه خرج لغزو بقايا المجوس والنصارى واليهود من البربر . فهدم الحصون وخرّب المعقل ، وأدخل العصاة طوعاً وكرهاً في الإسلام . وتم له في هذه الغزوة الثانية إخضاع قبائل فندلاوة ومديونة وبهلولة وغياطة ، كما أضاع أهل بلاد غازاز ، ورجع إلى ويلي في منتصف جمادى الثاني سنة ١٧٣ هـ / أكتوبر ٧٨٩ م (٤٨) .

فتح تلمسان وبناء جامعها :

ولم يسترح ادريس إلا مقدار شهر واحد ، إذ خرج من ويلي في منتصف رجب سنة ١٧٣ هـ / نوفمبر ٧٨٩ م متجهاً نحو تلمسان ، بالمغرب الأوسط ماراً بمدينة سبتة التي وصلها في شهر شعبان التالي من نفس

(٤٦) انظر روصي القرطاس ، ص ٧ . ونعتقد ان ام اس روع يباليغ عندما يقول ان «أكثر هذه البلاد كان على دين النصرانية ودين اليهودية ، والإسلام بها قليل» وذلك بعد تسايين معاً من دخول موسى بن نصير إلى المغرب الأقصى . وانظر البكري (ص ١١٨) الذي يشير فقط إلى فتح تازي في جمادى الثاني سنة ١٧٤ هـ / أكتوبر ٧٩٠ م ، ويقول : « وهو موضع من أعمال بني الباقية » . والعقيدة انه إذا كان البكري (ص ١١٢) يصف بعض المواضع التي تسمى قبل الكنيسة « على طول الطريق ما بين مدينة إلى تلمسان » ، مما يعني تقاييا ذكرها في المدينة أو كنانس في المنطقة ، فالظاهر ان رواية تان - تان « ذرع تريدة » أن تجميد الامام ادريس وخصم أسالة (انظر فيما يتعلق ٢٢٢ ص ٤٣٥) . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ١٢ . والتعليق ج ٢ ، ص ٢٠ .

(٤٧) انظر القرطاس ، ص ٧ .

(٤٨) القرطاس ، ص ٨ - ١٠ . وقارن ابن خلدون (عن الإدارة) ج ٤ ، ص ١٢ . والتعليق ج ٢ ، ص ٢٠ . وابن خلدون (ج ١ ، ص ٨٤) الذي يضيف إلى ذلك « نحو ادريس في تونس الأقصى ودخوله مدينة تونس » .

السنة/ديسمبر ٧٨٩م (٤٩) . وكانت بتلمسان قبيلتا غفراوة وبنو يفرن ، براتينان ، والسيدة للقبيلة الأولى وزعيمها محمد بن خرد بن صولات ، عبراني . وكانت هبة الامام العلوي كافية لخضوع محمد بن خرد دون قتال : إذ أسرع بطلب الامان ويبيع لادريس هو ومن معه من قبائل زناتة بالامامة . بذلك دخل الامام تلمسان صيلحا ، وكان اهم عمل دام به هناك هو بناء مسجد المدينة الجامع ، وصنع منبر جميل كان يحمل نقشا يحدد تاريخ انشائه ، وهو : « بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به ادريس بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم ، وذلك في شهر صفر سنة ١٧٤ (يونية - يولييه ٧٩٠م) (٥٠) » وهذا يعني ان ادريس اقام في تلمسان الى سنة ١٧٤ هـ ثم انه عاد الى ويلي . والظاهر انه مر في طريق حروء بمنطقة تازا التي وصلها في جمادى الآخرة من نفس السنة (١٧٤هـ / أكتوبر ٧٩٠م) حيث اطاعته القبائل هناك ، كما يقول ابن عذاري الذي يصيف انه كملت له الامارة في هذه السنة (٥١) .

وفاة ادريس الاول :

ويفهم من رواية القرطاس ان توجيه ادريس لانظاره نحو المشرق من ويلي - بفتح تلمسان - اثار ذعرا لدى الخلافة بالمشرق . فابن ابي زرع يقول . انه اتصل بالرشيد ان ادريس قد استقام له امر المغرب وأنه عزم على غزو افريقية ، وان الرشيد اغتم لذلك غما شديدا ، فارسل الى وزيره يحيى ابن خالد البرمكي ، وقال له : « ان ادريس ملك تلمسان وهي باب افريقية ، ومن ملك الباب اوشك ان يدخل الدار » (٥٢) . وفكر الخليفة في ان يرسل جيشا لمحاربة العلوي لولا بعد الشقة ، ولكن البرمكي اشار عليه باستخدام الدهاء في التخلص من ادريس - كما تخلص من واضح الذي سهل له الهرب فقتله (٥٣) . ووكّل الرشيد الى وزيره تدبير الامر ، فاشترى يحيى

(٤٩) الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٠٠ .

(٥٠) روض القرطاس ج ٨ ، ولاد ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ، ج ٢ .

ص ٥٦٠ .

(٥١) ابن عذاري ، ج ١ ص ٨٤ ، وانظر الحلة السيرة لابن الأبار ج ١ ص ١٠٠ .

ترجمة ابراهيم بن اغلب ، م . الكبرى ، ص ١١٨ .

(٥٢) القرطاس ، ص ٨ .

(٥٣) الكبرى ، ص ١٢٢ ، الحلة السيرة لابن الأبار ، ج ١ ص ٥٢ . ابن حبة السيرة .

ج ١ ص ٨٢ .

٤٣٦ -

٢٠ بن خالد أحد شيعه العلويين وهو سليمان بن جرير الشماخ ، الذي كان
يريدنا معصبا لآل أبي طالب ، وسيره الى المغرب . وتمكن الرجل من التقرب
من ادرس وهو يربص به الى أن تهيأت له العرصة بغياب زاشد ، فسمه
تم هرب وأفلت من المطاردة فلم يصبه من سيف راشد سوى ضربة كعنت يده
وأحرى شجعت رأسه ، ونجح في العودة الى بغداد (٥٤) .

ومن الجائز أن تكون قصة اغتيال ادريس بهذا الشكل غير صحيحة ،
كما يرى جوتييه (٥٥) . فالروايات لا تختلف فقط في الطريقة التي سم
يها ادريس (٥٦) ، بل هناك روايات أخرى لا تنسب تدبير ذلك إلى الرشيد
جريحى بن خالد البرمكى فقط ، بل تشرك فيه إبراهيم بن الأملب بصفتة والى
الفرنية والمغرب (٥٧) . وبناء على ذلك فليس من الغريب أن يكون أنصار
ادريس وشيعته قد أرادوا له أن يموت شهيداً بدلاً من حنق أنفه ، ففى
ذلك استندار لعطف الجماهير على الأسرة العلوية التي يهدد دم أفرادها غدرا
على المغرب بعد أن أريق ظلما فى المشرق . هذا ، كما يمكن أن يكون الأمر
من نسج خيال كتاب العباسيين أنفسهم ، الذين حملوا من الرشيد - فيما
يعد شخصية أسطورية تحيطها هالات من الغرائب والمخائب . والرشيد
يستطيع ، وهو جالس فى قصر الخلفاء على ضفاف دجلة ، للتخلص من

(٥٤) انظر البكرى ، ص ١٢٠ - ١٢١ (ثلاث صرعات ٢ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ .
الفرطاس ص ٦٠ ، وابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ح ٣ ص ٥٦١ .
(٥٥) جوتييه ، ماضى شمال افريقية (بالفرنسية) ، ص ٣٠٠ .

(٥٦) تختلف الروايات فى أمر الطريقة التي سم بها الشماخ الامام ادريس . فتقول
بداية انه دمع اليه لاروة فيها غالية مسمومة : البكرى ص ١٢٠ ، الاستبصار ص ١٩٥ .
الفرطاس ، ص ٩ - ١٠) وتقول رواية ثانية انه سمه فى دلاعة أو تلمحة قطعها بسكين
وأعطاه النصف الذى يلى الجهة المسمومة من السكين : البكرى ، ص ١٢١ ، الاستبصار ،
ص ١٩٥) . وتقول رواية ثالثة ان الشماخ اتحل العلب فلما شكا ادريس وجعا فى أسنانه
أعطاه سنونا مسموما : البكرى ، ص ١٢١ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٨٣ ، ابن خلدون ج ٤
ص ٧ ، ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٠) . ويأتى صاحب الملحة السيرة (ج ١ ص ٥٣)
برواية اضافية يقول فيها انه سمه فى سكة مشوية (وانظر كذلك ترجمة إبراهيم بن الأملب
ج ١ ص ٩٨ - ٩٩ م .

(٥٧) يقول ابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ح ٢ ص ٥٦٠ ان الشماخ حمل لوملة
من الغليظة الى ابن الأغلب الذى جهزه (وانظر ابن أبي دينار ، المؤنس ، ص ٩٩) . أما عن
الرواية التي ينقلها ابن الأبار فى الملحة السيرة ج ٢ ص ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ - ١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١ - ١٢٢ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ - ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ - ١٤٢ - ١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ - ١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠ - ١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦ - ١٦٧ - ١٦٨ - ١٦٩ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧ - ١٧٨ - ١٧٩ - ١٨٠ - ١٨١ - ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٨ - ١٨٩ - ١٩٠ - ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٥ - ١٩٦ - ١٩٧ - ١٩٨ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٥ - ٢٠٦ - ٢٠٧ - ٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠ - ٢١١ - ٢١٢ - ٢١٣ - ٢١٤ - ٢١٥ - ٢١٦ - ٢١٧ - ٢١٨ - ٢١٩ - ٢٢٠ - ٢٢١ - ٢٢٢ - ٢٢٣ - ٢٢٤ - ٢٢٥ - ٢٢٦ - ٢٢٧ - ٢٢٨ - ٢٢٩ - ٢٣٠ - ٢٣١ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ - ٢٣٨ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤١ - ٢٤٢ - ٢٤٣ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - ٢٤٦ - ٢٤٧ - ٢٤٨ - ٢٤٩ - ٢٥٠ - ٢٥١ - ٢٥٢ - ٢٥٣ - ٢٥٤ - ٢٥٥ - ٢٥٦ - ٢٥٧ - ٢٥٨ - ٢٥٩ - ٢٦٠ - ٢٦١ - ٢٦٢ - ٢٦٣ - ٢٦٤ - ٢٦٥ - ٢٦٦ - ٢٦٧ - ٢٦٨ - ٢٦٩ - ٢٧٠ - ٢٧١ - ٢٧٢ - ٢٧٣ - ٢٧٤ - ٢٧٥ - ٢٧٦ - ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ - ٢٨٠ - ٢٨١ - ٢٨٢ - ٢٨٣ - ٢٨٤ - ٢٨٥ - ٢٨٦ - ٢٨٧ - ٢٨٨ - ٢٨٩ - ٢٩٠ - ٢٩١ - ٢٩٢ - ٢٩٣ - ٢٩٤ - ٢٩٥ - ٢٩٦ - ٢٩٧ - ٢٩٨ - ٢٩٩ - ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢ - ٣٠٣ - ٣٠٤ - ٣٠٥ - ٣٠٦ - ٣٠٧ - ٣٠٨ - ٣٠٩ - ٣١٠ - ٣١١ - ٣١٢ - ٣١٣ - ٣١٤ - ٣١٥ - ٣١٦ - ٣١٧ - ٣١٨ - ٣١٩ - ٣٢٠ - ٣٢١ - ٣٢٢ - ٣٢٣ - ٣٢٤ - ٣٢٥ - ٣٢٦ - ٣٢٧ - ٣٢٨ - ٣٢٩ - ٣٣٠ - ٣٣١ - ٣٣٢ - ٣٣٣ - ٣٣٤ - ٣٣٥ - ٣٣٦ - ٣٣٧ - ٣٣٨ - ٣٣٩ - ٣٤٠ - ٣٤١ - ٣٤٢ - ٣٤٣ - ٣٤٤ - ٣٤٥ - ٣٤٦ - ٣٤٧ - ٣٤٨ - ٣٤٩ - ٣٥٠ - ٣٥١ - ٣٥٢ - ٣٥٣ - ٣٥٤ - ٣٥٥ - ٣٥٦ - ٣٥٧ - ٣٥٨ - ٣٥٩ - ٣٦٠ - ٣٦١ - ٣٦٢ - ٣٦٣ - ٣٦٤ - ٣٦٥ - ٣٦٦ - ٣٦٧ - ٣٦٨ - ٣٦٩ - ٣٧٠ - ٣٧١ - ٣٧٢ - ٣٧٣ - ٣٧٤ - ٣٧٥ - ٣٧٦ - ٣٧٧ - ٣٧٨ - ٣٧٩ - ٣٨٠ - ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ - ٣٨٦ - ٣٨٧ - ٣٨٨ - ٣٨٩ - ٣٩٠ - ٣٩١ - ٣٩٢ - ٣٩٣ - ٣٩٤ - ٣٩٥ - ٣٩٦ - ٣٩٧ - ٣٩٨ - ٣٩٩ - ٤٠٠ - ٤٠١ - ٤٠٢ - ٤٠٣ - ٤٠٤ - ٤٠٥ - ٤٠٦ - ٤٠٧ - ٤٠٨ - ٤٠٩ - ٤١٠ - ٤١١ - ٤١٢ - ٤١٣ - ٤١٤ - ٤١٥ - ٤١٦ - ٤١٧ - ٤١٨ - ٤١٩ - ٤٢٠ - ٤٢١ - ٤٢٢ - ٤٢٣ - ٤٢٤ - ٤٢٥ - ٤٢٦ - ٤٢٧ - ٤٢٨ - ٤٢٩ - ٤٣٠ - ٤٣١ - ٤٣٢ - ٤٣٣ - ٤٣٤ - ٤٣٥ - ٤٣٦ - ٤٣٧ - ٤٣٨ - ٤٣٩ - ٤٤٠ - ٤٤١ - ٤٤٢ - ٤٤٣ - ٤٤٤ - ٤٤٥ - ٤٤٦ - ٤٤٧ - ٤٤٨ - ٤٤٩ - ٤٥٠ - ٤٥١ - ٤٥٢ - ٤٥٣ - ٤٥٤ - ٤٥٥ - ٤٥٦ - ٤٥٧ - ٤٥٨ - ٤٥٩ - ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ - ٤٦٣ - ٤٦٤ - ٤٦٥ - ٤٦٦ - ٤٦٧ - ٤٦٨ - ٤٦٩ - ٤٧٠ - ٤٧١ - ٤٧٢ - ٤٧٣ - ٤٧٤ - ٤٧٥ - ٤٧٦ - ٤٧٧ - ٤٧٨ - ٤٧٩ - ٤٨٠ - ٤٨١ - ٤٨٢ - ٤٨٣ - ٤٨٤ - ٤٨٥ - ٤٨٦ - ٤٨٧ - ٤٨٨ - ٤٨٩ - ٤٩٠ - ٤٩١ - ٤٩٢ - ٤٩٣ - ٤٩٤ - ٤٩٥ - ٤٩٦ - ٤٩٧ - ٤٩٨ - ٤٩٩ - ٥٠٠ - ٥٠١ - ٥٠٢ - ٥٠٣ - ٥٠٤ - ٥٠٥ - ٥٠٦ - ٥٠٧ - ٥٠٨ - ٥٠٩ - ٥١٠ - ٥١١ - ٥١٢ - ٥١٣ - ٥١٤ - ٥١٥ - ٥١٦ - ٥١٧ - ٥١٨ - ٥١٩ - ٥٢٠ - ٥٢١ - ٥٢٢ - ٥٢٣ - ٥٢٤ - ٥٢٥ - ٥٢٦ - ٥٢٧ - ٥٢٨ - ٥٢٩ - ٥٣٠ - ٥٣١ - ٥٣٢ - ٥٣٣ - ٥٣٤ - ٥٣٥ - ٥٣٦ - ٥٣٧ - ٥٣٨ - ٥٣٩ - ٥٤٠ - ٥٤١ - ٥٤٢ - ٥٤٣ - ٥٤٤ - ٥٤٥ - ٥٤٦ - ٥٤٧ - ٥٤٨ - ٥٤٩ - ٥٥٠ - ٥٥١ - ٥٥٢ - ٥٥٣ - ٥٥٤ - ٥٥٥ - ٥٥٦ - ٥٥٧ - ٥٥٨ - ٥٥٩ - ٥٦٠ - ٥٦١ - ٥٦٢ - ٥٦٣ - ٥٦٤ - ٥٦٥ - ٥٦٦ - ٥٦٧ - ٥٦٨ - ٥٦٩ - ٥٧٠ - ٥٧١ - ٥٧٢ - ٥٧٣ - ٥٧٤ - ٥٧٥ - ٥٧٦ - ٥٧٧ - ٥٧٨ - ٥٧٩ - ٥٨٠ - ٥٨١ - ٥٨٢ - ٥٨٣ - ٥٨٤ - ٥٨٥ - ٥٨٦ - ٥٨٧ - ٥٨٨ - ٥٨٩ - ٥٩٠ - ٥٩١ - ٥٩٢ - ٥٩٣ - ٥٩٤ - ٥٩٥ - ٥٩٦ - ٥٩٧ - ٥٩٨ - ٥٩٩ - ٦٠٠ - ٦٠١ - ٦٠٢ - ٦٠٣ - ٦٠٤ - ٦٠٥ - ٦٠٦ - ٦٠٧ - ٦٠٨ - ٦٠٩ - ٦١٠ - ٦١١ - ٦١٢ - ٦١٣ - ٦١٤ - ٦١٥ - ٦١٦ - ٦١٧ - ٦١٨ - ٦١٩ - ٦٢٠ - ٦٢١ - ٦٢٢ - ٦٢٣ - ٦٢٤ - ٦٢٥ - ٦٢٦ - ٦٢٧ - ٦٢٨ - ٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢ - ٦٣٣ - ٦٣٤ - ٦٣٥ - ٦٣٦ - ٦٣٧ - ٦٣٨ - ٦٣٩ - ٦٤٠ - ٦٤١ - ٦٤٢ - ٦٤٣ - ٦٤٤ - ٦٤٥ - ٦٤٦ - ٦٤٧ - ٦٤٨ - ٦٤٩ - ٦٥٠ - ٦٥١ - ٦٥٢ - ٦٥٣ - ٦٥٤ - ٦٥٥ - ٦٥٦ - ٦٥٧ - ٦٥٨ - ٦٥٩ - ٦٦٠ - ٦٦١ - ٦٦٢ - ٦٦٣ - ٦٦٤ - ٦٦٥ - ٦٦٦ - ٦٦٧ - ٦٦٨ - ٦٦٩ - ٦٧٠ - ٦٧١ - ٦٧٢ - ٦٧٣ - ٦٧٤ - ٦٧٥ - ٦٧٦ - ٦٧٧ - ٦٧٨ - ٦٧٩ - ٦٨٠ - ٦٨١ - ٦٨٢ - ٦٨٣ - ٦٨٤ - ٦٨٥ - ٦٨٦ - ٦٨٧ - ٦٨٨ - ٦٨٩ - ٦٩٠ - ٦٩١ - ٦٩٢ - ٦٩٣ - ٦٩٤ - ٦٩٥ - ٦٩٦ - ٦٩٧ - ٦٩٨ - ٦٩٩ - ٧٠٠ - ٧٠١ - ٧٠٢ - ٧٠٣ - ٧٠٤ - ٧٠٥ - ٧٠٦ - ٧٠٧ - ٧٠٨ - ٧٠٩ - ٧١٠ - ٧١١ - ٧١٢ - ٧١٣ - ٧١٤ - ٧١٥ - ٧١٦ - ٧١٧ - ٧١٨ - ٧١٩ - ٧٢٠ - ٧٢١ - ٧٢٢ - ٧٢٣ - ٧٢٤ - ٧٢٥ - ٧٢٦ - ٧٢٧ - ٧٢٨ - ٧٢٩ - ٧٣٠ - ٧٣١ - ٧٣٢ - ٧٣٣ - ٧٣٤ - ٧٣٥ - ٧٣٦ - ٧٣٧ - ٧٣٨ - ٧٣٩ - ٧٤٠ - ٧٤١ - ٧٤٢ - ٧٤٣ - ٧٤٤ - ٧٤٥ - ٧٤٦ - ٧٤٧ - ٧٤٨ - ٧٤٩ - ٧٥٠ - ٧٥١ - ٧٥٢ - ٧٥٣ - ٧٥٤ - ٧٥٥ - ٧٥٦ - ٧٥٧ - ٧٥٨ - ٧٥٩ - ٧٦٠ - ٧٦١ - ٧٦٢ - ٧٦٣ - ٧٦٤ - ٧٦٥ - ٧٦٦ - ٧٦٧ - ٧٦٨ - ٧٦٩ - ٧٧٠ - ٧٧١ - ٧٧٢ - ٧٧٣ - ٧٧٤ - ٧٧٥ - ٧٧٦ - ٧٧٧ - ٧٧٨ - ٧٧٩ - ٧٨٠ - ٧٨١ - ٧٨٢ - ٧٨٣ - ٧٨٤ - ٧٨٥ - ٧٨٦ - ٧٨٧ - ٧٨٨ - ٧٨٩ - ٧٩٠ - ٧٩١ - ٧٩٢ - ٧٩٣ - ٧٩٤ - ٧٩٥ - ٧٩٦ - ٧٩٧ - ٧٩٨ - ٧٩٩ - ٨٠٠ - ٨٠١ - ٨٠٢ - ٨٠٣ - ٨٠٤ - ٨٠٥ - ٨٠٦ - ٨٠٧ - ٨٠٨ - ٨٠٩ - ٨١٠ - ٨١١ - ٨١٢ - ٨١٣ - ٨١٤ - ٨١٥ - ٨١٦ - ٨١٧ - ٨١٨ - ٨١٩ - ٨٢٠ - ٨٢١ - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣

عدوه العلوى فى أقصى المغرب ناهون الأمياب (٥٨) .

٢ - ادريس الثانى (بن ادريس) - مولده وطفولته :

وتتفق الروايات على أن ادريس بن عبد الله لم يحتله فى سنة ١٧٥هـ / ٩٠ - ٧٩٢ م ، بمعنى أنه ولى ثلاثة أعوام ونصف عام (٥٩) ، لم يشتد بين ذلك إلا صاحب روض القرطاس الذى جعل موت ادريس على أول شهر ربيع الثانى من سنة ١٧٧ هـ / ٢٦ يولية ٧٩٢ م (٦٠) ، بمعنى أنه ولى خمسة أعوام وسبعة أشهر ، هذا ولو أنه يورد التاريخ الأول بعد ذلك (٦١) ، ودفن ادريس

= ابن الأغلب) فتقول ان السامع بعد أن قام بهيمته فى سـ ادريس قسم على ابراهيم بن الأغلب وأخبره بما كمل ، كتبت ابراهيم الى الرشيد بذلك ، لوكن السامع يريد مصر وأجازة . ولله وجه ابن الأجار فعلا فى الحلة السوداء (ج ١ ص ١٠٠) رواية بعض كنى الكتاب من تبه الى هذا التضاد التاريخى ، فنص على أن ابراهيم بن الأغلب هو الذى دس بعض أصحابه - أثناء ولايته للراب - لاختيال ادريس ، ففعلوا ويقتوا الى ابراهيم برأسه . وتطيف تلك الرواية : ان ابراهيم أخبر ابن العكى (والى الفريقة حينئذ) بالأمر فنسب العكى ذلك الى نفسه وكتب الى الرشيد به فحولا أن أخبره صاحب البريد بما قام به ابراهيم ، فكان ذلك سببا فى عزل العكى وتولية ابن الأغلب الفريقة . وليس من الغريب أن يكون الرشيد قد أخبر واليه على الفريقة بما كان يدبره لادريس ، وأن يطلب منه تقديم العون له ، وهذا ما ينص عليه الطبرى (أخبار سنة ١٦٩) ، وأن كان يحمل كتب الرشيد الى ابراهيم بن الأغلب - والمعروف ان ابراهيم بن الأغلب لم يل الفريقة الا فى سنة ١٨٤ هـ / ٨٠٠ م ، وأنه كان قبل ذلك واليا عن الزلب - لم والى الفريقة فى الوقت الذى تولى فيه ادريس فكان نصر بن حبيب المعلى (من رمضان سنة ١٧٤ هـ / فبراير ٧٦١ م الى المحرم من سنة ١٧٧ هـ / ابريل ٧٩٢ م) .

(٥٨) وهذا ما يصر عنه بعض شعراء المباسمين فى شعر مقله الطبرى ، وفيه يقول :

أظن يا ادريس أنك مقلت كيد الخليفة أو يلبد لبراد
ملك كان مملوت يتبع أمره حتى يقال : تطيعه الأسرار

(الطبرى ، أحداث سنة ١٦٩) . وانظر الجزائى ، زهرة الأوس ، ص (١) - حيث يطيف كرامة الإمام ادريس اذ يقول : « ظهر جسده يكفنه فى سنة ٧١٨ هـ ، وإلجم الناس عليه من سائر أقطار المغرب حتى غلب الفتنه بسبب ذلك ، فبسط أمير المسلمين أبو سعيد ابن بطوطه يده عليه الحق - كليلو الله أصاله - بتفريدهم وتحسين اللعن من أجل ذلك » . كذا .

وقلت عليه فى أمر سلطاني يقضى بذلك .

(٥٩) انظر الكرى ، ص ١٢١ ، الاستصار ، ص ١٩٦ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٠ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ ، والترجمة ج ٢ ص ٤٦١ ، الحلة السوداء لابن الأبار ، ترجمة ابراهيم بن الأغلب ، ج ١ ص ١٠٠ : حيث يحصل ولاته فى سنة ١٧٥ هـ / ١١٩١م ، وطريف ج قبل . سنة ١٧٤ هـ / ٧٩٠ م .

(٦٠) روض القرطاس ، ص ١٠ . والذى يلفت النظر أن صاحب هذه الرواية يحمل جويلد ادريس الثانى فى سنة ١٧٧ هـ (انظر ص ٤٢٨ وهـ ٧٢ ، ص ٤٢٩ حيث محسلة تصحيح ذلك) .

(٦١) روض القرطاس ، ص ١٠ (رواية النوفلى وابن الأبار)

ماقرب من وليلى ، وشغرت الامامة بعده ، اذ انه لم يترك وريثا . ولم تستمر
الامامة ساعة الا لمدة اشهره اذ كان ادريس قد ترك جارية ليحيى البربر .
تسمى كثره ، حبلى . فيجمع راشد رؤساء القبائل واتفق معهم على ان
ستظروا ماذا يكون من امر الجارية ! فان وضعت ولدا كان وريث والده ،
وان كان المولود جارية امروا على انفسهم من ارادوا (١٤) . ويظن حوتيه ان
ذلك لم يكن الا مناورة من راشد او من رؤساء القبائل ، وانه كان من الطبيعى
ان يكون المولود ذكرا . ولو جاء جارية لكان من الممكن تدبير الامر - اى
استبدال ولد بالجارية (١٥) . وهو فى ذلك يرى ان البربر كانوا فى حاجة
الى امام له من الهية (البركة) ما يملى احترام سلطابه على الجميع (١٦)
ومع وجاهة هذه الهية ، فمنح لا نستطيع ان نخوض فى احتمالات قصصية
جديدة لذكى الروايات التاريخية من الاساطير التى تجعل الوصول
الى الحقيقة من الصعوبة بمكان (١٧) .

والمهم ان زعماء القبائل استمعوا الى رأى راشد الذى اخذ على عاتقه
ادارة الامور ، فكان يصلى بالناس ويحكم بينهم (١٨) . وبعد شهرين من وفاة
ادريس وضعت كنزة غلاما سمي باسم والده تيمنا ، فهو ادريس بن ادريس (١٩) .
او هو ادريس الأصغر ، كما يسميه ابن خلدون (٢٠) . وظل راشد يشغل

(١٢) القرطاس . ص ١٠ - ١١ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ (الذى يقول ان
اورقة دايموا ادريس الأصغر - حلا ثم رضيا ثم نصيلا الى ان شب ٥٠) .
(١٣) جوتية . ماضى شمال المرقية (بالفرنسية) ، ص ٣٠٠ .
(١٤) نفس المرجع .

(١٥) والمهمة التى توجد رواية يوردها البكرى (ص ١٢٢) كثير موضوع العلاقة بين
راشد وبين ادريس بن ادريس ، وتجعلها نوعا من التنس ، مما جعل بعض شعوم الادارسة
فى المغرب يفتخرون فعلا الى ان ادريس ابن ادريس هو ابن راشد حقا ، كما فعل محمد بن السهرى
الذى قال شعرا يمجو به القاسم بن ادريس بن ادريس بن راشد حقا ، كما فعل محمد بن السهرى
لما رأى القاسم مصاليا . اهدت هذا ان جنتك راشد
(١٦) كورس القرطاس ، نفس ١١ ، البكرى ، ص ٢٢٢ ، الحلة السيرة ، لابن الابار .
ج ١ ص ٥٣ ، ٥٤ .

(١٧) الظل البكرى (ص ١٢٢) الذى يجعل مولده فى ربيع الاخر سنة ٩٧٥ هـ /
اكتسب ٧٩١ م ، وقارن القرطاس الذى يفسر سبب تسميته بادرير ، فيقول انه كان يشبه
الناس بوالده ، حتى قالوا . هذا هو ادريس بعينه كانه لم يمت . ويجعل ابن ابي زرع مولده
فى قرية اسمها كنزة (ولا نعرف ان كان ذلك صحيحا ام ان الامر اشكل عليه فخلقت بين اقسام
جدة الوليد واسم القرية) فى ٣ رجب سنة ١٧٧ هـ / اكتوبر ٧٩٣ م (ص ١١) .

منصب الرضى ويرعى الفلام ، فأدبه أحسن الأدب وأقرأه القرآن - فحفظه الصغير وهو ابن ثمانية أعوام - وعلمه السنة والفقه والنحو والحديث والشعر ، وأمثال العرب وحكيها وشير ملوكها ، كما دربه على ركوب الخيل والرماية بالسهم ومكايد الحروب (٦٩) .

إمامته :

وقدر لادريس أن يلى الإمامة وهو صبي صغير لم يبلغ من العمر ثلاثاً وأحدى عشرة سنة . ويتفق معظم الكتاب على أن تنصيب ادريس لثاني - تم فى سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م (٧٠) ، رغم أنهم يقولون أنه ولد عقب وفاة ادريس الأول فى سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م . ولو صح ذلك لكان عمر ادريس الأصغر حينئذ حوالى ثلاثة عشر عاماً وليس أحد عشر : وهذا ما يظهر فى رواية البكرى وابن عذارى التى حددت ولاية ادريس بن ادريس بسنة ١٧٨ هـ / ٨٠٣ م ، وأضافت : - وهو ابن احدى عشر سنة - . ثم أتبع ابن عذارى ذلك بقوله : - وقيل أكثر من ذلك - (٧١) . ولهذا السبب نتفق أن إجماع الكتاب على أن ادريس الثانى ولى الإمامة وعمره احدى عشرة سنة هو الذى جعل صاحب روض القرطاس يحدد وفاة ادريس الأول بسنة ١٧٧ هـ / ٩٧٣ م (٧٢) ، حتى يصح الحساب . أما عن مشكلة التوفيق بين ما يكاد يجمع عليه الكتاب من أن ادريس الأصغر ولى الإمامة فى سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م ، وأنه كان له من العمر احدى عشرة سنة ، فنتخذ أنها مرتبطة بفوارة راشد مولى ادريس الأكبر ، رغم ما يقوله صاحب القرطاس - وينسبه الى البكرى ، من أن راشد لم يمت حتى أخذ البيعة لادريس بالمغرب (٧٣) ، فإن معظم الكتاب - ومنهم البكرى نفسه (٧٤) - يتفقون على أن امامة ادريس الأصغر تمت بعد وفاة راشد ، وإن اختلفوا فى تجديد مدى ذلك . فصاحب القرطاس يقول أن راشد اغتيل

(٦٨) الطبري ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ .

(٦٩) القرطاس ، ص ١١ ، وأنظر البكرى ، ص ١٢٢ (رواية التوفيق : هل بن محمد ابن سليمان بن عبد الله بن توفيق بن الحارث بن عبد المطلب - الذى ينقل عنه الطبري بطى أخبار الملوين - أنظر الطبري ، سنة ١٦٩ ، طب : ذخائر العرب ، ج ٨ ص ٢٠٠) .

(٧٠) ابن خلدون ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ ، القرطاس ، ص ١٢ ، وابن الاستبصار (ص ١٦٦) الذى يحدد بيعة ادريس بن ادريس سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م - ٨٠٨ م . (٧١) البكرى ، ص ١٢٢ (يوم الجمعة ٧ ربيع الأول سنة ١٨٧ هـ / حاشى ج ٢ ص ٢٠٠) .

ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٠ .

(٧٢) أنظر ص ٤٣٧ ، وم ٦٠ .

(٧٣) أنظر القرطاس ، ص ١٣ .

(٧٤) أنظر البكرى (ص ١٢٢) الذى جعل وفاة راشد سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م .

بتدبير إبراهيم بن الأغلب قبل مبايعة ادريس الثاني ، وهو يحدد تلك البيعة بعشرين يوما بعد قتل راشد (في غرة ربيع الأول سنة ١٨٨ هـ / ١٧ فبراير ٨٠٢ م (٧٥) . أما عن رواية الاستبصار فتزيد الأمر تعقيدا ، إذ تجعل بيعة ادريس بعد وفاة راشد ولكن في سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ - ٨٠٨ م (٧٦) . أما ابن خلدون فيذكر - مثل غيره - أن بيعة ادريس بن ادريس كانت في سنة ١٨٨ هـ في مسجد ويلي ، وأن الامام الصغير كان يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، وأنه كان في رعاية أبي خالد بن يزيد بن الياس العبدى ، ولكنه يشع ذلك بأن ابن الأغلب اغتال راشد قبل ذلك بستين (٧٧) .

والحقيقة انه يمكن أن نجد مفتاح المشكلة في رواية ابن خلدون هذه . فعلى أساسها يكون لادريس بن ادريس أحد عشر عاما عند وفاة راشد (في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م ، كما في الكبرى) ونعتقد انه كان من الطبيعي أن تبايعة القبائل بعد وفاة مربيهم ووصية . ولقد تمت تلك البيعة الأولى تحت اشراف أبي خالد بن الياس العبدى الذى آلت إليه الوصاية على ادريس الأصغر (٧٨) . فنعتقد أنه في سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م ، وبعد أن تخطى ادريس الثالثة عشرة من عمره ، اعتبر راشدا غير قاصر . فبايعة القبائل على أنه الامام الذى يستطيع ممارسة سلطانه دون وصاية . وهذا ما يقوله فعلا ابن خلدون بعد روايته الأولى وإن لم يحدد له تاريخا (٧٩) . أما عن التاريخ الذى يحدده الاستبصار وهو سنة ١٩٢ هـ ، فنعتقد أنه صحيح هو الآخر . وهو متعلق ببناء مدينة فاس ، كما سنرى ، فقد كان لابد من مبايعة الامام في عاصمة البلاد الجديدة ومستقر الامامة .

وبناء على ذلك يكون ادريس الأصغر قد بويع مرات ثلاثة : في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م بعد تخطيه الحادية عشرة ، وكان تحت الوصاية - إذا جاز هنا استعمال هذه الكلمة - ، وفي سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م بعد أن تخطى الثالثة

(٧٥) القرطاس ، ص ١٢ : ورواية القرطاس هذه - التى نقلها عن عبد الملك الوراث - تقول ان عزم راشد على مبايعة ادريس بن ادريس بالامامة كان السبب فى أن دبى إبراهيم بن الأغلب اغتياله .

(٧٦) الاستبصار ، ص ١٩٦ .

(٧٧) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦١ (يذكر اسمه : أبو خالد ابن يزيد) .

(٧٨) أنظر الكبرى ، ص ١٢٢ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ ، القرطاس ، ص ١٣ .

(٧٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والترجمة ج ٢ ص ٥٦١ .

عشرة وأصبح راشدا تماما غير قاصر - وهي البيعة الكبرى - ، وأخير لي سنة ١٩٢ هـ / ٨٩٧ - ٨٠٨ م بعد بناء العاصمة فاس .

فيروان آخر بالمغرب الأقصى : بناء مدينة فاس :

نشر العروبة في المغرب الأقصى :

تعتبر مبايعة إدريس بن إدريس بالإمامة سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م نقطة تحول مامة في تاريخ الدولة الإدريسية الناشئة . فحتى ذلك الحين لم يكن للإمام في الحقيقة ، بأكثر من لاجئ لدى قبائل البربر بالمغرب الأقصى - رغم المركز الممتاز الذي كان له بين القبائل ، والسلطات الكبرى التي كان يمارسها . فالإمام كان مدينا يتركز هذا إلى هبة الأميرة العلوية وبيت النبوة وإلى ما تحلى به من الصفات : من الإصلاح وتملك الشبهوات والفضل ، وإشارة العدل والاقبال على عمل الخير (٨٠) ، إلى جانب نشاط راشد وحسن تدبيره . أما عن موقف الإمام الخاص - في البيعة الجديدة - فكان موقف المغرب الوحيد ، الذي استبدل بأودية مكة وحررات المدينة جبال طنجة ومدينة وليلة ، ويعرب ، الحجاز والجزيرة بربر السوس والمغرب ، وبالأهل والأصدقاء اتباعا مخلصين - ولكنهم من لون جديد - حقيقة أن إدريس الأول أخذ يستقبل أعدادا من الوافدين - عليه من الحجاز ، من أهله وأنصاره : مثل أخيه سليمان - الذي استقل أبناؤه بالمغرب الأوسط فيما بعد (٨١) - وابن عمه داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب (٨٢) إلا أن هؤلاء كانوا قلة قليلة لم تستطع أن تغير من طبيعة الاحساس بالقرية . والدليل على ذلك أن بعض هؤلاء الوافدين فضلوا العودة إلى وحشة المشرق على البقاء في أمن المغرب ، مثل داود بن القاسم الذي رجع إلى المشرق على أيام إدريس بن إدريس ، وإن كانت ذريته قد بقيت في المغرب (٨٣) .

من هذا الوجه بدأ تغير جديد ، اعتبارا من مبايعة إدريس الثاني سنة ١٨٨ هـ ، وممارسة الإمام الشاب لسلطانه ، إذ أخذ يحيط نفسه بحاشية

(٨٠) انظر ابن عساق ، ج ١ ص ٨٤ .
(٨١) انظر البكري ، ص ١٢٢ . ابن عساق ، ج ١ ص ٩١ . ابن خلدون ، ج ٤ ص ٦٢٢ .
والبرجعة ج ٢ ص ٥٦٠ . القرطاس ، ص ٤ .
(٨٢) البكري ، ص ١٢٢ . ابن عساق ، ج ١ ص ٢١٠ .
(٨٣) البكري ، ص ١٢٣ . ابن عساق ، ج ١ ص ٢١٠ . وكلاهما القرطاس ، ص ١٢٣ .
ابن القاسم أيام إدريس الأصغر ، ص ١٢٣ .

عربية وحرس عربي ، على نجو مالوف . وكان ذلك يعنى - فى نفس الوقت - العمل على نشر المزوبة فى الدولة الناشئة الى جانب نشر الاسلام . ففى السنة التالية (١٨٩ هـ) وفد على ادريس الأصغر جماعات من عرب افريقية والاندلس : من القيسية والأزد - ومندنج وبنى يحيى والصدق وغيرهم ، من نحو الحمسمائة رجل (٨٤) . فرحب بهم الامام الشاب . وجعلهم بطانته دون البربر ، فاعتز بهم لانه كان فريدا بين البربر وليس معه عربىة (٨٥) . وبذلك بدأ التعريب - كما نقول - فاتخذ الامام وزيرا من الأزد هو عمير بن مصعب الملقب بالملجوم - وهو من سادات العرب وكان لأبيه مصعب مائى عظيمة بالافريقية والاندلس ثم مشاهد فى غزو الروم (٨٦) - . كما انه اتخذ قاضيا من القيسية - هو حافر بن مخيم بن سعيد ، الذى كان فقيها صالحا سجع من مالك بن انس وسفيان الثوري وروى عنهما ، ودخل الاندلس مجاهدا ثم جاز الى المدوة (٨٧) . اما كلبته فكان أبو الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي الانصارى (٨٨) . وكان ولده العرب الأول هذا بديع سيتل من الهجرة العربية من الاندلس وافريقية نحو ادريس الثاني . ولقد ساعد على ذلك وقوع اضطرابات فى الاندلس وافريقية دفعت الكثيرين من عربها الى الهجرة ، مثل اضطرابات رضى قرطبة (٨٩) ، وثورات الجند العربى فى المريقية على ولاية بغداد (٩٠) وهذا ما ينص عليه ابن أبى زرع عندما يقول : ولم تزل الوفود تقدم عليه من العرب والبربر من جميع الافاق ، فكثر الناس وضافت

(٨٤) القرطاس ، ص ١٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦١ . ذمير . الآس ، ص ١٢ .

(٨٥) نفس المصدر السابق .

(٨٦) القرطاس ، ص ١٤ ، ولان بن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦١ . (تيسى الوزير مصعب بن زعيم الأزدى ، ويقول ان سبب تسميته بالملجوم هو انه جرح فى الفخذ من ضريرة سيف و كالبها خنك) .

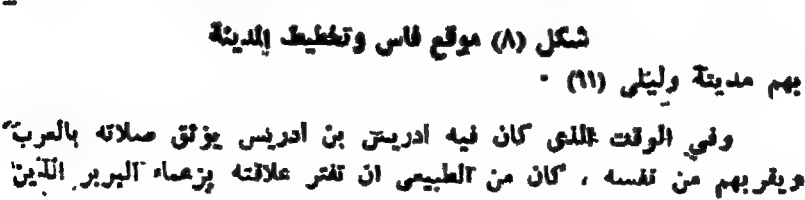
(٨٧) القرطاس ، ص ١٤ (المدوة يعنى البر من حيث يختار البحر ، والمطسب الكلبة على ضفتي بحر الزقاق بين الاندلس والمغرب ، فهما المدوتان : مدوة الاندلس ومدوة المغرب او المريقية . والكلبة فى القرطاس هنا تعنى البر المجرى او بلاد المغرب التى أصبحت مركزا للقبائل عبر ايام الكلاب (قرن ١٤ م) . بعد ان استولى البعاري على معظم الاندلس لأصبح البر المجرى هو المدوة دون البر الآخر) .

(٨٨) روى القرطاس ، ص ١٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ ، والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦٢ .

(حيث ايسم ابو الحسن عمير الملقب بن مالك الخزرجي) .

(٨٩) انظر فيما سبق من بناء سيجاسة ، ص ٤٠٩ .

(٩٠) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٣٤٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٩٠ وما بعدها .



أخذوا يفقدون بعض ما كان لهم من سلطان سيد قشينا - والمثل الصريح لذلك هو زعيم أوربة اسحق بن محمد ، الذي بد يصص بوالى امريسية العباسى ابراهيم بن الأغلب ، فكان جزاءه القتل بأمر الامام (٩٢) . وهو هذه الظروف الحاسمة التى بدأت فيها كفة العرب ترجح على كفة البربر ، لم يكن من الطبيعى ان يظل الامام فى ولىلى - مدينة أوربة - التى أخذت تضيق بأهلها . وكان لابد له من اتخاذ حاضرة جديدة أكثر اتساعا وأكثر تمثيلا للاتجاه السياسى الجديد : الاتجاه العربى .

ويؤيد وجهة نظرنا هذه رأى جوتيه (٩٢) الذى لا يوافق على فكرة ضيق ولىلى بأهلها ، اذ يقول ان خرائب ولىلى موجودة وان مكان المدينة لا يمنع من اتساعها . هذا ، ولو اننا لا نوافق على تفسيره لانتقال ادريس من ولىلى وبنائه لمدينة فاس ، بأن سهولة انتقال القبيلة من مكان الى مكان هو الذى جعل نقل المدينة الى موضع جديد عملا سهلا بالنسبة لأهل المشرق . أسهل من تجديد المدينة القديمة . والحقيقة ان جوتيه ينظر هنا الى العوامل الجغرافية من طبيعة وبشرية فقط ، ويهمل الظروف السياسية التى كانت بمثابة المحرك بالنسبة لتلك الأحداث .

اختيار موضع فاس :

فى هذه الظروف أعلن الامام ادريس الاصغر ، فى سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م ، عزمه على الانتقال من ولىلى . واتخاذ مدمه يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته ، وركب فعلا لاختيار الموضع المناسب للعاصمة الجديدة (٩٤) . ووقع الاختيار على جبل يعرف بزالح ، وأعجب الامام بارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه ، وقرر ان يختط مدينته فى السفح الشمالى لهذا الجبل . وشروع فى البناء فعلا ، وم جزء من بناء السور ، ولكنه انقطع أن

(٩٢) انظر البكرى (ص ١٢٣) ، الذى يصح فى أن انا خالد يزيد بن الياس الذى قام بأمر ادريس بعد وفاة واحد قتل انا ليل اسحق ، ويحدد ذلك بمر السبب ٦ من ذى الحجة سنة ١٩٢ هـ / ٢ أكتوبر ٨٠٨ م . ويشير إلى است هرايه إلى المشرق مع أحمد وسليمان ابن قيد الرحمن . - أى فى نفس السنة التى بدأ فيها تأسيس مدينة فاس . ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ والفرجة ج ٢ ص ٥٦١ . وانظر فيه سبق (عن استجابة الزعيم الزناتى بهلول بن عبد الواحد لأفراء الرشيد وابن الأغلب) . ص ٣٩ وم ٥٧ .

(٩٣) جوتيه ، ماضى شمال إفريقيا ٠٠٠ (بالفرنسية) ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٩٤) دوحى القرطاس ، ص ١٤ - ١٥ .

اختيار الموقع لم يكن موفقا : فعندما نزلت السيول ذات ليلة على الجبل - هدمت ما كان قد بنى من السور ، كما جرفت في طريقها ما كان حوله من حيام العرب ، قرأى ادريس أن يترك البناء في ذلك الموضع (١٥) . وبذلك شملت أول محاولة لبناء العاصمة الجديدة - حسب روايات القرطاس - رستمشل محاولة ثانية في العام التالي .

في المحرم من سنة ١٩١ هـ / نوفمبر ٨٠٦ م خرج ادريس في رحلة صيد لتخير موضع مناسب ، ووصل الى وادي سبو ، بالقرب من الينابيع الساخنة المعروفة بحمة خولان - التي تسمى حاليا باسم سيدي حرازم على بعد ١٥ كيلو متر شرق فاس (١٦) - وأعجب بالموضع لقربه من ماء النهر العذب ومن الحيامات الساخنة . وتقول الرواية انه بدأ في العمل ليلا فحفر الأساس وعمل الجير وقطع الخشب ، وابتدأ بالبناء . ولكنه عندما حل فصل الشتاء ورأى فيضان النهر خشى أن تتكرر تجربة العام السابق فيهلكه الناس ، فرفع يده عن البناء وعاد أدراجه الى ويلي (١٧) .

وعندئذ رأى الامام ان يسند الأمر الى وزيره عمير بن مصعب اللقي خرج في نفس السنة (١٩١هـ) كما يفهم من رواية القرطاس ، ونجح في اختيار الموضع المناسب ، وذلك في فحس أساس حيث الأرض فسيحة معتدلة بين جبلين ، والمياه كثيرة تخرج في هدوء من العيون التي تميز أحد روافد نهر سبو وهو وادي فاس ، وحولها الأشجار من الطرفاء والطخش والعرعار والكلكغ وغيره (١٨) . ولم يكن الموضع مهجورا بل كانت فيه مضارب لقبيلتين زناتيتين هما : زواغة - وتعرف ببني الخير - (حول عدوة القروين) وبني يزغتن (حول عدوة الاندلسيين) (١٩) ، كل واحدة منهما على ضفة من

(١٥) انظر القرطاس (الذي ينقل رواية ابن غالب) . ص ١٥ .
(١٦) انظر ليلي بروفنسال . تأسيس مدينة فاس (بالفرنسية) Islam d'Occident, La Fondation de Fès, Paris, 1948 ص ٦ وماش ١٤ . والترجمة العربية ، طبعة إدارة الثقافة ، الإلف كتاب . ص ٨ هامش ٢ . وانظر لدورن الذي يخلص به بروفنسال في دراسته عن مدينة فاس :
R. Le Tourneau, Fès avant le Protectorat, Casablanca, 1941, p: 31 et suiv.

(١٧) القرطاس ص ٢٥ .
(١٨) القرطاس . ص ٢٥ - ٢٦ .
(١٩) القرطاس . ص ٢٦ - حيث نجد قراءتين : بنو يزغتن وبنو يزغتن . ولقد فصلت المرأة الأولى لاما أكثر استصلا في النص وكذلك فعل بروفنسال في « تأسيس مدينة فاس » (الأصل ، ص ٢٦ وإلهام ٤٧ ص ٤٠ والترجمة ص ٤١ وإلهام ٢٦) وذلك

ضفتي النهر - الصغير - وعاد الوزير - يخبر الامام بالموضع الممتاز الذي تتوفر فيه كل مزايا موضع المدينة النموذجية - من الماء الجارى ، والمحراث الطيب ، والمحطب القريب (١٠٠) - ووافق الامام واشترى الموضع بستة آلاف درهم - غال منها بنو يزغتن ٢٥٠٠ - ألفى وخمسمائة - درهم وزواجة ٣٥٠ - ثلاثة آلاف وخمسمائة) درهم ، واشهد عليهم بذلك - ويفهم من رواية القرطاس - ان شراء موضع بنى يزغتن تم أولا ، وكان محرر العقد ابا الحسن عبد الله بن مالك الخزرجي ، كاتب الامام (وذلك في سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ - ٨٠٧ م) - (١٠١) .

- وكان معي - الامام - الى مختارب القبيلتين خيرا بوبركة عليهما - اذ كانا - صالح بينهما بعد ان كانت بينهما نزاعات وحروب - وهنا نلاحظ ان الرواية تباليغ - من غير شك - عندما تذكر ان البربر في ذلك الموضع كانوا على النصرانية واليهودية وعلى المجوسية ايضا ، وانه كان لبنى يزغتن - (اصحاب موضع عدوة الاندلس) - بيت - قار هناك (١٠٢) . - والرواية هنا يقصدون نسبة اعمال باهرة وخدمات جليلة الى باني مدينة فاس (١٠٢) ، التي ادخل في الاسلام اشتاتا من اصحاب الديانات والعقائد المختلفة .

= لقرب هذا الاسم من اسم القبيلة المشهورة حاليا في جنوب فاس ، وهي قبيلة بنى يزغنة ، اما ابن خلدون (ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢) فنجد القراءة فيه بوش وبنش . هذا بينما يرى الفردويل في ترجمته لزهره الاس (النص ص ١٤ والترجمة ص ٤٠) انه لم يكن من المعلوم لديه وجود قبيلة مراكشية باسم « يرش او يرش » - حسب ما يوجد في نص الجزنالي - فانه يحيد قراءة الاسم في شكل « بنى يزغى » الذي هو اسم قبيلة من جنوب فاس .

(١٠٠) القرطاس ، ص ١٣ - ١٧ .

(١٠١) القرطاس ، ص ١٦ (وزهره الاس ، ص ١٤) .

~ (١٠٢) القرطاس ، ص ١٦ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ ، وانظر البكري (ص ١١٦) الذي يحدد اسم « ايراب » فليس ، وهو « ايراب » الشرقي - يحمل اسم باب الكنيسة .

(١٠٣) وفي مقام مولانا ادريس في نفوس اهل المغرب ، يقولوا - مسترجع ابن الفهيد - الحالف اهل الزمان باختيار ملوك تونس وعهد الامان ، تونس ١٩٦٢ ، ص ٩ - ١٦ : « والمغرب مسلم الكرامة [هذا] السيد جيا اى ميتا حتى انهم يستقبلون ان سبطان المغرب حليقة هو مولانا ادريس بقتضى ما فيهم من الخير والسادة الاسلامية ، من تعظيم الانراف والصلح والصلح » .

البناء : عدوة الأندلس :

وعلى أساس تلك الروايات التي جمعها ابن أبي ررع ، تكون مدينة
دس قد بنيت على دفعتين الأولى ابتداء من سنة ١٩١ هـ / ٨٠٧ م . عندما
استقر الإمام موضع البرعتين ، وبني فيه الحرة من المدينة الذي سيعرف
عدوة الأندلس ، على الصفة الشرقية لنهر فاس . في غرة ربيع الأول من
السنة التالية ١٩٢ هـ / ٤ يناير ٨٠٨ م (١٠٤) . ووصح الإمام حير الأساس
نفسه ، بعد أن دعا لمدينته الجديدة بأن يجعلها الله دار علم وفقه يتلى بها
كتاب الله ، وتقام بها حدوده ، ولأهلها بأن يجعلهم الله مستسكين بالمدينة
وانجماعة طالما بقيت المدينة (١٠٥) . وبدء بناء الأساس ثم دور الإمام والمسجد
الجامع الذي عرف بجامع الأشياخ ، كما نصبت الخيام ، وأحيط كل ذلك
بسوار (جدر) من الخشب والقصب ، وذلك في الموضع من المدينة الذي
عرف بحرواة (كرواة) والذي مازال يحتفظ بهذا الاسم الى اليوم (١٠٦) .
وبناء المدينة بهذا الشكل يدل على أنها كانت بسيطة أشبه ما تكون بقرية من
دري الحبال الفقيرة فعلا . كما يقول بروفنسال (١٠٧) .

عدوة القرويين :

كما اجزاء اتاني من المدينة وبدأ ببنائه في غرة ربيع الآخر من السنة

- ١٠٥ : القوطس ص ٩ الكرى ص ١١٥ وص ١٢٣ (باقوت محم السلال -
دس ، من حدود ص ٣
(١٠٥) القوطس ص ١٩ - ٢ هـ لاس ص ١٧
(١٠٦) القوطس ص ١٦ من حدود ص ١٢ (كرواة) وفي تفسير اسم
حرواة يقول الحراني ، رهرة الاس ص ١٤ ، الإمام ادريس بعد أن ضرب اخيشة
ومبايه بالموضع . دور هذه حرواة من الحسب فسمى الموضع حرواة للسهل .
كما يعني ان حرواة باللغة المحلية كانت تسمى اشياخ . وهو ما يعني عليه الجزائي بعد
ذلك ، ص ١٩ ، ان يقول ان الإمام حر بالصور المعروف بالحرواة . وانظر دراسة بروفنسال
(من تأسيس مدينة فاس) التي يقبل تفسير كلمة جدر (حج حذر) على أنها تعريب للأسم
البربري القينيلى أحاديث وأنها تعني المعادن الجماعية ، أو المجلس ومنها اشتقت كلمة اجراو ،
التي أطلقت على بعض منازل إقليم الريث والتي اشتق منها اسم جرواوا - موضع لاس
الأولى - الذي يعني المسكر (الأصل القرسي ، ص ٢٢ وعامش ٤١ ، ٤٤ ، ص ٢٨ ، ٢٩ ،
والترجمة ص ٢٤ وعامش ١ وص ٢٥ وعامش ١) .
(١٠٧) أنظر بروفنسال ، تأسيس مدينة فاس ، الأصل الفرنسي ص ٢٢ ، والترجمة
البرية ، ص ٢٤ - ٢٣ .

التالية (١٩٣ هـ / ٢٢ يناير ٨٠٩ م) (١٠٨) ، على الضفة التالية المقابلة لنهر حاس في موضع رواغة ، وهو الحى الذى سيعرف بعدوة القرويين . والذى يفهم من رواية القرطاس هو أنه على عكس عدوة الأندلس التى كانت أشبه بقرية رعوية ، اتخذ بناء عدوة القرويين هذه شكل المدينة فعلا . فقد ترك الامام الموضع الأول واتجه الى الضفة المقابلة لكثرة العيون والأشجار ، ونزل فى موضع يعرف بالمقرممة . وبدأ ، كما هي العادة فى بناء المدن الجديدة . بإقامة المسجد الجامع الذى عرف فيما بعد بجامع الشرفاء (١٠٩) ، ثم بنى دار الإمارة التى عرفت بدار القيظون . أى دار العسقاط . لأن الامام ضرب فى موضعها قيطونه أى فسطاطه أو قيته أول ما نزل . وإلى جانب المسجد بنى القيسارية . وهى سوق المدينة المركزى كما أقيمت الأسواق والحوانيت حوالى الجامع من كل جانب (١١٠) .

وحول هذا المركز الذى يمثل المدينة الحكومية ، اتسعت المدينة الناشئة بسرعة ، بفضل تشجيع ادريس بن ادريس الذى أمر الناس بالبناء وعمار الأرض ، فوجد بأن من أبتنى موضعاً واغترسه قبل تمام الدور بالبناء كان هبة له . ولقد ساعد على سرعة عمران المدينة كثرة الأشجار التى وفرت للناس كل ما يلزمهم من الخشب للبناء (١١١) ، كما ساعد على سرعة نموها جماعات الوافدين على الامام من المشرق ومن الأندلس . ومن القادمين من المشرق جماعة من العراقيين الذين أنزلهم بناحية عين علون (١١٢) ، وربما كان هؤلاء هم الثلاثمائة بيت من أهل القيروان ، الذين أسكنهم ادريس معاً فأعطوا اسمهم لهذا الجزء من المدينة أى عدوة القرويين (١١٣) .

الأسوار والأبواب :

ويبدأ ابن أبى زرع بتفصيلات مطولة عن أسوار المدينة وأبوابها ،

(١٠٨) القرطاس ، ص ٢١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٣ (وفى سنة ٣ د ثلاث) بعدها .
 (١١٣) . () . البكرى ، ص ١١٥ . (ياقوت ، المعجم ، قاس) .
 (١٠٩) يصف البكرى (ص ١١٦) جامع القرويين الذى بناه ادريس بن ادريس على أنه يحتوى على ٥ ثلاثة بلاطات طولها من الشرق الى المغرب ٥٠٠ وله صحن كبير فيه زيتون وشجر بوله سقايف .

(١١٠) القرطاس ، ص ٢١ .

(١١١) نفس المصدر .

(١١٢) انظر نفس المصدر .

(١١٣) القرطاس ، ص ١٧ .

طبيجمل لمدوة القرويين ٦ ستة أبواب هي : باب أفريقية ، وباب سعدون ، وباب الفرس ، وباب الفصيل ، وباب الفرج وباب الحديد - ويجمل لمدوة الأندلس ٥ (خمس) أبواب هي : باب الفوارة ، وباب مقابل باب الفرج ، وباب أبي سفيان ، وباب الكتيسة ، وباب مدوة الأندلس (١١٤) . والحقيقة أننا لا نعرف أن كانت هذه التفصيلات خاصة بفاس الأولى التي بناها إدريس بن إدريس ، أم بفاس العاصمة المغربية الكبرى ، بعد أن اتسعت على مر العصور . ومع أنه مما لا شك فيه أن المدينة ازدادت نواحي أيام الإمام فخنس نزيل إلى الرأي الأخير . ويرجح ذلك اختلاف أسماء الأبواب وعددها عند البكري وعند ابن أبي زرع ، كما يرجحه ما يذكره ابن أبي زرع نفسه عما أصاب هذه الأبواب من الهمم والتجديد وتغيير الأسماء على عهد أسراء فاس حتى أيامه (١١٥) .

مخطط المدينة :

وبعد الفراغ من بناء الأسوار قسم إدريس الأرض المحيطة بالمدينة ، مما يلي الأبواب مباشرة على قبائل العرب والبربر . ويعد ابن أبي زرع موضع قبائل العرب ، إذ نزلت القيسية بازاء الأسوار الجنوبية لمدوة القرويين ، ما بين باب أفريقية وباب الحديد ، ونزل اليحصبيون على حذائهم بازاء الأسوار المقابلة من الجهة الأخرى ، بينما نزلت الأزد فيما بينهما على طول الأسوار الغربية (١١٦) . أما عن قبائل البربر من سنهاجة ولوائه وراشيكخان فلا يحدد مواضعها ، ويقول أن كل قبيلة منها نزلت بتاحتيتها (١١٧) .

(١١٤) القرطاس ، ص ٢٦ ، وقارن البكري (ص ١١٦) الذي يجمل لمدوة القرويين خمسة أبواب هي : باب الحصن الجديد (قيل) باب السلسلة (شرقي) ، باب القنطرة (شرقي) ، باب سراج يحيى بن القاسم (جولي) ، باب سوق الأسد (غربي) ، وباب البكري لمدوة الأندلسيين ستة أبواب هي : باب الفرج (قيل) ، باب الكتيسة (شرقي) ، باب أبي خروف (شرقي) ، باب حصن سعدون (جولي) ، باب الحوض (غربي) ، باب سليمانك (غربي) . وقارن لورنو (Le Tournau) الذي سجل مخطوطا لجبار (Gallard) من المدينة في أول أيامها يضيف بابا سابعا لمدوة القرويين هو باب جيسة (Fas, p. 42) المعروف أن هذا الباب يحمل اسم الأمير الزلاوي جيسة الذي بناه . وأنه تميز مع مرور الوقت من باب جيسة إلى باب جيسة (القرطاس ، ص ٢٤) .

(١١٥) القرطاس ، ص ٢٢ ، وانظر ص ٢٣ : حيث رواية ابن غالب التي تقدم على أبواب فاس القديمة مع النص على أن بعضها مثل باب حصن سعدون غير بناء إدريس الثاني . (١١٦) انظر القرطاس ، ص ٢٦ .

(١١٧) القرطاس ، ص ٢٦ .

والظاهر ان البربر كانوا قد نزلوا من قبل على الضفة الشرقية في عدوة الأندلسيين ، فامن ابي ذرع يذكر أن ادريس بن ادريس أنزل جميع أحاده وقواده ، وكذلك عدده ومعتاده من الخيل والأبل والبقر في عدوة الأندلس ، ولم ينزل معه بعدوة القرويين غير مواليه وحشمه ، وسائر رعيته من التجار والصناع والسوقة . وعلى هذا الأساس يفسر صاحب القرطاس بقاء مدينة فاس في شكل مدينتين طيلة أيام ادريس وعلى أيام ولده وحتى ملك الزناتيين (١١٨) .

ما بين العدوتين وفاس :

والحقيقة ان بقاء فاس في شكل مدينتين تحمل كل منهما اسمها الخاص أمر غريب يسترعى الملاحظة . ولقد نبه بروفنسال ، في دراسته عن تأسيس مدينة فاس ، الى أنه ينبغي توضيح فكرة المدينتين المتجاورتين اللتين اتحدتا نتيجة لعملية تمثيل تاريخية طويلة ، كما انه ينبغي التفرقة بين المعلومات الخاصة ، بكل منهما - وهما في دور النشأة - على حدة ، بدلا من مزجها أو خلطها جميعا بحجة ان العاصمة المغربية الكبيرة من بناء الامام ادريس الأصغر (١١٩) .

و بروفنسال يرى أن المدينة الأولى أي عدوة الأندلسيين من بناء ادريس الأول في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ - ٧٨٩ م ، وليست من بناء ادريس الثاني في سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م . وهو يستند في ذلك الى بعض الروايات الجانية ، من الكتب التي لا تعالج مدينة فاس أو تاريخ المغرب نفسه (١٢٠) ، ويرى أنه من السهل أن تكون كلمة « سبعمين » قد حُرِفت الى « تسعين » (١٢١) ، والذي دفع بروفنسال الى تبني هذا الرأي هو وجود عملة مضروبة في فاس يُظن

(١١٨) القرطاس ، ص ٣٧ .

(١١٩) انظر تأسيس مدينة فاس ، الأصل الفرنسي ، ٩ - ١٠ والترجمة العربية ص ١٣ .

(١٢٠) انظر تأسيس مدينة فاس لبروفنسال الأصل الفرنسي ص ١٣ - ١٧ والترجمة العربية ، ص ٢٠ - ٢١ - ٢٢ ، حيث يورد بروفنسال نصا للمؤرخ الأندلسي الرازي الخواري ٣٣٤ هـ / ٩٥٥ م ، نقل عن ابن الأبار في « الحلة السيرة » (انظر تحقيق مؤلف ، ج ١ ص ٥٧) ، وفي هذا النص يجزم الرازي دخول ادريس الأول المغرب في سنة ١٧٢ هـ / ٧٨٨ م ، في موضع دليل : « وانما فتح القنائل اليه ، وبناء مدينة فاس جنبا الى جنب » .
(١٢١) نفس المصدر ، الأصل الفرنسي ص ١٩ والترجمة ص ٢٩ .

انها ترجع الى سنتي ١٨٥ و ١٩١ هـ أى قبل سنة ١٩٢ هـ ، وهو التاريخ المتواتر لبناء فاس (١٢٣) ، بينما تحمل النقود التى ضربها ادريس الثانى اسم مدينة « العلية » وليس اسم فاس (١٢٣) . وقد حمل ذلك بروفنسال على القول بأن المدينة الثانية أى عدوة القرويين هى التى بناها ادريس الثانى ، وأنها كانت تحمل فى أول الأمر اسم « العلية » (١٢٤) . وبناء على ذلك تكون « فاس » الحقيقية هى عدوة الأندلس وهى من بناء ادريس الأول .

والحق ان رأى بروفنسال مقبول ، رغم انه ليس نهائيا ، فالمعروف ان مدينة الادارسة (أى عاصمتهم) قبل سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م كانت وليلى ، وان المدينة التى كانت فى موضع فاس لم تكن بأكثر من قرية فقيرة . ولو صح أنه ضربت فيها السكة قبل سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٨ م ، فهذا لا يعنى بالضرورة ان ادريس الأول بناها ، وأنه اتخذها عاصمة ، إذ كان يمكن لبنائه فيها مثل غيره من المواب أن يضرب السكة . وإذا كان وجود اسم فاس قبل سنة ١٩٢ هـ يمكن أن يعنى ان الاسم سابق على بناء المدينة الجديدة ، لهذا بنا تقوله احلى روايات القرطاس فعلا من أن الامام الأصغر قال : سموها باسم المدينة البائدة التى كانت فى الموضع ، غير أنه أمر بقلب الاسم الذى كان « ساف » فأصبح « فاس » ، (١٢٥) .

والذى نريد أن نخرج به من هذا ، هو أنه على فرض أن ادريس الأول هو الذى بنى قرية فاس الأولى ، وهذا أمر صعب خلال فترة امامته القصيرة ، لأن ذلك لا يقلل من أصالة وعظمة العمل الذى قام به ادريس الثانى ، بأنى مدينة فاس الحقيقية ، مثله فى ذلك المنصور العباسى بأنى مدينة بغداد . والإشارة هنا الى بغداد لها مغزاها البعيد ، إذ أن موضعها واسمها لا يرجع اختيارهما الى مزاج المنصور نفسه ، فقد كان الموضع عامرا به قرية قديمة تحمل اسم بغداد .

(١٢٢) نفس المصدر ، الأصل الفرنسى ص ١١ والترجمة ص ١٥ - ١٧ .

(١٢٣) نفس المصدر ، الأصل الفرنسى ، ص ١١ والترجمة ص ١٧ (البالية) .

(١٢٤) نفس المصدر ، ص ١٣ والترجمة ص ١٩ .

(١٢٥) هناك روايات أخرى عن أصل التسمية ولكنها تنطبع بالطابع الأسطوري . من ذلك ما يقال من أن الامام كان يصل بنفسه مع الصناع والفلسوفات ، لصنع دلو فلان من ذهب وفضة كان يبتدئ به « حفر الأساسات » كلما ذكر « فلان » فلما الناس على السنة القليلة ، سميت المدينة « فاس » لذلك ، ومنها الرواية التى تقول انه عندما حفر الأساس وجد فى «

ومع أن المنصور بنى مدينته على الضفة الغربية لدجلة ، فإن المدينة عندما امتدت عبر النهر إلى الضفة الشرقية التي أطلق عليها اسم الرصانة ، ظلت مدينة واحدة تحمل نفس الاسم ، رغم أن النقود المسكوكة فيها حملت اسم « دار السلام » ، وظلت تنسب إلى بابيها الحقيقي وهو المنصور ، رغم ازدياد العمران في الضفة الشرقية . وبناء على هذا القياس حق لكتاب المغرب أن ينسبوا فاس إلى بابيها الحقيقي ادريس بن ادريس ، فهي من ابتكاره ، لا يقلل من ذلك أن الموضع كان مسكونا ببعض قبائل البربر أو أن قرية باتسة كانت تحمل - على أيام ادريس الأول - اسم العاصمة السفينة .

ووجه التجديد والابتكار ، من جانب ادريس الأصغر ، هو أنه أنشأ عاصمة عربية في بلاد البربر ، تماما كما فعل عقبة بن نافع في إفريقية ، فأصبحت فاس قيروان المغرب الأقصى . ومن هذا الوجه كانت فاس العربية في عدوة القرويين ، حيث أنزل الامام العرب معه ، كما رأينا ، ولكن الحي الآخر لم يلبث أن تعرب بدوره ، بعد ذلك بقليل ، عندما وصل أهل ضاحية الربيض من مدينة قرطبة بعد أن طردهم أمير الأندلس الحكم بن هشام حوالي سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م . فلقد وصل هؤلاء في نحو ثمانمائة بيت نزلوا في عدوة الأندلس ، وشرعوا بها في البناء يمينا وشمالا ، فسمى الجزء الشرقي بهم (١٢٦) ، وأغلب الظن أنهم عمروا هذا الحي على الطريقة الأندلسية . وتبالغ الروايات في المدينة واتساعها بسرعة ، وتريد أن تجعل منها مدينة عالمية عقب بنائها مباشرة : فلقد أطلعت الأشجار والكرم من سنتها ، وذلك ببركة الامام (١٢٧) . وكثرت خيراتها فكان الطعام (الزرع) لا يباع بها ولا يشتري

= جهة القبلة فاس كبير قوله : أريمة أشجار ، وسعته شبر وزنته ستون رطلا ، فسببت المدينة به - ومنها أن المدينة سميت باسم أول رجل مر بها واسمه فاس ، ولكنه لما كان الرجل الضيف فانه نطق اسمه عندما سئل عنه « فاس » - وآخر تلك الروايات أن المدينة سميت باسم جماعة من الفرس نزلوا بها أثناء بناءها وسقط عليهم جرف فماتوا ثم حطب الناس الاسم فليل فاس بدلا من فرس (انظر القرطاس ، ص ٢٦ ، وقارن زهرة الأوس ، ص ١٨ - حيث يرفض الجزائي أن يكون قد عمل للامام فاس من ذهب وقطعة على أساس « أن الامام رضي الله عنه لا يجهل أن استئصال الذهب محرم على الرجال ») .

(١٢٦) القرطاس ، ص ٢٧ (النص يقول « ثمانية بيت » ورأينا أن صحته ثمانمائة بيت ») ، ومن أهمجى الرضى - انظر فيما سبق ، ص ٤٤٢ - ويشير ابن حيان في حوادث سنة ١٩٦ هـ ، إلى أن الحكم بن هشام - أمير الأندلس صالح حاكم الفرنجة الذي يسميه « قارله ابن حلفش » - ولو أنه يبرر ذلك بطريقة حكسية ، إذ ينص على أن الفرنجة - بدلا من المروانيين في قرطبة - انضموا إلى فرعون ادريس بن عبد الله الحسبي في أوغبر المدوة : انظر القتبس : مخطوط كلية الآداب المنصور بجامعة الاسكندرية ، ص ٢٥ .

« (١٢٧) القرطاس ، ص ٢٦ .

أيام الامام وذريته ، فكان وسق التمح بدرهمين ونصف ، ووسق الشعير بدرهم ، والكبش بدرهم ونصف ، أما الفاكهة فلم يكن لها سعر لرخصتها (١٢٨) .

والمدينة لم تحو المسلمين من العرب أو البربر الذين دخلوا حديثا في الاسلام فقط ، بل حوت اليهود أيضا . فيقول ابن أبي زرع انه اجتمع بالمدينة خلق كثير من اليهود الذين أنزلهم الامام يثاحية أصلا إلى باب حصن سعدون ، وفرض عليهم الجزية التي بلغت ثلاثين ألف دينار سنويا (١٢٩) . وهذا يعني عددا كبيرا من اليهود يكونون حيا بأكملها ، وهذا ما لم تعرفه فاس - مثلها مثل كثير من المدن العربية - إلا بعد مرور فترة الانشاء ، وعندما أصبحت عاصمة كبيرة . والحقيقة ان هذه الرواية لا تتفق مع الرواية الأولى التي ذكرناها بمناسبة تأسيس المدينة ، والتي نسبت إلى الامام فخر آدخال جماعات البربر التي كانت تعتنق النصرانية واليهودية والمجوسية في الاسلام .

ونشير إلى أنه لا ينبغي المبالغة في عظم مدينة فاس الفتية على أيام ادريس بن ادريس . فمن الصحيح أن ادريس بن ادريس عاش عشرين سنة بعد ان وضع حجر الأساس لمدينته العربية (اذ توفي سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٨ م) ، وان تلك المدة كانت كافية لكي تتسع المدينة وتكبر ، ولكنها لم تكن كافية لكي تصبح على الصورة التي يصفها بها صاحب روض القرطاس ، الذي يكتب في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، في الوقت الذي كانت فاس انتهت إلى ما لم تبلغه مدينة في المغرب ، كما يقول هو نفسه (١٣٠) .

والحقيقة انه لن يمكن تنظيم المعلومات المتنوعة ، والتفصيلات المختلفة ، التي يمزجها صاحب القرطاس مزجا ، إلا اذا سمحت الظروف بمعرفة المصادر التي نقل عنها شيء من الدقة . ونحن اذا وافقنا على نسبة أمجاد مدينة فاس - العاصمة الكبرى - إلى بانيها ادريس الاصفه فانا نعمل ذلك لأنه مبتكرها ، وصاحب فكرتها . أما عن فاس على أيامه فلا نعتقد انها زادت كثيرا عن حدود مدينة ملكية ناشئة ، لم يزد عمرها على عشرين سنة في أواخر أيام الامام . ويرجع هذا الرأي ان بعض الروايات تؤكد أن وفاة ادريس بن ادريس لم تكن في مدينة فاس بل في مدينة ادريس الأكبر :

(١٢٨) روض القرطاس ، ص ٢٢ .

(١٢٩) روض القرطاس ، ص ٢٧ .

(١٣٠) روض القرطاس ، ص ٢٨ .

رليلى (١٢١) •

أهمية بناء مدينة فاس : تأكيد سلطان الادارة في المغرب :

وهنا ينبغي الإشارة الى أن أهمية فاس لا تتلخص في بناء المدينة العجيبة نفسها ، بمساجدها وأرحائها وأسواقها وقصورها وغناها ، بل في العمل الحضارى الذى قامت به والذي يمثل رسالة الادارة العلويين في بلاد المغرب الأقصى • والظاهر ان بناء المدينة استغرق ما بين ثلاث سنوات أو أربعة • فبعد أن أقام ادريس الثانى بها الى سنة ١٩٧ هـ / ٨١٢ - ٨١٣ م ، خرج في المحرم من نفس السنة لغزو بلاد المصامدة فأخضع قبائلهم ، ووصل في غزوهم حتى السوس الأقصى ، حيث أخضع مدينة نفيس - التى دخلها عقبه بن تافع سنة ٦٢ هـ - ثم عاد الى فاس (١٢٢) • وأقام ادريس ما يقرب من العام ، ثم انه عزم على تأكيد سلطانه في أقاليم المغرب الأوسط الغربية ، فخرج في أواخر سنة ١٩٨ هـ / يونيه - يوليه ٨١٤ م لغزو قبائل نفزة ، ورجع في أخضاعهم ، ودخل مدينة تلمسان حيث أتاها محمد بن خزر الزناتى وبأيعه • وأقام ادريس في تلمسان مدة ثلاث سنوات واصل خلالها أعمال والده هناك : فأصلح أسوار المدينة ، ورسم جامعها الذى بناه والده ، وأقام فيه منبرا جديدا (١٢٣) • وعاد الامام الى فاس ، وقد اطمأن الى انتشار سلطانه من تلمسان الى نفيس •

(١٢١) انظر فيما بعد ، ص ٤٥٦ و ١٢٧ • وعن أبواب المدونين ، انظر الجزائى ، زهرة الآس ، ص ١٩ - ٢٠ : حيث يمدد في مدونة الأندلس ٧ (سبع) أبواب ، هي أبواب : اللهجة ، وجروادة ، والمخفية ، والتشبيبية ، والفصيل ، وأبواب سفن ثم باب الكنيسة ، كما يمدد في مدونة القرويين • (خمسة) أبواب ، هي أبواب : إفريقية ، الفصيل ٢ ، الفرج ، الحديد ثم باب القلعة •

(١٢٢) الكرى ، ص ١٢٣ ، روض القرطاس ، ص ٢٩ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٢ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٢ ، وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ (الذى يجعل لغزو بلاد المصامدة بعد غزوة نفزة) •

(١٢٣) انظر القرطاس (ص ٢٩) وتلخيصه في زهرة الآس ، ص ٢٢ (الذى ينقل رواية عبد الملك الوراقى الذى يقول • « دخلت مسجد تلمسان سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م ، لرأيت في =

والحقيقة أن إقامة ادريس مدة ثلاث سنوات في تلمسان ونواحيها كان القصد منها تأمين حدود دولته الشرقية إزاء خطر الخوارج بالمغرب الأوسط ، وكانت قبائل نفزة التي هزمها - بمعاونة ابن عمه داود بن القاسم بن إسحق ابن عبد الله بن جعفر (١٢٤) - من أقوى عصابات إمارة تاهرت ، كما رأينا . وهذا ما يشير إليه ابن خلدون عندما يقول أنه بعد أن أخضع البربر وزناتة ، قوى أمره ، وتمكن من القضاء على الخوارج منهم ، واقتطع المغربين عن دعوة العباسيين من لدن السوس الأقصى إلى شلف « (١٢٥) » . وهذا ما يصر عليه جوتييه ، عندما يقول : أن قضاء ادريس الثاني على الخوارج يعبر عن خوف أهل الحضارة والمدنية (رعية الدولة الإدريسية) من تخريب الخوارج (الزناتية البدو) . وهذا يمثل النتيجة التي وصل إليها ، والتي تتلخص في أن الحركة الخارجية التي بدأت في المغرب الأقصى سنة ١٢٢ هـ ، على يد ميسرة ، انقلبت إلى ضدها : إلى حكومة نظامية ، هي السدولة الإدريسية (١٢٦) .

وفاة ادريس الأصغر وبداية سعات تصدع الدولة الإدريسية :

ويقول صاحب القوطاس أن ادريس لم يزل يفاس إلى أن توفي في

= رأس مبرها لوحا من بقية منبر قديم ، قد سحر عليه هناك ، مكتوب فيه : « هذا ما أمر به الامام ادريس بن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي - رضي الله عنهم - في شهر المحرم سنة ١٩٩ هـ / أغسطس ٨١٤ م » . وبناء على هذا التاريخ رأينا تعديل خروجه من فاس نحو تلمسان إلى أواخر سنة ١٩٨ هـ / يولية ٨١٤ م ، بدلا من سنة ١٩٩ هـ كما يقول البكري (ص ١٢٣) . وصاحب القوطاس (ص ٢٩) وابن خلدون (انظر فقط الترجمة ج ٢ ص ٥٦٢) لا نجد هذا التاريخ في النص ولا اسم ابن خازن كذلك . وتلاحظ هنا أن ابن خلدون (ص ١٣) يذكر أن الامام أصلح المنبر ولم يصنع منبرا جديدا حسب رواية القوطاس . وفيما يتعلق بدخول الوراق إلى تلمسان في سنة ٢٥٥ هـ نلاحظ أن الوراق هذا يكتب في أواخر القرن السادس الهجري . ولهذا السبب وجد هذا التاريخ في بعض النسخ للقوطاس سنة ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م (انظر برنيسال ، تأسيس فاس ، النص ص ٢٦ والهامش ٣٨) . ولقد رجحنا نحن أن تكون سنة ٢٥٥ هـ خاصة بالزوجة ابن غالب الذي نسخ الوراق كتابه (انظر التصريف بكتاب روض القوطاس في دراسة المصادر السابقة ، ج ١ ص ٤٤) م ... (١٢٤) انظر البكري (ص ١٢٣) حيث يقول أن داود بن القاسم خرج للقتال بالخوارج مع ادريس بن ادريس فاجبه منه (أي من ادريس) ثلاث خصال : اجتياح قلبه يومئذ ، وحركته وقلة قواه إلى معنى الزعم إلى القتال وليس المرص . (١٢٥) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٢٦٢ (حيث قراخوزج السوس في شكل « السوس ») . (١٢٦) انظر جوتييه ، ماضي شمال إفريقيا .. (بالفرنسية) ، ص ٣١٥ - ٣١٦ .

سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ، وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وانه دفن بمسجده
(جامع الشرفاء) بازاء الحائط الشرقي ، أو الحائط القبلي . هذا ولو أن
رواية البرنسي - التي يوردها بعد ذلك - ربما كانت أقرب الى الحقيقة من
حيث التاريخ ، إذ تحدد وفاة ادريس الثاني ببليلة ١٢ جمادى الثاني من سنة
٢١٣ هـ / ٢٨ أغسطس ٨٢٨ م ، وسنة يومئذ ثمانية وثلاثون عاما ، وهذه
الرواية تتفق مع رواية البكري التي لا تجعل وفاة ادريس في فاس بل بمدينة
وليلي ، في بلاد زرهون ، وتقول انه دفن الى جانب قبة ابيه هناك (١٣٧) .
وتحيط بوفاة ادريس الثاني الشاب ، مثله مثل والده ، قصة روائية تقول
انه تولى بسبب آكله عنب ، شرق أو «غص بحبة منها» (١٣٨) ، أو انه مات
مسموما في حبة العنب تلك (١٣٩) . هذا ، كما يمكن أن يفهم انه كان للآغالبة،
وبالتالي خلافة بغداد ، يد في هذا الأمر . يستشعر ذلك من الشعر الذي
ينسب قوله الى ابراهيم بن الاغلب والذي ينص على أن الاغلب هو الذي
دبر اغتيال راشد ، الذي كان قد استفعل أمره وعلا حتى انه هم بفزوه
أفريقية ، وانه كان يتربص بادريس ليتخلص منه هو الآخر (١٤٠) . ولا
يمنع من ذلك ما تقوله بعض الروايات من أن ابراهيم بن الاغلب كان قد
ألب الزعيم المدغرى « البهلول بن عبد الواحد » على ادريس بن ادريس ،
وأن هذا الأخير كتب الى بهلول يطلب وده ، ويدعوه الى الرجوع الى طاعته ،
ويحذره من مكر ابن الاغلب (١٤١) . وما تضيفه الرواية بعد ذلك عندما تقول

(١٣٧) البكري ، ص ١٢٣ . والنص يقول ان ادريس بن ادريس توفي وعمره ٣٣ سنة ،
وهذا خطأ من النسخ إذ ينبغي أن يكون ٣٨ سنة بما انه ولد سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م وتولى
سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٨ م ، وقارن الحلة السيرة لابن الأثير ، ج ١ ص ٥٤ ، حيث تطلق نفس
الملاحظة .

(١٣٨) البكري ، ص ١٢٣ ، القرطاس ، ص ٣٠ (زهرة الآس ، ص ٢٣)
(١٣٩) الحلة السيرة ، ترجمة القاسم بن ادريس رقم ٤٩ ، ج ١ ص ١٣١ .
(١٤٠) انظر الحلة السيرة لابن الأثير ، ج ١ ص ٩٨ حيث يقول ابراهيم بن الاغلب .
الم ترمي لوديت بالكيد راشدا واني بأخري لابن ادريس راصدا
تساولة عزمي على ناي داره يستخومة في طيهن المكائد
(١٤١) انظر الحلة السيرة لابن الأثير ، ج ١ ص ٥٥ ، حيث ينسب الى ادريس شعرا
في هذا الأمر ، يقول فيه :

كانك لم تسح بكر ابن الاغلب وما قد رمى بالكيد كل بلاد
ومن دونك ما عتتك نفسك خاليا ومعاك ابراهيم شرط قتصاد
وانظر في المصدر ، ترجمة بهلول من عهد الواحد المدغرى رقم ٤٠ ص ١١١ حيث
النص على انه بعد أن أقصد ابراهيم بن الاغلب بني بهلول وبين صاحبه ادريس بن ادريس :

أن إدريس بن إدريس كتب إلى إبراهيم بن الأغلب يدعو إلى طاعته ، ويطلب منه الملك عن ناحيته ، ويذكره بقرابته من النبي (١٤٢) - أو أنه صالح ابن الأغلب ، وسكن من غربة ، مما كان سببا في اشتداد ساعد الدولة الإدريسية التي عجز الاعالبة عن مداومتها بعد ذلك (١٤٣) .

والغريب في أمر الدولة الإدريسية الفتية أنها لم تكد تبلغ العقد الرابع من عمرها حتى بدأت نصيبها عوارض الشيخوخة والاضمحلال . وكانت العملة هي التفتت والتقسيم - آفة ذلك العصر - الذي ترتب على الصراع بين المراد الأسرة ، من أجل الطمع في عرش المملكة . فلقد حرص العلوي المحروم من الأخوة ، الوحيد في أقصى المغرب ، على أن يترك - وله الحق في ذلك - عندا كبيرا من الذرية ، فخلف ١٢ (اثنى عشر) ولدا ، ما بين راشد وقاصر (١٤٤) .

٣- محمد بن إدريس بن إدريس :

وآلت الإمامة إلى أكبر ولد إدريس بن إدريس ، وهو محمد . وتتفق الروايات على أن كثرة والده إدريس الأصغر وجدة محمد وأخوته ، كان لها

= جرت مكاتبات بين الأغلب والمدبري . فكان ما كتبه الآخر إلى ابن الأغلب :
 لن كنت تدعوني إلى الحق باسمي لتكشف عن قلبي صبر خلاف
 لقدما هكذا أنك باسمي لن قال بالصلح الغلاة كان
 (١٤٢) الحلة السراء . ج ١ ص ٥٥ . حيث تقول الرواية أن إدريس كتب في هذه
 الحمى شعرا جملة في أسفل الكتاب ، ومنه :
 اذكر إبراهيم حلق محمد وعثرته والحق خيم طوق
 وأدعوه للأمر الذي فيه وشده وما هو لولا رايه يجهول
 فان أثر الديبا فان أمامه لدارل يوم للمقاب طويل
 (١٤٣) انظر ابن خلون . ج ٤ ص ١٤ (حيث يضيف إلى ذلك أن الأغلبة لم
 يستطيعوا الاعتذار لخلفاء بغداد عن هزمهم أمام الإدارة إلا « بالنس من إدريس والفتح في
 منبه إلى أبيه إدريس بما هو أوصى من خيوط المناكب ») .
 (١٤٤) أبناء إدريس بن إدريس . كما يوردهم الكتاب دون تركيب منهجي . هم : محمد
 والقاسم وعمر ودود وعيسى ويحيى وعبد الله وحزمة وأحمد وعمل وإدريس وجعفر . انظر
 ابن عسار (ج ١ ص ٢١١) الذي يكرر عبد الله بلا من ذكره عمل . والقاسم القزاس
 (ص ٣٠) . والقاسم انه ينقل نفس رواية البكري (ص ١٢٤) الذي يذكر عبيد الله بدلا
 من عمل ويؤكد أن الأثر في الحلة السراء (ج ١ ص ١٣١) . وانظر زمرة الأس (ص ٢٣)
 الذي لا يذكر عليا ويضيف « الحسن » و « الحسين » .

نفوذها في سبيل أمور الدولة ، أو أنها كانت أشبه ما تكون بالوصية على محمد - فلهذا أشارت على حفيدها الامام بأن يجعل اخوته على رأس أقاليم الدولة وولايتها المختلفة - ومع أن الكتاب يذكر صراحة أن هذا الأمر كان تقسيما لدولة ، أو توزيعها لها على اخوة محمد (١٤٥) ، إلا أن الهداية منه كان - بطبيعة الحال - هو العمل على تقوية الأسرة ، بأن تكون الولايات والقيادات العسكرية بين أيدي أفرادها ، ولنا في قيام الدولة العباسية خير مثل لذلك ، عندما بنى أبو العباس السفاح كبار قواده ورجال دولته من الدعاة ، وعهد بولاياتهم إلى اخوته وعمومته وقراته من بني العباس واستجلب محمد بن ادريس إلى مصيحة حدثه ، كما تقول الرواية ، فجعل البالغين من اخوته وهم ثمانية على رأس الولايات المحتلة ، وأبقى القصر الثلاثة في كفالة حديمهم ، معه في مدينة فاس - وكان يسمي البلاد على الأحرار كالأئمة (١٤٦) .

١ - القاسم وله ولاية طنجة ، وتشمل سبته وتطوان وقلعة حجر النسر وبلاد مصمودة وما إلى ذلك من البلاد والقبائل (١٤٧) .

٢ - داود : وله بلاد هوازة وبلاد تسول وتارا ومكناسة وبيجال شياتة وتاملت (١٤٨) .

٣ - عيسى : وله مدينة شالة وسلا وأزمور وبلاد تامسلا . وما إلى ذلك من القبائل (١٤٩) .

(١٤٥) اعطى القرطاس . ص ٣٠ (قسم المغرب بين اخوته) ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤٤ والترجمة ج ٢ ص ٦٢ (قسم البلاد بين اخوته) ، ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١١ : فرق البلاد على اخوته) ، البكري ، ص ١٢٤ ، والاستبصار ، ص ١٦٦ (فرق البلاد على اخوته) . (١٤٦) اتخذوا توزيع القرطاس (ص ٣٠) أساسا ، واشاروا إلى الاختلافات بينه وبين ابن خلدون وابن خلدون ، كما استمنا بهم في تعديل قائمة الولايات في بعض المواضع .

(١٤٧) يزيد البكري (ص ١٢٤) ، والحلة السيرة ، ج ١ ص ٣١ ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ١ ص ٦٢ (على ذلك مدينة البصرة التي جعلها القرطاس في ولاية يحيى) .

(١٤٨) لا يذكر القرطاس (ص ٣٠) تارا ، ويضيف ابن خلدون (ج ١ ص ٢١١)

تامليت ، وكذلك البكري ، ص ١٢٤ (تاملت) .

(١٤٩) قانون البكري ، ص ١٢٤ (وأزود رسل) ، وابن خلدون ، ج ١ ص ٢١١ (الذي لا يذكر اسم البلاد التي كانت لعيسى) .

— ٤٥٩ —

- ٤ - يحيى : وله مدينة البصرة. وأصيلا ومدينة المرائش وأعمالها ،
وبنكاد وورقة (١٥٠) .
- ٥ - عمر : وله مدينة تيجساس (تيكساس) وترغة ، وقبالسل
صنهاجة الهبط وغمارة ، فيما بينهما (١٥١) .
- ٦ - أحمد : وله مدينة مكناسة وبلاد فازاز ومدينة تادلا (١٥٢) .
- ٧ - عبد الله : وله مدينة اغمات وبلاد نفيس وبلاد المصامدة والسوس
الأقصى وبلاد لمطة (١٥٣) .
- ٨ - حمزة : وله مدينة ويلي وأعمالها ، ومدينة تلمسان وأعمالها (١٥٤) .

خلاف عيسى في سلا وتامسنا وعصيان القاسم في طنجة :

هزيمة عيسى وتجريده من أملاكه :

ولقد كانت النتيجة الطبيعية لمثل هذا التفتيت أن دب الخلاف بين
الأخوة ، فمنهم من استجاب لأغراء الأطماع الأنانية ، فخرج علي سلطان الأخ

(١٥٠) لا يذكر ابن خلدون (ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣) البصرة ضمن بلاد
يحيى بل يضعها في بلاد القاسم .

(١٥١) يذكر القرطاس تيجساس بدلا من تيجساس التي يسجلها في السامع
(ص ٣٠) ، وهو لا يذكر مدينة ترغة ، أما ابن عذارى (ج ١ ص ٢١١) وكذلك البكري
(ص ١٢٤) وابن الأبار في الحلة السيرة (ج ١ ص ١٣٣) فلا يذكر سوى صنهاجة الهبط
وغمارة .

(١٥٢) لا يذكر ابن خلدون ولا ابن عذارى ولا البكري ولاية أحمد - وهذا مما يشكك
في رواية للقرطاس ، خاصة وإن مدينة مكناسة مذكورة ، كما رأينا ، في البلاد التي أعطيت
للأمير داود . وللتوفيق بين الروايات المختلفة هذه لا بأس في أن يكون أحمد قد ولي مكناسة
، وفيرما حين الإقليم يعهد إليه داود وتحت امرته .

(١٥٣) أنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣ ، وقارن القرطاس ،
الذي يجعل بلاد مصودة مع القاسم ، كما نرى .

(١٥٤) أنظر القرطاس ، ص ٣٠ ، الذي يقول إن تلمسان فقط كانت له ، وابن خلدون
(ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢ ص ٥٦٣) الذي يقول إنه كانت له مدينة ويلي وأعمالها فقط ،
كما في البكري (ص ١٢٤) . أما ابن عذارى فلا يجعل حمزة بين الولاة أي أنه جعله بين
القصر . وبالنظر إلى حمزة كانت له الولاية الشرقية فقط ، لأن تلمسان كانت إقطاعا لابن
، سليمان بن عبد الله ٧ وسليمان هذا كان أخا لادريس الأول ، كما سبق أن أشرنا . أنظر
، فيما سبق ص ٤٤٧ و ٨٦) ، وهذا ما يقوله ابن خلدون (ج ٤ ص ١٤ - والترجمة ج ٢
ص ٥٦٤) .

الأكبر ، ومنهم من رأى التمسك بأهداب الطاعة ، وانتهى الأمر بسلسلة من المنازعات والحروب بين الاخوة . افتتح ذلك عيسى بالتحرد في سلا وتامسنا ، وهو أمر مقبول بالنسبة لتلك الأقاليم التي عرفت بانحاضاتها الانفصالية ، وحركاتها الاستقلالية التي تمثلت فيما عرف عنه الكتاب باسم زندقة برغواطية تحت قيادة بنى طريف الذين كونوا مملكة لهم عاشت منذ ثورة ميسرة (قرن ٨/٨ م) ، وحتى قيام دولتي المرابطين والموحدين (قرن ٥ ، ٦ هـ / ١١ ، ١٢ م) . وأمر الامام محمد أخاه القاسم ، صاحب طنجة ، بمحاربة عيسى بسبب مجاورة بلاده لبلاد عيسى ، لكنه امتنع . وفي ذلك تقول رواية الحلة السيرة ان القاسم كتب الى أخيه الامام محمد معتذرا عن توقفه عما أمره به ، في أبيات شعر يفهم منها أن القاسم كان زاهدا في أرض المغرب رغم ما كان له بها من مركز مرموق ، واثبا في العودة الى المشرق ، وهو الأمر الذي يسترعى الانتباه ، بعد أكثر من أربعين سنة من استقرار الادارة في المغرب (١٠٠) . واستجاب عمر ، صاحب بلاد غمارة ، لأمر أخيه الامام ، وجمع بربر غمارة - من ريف طنجة - وأوربة وصنهاجة ، كما أمده محمد بألف فارس من زناتة ، عندما اقترب من أحواز فاس ، فهزم عيسى وأخرجه من سلا وغيرها مما كان بيده من البلاد ، وذلك قبل وصول البلد ، وضمها الى أملاكه بأمر محمد (١٠٦) .

ناديب القاسم واعتزاله الولاية :

ثم صار عمر - حسب أوامر الامام - لمحاربة القاسم ، ونجح في هزيمته بعد مواقع عديدة ، وانتهى أمر القاسم الى اعتزاله الحياة العامة ، وأقبله على الزهد والتعبد - في رباط بناء لنفسه على ساحل البحر ، مما يلي مدينة أصيلا (١٠٧) .

(١٠٥) انظر ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ حيث يقول القاسم في بيتين من الشعر :

سأترك للرهب الغرب لهما وإن كنت في الغرب قتيلا ولدا

واسمو الى الشرق في صفة يعز بها رتبا من احبنا

(١٠٦) الحلة السيرة . ج ١ ص ١٢٢ .

(١٠٧) القرطاس . ص ٣٠ ، البكري ، ١٢٤ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ والترجمة ج ٢

ص ٥٦٤ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١١ ، الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٢٣ ، (رباط القاسم

أصيلا بموضع يعرف بجامدوت ، حيث قام بتعبد فيه الى أن مات - القرطاس ص ٣١ ، لم

ملك أصيلا عقبه الى أن صار أمرا الى حسن العجام ثم ابن أبي العافية - البكري ص ١١٢)

عمر يهزم الى املاله اقاليم سلا وتامسنا وطنجة :

وهكذا ضم عمر بلاد اخويه القاسم وعيسى الى املاله فاصبحت مملكته تمتد من طنجة شمالا الى سلا وبلاد تامسنا وأزمور ، نحو الجنوب الغربي ، حيث مصب وادي أم الربيع ، كما امتدت شرقا من سبتة الى منطقة قبائل غمارة نحو مليلة ، فكانت مملكة عمر امتدت على طول سواحل المغرب الأقصى الشمالية على البحر المتوسط وعلى معظم سواحل المحيطة الشمالية الغربية . واستمر عمر في خدمة أخيه محمد الى أن مات في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م ، في بلاد صنهاجة في موضع يعرف بفج الفارس ، شمال مدينة فاس في أرض غمارة ، وحمل الى مدينة فاس حيث دفن الى جانب أبيه ، وصلي عليه أخوه محمد الامام (١٥٨) . وسيكون لابناء عمر بن ادريس هذا شأن ، اذ أنهم سيرثون املالك والنعم بموافقة الامام ، فقد خلف على بن عمر والده (١٥٩) بمعنى تأكيد انقسام الدولة . وعلى بن عمر هو جد الحموديين من الادارسة الذين سيصلحون الأندلس بعد سنة ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م ، عند انهيار الدولة الأموية (١٦٠) .

أما عن الامام محمد الذي تقول عنه رواية للرازي انه « اخلد الى اللهو والشراب والنساء » ، وان ذلك كان كان السبب في أن خلعه اخوته (١٦١) ، فلم يقدر له ان يعيش بعد أخيه عمر الا سبعة أشهر فقط ، اذ توفي بمدينة فاس ، ودفن بشرقي جامعها مع أبيه وأخيه ، وذلك في شهر ربيع الثاني من سنة ٢٢١ هـ / مارس سنة ٨٣٦ م ، بعد ٨ (ثمانية) أعوام من الحكم (١٦٢) ، وخلفه أبنته على .

٤ - علي بن محمد بن ادريس (٢٢١ هـ / ٨٣٦ م - ٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م) :

اعتلى علي بن محمد عرش المملكة الادريسية بعد وفاة والده وبمعهده .

-
- (١٥٨) القرطاس ، ص ٣١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ (حيث الموضع : « فج الفارس »)
 ابن طياري ، ج ١ ص ٢١١ .
 (١٥٩) ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، والترجمة ، ج ٢ ص ٥٦٤ .
 (١٦٠) القرطاس ، ص ٣١ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ ، ابن علقمي ، ج ١ ص ٢١١ .
 « كبرى » ص ١٢٥ ، الاستبصار ، ص ١٩٦ .
 (١٦١) الحلة السوداء ، ج ١ ص ١٣٣ . ولما ان ملك الرواية يقول شكا انه لم يقب
 حاله ولم يمه اخوه القاسم .
 (١٦٢) القرطاس ، ص ٣١ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ .

وبذلك سار اماما للحسينيين في المغرب ، وهو بعد غلام لم يجاوز السنة التاسعة من عمره الا بعدة أشهر (١٦٢) . والظاهر أن صغر سن الأمير ، مما يجعله من وجهة النظر القانونية غير مؤهل لولاية أمور المسلمين ، هي التي جعلت البكرى يقتصب الكلام في عهده اقتضابا ، فيكتفى بالإشارة إلى ولايته ثم إلى وفاته (١٦٤) ، بينما أسقط ابن عذارى عهده كلية فلم يذكر امامته (١٦٥) .

أما المعلومات التي جمعها عنه صاحب روض القرطاس فتشير إلى أن أم علي هي رقية بنت اسماعيل بن عمير بن مصعب الأزدي ، وأن الأمير الصغير كان له من العمر عندما ولى ٩ (تسع سنوات) و ٤ (أربعة) أشهر فقط (١٦٦) . وتقرير أن والده الإمام الجديد عربية خالصة من أزد اليمن يعني أن مسألة تعريب المغرب الأقصى والدولة الإدريسية ، وهو الأمر الذي كان من أهداف الأدريسيين الأولين ، كان يسير نحو تحقيق أغراضه بخطى حثيثة . ومن الناحية الأخرى فإن وصوله الصبي الصغير إلى منصب الإمامة ، دون وصاية راشد جديد أو أبي خالده ، تعني أن الإمامة الإدريسية كانت قد مدت جذورها قوية في أرض فاس ، وإنها كانت تستطيع الوقوف وحدها بعد نصف قرن من قيامها بين قبائل أوزية ، رغم الصراعات التي قامت بين أمراء الإدارة أنفسهم ، ورغم ما أخذ على الأمير محمد ، والد علي ، من الانصراف إلى الشراب واللهو ، وانشغاله بالنساء نتيجة لذلك .

وفي تقييم عهد الأمير علي بن محمد ، الذي توفي وهو في ريعان الشباب ، في الثانية والعشرين من عمره ، بعد ملك استمر ١٣ (ثلاثة عشر) عاما فقط ، نعتقد أنه لم يمارس ، حقيقة ، السلطان إلا في أخرياتهما ، لقول الرواية : أنه « ظهر منه من الذكاء والتبيل والعصل ما يقتضيه شرفه ونسبه الصحيح » (١٦٧) . وفي تفسير ذلك لا يتعدى الأمر الإشارة إلى أنه : « سار بسيرة

(١٦٢) النظر القرطاس . ص ٣٢ ، ولارون ابن خلدون ، ج ٤ ص ٤ ، والاستقصا (ط .
 الدار البيضاء) ، ج ١ ص ١٧٤ (حيث يقول انه لقب بحيدرة على لقب علي بن أبي طالب) .
 (١٦٣) البكرى ، ص ١٢٤ .
 (١٦٤) ابن عذارى ج ١ ص ٢١١ : حيث يجعل الذي يلي بعد محمد بن إدريس هو ابنه
 حبي من محمد أمر على ووريثه في الملك .
 (١٦٥) القرطاس ، ص ٣٢ .
 (١٦٦) القرطاس ، ص ٣٢ .

أبيه وجدته ، في : العدل والفضل ، والدين ، والحزم وإقامة الحق ، وتأسيس البلاد ، وتمع الأعداء ، وضبط البلدة والثغور ، (١٦٨) . والمقصود بتأسيس البلاد هو عمرانها وزيادة حضرها . أما عن ضبط البلدة فالمقصود بها مدينة فاس قاعدة الدولة ، وما كان إليها من الأعمال ، مما يقع تحت الحكم المباشر للامام . بينما يقصد بالثغور أقاليم الدولة الادريسية المحيطة بأعمال فاس مما كان يقع عبه ادارتها ، وأقرار الامور فيها ، وحمايتها ، على من كان في حكمها من عمومة على وأبناء عمومته من أمراء الادارسة ، الذين أطلق عليهم اسم « الحسنين » ، كما عرفتوا أيضا « بالقرشيين » (١٦٩) .

وهكذا عرفت البلاد في عهد على نوعا من الاستقرار لم تعرفه من قبل ، وتمتع الناس بالأمن والدعة ، الى أن وافته منيته في شهر رجب من سنة ٢٣٤هـ / يناير ٨٤٩ م ، وولى أخوه يحيى بن محمد بعد ملك دام ١٣ (ثلاثة عشر) عاما (١٧٠) .

٥ - يحيى بن محمد بن ادريس (٢٣٤ هـ / ٨٤٩ م - بعد ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) :

رغم أهمية رواية البكري بالنسبة لتاريخ الدولة الادريسية ، فمن الواضح أن البكري يخطئ عندما يقول ان الذي خلف على بن محمد ، في ملك فاس هو ابن أخيه يحيى بن يحيى بن محمد (١٧١) ، اذ المعروف أن الذي خلف عليا هو أخوه يحيى بن محمد ، وأن ابن هذا الأخير ، وهو يحيى بن يحيى بن محمد ، خلف والده فكان سادس الادارسة ، وهذا ما يتضح من رواية القرطاس الذي يلخصه ابن خلدون (١٧٢) . أما ابن عذارى فإنه الى جانب اسقاطه على ابن محمد ووضعه بدلا منه يحيى بن محمد ، فإنه يضع أحداث ابن هذا الأخير وهو يحيى بن يحيى بن محمد ، في موضع والده ، فكانه أسقط أيضا عهد

(١٦٨) القرطاس ، ص ٣٢ .

(١٦٩) من تسمية الادارسة بالقرشيين ، انظر البكري ، ص ١٢٢ .

(١٧٠) القرطاس ، ص ٣٢ . ولقد ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ الذي يلخص القرطاس طبعاً يتعلق بتاريخ الادارسة فيقول في عهد على بن محمد : « قام بأمره الأولياء ، والحاشية من العرب ، وبأودية ، ومنازل البربر ، ومنازل الدولة وبأمره غلاما متبرعا ، قتلوا بأمره ، وأحسبوا كفايته وطاعته فكانت أيامه خير أيام » .

(١٧١) البكري ، ص ١٢٤ .

(١٧٢) القرطاس ، ص ٣٢ (العبر ، ج ٤ ص ١٥) .

يحيى بن محمد ، وهذا ما سنشير إليه في موضعه (١٧٣) .

وهكذا عهد علي بن محمد لأخيه يحيى بن محمد بن إدريس الذي صار الإمام الخامس . وفي عهده تقول رواية القرطاس انه صار بسيرة أخيه وأبيه وجده (١٧٤) بمعنى انتهاج طريق العدل والفضل والدين وإقامة الحق ، الى جانب الحزم في إدارة البلاد وحماية الثغور . أما أكثر ما يستقطب اهتمام ابن أبي زرع في أيام يحيى بن محمد ، فهو ازدياد تحضر فاس ، وكثرة عمارتها ، وبناء ضواحيها الجديدة . فقد « قصد إليها الناس ، من : الأندلس ، وإفريقية ، وجميع بلاد المغرب ، فضاحت بسكانها ، فبنى الناس الأرباض بخارجها » (١٧٥) . ولقد اهتم الأمير يحيى بتزويد عاصمته بالمباني ذات المنافع العامة ، وخاصة الحمامات التي زهت بها مدينة فاس ، وكذلك الفنادق التي أقيمت لخدمة الوافدين على المدينة من التجار وغيرهم (١٧٦) .

بناء جامع القرويين (٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م) :

أما أشهر المباني التي أقيمت في فاس على عهد الأمير يحيى بن محمد ! بن إدريس ، والتي ظلت مفخرة العاصمة الإدريسية حتى أيامنا هذه ، فهو جامع القرويين . والحقيقة أنه مع اتساع المدينة المزدوجة بعدوتيهما ، ونشأة الأرباض الجديدة حولها ، كان من الطبيعي أن يزداد اتساع كل من جامعيها العتيقين ، وهما جامع عدوة القرويين المعروف بجامع الشرفاء ، وجامع عدوة الأندلسيين المعروف بجامع الأشياخ . بل وان تظهر الحاجة الى إنشاء مساجد محلية جديدة تلبى حاجة المصلين الذين كانت أعدادهم تزداد مع ازدياد حجم المدينة وكثرة الوافدين على أحيائها من كل أنحاء المغرب ، ومن الأندلس . وهكذا تم بناء جامع القرويين في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م على عهد يحيى بن محمد ، ولكن على أنه جامع « محلي » صغير (١٧٧) .

صاحبة البناء : فاطمة القروائية :

وفي بناء الجامع يقول ابن زرع صاحب كتاب القرطاس ان موضعه ، حين بنيت مدينة فاس ، كان « فضاء » يعمل بها أصناف الجبى ، وبهـ

(١٧٣) أنظر فيها بعد ص ٤٦٨ (من يحيى بن يحيى) .

(١٧٤) القرطاس ، ص ٣٢ .

(١٧٥) القرطاس ، ص ٣٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(١٧٦) القرطاس ، ص ٣٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(١٧٧) نفس المصدر . وقارن ذرة الأس ، ص ٣٤ - ٣٥ .

أيضا أصناف من الشجر ، لرحل من هواره عن رالمه ، وعندما أتى وفد أهل القيروان إلى الإمام إدريس بن إدريس ، بعياهم وأولادهم ، أنزلهم حول ذلك الموضع من عدوة القرويين (١٧٨) ، التي نسبت إليهم . ويسب بناء الجامع إلى سيده قراوية من هؤلاء الوافدين ، توصف بالبركة والصلاح ، هي أم القاسم فاطمة بنت محمد العبدي القيرواني . وكانت السيدة فاطمة قد استقرت في ذلك الموضع من عدوة القرويين بصحة زوجها وأخت كانت لها . ووضح من النص أن العائلة القرشية الأصل كانت موسرة ، وأنها كانت قد حملت معها ثروتها من القيروان . فعندما توفي زوج السيدة فاطمة ، وكذلك أختها « ورثت منهما مالا جسيما ، حلالا طيبا ، ليس فيه شبهة ، لم يتغير ببيع ولا شراء ، فأرادت أن تصرفه في وجوه البر وأعمال الخير ، فعمرت على بناء مسجد » (١٧٩) .

المال الحلال المبرور :

ونلاحظ أن إصرار النص هنا على أن المال الذي استخلم في بناء جامع القرويين كان حلالا طيبا ، لا تشوبه شائبة حتى من بيع أو شراء ، مما يستدعي الانتباه فعلا . إذ الحقيقة أن أهل المغرب ، وكذلك الأندلس ، كانوا متشددين في أمر سلامة الأموال التي تخصص لبناء المساجد عندهم ، بشكل لا نجد له نظيرا في المشرق . وكانت أحسن الأموال التي تبني بها المساجد عندهم هي أموال المغانم المأخوذة في الجهاد ، مما ظهرته سيوف الشجعان وزكته دماء الشهداء في ميادين القتال . وهذا ما سيحدث عندما شرع في توسيع نفس الجامع ، عند ما غلب عبد الرحمن الناصر على بلاد العدو (المغرب) ، فبعث « بمال كثير من أخماس غنائم الروم » لهذا الغرض (١٨٠) .

(١٧٨) القرطاس ص ٣٢ - حيث يفرد ابن أبي زرع فصلا كاملا عن تاريخ جامع القرويين منذ بنائه سنة ٢٤٥ هـ / ٨٦٠ م ، إلى أيام تأليفه لكتابه سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م ، ينتهي في ص ٤٦ . وقول تلخيص ابن خلدون ، ط - بيروت ، ج ٤ ص ٢٩ - ٣٠ .

(١٧٩) القرطاس ، ص ٣٢ - ٣٣ . ويضيف صاحب القرطاس رواية أخرى ، تقول إن أخت السيدة فاطمة - التي عرفت أيضا بأم البقي - كانت تسمى مريم ، وإن كان لها فضل بناء « جامع الأندلس » ، هو الآخر ، « من مال حلال طيب موروث من والدها واختيها » (نفس الصفحة) ، مما يجعلنا نظن أن تلك الرواية الأخيرة ، ما هي في حقيقة الأمر إلا تحوير للرواية الأولى ، قصد بها تكريم جامع الأندلس أيضا ، ولا نريد أن نقف إلى أنها ربما شككت في صحة الرواية الأولى الخاصة بالسيدة فاطمة وجامع القرويين .

(١٨٠) القرطاس ، ص ٣٤ . وفي التشديد والتدقيق في طهارة الأموال اللازمة لأعمال التجديد والزيادة في المسجد ، ما تذكره الرواية من رفض قاضي قاس القتيبي أبي عبد الله

والمهم ان السيدة فاطمة اشترت موضع الجامع بذلك المال الموروث خلافا
حليبا ، وشرعت في حفر الأساس والبناء في يوم السبت مستهل رمضان
المعظم سنة ٢٤٥ هـ / ٣٠ نوفمبر ٨٥٩ (١٨١) ، أي في السنة الثانية عشرة من
إمامة يحيى بن محمد بن إدريس .

مواد البناء الحلال الصرفة :

وفي نطاق فكرة استخدام المال الحلال الطيب ، الذي لا تشويه شائبة ،
ويلا قتاله شبهة ، تقول الرواية ان حجارة الكدان التي استخدمت في البناء ،
وكذلك الطابية (للملاط) أتت من نفس أرض الجامع ، حيث « حفرت
» (السيدة) في وسطه فصنعت كهوا ، واقتطعت منها الكدان ، وأخرجت
مها التراب والحجر والرمل الأصفر الطيب ، فبنت به الجامع المذكور كله
حتى تم ، ولم تدخل فيه من تراب غيره » (١٨٢) . والأمر كذلك بالنسبة للماء
الذي استخدم في البناء فقد حفرت السيدة الصالحة في أرض الجامع بئرا ،
هي الموجودة حاليا في الصحن ، « فكان البناؤون يسقون منها الماء لبناء
الجامع المكرم ... لم تصرف فيه سواء ، احتياطا منها ، وتحريا من الشبهة » .
ووظلت فاطمة القروية صائمة الى أن تم تشييد الجامع (١٨٣) .

حجم الجامع الأول وأقسامه :

وبطبيعة الحال كان الجامع الذي بنته فاطمة القروية صغيرا ، اذ احتوى
على أربع بلاطات أي أروقة عرضية موازية لحائط القبلة وصحن صغير .
وذلك حسب رواية أبي القاسم بن جنون في تفسيره في تاريخ مدينة فاس (١٨٤) .
أما عن درع الجامع فيورد صاحب القرطاس رواية تقول ان طول حائط القبلة ،
وهو طول البلاطات ، ما بين الحائط الغربي والحائط الشرقي للجامع ، كان
يبلغ ١٥٠ (مائة وخمسين) شبرا ، وأن محراب الجامع كان في الموضع

محمد بن داود ما عرضه عليه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين من أن تكون النقطة
من بيت المال ، اذ قال القاضي : « سأل الله أن يفيها عنه من مالها الذي يجع من أحاسنها
» (أقولها) بأيدي الوكلاء - القرطاس ، ص ٣٦ .

(١٨١) القرطاس ، ص ٣٣ (زهرة الأس : ص ٣٥) .

(١٨٢) القرطاس ، ص ٣٣ (زهرة الأس : ص ٣٥) .

(١٨٣) القرطاس ، ص ٣٣ .

(١٨٤) القرطاس ، ص ٣٣ .

الذي تغل عليه الثريا ، على أيام المؤلف (١٨٥) ، في الأثر الثامن الهجري (١٤١ م) ، بمعنى أنه كان في موضع منتصف بين الصلاة حينئذ - وتضيف نفس الرواية أن السيدة فاطمة بنت في الجامع صومعة غير مرتفعة ، أي مناسبة لحجم البناء ، وذلك في الموضع الذي كانت توجد فيه القبلة ، التي على رأس العنزة ، ، على عهد صاحب روض القرطاس (١٨٦) .

الزيادة في الجامع على عهد زفانة :

وبقى جامع فاطمة محليا إلى أن انقضى ملك الإدارة في فاس . وعندما آل حكم المدينة إلى زفانة تحت رعاية الأمويين في الأندلس ، وضاق مسجد الشرفاء الجامع بالمصلين زيد في جامع القرويين زيادة كبيرة ونقلت إليه الخطبة ، بعد أن « صنعوا به منبرا من خشب الصنوبر ، وذلك في سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م (١٨٧) ، وهذا ما سنعود إليه في موضعه (من الجزء الثالث) ، إنشاء الله .

وبعد بناء القرويين لا نجد ذكرا للأمير يحيى بن محمد الذي يمكن تلخيص عهده ، في حسن السيرة ، وانتشار الأمن والدعة بين الناس ، مما أدى إلى نهضة عمرانية طيبة شهدتها فاس التي زهت بمساحدها ، وفنادقها ، وحماماتها . وكان للأمير نصيبه في هذه النهضة . وكذلك أبواب الدولة والمتيسرين من الناس . وعندما توفي يحيى بن يحيى بن محمد بن إدريس خلفه في الإمامة ابنه وسميه : يحيى بن يحيى في تاريخ لا تحدده لنا المصادر الأساسية .

(١٨٥) القرطاس ، ص ٣٣ (وهرة الاس ، ص ٣٥) - ونلاحظ هنا أن الرواية اهتمت بقياس بلاطات الجامع التي تعادل طول صفوف المصلين ، وأصلت ذرع حتى بيت الصلاة الذي يعادل مقياس عرض البلاطات الأربعة ، مما كان يسمح بمعرفة عدد المصلين الذين كان يمكن للمسجد احتوائهم في ذلك الوقت من طريق حساب عدد صفوفهم .

(١٨٦) ابن أبي ذرع ، ص ٣٣ .

(١٨٧) القرطاس ، ص ٣٣ - وقول نفس الرواية أن الزفانية زادوا أيضا إلى جامع الأندلس زيادة كبيرة ، « حدودها ظاهرة باقية إلى الآن » وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث القص على بناء الصرمة في سنة ٣٤٥ هـ ، بعد مائة سنة من اشتغال الجامع - وذلك « حسبما هو منقوش في الحجارة في الركن الشرقي منها » - أما من نقل الخطبة لتجد رواية أخرى . تقول أن ذلك تم في سنة ٣٢١ هـ / ٩٣٣ م ، على عهد حامد بن يحيى الهمداني ، عامل هبة الله . الشيباني على المغرب ، الذي نقل الخطبة أيضا من جامع الأنبياء مدونة الأندلس إلى جامع ابن الأندلس الذي نسبته بعض الروايات إلى السيدة مريم القروية أخت السيدة فاطمة - كيفية سجلت الإشارة . هـ ١٧٩ ص ٤٦٥ -

٦ - يحيى بن يحيى بن محمد بن اندريس :

نظرة فاحصة في المصادر :

والحقيقة انه مما يسترعى الانتباه اننا لا نفتقد - منذ الآن - التوقيت الدقيق ، الخاص بولاية الائمة وبوفاتهم ، وبالتحديد عهد كل أمير بالسنوات والأشهر والأيام ، وهو الأمر الذى اهتم به المؤرخون كثيراً ، بل اننا نفتقد أية اشارة الى التوقيت أو التاريخ فيما يتعلق ب وفاة يحيى بن محمد ثم بولاية ابنه يحيى بن يحيى ، وهو الأمير الادريسي السادس وكذلك من أتى بعدهم من الأمراء . وغياب الت تحديد التاريخي هذا يدعو ، فى أغلب الظن ، الى الشك فى صحة ترتيب أمراء الادارة الذين يلون على بن محمد ، وهو الأمر الذى يؤيده اختلاف كل من البكرى وابن عذارى وابن ابي زرع فيمن أتى بعد على بن محمد ، كما سبقت الاشارة . ونحن نظن أن الأمر اختلط على البكرى عندما ذكر ولاية يحيى بن يحيى بن محمد بعد ولاية على بن محمد ، بدلا من وضعها فى موضعها الصحيح هنا ، ولهذا حاول تبرير هذا اللبس ، فقال : ان يحيى بن يحيى بن محمد الذى قصده هو ابن احمى على ابن محمد ، والصحيح انه أخوه يحيى بن محمد ، كما رأينا .

ولقد سرى اللبس الى ابن عذارى عندما أسقط عهد على بن محمد ، ووضع مكانه أخاه يحيى بن محمد ، ولكن الأمر اختلط عليه ، مرة أخرى ، عندما سجل أحداث المملكة الادريسية فى عهد يحيى بن يحيى بن محمد ، على أنها جرت فى عهد والده يحيى بن محمد (١٨٨) ، وهذا ما يتضح من المقارنة مع البكرى وصاحب روض القرطاس الذى يأخذ عنه ابن خلدون .

تقسيم المملكة :

والذى يسترعى انتباه كل من البكرى وصاحب القرطاس هو النهاية القصصية التى ختم بها يحيى بن يحيى حياته السياسية فى بعض حمائم خاص . وهكذا لا نجد اشارات الى الحياة السياسية فى عهد الأمير الا فى ابن عذارى . نحن بداية امارة يحيى بن يحيى ، قسم المملكة الفاسية الى ثلاثة أقسام إدارية عهد بها الى أعمامه وأخواله على الوجه التالى :

١ - القبلة من مدينة فاس الى اغمات ، وعهد بها الى حسين ، منهم .

٢ - المشرق من مدينة فاس الى مكاسة وهوارة وصريته ، وولى عليها داود .

٣ - المغرب من مدينة فاس الى لهانة وكتامة ، وعهد بها الى القاسم (١٨٩) .

٤ - وبذلك تبقى المنطقة الرابعة الى الجوف اى الشمال من قصبة الديار الادريسية فاس ، ونظن أنها كانت تابعة لادارة يحيى بن يحيى ، اى لحكم الحكومة المركزية مباشرة .

وتضيف رواية ابن عذارى الى ذلك ان يحيى بن يحيى : « تشاغل عما كان يحق عليه من سياسة أمره » ، وأن أخوته انتهزوا الفرصة ، فملكوا أنفسهم واستأفروا بحكم ولاياتهم ، واستمالوا القبائل ، وقالوا لهم : انما نحن أبناء اب واحد . وانتهى الأمر فعلا باستقلالهم عن فاس ، اذ قدمهم البربر على أنفسهم ، تقديمًا كليًا ، كما تقول الرواية (١٩٠) .

نهاية يحيى بن يحيى فى مغامرة نسائية فى بعض حمامات فاس :

وواضح من النصوص ان حياة اللهو التى أخذت تعرفها فاس ، نقلًا عن عاصمة الخلافة بغداد فى المشرق ، أو عن طريق قرطبة عاصمة الأندلس ، استبدت بالأمير يحيى بن يحيى ، فانصرف الى التمتع ببهاج الحياة ، من الانهماك فى الشراب ، والهيام بالنساء (١٩١) . والظاهر أن الحمامات فى فاس ، مثلها مثل الحمامات فى العواصم العربية الأخرى ، كانت قد أصبحت من المؤسسات الهامة فى حياة المدينة . فقد كانت تقوم بدور رئيسى فى نظافة أهل المدينة والمحافظة على صحتهم ، كما كان لها دورها كمراكز اجتماعية وثقافية يستفيد منها الجميع رجالا ونساء من مسلمين وأهل ذمة . وهكذا كانت هناك أوقات معينة تخصص فيها الحمامات لاستقبال النساء ، وكانت تلك فرصة يحاول فيها العابثون من الشباب ، ممن تستهويهم المغامرات النسائية ، تحقيق بعض مآربهم الخبيثة ، وكان بعضهم لا يتورع

(١٨٩) انظر ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ -

(١٩٠) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ -

(١٩١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١١ - ٢١٢ . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٤ (حيث

فاساء السيرة وكثر عنته فى الحرم) .

عن استخدام أساليب عربية من التمويه كالتخفى فى زى النساء مثلا - وهو الامر المعروف .

والظاهر أن أميرنا يحيى بن يحيى بن محمد تشاغل عن سياسة دوله بالاستغراق فى اللهو والشراب والغرام بالنساء الى حد العبث فبعلا ، والخروج عن المألوف - فلقد أساء السيرة ، كما تقول رواية القرطاس ، وهام بفتاة من بنات اليهود ، أسماها حقة ، توصف بأنها كانت من أجمل نساء عصرها . وتهور يحيى فى هيامه بالفتاة حتى دخل عليها الحمام ، فى غفلة من المشرئين عليه . وفشلت المحاولة الحقة فى الوصول الى جمال اليهودية الفاتنة ، اذ استغاثت فبادر اليها الناس ، ولم يفلت الأمير العايت الا بشق الانفس ، بعد أن انكر الجميع هذا الفعل الفاضح ، وتغير عليه أهل مدينة فاس (١٩٢) .

تحرك اهل فاس :

ما بين الثورة والامر بالمعروف :

وكانت المفامرة النسائية المشتمومة سببا فى هلاك يحيى بن يحيى . فلقد استغل موجة السخط الشعبى فى فاس أحد زعماء العرب ، وهو عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى ، الذى سار على رأس العامة نحو القصر الأميرى ، وهم يزعمون التخلص من أميرهم الفاسق - والظاهر أن يحيى الذى جلله العار ، لم يجد من يدافع عنه من جنده أو أصحابه ، حتى أن زوجته التى غرر بها وهى قريبته : عاتكة بنت على بن عمر بن ادريس ، اشفت عليه من القتل ، ونصحته بالفرار الى عدوة الأندلس (١٩٣) .

واذا كانت الروايات تجمع على أن يحيى بن يحيى مات فى عدوة أندلس فى نفس الليلة التى فر فيها ، مما يمكن أن يفهم منه أنه مات أسىامة ، كما يظن صاحب روض القرطاس (١٩٤) ، فأغلب الظن أنه مات متأثرا

(١٩٢) القرطاس ، ص ٥١ ، البكرى ، ص ١٢٤ (حيث نجد اسم اليهودية « حقة ») ،

عذارى ، ج ١ ص ٢١٢ (حيث ينسب الرواية خطأ ، كما أشرنا ، الى يحيى بن محمد) .

(١٩٣) القرطاس ، ص ٥١ ، البكرى ، ص ١٢٤ - ١٢٥ : حيث يقول الرواية انه فر

تخرج منه زوجته عاتكة . ومارب ابن خلدون (ج ٤ ص ١٥) الذى يتورع عن التفصيل لا : « ولارت به العامة لمركب شيخ آفاه » .

(١٩٤) انظر القرطاس ، ص ٥١ ، البكرى ، ص ١٢٥ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٢ .

ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث نجد اصطرا با على النص اذ يقول : « فتراوى ليلتين ، ومات أسما ليلته ») .

بحراة ، وهو يفر أمام مطارديه من أهل عدوة القرويين .

عبد الرحمن بن أبي سهل يتغلب على فاس :

وبحوت يحيى بن يحيى في عدوة الأندلس سقطت فاس ، ثمرة ناضجه ، بين يدي عبد الرحمن بن أبي سهل ، الذي بدأ أمرا بالمعروف وصار ما بين ليلة وضحاها متغلبا على عاصمة الحسينيين في المغرب . ولكن عاتكة زوجة يحيى بن يحيى لم تقف مكتوفة الأيدي ، بعد أن فشلت تصيحتها لزوجها بالفرار أمام خصومه ، فكتبت إلى أبيها علي بن عمر بن إدريس ، وإلى بلاد صنهاجة وغمارة في إقليم الريف ، تخبره بما حدث في فاس : من الثورة على زوجها ، وتغلب عبد الرحمن بن أبي سهل على المدينة .

انتقال الملك إلى بيت عمر بن إدريس :

٧ - علي بن عمر بن إدريس أماما :

وكانت فرصة استغلها علي بن عمر ، فجمع جيوشه وحشمه ، وقصد إلى مدينة فاس . والظاهر أن عبد الرحمن بن أبي سهل اكتفى بتسليم العاصمة للامير الإدريسي دون مقاومة ، إذ لا تشير النصوص إلى أعمال حربية بين الطرفين ، مما يعني أن التأثير الجذامي لم يعدل في مطالبه ، إلى أكثر من : إقامة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهكذا فتحت عدوة القرويين أبوابها إلى علي بن عمر ، كما رحبت به عدوة الأندلس بعد ذلك ، فأصبح سيذا المدينة فاس شقيها على ضفتي النهر (١٩٥) . وباستقرار علي بن عمر في فاس دانت له كل بلاد المغرب ، وخطب له على جميع منابرها ، وبذلك انتقلت إمارة الإدارة من بني محمد بن إدريس إلى بني عمر ابن إدريس (١٩٦) .

وللاسف تفعل مصادرنا الرئيسية كالبكري وابن عذاري الإشارة إلى

(١٩٥) انظر البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ (حيث يقول النص انه دخل عدوة القرويين) ، وقارن القرطاس ، ص ٥١ ، (حيث ينص على دخول عمر عدوة القرويين) .

(١٩٦) القرطاس ، ص ٥١ ، البكري ، ص ١٢٥ ، ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ (حيث يقول ان الذي استدعى علي بن عمر هم أهم الدولة من العرب والبربر والموالي) .

تواريخ تلك الأحداث ، كما لم يستطع صاحب روض القرطاس ، عندما حاول تحديد ولاية علي بن عمر ، إلا القول : انه يبيع بعد وفاة يحيى بن يحيى ابن محمد ، مع أنه كانت قد حدثت أحداث مهمة فيما بين وفاة يحيى وقدم علي الى فاس . بينما نجد بياضا في موضع التاريخ في عمر ابن خلدون . مما يعني أن المؤرخ كان يرجو أن تسمح له الفرصة ، فيما بعد ، لمعرفة التاريخ وتسجيله . وسيظل الحال على هذا الموال من افتقاد التواريخ والتحديدات الزمنية الى سنة ٢٩٢ هـ / ٤ - ٩٠٥ م ، وهي السنة التي هلك فيها يحيى بن القاسم ، المشهور بالموام ، الذي خلف علي بن عمر في أمانة فاس ، أثر الثورة الخارجية الجامعة التي عصفت بملكه .

الأندلس والفكر الخارجي :

عبد الرزاق الفهرى الصفرى ، واستمرار هبوب رياح الخارجية من الأندلس الى المغرب ،

فاذا كان علي بن عمر قد وصل الى الملك عبر الثورة الشعبية التي ترعها أحد رؤساء العرب من الحذاميين ، وهو عبد الرحمن بن أبي سهل ، احتجاجا على سوء سلوك يحيى بن يحيى بن محمد ، فان ملكه هذا قد ضاع في ثورة عامرة أخرى ، قام بها الربير من الخوارج بقيادة أحد رعاء العرب من الفهرين ، هو عبد الرزاق المشهور بالخارجي . والذي يلفت النظر في تلك الثورة ، هو ما يقوله الكتاب ، من : أن صاحبها عبد الرزاق أصله من بلاد الأندلس ، من مدينة وشقة (١٦٧) ، في إقليم الثغر الأعلى ، فيما وراء سرقسطة وحوض الأبره . فذلك يعني أن بلاد الأندلس اذا لم تكن أرضا صالحة لثمر مذهب الخوارج ، تماما كما كان حالها بالنسبة للمذاهب الشيعة ، فانها نجحت منذ وقت مبكر في بذر بذور الخارجية في أرض المغرب ، بل وكذلك المذاهب لحرقة التي سميت بالزندقة والكفر .

هكذا يشير الكتاب الى علاقة وثيقة بين طريف ، أول فاتحي الأندلس بن ميسرة المدغرى الصفرى ، أول كبار ثوار الخوارج في المغرب ، ثم الى لاقة بين زندقة برغواطة في السيم تامسنا وبين رجل برباطى أى من وادى باط بجنوب الأنديس ، وذلك قبل مجيء ثائرا عبد الرزاق الوشتقى الأنديسى . والذي تريد أن نرج به من ذلك هو أنه ، اذا كان التشيع لآل

- ٤٧٣ -

البيت من المنسبيين قد حل بين بربر المغرب الأقصى محل الفكر الخارجي الصغرى ، بفضل هجرة أدريس الأول ، وما تلاها من استمرار هجرة العلويين من أناربه ، ومن شيعتهم ، فان ذلك لم يعن اندثار الحركة الخارجية والفكر الصغرى تماما من بلاد فاس . فقد كانت الحياة تدب فيه خفية كالجمر تحت الرماد ، وكانت هبة نسيم من هنا أو من هناك تكفى لاشعال جذوته من جديد ، وكانت بلاد الاندلس ، وهى المالكية المتعصبة للمذهبها ، تشارك فى اشعال نار الخارجية فى المغرب ، كما نرى .

دعوة عبد الرزاق فى جبال فاس :

وإذا كنا لا نعرف الظروف التى أدت الى هجر عبد الرزاق بلاده فى ثغر الأندلس الأعلى فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى (٩م) ، فمن المعروف أنه استقر فى الاقليم الجبلى الواقع فى قبلى مدينة فاس حيث كانت قبائل مديونة (١٦٨) ، وهو الاقليم الذى كان تابعا للعاصمة الادريسية ، على مسيرة يوم ونصف يوم منها ، ويسميه صاحب القرطاس بجبال وبلاو (١٦٩) . واغلب الظن أن عبد الرزاق بدأ دعوته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما جرت العادة عند الخوارج ، بل وعند غيرهم من دعاة الإصلاح ، ومن المرجح أن تكون سيرة أمراء الادارسة فى فاس وفى غيرها من البلاد ، تسمح بالاصفاء لمثل تلك الدعوة ، بعدما استهوتهم عيشة الترف وانصهروا للتمتع كلية بمباهج الحياة .

دار هجرة أو ثغر أندلسى فى بلاد الادارسة ، وشقة الجديدة :

والمهم أن دعوة عبد الرزاق لقيت نجاحا فى جبال مديونة ، كما تب خلق كثير من بربر غيابة ، وغيرهم من القبائل . وعندئذ بنى قلعة منيفة كما يقول صاحب القرطاس بجبل سل بجوار بلاد مديونة ، وسمّاها وشقة (٢٠٠) ، تعبيرا عن حنينه الى بلاده ، ومسقط رأسه فى الثغر الأندلسى ، وأعلنا عن أن جهاد الفساق من المسلمين لا يقل قدرا عن الأعداء من المسيحيين .

(١٦٨) الكرى ، ص ١٢٥ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ : ص ١٥ : حيث قرر « عبد الرزاق » الذى أحدا بها بدلا من « عبد الرزاق » ، وفى ط - بيروت ، ١٦٦٨ ، ص ٣٠ « بجبال لتونة » خطأ ، بدلا من جبال مديونة .

(١٦٩) القرطاس ، ص ٥١ .

(٢٠٠) انظر القرطاس ، ص ٥١ . حيث يقول ابن أبي ذرغ أنها كانت باقية ببلدك

الساحية على أياضه ، فى أوائل القرن ٨ هـ / ١٤ م .

الزحف من وشقة على فاس :

وعندما اشتد ساعد عبد الرزاق وكثر اتباعه راودته فكرة القضاء على دولة الحسينيين الادريسية ، فسار بقواته نحو الشمال في اتجاه قاعدة الديار ، مدينة فاس . ونجح عبد الرزاق في دخول مدينة صفروا ، على بعد حوالي ٣٠ كم من فاس ، دون صعوبة ، مما شجعه على مواصلة المسيرة . وعندما استشعر على بن عمر بخطورة الثورة الصفرية المقبلة من الجنوب كالمصافة ، قرر الخروج للقاء عبد الرزاق ، بعد أن حشد له عسكرا عظيما . ودارت الحرب سجالا ، بين الجيوش الادريسية وبين حشود الثوار الصفرية ، في عدة لقاءات عظيمة . وانتهت المعارك الدامية بخسائر جسيمة في صفوف القوات الفاسية ، وبهزيمة شائنة لعل بن عمر الذي فر ماجيا بحياته الى بلاد أوربة (٢٠١) ، مهد الدولة الادريسية الاول ومادة وجودها .

الصفريه يدخلون عدوة الأندلس ، وعدوة القرويين تستنجد ببعض العوام :

والحقيقة انه اذا كان دخول عبد الرزاق الصفري مدينة فاس ، بعد انتصاره على الأمير علي بن عمر ، يبرر عدم التجاء هذا الأخير إلى عاصمته ، وهروبه الى بلاد أوربة ، فإن امتناع القسم الملكي من فاس وهو عدوة القرويين على الثائر الخارجي الذي لم يتمكن الا من دخول عدوة الأندلس حيث خطب له ، يبرر النظر في أن علي بن عمر لم يكن موفقا في قراره بعيدا عن قاعدة ملكه . فلقد أصبح تقاعسه عن مواصلة النضال في فاس بمثابة تسلل أمام خصمه ، وتسليم بالعجز أمام رعيته . وذلك أن أهل عدوة قرويين ، عندما نجحوا في رد الخارجي عن مدينتهم لم يفكروا في عودة رهم الهارب ، بل راسلوا أميرا ادريسيا آخر ، هو يحيى بن القاسم بن يس ، المعروف بالعوام ، ودعوه الى تسلل مقاليد أمرهم . ووصل يحيى ، القاسم الى فاس ، ودخل عدوة القرويين حيث تمت له البيعة بالامامة ، رفع على عاتقه اطلاق نار الفتنة الحارجية (٢٠٢) .

(٢٠١) انظر القوطاس . ص ٥١ . البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري . ج ١ . ص ٢١٢ .

(٢٠٢) انظر القوطاس . ص ٥٢ . البكري . ص ١٢٥ . ابن عذاري . ج ١ . ص ٢١٢ .

ابن خلدون . ج ٤ ص ١٥ (حيث القراءة : الصرام . خطأ بدلا من : الصرام) .

٨ - يحيى العوام بن القاسم بن اندريس :

استعادة عدوة الأندلس ، والقضاء على ثورة مديونة وعبد الرزاق :

كانت مبايعة يحيى بن القاسم في عدوة القرويين ، وبقاء عدوة الأندلس موالية لعبد الرزاق الخارجي ، تعنى نوعا من تكريس الانفصال بين كل من الحين الكبيرين اللذين يكونان مدينة فاس . ويمكن تفسير وقوف عدوة الأندلس الى جانب عبد الرزاق على أنه نوع من تعاطف أهلها الأندلسيين ، أصلا ، مع ابن بلدهم ثائر وشقة ، فكان قسما مدينة فاس ظلا ، بعد حوالى قرن من بنائها متشبهين بعصبيتها الاقليمية ، من : أندلسية وقيروانية . ومن الواضح أن العصبية الأندلسية كانت تمثل المزاج الثورى العاد ، بينما مثلت العصبية القيروانية المزاج الهادى الذى يعيل الى الدعة ويركن الى الاستقرار .

وهكذا قاد يحيى العوام أنصاره من أهل عدوة القيروان فى صراع مرير ضد جيرانهم أهل عدوة الأندلس ومن معهم من خوارج مديونة ، ونجح فى هزيمة عبد الرزاق الصغرى وإخراجه من المدينة ، وذلك « فى خبر طويل » رأى ابن عذارى - للأسف - أن يعفينا من سرده (٢٠٢) .

بيعة أهل عدوة الأندلس ، وتركيبهم العنصرى :

وتقول رواية ابن أبى زرع انه عندما دخل يحيى العوام عدوة الأندلس بايعة أهلها وجميع من بها من الأندلس الذين نزلوا بها «من الربضيين» . مما يفهم منه أن أهل عدوة الأندلس لم يكونوا جميعا أندلسيين أصلا . ظلت جمهورتهم من المغاربة البربر ، مما يزيد فى تفسير استجابتهم لعبد الرزاق ومن كان معه من بربر مديونة وغياته وغيرهم . ولكنه رغم وجود المغاربة

(٢٠٢) البيان ، ج ١ ص ٢١٢ ، البكرى . ص ١٢٥ ، وأنظر القوطى ص ٤١ .

(٢٠٤) القوطى ، ص ٥٢ - حيث القراءة اللرضيين « بدلا من الربضيين » .

فقد كان التفوق في العدو للأندلسيين من غير شك - يؤيد ذلك ما تقوله الرواية من أن يحيى بن القاسم استعمل على عدو الأندلس ثعلبة بن محارب أبو عبد الله ، الذي تصفه بأنه : « من أهل الربض من شلونة » (٢٠٥) .

ولما كان المعروف أن أهل الربض الذي استقروا في فاس عند انشائها ، هم قرطبيون ، فإن ذلك يعني أن ثعلبة بن محارب كان أندلسيا ، وفد على فاس من شلونة في فترة لاحقة وهو الأمر المقبول ، إذ كان نشاط الوافدين من الأندلسيين في المغرب وخاصة في سواحله وفي جزر البحر ، مستمرا منذ مطلع القرن الثالث الهجري (٩م) ، كما يتضح من النصوص وخاصة في كتاب البكري .

أسرة أميرة أندلسية ، مهلبية الأصل ، لعدو الأندلس :

والهم أن يحيى بن القاسم عندما اطمأن إلى استقرار الأمور في عدو الأندلس بفضل ثعلبة بن محارب ، خرج من فاس متتبعا أثر عبد الرزاق الخارجي ، إلى أن قضى عليه في حروب عظيمة ووقائع كثيرة ، كما يفهم من رواية ابن أبي زرع (٢٠٦) . ولم يزل ثعلبة بن محارب واليا على عدو الأندلس في فاس إلى أن توفي في تاريخ لا نعرفه ، وعندئذ عهد الأمير يحيى ابن العوام بحكم العدو إلى ابنه عبد الله بن ثعلبة ، الذي خلفه في الولاية ولده محارب بن عبود بن ثعلبة (٢٠٧) ، مما يعني أن عبد الله بن ثعلبة كان يعرف بعبود (٢٠٨) ، حسب الطريقة المخربية في تحوير الأسماء .

ولما كان ولاية عدو الأندلس هؤلاء من عرب الأزد الذين يتحدرون من صلب المهلب بن أبي صفرة ، كما ينص على ذلك الكتاب ، فإن هذا الأمر يعني أن يحيى العوام كان يدبر لأقرار الأمور في عدو الأندلس عن طريق

(٢٠٥) القرطاس ، ص ٥٢ . وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ ، الذي ينص على أن ثعلبة كان من أهل الربض بقرطبة .
 (٢٠٦) القرطاس ، ص ٥٢ .
 (٢٠٧) القرطاس ، ص ٥٢ .
 (٢٠٨) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

صسطها بأيدي أفراد من الأسرة العربية الشهيرة التي كان لها شأنها في محافل الخوارج في المشرق وفي المغرب . فقد توالى هؤلاء في تسلسل يمكن أن يشبه بأسرة أميرية أشبه بتلك التي كونوها في إفريقية ، على أوائل أيام العباسيين والتي كان من أبرز أمرائها : عمر بن حفص المعروف بهزار مرد. (الالف ، جل) ، ويزيد بن حاتم الذي ضرب به المثل في الكرم (٢٠٩) .

وطالت أيام يحيى بن القاسم في إمارة فاس ، وما والاها من البلاد والإقطار والقلاع ، إلى سنة ٢٩٢ هـ / ٤ - ٩٠٥ م (٢١٠) ، حيث مات في الحرب. التي شنتها عليه ربيع بن سليمان ، والتي لا يمدنا الكتاب بشيء مسند تفصيلاتها (٢١١) ، وخلفه في الإمامة قريبه يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس الإمام ، حفيد عمه .

عودة الإمامة إلى بني عمر بن إدريس ، ودخول فاس في طاعة الفاطميين :

٩ - يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م - ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م :

ويمر الكتاب سريعا على تلك الفترة الأخيرة من تاريخ الدولة الإدريسية ، فلا نعرب عن الظروف التي ولى فيها يحيى الرابع بن إدريس إلا أنه تقدم ، بعد مقتل بن عمه العوام ، من مدينة الزيتون (مكناسة) التي كانت قاعدة ملكه (٢١٢) ، إلى فاس حيث بايعه أهل المدينة بشاطينها : عدوة القرويين وعدوة الأندلس ، وتمت له الخطبة على منبريهما . وعن هذا الطريق أصب يحيى الإمام الإدريسي التاسع ، ودانت له أعمال المغرب بالطاعة (٢١٣) .

(٢٠٩) انظر فيما سبق ، ج ١ ص ٢٥١ .

(٢١٠) انظر ابن عذاري ، ج ١ ص ٢١٢ ، البكري ، ص ١٢٥ ، ابن خلدون ، ج ٢

ص ١٥ ، وقارن القرطاس ، ص ٥٢ ، الذي أخطأ في نسخ هذا التاريخ فجعله في سنة ٢٧٢

٨٥ - ٨٨٦ م .

(٢١١) نفس المصادر .

(٢١٢) البكري ، ص ١٢٥ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٢ ص ١٥٠ .

(٢١٣) انظر القرطاس ، ص ٥٢ .

١٠- تقييم يحيى الرابع

وإذا كان البكري مزائق عذارى يمران مرورا خاطفا على عهد يحيى ابن ادريس فيكتفيان بالإشارة الى بدء ملكه سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥ م ، ثم الى زوال سلطانه بقتلهم مصالة بين حيوس قائد عبيد الله المهدي الى فاس سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م ، فان الفصل يرجع الى ابن أبي ررع صاحب كتاب روض القرطاس ، في جمع بعض المعلومات ، التي لخصها ابن خلدون ، عن شخصية يحيى بن ادريس . وتصور تلك المعلومات يحيى الرابع على أنه أعظم ملوك الأدارسة ، فقد جمع بين : علو القدر ، وبعد الصيت وطيب الذكر ، وقوة السلطان ، كما جمع بين : البطولة والشجاعة والحزم ، والصلاح ، والدين ، والورع ، بشكل : « لم يبلغ أحد من الأدارسة مبلغه » . وفوق هذا وذاك : « كان فقيها حافظا للحديث ذا فصاحة وبيان ولسان (٢١٤) » .

١١- وصول الفاطميين الى المغرب الأقصى :

وإذا صح ذلك فلا شك أن بلاد الأدارسة لم تكن حسنة الحظ إذ قدر لها مثل هذا الامام المتألي في تلك الفترة الحرجة من تاريخ المغرب ، حيث كان الفاطميون على وشك القضاء على دول المغرب القائمة وقتذاك ، ابتداء من دولة الأغالبة ، وختاما بدولة الأدارسة ، وتوحيدها تحت راياتهم المظفرة ، « في ظل آل البيت من « الحسينيين » ، هذه المرة .

هكذا حكم يحيى بن ادريس في فاس من سنة ٢٩٢ هـ/٩٠٥ م الى سنة ٣٠٥ هـ/٩١٧ م .، حينما قدم مصالة بن حبوس المكناسي الى بلاد الأدارسة ، خاضع له بعض الطامعين في ملك الأدارسة من زعماء زناتة ، مثل : موسى بن أبي العافية الذي قدم له المعوفة وحارب الى جاتبه (٢١٥) ، وضعف أمامه البعض ، مثل : بني صالح الذين جلوا عن ديارهم في بلد تكور (٢١٦) ، ودافعه البعض بدون جدوى ، مثل : يحيى بن ادريس الذي انهزم أمامه واضطر الى الاعتراف

(٢١٤) القرطاس ، ص ٥٢ . - يقرآن ابن خلدون ، ج ٤ ص ١٥ .

(٢١٥) القرطاس ، ص ٥٣ .

(٢١٦) البكري ، ص ١٣٥ .

بإمامة عبيد الله (٢١٧) ، فلم تقم له قائمة بعد ذلك ٢٣٠ ، وإن كان قد استمر في الحكم إلى سنة ٣٠٩ هـ / ٩٢١ م . وهي الأمر التي ستعود إليها عندما نعالج تاريخ الدولة الفاطمية .

أما عن قيام الفاطميين فنرى أن يكون المدخل الطبيعي له هو رسم صورة لبلاد المغرب قبيل مطلع القرن الرابع الهجري (١٠م) ، تبين فيها الدروس المستفادة من البحث في تاريخ الأغالبة والرسامين والمدارين والأدارسة على المستويين السياسي والحضاري ، مما يمكن أن يوضح الظروف التي أدت إلى سقوط دول عصور الاستقلال الأولى ، وتوحيد المغرب تحت رايات الفاطميين . وفوق أسنة رماح الكتامين . وهي الدروس التي يمكن أن تكون مفيدة أيضاً بالنسبة لمرحلة ما بعد الفاطميين من عصور الدول المغربية حقا والمستقلة تماما .

الفصل السادس

الخريطة السياسية الحضارية لبلاد المغرب
في أواخر القرن الـ ٢٠ هـ / ٢١ م

من ذلك العرض الذي قدمناه لتاريخ بلاد المغرب خلال القرن الثالث
الهجرى / ٩ م يتضح لنا ما يأتى :

٢ - الواقع السياسى :

كانت خريطة البلاد السياسية تشتمل ، أساسا ، على أربع دول
هى :

من المشرق الى المغرب - دولة الأغالبة فى أفريقية (أى البلاد التونسية) ،
ودولة الرستميين فى المغرب الأوسط أو إقليم تاهرت (من البلاد الجزائرية) ،
وامارة المذاريين فى سجلماسة (تفللت) ووادى دعة (فى صحراء المغرب
الجنوبية) ، ودولة الادارسة فى المغرب الاقصى فى منطقة فاس ووادى سبو .
والى جانب هذه الدول الأربعة لا ينبغي أن ننفل كلا من مصر الطولونية - فى
المشرق ، والأندلس الأموية فى أقصى المغرب . فقد كانت لهما حدودها المشتركة
مع مملكة الأغالبة فيما بين برقة وطرابلس ، وكان للأندلس حدودا بحرية
مشتركة مع الادارسة عبر بحر الزقاق (مضيق جبل طارق) الذى كان
يربط بين العدوتين (الشاطئين) : الأفريقية والأوربية . والمضى يمكن ملاحظته
هو أنه رغم استقلال كل من دول المغرب الأربعة فإن الأوضاع السياسية فى
كل منها كانت رهنا بأوضاع البلاد الأخرى ، إذ كانت لأحداث كل إقليم
آثارها المباشرة فى الاقليم المجاور : كرد فعل طبيعى لتلك الأحداث . هذا
كما كان لتدخل خلافة بغداد ، بصفتها صاحبة السلطة الشرعية فى كل
ولايات الدولة الإسلامية ، منها على العاصية شأنها فى ذلك لا تنكر فى مسار
الأحداث السياسية التى عرفتها البلاد : بشكل ملموس أو بطريقة خفية ،

سبب مقتضى الظروف والأحوال . وهذا ما نحاول الإشارة إليه ، في كل من تلك الدول .

١ - دولة الأغابة :

فقد كانت دولة الأغالّة في افريقية إمارة شرعية تابعة لدولة الخلافة .
وعن هذا الطريق كان لها السلطان المطلق على كل بلاد المغرب ، ابتداء من طرابلس التي كانت تبدأ بها الحدود الادارية الفاصلة بين ولاية مصر الطولونية وبين ولاية المغرب الاغلبية التي كانت تمتد الى آخر الشمال الافريقي ، بل وإلى بلاد الأندلس أيضا من الوجهة الشرعية أو النظرية . أما عن مظاهر تبعية الدولة الاغلبية للخلافة وارتباطها بالحكومة المركزية في بغداد فقد تمثلت ، كما حرت العادة في الرابطتين التقليديتين وهما : رابطة الولاء الروحية للخليفة أمير المؤمنين ، والتعبير المادي عن ذلك الولاء بدفع أموال الخراج السنوية الى ديوان الخلافة في بغداد . وكانت تلك الرابطة المزدوجة في طبيعتها الروحية والمادية بين الخلافة وأمير القيروان تقوى وقضف تبعا لاحوال كل من خلافة بغداد وإمارة القروان .

فبعد تعيين إبراهيم بن الأغلب واليا على افرقية تعهد الأغلبى للخليفة الرشيد بأن يعدل عن تلقى المساعدة التى كانت ترسلها مصر سنويا وقدرها مئة ألف دينار ، كمعونة لافريقية ، بل وتعهد - على العكس من ذلك - بأن يدفع أربعين ألف دينار سنويا الى بيت المال ببغداد (١) ، مما يعنى تبعيته الواضحة للخلافة ، بصرف النظر عن كون ذلك نوعا من الاغراء من جانب ابن الأغلب للرشيد حتى يعهد اليه بأمرة البلاد أو الاستقلال بها . ولقب « الأمير » الذى حمله الاعالية يؤيد تلك التبعية للخلافة : فالامارة كما عرفها الفقهاء الذين كتبوا فى نظم الحكم ، مثل الماوردى صاحب الاحكام السلطانية ، تعنى السلطة الدنيوية التى تشمل اختصاصات عسكرية وقضائية ومالية وإدارية. يعهد بها للخليفة لتناوب عنه فى الاقليم الذى يجعله أميرا عليه (٢) . كما كان الخليفة يمارس بعض تلك الاختصاصات بنفسه مثلما فعل الرشيد عندما ولى ابن غانم ، مباشرة من قبله ، قضاء افرقية فجعله فدا لابن الأغلب (٣) .

(٧) انظر فيما سبق ، ص ٢٩ - ٣٠ وه ١٢ -

هذا إنظمة الأحكام الإسلامية مع الباب الثاني من التأسيس على تقليد الإمامة على البلاد *

(۳) انظر ما سبق ، ج ۱ ص ۲۷۵ وم ۱-۲ .

وبذلك كان الأمير الأغلبى يستمد سلطانه مباشرة من الخليفة ، فكان كل خليفة جديد يجدد العهد للأمير ، كما كان على الأمير ، بدوره ، أن يجدد البيعة للخليفة : فيحلف له يمين انولاء والاحلاص . وتجديد البيعة هو الذى كان يعطى طابع الشرعية لحكم الأمير الذى يستمد سلطانه ، بطبيعة الحال ، من أمير المؤمنين .

هكذا كان شعار أمراء القيروان الرسمى هو اللون الأسود ، شعار العباسيين : لون الألوية أو الرايات والبنود ، ولون الخلع أى الملابس الرسمية للأمير ول كبار موظفى دولته ، من : الوزراء والقضاة وكمار القواد . ولهذا السبب كان أول ما يفعله الثوار حتى افريقية هو التخلص من لبس السواد ، كما فعل خريش الكندى الذى ثار على إبراهيم بن الأغلب (٤) ، تماما كما فعل المعارضون للخلافة فى المشرق ، اذ كانوا يلبسون البياض ويسمون بالمبيضة - على عكس العباسيين الذين لبسوا السواد وسموا بالسودة (٥) .

أما عن الأموال السنوية التى تعهد بها إبراهيم بن الأغلب ، وهذا ما يمثل الرابطة المادية الأقوى ، فمن الواضح أنها لم تكن تدفع بانتظام . فإبراهيم بن الأغلب نفسه كان ينتظر من الخليفة أن يدفع أرزاق (مرتبات) الجند العربى ، كما حدث عندما قامت الثورة ضده فبعث إليه الرشيد بالأموال التى فرقها فى الجند وهزم الثوار (٦) . هذا ولا بأس من الإشارة هنا الى أن إبراهيم بن الأغلب كان يضرب - بعد ذلك - تقود الخراج هذه خصيصا باسم الخلافة . فهذا ما يفهم من الدينار الذى عثر عليه باسم إبراهيم ابن الأغلب ، والذى ضرب فى سنة ١٩٦ هـ ، ونقش على أحد وجهيه للخليفة الإمام (٧) .

والحقيقة انه فيما عدا رابطة الولاء ودفع الأموال المقررة سنويا ، افريقية ، تم يكن للخلافة أثر أى فعلى على أمراء الأغلبة . وهكذا تمت

(٤) انظر فيما سبق ، ص ٣٥ و ٣٧ .

(٥) انظر مليونز ، تاريخ الدولة العربية واضمحلالها ، ترجمة محمد عبد الباقى أبو دينة ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٥٠٣ - ٥٠٤ . وعاشق ، ٢ ، ١٢١ إلى ١٢٢ . وكما فعل الأمراء فى الأندلس أيضا اذا اتخذوا اللون الأبيض شهيدا لهم . (انظر ليفى بروفنسال ، ١ ، ٢٢٧)

(٦) انظر فيما سبق ، ص ٢٨ .

(٧) انظر حسن حسنى عبد الوهاب ، الوقات ، قسم ١ ص ٤٢٨ .

أفريقية بإدارة مالية مستقلة ، كما حدث في مصر على أيام الطولونيين ، فلم تتدخل الخلافة في أمورهم الإدارية ، ولا في نظام توريث الإمارة ، إلا في بعض الظروف الاستثنائية . فلقد توارث أمراء الأغلبية ملك أفريقية ، كما رأينا ، بطريقة تلقائية دون انتظار أوامر بغداد التي كانت تجعل ديوان أفريقية والمغرب لولا العهد بها ، وقام بعضهم بإصلاحات مالية وأعمال تاديبية ، دون انتظار موافقة الخلافة ، رغم مآثرته من السخط بين الناس (٨) .

ولكن هذا الاستقلال الذي تمتع به الأغلبية لم يمنع الخلافة من التدخل في شئونهم في بعض الأحيان ، كما حدث على عهد إبراهيم الثاني بن أحمد عندما استبد بالرعية وأنزل بالشوار من أهل تونس عقوبات غاشمة سسنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م . فلقد تدخل الخليفة المعتضد في الأمر ، وعنف إبراهيم بن أحمد ، بل وهدده بالخلع (٩) .

وهكذا ، رغم استقلال الأغلبية فإنهم لم ينسوا اظهار ولائهم لبغداد وارتباطهم بالخلافة حتى آخر أيامهم . فقد كانت الانتصارات الكبيرة للجيوش الأغلبية تبلغ أولا بأول إلى بغداد ، كما كان للخليفة نصيبه من المغنم والسبي في بعض الأحيان . وذلك كما حدث عند الاستيلاء على قصر يانة (كاستروجيوفاني) ، إذ بعث الأمير أحمد بالنبا إلى الخليفة ، كما أهدى إليه بعض الجاريات الصقليات (١٠) . وكذلك ظهر الامتثال لطاعة الخلافة في وقت الشدة ، عندما أحس آخر أمراء الأغلبية زيادة الله الثالث ، يخطر الفاطميين فأرسل هدية للخليفة العباسي فيها عشرة آلاف من المشاغل الكبار التي تحمل أبياتا من الشعر تعلن الولاء والطاعة للأمير المؤمنين (١١) . هذا كما استخدمت الخلافة الإدارة ، بدورها ، والحذر في اعلان سلطانها . على المملكة الأغلبية . والمثل لذلك أنه عندما تعرضت أفريقية في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، إلى زلزلة أرضية هدمت الكثير من الحصون والقرى أمر الخليفة المتوكل بتوزيع ثلاثة ملايين درهم على المنكوبين (١٢) . ولقد أدت التنقييات

(٨) انظر فيما سبق ، ص ٤٠ (عن عبد الله بن إبراهيم بن الأغلب) ، ص ١٢٧ (عن إبراهيم

ص) .

(٩) انظر فيما سبق ، ص ١٤٥ و ٤٧٠ .

(١٠) انظر فيما سبق ، ص ١٠٠ ، ٣٥١ .

(١١) انظر فيما سبق ، ص ١٦٦ .

(١٢) ابن الأثير سنة ٢٤٥ ج ٧ ص ٣٣ ، ج مارسيه ، ص ٦٣ ، وقارن الطبري (ذخائر

لأرب) ، سنة ٢٤٥ ج ٩ ص ١١٢ حيث القراءة « ثلاثة آلاف درهم » خطأ .

الأثرية الى اكتشاف نقش في داخل قبة جامع الزيتونة بمدينة تونس يسجل ان ذلك الجزء من المسجد الجامع يبنى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م بأمر الخليفة المستعين * ولما لم يكن هناك ذكر للأمير الأغلبى زيادة الله الثاني أو أبي الفرائق في هذا النقش ، الأمر الذى ربما كان نتيجة طبيعية لعداء أهل تونس لامراء القيروان ، فإن جورج مارسيه يرجح أن ذلك يعنى أن البناء تم على نفقة الخليفة كإعلان عن سيادة بغداد على المغرب * واهتمام الخلافة بمصالح الاسلام فى تلك البلاد (١٢) *

هكذا تمتعت الدولة الأغلبية بالاستقلال مع استمرار ارتباطها بالخلافة بعلاقات معنوية قوية ، الى جانب روابط مادية لا بأس بها. وإن كانت محدودة . ويرى جورج مارسيه أن نظام استقلال الولايات فى ظل دولة الخلافة ، الذى كانت الدولة الأغلبية أول نماذجه فى تاريخ الدولة الإسلامية يمكن أن يشبه بنظام « الدومينيون » (أو « الكومان ولث ») الذى طبق حديثا (فى الإمبراطورية البريطانية) ، بل ويرى مارسيه أن الإمارة الأغلبية ، فى إطار دولة الخلافة هذا - الذى كان يشبهه استاذنا الدكتور محمد عبد الهادى شعيرة بالنظام الاتحادى « أو الفيدرالى » كانت تتمتع بوضع أحسن حالا من وضع بلاد الدومينيون الحديثة (١٤) *

والحقيقة ان هذا « النظام الاتحادى » كان حلا سعيدا لمشاكل كل من دولة الخلافة وإمارة إفريقية الأغلبية * فمن ناحية انزاح عن كاهل الخلافة ما كانت تعانيه من المتاعب فى بلاد المغرب مما وقع على عاتق أمير القيروان ، ومن ناحية أخرى كان استقلال الأغلبية دافعا للولاية المغربية على التقدم العسكرى والسياسى الذى أدى بدوره الى الازدهار الفكرى والحضارى *

ولكنه اذا كان فتح صقلية وجنوب إيطاليا وضمهما الى أملاك الولاية الإفريقية يمثل ذروة ما بلغت دولة الأغلبية من القوة السياسية والعسكرية ، فمن الواضح أن الأغلبية لم ينجحوا تماما فى اقرار الأمور فى داخل حدود

(١٢) انظر له : بلاد البربر (المغرب) والمشرق الاسلامى فى العصر الوسيط (بالفرنسية) ، ص ٦٣ * وعن نقش قبة الزيتونة انظر له : حاشى ٢٤ - من المجلد على الفن الاسلامى (بالفرنسية) ، باريس ١٩٦٦ ، ج ١ ص ١٢ ، وكرومويل ، المعاصرة للإسلامية بالبحر (بالإنجليزية) ، ص ٢٠٣

(١٤) ج مارسيه ، بلاد البربر (المغرب) والمشرق الاسلامى فى العصر الوسيط (بالفرنسية) ص ٥٩ *

ملكهم ، بصرف النظر عما كانوا يواجهونه من أخطار متلفسيهم في شرق البلاد أو في غربيها - إذ الحقيقة أن الحرب فيما وراء البحار في أرض الروم لم تستوعب ، بشكل كامل ، كل الحماس العسكري الذي كان يضطرم في نفوس أهل القبائل من العرب والبربر . وذلك أنه إذا كان الجهاد في صقلية فرصة للأمراء لكي يتخلصوا من العناصر المضطربة والثائرة في البلاد ، فإن ذلك لم يمنع الاضطرابات الخطيرة التي كادت تؤدي بالأسرة الأغلبية ، كما حدث في ثورة الطنبغي التي شملت البلاد جميعاً ، فلم يبق بين أيدي الأغلبية إلا الشريط الساحلي الممتد من سوسة إلى طرابلس (١٥) . هذا ، وإذا كانت صقلية وجنوب إيطاليا قد ظهرت وكأنها أرض المقام والسبي ، أو كأنها مورد لا ينضب بما كانت تمد به بيت المال للأغلبية من خراج المدن والأقاليم الجديدة ، فمما لا شك فيه أن الحرب المكلفة فيما وراء البحر طوال العصر الأغلبى أرهقت البلاد والعباد الذين كانت تضربهم المجاعة والقحط في كثير من الأحيان ، مما شكل أسباباً إضافية لاثارة السخط والثورة . ولا شك أن توالي الاضطرابات من جانب الجند ، وتنازع العصيان من جانب القبائل ، كان وراء الاستبداد الذي ظهر من جانب عدد من الأمراء ، وهو الذي يفسر سياسة العنف والقسوة التي لجأ إليها عدد كبير منهم والتي خرجت عن حدود المعتاد ، فشوهت تاريخ الأغلبية في كثير من الأحيان ، وكانت السبب فيما ظهر منهم من المعجز في مدافعة ثورة قبائل كتامة الفاطمية . وهكذا يمكن القول إن عوامل القوة والضعف تشابكت فيما بينها ، وكانت من أسباب ضعف الدولة الأغلبية - سنة الحياة ، وقانون الطبيعة الثنائي الذي يجعل الوجود السوى رهناً بذلك التوازن العجيب : القائم بين الموجبة والسالبة ، أي بين القوة والضعف ، أو ما يسمى بالخير والشر .

٢ - دولة الرستميين :

إذا كانت دولة الأغلبية ، بفضل روابطها الروحية والمادية بالخلافة ، هي صاحبة السيادة الشرعية على كل ولاية المغرب من الناحية النظرية على الأقل ، وإذا كانت قد وسعت أملاكها فيما وراء البحر في صقلية وجنوب إيطاليا ، فمن الغريب حقاً أنها رضيت بأن تزاحمها في قلب بلادها ، أفريقية وما يتبعها من أعمال طرابلس ، دولة منافسة هي دولة الرستميين . ولكن الحقيقة هي إن دولة الرستميين الإياضية في تاهرت كانت أقدم من الدولة الأغلبية ، بل ولا شك أن قيامها نتيجة لثورات الخوارج في المغرب هو الذي

أدى الى قيام الأغالبة . وهكذا كانت الدولة الرسنية الاضية امامة خارجية أو جمهورية شعبية مستقلة ، ذات نظام وراثي كالمملوكية ، يقرر وجودها الأمر الواقع - من قبل قيام الأغالبة - المعروف عند الفقهاء « بإمارة الاستيلاء » (١٦) ، ويحدده قانونيا علاقة التعايش السلمى مع الامارة الاغلبية الشرعية .

والغريب فى أمر الدولة الرسنية أنها كانت دولة بدوية صحراوية شبيهة هلامية لا تعرف الحدود الواضحة . فمع أن قلب الدولة كان فى إقليم ناهرت ، فإنها ظلت محتفظة بعلاقات وثيقة بمنطقة جبل نفوسة وإقليم طرابلس فى شرق المملكة الاغلبية ، وبإقليم الصحراوات الجنوبي-الغربي-فى منطقة سجلماسة (تأفلت الحالية) ، جنوب المملكة الادريسية ، حيث المنداريين الصفرية الذين ارتبطت بهم بعلاقات قريى وشيعة . وبذلك تكون الدولة الرسنية قد فرضت وجودها خلال كيان كل من دولتى المغرب الكبيرتين : الاغلبية والادريسية ، وهذا ما دعانا الى وصفها بدولة هلامية أى متسعة الحدود .

ولقد استقر واقعها القانونى فى منطقة طرابلس بالاتفاق الذى تم سنة ١٩٦ هـ / ٨١٢ م بين عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب وبين عبد الوهاب ابن عبدالرحمن رستم (١٧) ، وتؤكد هذا الواقع بالمجهودات المشتركة التى قام بها الاباضية والاغالبة ضد غزوة العباس بن أحمد بن طولون للمنطقة سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م (١٨) .

ولا شك أن قيام علاقات وثيقة بين الرستميين وبين الأمويين فى الأندلس - بعد فترة من الترقب (١٩) ، حتى أنه عندما قام ثلاثة من أبناء عبد الوهاب ابن رستم بزيارة قرطبة فى سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢٢ م لتهنئة الأمير الاموى عبدالرحمن الثانى بن الحكم بالامارة ، تكلف الأمير ، من أجل استقباليهما وتقديم المال

(١٦) انظر الشاذلى ، الأحكام السلطانية ، ص ٣ : تقليد الامارة على البلاد ، فصل امارة الاستيلاء .

(١٧) انظر فيما سبق ، ص ٣١٢ .

(١٨) انظر فيما سبق ، ص ١٢٤ .

(١٩) يقصد بفترة الترقب عهد عبد الرحمن الداخل حيث كانت كل من الامويين والهجيين فى تثبيت قدميهما فى بلادهم فعقب وفاة عبد الرحمن الداخل وغزوة ابنه جليليان وعبد الله على أحدهما الأمير هشام ، لجأ سليمان الى طنجة بينما ساج عبد الله فى المغرب طرابلس وبقية ثم نزله على عبد الوهاب بن رستم فى ناهرت قبل عودته الى ولانسية لا يوفى تسليما له لا يبيع أسبانيا الاسلامية ، ج ١ ص ١٥٢ . وانظر - لفتبس لابن حيان - سقوط كلية الادب الصنوق بجامعة الاسكندرية ، ص ٣ ، ٤ ، ٥ .

- ٤٩٠ -

والهدايا والمطايا اليهما... حوالي مليون دينار (٢٠) ، لما كان يجب قواعده المملكة الرستمية ، ويزيد في تأكيد واقعها القانوني في نظر الأغلبية .

هذا ، وإذا كانت قد قامت بين الأغلبية والرستميين صراعات خفية ، مثل : ما يمكن أن يكون قد ساهم به الأباضية في الثورات التي عرفتها الدولة الأغلبية وخاصة في أقاليمها الصحراوية ، أو علنية ، مثل : اللقاء الدامي في وقعة مانوس سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦ م التي انتهت بكارثة القتل نفوس (٢٦) ، فإن تلك الصراعات لم تؤثر بشكل حاسم على ميزان القوى بين العولتين أو

(٢٠) أنظر برونسفال ، تاريخ أمبابة الإسلامية ، ج ١ ص ٢٤٤ - حيث المراد (من) حفنيس بن حيك وعفري بن سعيد) على أن أبناء عبد الوهاب بن نعمان الثلاثة كانوا : عبد المكي ودحيون وبهرام . وان الأئمة الآخرين عرقا وهما في طريق العودة إلى المغرب يسيرا وصل عبد المكي إلى تاهرت بعد وفاة والده بسبعة أشهر وولاية أخيه أقليل للإمامة . (أنظر نفس المرجع ، ج ٣ ص ٢٧٢) . وانظر المكتسب لابن حيان ، مخطوط كلية الآداب للمسور بجامعة الاسكندرية ، ص ١٧٣ . وكانت العلاقات دائما حسنة بين أمراء قرطبة وبين أمراء تاهرت الأماضية وبمجلس الصغرية بفضل العداء المشترك للعباسيين أو عظمى الأغلبية على الريفية . وفي ذلك يقول ابن حيان . أن رسل الأمير محمد بن عبد الرحمن (الأوسط) كانت « وكنت تتردد إلى هذه الطوائف في البحث عن أخبار بني العباس يدار ملكهم وأخبار دولتهم وعالمهم بالشام ومصر وأفريقية » فلا تكاد تفتب عليه شيء من حالها ، « وهكذا ظلت علاقة الحذر والتحسب بين لوط بن القتيوب إلى أن تحسنت العلاقة بين محمد بن عبد الرحمن وإبراهيم الثاني الأعلى بمادال الهدايا والطرف بفضل وساطة محمد بن موسى الرازي : والده أحمد وجد عيسى ، المؤرخين الأندلسيين (أنظر المكتسب ، تحقيق محمود مكي ، ط - دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٣ ، النص . ص ٢٦٥ وما بعدها والهوامش) . وسيظل الرستميون يصلون على توثيق علاقاتهم بالأمويين في الأندلس الذين كانوا يبتغونهم بامتيازاتهم على الجوس النورمانيين . حتى الوادي الكبير سنة ٣٢٩ هـ / ٨٥٣ م ، كما كانوا يقدمون لهم الهدايا في المناسبات مثلما حدث بعد ولاية الأمير محمد الأول حيث تلقى الإمام أبلج هدية كبيرة من المال . هذا ، وظلت العلاقات الوثيقة على عهد أبي اليقظان حليفه ثم أبلج ، كما لوحظ وجود قواد من الرستميين في خدمة أمراء قرطبة ، مثل : محمد بن سعيد بن عبد الرحمن بن حاتم ، وأخيه عبد الرحمن أو ابنه الذي كان من وزراء عبد الرحمن الأوسط (الثاني) - أنظر نفس المرجع ، ج ١ ص ٢٤٥ - ٢٤٦ .

ولا شك أن العلاقات الوثيقة بين الأندلس والإمامة الرستمية سواء على المستوى السياسي أم التجاري كانت تسبب لأهل كل من البلدين بالتنقل في البلد الآخر ، وهذا ما يفسر كيف قيل : « فلزبلا لأندلس المشهور بعض بن حصون » سافر في جنداية المرية إلى تاهرت حيث عمل قنصل خمدن أحمد المصيطري هناك ، « وأما واحد من مواطنيه هناك هو الذي أصبح بالعودة إلى بلده ، ورجع عمر بن حصون إلى الوطن في سنة ٢٦٧ هـ / ٨٥٥ م ، حيث بدأ عمله كرئيس بمصايف من قطاع الطرق » . أنظر نفس المرجع ج ٢ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(٢١) أنظر فيما سبق ، ص ١٤١ .

• تعاضد الاجبارى الذى فرضه الواقع على كل منهما • والحقيقة ان
• كى الداخلية التى عانت منها كل من دولتى الاعالبة والرسامين ، والتى
• ست فى النورات العبلية والنزاعات المذهبية ، شغلت كلا منهما عن التدخل
• فى شئون الاحرى ، وقادتهما معا الى نفس المصير المحتوم ، من التفكك والوهن ،
• سم كى الواحدة منهما بحير من الاخرى فى مواجهة الخطر الفاطمى •

• حولة المدرارين :

• واذا كان الامر كذلك بالنسبة لامامة الاباضية فى تاهرت ، كان من
• سببى الا يكون مصير امامة الصغرية الصغيرة فى سجلماسة روادى درعة ،
• من امارة الاستيلاء الصحراوية التى ارتبطت بتاهرت بصلات من القربى
• حمية وعلاقات من المصاهرة العائلية ، بأحسن حالا •
• وهذا ما يفسر كيف ان امارة سجلماسة حاولت ان تقف موقفا وسطا
• من القوى المتصارعة فى المغرب • فرغم العلاقات الوثيقة مع تاهرت اعترف
• حازيون بسلطان الخلافة • فعملوا على مداراة الاغالبية حتى قيل ان صاحب
• سجلماسة عندما لقي القبض على عبيد الله المهدي ، وهو لاجئ فى بلده ،
• كى ذلك استجابة لاوامر القيروان ، وبقداد (٢٢) • ورغم ذلك فقد كانت
• حدة واحدة ، من • الانقسامات المذهبية والصراعات القبلية • ولكل ذلك
• سجع سجلماسة رغم اعتصامها بصحراء المغرب الجنوبية فى طريق السودان ،
• مؤثره سياسيا مع كل من تاهرت والقيروان ، من ملاقة نفس مصير
• مسجيين على ايدي الفاطميين •

• حولة الادارة :

• ما عن دولة الادارة الحسنية فى فاس والمغرب الأقصى • فقد كانت
• سمة حاشمية (علوية) • يقرر وجودها الامر الواقع - اى نفس نظام الاستيلاء
• على قامت على اساسه كل من دولتى تاهرت وسجلماسة • اما الذى كان
• يحدد وجودها القانونى فكانت العلاقات المثلثة مع كل من دولتى الاستيلاء
• اسنختين ، فى تاهرت بالمغرب الاوسط ، وقرطبة فيما وراء البحر بالاندلس
• حيث الامارة الاموية المروانية ، الى جانب العلاقة مع دولة الاغالبية الشرعية
• على القيروان •

• لقد كسبت قوة الدولة الادريسية فى المغرب فيما كان يتمتع به الامام
• من الاجلال والشرف بصفته سليل بيت النبوة ، مما جعل قبائل اوزية ثم
• قبائل المغرب الأقصى تلتف حوله وتكون جميعا عصبية دولته ، التى تراءت
• اشرافها ما بين تلمسان ومبواحل المغرب الاوسط حتى بلاد السيوس ، الأقصى

ووادى نفيس ، ممرورا بسواحل بلاد الريف حيث اماره الصالحين قتي
نكور (٢٣) والبحر المحيط حيث مملكة البرغواطيين (٢٤) ، وانتشارا فوق
الجبال والصحراوات الى تخوم سجلماسة ووادي درعة ، ولكن الالتفاف
حول شخص الامام وحده لم يكن كافيا للحفاظ على وحدة الدولة وحفظ
الاستقرار فيها .

حقيقة ان وجود امام علوي في المغرب أزعج الخلافة وامر افريقيه حتى
صار التخلص منه ، بطريقة أو بأخرى ، من أعز الاماني في قلوب المسئولين
في بغداد ، ولكن الامر انتهى باستقرار الادارة في البلاد ، كما سبق أن
استقر الرستميون في تاهرت ، ومن قبلهم الأمويون في الأندلس الذين
أنزعجوا بدورهم من قيام امانة علوية مجاورة ، وهذا ما يفسر ظهور تلك
الرواية المصطنعة التي تقول بقيام تحالف هجومي بين شرلان (شارل الأصلح)
وبين الأمير الحكم الأول لمواجهة احتمال توسع العلويين نحو أوروبا الغربية (٢٥) .
وهو ما يعلل أيضا سعي امراء قرطبة للدائب في سبيل توثيق علاقات الصداقة
مع امارات الخوارج المتاخمة للادارة في المغرب ، سواء في تاهرت أو نكور
وغيرهما . ومع مرور الوقت استتبت الامور واستقرت الحدود في الشمال
الشرقي بين امانة الرستميين وامانة الادارة عند تلمسان التي تعتبر الحد
الفاصل بين المغرب الاوسط والمغرب الأقصى ، ولو أن الحدود مع صغرية
سجلماسة لم تكن واضحة في صحراوات الجنوب . ولم تدم فترة الاستقرار
طويلا اذ سرعان ما هبت رياح الفتن المذهبية والعصبية وعصفت بالدولة
العلوية ففتنتها بين افراد الأسرة الادريسية الى عدد عديد من الولايات ،
ما بين مطيعة لفاس وعاصية لها . وهكذا انتهى الامر في أواخر القرن الثالث
الهجري بتمزق الامانة الادريسية بين افراد الأسرة المالكة ، وكان على صاحب

(٢٣) عن اماره بنى صالح بن منصور في مدينة نكور التي أقيمت سنة ١٤٢ هـ / ٧٦١ م
بشركة سعيد بن ادريس أحد حلفاء صالح واشهر امراء نكور على عهد الادارة هو صالح
ابن سعيد بن ادريس الذي ولد سنة ١٨٨ هـ / ٨٠٤ م وعمر طويلا حتى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م .
وخلال ولايته الطويلة كان على علاقة طيبة بامراء الأندلس ، فشارك في الجهاد على عهد الأمير
عبد الله الثاني ، وكان من الأحداث الثمينة التي عاصرها في اواخر ايامه : نزول البيرومديين
المجوس في سنة ٢٤٤ هـ / ٨٥٨ م على نكور ونهبها ونسي على يد من الأميرات الصالحيات ممن
اقتداهن أمير الأندلس محمد الأول بن عبد الرحمن الثاني ، مما يضي عائلات وثيقة وتبعية
مخلصه للأندلس من جانب امراء نكورة ، كما يقول يروفسال : تاريخ اسبانيا الإسلامية ،
ج ٦ ص ٢٤٧ - ٢٤٨ .

(٢٤) انظر يروفسال في كتابه ص ٤٣٣ - ٤٣٤ ، ص ١٠٠ و ١٧٠ هـ .

(٢٥) انظر يروفسال تاريخ اسبانيا الإسلامية ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ .

وانظر القنص ، مخطوط كلية الآداب المصور بحامدة الاسكندرية ، ص ٢٥ .

حاس ان يواجه وحده ثورات الخوارج التي هدبت العاصمة نفسها ، مثلما حدث في ثورة عبد الرزاق الوشقى (٢٦) ، كما نجحت قبائل زناتة بقيادة ابن أبي العافية ، في اقتطاع مملكة لها ، كانت منافسة لامامة فاس وحليفة للأمويين في الأندلس ، ثم طهيرا للفاطمين عندما تقدموا الى المغرب الأقصى (٢٧) ، قبل أن تعود الى التحالف ضدهم مع الامويين ، فيما بعد .

خلاصة الموقف السياسى :

مكذا كانت دول المغرب الأربعة تعاني في أواخر القرن الثالث الهجرى / ٩ م . بشكل عام ، من نفس الآفات التي عانت منها دولة الخلافة ، والتي تمثلت فى الصراعات المذهبية والعصبية ، والانقسام بين أفراد الأسرة الحاكمة . حدث ذلك رغم أوجه التباين فيما بينها :

١ - من حيث شرعية الحكم الذى تمتع به الاغالبية ، أو واقع التغلب والاستيلاء الذى أقام عليه الرستميون والمدرايون ولادارسة ملكهم .

٢ - ومن حيث المذاهب الدينية التى اعتنقتها والتي تراوحت ما بين السنة على مذهب مالك وابى حنيفة ، والتشيع المعتدل على المذهب الزيدى ، والخاريجية ، من : اباضية مقبولة وصفرية متعصبة .

٣ - وأخيرا من حيث التركيب الاجتماعى الذى كان يضطرد فيه ظهور العصبية المغربية (البربرية) كلما اتجهنا من الشرق الى الغرب ، من مملكة القيروان الى مملكة فاس .

ولكنه رغم ذلك التباين فى التركيب العرقى لدول المغرب هذه ، مما كان له أثره فى مسار الأحداث التاريخية فى ذلك القرن الثالث الهجرى (٩ م) ، بل وفى كل تاريخ المغرب العربى . فقد جمعت الدول الثلاث الكبرى ، فى : القيروان ، وقاهرت ، وفاس ، أوجه شبه أساسية تمثلت ، بشكل خاص ، فى كون أسرها المملكة مشرقية الأصل - وهذا ما شاركتهما فيه بلاد الأندلس الأموية .

(٢٦) انظر فيما سبق ، ص ٤٧٢ .

(٢٧) انظر فيما سبق ، ص ٤٧٩ .

والحقيقة ان وجود أسر حاكمة مشرقية الأصل ، في : القبروان ،
وتاهرت ، وفاس ، كما كان الحال في قرطبة ، كان له أهمية خاصة في تاريخ
المغرب في ذلك الحين . فقد كان هؤلاء الحكام المشاورة عاملاً من عوامل
الربط بين بلاد المغرب المتطرفة وبين قلب العروبة والاسلام في المشرق .
فكانت كل أسرة حاكمة بمثابة عامل جذب تشد الأعوان والأتباع من المشرق
على المستويين العرقي والفكري ، نحو موطنها الجديد في المغرب . وهكذا
سار العرب من بني تميم نحو افريقية حيث بنو عموميتهم الأغالية ، وبني
الفرس أو العجم ، من : عرب ومستعربة ، من افريقية ومن العراق نحو بني
جلدتهم الرستميين ، كما شد العلويون الحسبيون رحالهم الى قازس والمغرب
الأوسط حيث اخوتهم من الأدارسة ، وكذلك فعل محبوبهم من الشيعة
الزيدية . وبذلك كان تيار الهجرة من المشرق الى المغرب عاملاً على اقامة
نوع من التوازن الذي عدل من خطورة القطيعة السياسية بين الخلافة ودول
المتعلين ، ، حفظ الوحدة بين جناحي دولة العروبة والاسلام ، على المستويين :
العرقي ، باستمرار عملية التعريب ، والفكري ، بانتشار ثقافة المشرق العربي
وحضارته على وجه العموم - وهو الأمر الذي يتطلب شيئاً من التفصيل -

ب - الواقع الحضاري :

أدت الأوضاع السياسية في بلاد المغرب ، خلال القرن الثالث الهجري /
٩ م اذن ، الى نوع من القطيعة مع المشرق العربي ودولة الخلافة ، ولكن تلك
القطيعة كانت محدودة على المستوى الرسمي . وذلك أن العلاقات ظلت ،
على المستوى الشعبي ، وطيدة بين جناحي دولة الخلافة والاسلام بفضل
تيار الهجرة المتصل من المشرق الى المغرب ، بوجه عام ، وبفضل قوافل الحجاج
السائرة من المغرب الى المشرق ، وما كان يصحبها من قوافل التجار في طريق
الذهاب والعودة . وكل ذلك ساعد على سرعة نقل الأفكار والعلم والثقافة
بين هواصم المشرق وعواصم المغرب ، مما هيا وحدة حضارية كانت أواصرها
قوى ، مع مرور الوقت وتشتد ، على طول الطريق ما بين بغداد وقرطبة .

هذا ، ولا شك في أن تشجيع أمراء دول المغرب لذلك التبادل الاقتصادي
والثقافي مع المشرق وعاصمة الخلافة ، عمل على دفع عجلة التقدم في بلادهم ،
وعجل بالازدهار الحضاري في أمهات مدنها ، فكانهم عملوا ، من حيث
لا يدرون ، على تأكيد الروابط المادية والمعنوية بين شعوب بلادهم وشعوب
دولة الخلافة ، وبالتالي الحفاظ على وحدة تلك الشعوب وتقوية أواصرها .
فمن الناحية الاقتصادية أي المادية عرفت الدول الأربعة ، بعد أن تمتعت

«استقلال عصر نهضة وازدهار ، تمثل في : العناية بالزراعة وتنظيم وسائل الري ، وتشجيع التجارة والعناية بتأمين طرق القوافل ، مما تروى عليه : زيادة الدخل ، ونمو المدن ، واتساع الأسواق ، وانتعاش الحرف والصناعات » .

الريعية الأغلبية :

ازدهار الزراعة :

فيلما يتعلق بأفريقية (٢٨) يقرر اليعقوبى ، الذى سباح فى المغرب وأفريقية على عهد إبراهيم الثانى بن أحمد ، أن المنطقة الممتدة بين قمودة (سيدى بوزيد) والساحل كانت تزهر بخضرتها وأشجارها . ويعلق جورج مارسيه على ذلك قائلا : «هى المنطقة التى تمتد لمسافة ١٥٠ كم . والثى ما زالت إلى اليوم ، رغم التقدم العظيم الذى تحقق فى غراسة الأشجار فى منطقة صفاقس ، صحراوية إلى حد ما (٢٩) . فقد انتشرت فى تلك المنطقة المعروفة بسهولها الرملية أشجار الزيتون ، وكذلك فى كل إقليم الساحل ، كما انتشرت البساتين والقرى التى كادت تلامس بعضها البعض من كثرة ازدهانها ، وكان لكل منها معصرة (طاحونة) الزيت الخاصة بها (٣٠) . وفى جانب الزيتون عرفت المنطقة أشجار الفاكهة المختلفة والكروم التى كان عنبها يؤكل طازجا أو بجفف لعمل الزبيب أو صنع النبيذ الذى كان شربه مباحا فى القيروان على أيام اليعقوبى والامير إبراهيم بن أحمد ، كما سبق أن رأينا فى شعر بعض الظرفاء (٣١) » .

(٢٨) أنظر الدراسة المتأخرة التى قام بها جورج مارسيه فى كتابه عن بلاد البربر الإسلامية (المغرب) والمشرق فى المصور الوسطى (بالفرنسية) ، فصل الحياة الاقتصادية ص ٧٦ - ٨٧ .

(٢٩) بلاد المغرب والمشرق الإسلامى فى العصر الوسيط ، ص ٧٧ - ٧٨ .

(٣٠) ح مارسيه ، بلاد البربر ، ص ٧٨ (عن المالكي فى رياض النفوس) .

(٣١) أنظر فيما سبق ، ص ١١٧ . وفى ذلك يقال أن كثيرا من مشاهير فقهاء القيروان

كانوا يحلون النبيذ ويشربونه ، مثل عبد الله بن فروخ « الذى قال فيه مالك بن أنس » هذا فقيه المغرب يجر (الرقيق ، ١٩٨٠) ، وأبى معز القاسم ، وأحمد بن محمد القاسم (القاسم ومعز بن معنور) القاسم ، الذى ألف كتابا فى تحليل النبيذ يصلح الرقيق بآله كتابا حسنا ، كما يقول أن معنور بن معنور أخذ تحليل النبيذ من عبد الله بن فروخ « الذى نظر قطب البربر إلى يومنا هذا » ، ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

- ٤٩٦ -

وفي جنوبه قعدة كانت احوار مدينة بقصة تزهر ببساتينها المثمرة .
وكايت شجرة الكرم معروفة أيضا في بلاد الجريد التي اشتهرت بكثرة تمرها
ونخيلها الذي اخذت منه اسمها ، فهي بلاد الجريد وبلاد التمر وبلاد النخل .
وفي شمال قمودة امتدت بلاد الحبوب فكانت القيروان تفخر بمحاصيلها
الوفيرة .

رقى الصناعة والتعدين :

وفي ميدان التعدين اشتهرت مدينة مجانة ، على أربع مراحل من
القيروان ، على الحدود التونسية الجزائرية الحالية ، بأنها مدينة المعادن
(المناجم) دون منازع ، حتى سميت بمجانة المعدن . فمن مناجمها كانت
تستخرج الفضة والكحل والحديد والمرتك والرصاص وغيرها (٢٢) . ولم
يكن من الغريب ، اذن أن تتقدم الصناعات المعدنية في المملكة الاغلبية بشكر
لم تعرفه البلاد في العصور السابقة على الاسلام . كما يقرر ذلك حوزج
مارسية (٢٣) .

هكذا ازدهرت المصنوعات المعدنية المختلفة ، من حديدية كانت نمد
الجيش والأسطول بما يلزمه من السلاح الثقيل والخفيف وفصية نانت
تمد أسواق الصياغ بالحلى الرقيقة وقصور الأمراء بالآنية الثمينة . كصب
ازدهرت المصنوعات الزجاجية الدقيقة والمخارية الرقيقة من اواني الشرب ،
وصنج الموازين ، وبلاطات الخزف التي كانت تكسو الحيطان وتزين الأرض
وتصفي الكثير من البهاء على النافورات وموажل الماء (٢٤) .

تقدم النسيج :

ولقد اشتهرت افريقية كذلك بصناعة البسط التي كان لها قدرها
الجليل في المشرق حتى انه كان على أمير القيروان أن يقدم منها - مع ما كان
مرسوما عليه من المال السنوي - ١٢٠ (مائة وعشرين) بساطا الى بغداد ،

(٢٢) البلدان الملقبوس ، ص ٢٤٩ .

(٢٣) بلاد المغرب والمشرق الاسلامي ، ص ٧٩ ، والهاشمي .

(٢٤) حلا. ولز أن العتور على صنعة زجاجية من أواخر أيام الأيوبيين. تعني، أن غلاوة المغرب
لم ينتهم العناية باستغلال ثروات البلاد الطبيعية قبل الأغالبة. ج. مارسية ، بلاد المغرب ، ص ٥٠ ،
جس والهاشمي .

كما يذكر ابن خلدون (٢٥) ، فكان بلاد الأغالبة كانت منافسا لادناه للمشرق. الأيراني العريق في تلك الصناعة العتيقة . ومارات البلاد أدنوسية معتدة بحراتها القارية في صناعة البسط ، ولكل إقليم ما بين القيروان والساحل. ومدن الجنوب أساليبه الفنية الخاصة به من حيث طريقة النسيج ، وشكل القطع ، ونوع الزخرفة ، وتحديد الألوان وتوزيعها .

وإذا كانت افريقية الأغلبية قد اشتهرت بصناعة البسط ، فأغلب الظن أن ذلك ينطبق على صناعة النسيج أيضا التي سينوه بها الكتاب. والجغرافيون فيما بعد العهد الأغلبي ، حيث كانت الطرز التي تنسج أنوعا من الثياب الفاخرة منتشرة في كثير من المدن ، مثل : قابس وسوسة (٢٦) وإذا صح ما يسجله رفون جست (R. Guest) من أنه عثر على قطعة من النسيج المصنوعة في طراز افريقية والتي تحمل اسم الخليفة الأموي مروان (بن محمد ؟) (٢٧) ، فإن ذلك يعني اهتمام العرب بصناعة النسيج في افريقية منذ وقت مبكر . ويفسر ازدهار تلك الصناعة المستمر مع مرور الوقت . واكتساب الخبرة على عهد الأغالبة ثم على عهد الفاطميين والصنهاجيين .

وبذلك أرسى الأغالبة قواعد تلك الفنون الحرفية - وخاصة الزجاج والخزف - التي أيعنت في القرنين التاليين (٤ ، ٥ ، ١٠ / ١١ م) ، على عهد الفاطميين - صبيحيين وهي متأثرة مؤثرات مشرقية مستجلبة من العراق ومن مصر (٢٨) .

الازدهار الاقتصادي :

وبفضل نشاط أمراء الأغالبة ، وعملهم على استقرار ذلك الازدهار

(٢٥) القنمة . ج ٢ ص ٦٧٤ (فصل في أن آثار الدولة كلها على نسبة قوتها في أم حيث الإشارة الى ما وجد بخط أحمد بن محمد بن عبد الحميد عما كان يدخل إلى بيتا ببلاد أيام المأمون من جميع النواحي . فقد كان القرار على افريقية ، هو : ثلاثة عشر ألف درهم مرتين (١٢ مليون درهم) ، ومن البسط مائة وعشرون (١٢٠ بساطا) ، ج مان بلاد البربر . ص ٨١ .

(٢٦) أنظر كتاب الاستبصار ، ص ١١٣ ، ١١٩ .

(٢٧) أنظر باورسيه ، بلاد البربر . ص ٨١ .

(٢٨) أنظر باورسيه ، بلاد البربر . ص ٨٠ . وعن المؤثرات الشرقية والأناض

في سيجاد (بسط) شمال افريقية البدوي مما يشبه المتوافق بين البدوي والاندلسي ، أ بوركارت ، الفن الإسلامي . لفته ومعناه (بالانجليزية) ، ص ١٠٨ .

الاقتصادي الذي ظهر أيضا فيما قاموا به من اصلاحات مالية ، مثل تحسب العملة ورفع مستوى سبيكتها الذهبية ، وتحديد الضرائب المظلمة التي تدخل الخزانة العامة سنويا بصرف النظر عن حالة المحصول ، وتأمين شبكة الطرق التي كانت تمر مالتروان ، أصبحت القديروان أهم مركز تجاري في الشمال الأندلس على المستويين الداخلي والخارجي . فلقد زاد نشاط أسواقها ، واتسعت حوارها ، وعمرت بمختلف السلع الواردة والصادرة . فكان تجارها يجذبون الریت من منطقة الساحل (صفاقس) ومن طرابلس ويبيعونه في الأسواق المختلفة ، وكانوا يصدرون القمح إلى الاسكندرية ، كما كانت تأتيهم خيرات بلاد السودان ، من الذهب والعاج والرقيق . هذا ولقد شاركت القديروان ، في هذا الازدهار الاقتصادي ، كثير من المدن ، مثل قابس وصفاقس وسوسة كما انتعشت عواصم الاقاليم ، مثل قفصة وطبنة والأربس وغيرها .

ولا شك في أن ما عثر عليه من العملات الأغلبية الموجودة في المتاحف والمخسنة ، من الدنانير الذهبية التي حافظت على جودة سبيكتها ، وعلى سلامه ورنها (٤٢٠ حرام) طوال عهد الإغلبة - باستثناء عهد الأخير منهم - زيادة الله الثالث - هو خير دليل على تأكيد ذلك الرخاء الذي عرفه إفريقية الأثنينية رغم الأزمات السياسية وبعض الموارل الطبيعية التي مرت بالبلاد ما بين وقت وآخر (٢٩) ، مما سبق ذكره .

تأهت الرستمية :

العناية بالزراعة :

وفيما يتعلق بتأهت والمغرب الأوسط فقد عرفا ، هما أيضا ، عهد ازدهار اقتصادي بفضل نشاط الأئمة الرستميين ، ومن لاذ بهم من بني جلدتهم من الفرس الذين كونوا جماعة مرموقة كان لها كيانها الخاص ، كما كان لها نشاطها في كل من ميداني السياسة والاقتصاد ، في منطقة العاصمة

(٢٩) انظر ج- مازسيه ، بلاد البربر ، ص ٨٢ .

(٤٠) ولي زراعة تأهت يقول اليعقوبي انه « لم يكذب زرع البلد قط الا ان يصيبه

جريح أو برد » (البلدان ، ص ٣٥٨) . هذا ، كما ان السهل الواقع جنوب تأهت وشرقها ، وهو الذي ما زال تلتينا لبحر القري التي يرجح أن يكون كثير منها من العهد الرستمى ، يشهد على ازدهار المنطقة وقتئذ . انظر ج- مازسيه ، بلاد البربر الاسلامية ، ص ١١٠ .

تاهرت . وإذ كانت إمامة تاهرت قد عانت من الانقسامات المذهبية التي انتهت بالصراعات السياسية والعسكرية التي رأيناها ، فإن الجماعات الخارجية التي شقت عصا الطاعة على أئمة تاهرت كان لها دورها الحضاري في الأقاليم البعيدة حيث نشطت في أعمار البلاد ، وقيامت مع الأئمة في الاهتمام بالتجارة والثقافة ، فكان الجميع يعملوا جنبا إلى جنب ، وإن عمل كل طرف لحسابه الخاص ، على نشر الحضارة والعمران .

فيفضل نشاط عبد الرحمن بن رستم وخلفائه الذين اعتنوا بأقليم تاهرت ذي المناخ القاسي فأحسنوا استخدام الأمطار ، ونظموا أعمال الري فاجروا الأنهار ، عمروا المنطقة وعرفت الزراعة وغراسة الأشجار بعد أن كانت منطقة رعوية فقط (٤٠) . كذلك ازداد عمران مدينة تاهرت نفسها وأصبحت تسمى عراق المغرب ، كما يقول اليعقوبي (٤١) ، بفضل المهاجرين إليها من المشرق وخاصة من العراق ، من : الكوفة والبصرة ، ممن اعتنوا وبنوا الدور والمساجد والقصور ، كما يذكر ابن الصغير (٤٢) .

الاهتمام بالتجارة :

والحقيقة أن ازدهار تاهرت هذا لا يرجع إلى عملية الإحياء الزراعية وحدها ، وذلك أن أهمية تاهرت الرسمية تمثلت بشكل خاص في أنها كانت الوسيط في تبادل السلع بين الأقاليم الزراعية في شمال المغرب الأوسط حتى الأقاليم الساحلية حيث كان مرسى فروخ معروفا بأنه مرسى مراكب تاهرت ، كما يقول اليعقوبي (٤٣) ، وبين أقاليم الرعي الجنوبية وما يليها من الأقاليم الصحراوية وبلاد السودان .

وبلغ اهتمام الأئمة بتجارة السودان حتى قيل أن أفلح بن عبد الوهاب كاد يسافر إلى جوجو (كوكو) للتجارة أيام إمامة والده ، ولم يمنعه من ذلك إلا توقفه في مسألة من مسائل الربا التي امتحن بها والده ، رغم ما عرف به من العلم (٤٤) .

(٤١) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٤٢) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٤٣) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٤٤) انظر الوسياني ، كتاب السير ، مطبوع ، دار الكتب المصرية ، ورقة ٢٥ ، وجه -

ومكدا كانت تاهرت ، مثلها مثل القيروان من أعظم أسواق المغرب .
ولا شب في أن الثروات التي جمعها الكوفيون والبصريون والقيروانيون ،
وغيرهم من أصحاب الدور والقصور في تاهرت ، كانت ثمرة عملهم في التجارة ،
وخاصة مع بلاد السودان التي كانت بحق في ذلك الرمان بلاد الذهب (٤٥) .

والى جانب هؤلاء التجار من المشاركة ، من عرب وقرس كان للمغازبة
(البربر) من أهل البلاد جهودهم في تنشيط تجارة تاهرت ، مثل : المراتيين
الذين سكنوها وأصبحت أموالهم إحدى دعائم الدولة الرستمية الى جانب
جند نفوسة (٤٦) ، والهوريين الذين أتوا من افريقية وسكنوا في أحد
الأودية غربى المدينة ، وغيرهم من : اللواتيين والمطماطين والزواغيين ، أو من
الصنهاجيين والزناطية ممن سكنوا تاهرت (٤٧) .

حراسة القوافل :

واذا كانت بعض القبائل المغربية المناوئة لائمة تاهرت ، كانت تحاول
العيش السهل عن طريق اعتراض قوافل التجار ، كما فعلت زناتة على عهد
أبى يعقظان الذى ارسل ابنه أبا حاتم لحماية بعض القوافل الآتية من
الشرق ، فإن كثيرا من القبائل التى ردت بالطاعة ، بل ومن التى رفعت راية
العصيان ، عملت على تقديم العمران فى بلادها .

العمران خارج تاهرت :

فعلى مسافة أيام قليلة شرق تاهرت كانت بلاد بنى دمر وهم من بربر
ناتة ، تليها بلاد أقاربهم من بنى برزال ، وكانوا كلهم خوارج أو شراة ،
ما يسميهم اليعقوبى ، وكانت بلادهم : « بلد زروع ومواشى » (٤٨) . أما عن
الزباب التى كانت فى حكم الأغلبة وقتئذ ، فلا شك أن الجماعات الخارجية
مت منتشرة فيها ، رغم عدم إشارة اليعقوبى الى ذلك (٤٩) . وهذا ما يفسر
أن صارت بلاد الزباب أهم معقل الإباضية بعد العهد الرستمي . كما

(٤٥) انظر فيما سبق ، ص ٤٠٦ .

(٤٦) انظر فيما سبق ، ص ٣٨٧ .

(٤٧) انظر مارسيه ، بلاد البربر ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٤٨) البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٤٩) انظر البلدان ، ص ٣٥٠ .

كانت جماعات الخوارج مزدهرة في قلب الصحراء في اقليم ورجله حيث قبائل
مدراته : انصار الرستميين الاوائل منذ عهد عبد الرحمن بن رستم (٥٠) .
ومثل هذا يقال عن جماعات الخوارج في جبل أوراس ، جنوب هضبة قسطينة
حيث أقامت جماعات من هواة كانت تحيط بمدينة باغاية (٥١) .

ومن جماعات الاباضية المخالفين لامامة تاهرت الذين يذكرهم اليعقوبي ،
تلك الجماعة التي كان يرأسها ابن مسالة الهواري الذي كان يسكن مدينة
تسمى الجبل غير بعيد من البحر ، وكان لها مزارع وقرى وعمارات وأشجار .
وكانت مملكة ابن مسالة هذه تتاخم مملكة محمد بن سليمان العلوي ، كما يقول
اليعقوبي (٥٢) .

عمران جبل نفوسة :

أما أكثر مواطن الخوارج ازدهارا واستقرارا خارج تاهرت فكان ، من
غير شك ، جبل نفوسة ، معقل الاباضية دون منازع . فعلى عهد امامة تاهرت
عرف جبل نفوسة عصر ازدهار حقيقي . فقد زها بضياعه وقراء ومزارعه
وعماراته الكثيرة (٥٣) ، وأثرى تجاره الذين نافسوا تجار تاهرت في نشاطهم
الى قلب الصحراء وحتى بلاد السودان (٥٤) .

وحول جبل نفوسة ، شرقا في منطقة سرت الداخلة في نطاق اقليم
برقة ، وجنوبا في اقليم ودان ، انتشرت قبائل مزاتة الذين عرفوا بأنهم كلهم
اباضية ، وان كان اليعقوبي يعلق على ذلك قائلا : « على أنهم لا يفقهون ولا لهم
دين » . وفيما وراء ودان جنوبا كان أهل زويلة أيضا كلهم من الاباضية ،
وكانت لهم تجارتهم مع السودان ، وان كانوا قد تخصصوا في تجارة الرقيق
حيث كانوا يأتون بأنصافهم المختلفة ، من : المزيين ، والزوغاوين ، والمرويين ،
وغيرهم من أجناس السودان (٥٥) .

(٥٠) انظر ج . مارسيه ، بلاد البربر الاسلامية ، ص ١٠٣ .

(٥١) انظر اليعقوبي ، ص ٢٥٠ .

(٥٢) البلدان ، ص ٢٥٦ .

(٥٣) اليعقوبي ، ص ٢٤٦ .

(٥٤) انظر فليتا سبقي ، ص ٥٠٥ .

(٥٥) انظر اليعقوبي ، البلدان ، ص ٢٤٤ - ٢٤٥ .

سجللماسة المروارية :

وهكذا كانت الجماعات الاباضية في اواخر القرن الثالث الهجري مزدهرة في صحاروات المغرب ما بين تاهرت وبرقة بفضل اشغالها في الرراعة باحياء الأرض ، وفي التجارة ما بين الشمال وبلاد السودان . ومثل هذا يقال عن جماعات الصفرية في سجللماسة الذين كانوا مرتبطين بتاهرت بطريق بجازي يصفه اليعقوبي : بأنه يخرج من تاهرت في اتجاه بين القبلة والغرب ، ويمر بعد ٣ (ثلاث) مراحل بمدينة أوركا التي كانت لبعض قبائل زناتة المعروغين ببسى مسرة ، ثم يحرف غربا الى أرض زناتة ، قبل أن يصير الى مدينة سجللماسة بعد ٧ (سبع) مراحل تقريبا . وإذا وصف اليعقوبي بعض الطريق بأنسه مقارنة أى صحراء فاحلة ، فإن معظم مسيرته كانت في قري ، وإن : صفت بأنها عر أهلة .

أما مدينة سجللماسة نفسها ، فكان لها نهر يقال له زيز وكانت زراعة أهلها ، وأكثرهم من صنهاجة ، اندخ والدرة . وإذا كان اليعقوبي يعرف أن وادي درعة يدخل في قري سجللماسة ، فإنه يشير الى أن إحدى مدن درعة ، وهي تامدلت ، كانت قاعة لأحد الأدارسة وهو يحيى بن ادريس العلوي . وإذا وصفت تامدلت بأنها لم تكن بالمدينة الكبيرة ، فمن المهم أنه كان « حولها معادن ذهب وفضة . يوحد كالسات ويقال ان الرياح تسفيهه » (٥٩١) . ولا بأس أن يكون استقرار الأدارسة بعيدا في وادي درعة من أجل سفلال تلك المعادن الثمينة .

والذي يلفت النظر هنا هو أن العلويين من الأدارسة كانوا يراحمون الخوارج الصفرية في العمل الحضاري في صحاروات سجللماسة الجنوبية ، كما زاحموا اباضية تاهرت في تلمسان وسواحل المغرب الاوسط ، فكان الرستميين ولأدارسة عملوا جنبا الى جنب في النهضة المدنية لبلاد المغرب ، في لقرن الثالث الهجري/٩م ، وإن كان عن غير قصد .

باسى الادريسية :

وكما كان للأغاللة والرستميين دورهم في الأخذ بيد النهضة الاقتصادية التي عرفتها افريقية والمغرب الاوسط ، كان للأدارسة نصيبهم في انعاش

(٥٩١) اليعقوبي البلدان ، ص ٢٥٩ ، وأطر فيما بعد ، هـ ٢٢٩-٢٣٦ ، ص ٥٩٧ (عن

أعمال ، خبر التي خرج بها عبيد الله من سجللماسة) .

كل من المغربين : الأقصى ، والأوسط . فقد كان وجود امام علوى فى منطقة فاس سببا فى وصول قبض من المهاجرين العرب ، من : الأقارب العلويين الوافدين من المشرق ، والقيروانيين القادمين من مملكة الأغالبة ، والأندلسيين الباحثين لهم عن موطن جديد . ووجد كل هؤلاء بغيرهم المنشودة فى عاصمة الأدارسة التى تضخمت عدوتها ، حتى أصبحت فى أواخر القرن الثالث الهجرى ، على أيام اليعقوبى وعلى عهد يحيى بن يحيى بن إدريس : المدينة العظمى التى يقال لها مدينة إفريقية ، على البحر العظيم الذى يقال له فاس « (٥٧) » .

وحق لليعقوبى أن يخطئ ويُسَمَّى مدينة فاس « بمدينة إفريقية » ، فكانها صارت اختا « لمدينة القيروان العظمى (٥٨) » ، وهو الأمر المقبول من حيث العمل الحضارى ، كما نرى . فمدينة فاس ، كما يصفها اليعقوبى فى أواخر القرن ٣ هـ / ٩ م : « جليلة ، كثيرة العمارة والمنازل » . وهو يعد فى الجانب الغربى من نهر فاس ، أى فى « مدينة أهل الأندلس » ثلاثة آلاف رجا تطحن بماء النهر الجارى (٥٩) . فكان مدينة فاس الأدرسية كانت فى أقصى المغرب ممثلة حقيقية لحضارة العرب الناهضة فى ذلك الوقت المبكر ، ومنافسة حقيقية لعواصم المشرق التى لم تال جهدا فى استخدام القوى المائية والهوائية لإدارة الطواحين بدلا من الدواب والماشية . وإلى جانب الطواحين كان على نهر فاس : « عمارات جليلة ، وقرى وضياع ومزارع من حافته » ، منذ منابه من العيون القبلية إلى أن يقبض فى نهر سبو (٦٠) .

شمال فاس ، وبلاد الريف :

أما عن بقية مملكة فاس التى قسمت منذ عهد محمد بن إدريس ، فكان نهر سبو على أيام اليعقوبى ، إقطاعا لحمزة بن داود بن إدريس . وإلى الشمال منه كانت « حصون وعمارات وبلد واسعة » ، لواحد من ولد داود بن إدريس ، إلى ذلك قلعة صدينة التى كانت لمحمد بن عمر بن إدريس . وكان آخر حدود مملكة بني إدريس بن إدريس ، فى بلاد الريف شمالا ، بلد يسميه اليعقوبى « منحاص لخانة » حيث يجتمع حاج السوس الأقصى وطنجة ، وكان لقل

(٥٧) البلدان . ص ٣٥٨ .

(٥٨) البلدان . ص ٣٢٧ .

(٥٩) البلدان . ص ٣٥٨ .

(٦٠) البلدان . ص ٣٥٨ .

ابن عمر بن ادريس ، ثم بـلـديـغـمـيرة ، الذى نظن أنه غـمـارة ، وكان نـعـبـد الله
ابن عمر بن ادريس (٦١) .

تلمسان وأحوالها :

بلاد بنى محمد بن سليمان :

وتأتى بعد فاس مدينة تلمسان ، المدينة العظمى المشهورة بالمغرب ، كما
سميها اليعقوبى بمعنى العاصمة ، وكانت أول معاقل العلويين من بنى محمد بن
سليمان ، من حيث انتشروا فى سواحل المغرب الأوسط وبواديه . فتلمسان
التي يصفها اليعقوبى كانت مدينة حصينة عليها سوران من حجارة ، مثل
بغداد ، وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة ، وحولها قبائل من بربر
مكناسة . أما صاحبنا فى ذلك الوقت ، فكان محمد بن القاسم بن محمد بن
سليمان (٦٢) .

ما بين بنى محمد بن سليمان والاباضية :

وفى شرق تلمسان كانت هناك مملكتان لبنى محمد بن سليمان ،
أولاهما متاخمة لمملكة ابن مسالة البوارى الاباضى ، وعاصمها مدينة تمطلاص ،
وأكثر أهلها من بربر مطاطة (٦٣) ، وثانيتها عاصمتها مدينة مذكرة ، المتاخمة
من حية الشرق لبلد متيجة . وكانت للحسينيين من بنى محمد بن جعفر .
ومملكة متيجة هذه كانت بلدا واسعا ، « فيه عدة مدن وحصون ، وهو بلد
زرع وعمارة » (٦٤) . وإلى الغرب من مدينة مذكرة ، اتصل ملك بنى محمد بن
سليمان فى مدينة الخضراء بما كان يتبعها من « مدن كثيرة وحصون وقرى
ومزارع » . وينص اليعقوبى على أن كل رجل من بنى محمد بن سليمان
كان مقيما متحصنا فى مدينة وناحية ، « وعددهم كثير حتى أن البلد يعرف
بهم ، وينسب إليهم » . وآخر المدن التي فى أيديهم ، قرب ساحل البحر ، يقال
لها سوق إبراهيم وهي : المدينة المشهورة ، وكان صاحبها هو عيسى بن إبراهيم
ابن محمد بن سليمان (٦٥) .

(٦١) البلدان لليعقوبى ، ص ٣٥٧ .

(٦٢) البلدان ، ص ٣٥٦ .

(٦٣) البلدان ، ص ٣٥٦ .

(٦٤) البلدان ، ص ٣٥٢ .

(٦٥) البلدان ، ص ٣٥٣ .

١١٠ بنى محمد بن سليمان وزماتة :

وإذا كان بنو عمومة الأدارسة قد اعتصموا بالأقاليم الواقعة في شرق تلمسان حتى صارت تعرف ببلاد بنى محمد بن سليمان ، فانهم فقدوا في غرب تلمسان مدينة هامة حملت اسمهم ، هي « مدينة العلويين » التي تركوها لجماعة من زماتة ، بقيادة رجل يقال له علي بن حامد بن مرحوم الزناتي (١٦) .
ونبينا وراء مدينة العلويين من جهة الغرب كان لبني محمد بن سليمان مدينة ثمالة ، وفي غربها كانت تنتهي ملكتهم بمدينة فالوس المتاخمة لمدينة نكور ، قاعدة ملك صالح بن سعيد النفزي . ويصف اليعقوبي فالوس بأنها « مدينة عظيمة أهلها من البربر من مطماطة وترجة وجزولة وصنهاجة » .
أما ملكة صالح بن سعيد ، وهي نكور ، فهي : « مسيرة عشرة أيام في عمارات وحسون وقرى ومنارل وزرع وضرع وخصب » ، وذلك الى حدود ملكة بنى ادريس بن ادريس (١٧) .

١١١ الأدارسة في وادي درعة والسوس الأقصى :

والى جانب ملكة فاس وملكة بنى محمد بن سليمان كان للأدارسة اماراتهم في وادي درعة في منطقة سجلماسة ، كما كانت لهم ممالكهم في السوس الأقصى حيث نزل ابو عبد الله بن ادريس بن ادريس ، وكذلك في البلاد الممتدة ما بين السوس الأقصى وأغمات ، التي يصفها اليعقوبي بأنها : « بلد خصب فيه مرعى وزروع وسهل وجبل ، وأهله قوم من صنهاجة (١٨) » .

وهكذا انتشر الادارسة فيما بين المغرب الأوسط وأقصى المغرب الأقصى الى صحراء سجلماسة وبلاد السوس . وعملوا على تمدين البلاد وبنوا المدن والأسواق ، مثل : مدينة العلويين وسوق ابراهيم في المغرب الأوسط ، واستغلوا مناجم الذهب والفضة ، كما فعلوا في تامدلت بوادي درعة ، قنصلا عما قاموا به في سبيل اعمار منطقة وادي فاس ومدينة فاس بمدينة افريقيا العظمى ، كما يسميها اليعقوبي .

١١٢ خلاصة الموقف العمراني :

وهكذا تكون بلاد المغرب قد عرفت نوعاً من الإزدهار الاقتصادي والمادى

(١٦) البلدان لليعقوبي ، ص ٢٥٦ .

(١٧) البلدان لليعقوبي ، ص ٢٥٦-٢٥٧ .

(١٨) البلدان ، ص ٣٦٠ .

فى القرن الثالث الهجرى/٩م بفضل مجهودات كل من الاعالبة والروستيين والادارسة ، وذب بعد فترة الاضطراب التى شهدتها البلاد على عهد ولاة دمشق والعباسيين الأوائل - فقد كان استقلال كل أسرة بمملكته حافظا لها على تنمية مواردها المالية ، فانفقت دخلها فى العناية بالزراعة وأعمال الرى ومد المدن بالمياه ، ودامن طرق المواصلات اللازمة للتجارة ، مما عاد على أهل البلاد بالرخاء ، وعلى الحكام بالتسكن من الأمر واستفحال الملك .

ولقد اضطردت هذه القاعدة عندما دب ديبب الفتنة فى كل من الدول الثلاث فاختلف أمراء الأسر الحاكمة فيما بينهم ، وقام المتغلبون فى المدن والأقاليم ، اذ نشط كل متغلب منهم فى تنمية موارد اقليته ، وعمل على أن تكون مدينته منافسة للمدينة العظمى أى العاصمة ، وهذا ما يفسر انتشار المدن العظمى ، فى وصف اليعقوبى للبلاد على طول الطريق من افريقية الى أقصى المغرب . والمدن التى توصف بالعظمى ١٢ (اثنتا عشرة) مدينة هى : القيروان ، وتونس (٦٩) ، وسببلة (٧٠) ، وتوزر (عاصمة قسطنطينية) ، وبشرة (عاصمة نفزاوة) ، وطبنة (عاصمة الزاب) (٧١) ، وميلة (٧٢) ، وتاهرت (٧٣) ، وتمطلاس (٧٤) ، وتلمسان (٧٥) ، وقالوس (٧٦) ، وأخيرا فاس (٧٧) .

هذه المدن - دون ذكر غيرها من العواصم المحلية التى كان يتربها الولاية . والمتغلبون من القواد ورؤساء القبائل - التى زهت بأسواقها ، ومتاجرها وحرفيها ، وحماماتها ، وقصورها ، ومساجدها الجامعة والمحلية ، والتى جمعت أخلاطا من الناس ، من عرب المشرق : الصرحاء والموسمين بالفرس وبالخراسانية ، عرب المغرب : الوافدين من افريقية والأندلس ومن المغاربة

-
- (٦٩) مدينة عطية . البلدان ، ص ٣٤٨ .
 - (٧٠) المدينة القديمة العظمى . البلدان ، ص ٣٤٩ .
 - (٧١) البلدان ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .
 - (٧٢) مدينة عطية حيلة : البلدان ، ص ٣٥١ .
 - (٧٣) البلدان ، ص ٣٥٣ / المدينة العظمى . عراق المغرب .
 - (٧٤) من عواصم بلاد بنى محمد بن سليمان المتاخمة لمملكة تاهرت غربا : البلدان .
 - ص ٣٥٦ .
 - (٧٥) البلدان ، ص ٣٥٦ .
 - (٧٦) من عواصم بنى محمد بن سليمان غرب تلمسان . البلدان ، ص ٣٥٧ .
 - (٧٧) المدينة العظمى التى يقال لها مدينة الفريقا . البلدان ، ص ٣٥٧ .

(البربر) على اختلاف قبائلهم : الصرحاء منهم والمتنسبين الى عرب اليمنية والقيسية ، عرفت أيضا ازدهارا ثقافيا وروحيا ، مما كان نتيجة طبيعية لهذا الازدهار المادى ، وذاك التنوع فى الاجتماع البشرى .

الازدهار الثقافى والحياة الروحية :

الاطار المادى :

والحقيقة أن كل عاصمة سياسية كانت على قدر أهميتها - كبرت أم صغرت - سوقا تجارية ومركزا علميا فى نفس الوقت . وهنا نجد ازدهار التجارة وثيق الصلة بتقدم العلوم والثقافة . فعلى قدر تراكم المال والثروة يكون الاهتمام بالمدينة والحضارة . فتكدر الثروات فى كل من العواصم أو (المدن العظمى) هى التى تفسر بناء الدور والقصور ، وتشييد المجمامع والمساجد التى صارت معارض للفنون التشكيلية ومراكز للعلوم والثقافة ، من : دنيوية ودينية .

فى افريقية :

متحف جامع القيروان :

فى افريقية الأغلبية كان جامع عقبة - مفخرة مدينة القيروان ومتبع زهوها الى اليوم ، الذى كان أعيد بناؤه أكثر من مرة بمعرفة ولاة الأمويين والعباسيين ، قبل أن يجدده بالشكل الذى وصل إلينا الآن زيادة الله الأول ومن أتى بعده من أمراء الأغلبية - متحفا للفن الإسلامى فى افريقية ، كما كان مركزا للعلوم الدينية . فهو ، بفضل اتساع مقاييسه ، وبساطة خطوطه ، وزخرفته الضخمة القديمة ، وتخطيطه المعمارى العربى الأصيل ، المستوحى من تخطيط مسجد النبى فى المدينة ، يعتبر آية من آيات الفن الإسلامى المبكر . وأول ما يشد النظر عند الدخول الى المسجد الجامع هو الصحن الفسنيح ، الذى يوحى للزائر بأنه فى ميدان رئيسى لبعض المدن الفخمة ، بفضل مجموعات السقائف البديعة المحيطة به ، التى ترفعها الأقواس نصف الدائرية الجميلة ، المحملة على رؤوس الأعمدة الرشيقة ذات النقوش المختلفة والأصول المتنوعة . منا ثم ضمته بأيدي الفنانين المعاصرين من أهل البلاد ومن الوافدين ، ومما يرجع الى ما قبل للإسلام حلاله الذى يجعل من عناصر الجامع متحفا حقيقيا .

وينفتح على الصحن الواسع بيت الصلاة الذى تقسمه صفوف من الأعمدة

الرابعة ، دوات التيجان الثمينة المأخوذة من العناصر القديمة ، الى : ٦٧ (سبعة عشر) رواقا عمودية على حائط القبلة ، و ١٠ (عشرة) أروقة عرضية موازية لحائط القبلة ٧ مغطاة بسطح مستقف تحمله حوائز خشبية مزخرفة بأنواع الزوايا ٠ والرواق الأوسط ، كما هي المادة في المساجد العربية الطراز ، أكثر اتساعا وأعلى ارتفاعا من بقية الأروقة على الجانبين (٧٨) ، وعلى كل من طرفيه تقوم قبتان رشيقتا الأضلاع ٠ وفي معابد الرواق الأوسط ٠ وعلى سمت قبتيه المضلعين ، تقوم ٠ في طرف الصحن ٠ مارة الجامع العريضة ، بشكلها المربع وهيكلها المهيّب ٠

ويكاد الأثريون يتفقون على أن الأثر الشامي يظهر في تخطيط هذه المنارة وفي موقعها من الجامع ، بينما تدل هيئة السورى وكذلك شكل الأقواس على أنها منقولة من مصر ٠ وإلى جانب ذلك فابهم يجدون في بعض تفصيلات العباب تقليد للعمائر العراقية المعاصرة ٠ أما عن الزخارف المنحوتة في الحجر أو في الرخام فهم يرون أنها تتفق مع تقاليد المصانع المحلية ٠

والهم في كل ذلك هو أن اختلاف المؤثرات ، هذا ، لا ينفي تناسق المجموع : فالمعاصر الوافدة من العراق ، والمستجلبية من مصر ، وكذلك العناصر الأفريقية المحلية القديمة وهي تلك تمثل أخلاط الناس من سكان المدن ، من : العرب وأخراسانية والمعاربية أو السري ، اشتركت جميعا في التعبير الكلى الجميل ، وهو ما يمثل عبقرية الفن العربي الاسلامي ٠

وأخيرا فإن ما قيل عن مسجد عقبة الجامع يمكن أن يقال عن جامع الزيتونة بتونس ، وعن رباطات سوسة والساحل ، التي جمعت في مبانيها

(٧٨) وهذا الأمر جعل الأثريين الأوروبيين يشبهونه بالرواق الرئيسى فى البازيليكية (الكنيسة) المسيحية ويقولون انه مستوحى منها - انظر ح- مارسيه ، الفن الاسلامي ، ط- لاروس (بالفرنسية) ، ص ٥ ، وقارن كرسويل ، الفن الاسلامي المبكر ، ط- بليكان (بالانجليزية) ، ص ٢٥٦ - ٢٥٨ (حيث يقرر فقط أن الرواق الأوسط كان له البداية اوسع ما هو عليه الآن بأربعة اقدام) ، وانظر أحمد فكرى ، المسجد الجامع بالغيروان ، ص ٢٥- حيث يفسر استيعاب الرواق الأوسط الحاجة الوطنية لهذا الرواق الذى يقابل المحارب والمبهرج حتى يسمح لأكبر عدد من المصلين المتجمعين فيه ، من رؤية الامام وهو يخطب أو يوعظ ويؤمنهم في اللحظات الصعبة ولقد طور الدكتور أحمد فكرى نظريته فى الأهمية الوظيفية لتساع الرواق الأوسط فى المساجد الإسلامية فى كتابه « المدخل الى مساجد القاهرة ومدنها وفتحها » انظر ص ٣٠٠ - ٣١٢ ٠

...٥٠٩...

ما بين الحصن والجانب ، كما يظهر في رباط المستقيم الشهير ، والحقيقة
أن هذه الآثار ، إلى جانب ما يبقى للتل من المناظر والمزاج ، وبعض الفسوة
الضغرى ، يؤكد مولد من حسن التناوب ، قوى التعبير ، ويثبت عظام
مدنية حسنة ، وهى فى سبيلها إلى مزيد من التقدم والازدهار ، مع ازدياد
انصهار ذلك الخليط المبرقش من أخلاق الناس ، الذين عبر ذلك الفن عن
شخصيتهم المركبة فى ذلك العصر .

فى قاهرته :

خصائص ذاتية : حياة البساطة وانعكاساتها فى المجتمع :

وإذا كانت بقايا الآثار الأغلبية - وهى قليلة - تسمح باعطاء فكرة عما
كانت عليه العمارات الدينية ، وخاصة المساجد ، ومسجد عقبة على وجه
الخصوص ، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة لتأهرت الرسمية . فمن الأمور
المتفق عليها ، أنه رغم ازدهار قاهرته المادى بفضل تنوع عناصر سكانها ، من :
العرب ، والفرس ، والبربر ، الذين كان لهم أثرهم من غير شك خيما أقاموه .
هناك من المباني ، فإن أمانة تأهرت ظلت محافظة على تقاليد الخوارج التى
تمثل فى حياة التقشف والاقبال من التمتع بمباهج الحياة . حقيقة أن التجارة
والحياة الاقتصادية كانت مزدهرة فى قاهرته التى تكسدت فيها الثروات
وبنيت فيها الدور والقصور ، ولكن مسار الحياة المادية هناك كان ينساب
بإيقاع رتيب ، يختلف عن ذلك الذى عرفته افريقية . فللسؤال هنا لا تتعلق
فقط بتكدس الثروات ، بحسب الحضارة - وهذا قانون عام سرى فى القديم ،
كما يسرى فى عصرنا الحديث - بل هو وثيق الصلة بما تقتضيه أحوال
البيئة : والبيئة الرعوية أو البدوية ، المختلفة إذا لم نقل المتخلفة عن بيئة
افريقية المدنية ، كانت السائدة فى بلاد تأهرت .

امتداد حضارى القى :

وإذا لم يكن هناك مجال للمقارنة بين أئمة تأهرت المتشققين ، المتسكين
بأهداب الدين ، وبين ملوك رقادة المتحررين ، المتفسيين فى مباحج الحياة ،
كذلك يمكن القول أن المسافة ظلت بعيدة بين ما كان عليه جامع القيروان
الأغلبى وجامع تأهرت الرسمى ، أو غيره من مجامع الإباضية المعاصرة التى
لم يبق لنا من آثارها ما يسمح بمثل هذه المقارنة . وكذلك كان الحال بالنسبة
لغير المساجد من المباني المدنية أو الحربية : حقيقة أن كتب السير الإباضية
تتحدث عن كثير من المساجد والزوايا والمصليات التى بناها ضيوخ المذهب

في كل من ترى جبل نفوسة ، أو اقليم نفزاوة ، أو بلاد الزاب ، أو اقليم تاهرت ، ولكنه من الواضح ان تلك المساجد كانت متواضعة تمثل تواضع المجتمعات الاباضية القاطنة في تلك البلاد وبساطتها :-

هذا ما يمكن أن نفهمه عندما ندقق النظر في كتب الاباضية مثل : كتاب السير لأبي الربيع الوسياني (٧٩) ، حيث نجد أنه كان لمدينة قنطرة ، المتاخمة لجبل نفوسة ، مسجدا جامعاً كانت تقام فيه صلاة الجمعة على أيام الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، وهو الأمر الذي لم يكن معمولاً به في الجبل من قبل : لأن أهل الجبل « قرى متباينة » يصعب تجميعهم كما يقول المؤلف . أما بقية قرى الجبل فكانت لها مساجدها المحلية ، غير الجامعة مثل : أو سلم التي تعتبر أول موضع أذن فيه المؤذنون في جبل نفوسة (٨٠) ، وارجلان الذي يعتبر موضع منبر جامعها أول موضع سجد فيه لله في وارجلان (٨١) ، وآجلو التي كان لها مسجد كبير ، يحتوى على مصلى للنساء (٨٢) ، وجغراف : من قرى الزاب (٨٣) ، وقابس التي عرف مسجدها بمسجد الوهبة (٨٤) ، إلى غير ذلك من المساجد التي عمرت بها قرى جبل نفوسة والأقاليم المجاورة ، بعد العهد الرستمي - دون إشارة إلى ما كانت عليه تلك المساجد من مظاهر الصران أو الزخرف .

هذا ، وإذا كانت بقايا مدينة سدراة ، في اقليم ورجلة ، التي صارت عاصمة للخارجية بعد سقوط تاهرت ، قبل انتقال الاباضية إلى الزاب ، قد كشفت عن وجود أصداء لفخامة المباني العباسية في المدينة الصحراوية . فإن أثر تلك الفخامة العباسية كان ضعيفا على كل حال (٨٥) . فكان أخذ امامة تاهرت من حضارة المشرق العباسي كانت بقدر يتناسب مع بساطة مجتمعها الاباضي ، وهذه البساطة هي ما يميز حضارة الرستميين عن حضارة كل من الأغالبة والإدارسة .

(٧٩) مخطوط دار الكتب المصرية ، رقم ح/٩١١٣ .

(٨٠) الوسياني . كتاب السير ، المخطوط : ص ١٢ - ١٠٢ .

(٨١) الوسياني . السير ، المخطوط ، ص ١٢ - ١ .

(٨٢) الوسياني . المخطوط ، ص ٢٥ - ١ ، ٩٠ - ب .

(٨٣) الوسياني . المخطوط : ص ٩٠ - ١ .

(٨٤) الوسياني . المخطوط ، ص ٩٨ - ١ .

(٨٥) أنظر ح ، عباسيه ، بلاد البربر الاسلامة ، ص ١١٥ - ١١٦ .

في فاس :

حضارة وسط بين القيروان وتاهرت :

أما عن تراث الأدارسة الذي لم يبق لنا منه الشيء الكثير ، من : الآثار المادية أو الشواهد الكتابية ، سواء في تلمسان والمغرب الأوسط أو في فاس والمغرب الأقصى ، فأغلب الظن أن حضارتهم المادية كانت وسطا ، بين حضارة القيروان التي تكاد تمثل حضارة بغداد بكل مظاهرها ، وبين حضارة تاهرت التي لم تأخذ من العباسيين إلا بقدر . فمدينة فاس عند بدء بنائها في أواخر القرن الثاني الهجري / ٨م كانت أشبه بقيروان عقبة الأول قبل ذلك بأكثر من مائة عام ، كما أن كلا من حامعي عدوتها : الأشياخ في عدوة الأندلس الشرقية ، وانشرفاء في العدو الغربية ، كان يذكر ببساطته وصغر حجمه جامع عبد الرحمن بن رستم في تاهرت الذي بنى قبلهما بحوالي نصف قرن .

حقيقة الله بمشاركة المهاجرين ، من الأندلس ومن بلاد القيروان في بناء مدينة ادريس بن ادريس ، تمدنت عدوتي فاس بفضل ما حصله معهم هؤلاء . من تراث أهل الأندلس الشامى الأصل ، الذي كان قد بدأ يتأثر بحضارة بغداد ، ومن تراث أهل افريقية الذي ظهرت فيه مؤثرات بلاد مصر والشام ولعراق ، ولكن تمدن العاصمة الادريسية الجديدة ، كان محدودا في ذلك الوقت . على كل حال .

جامع القرويين الادريسي :

فحتى جامع القرويين الذي ما زالت تحتز به مدينة فاس الى اليوم ، كما اعتزت به على طول العصور ، على زعم أنه من بناء الأئمة الشرفاء ، رغم ما هو معروف من أنه من بناء الوافدين على فاس من أهل القيروان ، كانه عندنا . بنى في سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م كان صغير الحجم ومتواضع البناء - على ما يظهر - هذا ما يفهم من قصة بنائه التي تنص باصرار شديد على أن المال الذي أنفق على البناء كان ما حللا لم تدخله شبهة ربح غير حلال من تجارة أو غيرها - بل ومن الإصرار أيضا على أن مواد البناء ، من : حجر ورمل وماء ، أتت حللا صافيا من نقطن أرض الجامع وليس من غيرها ، مما يترتب عليه بحكم الضرورة ، أنه يكون البناء بسيطا بما يتناسب مع تلك للوكر المحدودة .

ومثل هذا يمكن أن يقال أيضا عن جامع الأندلس الذي ينسب بناؤه الى

نفس الأسرة القروية (٨٦) التي يظهر أنها كانت مالكية متشددة .

وهذا ما يذكرنا بتشدد إباحية تاهرت وبساطتهم ، وهو الأمر المقبول؛ إذا ما تذكرنا أن المنطقة كانت منطقة خوارج المغرب الأوائل ، وأن الإمام إدريس ابن عبد الله عندما نزل على أوربة كان زعيمهم من الواصليّة أو المعتزلة ، وهم يعنى فرق الإباحية هناك . ولا بأس أن يكون ذلك الإصرار فى مسألة الحلال وطهارة المساء قد أتى من جانب البنائين القيروانيين المالكية كما قلنا . وهنا قد لا يفسر تزيينهم الدينى هذا إلا ما عرفوه من تساهل أمرائهم السابقين فى إفريقية . فكان تعصب أهل القيروان فى فاس كان رد فعل مقبول لتحرر الأغلبية فى القيروان ، وهذا يعنى أنهم ، وإن كانوا قد حملوا معهم حضارة بلادهم الأغلبية ، فإنهم لم يكونوا ليسرفوا فى التعبير عن مباحجها . وبذلك يمكن القول أن جامع القرويين الإدريسي كان وسطابين جامع القيروان الأغلبى ، الذى عبر عن حضارة إفريقية كانت فى سبيلها إلى المزيد من التفتح والازدهار ، وبين جامع تاهرت الرستمي الذى ظل محتفظا ببساطته المناسبة لتكشف رواده ، رغم المؤثرات الحضارية التى وفدت على المدينة من إفريقية والعراق ، ومن الأندلس .

جامع القرويين الزناتى وتسمية العدو باسمه :

أما عن جامع القرويين الذى صار مفخرة حقيقية لمدينة فاس فيرجع إلى عهد الزناتيين الذين خلفوا الأدارسة ، والذين ارتبطوا بالأندلس - رعية منهم أو رعية - بعلاقات وثيقة ، فكان الأثر الأندلسي فيه أوضح من غيره مسن المؤثرات ، وهو الأمر الطبيعي . وأغلب الظن أن مدينة الضفة الغربية لوادى الفاس اشتهرت باسم عدوة القرويين نسبة إلى جامعها الذى صار أشهر مساجد المغرب الأقصى وعرقها ، بعد أن طغى بشهرته على جامع الأدارسة الحقيقية فى المدينة ، جامع الشرفاء ، وحتى دار فى خلد البعض أن جامع القرويين هو جامع إدريس بن إدريس (٨٧) .

(٨٦) أطر جلوة الاقتصادى لآبى الخامى ، ص ٢٩ حيث يقدم أن دطمة أم البين شرعت حتى بناء جامع القرويين ، وأن اختها مريم شرعت أيضا فى نفس الوقت ، وهو سنة ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م ، فى بناء جامع الأندلس . وأظهر سده عن جامع الأندلس ، ص ٤٣ .
(٨٧) أطر عبد الهادى التازى ، جامع القرويين بفاس ، رسالة دكتوراه على الآلة الكتابة ، قدمت لجامعة الإسكندرية سنة ١٩٧١ ، وطبعت فى بيروت ولكن لم نطلع على المطبوع ، ص ٧ : حيث يشير المؤلف إلى العثور على لوحة تذكارية حنية كبيرة الحجم فيها ذكر لبناء

فاس الادريسية :

والحقيقة ان هذا لا يتعارض مع تحول فاس ، على عهد الادارسة ، الى مركز حصري مرموق - واداً كانت كتب التاريخ أو معايا الآثار لا تجعل من مسجد القرويين أو قصور العدوين منافسة لحامع العبروان الاعلى أو لقصور رقادة ، فقد رعت عاصمة الادارسة بحماياتها وبطراحي ماها ، كما ظهر بعض من امراء الاسرة الشرفاء بمظهر المتحررين الذين لا يتورعون ، في سبيل ملاذهم ، عن القيام بالمغامرات العاصحة ، في الاماكن العامة (٨٨) .

أما ما يقوله ابن القاصي بمناسبة سكنى ادريس بحدية فاس من انه انتهى التجارات واهل الصاعات من كل صقع ، حتى تكامل بها كل متجر ، وسيقت إليها حيرات الأرض . وجمعت فيها طرف الدنيا وتكاملت فيها حتى صار لأهل ذلك . لا عالم أعرف من عالمهم ولا راوية أثبت من رأويتهم ، ولا متكلم أحزل من متكلمهم ، ولا قاري أعزى من قارئهم . ولا نحوي أعرف من نحويهم ، ولا شاعر أحق من شاعرهم ، ولا قول أطرب من مغنيهم فبدأ ما حدث فيما بعد منذ أيام رباتة - الذين حملوا من العدوتين مدينة واحدة ومن أتى بعدهم من لمتونة والموحدين ، كما يذكر المؤلف عقب أنشودة الأناشيد، هذه (٨٩) .

تلمسان العلوية وغيرها من حواضر الادارسة :

أما عن الادارسة خارج فاس ، في تلمسان والمغرب الأوسط ، وفي بلاد الريف أو السوس الأقصى ، فابهم بنوا مدنا وحواضر حديثة ، مثل مدينة العلويين وسوق ابراهيم ، ولكنها لم تبلغ مبلغ فاس في الكبر والعظمة . وإذا كان الادارسة في تلك البلاد قد احتموا بتحقيق الرخاء الاقتصادي عن طريق

« هذا المسجد » في سنة ٨٧٦/٢٦٣ م على عهد الامام داود بن ادريس . ومع أن المؤلف يميل الى الأخذ بالهاشمية لصالح القرويين ، رايها ليست مقررة من مكان آخر . وهو الأمر الذي لا تقبل اليه المصادر التاريخية ، فانهم انه كانت هناك محاولات لسة الجامع الى الادارسة . سواء كانت للوحة حاصلة بالقرويين أم لا . وانظر من ٤٨ وهامش ٤ حيث يشير المؤلف الى أن بعض المشايخ من معاصرينا كان يظن أن القرويين من تأسس الامام ادريس بن ادريس . ويتبع ذلك إشارة الى انه وقف على مغلوطة تفيد أن نسبة القرويين لام النين أمر ليس محل اتفاق بين المؤرخين .

(٨٨) انظر فيما سبق من ٤٦٩ .

(٨٩) انظر حذرة الاقتصاد من ٢٥ .

العناية بالزراعة والتجارة ، فأغلب الظن أن سلفائهم كان روحيا أولا وقبل كل شيء ، وأن أول اهتماماتهم كان نشر الاسلام بين أهل البلاد من البربر ، وهو الأمر الذي شاركهم فيه أئمة تاهرت . أما في القيروان فقد وقعت تلك الرسالة الروحية على عاتق فقهاء القيروان ، ومرابطى افريقية من الزهاد والعباد .

المحتوى المعنوى :

فى هذا الاطار الذى يمثل مظاهر الحضارة المادية الناشئة فى بلاد المغرب ، فى أول عصور استقلالها ، تفتحت براعم الثقافة الاسلامية التى عرفها المشرق المباسى ، وازدهرت الحياة الروحية بشكل فريد . ففى مساجد العواصم ورياطات السواحل ، عقدت حلقات العلم والمناظرة فضلا عن الأسواق التى لم تعد بين أهلها أجلة المشايخ من الفقهاء والصالحين ، من رجال الدولة ومن العاملين فى سبيل الله . وكذلك كان كثير من بيوت العلماء معاهد حقيقية لطلاب العلم ، بينما كانت قصور الأمراء ودور الخاصة من الناس ، فى عاصمة الأغلبية على وجه الخصوص ، بلاطات ملوكية أو مجالس خلافة مصغرة ، يجتمع فيها أحلاط من الناس ، من العلماء ، والفضلاء ، والأطباء ، والشعراء ، والمنجمين ، والمهرجين ، والمغنيين ، والموسيقين ، وغيرهم من أهل البلاد ومن الرافدين من المشرق ومن الأندلس .

الحياة الدينية :

فى افريقية :

ولكنه اذا كانت سوق الشعر والأدب والغناء قد نفقت فى بلاد الأغلبية ، فإن المسائل الدينية كانت الشغل الشاغل لأهل افريقية خلال ذلك العصر ، وخاصة فى القيروان ، مدينة عقبة المستجاب . ومع أن مذهب مالك بن أنس كان هو المذهب السائد فى البلاد عند قيام الدولة الاغلبية ، فإن مذهب أبى حنيفة كان قد بدأ يثبت أقدامه فى البلاد ، وخاصة على المستوى الحكومى بصفته المذهب الرسمى لخلافة بنى نفاذ . وكان من بين فقهاء القيروان المتبحرون فى كل من المذهبين المالكي والحنفى ، مثل : قاضى الريقية الشهير أسد بن الفرات ، فاتح صقلية (٩٠) .

ها بين المالكية والاعتزال :

وعندما أثار المعتزلة الجدل حول مسألة أسماء الله وصفاته ، وهو الأمر الذى شغل الخلافة مئى بقداد فى « محنة حلق القرآن » التى امتحن بها فقهاء السنة فى عهد المأمون ثم المحنة المضادة على أيام المتوكل ، كان لذلك الجدل أثره القوى فى افريقية . وفى ذلك يقال أن رجلا أتى من المشرق فسأل بعض شباب القيروان عما كان يتكلم فيه أهل المدينة من العلم ، فقالوا له : « أسماء الله وصفاته » ، مما يعنى أن علوم الدين والبحث عن الحقيقة كانت من أجب . الاهتمامات إلى قلوب أهل المدينة .

ها بين العلم والجهاد :

وفى الحضى على التعلم وتقدير أهل العلم ، ينسب إلى البهلول بن راشد (توفي سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م) ، زاهد القيروان وعالمها فى زمانه ، انه قال : « اذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى العلماء فضرب عليهم بسور من نور ثم يقول : انى لم اصنع حكمتى فيكم وانا أريد أن أعذبكم . تعافوا وادخلوا الجنة » - وينسب إليه انه قال أيضا : « ما اعمال البر كلها عند الجهاد فى سبيل الله تعالى الا كنصقة فى بحر ، وما اعمال البر كلها والجهاد عند طلب العلم الا كنصقة فى بحر » (٩١) .

وهكذا كان الجهاد والعلم يمتزجان امتزاجا ، وهذا ما تمثل بشكل رائع فى اسناد حملة صقلية إلى أسد بن القرات الذى كان إلى جانب علمه وفقه واحدا من الشجعان . كذلك ظهر الارتباط الوثيق بين العلم والجهاد على رباطات السواحل ومحارسها ، وأشهرها رباط المنستير قرب سوسة ، حيث انصرف المرابطون إلى أعمال الزهد والعبادة ، وأخذ العلم عن المشايخ الذين كانوا يلجأون فى أوقات معينة إلى ربطهم ، وذلك فى وقت فراغهم ، وهم فى انتظار مجاهدة العدو اذا ما فكر فى النزول فى ثفرهم .

القيروان مهذا ثانيا للمالكية :

ولكنه رغم انتشار فقه أبى حنيفة بصفته المذهب الرسمى للأغالبة ، ورغم شغف الناس والأمراء بالجدل والمناظرة فى مسائل المعتزلة ، وهو الأمر الذى عمل على انشقاق جماعات الإباضية الذين أنتشروا فى صحاروات الفريقية .

- ٥٦ -

والذين كان لهم مثلهم بين علماء القيروان من غير شك ، فان حل علماء العاصمة الاعنابية كانوا متمسكين بالسنة على مذهب الامام مالك . وهكذا صارت القيروان مهد المالكية الثاني بعد المدينة ، وقبل قرطبة .

وفي ذلك يقال ان بعض العلماء انصرفوا الى دراسة الفقه المالكي وحده ، ولم يحاولوا دراسة شيء غيره . والمثل لذلك أحمد بن نصر الهواري البربري ، الذي سمع على محمد بن سحنون ، والذي « كان لا ينظر ولا يتصرف في شيء من العلم غير مذهب مالك ومساائله ، فاذا تكلم فيها كان قائفا » ، وكانت مدونة سحنون هي المرجع الأول والاخير بالنسبة له (٩٢) . ومن النكت التي تعبر بشكل لاذع عن اهتمام المغاربة بالفقه المالكي دون غيره ، تلك الرواية التي تقول : ان اسحق بن نعمان ، الذي كان مالكي المذهب ثم أصبح شافعيًا ، كان يناقش أحد البغداديين في الحجاز ، وأراد البغدادى أن يزيد وجهة نظره الشرعية فقال : (روى عن النبي صلعم كذا ، فقال له ابن النعمان : فيما ذكر ، مالك لا يرى ذلك) . ودهش الرجل المشرقي لهذا الأمر الغريب ، وقال : شأست وجوهكم يا أهل المغرب ، تعارضون قول النبي بقول مالك ! (٩٣) .

مالكية القيروان :

دعائم المذهب في كل المغرب :

ولكن الغالبية من رجال المذهب المالكي كانوا من ذوي العقول النيرة واصحاب الافق الواسع ، ومن أبرز شخصياتهم التي ذكرناها في ذلك العصر سحنون بن سعيد (توفي سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م) : فعنه يقول أصحاب طبقات علماء افرريقية : « اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره : الفقه البارع ، والوزع الصادق ، والصرامة في الحق ، والزهادة في الدنيا ، والتخشين في اللبس والمطعم ، والسماحة ... » . وكان لا يقبل من أحد شيئا سلطان أو غيره (٩٤) . والحقيقة ان كتب الطبقات تلك تعطينا صورة حية عن أحوال هؤلاء العلماء . فمنهم من كان مشرقي الأصل ، ومنهم من وفد من الأندلس ، ومعظمهم رحل الى المشرق للدرس والتعلم . واصحاب الطبقة الأولى من قدمائهم أخذوا الحديث والفقه على مالك بن أنس نفسه ، بينما أخذ أبناء الاحياء

(٩٢) انظر آلدماغ ، معالم الايمان ، ط . تونس ، ص ٣ - ٥ .

(٩٣) أبو العرب ، طبقات علماء افرريقية ، ص ٢١٤ ، وعن معارضة المالكية للاعتزال .

انظر ج ١ ص ٣٦٩ .

(٩٤) انظر المالكي ، رياض النفوس ، ج ١ ص ٢٤٩ .

التالية عن هؤلاء الآخرين ، في تسلسل متصدد ، - و صارت لقبرواو حفا
مدبنة العلم في كل بلاد المغرب . وبعصل أعمال هؤلاء العلماء ، وخاصة مدونة
سحنون ، أنتى صارت بعد الكتب الاسدية - لاسد بن العرات - أكر مجموعة
فقهية في المغرب ، تأكد المذهب المالكي في كل الش . ل الامريقى .

ومعظم علماء القيروان هؤلاء الذين كانوا من أهل الرهد والورع والعبادة،
كانوا يقومون ، الى جانب ذلك ، بدور تاريخى هام في الرقابة على أمراء
الأغالبة ، وذلك حسب مبدأ الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الأمر الذى صار
تقليديا في دولة الاسلام . فمحض من عمر لم يتردد في الدخول مع جماعة
الصالحين على الأمير عبد الله بن ابراهيم بن الأغلب ، ليطلب منه تخفيف
الضريبة الثابتة على الأرض الزراعية بدلا من ضريبة العشر (٩٥) . والشيوخ أبو
الأحوص أحمد بن عبد الله المكفوف كان شديدا في كتابه الذى وجهه الى
الأمير ابراهيم الثانى بن أحمد الذى عرف باستبداده (٩٦) .

والذى لا حظناه هو أن أمراء الأغالبة أعطوا الأمثلة الطيبة - على وجه
المسوم - فاجتنبوا التعرض لهؤلاء الشيوخ ، بل وعملوا على مسداتهم
واكتساب رضاهم ، كما كان من تقاليدهم التكفل بتجهيز من يموت من
المشايخ ، وتكفينه ، وحضور صلاة الجنارة عليه .

في فاس :

ازدهار المذهب المالكي في الدولة الزيدية :

واذا كان المذهب المالكي قد ازدهر في بلاد الفريقية والقيروان في القرن
الثالث الهجرى/٩ م ، فأغلب الظن أنه كان المذهب السائد في بلاد الإدارة،
وخاصة في عاصمتهم فاس ، وذلك بفضل سكان عدوتها الوافدين من كل من
قرطبة والقيروان . وإذا كان علماء فاس لم يحظوا بمثل كتب الطبقات التى
حظى بها علماء القيروان وقتئذ ، فإن كتب الطبقات الأندلسية أعتنت بتسجيل
سير كثير من علماء فاس ومناقبتهم ، وإن كان ذلك فيما بعد العصر الأندلسى .
وإذا كان المفهوم من الروايات الخاصة بقيام دولة الإدارة أن الإمام الأول كان
زيدي المذهب (٩٧) ، فإن الثابت تاريخيا هو أن الدولة العلوية الأندلسية

٢٤

(٩٥) انظر فيما سبق ، ص ٢١ .

(٩٦) انظر فيما سبق ، ص ١٤٤ .

(٩٧) انظر فيما سبق ، ص ١ . من الرجل الذى احتال الإمام ادريس الأول ، وكيفية

تحويله الى لاه كان من بعد البربر . ان - عدله من الهدى - لارى في رسالته عن جامع -

كانت سنية المذهب ، ولهذا السبب سماها ابن عذارى بالدولة الهاشمية -
تماماً كما هو الأمر بالنسبة لدولة الأشراف الأردنية الهاشمية ، حالياً .

وعن اعتداد الامام ادريس الأول بالسنة وبأن تكون فاس منارة لها ، قال
المتأخرون أنه عندما عزم على بناء مدينة فاس رفع يديه الى السماء ودعا قائلاً .
« اللهم اجعلها دار فقه وعلم يتلى بها كتابك ، وتقام بها حدودك ، واجعل
أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتهم » (٩٨) . ومن ذلك ما قيل من أن
كاتب الامام ادريس الثاني ، وهو أبو الحسن عبد الله بن مالك كان يلقب
بالمالكي الانصارى (٩٩) . وفي ذلك يذكر البكري أنه كان من جلساء الامام
يحيى بن ادريس (٣٠٨ هـ / ٩٢٠ م) الفقيه أبو أحمد الشافعي الذي كان يتكلم
عنده في العلم (١٠٠) .

أما عن تلمسان الادريسية فانها لم تزل على أيام البكري داراً للعلماء
المحدثين وحملت الرأي على مذهب مالك بن انس - رحمه الله (١٠١) . هذا ،
كما كان بنو صالح أمراء فكور قد نشروا في متعلقاتهم - فيما بين تلمسان
وطنجة - المذهب المالكي (١٠٢) .

= القرويين من انه اذا كان الامام مالك قد ناصر دعوة محمد بن عبد الله الذكي . فلم لا يدعو
الامام ادريس اليوم الى الاقتصار على مذهب مالك ، وهكذا جامهم بالموطأ فنشره بينهم . . .
الغ » (انظر جامع القرويين بفاس ، بالالة الكتانية ، ص ١٣٩) ، فهذا ما لا يزيد التصوص
الخاصة بالامام ادريس الاول ، وان كان بعضها يشير الى ان ذلك كان من أسباب ميل أمير
الأندلس عبد الرحمن الأوسط ثم ابنه هشام بعد سنة ١٧٠ هـ الى مذهب مالك وتشجيع
علماء الأندلس على دراسته ونشره في بلاده - انظر الجزائى زهرة الأس ، ص ١٥ ، وقارن
بغوى ، تاريخ المسلمين في إسبانيا (بالفرنسية) ، طبعة بروكسل ، ج ٢ ص ٢٨٧
والهامش .

ومن انتشار المذهب المالكي في المغرب الأقصى ، فيلهم من رواية الجزائى انه تم في
القرن الرابع الهجرى بفضل الفقيه « دواس بن اسماعيل » القاسي ، المعروف بأبي ميمونة
(زهرة الأس ، ص ١٤ ، ١٦) ، الذي كان قد درس في الاسكندرية حوالي سنة ٣٣٩ هـ على
يدى الفقيه علي بن أبي مطر (زهرة الأس ، ص ١٥) .

(٩٨) ابن القاسي ، جذوة الاقتباس ليعين حل من الاعلام بمدينة فاس ، طبع حجر .
ص ١٨ .

(٩٩) ابن القاسي ، جذوة الاقتباس ، ص ٧ .

(١٠٠) البكري ، ص ١٣٢ .

(١٠١) البكري ، ص ٧٧ .

(١٠٢) الكرى ، ص ٩٢ ، ٩٧ .

وهكذا يمكن القول أنه بفضل نشاط أمراء الإدارة ومن دار في فكهم من حكام الأقاليم ، أخذ الإسلام السنّي ، وخاصة على مذهب مالك بن أس - مذهب أهل الحجاز - في الانتشار في أقاليم المغرب الأقصى ، بين الريف والسهول ، وهي الأقاليم التي كانت بالأمس القريب أرضا خصبة لبذر نور مذهب الخوارج الصفرية ، والتي ظلت بيئة صالحة لنشأة عدد من المذاهب المحلية المنحرفة التي سماها الكتاب بالزندقة ، مثل : زندقة برعوطه ، في تامسنا ، وزندقة حاميم في بلاد الريف . فرغم أن بلاد تامسنا (الشاوية حاليا) كانت قد ضمت إلى المملكة الإدريسية على عهد الإمام الأول ، فان زندقتها ظهرت بقوة منذ سنة ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م على أيام يونس بن إلياس ، أي على أيام الإدارة واستمرت إلى أيام المرابطين والموحدين (١٠٢) ، بينما ظهرت زندقة حاميم في جبال تطوان في أواخر القرن الثالث الهجري / ٩ م الذي نتحدث عنه ، وإن لم يقدر لها البقاء ، إلا إلى نهاية صاحبها حاميم الذي قتلته في سنة ٣١٥ هـ / ٩٢٧ م عسكر عيد الرحمن الناصر صاحب الأندلس (١٠٤) .

وإذا كان صحيحا ما يراه جورج مارسيه ، من : أن كلاما من حركتي يونس ابن إلياس وحاميم بن من الله - بما قامتا به من تحريف للنصوص الإسلامية التي نقلت إلى اللهجات البربرية المحلية ، وما صاحب ذلك من ابتعاد عن تعاليم الإسلام - كانت تعبر عن معارضة المغاربة (البربر) لصنع البلاد بالصيغة الشرقية ، التي ستزدهر عندما يستقل المغرب عن المشرق (١٠٥) . وهو الأمر المقبول ، فإنه يعني أنه يكفي الإدارة فضلا أنهم اهتموا بنشر الإسلام السنّي الصحيح بين أهل البلاد المعتصمين بمواطنهم النائية . وتلك كانت القاعدة الصلبة التي شيدت عليها المملوكية صرحها العالي ، في المغرب الأقصى : في فاس على وجه الخصوص ، وفي القرويين بخاصة - لا يضير الإدارة أن يكون بناء المملوكية قد اكتمل بعد عصرهم ، ولا أن يكون قد شارك في إقامته فقهاء القرويين أو علماء الأندلس .

في تاهرت :

والى جانب الإدارة ، كان لأئمة تاهرت الإباضية نصيبهم في الزلا

-
- (١٠٣) أنظر البكري . ص ١٣٤ وما بعدها . الاستبصار . ص ١٦٨ وما بعدها .
ج - مارسيه بلاد البربر الإسلامية . ص ١٢٦ .
(١٠٤) أنظر البكري . ص ٩٠٠ . الاستبصار . ص ١٦١ - ١٦٢ . ج - مارسيه بلاد
البربر الإسلامية . ص ١٢٨ .
(١٠٥) بلاد البربر الإسلامية . ص ١٢٨

دعائم الاسلام بين قسائل المغرب الأوسط وصحراوا . المغرب الأقصى ، بمشاركة اخوتهم وأصحابهم المدرارين صفيرية سحرلماسة . ويكفي النظر في كتب السير المتنبية لشايخ الاباضية ، وخاصة سير مشايخ جبل نفوسة ، مثل كتب أبي زكريا والدرجيسي وأبي الريح الوسياني ، التي تظهر بشكل المنافس لكتب . أبي العرب والمالكي والدباغ في علماء القيروان ، لنرى الى أي حد عظيم ازدهرت مذاهب الخوارج الاباضية في طول بلاد المغرب وعرضها ، لا يقلل من ذلك ما أصابهم من انشقاقات أو خلافات كانت تعمل - في حقيقة الأمر - على إثراء الفكر الديني عن طريق جدية البحث عن حلول مقبولة لما كان يجد من مشاكل الحياة اليومية العارضة .

الأئمة : قادة قوة في العلم والعمل :

فالأئمة الرستميون كانوا المثل الطيبة والقُدوة الحسنة لأتباعهم وأبناء شعبهم ، في العلم وفي العمل جميعا ، على المستويين العام والخاص . فهم أئمة مجاهدون يمدون سيرة السلف الصالح قبل أن يكونوا حكاما ، ويقضون أوقاتهم ما بين العبادة والنظر فيما يورد بالخير على العباد والقضاء فيما ينجم بينهم من خصومات .

والإمامة عندهم هي الرئاسة الدينية التي تضع نصب عينيها تحقيق مصالح الرعية الأخروية والدنيوية . فالإمام هو القائد ، سواء في الصلاة أو الجهاد ، وفي كليهما لا يرجو الا ثواب ربه : فهو عابد متقشف ، متقلل من الدنيا ، ليس له منها ، فضلا عن مصحفه وأدوات حربه ، ألا ثيابه وفراشه . وهو يعمل بنفسه في قضاء حاجاته ، لا يعاونه في ذلك - حسبما تقضي الضرورة - الا بعض خدمه أو عبيده (١٦) .

ورغم ما وصف به الأئمة من العدل والعلم ، فهم لا يستغنون عن مشورة لشايخ من أهل العقد والحل ، لا ينقص من أهمية هذا الأمر ما ثار من النزاع بين الإمام عبد الوهاب وبين النكارية الذين أرادوا اشتراط ألا يقضى في أمر الا بعد مشوره . ورغم ما ظهروا به من التقشف والاقبال من الدنيا ، لقد سألوا مضرب المثل في الجود على المحتاجين والعطاء للعقراء ، وخاصة في أوقات شغل والشدة . أما عن تمسكهم بأهذاب الدين فتمثل ، أكثر ما تمثل ، في

(١٦) انظر فيما سبق ، ص ٣٠٣ من الإمام الأول عبد الرحمن بن رستم .

أمرهم بالمعروف - ، يهيم عن المنكر ، فكأنهم في تنسب هذا مبدأ افتريوا من المعتزلة الذين جعلوه أصلا من الأصول ، وأغاب الظن ان هذا كان من أسباب معرفة بعض فرقهم بالمعتزلة وبالواصلية (١٠٧) . وعلى الحملة كان الرستميون أصحاح تاهرت ، في نظر رعيته من أهل البرادى والصحراوات أئمة العدل القائمين بالحق .

مشايخ المذهب معلومون للشعب :

هكذا اختلفت صورة أئمة تاهرت عن صورة أئمة فاس : فبينما شرف الأدارسة بانتسابهم الى آلبيت العلوى العظيم ، علا شأن الرستميين بفضل تمسكهم بأهداب الدين وعملهم بتعاليم الكتاب والسنة ، وانتصارهم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فكان الدين حسبهم ، والعمل في سبيل الله سببهم ، مما جعلهم في نظر أتباعهم الأئمة المثاليين حقا . فابو الربيع الرستمي عندما يعرض لسيرة الشيخ أبى مسور يصلتن ، ويسجل رواية تنسب الى الشيخ وهو يقول فيها ناعيا : « عشت حتى لم أجد في الامام ما أريد ، ولا في نفسي ، ولا في الاولاد ، ولا في الاخوان ، ولا في القبيل ، قولوا للمسلمين بدعون على » يشكك في صحة هذه الرواية : على أساس أن أبا مسور كان يعيش زمان الامام عبد الوهاب . هذا ، ولو أن البعض رأى أن هذه الرواية متأخرة عن عهد أبى مسور وليست له (١٠٨) - فكانه من غير المقبول التقاد المجتمه المثالي أيام الأئمة .

ومثل الأئمة بالنسبة لمشايخ المذهب كمثل المشايخ بالنسبة لعامة الشعب ، فقد كانوا يجسدون المثل الأعلى للاباضية في الفترة التي تعالجها ، كما فيما بعدها من العصور - فقد كان المشايخ هم القدوة الحسنة لعامة الناس ، في العلم والجهاد والتجارة والزراعة ، وعلى الجملة في كل المعاملات ، تماما ، كما كان الحال بالنسبة لمشايخ القيروان .

اصول المذهب الاباضى وتطوره :

الهوية الاباضية والخوارج ومسمياتهم :

وفيما يتعلق بالحياة الروحية واصول المذهب ، فالمعروف أن الاباضية

(١٠٧) وانظر فيما سبق ، ص ٣٢٤ .
(١٠٨) كتاب السير ، المخطوط : ٢ - ب ، ١ - ج ، وعن ابو مسور بن قيس : ابو ذكريا

المخطوط ، ص ٢٥ - ب .

هي تاهرت كانوا قد طوروا أفكارهم حتى اقتربت من أفكار أهل السنة ، وبذلك لم يعودوا يجهون الانسحاب الى الحوارج الذين اعتنروهم من الصفرية ، وان لم يستنكفوا الانسحاب الى « المحكمة » (١٠٩) . أما عن التسميات التي أحصا أن يصغروا أنفسهم بها ، فهي : المسلمون ، والمؤمنون ، والموحدون ، وأهل الحق ، والعدل ، هل الاسلام . وبمناسبة الاشفاق الأول الذي حدث على عيد الامم ، عبد الزهراء فقد تسمى من بقي الى حائه « بالوهبية » ، في مقابل خصومهم الذي امكروا امامته ، فسماوا بالكنار ثم يأتي من انشق عنهم من الخلقية والنفائية ، كما رأينا (١١٠) ، ممن أطلقوا عليهم تسميات جارحة أخرى ، مثل : « المذبذبون » و « المخالفون » و « المحادعون » و « الحلالون » ، مما نجد في كتب السير .

اصول الوهبية المذهبية :

والذي يعهم من النظر في سير المشايخ - كما وى كتب الوسياني - وأقوال العلماء ومتاوى المعناء ان المذهب الاباضى الوهاى كان يتركز على عدد من الأصول والتقاليد ، المثلة في .

- ١ - القرآن الكريم ، رواية عبد الله بن مسعود .
- ٢ - الاحاديث النبوية والسنة ، رواية عبد الله بن عباس بصيغة خاصة .
- ٣ - أقوال الراشدين باستثناء عثمان بن عفان الذي وقعوا منه موقفا شديدا العداء (١١١) .
- ٤ - أقوال علماء المذهب الأوائل من أهل البصرة ، مثل : أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة .
- ٥ - مآثر أئمة تاهرت من الرستميين .
- ٦ - وأخيرا تأتي سير وأقوال مشايخ أهل الدعوة على طقاتهم ، فهم الذين يعرفون «مكتون العلم» الذي لا يقال لقوم جهال «(١١٢)» .

(١٠٩) الوسياني ، المخطوط ، ص ٤٢ - ب . وى اعتبار الحوارج من الصفرية أنظر ص ٤١ - ب .

(١١٠) أنظر فيما سبق ، ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٤٧٣ وغيرها .

(١١١) السير الوسياني ، ص ٤١ - ب .

(١١٢) السير للوسياني ، ص ٣ - ب .

- ٥٢٣ -

أفكارهم السياسية :

أما عن فكرهم السياسي وهو وثيق الصلة بالفكر الديني ، فقد كان يقوم على الأساس التالية :

١ - الاعتراف بإمامة أبي بكر وعمر ، وكذلك علي : وهو الأمر الغريب على الخوارج . ولا بأس في أن ننظر الى ذلك على أنه نوع من التقية التي لم يأخذوا بها الا في وقت متأخر ، كما يظهر في سير القرن الخامس والسادس (١١٣) . وذلك ان اباضية أواخر القرن الثالث الهجري / ٤٦٠ كانوا يقلون من علي موقفا معاديا مثل موقفهم من عثمان أو أكثر ، وهذا ما تنص عليه الروايات الخاصة بوقعة مانو (١١٤) .

٢ - رفض امامة عثمان رفضا باتا ، وعدم الاعتراف بإمامة علي أو القوف منها موقفا غامضا - على الأقل .

٣ - أئمة تاهرت هم النموذج المثالي لحكم الجماعة ، بصرف النظر عن آراء فرق المنشقين منهم .

٤ - حكم الأئمة أو حكم الجماعة ، بشكل أعم ، له ٤ (أربعة) أدوار ، هي :
(أ) حالة « الكتمان » أو « السكوت » ، وهي حالة التخفي والاعتزال ، والمثل لها « هو الأمر السابق الى النبي عليه السلام في مكة » .
وليس على الجماعة فيها « الأمر والنهي » ، ورئيس الجماعة في هذه الحالة يسمى « امام أحكام » (١١٥) .

(ب) حالة « الظهور » ، والمثل لها حين هاجر النبي الى المدينة (١١٦) ، وهي نفس حالة الرستميين بعد بناء تاهرت . هذا ولو أن بعض مشايخ جيل نفوسة كان يقول أن أهل الجبل في حالة ظهور بعد سقوط امامة تاهرت ، لأنهم غير مستخفين ولا مغفورين ، وهو الأمر الذي كان له معارضوه (١١٧) .

(١١٣) انظر الوسياني ، ص ٤١ - ب .

(١١٤) انظر فيسا ميق ، ص ١٤٢ .

(١١٥) انظر السير للوسياني ، ورقة ١٩ ف ، ٢٠ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٩٥ ، ١٣٦ ف .

(١١٦) السير للوسياني ، ص ١٩ - ب .

(١١٧) السير للوسياني ، ص ٧٠ - أ .

(ج) حجة 'الدفاع' ، مثل « دفاع أهل النهروان للراضى بحكم عمرو ابن عاص وعبد الله بن قيس بغير انابة الى الحق » ، ولا اجابة الى العدل ، ولا اقامة الى امرة ، مدافعوا الراكنين الى الديبسا والملة (١١٨) » .

(د) حالة 'الشراء' ؛ (١١٩) : والمفهوم أنها حالة جهاد ذوى الاهواء . وهى الأبر من حالات الجهاد - تبعا لتصنيفهم لطبقات الجهاد - عملا بمبدأ الأمر بالمعروف . وإذا كانت حالة 'الشراء' قريبة من حالة 'الدفاع' ، فأغلب الظن أن المقصود بالدفاع هو القتال لأغراض سياسية فى سبيل الحفاظ على كيان الجماعة ، وأن المقصود بالشراء هو الجهاد من أجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من الأعراض الدينية الأساسية المعروفة عندهم .

ويضيف فقهاء الإباضية ، فيما بعد سقوط امامة تاهرت الرستمية ، حالة خامسة هى :

(هـ) حالة 'النسابة' ، وهى قريبة من حالة الكتمان الأولى ، السابقة على حالة 'الظهور' ، وهى فى الحقيقة تعنى حالة تفسخ الجماعة واستحلالها ، وذلك 'لمضييع الناس القيام بالحق' (١٢٠) حتى لو كان فيهم الامام . وذلك حسبما روى عن الشيخ أبى مسوز يصر من أنه قال : « عشت حتى لم أحد فى الامام ما أريده » . ولا فى نفسى ، ولا فى الأولاد ، ولا فى الإخوان ، ولا فى القبيل . قولى للمسلمين يدعون على » (١٢١) ، مما يعبر عن عدم الرضاء عن سيرة الجماعة - جماعة أهل الحق - التى انحرفت عن تعاليم المنع ، ولم تعد تحقق الغرض من قيامها .

أعمال المشايخ من قواعد المذهب :

المثل الأخلاقية :

وفى سبيل تحقيق المحتج المثالى عمل مشايخ الاباضية - مثلهم مثل مشايخ

(١١٨) السج للوسيان ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١١٩) الوسيط ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١٢٠) السج للوسيان ، المخطوط ، ص ١٩ - ب .

(١٢١) الطريق ساق ، ص ٥١ .

«القيروان - على سيادة الأخلاق الفاضلة ، و سر الآداب الإسلامية ، انقاليد الحميدة في المعاملة بين الناس ، سواء في الحديث أو في تجنب الم رى ، ففي ذلك كان لهم أقوال ما ثورة ، مثل - « يدت الرجل ولا يقا » ، و يدهت الرجل ولا يتعري » (١٢٢) . هذه الآداب الاباضية كانت قد اكتسبت مراقتها منذ أيام الرستميين ولدينا المثل الرائع لذلك في نهاية قاضي جبل نفوسة سمروس بن فتح الذي أسر في وقعة مانو ، فرفض أن يطلب العفو ، ولم يخش التكنيل والتعذيب ، وكان كل ما طلبه من أسريه ألا يعرفه من سراويله بعد أن يقتلوه (١٢٢) . هذا ، وكان من آدابهم ذم البخل والحض على الجود ، وإخفاء الصدقة ، كما حرصوا على البعد عن الريبة فيما يتعلق بالمال والطعام . فقد كان من المتعارف عليه عندهم ان المال المريب يوقع الفتنة بين أبناء الجماعة (١٢٤) . وأن المتأخر المريبة تفسد الشراء في السوق لمدة ثلاثة أيام .

إجلال العلم وتقديسه :

علوم الدين :

ولقد حرص المجمع الاباضى على نشر العلم ، ليس بين الرجال فقط بل وبين النساء أيضا ، حتى بلغت بعض النساء درجة من العلم بحيث أصبحت أقوالهن من المأثورات المقررة عند أهل المذهب . وفي ذلك يقال ان بنت أبي مسور يصلتن ، معاصر الامام عبد الوهاب كانت تجادل والدها في العلم ، وكان مما أثار عنها أن أقوال المسلمين أفضل منهم . « لأن المسلمين يموتون . وتبقى أقوالهم وعلمهم ، وينتفع بها بعدهم . ومن جهة الجسم والعرض . الجسم أفضل ، ومن جهة الاسلام والعلم فالاسلام خير الخلق » (١٢٥) .

وإذا كان ذلك اهتمام مشايخ جبل نفوسة بالعلم ، فلا شك أن اهتمام أئمة تاهرت بالعلم كان أعظم . فالامام الأول عبد الرحمن بن رستم كان يقضى ليله ساهرا مع سراجة يقرأ العلم ويدون الكتب في المذهب . وبلغ اهتمام ابنه الامام عبد الوهاب بالعلم الى حد أنه كان لا يبخل في دفع الثمن الباهظ حتى شراء كتب المشايخ من المشرق ، رغم أنه لم يستغف منها الا بالقليل من

(١٢٢) الوسياني ، المخطوط ، ص ١٢٨ - ب .

(١٢٣) أسطر فيما سبق ، ص ٣٩١ ، الوسياني ، ص ٣ - ١ .

(١٢٤) الوسياني ، ص ٤ - ١ ، ٤ - ب ، ١٢ - ب ، ١٣ - ١ .

(١٢٥) الوسياني ، المخطوط ، ص ٦ - ب .

المسائل الحديدية التي كان يستطيع أن يدركها باحتياده وحده . ولقد بلغ حرص عبد الوهاب أيضا في الاطمئنان على تحصيل أسائه العلم ، بالقدر الذي يتناسب مع بيت الأئمة ، الى درجة أنه مع أنه أفلح من الدهاب الى جوحو للتجارة في بلاد السودان بعد أن امتحنه في مسائل الربا فغابت عنه مسألة واحدة منها (١٢٦) .

علم النجوم والحساب :

ولم يكن أئمة الرستمين متفقهين في أصول المذهب فقط ، بل كانوا على دراية تامة ببعض العلوم النافعة لأمور الحكم والدين ، مثل الحساب والنجوم . وفي ذلك يقال ان الامام أفلح بن عبد الوهاب كان لا يباريه في علم النجوم الا اخته التي كانت تسهر الليل معه في حساب ما سوف يدخل خزائنه من الأموال الواردة من أسواق تاهرت (١٢٧) .

وهكذا كانت تاهرت في المغرب الأوسط ، كما كانت القيروان في افريقية . مدينة العلوم . وفي ذلك يقال ان الشيعة الفواطم عندما استولوا على العاصمة الرستمية ، وجدوا بها مكتبة (برحا) مليئة بالمخطوطات التي لم يحفظوا منها الا بكتب سياسة الملك والحساب .

الخلاصة :

من هذا العرض الملخص للواقع السياسي والحضاري لبلاد المغرب في القرن الثالث الهجري ٩م . نرى في الفترة التي تمثل لب تاريخ ممالك الأغلبية والرستمين والادارسة ، يتضح الآتي :

١ - ان البلاد من أدناها الى أقصاها كانت تتقدم نحو عصر نهضة حقيقية ، على المستويين : المادى والفكرى .

٢ - ان مادة تلك النهضة الوليدة كانت مستجلبة من المشرق ، مهد العروبة والاسلام ومركز دولة الخلافة ، وذلك مع سيل الوافدين من هناك على الأسر الحاكمة المشرقية الأصل في بلاد القيروان وتاهرت وقاس ، حيث اتخذوا أوطانا جديدة ، أو مع المغاربة والأندلسيين المائدين الى بلادهم من المشرق ، من رحلة الحج أو طلب العلم .

(١٢٦) انظر فيما سبق ، ص ٢٩٨ .

(١٢٧) انظر فيما سبق ، ص ٣٢٨ .

- ٥٢٧ -

٣ - ان تلك النهضة المغربية وهى تتفتح فى دور الكوين ، كانت اشبه ما تكون بقبسيمساء مبرقشة تعبر - فى اختلاف أشكالها والوانها - عن كل المتناقضات التى عرفها المشرق ، وخاصة على مستوى الفكر الدينى والسياسى المناهض لدولة الخلافة .

٤ - ان ذلك الازدهار الفكرى كان ينمو بالتالى فى حضارة دول المغرب الكبرى الثلاث كنتيجة طبيعية لاستقلال تلك الدول عن الخلافة ، مما جعل حركة التطور تتقدم طرديا : مع زيادة الاستقلال ، وتبلور الشخصية الذاتية لكل قطر من تلك الأقطار .

٥ - كنتيجة عكسية لذلك الازدهار المعنوى فى كنف الاستقلال السياسى ، عانت دول المغرب من حركة التجدد الفكرى ذات الايقاع السريع ، وخاصة على المستويات الدينية السياسية ، وبدأت هى الأخرى تعاني من آفة التفتت والاققسام الداخلى التى فتت فى عضدها وهدت من قواها .

٦ - وبناء على ذلك تظهر الصورة السياسية الحضارية الحقيقية لبلاد المغرب فى أواخر القرن الثالث الهجرى / ٩م ، وهى تتطابق بشكل عجيب مع نظرية ابن خلدون الشهيرة فى العمران ، التى تقول أن الحضارة هى قمة العمران والمؤذنة بفساده وانها تنهد لاضمحلال الدول حتى تفسح المجال لدول جديدة ، تحل محلها (١٢٨) .

فكان الحضارة الناشئة التى لم تكن قد أخذت سماتها المميزة بعد ، لا ماديا ولا معنويا ، كانت قد استنفدت أغراضها بعد أن أخلت تتآكل ذاتيا ، بفضل الصراعات السياسية الداخلية التى أضطعت كلا من دول المغرب الثلاث . كما أن مراكز تلك الحضارة فى الريقية وفى المغرب الأوسط والأقصى كانت - رغم العمل الاحيالى الكبير الذى قامت به - قد أظهرت التناقض الواضح بين المترفين من أهلها وبين أهل الخشونة من سكان البوادر والصحراوات المحيطين بها ، ممن كانوا يتعلمون اليها بشئ من النهم ويحرسون بها الدوائر ، بشئ من نقاد الصبر . وهذا من نظريات ابن خلدون ، أيضا ، فى كيفية سقوط الدول وقيامها (١٢٩) .

(١٢٨) انظر المقدمة ، فصل فى انقراض الدولة من البداية الى الخاتمة .

(١٢٩) انظر المقدمة ، فصل فى حدوث الدولة وتبعها كيف يقع .

ومكنا يمكن القول انه اذا كان التفتت السياسى قد عمل على الازدهار الحضارى المحلى ، فان هذا الأخير قد أدى الى نوع من الانفصام بين الأسر الحاكمة وبين جماهير الرعية ، الأمر الذى أدى بحكم الطبيعة الى صراعات اقليمية وعصبية أبهكت كلا من الممالك الثلاث . فكان الموقف فى بلاد المغرب فى أواخر ذلك القرن الثالث الهجرى/٩ م كان يتطلب عملية تجديد فى هيكى البناء السياسى والحضارى ، وهى العملية التى قام بها الفاطميون بمعاونة قبائل كتامة ، أهل الجبال الأشداء ، والتى عجزت الأغالبة عن مواكبتها كما رأينا ، فكان من الطبيعى أن يمجز بالتالى كل من الرستميين والادارسة من الوقوف أمامها . ولذلك وقع على هاتق الفاطميين ، ابتداء من أوائل القرن الرابع/١٠ م ، العمل على تحقيق وحدة المغرب تحت راياتهم من جديد - وهو الأمر الذى سنحاول إيضاحه بشئ من التفصيل فى حديثنا عن الظروف التى أدت الى قيام دولة الفاطميين .

الفصل السابع

قيام الدولة الفاطمية
واجادة الوحدة إلى بلاد المغرب تحت رايات آل البيت
من الحسينيين

(٢٨٠ هـ / ٧٩٧ م - ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م)

نهاية الدول المستقلة الأولى وقيام الدولة الفاطمية :

صراع الأغلبة من أجل البقاء : « المطاولة » :

يعتبر قيام الدولة الفاطمية في بلاد كتامة جزءاً من تاريخ الدولة الأغلبية المتأخر . فلقد رأينا كيف أنفق أواخر أمراء الأغلبية الثلاثة ، وهم : إبراهيم (الثاني) بن أحمد وابنه أبو العباس ثم حفيده زيادة الله (الثالث) ، نشاطهم وأموال بلادهم في كفاح الداعية الفاطمية أبي عبد الله الشيعي ، وكيف انتهى ذلك الكفاح بعد حوالي اثنتي عشرة سنة ، من ٢٨٥ هـ / ٨٩٨ م إلى ٢٩٧ هـ / ٩٠٩ م ، بمثل الأغلبة ، وهروب زيادة الله الثالث نحو المشرق ، تاركاً عاصمته وقصوره مفتوحة على مصاريحها لاستقبال قوات الداعي الفاطمي المظفرة .

وفترة الاثنتي عشرة سنة هذه التي تحسب ضمن تاريخ الأغلبة (١) ، تدخل أيضاً في تاريخ قيام الدولة الفاطمية ، وهذا أمر طبيعي يحدث في فترة الصراع بين الدول المنهارة وبين القوى المناهضة لها . وهذه الحقبة الزمنية يطلق عليها آبن خلدون ، بالنسبة للدولة المستجدة ، مصطلح (المطاولة) بمعنى الصبر في الكفاح ، وهي تطول وتقتصر تبعاً لصبود كل من الطرفين

(١) انظر فيما سبق ، ص ١٢٦ وما بعدها .

المسارعي في حلبة القتال (٢) . ونظرية ابن خلدون في (المطاولة) تعني في حقيقة الأمر عدم وجود بواصل حديثة في التاريخ ، وهو الأمر المعروف : طالما أن الزمن هو مجرى الأحداث التاريخية ، وطالما كان الحدث التاريخي وليد تعامل عدد عديد من العوامل التي تتراوح في طبيعتها ما بين مادية ملموسة . ومعمولة ليس من السهل ادراك كنهها . وإذا كان من المعروف - في نظرنا - قيام الدول وسقوطها - أن الدولة الناشئة تبدأ حياتها ، مثلها مثل الأفراد ، وهي تحمل جراثيم ضعفا في ثبايا أسباب وجودها . يمكن القول أن فترة المطاولة هذه يجوز أن تطول على المستوى الداخلي إلى أكثر من زمن الصراع الفعلي الأخير من أجل البقاء .

وفي هذا المجال يمكن القول أنه رغم الانجازات السياسية والحضارية الكبيرة التي حققها الأغلبية ، فإن سلطانهم لم يجمع في أن يمد جذوره بصمت في أرض إفريقية . وربما كان الدليل القوي على ذلك أن الأغلبية لم يكونوا محبوبين في القيروان نفسها ، حيث واجهوا كثيرا من الانتعاضات ، حتى أنهم تركوا منذ وقت مبكر قصر ولاية إفريقية فيها ، وبنوا لأنفسهم - على بعد عدة كيلومترات نحو الجنوب - قصر العباسية ، قيل أن يبنوا على مسافة أبعد - قصور الرقادة . وفي مدينتهم الملكية الخاصة هذه أقاموا بعيدا عن الناس يحيط بهم حرسهم ، من : السودان ، والصقالبة ، وبعض المخلصين من العهد العربي ، فكان ذلك أشبه ما يكون بانعصال روجي بينهم وبين أهل العاصمة . أما عن الصراعات مع قبائل البربر ، ومع الجند العربي فإنه يدرج حقيقة في فترة (المطاولة) حيث كانت الدولة الأغلبية في بعض الأحيان قاب قوسين من الضياع أو أدنى .

والحقيقة هي أن قيام قبائل كتامة ، تحت رايات الداعي وباسم الميدي ، لم يكن أكثر من انتعاضة من تلك الانفاضات الكبيرة التي واجهتها الأغلبية ، لا يفرقها عنها إلا بعد أرض كتامة عن قاعدة ملك الأغلبية ، ثم التفاف الكتامين بعزم صادق ونية خالصة حول الداعي الذي أحسن تنظيمهم وتدريبهم عسكريا وروحيا ، في الوقت الذي بدأت أرض إفريقية تميد تحت أقدام زيادة الله الأخير وأهل دولته ، الأمر الذي توج الثورة الكتامية الفاطمية بالنجاح .

(٢) مقالة ابن خلدون ، فصل في أن الدولة المستعدة لنا تستول على الدولة المستقرة بالمطاولة لا بالمجازة . تطبيق على عبد الواحد ، الفصل ٥٠ ح ٢ ص ٨٧٣ وما بعدها .
وانظر محمد عبد الهادي شمسة في تاريخه لدولة المرابطين حيث طلق الطرفة باستاذية فذة .

نجاح الدعوة الفاطمية في أرض كتامة

جلور التشيع في المغرب :

بناء على ما تقدم يمكن القول انه اذا كان قيام الدولة الفاطمية في المغرب، سعوية قبائل كتامة ، يعتبر - على المستوى السياسي - أمرا من الأمور الدارجة، في البلاد التي حوت في القرن الثالث الهجري/٩ م ، ثلاثة دول مستقلة كبيرة الى جانب عدد عديد من الإمارات المحلية فإن نجاح الدعوة الفاطمية في المغرب، وقتئذ ، كان من الأحداث المستعربة حقاً . فذهب الفاطميين كان من مذاهب الشيعة الغلاة ، بينما كانت المذاهب السائدة في البلاد سنية خالصة تتراوح ما بين المالكية المشددة والاباضية المتعصبة ليس في بلاد القيروان وتاهرت فقط ، بل وفي بلاد الأدارسة العلويين أيضا .

ومما يريد في الأمر غزاية أن يربر كتامة ، في أحواز جبل أوراس ، أحد معاقل الخوارج شرق بلاد الجرائر حاليا ، كانوا اباضية ، ولكن على مذهب النكار الذين رفضوا استبداد أئمة تاهرت بالحكم ، ونادوا بالمشاورة في الأمر . وهو ما يناقض مع الفكرة الرئيسية لدى الشيعة الاسماعيلية ، ومنهم الفاطميون . التي تقول بعصمة الامام المهدي ، والتي تجعل من التشيع - سياسيا على الأقل - مذهب تسلط واستبداد .

وهكذا تنضج حقيقة أن المغرب كان أرضا صالحة لبذر بذور الدعوات المناهضة للخلافة ، كما كان ملجأ آمينا لكل الخارجين على الدولة ، سواء كانوا من الخوارج أو من الشيعة . حقيقة أن المذهب الخارجي الذي ازدهر في المغرب ، كما لم يردح في غيرها من البلاد ، ظهر في الفترة التي تعالجها وكأنه المذهب القومي لأهل البلاد من البربر ، ولكن نجاح المذهب الاسماعيلي ، المصناد له من حيث الأصول السياسية والدينية ، يدل على أن المسألة لم تكن مسألة الكار أو عقائد اختص المغاربة باعتناقها . فكان المغرب كانت له ميوله الانفصالية وآماله في الاستقلال عن دولة الخلافة ، وأنه كان من بين وسائله لتحقيق ذلك اعتناق المذاهب السياسية الدينية المناهضة للدولة ، لا فرق في ذلك بين المالكية المعتدلة أو الاباضية المتزمتة أو الشيعة الغالية .

بداية الدعاية الشيعية في كنف عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (ت ١٦١ هـ / ٧٧٨ م) في القريفة :

والحقيقة أن الشيعة وإن لم تحقق نجاحا كبيرا في المغرب حتى أواخر القرن الثالث الهجري/٩ م ، فابها. كانت قد بدأت دعائها في وقت مبكر ، ربما

مع بداية الدعوة الخارجية عقب أعمال القمع الشديدة التي قام بها الأمويون في المشرق . وان شاطئها كان قد وصل الى أقصى المغرب ، وحتى بلاد الأندلس . فبعد فترة لاضطرابات الخارجية في الفريقية التي أدت الى قيام الدويلات الخارجية في تاهرت وفي سجلماسة ، اضطربت نفوس الناس في المغرب ، وترددت ما بين الشك والتماؤل . يعبر عن ذلك من أقوال قاضي افريقية ، المحدث المؤرخ المعروف ، عبد الرحمن بن زياد بن أنعم (توفي سنة ١٦١ هـ / ٧٧٨ م) ، اذ يعبر عن القلق والاستسلام للأمر الواقع ، في قوله . « سينقطع الجياد من كل البلاد وسيعود الى افريقية (٣) » ، وهي المقالة التي ستتحوّل ، مع مرور الوقت الى حديث ينسب الى البعض الى النبي (٤) . وهو بعد ذلك يعبر عن الأمل في نهاية الاضطرابات ، كما نرى ، وحلول الأمن والسلام في ربوع البلاد ، عندما يعبر في الامام العادل الذي يشتر الأمن والرخاء ، وهي فكرة الامام المعصوم التي تبلورت حولها كل الأفكار السياسية الشيعية ، فيما بعد .

لتنسب الروايات الى نفس قاضي افريقية عبد الرحمن بن أنعم أنه كان يقول : « ولتضربن القبائل من الآفاق الى افريقية ، لعدل امامهم ، ورحص أسعاهم ، وفتح فيهم » ويستطرد النص فيقول ، ان ابن أنعم قال : « ان الامام الذي ينشر العدل بافريقية يليهم سعا وثلاثين سنة » ، مما كان موضوع جدل الكتاب فيما بعد . اذ قال البعض . ان ذلك الامام العادل يلي افريقية ثلاثا وعشرين سنة (٥) - وكان العائل محقق تاريخي .

بداية الدعاية الشيعية في المغرب الأقصى :

هكذا تكون فكرة المهدي المنتظر قد ظهرت في افريقية ، أول ما ظهرت ، في شكل سني ، فكانت تمهيدا لظهورها في شكلها الحالي ليس في افريقية فقط ، بل وفي أقصى المغرب . ففي بلاد السوس الأقصى ، في منطقة نفيس - حيث بنى عقبة بن نافع أول مسجد ظل مصونا مكرما ، كما يقال ، الى أيام البكري (٦) ، وحيث استقر فرع من فروع الادارسة (٧) - نزل رجل من أهل مدينة نفطة من قسطليلية من بلاد الزاب ، اسمه محمد بن ورستد ، عند قبيل من

(٣) أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٦ .

(٤) انظر كتاب الاستبصار ، ص ١١٢ .

(٥) انظر أبو العرب ، طبقات علماء افريقية ، ص ٦ .

(٦) البكري ، ص ٦٣ .

(٧) البكري ، ص ١٦٠ .

البربر يعرفون ببسبى لماس ، وذلك قبل دخول أبى عبد الله الشيعى افريقية . ودعا هذا الرجل هؤلاء البربر الى سب الصحابة ، كما يقول البكرى ، وأحل لهم المحرمات ، ورعم أن الرنا بيع من البيوخ ، ورادهم فى الأداى ، بعد أشهد أن محمدا رسول الله . أشهد أن محمدا خير البشر ثم بعد حى على الفلاح ، حى على خير العمل ، آل محمد خير البرية .

ويسطرّد البكرى فيقول ، اهتم على مذهب هذا الرجل الى ايامه . ولكنه بضيف أنهم يعتقدون أن الامامة فى ولد احسن ، لا فى ولد الحسين . ولما كان أمير الجبهة ادريسيا ، هو ادريس بن محمد بن حمفر ، فان الجغرافى الادلسى . يقول : « فان صح الحديث الذى ذكرنا ، فانه المراد به هؤلاء (أى الادارسة) . والله اعلم » (٨) .

الدعاية الشيعية فى تخوم افريقية والمغرب الأوسط :

وأغلب الظن أن البكرى وقع على بعض كتب الشيعة الفاطميين ، مثل كتاب افتتاح الدعوة للقاضى النعمان الذى يؤرخ للدعاية لفاطمية قبل أبى عبد الله الداعى ، فيقول ان الامام جعفر الصادق كان قد أرسل الى المغرب فى سنة ١٤٥ هـ / ٧٦١ م داعيين من رجاله ، هما : أبو سفيان ، والحلوانى ، « وأمرهما أن يبسطا ظاهر علم الأئمة من آل محمد » ، وأن أبا سفيان نزل بمراجنة وأنه صاحب الفصل فى تشيع من تشيع من أهل مرجانة (قرب الحدود الشرقية للجزائر) والاربس (قريب القيروان) ونقطة (فى بلاد الجريد) (٩) . أما الحلواني فنزل فى سوجمار فى جبال بجاية ، وعلى يديه شيع كثير من قائل كتامة وبرة وسماتة (١٠) . قبل أبى عبد الله بـ ١٣٥ سنة . وذلك لم يكن من الغريب أن يتأثر قاضى افريقية ابن أنعم ، الذى كان معاصرا لابی سفيان والحلوانى ، بفكرة المهدي المنتظر التى كانا يدعوان اليها سرا ، فتظهر بين فقيهاء أهل السنة فى القيروان نفسها ، كما لم يكن من الغريب أن تنتشر فى المغرب الأقصى قبل ظهور أبى عبد الله ، كما ينص البكرى .

(٨) البكرى ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٩) افتتاح الدعوة ، ص ٥٥ ، وأطر الهامش ، وتاون الاستيصاد ، ص ٢٠٣ .

المقرئى ، أتماط الحميا ، ج ١ ص ٤١ والهامش ، ص ٥٠ .

(١٠) افتتاح الدعوة ، ص ٥٧ ، وتصنيف رواية النعمان الى ذلك (ص ٥٨) . إن الحلواني

كان يقول : بعثت أنا وأبو سفيان فليل لنا : ادعيا الى المغرب فاسا تالين أرضا فأحرلها وأكرهاها وذلك الى ان نأتهما صاحب المدر ليجهدا ملالة ليبرز حه ليا .

رئيس من الغريب أن يكون أمراء الإدارة ، في هذه الجهات ، قد استغلوا تشييع البربر هناك لآل البيت واعتناقهم للمذهب الاسماعيلي ، تحولوا هذا التشييع أن صالحيهم وقالوا أن الإمامة في ولد الحسن ، لكي يشتوا مركزهم الذي كان قد عززه الفاطميون .

ومعنا ، فإذا كان نجاح الشيعة الفاطمية في المغرب يمثل نقلة عنيفة على المستوى المذهبي ، فمن المقبول أن يكون ذلك النجاح قد سبق التشييع له برمن طويل .

وإذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن نعطى هذه الدعاية الشيعة السابقة على قيام الدولة الفاطمية أكبر من حجمها الحقيقي ، فقد كانت لا جنة في المناطق المعزلة البعيدة ، كما كانت تستر حنية في دوائر أهل السنة ، تماما كما كانت نشأة الدعاية الخارجية في بداية أمرها في القيروان (١١) . ولكنه إذا كانت الخارجية قد لاقت من النجاح ما جعلها مذهباً قومياً في المغرب ، فإن الشيعة الفاطمية وجدت ، في مقابل ذلك ، أن بقاها في المغرب مؤزقت ولا شك . وبناء على ذلك فإنها وجبت أنطازها نحو المشرق ، إلى أن نجحت في النقلة إلى مصر . وكما كان قيام الفاطميين في المغرب حدثاً حطيراً في تاريخه ، كان انتقالهم إلى مصر حدثاً لا يقل خطورة بالنسبة للمغرب أيضاً . إذ ترقبت عنبة نتائج سياسية واقتصادية بشرية تردد صداها حتى المغرب الأقصى . ولكن ذلك اعتبر الكتاب قيام دولة الفاطميين نقطة تحول حاسمة في تاريخ أفريقيا الشمالية ، مما دعا جورج مازسيه إلى تسميتها بالأزمة الفاطمية (١٢) .

الفاطميون ، نسبهم وشي. عن مذهبهم :

التسمية:

ينتسب الفاطميون إلى فاطمة الزهراء بنت الرسول وزوج علي بن أبي طالب ، ومن اسمها اتخذوا لقبهم . وبناء على ذلك فهم شيعة عليون، ولكنهم عندما انتسبوا إلى فاطمة أرادوا أن يؤكدوا شرعية وراثتهم لخلافة النبي، على

(١١) وهنا نشير إلى أنه لا يجب أن نزيد مأخذ الجد مقالة اللغوي المصان التي تسجل أن إبراهيم بن أحمد كان لا يرغب في قتال أبي عبد الله الداعي لأنه كان يتشييع وكثير من أهل بيته في نظر فطما سبق: من ١٤٦ وما ٤٧٣ .
(١٢) ملاد البربر الإسلامة - من ١٣٢ وما بعدها

عكس غيرهم من العلويين الذين ينتسبون الى علي ولكن من راحة احدي غير فاطمة ، مثل محمد بن الحنفية صاحب الشبهة الكيسانية . كذلك اراد الفاطميون أن يحددوا وراثه الخلافة في هذا الفرع الفاطمي السوي في مقابل من ارادوا أن تكون الخلافة مشاعة في آل السبي ، ومن ثم تصبح من حق أقرب الرجال الى النبي ، وذلك كما فعل العباسيون عندما بدأوا دعوتهم للرضا من آل محمد ثم استخلصوا الخلافة لأنفسهم ، باعتبارهم حفدة العباس ، عم النبي وأحق الناس بوراثة تركته ، لا ينافسهم في ذلك العلويون ، حفدة ابن العم .

والغريب في أمر التسمية أن مؤسسي دولة كتامة العلوية الشيعية لم يكونوا أول من تلقب بلقب الفاطميين ، فلقد سبقهم الى حمل اللقب أحمد الأدياء من نوار البربر في اقليم شننبرية بوادي الحجاره في الأندلس فيما بين سنة ١٥١ هـ / ٧٦٨ م و ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م على عهد عبد الرحمن بن معاوية الداخل . فلقد اراد الرجل الذي كان يسمى بـ « شقيا » ، والذي عرف بمراقبة نسبه في البربر ، أن يعطي لثورته نوعا من الشرعية فاستقل كون اسم والدته فاطمة ونادي ، بين أعوانه ، بأنه فاطمي علوي ، ولهذا السبب سماه الكتاب بـ « الدعي الفاطمي » (١٢) .

هذا ، كما ظهر اسم الفاطميين بين قرامطة الشام في نفس الوقت الذي كان يدعو فيه أبو عبد الله الشيعي للإمام المهدي ، وذلك عندما تسمى به سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠٢ م جماعة من بني الأصبح اثر انضمامهم الى حركة القرمطي زكرويه ابن مهرويه (١٤) .

أصول التشيع :

والحقيقة ان أصول الشيعية الرئيسية سياسية بشكل عام ، والأساس الشيعي في السياسة هو مبدأ شرعية الحكم . فعلى وبنوه هم الخلفاء حقا . أو الأئمة بوجه أصح ، أما غيرهم فمفتصبون . وذلك أن الامام - عندهم - هو وريث بعثة النبي ، ويتم تعيينه بتوجيه الهى عن طريق وصية سرية تنتقل

(١٢) انظر ليلي برونسفال ، تاريخ اسبانيا الاسلامية ، الفرنسية : ج ١ ص ١٢٢ .

من امام الى امام ، وهؤلاء الأئمة معصومون (من الخطأ) (١٥) . وماء على ذلك جمعت الشيعة مبدأ الوراثة الملكي ، ومبدأ النبوة مما ترتب عليه أن أصبح وجود الامام ضروريا لكل زمان ومكان (١٦) .

ولما كان التشيع موضع أسطهاد الخلافة فقد أصبحت له حياة مستترة عمت على عدم الكشف عن معتقده ، والتسامح في عدم تعيد تعاليمه في وقت الخطر ، وهذا ما عرف بـ « النعية » . ومع مرور الوقت أصبحت السقية ، مثل الكتمان الذي رأياه عند الحوارج من الاباضية (١٧) ، من أهم سمات فرق الشيعة العلاء (١٨) . ولما كان وجود الامام ضروريا لكل زمان ومكان فان

(١٥) أنظر السمان بن محمد ، دعائم الاسلام ، تحقيق آصف فيض ، القاهرة ١٩٦٢ . حيث يمرض رأى الطائيفين في الإمامة ، فيسند آراء أهل السنة والمرجئة والمعتزلة والخوارج المبينة على مبدأ الاحيار ، الذي يجعل من أهل الاختيار هم الأئمة على طاهر هذا المعنى (ص ٤٠) . ويقول ان الإمامة يجب أن تكون « بالعرض والبرزخ » . تسامحا كالنبوة التي انقلبت بالنسبة من آدم الى نوح حتى عيسى ومحمد . بكل نبي مسمى قد أوصى الى وصى يقوم بأمر أمته من بعده . ثم يصيغ أن الناس أحرار ما كانوا الى الأوصياء والأئمة لارتفاع الوصي وانقطاع النبوة (ص ٤٣) . وأول الهداة بعد النبي هو علي بن أبي طالب ثم الأوصياء من بعده ، واحد بعد واحد (ص ٢٢) .

(١٦) أنظر السمان بن محمد ، دعائم الاسلام . حيث نجد أن « معرفة ائمة الزمان والتصديق به والتسليم لامره » أصبح أصلا من أصول الايمان (ص ٤) ، وإن ولاية علي ابن أبي طالب تعتبر « آخر الفرائض » (ص ١٥) ، وإن الأئمة بعده هم آل البيت الذين يؤدي الأول منهم الى الامام الذي يكون بعده الكتب والعلم والسلاح (ص ٢٠ - ٢١) . وإن عليا والأوصياء من ولده هم أعراف الله بين الجنة والبار ، لا يدخل الجنة الا من عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار الا من أنكرهم وأنكروه (ص ٢٥) . وهكذا ملأ « آل الرجل حمل أعمال الخير كلها ، وصام دهره وقام ليله ، وأبقى ماله في سبيل الله . وعمل بجميع طاعات الله عز وجل عمره كله ، ولم يعرف ببيه الذي جاء تلك الفرائض ، فيؤمن به ويستدقه ، وإمام عصره الذي افترض الله عز وجل عليه طاعته بطبيعته . لم يلفه الله بشيء من عمله » (ص ٥٣ - ٥٤) . وماء على كل ذلك « من مات لا يعرف امام دهره حيا ، مات ميتة جاهلية » ، كما رووا عن النبي (ص ٢٥) . وأنظر صري حاشية ، الاسلام (بالفرنسية) ، مجموعة ارمان كولان ، باريس ١٩٤٥ ، ص ١٥١ .

(١٧) أنظر فيما سبق ، ص ٥٢٢ .

(١٨) أنظر السمان بن محمد ، دعائم الاسلام ، حيث يقول حنبل الصادق لبعض اصحابه : « اكنتم سرنا ولا تدعوه ، فانه من كنتم سرنا فلم يدعه ، أمره الله به في الدنيا والآخرة . ومن أذاع سرنا ولم يكتفه ، أذله الله به في الدنيا والآخرة ، ونزع الدور من بين عيبيه » (ص ٥٩) . وفي ذلك يتنسب الصادق الى والده محمد بن علي أنه كان يقول « ان التوبة من ديني ودين آتائي . ولا دين لمن لا توبة له ، وإن الله يحب أن يصدق في السر ، كما يحب أن يعبد في العلانية ، والمدين لأمرنا كالحاحه له » (نفس الصفحة) .

آخر الأئمة لم يمت ، كما يرون ، بل هو غائب ، وينبغي أن يعود في يوم ما ، وهذا ما يعرف عندهم بـ « الغيبة » و بـ « الرجعة » (١٩) . ففكر عودة الإمام هي التي تمحضت عن الحركات المهدية ، إذ أصبح « المهدي » الذي يملأ الدنيا عدلا ، قبيل آخر الزمان ، هو أحد افراد البيت العلوي وسليل فاطمة ، وهو « المنتظر » . وعلى أساس هذه الأصول الشيعية أقام المهدي عبيد الله دولته الفاطمية في المغرب ..

النشيع الفاطمي الاسماعيلي :

وحقيقة المذهب الفاطمي انه من مذاهب الشيعة الغلاة ، أي الذين يخلعون على الإمام صفات الهية ، تضعه فوق مستوى البشر . فهم يقولون ان روح الله تحل في الأئمة حلولا شبه كلي ، وذلك على عكس جمهرة الشيعة الإمامية الذين يقولون بأن هذا الحلول جزئي ، أو المعتدلين من الزيدية الذين يقولون بأن الإمام لا يتمتع الا بتوجيه الهى فقط . ولهذا رأى الآخرون أن الإمامة . بعد امامهم الخامس زيد بن علي زين العابدين بن الحسين ، تجوز لاي علوي - وهو المبدأ الذي سبأخذ به الحسينيون من العلويين بعد أن استأثر أشقاؤهم الحسينيون بالأحقية في الإمامة (٢٠) .

والفاطيون فرقة من فرق الشيعة الاسماعيلية - مثلهم مثل القرامطة والحشاشين - الذين يتسككون بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، وهو السابع في سلسلة الأئمة ، ولهذا عرفوا أيضا بـ « السبعية » . وهم يقولون في ذلك أن الإمام اسماعيل يختم قائمة الأئمة الشرعيين الظاهرين ، وذلك على عكس غالبية الشيعة الإمامية الذي يضعون مكان اسماعيل أخاه الأصغر موسى الكاظم ثم خمسة من الأئمة الظاهرين بعده ، آخرهم محمد بن الحسن ابن علي العسكري ، فهو الإمام الثاني عشر ، ولهذا تعرف الإمامية أيضا

(١٩) انظر ابن خلدون ، المقدمة ، فصل ٢٧ - مذاهب الشيعة ، في حكم الإمامة ، ج ٢

ص ٧٠٠ - ٧٠١ ، ماسيه ، الاسلام من ١٥٣ .

(٢٠) وفي أحقية الحسينيين من الفاطميين في الإمامة دون الحسينيين ، يقول النعمان ابن محمد : « فكان الحسن أسبق من الحسين ، ثم نقل الله عز وجل الإمامة إلى ولد الحسين ، كما نقل النبوة من ولد اسحق إلى ولد اسماعيل ، وعليهم إجماع الأمة بالشهادة لهم ، وإنما حازية ليهم ، ولم يحسوا بمثل هذه الشهادة لأحد سواهم » (دعاء الاسلام ، ص ٣٥ - ٣٦) . ومن ثانوية حروج الإمامة من ولد الحسين إلى ولد الحسن ، على أساس الله ما كان يجوز للحسين : « أن يردوا إلى ولد أخيه دون ولده » ، لأن ولده أقرب إليه رحما من ولد أخيه (انظر ص ٢٧) .

٠ ، ألاماً عشريه ، ٠ والامام الثاني عشر الذي تغيب في سرداب دارهم بسامرا (سنة ٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) هو المهدي عدهم ، وهو الامام المنتظر (٢١) ٠ وهي النظرية التي عدلها أحد متكلميهم وهو الموبختي ، بحيث تصبح أكثر مطعية ، فجعل المهدي المنتظر من سلالة الامام الثاني عشر وليس هو نفسه (٢٢)

العلاقة بالدرامطة :

وسبب توقف الاسماعيلية عند الامام السابع ، وانكارهم الأئمة الخمسة الياقين ، هو ما حدث حوالي سنة ١٤٣ هـ / ٧٦٠ م عندما وجد الامام السادس جعفر الصادق ان ابنه الأكبر اسماعيل غير جدير بالامامة فأوصى بها لابنه الأصغر موسى الكاظم ، فلم يقبل اتباع اسماعيل خلعه ، وظلوا مخلصين له رغم ذبوع وفاته (٢٣) ، كما قام الدعاة منهم بنشر الدعوة لحساب أبنائه الذين انتشروا في بلاد فارس والشام ٠ ولقد ظل نشاط الاسماعيلية خلال فروع من الرمان دينياً فقط ، ولكن أحد الدعاة تمكن من توجيهه نحو أغراض سياسية ، وعن هذا الطريق تمكن الداعي قرمط (٢٤) من أن يجمع حوله جماعات من العمال والفلاحين في أسفل العراق ممن كانوا قد شاركوا في ثورة الزنج (٢٥٥ هـ / ٨٦٨ م - ٢٧٠ هـ / ٨٨٣ م) ، واسفل طموحهم نحو المساواة التي كانوا يطالبون بها ، ونظمهم - باسم الامام المستور - في طنقات من أهل المعرفة (٢٥) ٠ ونجحت الحركة وانتشرت من العراق إلى جزيرة العرب ، وانعلبت

(٢١) أنظر ابن خلدون ، المقدمة - فصل ٢٧ - في مذاهب الشيعة ٠٠٠ ، ج ٢ ص ٧٠١ .
(٢٢) أنظر ابن النديم ، الفهرست ، فصل متكلمي الشيعة ، ط٠ التحاريري ، ص ٢٦٥ .
(٢٣) كانوا يدعون إلى الامام محمد بن اسماعيل بن جعفر ، وأنه حي لم يموت - انعطاف الحنفا ، ج ١ ص ٢٩ ٠

(٢٤) راسه حماد بن الأشعث ، أما هي لقبه قرمط فليل لأنه كان قرمط في سيره إلى بغداد بين خطراته ، وقيل لأنه كان أحمر البشرة تشبهاً له بالقرمذ أي الطوب الأحمر ، كما قيل ان الاسم مشتق من التدليس (نهو المدلس) ، وهو أصل الكلمة الآرامية (أنظر المقرئ ، انعطاف الحنفا ، ص ٢٩) ٠ هذا ، ويورد ابن الأثير رأياً يقول ان أصل هذا الاسم هم اسم رجل بطل كان قد لجأ إليه الداعي في الشام وهو « كرميتة » التي حلفت إلى قرمط (ابن الأثير ، سنة ٢٧٨ ، ج ٧ ص ١٧٨) ٠

(٢٥) ماسيه ، الاسلام ، ص ١٥٧ ٠ وفي درجات المعرفة ، أنظر ما يقوله القاضي للزمان في دعائم الاسلام ، في فصل ذكر الايمان ، حيث يقول : ان الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل ، فمنه التام المنتهى تمامه ، ومنه البين نقصانه ، ومنه الراجع رجحانه ، كما يقول ان : لايماناً مقسم على الحوائج ، مثل القلب واللسان والعينين واليدين والرجلين وغيرهما (ص ٤) ٠ وتقام الايمان يدخل المؤمن الحق ، ويرجحاه والبرادة فيه يفاضل ٠

حزنيا الى نوع من الشيوعية البدائية ، انتهت بأعمال متعطّفة عجا بما ، كما حدث عندما أغاروا على مكة وأخذوا الحجر الأسود الى هــبر ، الأسماء ، في موسم سنة ٣١٧هـ/ ٩٢٨ م ، ولم يصيدوه إلا بعد أن تدخل امام الفاطميين .
لبي ابريقية عبيد الله المهدي الذي أنكر عليهم ما فعلوه (٢٦) .

هكذا كانت العلاقة وثيقة بين الفاطميين وبين القرامطة ، وإن كان الفاطميون قد رفضوا استغلال القرامطة لمذهب الامام المكتوم من أجل ثورتهم الاجتماعية .
بأنهم استعادوا من الدعاية القرمطية من أجل تحقيق أهدافهم السياسية (٢٧) .
فبينما كان قرمط يدعو في العراق الى مذهب الامام المستور ، كان هناك داع آخر في المغرب الأوسط يثير حماس بربر كتامة باسم المهدي الفاطمي . هو :
أبو عبد الله الشيعي .

الكتمان وظهور الأدياء :

والذي يستحق الملاحظة هنا هو أن مطالبة الشيعة بأن تكون الامامة أي .
الخلافه في آل البيت من العلويين ثم التجاؤهم الى ستر الامام وكتمان العقيدة ،
كل ذلك ، كان سببا في دخول كثير من المخامرين والأدياء في المذهب ، ومنهم من انحرف
من أنتهز الفرصة فعلا ونجح في استغلال الدعوة لصالحه ، ومنهم من انحرف
من مبادئ المذهب أو حرفها مما جلب النقمة والسخط على الأئمة (٢٨) .

= المؤمنون في الدرجات عند الله . (ص ٩) . وفي الفرق ما بين الايمان والاسلام يقول :
الاسلام هو الظاهر ، والايمان هو الباطن الخالص في القلب (ص ١٢) . والاسلام هو الاقرار
من العبد بربنا الايمان اشمل فهو الاقرار والمعرفة الى من الله (ص ١٣) . والمعرفة
من الله حجة ومة ومنة ، فمن لم يجعله الله عارفا فلا حجة عليه . ومن على من أي طالب :
« أدبي ما يكون (المراد) مؤمنا ان يعرفه الله حقيقته في أرضه وشاهدته على حلقه فيعتقد اعلته .
فيقر له بالعبادة » (ص ١٣) . فكانه معرفة الامام من درجات المعرفة العالية .
(٢٦) انظر ابن الاثير ، سنة ٣١٧ ، ط . بولاق ، ج ٨ ص ٧٧ .

(٢٧) عن الصلة بين الحسين الأحمدي ، أحد مشاهير الدعاة لمذهب محمد بن اسماعيل
ابن جعفر الصادق وبين حمدان قرمط الذي استجاب لدعوته ، انظر القرطبي ، انطاط الحنابلة ،
ص ٢٩ ، ٣٠ . وعن القرامطة انظر (ط ١٦٦٧ ، ص ١٥١ وما بعدها) . وعن الصراع
بين القرامطة وبين الفاطميين على أيام المزم وكيف قدح القرامطة في نسب الفاطميين فقالوا
أنهم أولاد القديح - انظر ابن تفرى بردى ، النجوم الزاهرة ، سنة ٣٦٢ ج ٤ ص ٧٤٠ .
(٢٨) انظر النعمان بن محمد الذي ينص على دعائه الاسلام لصله بإمام فليس
اولئك الذين صلوا ومرتقوا وعلكوا . من أهل هذا الأمر . من استحلوا المحارم وادعوا النبوة
والهوا الأئمة فقالوا سخطهم والبراءة منهم (ص ٤٨ وما بعدها) . وفي ذلك ينسب الى أبي =

الجدل حول صحة النسب :

وإذا كان الأمر كذلك فليس من المستغرب أن تكون صحة نسب الفاطميين أنفسهم موضع شك أثار الكثير من الجدل بين الكتاب ، حتى قال بعضهم أنهم أصلاً من المجوس أو الثنوية (٢٩) . ومن الطاعنين من يقول بأنهم يهود أصلاً ، على رغم أن سعيداً (المهدي) كان في الحقيقة ابناً لحداد يهودي من أهل سلية من منطقة حمص ، وأن الحسين بن أحمد الذي تزوج أمه ، عندما استقر في سلية ، أثر قراره من العراق ، ربه وأدبه . ولما لم يكن للحسين ولد فانه عهد إلى ابن أمراته سعيد هذا (٢٠) ، فكان الفاطميين جمعوا بين المجوسية واليهودية جميعاً . ولقد وجد هذا الطعن آذاناً صاغية من العباسيين في بغداد ، والأمويين في الأندلس فعملوا على إذاخته ونشره في طول بلادهم وعرضها ، وذلك كسلاح حاولوا النيل به من خصومهم الفاطميين ، ومواجهة دعوة الأمام المعصوم التي كانت قد استهوت قلوب الكثيرين ممن

حفظ محمد بن علي قوله . « رحم الله هذا حساً إلى الناس ولم يسمنا اليهم ، أما والله لو يروون هذا ما نقوله ولا يعرفونه ولا يدلو به علينا برأيهم ما استطاع أحد أن يتعلق عليهم بشيء ، ولكن أهدم يسبح الكلمة فيبطل اليها عنراً ويتأولها على ما يراه . » (ص ٦١) .

(٢٩) أنظر آراء الطاعنين في نسب الفاطميين وكيف يذكرون أنهم أصلاً من مجوس فارس الذين ينتسبون إلى ديصك الثوري والديميون العداج جدهم ، وأنهم ادعوا الانتساب إلى والده محمد بن اسماعيل الإمام ، كما ادعوا أنهم من ولد عقيل بن أبي طالب وأصحاب هذا الرأي يقولون أن عبيد الله المهدي ، هو بن حقيقة سبه . سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله ابن ميمون العداج بن ديصك الثوري الأحرزي . المقرئ ، أضاف الحنفا ، ط . القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٢٢ - ٢٣ ، ص ٣٧ - ٣٨ (عن النسب اليهودي) ، ص ٤١ (عن النسب إلى ولد عقيل) ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٣٩٦ هـ ، وأنظر ابن كثر ، روى ، الجرم الزاهرة ، سنة ٣٦٢ هـ ، ج ٤ ص ٧٨ وما بعدها . وقارن الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٩٠ : حيث الرواية الأدلسية المنسوبة إلى مؤرخ الأندلس الرازي ، وفيها أن عبيد الله هو بن محمد بن عبيد الرحمن بن البصري ، من سلية ، وهي نفس التسمية التي يطلقها عليه الطبري . « ابن البصري » - نأخر أنها نفس التسمية التي أطلقها عليه صاحب تاريخ بغداد (أنظر الحلة السيرة ، ج ١ ص ١٩٠ وما ٤ ، ص ٢٩٢) . وأنظر الفصل الخاص برأي الطاعنين في صحة النسب تاريخ الدولة الفاطمية ، لحسن إبراهيم حسني ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٥٩ بعدما .

(٣٠) أضاف الحنفا ، ط . ١٩٦٧ ، ص ٤٢ ، وقارن النجوم الزاهرة ، ج ٤ ص ٧٩

ما بعد (ما قيل في نسب الخلفاء وآلهم) -

تأقت نفوسهم الى زوال عهد الجور وحلوله عهد العدل الموعد (٢١) -

ومع أننا لا نميل الى الدخول في ذلك الجدل الذي أورده ابن الأثير ووقفه
بجانبه موقف المتأمل المتعاطف مع صحة النسب ، نكتفي بالإشارة الى أن الشيعة
أنفسهم ، ممن اعترفوا بصحة نسب الفاطميين ، اختلفوا في تسلسل هذا
النسب (٢٢) . والواضح أن مثل هذا الجدل لا طائل وراءه ، ولذا فنحن نفضل
الأخذ بنظرية ابن خلدون الذي يتحرج ، رغم سنيته المالكية المعروفة ، من جرح
زعماء الأمة وأعلامها التاريخيين حتى من أولئك الذين زعموا العصمة والهداية ،
ويحكم بعدالتهم . فالذي نراه أن ابن خلدون وإن كان قد ساق ، في معرض
الدفاع عنهم ، بعض الأدلة أو القرائن التي ليست فوق مستوى النقد ، فهو
يريد ، في الحقيقة ، أن يقرر أن نجاح الدعوة - وهو الأمر الواقع باذن الله -
يمنى الكفاية والعدالة ، وبالتالي صحة النسب (٢٣) .

(٢١) عن جمع عهد الدولة البويهية سنة ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م - ٣٧٢ هـ / ٩٨٢ م للعلايين
في بغداد وتوقيعهم على أن المزمع لدين الله ليس منهم ، أي ليس علويًا ، أنظر المقرئ ،
اتماط الحنفا ، ١٦٦٧ . ج ١ ص ٣٠ . وعن المحضر السياسي الأول الذي كتب في بغداد سنة
٤٠٢ هـ / ١٠١١ م على عهد الحليفة الفادر في اللجج في سبهم ، أنظر اتماط الحنفا ،
ص ٣٢ - ٣٣ (وعن ابن الأثير ص ٣٦ - ٣٧) ، ص ٤٤ (نص المحضر) ، ابن الأثير ،
سنة ٢٩٦ هـ ط . مولا ، ج ٨ ص ١٠ . وعن طعن حليفة الأندلس الأحرى الحكم المستنصر
في نسب العزيز أنظر ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص ٢٤٩ .
(٢٢) فقد قيل في المبدى أنه . محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي أبي طالب (ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ حيث
يلذكر نسبا علويا ثانيا) . وتذكر بعض الروايات المغربية أنه : محمد بن اسماعيل بن الحسين
ابن علي بن جعفر بن علي بن موسى بن جعفر (بن محمد) الصادق بن علي زين العابدين
ابن الحسين بن علي أبي طالب (الاستبصار ص ٢٠٢) . ويقول ابن حماد الصنهاجي ،
أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، أنه : عبيد الله بن محمد بن الحسين بن محمد بن اسماعيل
ابن جعفر بن محمد بن علي (بن أبي طالب) (ط . الجزائر ١٩٢٧ ، ص ٦) . أما ابن خلدون ،
فيقول أنه : عبيد الله بن محمد العبيد بن جعفر المصدق بن اسماعيل بن محمد المكنوم (أولد
الأئمة المستورين) ، العبر ، ج ٤ ص ٦٢ - ٦٣ (طبعة بيروت ، ١٩٦٨) . المقرئ ، اتماط
الحنفا ، ط القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ١٦ ، ص ٣٥ حيث يأخذ المقرئ بصحة النسب .
وكذلك ص ٥٢ - ٥٣ (حيث ينقل هذا السب عن ابن خلدون) .
(٢٣) أنظر المقدمة ، ط . التجارية ، فصل في علم التاريخ وما يعرض للمؤرخين من
المخاطر - في الدفاع عن الإدارة ، ص ٢٣ . وعن الفاطميين ، ص ٢١ ، وكذلك التاريخ ،
ج ٤ ص ٣١ . وعن مهدي الموحدين ص ٢٦ . وأنظر ما ينقله عنه المقرئ في اتماط الحنفا ،
ط ١٩٦٧ ، ص ٤٤ - ٤٩ .

والحقيقة ان الفاطميين أنفسهم لم يعودوا يهتمون كثيرا بمسألة صحة النسب تلك ، بعد أن أصبحت مسألة الشرعية ثانوية عندهم . فلقد استخدموا التأويل واستعانوا بنظرية الحلول ، وأصبخوا يرون أن الإمامة عيّد احبارى يعطى للمختار من بين العارفين بالعلم الإلهي (اللدني) عن طريق استناره العقل أي ندى حصته العناية الإلهية بالسوراية (٢٤) . وما يسب إلى الممر لدين الله ، بعد أن دخل القاهرة ، من أنه استقبل وفود المهنيين وقال لهم ، وهو يسلم سيفه من غمده وينثر عليهم دنانير ذهبه ، « هذا حسبي وهذا سببي » (٢٥) ، يؤكد مقالة شرعية الأمر الواقع ، ويثبت أن الحد في صحة نسب الفاطميين الذي بدأ به ابن الأثير ، وبلوره ابن خلدون ، وأخذ به المقريري (٢٦) كان قد استبعد أغراضه ولم يعد ذا موضوع .

تنظيم الدعاية الفاطمية ، وبداية أبي عبد الله الشيعي :

تبين بداية الدعوة التي قام بها أبو عبد الله الشيعي (٢٧) كيفية التنظيم السري للحركة الفاطمية . هذا ما يتضح من الرواية المغربية المفصلة التي يقدمها كتاب الاستبصار منسوبة إلى الداعي نفسه (٢٨) ، ومنها يفهم أن وصول أبي عبد الله إلى منصب الداعي ثم بمحض الصدفة ، ولكنها كانت صدفة مرسومة . على كل حال . حدث ذلك في العراق مركز الحركة ، ومن حيث كان يوجه الدعاة إلى خراسان واليمن والمغرب . ولم يكن أبو عبد الله غريباً عن التشيع ، فهو يسمي من مدينة صنعاء (٢٩) ، أخذ العلم في بلاده ألسي كانت

(٢٤) أنظر ماسيه (هي ما سينيون) ، الاسلام ، ص ١٥٨ . وفي التأويل أنظر دعائم الاسلام ، فصل ولاية الأئمة ، ص ٢١ وما بعدها . وفي مسألة الحلول يقول ابن خلدون ، المقدمة ، فصل ٢٧ في مذاهب الشيعة في حكم الإمامة ص ١٩٨ . « وهو ما يوافق مذهب الصائري في عيسى صلوات الله عليه » .

(٢٥) أنظر ابن خلدون ، ترسة الممر ، ابن كمرى يردى ، الهجوم الزاهرة ، سنة ٣٦٢ . ج ٤ ص ٧٧ .

(٢٦) أنظر عرض هذه الآراء في اتعاط الحفاه ، ط - ١٩٦٧ ج ١ ص ٤٣ وما بعدها . (٢٧) الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا الذي اشتهر بالمتحسب أيضاً ، وكذلك بالعلم المقريري ، اتعاط الحفاه ، ط - القاهرة ١٩٦٧ ، ج ١ ص ٥٥ ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ - ٣٢ . وقارن افتتاح الدعوة للقاضي الحفان ، ص ٥٩ ، وابن حماد ، أشجار ملوك بني عبيد ، ص ٧ .

(٢٨) الاستبصار ، ص ٢٠٢ ، وقارن افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ، ص ٣٥ : حيث نجد نفس القصة عريباً ، منسوبة إلى داعي اليمن ابن حوشب ، وأنظر رواية الوراق في ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ ، والمقريري ، اتعاط الحفاه ، ج ١ ص ٥٥ - ٥٩ . (٢٩) افتتاح الدعوة ، ص ٦١ ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٤ .

من معاقل الشيعة على أئمة المذهب ، وكان يعتقد في وجود الامام المهدي ولكنه كان يجبل زمنه .

و ذات يوم ، بينما كان صاحبنا يصلي ويقرأ القرآن على ضفاف «دجلة» حضر رجل ميبب الطلعة ، عليه مظاهر النبيل والوقار ، واستقر فوق بساط فرشه له علامه بجواره على ضفة النهر . وبطريقة ماهرة دخل الشيخ الحليل في نقاش مع امي عبد الله حول تفسير ما كان يقرأه من آيات القرآن ، وتبكر بفصل علمه ودرايته بالجدل والمناظرة من الاستحواز على قلبه حتى سألته المزيد من علمه . وحسب الأساليب الفنية التي يعرضها الدعاة تركبه الشيخ - وهو في ذروة التعطش - مؤجلا ذلك الى فرصة أخرى ، وامتنطى ظهر دابته مصرفا ، وخلفه غلامه . وعندما علم أبو عبد الله - من الغلام - أن الشيخ ليس الا محمد (بن اسماعيل بن الحسن . .) الطالبى تعلق بركابه ، وضرع اليه أن يعلمه السبيل الى معرفة الامام .

المنظيم السرى الاثنا عشرى :

ويقراسة الشيخ وثق من احلاص هذا التابع المتعطش الى المعرفة ، وأشار عليه بأن يسير معه الى منزله . وفى الدار وجد أبو عبد الله الشيعى شابا هو 'بن شبيح ووصيه . وهو عبيد الله المهدي ، ومعه أحد عشر رجلا من الدعاة ، خضعه الشيخ اليهم ، وبذلك أصبحوا اثنى عشر نقيباً (٤٠) . هؤلاء الدعاة

(٤٠) انظر كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٢ - والذي يعوم من هذه الرواية ان محمداً الحبيب حواله سعيد الله كان يقوم بدعوته الى العراق ، وهذا لا يتعارض مع ما تكاد تجمع عليه الروايات من ان عبيد الله عندما سار نحو المغرب ، فيما بعد ، كان حروجه من مدينة سلمية بالشام ، او لا بأس ان يكون قد ترك العراق عند ملاحقة رجال الخلافة له واستقر بالشام حيث كان المللوين شيعتهم المخلصون . واذا كانت ملاحقة رجال الخلافة له ولوالده قد تمت بعد وصول انباء عجاج ابي عبد الله الشيعى الى المغرب . كما تقول الخزائن المقبولة (انظر اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٥٢ : حيث تقول الرواية انه بعد ان شاع خبر دعائه باليمن والرفقة طلبه المكتفى . وكان يسكن عسكر مكرم ، فانقل الى الشام) فان الملوود فى سلمية لا يكون عبيد الله المهدي بل ابنه القائم (أبو القاسم محمد) الذى ولد هناك سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م أو ٢٨٠ هـ / ٨٩٢ م (انظر القريرى ، اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٧٤) وكان غلاماً حاداً عندما خرج به والدته الى المغرب (اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٥٢ ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٥ : حيث يقول القاضى المسان ان القائم حين استنقل فى سلمية كان قد طر شابه) . ولهذا السبب قيل أيضا لى القائم انه لم يكن ولد المهدي بل كان ربيعة لى من زوجته ، فكانه المقصود ماين عبيد الله سلمية اليهودى) من مقالة ان محمداً القائم كان ربيب « سعيد » المهدي ، انظر اتمام الحنفا ، ج ١ ص ٣٩ . وفى اختلاف اسم القائم ما بين - محمد وعبد الرحمن وحسن - . وفى اختلاف كنيته ما بين - ابي القاسم و ابي جعفر انظر العلة السيرة ، ج ١ ص ١٩٨ - .

الاثنا عشر يذكرون بنقباء الدعاة العباسيين الاثني عشر الذين تم اختيائهم بين السبعين داعية الأوائل ، وهم الذين مهدوا خراسان ، بقيادة أبي مسلم ، للثورة الرائعة التي قامت باسم آل البيت (الرضا بن آل محمد) ، وهم يذكرون أيضا بنقباء القرمطي الاثني عشر الذين اتخذهم كحواري عيسى بن مريم ، كما تقول رواية ابن الاثير (٤١) . فكان ذلك التنظيم الاثني عشرى كان أساس الدعوات السرية التي عرفتها دولة الخلافة ابتداء من العباسيين ثم من أتى بعدهم من الاسماعيلية ، مثل : القرامطة والفاطميين ثم الخنساءين .

الدعوة في المغرب تبدأ من اليمن :

والهم انه تم انعقاد مجلس دعائنا الفاطمي هذا برئاسة الشيخ في العراق قبل سنة ٢٧٧ هـ / ٨٩٠ م ، وهو التاريخ المقترح لمولد محمد القائم بن المهدي في سلمية بالشام (٤٢) . وفيه أعلن الامام محمد الحبيب أن وقت ظهور الامام قد حان ، وأمرهم بالانتشار في الأقطار ، والتبشير بقرب حلول عيد العدل والاصلاح ، ودعوة الانصار لدولة المهدي العلوي الفاطمي . ووقع الاختيار على أبي عبد الله ليقوم بالدعوة في المغرب بأرض قبائل كتامة (٤٣) .

وراضح من الرواية أن الدعوة الشيعية في المغرب الأوسط كانت قد بدأت قبل ذلك بوقت طويل منذ أيام جعفر الصادق أي حوالي سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م . في الوقت الذي كان يتكلم فيه قاضي افرقية عبد الرحمن بن أنعم في الامام الذي يملأ الارض عدلا ، ويمم الرخاء في عهده ، وهو ما كان يبشر به الحلواني وأبو سفيان في نفس الوقت تقريبا (٤٤) .

وحسب الأسلوب الفني الذي كان يسير عليه الدعاة لم يتوجه أبو عبد الله مباشرة إلى المغرب بل سار إلى اليمن ، التي كانت قد صارت معقل الدعوة العلوية منذ أيام الامام الصادق وخلافة أبي جعفر المنصور ، ليتدرب على أساليب العناية الراقية . وكان كبير دعاة الامام محمد الحبيب في ذلك الوقت هو ابن خنوشب (أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج) النجار ، الكوفي الأصل ، الذي كان مقيما في غدت يلزم العبادة والزهد ، ويدعو لظهور

(٤١) الكامل ، سنة ٢٧٨ ، ج ٧ ص ١٧٨ .

(٤٢) انظر الهامش السابق .

(٤٣) الاستبصار ص ٢٠٣ .

(٤٤) انظر فيما سبق ، ص ٥٣٥ .

المهدى فى هذا الزمان (٤٥) • ولذلك تقول رواية ابن الاثير ان ابن حوشب هو الذى قال لابنى عبد الله : ان ارض كتامة من المغرب قد حرثها الجلواني وابو سفيان ، وقد ماتا وليس لها غيرك (٤٦) ، فكان كبير دعاة اليمن او صاحب اليمن • (٤٧) هو الذى وجه ابا عبد الله الى المغرب ، وليس الامام - وهو الامر المقبول بالنسبة لنظام الدعاية السرية المعقدة • والحقيقة انه كان على ابي عبد الله التيسير ، بعد ان لزم ابن حوشب ، وشهد مجالسه واقاد من علمه (٤٨) ان يبدأ بالمسير الى مكة ايام موسم الحج ليتصل بحاج كتامة هناك ، ويعرف اخلاقهم ، ويطلع على مذاهبهم ، وذلك بعد ان زود بمبلغ كبير من المال (٤٩) •

اللقاء مع حاج كتامة فى مكة :

وهكذا ، وصل ابو عبد الله التيسير الى مكة فى يوم من ايام موسم الحج سنة ٢٨٠ هـ / ٨٩٤ م ، وبدأ البحث عن حاج المغرب الى ان اقتدى الى عدد من اعيان قبيلة كتامة يبلغون عشرة رجال ، ملتفين حول شيخ منهم (٥٠) • وكما فعل معه الامام فعل هو مع هؤلاء المغاربة فجاذبهم اطراف الحديث • وبفضل فصاحته وسحر بيانه ، فضلا عما كان يظهره من العبادة والتسك ، تمكن من سلب عقولهم (٥١) • وبطبيعة الحال سألهم عن بلادهم ، وعن مذاهبهم ، ولم يكن منهم الا ان اجابوه بصراحة عن صفة بلادهم ، وعن علاقتهم بامير الفيروان ومدى استقلالهم عنه (٥٢) •

(٤٥) انظر افتتاح الدعوة للقاضى النعمان ، ص ٥٩ - ٦٠ ، وقارن القرطبي ، اتعاف الحنبل ، ج ١ ص ٤٠ ، هـ ٢ : حيث مقارنة اختلاف اسمه فيما بين ابن الاثير (سنة ٢٩٦ ، ج ٤ ص ١٢) والمقرئى ، بل وفيما بين خطط المقرئى (سيح الاسم ابو القاسم الحسين ابن فرج) واتعاف الحنبل •

(٤٦) ابن الاثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٤ ص ١٢ ، وقارن اتعاف الحنبل ، ج ١ ص ٥٥ •

(٤٧) اتعاف الحنبل ، ج ٢ ص ٥١ •

(٤٨) اتعاف الحنبل ، ج ٢ ص ٥١ •

(٤٩) اتعاف الحنبل ، ج ١ ص ٥٥ •

(٥٠) انظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ حيث النص على بعض اعيان وفد كتامة من الجحاج • ومهم : ١ - موسى بن حريث (كثير بنى سكتان) ، ٢ - ابو القاسم الوديعي (من اجلابهم) ، ٣ - محمود بن عيسى بن ملال المسالقي ٤ - موسى بن تكاد •

(٥١) الاستبصار ، ص ٢٠٣ ، وقارن اتعاف الحنبل ، ص ٥٥ •

(٥٢) قالوا : ما له علينا طاعة • وبيننا وبينه عشرة ايام ربه وان سبعتهم من جسر •

الصلاح - انظر اتعاف الحنبل ، ص ٥٥ - ٥٦ :

- ٥٤٨ -

وفيما يختص بمذهبهم أحسن الداعي ان شيخهم يعيل الى مذهب الاباضية النكار ، ومن هذه « الثلثة » دخل عليه ، وأخذ يستدرجهم في الحديث بفصل علمه وخبرته بالجدل والمناظرة (٥٣) .

وتوثقت الصلة بين أبي عبد الله الشيعي وجماعة الحاج الكاميين الى ان حان وقت عودتهم الى بلادهم ، فسألوه عن أمره وعن مقصده ، فأجابهم ، وهو يظهر الورع الشديد : أنه عراقي من رجال النولة ، وأنه وجد ان خدمة السلاطن ليست من أعمال البر ، وبعد التروي رأى ان كسب المال الحلال لا يأتي الا عن طريق تعليم القرآن للصبيبة ، فوهب نفسه لهذا العمل المبرور ، وأن أهل المعرفة نصحوه بالمسير الى مصر حيث يروج تعليم الصبيان (٥٤) .

الرحلة الى المغرب :

ولم يكن من الغريب ان يصطحبه الكتاميون معهم الى مصر ، فهي في طريقهم ، وأثناء المسيرة صار يحدثهم في الدين ، ويستميلهم شيئا فشيئا الى مذهبهم . ونجح فعلا في اكتساب محبتهم له ، واعتزازهم به حتى عرضوا عليه ان يواصل الطريق معهم الى بلادهم ليعلم صبيانهم . ورغم اعتذاره ببعده الشقة الا أنه لم يخيب رجاءهم تماما ، فأظهر أنه قد يسير معهم الى القيروان فقط . اذا لم يجد سبيله في مصر . وهذا ما فعله (٥٥) . وحلال أحاديثه معهم عرف

(٥٣) الاسعوار ، ص ٢٢ . وقارن القريري (اتصاف الحنفا . ج ١ ص ٥٥) الذي يلجس انتاج الدعوة للقاضي النعمان (ص ٦٣) . حيث يقول ان الداعي سمعهم يتحدثون بفصائل آل البيت ، فاستحسن ذلك منهم . والحقيقة ان القاضي النعمان يصح على ان رجلين من حاج كتامة ، وهما . حريث الحجيل ، وموسى بن مكارمة ، كانا يذكران فضائل علي بن أبي طالب . وهكذا يسلسل القاضي النعمان الأحداث بحيث تظهر متكاملة مع ما سبقها من الحديث عن تمهيد أرض العرب لدعوة الامام المهدي معرفة الطوائف وأبي سفيان . فكان دعوة الأخيرين في منتصف القرن الثاني الهجري (٨ م) . كدت تمهيدا حقيقيا لدعاية أبي عبد الله الشيعي في أواخر القرن الثالث (٩ م) . وكان دعاية أبي عبد الله كانت استمرارا لدعوة الأولين . ولهم بعد الشقة .

(٥٤) . لفتن غلاري . ج ١ . ص ١٣٥ . وقارن جفريزي . اتصاف الحنفا . ج ١ . ص ٥٦ . انتاج الدعوة للقاضي النعمان (ص ٦٥ - ٦٦) : حيث يقول ان كتامة كانوا يطلبون المجلس يستفتونهم في أمور دينهم ويتحاشون اليهم فيما يتحاشون يفتيهم . ويصطبرهم فلا يحالون لهم حكما .

- (٥٥) - لفتن غلاري . ص ١٣٥ -

منهم بعد بلادهم عن عاصمة الأعالية ، وأن طاعهم للقيروان طعه شكنية ،
وأنتهم قوم معترفون بأنفسهم . يملكون السلاح والخيل ولا يرضون بالضميم (٥٩) .
وفي القيروان أعادوا الإلحاح عليه ولكنه أصر على أن يقيم بالعاصمة الأغلبية ،
بعد أن وعدهم بالحقاق بهم في بلادهم إذا لم يطلب له المقام بها (٥٧) .

ولم يضيح أبو عبد الله وقته في القيروان سدى ، فأخذ يستقصي أخبار
القبائل ويتعرف أحوالها . وعندما تأكد من كثرة عدد كتامة ، وشدة شوكتها
بين قبائل البربر ، وعدم استكانتها للسلطان ، قرر أن يبدأ العمل الإيجابي .
فلم يمض على فراق رفاقه إلا وقت يسير حتى لحق بهم (٥٨) وذلك في منتصف
ربيع الأول سنة ٢٨٠ هـ / ٥ يونيو ٨٩٣ م (٥٩) .

ومزل أبو عبد الله على الشيخ الكتامي في المنطقة الجبلية التي عرفت
حاليا بالقبائل الصغرى ، والتي تمتد بين سهل سطيف والبحر ، بين قسنطينة
شرقا وبجاية غربا (٦٠) . ومع أن المعروف أن أبا عبد الله مزل في قرية من
قرى الجبال التي تعرف بأيكجان (٦١) ، والتي سميت بها القرية ، كما نسب
إليها أبو عبد الله الداعي تعرف عند بعض الكتاب بالايكجاسي ، كما سبق ،

(٥٦) : امتاح الدعوة للقاضي المعتمد ، ص ٦٤ - ٦٦ . وما سبق ، ص ٥٧ وهـ ٥٢ .
(٥٧) : ابن عداري ، ج ١ ص ١٣٥ . وقارن رواية القاضي المعتمد (افتتاح الدعوة ،
ص ٦٨) : حيث تقول إن طريق الجماعة إلى بلدتهم لم يكن على القيروان بل على قسطنطينة
من بلاد الحريد) وأنهم نزحوا في موضع يعرف بسوجمار من أوس سماعة حيث يقيم ثلاثة
رجال من الشيعة ، هم : أبو المنتن وأبو القاسم الوردجوس ، وأبو عبد الله الأندلسي ،
وعند الأخير كان نزول أبي عبد الله . وهذا ما أخذ به ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢٢ ، حيث
الإشارة إلى المدلول عن طريق القيروان ، والوصول إلى بلد سماعة حيث كان محمد بن حنون
ابن سمالك الأندلسي ، وكان قد أدرك العلواني وأخذ عنه ، وإن ابن حنون سار معهم إلى
بلد كتامة) .

(٥٨) : ابن عداري ، ج ١ ، ص ٦٨ .
(٥٩) : افتتاح الدعوة ، ص ٧٢ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٢ . وقارن
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢٢ (حيث الرسول إلى كتامة في سنة ٢٨٨ هـ) . الاستبصار ،
ص ٢٠٣ . ورواية ابن الأثير ، مثل غيرها ، تقول أنه وصل إلى أرض كتامة برفقة جماعة
الحجاج - ولقد رأينا الأخذ برواية الورداني التي نقلها ابن عداري . لا يظهر فيها من الإحباط
في التصرف سبيل يمكن أن يحتفل بثبوت الدولة إذا كانوا يتجهونه ، وهو الأمر الذي كان
يحذره دعاة مثل هذه الدعوة السرية .

(٦٠) : أنظر مارسيه ، بلاد البربر الإسلامية ، ص ١٧٣ .

(٦١) : افتتاح الدعوة ، ص ٧٣ .

فاننا نميل الى الأخذ برواية صاحب الاستبصار التي تقول ان الداعي نزل على الشيخ الكتامي في جبل زلدوى (١٣) . ولا بأس أن يكون جبل زلدوى واحداً من سلسلة جبال عقبة ايكجان الكبيرة ، التي عرفت بأنها موطن كتامة الصعب - المائل ، والتي تمتد عمارتها من حدود جبل أوراس جنوباً حتى سيف البحر ما بين بجاية وبونة شمالاً ، كما تمتد شرقاً حتى القيروان وغرباً حتى المسيلة (١٤) . هذا ، ولا بأس أيضاً أن يكون في جبل زلدوى هذا ، الموضع الذي عرفه كتاب الشيعة بفج الأخيار : حيث تقيم جماعة بني سكتان الكتامية التي استضافت الداعي (١٤) ، وبذلك يكون فج الأخيار هو نفس قرية ايكجان .

واتخذ أبو عبد الله مجلسه في مسجد القرية مكرساً وقته للعبادة وأعمال الورع الى جانب تعليم الصبيان ، ومن هنا عرف بالمعلم . وفيما بين هذا وذاك كان يلقي سكان المنطقة من البربر تعاليم مذهبه ، ويكشف لهم شيئاً فشيئاً عن الامام المهدي المنتظر ، صاحب الدعوة ، وأن زمانه قد آن (١٥) ، وذلك حسب الأصول الفنية التي كان يعرفها الدعاة ، والتي كان قد تدرب عليها في اليمن ، وذلك ابتداء بالحديث في ظاهري فضائل علي بن أبي طالب (١٦) ، وانتهاء بذكر المهدي وما يمكن أن يدور حوله على السنة أبناء الشعب من الكرامات ، مثل : احياء الموتى ورد الشمس من مغربها (١٧) .

بدء العمل الايجابي :

وكان من الطبيعي أن يبدأ أبو عبد الله بدعوة الشيخ ، رئيس الجماعة . فبعد أن اطمأن اليه تماماً كشف له ذات يوم عن حقيقة أمره ، فقال له - بعد أن صب في حجره ٥٠٠ (خمسمائة) دينار : « لست بمعلم الصبيان ... إنما نحن أنصار أهل البيت ، وقد جاءت الرواية فيكم يا أهل كتامة أنكم

(١٢) الاستبصار ، ص ٢٠٣ .

(١٣) انظر التاج الدعوة ، ص ٥٧ ومامش ٤ لحققة النص وداد القاضى .

(١٤) التاج الدعوة ، ص ٧١ - ٧٣ : حيث يقول القاضى النعمان ان ابا عبد الله نزل هناك بصحبة ابي عبد الله الاندلسى وابى القاسم الوردجوى ، وانه وعد الناس . (الدين) تساجتوا من أجل نزولهم عندهم ، بزيارة كل قوم في بيوتهم - وانظر مامش ٤ ص ٧٢ في حيث الإشارة الى ان اسم الجماعة في كابل ابن الأثير هو بني سليمان .

(١٥) الاستبصار ، ص ٢٠٣ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١٣٦ - ١٣٧ .

(١٦) التاج الدعوة ، ص ٧٣ .

(١٧) انظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ .

انصارنا ، والقيموّن لدولتنا ، وأن الله يظهر بكم دينه ، ويميزكم أهل البيت ،
وأنه سيكون أمام منهم أنتم أنصاره ، والياذلون مهجهم دونه . (٦٨) .
نورد عليه الشيخ قائلا : « أبا أرغب فيما رغبتى فيه ، وأبذل فيه مهجتي ومالي ،
أنا ومن اتبعني ، وأنا أطوع لك من يدك ، فمر بما شئت أمتكته . » (٦٩) .

شخصية الزعيم الکتامي :

وإذا كانت رواية ابن عذارى الملخصة لم تكشف عن شخصية الشيخ
الکتامي ، فإن رواية القاضي النعمان في افتتاح الدعوة ، بتفصيلاتها المسببة
في ذكر الأشخاص والقبائل ، لم تحدد لنا هي الأخرى اسم الشيخ ، وبالتالي
ظل التعرف عليه من الصعوبة بمكان (٧٠) .

والذي يلفت نظرنا في قائمة القاضي النعمان للزعماء الذين دخلوا في
الدعوة ثلاثة رجال ، هم : هرؤل بن يونس بن موسى المسالتي ، والحسن بن
هرون الغشمي من غشمان تازروت - وأبو يوسف مكنون بن ضبارة الأجنبي
(عم أبي زكري تمام بن معارك) (٧١) . فهرون بن يونس المسالتي كان يحمل
لقب « شيخ المشايخ » (٧٢) ، والحسن بن هرون الغشمي هو الذي دعا أبا عبد الله
إلى المسير إلى بلدته « تازروت » عندما تآزمت الأمور في منزله الأول ، في جبل
زلدوى . فعظم شأنه (٧٣) ، كما يأتي . وبذلك يمكن الظن أن أبا من الرجلين
يمكن أن يكون هو الشيخ الذي ناصر أبا عبد الله ، بصرف النظر عما تقوله
الرواية من أنهما كانا من الوافدين على أبي عبد الله مما يفهم منه أنهما لم
يكونا ضمن جماعة الحاج الکتامي . وإذا كان الحسن بن هرون قد عظم شأنه في
مقر أبي عبد الله الثاني « تازروت » فإنه مما يرجح أن يكون هو الشيخ المقصود ،
ما تذكره الرواية من أن أخاه الأكبر محمود « وجد في نفسه من عظم شأنه » ،
وأنه كاد يشترك في مؤامرة للقبائل على الداعي ، وأن الرئاسة خلصت للحسن
بعد مقتل أخيه محمود في الحرب إلى جانب أبي عبد الله (٧٤) . وهي الرواية

(٦٨) ابن عذارى ، ج ١٠ ، ص ١٢٧ .

(٦٩) ابن عذارى ، ج ١٠ ، ص ١٣٨ .

(٧٠) انظر افتتاح الدعوة ، ص ٧٤ - ٧٦ .

(٧١) افتتاح الدعوة ٧٣ - ٧٤ .

(٧٢) نفس المصدر ، ص ٧٤ .

١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢

(٧٣) نفس المصدر ، ص ١٠١ .

(٧٤) نفس المصدر ، ص ١٠٢ - ١٠٦ . والحقيقة أن افتتاح النظرية يذكر أنه عندما

احتدمت الحرب بين بني غشمان لقيلة والحسن وبين لهيعة بقيادة زعيمها البطيل مولى

التي تكاد تشبه ما يقوله ابن عذاري من أن الشيخ الكتامي لم يتردد في قتل أخيه عندما وقف ضد الداعي (٧٥) .

يبقى بعد ذلك من الزعماء الثلاثة : أبو يوسف ماكنون بن غسبارة الأجنبي . والذي يجعلنا نفكر في أنه ربما كان الشيخ المطلوب ثلاثة أشياء : أولها ، أنه عم أبي زاكى تمام بن معارك الذي تقرب قرباً شديداً من أبي عبد الله لخفته ونباهته وحرصه على الخدمة (٧١) ، والذي صار نائباً للداعي في رقادة عندما سار لاستنفاذ الامام في سجلماسة (٧٧) . أما الشيء الثاني فهو أن ماكنون صار رئيس جماعة المؤمنين في تازروت بعد أن صارت دار الهجرة (٧٨) . أما ثالثها الذي نريد أن نرجع به أن يكون ماكنون هو الشيخ المقصود فهو لقبه « الاجاني » نسبة الى قبائل أجانة التي ينتسب اليها . فنحن نريد أن نقترح أن تكون كلمة « الاجاني » هي نفس كلمة الايكجانى مكونة مشكلاً مخوراً ، وهو الأمر المقبول . وإذا صح ذلك فإن جبال ايكجان (او اجان) تكون نسبة الى سكانها قبائل اجانة ، ويكون احتمال أن يكون أبو يوسف ماكنون الاجاني عم أبي زاكى هو « الشيخ الكتامي » أرجح الاحتمالات . وإذا كان « ايكجان » هو اسم القبائل ، فإن ذلك يمكن أن يكون تفسيراً لما تقدمه الروايات من أن الداعي نزل في جبل « زلدوى » أو في « فج الأخيار » أو بشكل عام في ايكجان (اجان) ، وبذلك يمكن فهم ما يقوله القاضي النعمان من أن دار هجرة أبي عبد الله كانت « تازروت » التي انتقل اليها من ايكجان (٧٩) كما يلي .

« ابن أبي كرامة ، بعد انتقال أبي عبد الله الى تاروت ، قرر أخوه أبو عيسى قتله غيلة ، ما هو الى التكميم ، في أن يكون أبو مدين اللبى هو شيخنا المقصود ، لولا أنه لا يذكر بين ابن . وأنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٢ (حيث تلخيص رواية النعمان ، وفيها أن عبد الله النيسى ول الحسن بن هرون على حروبه ، وظهر (الداعي) بعد أن كان مختفياً . ظهر الى جانب محمود أخى الحسن سديقه مهدي بن أبي كرامة الذي كان معارفاً للداعي حتى قتله أخوه أبو مدين وتزعم قبيلة لهيمة) .

(٧٥) أنظر فيما بعد ، ص ٥٥٥ وما ٨٧ .

(٧٦) انتاج الدعوة ، ص ٧٤ .

(٧٧) أنظر فيما بعد ، ص ٥٩٤ .

(٧٨) انتاج الدعوة ، ص ١١٧ .

(٧٩) انتاج الدعوة ، ص ١١٧ .

دليل الدعوة في كتامة :

دعوة سرية . وان كان هدفها الأمر بالمعروف :

والهم ان الشيخ الكتامي كان له اثره في دخول اتباعه فيما كان يدعو اليه ابو عبد الله . كما كان للداعي اثره هو الآخر في زيادة هيبة الشيخ الذي اراه . بعصل حسن تنظيم « الأولياء » الذين كانوا يرددون عددا مع مرور الوقت . وفي ذلك يقول القاضي النعمان ان الدعوة كانت سرية ، فكان الرجل منهم اذا سئل عن الأمر الذي دخل فيه قال : « ابلع ثوقن » ، وكانت كليلة عليهم ايها ابو عبد الله .

الاخوان والمشاركة :

اما عن سبب نجاح الدعوة ، فيقول : ان ابا عبد الله جعلهم يقلون على الصلاة والصيام وأعمال الخير وأفعال البر وتجنب المعاصي ، فأقبلوا اليه من كل جهة . وتسمى الداعي اتباعه بـ « الأخوان » ، فكان الواحد منهم ينادي الآخر « يا اخانا » . اما عن اسم « المشرقي » الذي عرف به الداعي ، واسم « المشاركة » الذي عرف به « اخوانه » ، فان الذين أطلقوه ، كما نرى ، هم خصوم الدعوة من كتامة (٨٠) . ويصف النعمان هؤلاء الخصوم بأنهم : من لم يطاوعه نفسه على ترك المعاصي فنسبوا الي « الأولياء » الكفر والخروج عن الملة ، وقالوا : « لو كان هذا الأمر فيه خير ما ستر ، وما هو الا خلاف دين الاسلام » (٨١) .

الخلاف بين قبائل كتامة :

وهكذا كان النجاح الذي تحققه الدعوة السرية للمهدي ، والتزام الداخلين فيها بالطاعة الصارمة لأبي عبد الله والشيخ الكتامي ، سببا في الفارة خلافات خطيرة في قبائل المنطقة ، من : كتامة وغيرها (٨٢) .

(٨٠) افتتاح الدعوة ص ٧٦ ، ٩٣ ، ص ٩٨ . حيث قال بعض خصوم أبي عبد الله عندما عزم عليه ماطرته هذا رجل من أهل المشرق وهم كما علمت جيلطين ، وعلماؤنا بزازير . وقوم ليست لهم تلك الأذهان . وان نأفروا ظهر عليهم .

(٨١) افتتاح الدعوة ، ص ٧٧ .

(٨٢) انظر من الآثار الكامل سنة ٢٩٦٠ ج ٨ ق ٢٢ - ١٤ : حيث يحفل عقالة خصوم الجليليين من ان ابا عبد الله صنع من الجليل والكيديات والمفرجات . ما أدخل تحولهم ، ذواته الربر . . . وان الأمر انتهى بتعرق كلمة البربر وكتامة بسببه ، كما كان يذكر لهم عوامات

تحرير ولاية الأغابة :

ويضيف القاضي النعمان إلى أسباب الخلاف في كتامة قاتل إبراهيم
ابن أحمد الأغلب ، الذي حاول ، بعد أن فشل في صَرْبِهِم بقواته ، أن يضربهم
بغيرهم من كتامة فلم يتجفع (٨٢) ، مما جراً الداعي على إبراهيم ، فقال
لرسوله : ما أنا ممن يروع بالوعد والوعيد . . . في أنصار الدين وحماة
المؤمنين . . . (٨٤) .

وتقدم رسالة افتتاح الدعوة معلومات تفصيلية ملحة عن الخلافات التي قامت بين القبائل بسبب دعوة أبي عبد الله ، وهي المعلومات التي نجد أصداءها في كتب المتأخرين بعد أن نسخ النساخ الكثير منها . فمن أهم الخلافات التي قامت بين قبائل أيكجان : تلك الانتفاضة التي قام بها عدد كبير منها ضد أبي عبد الله ، وذلك بتحرّض من أمراء : ميلة (ورئيسها موسى بن عياش) ، وسطيف (ورئيسها علي بن عسلوجة) ، وبلزمة (ورئيسها حيي تميم) . فلقد شاركت فيها قبائل : كتامة (بقيادة فتح بن يحيى المسالتي) ، ولبيصة (بقيادة مهدي بن أبي كناوة) ، وإجانة (بقيادة فرج بن جبران) ، ولطاية (بقيادة أبي تميم فحل بن فوح) ، ومتوسة (بقيادة زيادة المتوسي) ، ولقد كتب زعماء القبائل هؤلاء إلى الزعيم الكتامي بيان بن عسقلان يقولون أنه من أجل هذا الرجل (أبي عبد الله) : عادي الأخ أخاه وابن أباه والقريب قريبه . ولكن بيان - الذي لم يكن قد دخل في الدعوة - رفض تسليم الضيف الذي حماه أصحابه من بني سكتان بالسلاح ، رغم ما تقوله الرواية من أن الداعي كان قد استخفى عندما استشعر الخطر المحدق بشخصه (٨٥) .

ولا بأس أن يكون استخفاء أبي عبد الله هذا غيبي تازروا • اذ يقول

المهدي من احياء الموتى ، ورد النفس من طريقها ، كما سبق - ولان ابن عبادي (ج ١ ص ١٢٧) : حيث يشير الى موافقة الشيخ على الفناء صلاة التراويح في رمضان ، مما كان له رد لعل عتق بن اهل الحرم .

(٨٢) انظر افتتاح الدعوة على ، ٧٨ .

(٨٤) التناحر اليقظة وحي ٨٠ - ٨١ •

[illegible]

القاضي النعمان ان أبا عبد الله ترك فج الاحيار أو ايكجان في جبل زلدي ،
بعد انتفاضة القبائل تلك ، وسار الى تازروت حيث دعاه شيخ الموضع ، الحسن
ابن هرون العشمي الذي صارت اليه الرئاسة هناك (٨٦) . ولا بأس في ان
يكون تازروت قد حلت محل فج الاحيار أو ايكجان ، كما يقول القاضي النعمان ،
بعد مؤامرة ثاية تزعمها قبيلة لهيصة بقيادة مهدي بن كناوة الذي تماهى
في عداوته لأبي عبد الله حتى أن أخاه أبا مدين دبر قتله غيلة وشارك في
ذلك (٨٧) ، ثم حرب ثالثة مع مزاة بقيادة يوسف العاطشي وتحريض
لامير ابراهيم بن أحمد ، انتهت بتحالف القبائل بقيادة مزاة (٨٨) . عندئذ
قرر أبو عبد الله العودة بـ « أوليائه » الى تازروت حيث نجح في الانتصار
على خصومه في حرب رابعة وأخيرة (٨٩) . هكذا نطلب الأمر (٧) سبع
سنوات من العمل الجاد والكفاح الصعب . انتهت عند موت الشيخ سنة ٢٨٧هـ
٩٠٠ م بخضوع سكان المنطقة بالرغيب حيناً وبالترهيب أحياناً (٩٠) .

مدين تازروت واتخاذها (دار هجرة) :

بحق الهدف اذن ، ودامت كتامة بمختلف قبائلها بالطاعة لأبي عبد الله
الشيعي . كما دخلت في دعوته قبائل كثيرة من أهل منطقة بحاية ، فقرر
أن ينشئ « دار هجرة » للمهدي - نسبها بما فعله النبي بالمدينة - وقرر أن
يكون معسكره بتازروت « دار هجرة » ، حسبما يقرر القاضي النعمان في
روايته بتفصيلاتها المسهبة (٩١) .

وإذا كان ابن الأثير يجعل دار الهجرة في ايكجان (٩٢) ، فالحقيقة أن
رواية افتتاح الدعوة لا تخالف ذلك إذ تقرر أن ايكجان كانت معسكراً لأبي

(٨٦) انظر فيما سبق ، ص ٥٥١ .

(٨٧) انظر فيما سبق ، ص ٥٥٤ .

(٨٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٨٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٩٠) انظر ابن عسار ، ج ١ - ص ١٢٨ ، وقارن افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

(٩١) انظر افتتاح الدعوة ص ١١٧ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ (الذي ينقل من
المساعي للسان في افتتاح الدعوة ، ولكن كلمة تازروت تحولت الى « تازرون » ، كما يشير الى
رئاسة الحسن بن هرون) .

(٩٢) المكتوبة في شكل « الكحانة » (سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٣ ، ١٧ - وقارن ابن حنبل
د أخبار ملوك بن عبد ، ص ٧) الذي جعلها في شكل الكحان ، ص ٢ حيث جعلها المحقق
الى « يكجان » .

عبدالله يحتفظ فيه بالذخائر والأموال منذ قدومه الى بلد كتامة ، بل ان ايكجان مستعود مرة ثانية قاعدة لأبي عبد الله عندما يتضح له أن تازروت أقل حصانة منها (٩٣) . وبذلك ستكون ايكجان حاضرة الدعوة . ليس الى دخول أبي عبدالله رقادة ، بل وحتى وصول المهدي الى عاصمة الأغالة (٩٤) .

ولما كان أبو عبد الله قد استقر في تازروت قبل ذلك بوقت غير قصير حيث استقبله أهلها من بني غشمان ، كما استقبلوا من كان معه من بني سكتان من أهل ايكجان بالترحاب ، فقامت بهم أموالهم وأحلوهم محلهم (٩٥) ، تماماً كما فعل المهاجرون بالانصار ، فإن المقصود باتخاذها « دار هجرة » هو الاستقرار المدني فيها بانشاء المباني ، بمعنى اتخاذها حاضرة أو عاصمة لأبي عبد الله . وتحقق له ذلك بعد الحرب الرابعة ضد تحالف القبائل بزعماء مزانة مع أهل مدينتي ميلة وسطيف وعسكرهما . فلقد تمكن أبو عبد الله ، الذي صار يباشر الحرب بنفسه منذ الحرب الثانية ، ومعه ٧٠٠ (سبعمائة) فارس و ٢٠٠٠ (ألفا) راحل من ملاقات أعدائه على التوالي خلال أربعة أيام ، بداها بالعصاة من كتامة ، وثني فيها بعسكر سطيف الأغلب ، وختمها بتشتيت مزانة والاستيلاء على مخيمهم (قيطونهم) وجميع أموالهم (٩٦) .

مغانم الحرب هي مادة تحضير دار الهجرة في تازروت :

والمهم أن أبا عبد الله ورجاله خرجوا من تلك الحرب بمغانم هائلة . وفي ذلك يقول القاضي النعمان : انهم « غنموا من الخيل ما لا يحصى عدده » ، وانهم « أصابوا من أموال أهل المداين ، من السروج واللحم المحلاة والخيل ، والفنائم ، والخلق والأموال ، والسلاح والبنود والطبول ، ما لا يحصى عدده كثرة » (٩٧) . وكان ذلك الغنى هو سبيل الجماعة الى الاستقرار في تازروت

(٩٣) النتاج الدعوة ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(٩٤) النتاج الدعوة ، ص ٢٤٦ .

(٩٥) النتاج الدعوة ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٩٦) أظن النتاج الدعوة ، ص ١١٢ - ١١٦ : حيث يذكر أنه كان من أبطال تلك الحرب بـ ١٠٠٠ (مائة) من بني هوسف الذي ابل بإله حسنا ، وجرح جرحاً قطع منه صوته . (وقارن ابن خلدون ، تاريخه ، ص ٢٣) .

(٩٧) النتاج الدعوة ، ص ١١٦ - ١١٧ : حيث يشير الى ذلك بـ « ما لا يحصى من مزانة » . يعني الماشية ، كان من الكثرة بحيث : « يمشي الجبال ويملأها من يمشي » ، ويبيع الجبل بغنم بصلوات . أما الغنم والأتمة لما أطلقوا حبسها ، ولا كيف يسوقون الغنم . والله صابر الى الأولياء . من الغنم والأموال ما لا يحصى عدده .

وتحضيرها .

فبعد العودة الى تازروت بدأ أبو عبد الله في بناء قصر اتخذ مسك لنفسه ، وأقطع الأرض حوله وأعطاهم لقواده ليبسوا دورا لهم . ولقد ازداد حمران المدينة بمن ارتحل اليها من أهل الدعوة الذين وفدوا من كل ناحية . حسوا الدور واتخذوا تازروت موطننا (٩٨) ، حيث أصبحت عاصمة الدعوة . وجب محل القاعة الأولى ايكجان التي لم تفقد أهميتها .

تنظيم أهل الدعوة :

طبقات المؤمنين :

وشكل أبو عبد الله أتباعه في هيئة جند نظامي : فالزمهم العسكرية ، وسماهم « المؤمنين » بعد أن كانوا اخوانا ، وآلت رئاستهم الى أبي يوسف حاكنون بن ضبارة الاجاني (٩٩) . وكان « المؤمنون » مقسمين الى طبقات بعضها فوق بعض ، فالمعروف أن الداخلين في الدعوة كان منهم : من أراد وجه الله ، ومن أراد الدين والدنيا ، ومن أراد الفخر والشرف ، ومن أراد الكسب والفائدة ، ومن أراد الحسد والمنافسة ، وآخرها من دخل في الدعوة خوفا وعبية (١٠٠) . ورغم اختلاف طبقات المؤمنين فقد ألزمهم أبو عبد الله جميعا فاساع مبادئ الاسلام ، وكان صارما في جعل الدين الأساس الذي بنى عليه امره ، فأتاب الملتزمين وعاقب المخالفين ، فأنزل بهم العقوبات الشديدة . وكانت عقوبة المخالف هي الاقصاء عن الجماعة والسبب حتى يحلص التوبة (١٠١) .

وقسم الداعي قنائل كتامة سبعة اقسام ، وجعل لكل سبع منها عسكريا خدم عليه مقدما (١٠٢) ، كما ورع الدعاة على محلف الأقاليم فجعل لكل

(٩٨) افتتاح الدعوة ، ص ١١٧ .

(٩٩) افتتاح الدعوة ، اس الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٢ ص ٣

« حيث كانت الرئاسة لماكوت والى حاشه أبو زكي تمام بن معاركة » .

(١٠٠) افتتاح الدعوة ، ص ١٢٣ .

(١٠١) افتتاح الدعوة ، ص ١٢٤ .

٢١ افتتاح الدعوة ، ص ١٢٧ - لا نأس أن يكون ذلك التقسيم السباعي متفقا مع التفاليد الاسماعيلية التي تحمل للرقم سبعة معنى مقدسا ، إذ كان الإمام اسماعيل بن الصباح حيا حمل المعنى يطلق عليهم اسم السبعة ، كما أن أهل المدينة عندهم يتبعون لل سبع طبقات وغير ذلك من افكارهم التي يدخل فيها الرقم سبعة . انظر هـ - ماسية ، الاسلام ، جالفرسية ، ص ١٥٨ - ١٥٩ .

موضع داعيا . وكان اختياره لمقدمى العساكر التى نظمت فى سبعة جيوش ودعاة المرافع الذين أطلق عليهم اسم « المشايخ » مبنيا على الاخلاص فى خدمة الدعوة ، دون النظر الى مسألة السن التى كان لها اعتبارها فى القبائل . فقد كان بين المشايخ من لم يبلغ السن من الشباب (١.٣) .

تنظيم الجيوش وشعاراتها :

وجعل أبو عبد الله لكل جيش من جيوشه السبعة ديوانا أى بيت مال للحرب تأتية الأموال التى يتفق منها على الجيوش عن طريق المفاوضين والزكاة ، وبذلك حمل الأموال بين أيدي المشايخ ، وظل الحال على هذا الأسلوب الى أن قدم المهدي فدفعوها اليه (١.٤) . وهكذا أصبح لأبي عبد الله جيوش نظامية يدير أمرها كرئيس دولة ، ويسيرها الى الحرب كقائد أعلى . بعد أن يكتفى بضرب موعد اللقاء مع شيوخ القبائل ، ويحذروهم من التخلف . وفى ذلك تقول النصوص أنه كان يأمر مناديه فيصرخ فيهم : « حرام على من تخلف » (١.٥) . وأصبح الداعي عندما يقود جيوشه للحرب ، ينادى مناديه فى الرجال : « يا خيل الله اركبوا » ، كما اتخذ لقواته شعارات تتناسب مع دعوته الدينية ، فكتب على أفضاخ الخيل « الملك لله » ، وكتب فى بنوده : « سيهزم الجميع ويولون الأدبار » ، وآيات كثيرة من القرآن . ونقش فى خاتمه الذى يتختم به : فتوكل على الله انك على الحق المبين » ، وفى خاتمه الذى يختم به على السجلات : « وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم » (١.٦) وهى تقريبا نفس الشعارات التى سيحافظ عليها عندما يدخل عاصمة الأغالبة (١.٧) .

اخضاع القبائل :

بفضل هذه التراتيب العسكرية والحماسة الدينية أخضع أبو عبد الله

(١.٣) المحتاج - الدعوة ص ١٢٧ - وفى اختيار أبي عبد الله للقائه هؤلاء يقول القاضى سان : انه كان يستحسنهم بالحقن الكثيرة ، كالأسفار البعيدة سرا ، ومهم الأموال الكثيرة ، فى لباس القراء والحجيج (ص ١٢٨) . هذا ، كما يسعى النسان عددا من المخلصين ، رجالا ونساء من بلدوا بهم وبنوا أموالهم لخدمة الدعوة وأولياها . فى الحروب السلام - ص ١٢٨ - ١٣٣ .

(٢.٤) انظر المحتاج - الدعوة . ص ١٢٨ .

(١.٥) انظر فيما سبق ، ص ١٦٨ وهـ ٥٤٩ .

١ ٦١ ، ابن حماد - أخبار المهدي ص ٧ - ٨ .

١ ٧ ، انظر ص ٨٤ ص ٨٤ .

إلحاقا الباقية من القبائل ، فشن الغارات على من عُد - نَقْل يوم الا ولهم فـ
ولعة بموضع - حتى سلم أكثر الناس اليهم - ودخلوا في الدعوة وعسـ
ورهة (١.٨) . وتطلبت هذه العمليات الحربية مدة سنتين (الى سنة ٢٨٩ هـ
٩٠٢ م) ظهر في نهايتها دعاة أبى عبد الله فى كل ناحية ، وغلب أمره على
كل كتامة ، ولم يبق أمامه غير مدائن المتطقة ، ومن فيها من أمراء
الأغالبة (١.٩) .

الصراع مع الأغالبة :

وهكذا ، بعد أن أصبح أبو عبد الله أنسيد المطلق على منطقة القبائل
الصفرى الحالية ، خرج من دار الهجرة بايكجان على رأس المؤمنين الجدد ،
ليطأ إفريقية ، كما يقول ابن حماد ، ويملكها عنوة (١١) ، حسبما رأينا فى
السنوات الأخيرة من حكم الأغالبة ، وخاصة منذ تحتزال إبراهيم بن أحمد الملك
سنة ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م .

تخذ ديلة لأول مرة :

حتى نفس تلك السنة وبعد اعتزال إبراهيم مباشرة نجح أبو عبد الله فى
الاستيلاء على مدينة ميله التى كانت ملجأ لخصومه من الزعماء الكتامين . مثل :
فحل بن نوح ، وفرح بن حيران . ويوسف بن محمد - وتم للداعى الانتصار
على والى المدينة موسى بن عياش وحلفائه هؤلاء ، بفضل مخامرة جماعة عرب

(١.٨) فلقد تمكن صبح (جيش) اجالة بقيادة ماكنون بن خسارة من اختطاف جميع
قبائل : عثمان تازروت ، وملوسة ، وكبيصة ، ولطاية ، ومسالمة ، وعجيسة ، وزوارة . أما
زعماء القبائل الذين انفوا عن الحضور فقد غادروا المنطقة . مثل : فرح بن حيران الذى سار
مع عدد من رؤساء اجالة الى ميله . وكذلك فعل بن نوح فى جماعة لطاية . وغادر أيضا جماعة
بنى عفريت لانهم كانوا يذهبون الى مذهب الإباضية . كما غادر من مسالمة الزاية الذين كرموا
أمر أبى عبد الله . أما فتح بن يحيى الزعيم المسالتي - الذى كان يزعمهم - فقد صار الى
ناحية سطيف ثم عاد وطلب الأمان ، ولكنه بسبب المنافسة مع مروان بن يونس ، عاد واختصم
ببعض قلاع عجيصة حيث حاصره أبو عبد الله ثم انه لحق بإفريقية ، فقدم على ابن المباس
ابن إبراهيم بن أحمد بتونس ، وهون هناك من شأن الداعى . انظر افتتاح الدعوة ، ص ١١٧
- ٢٣٠ ارمه وقاوين ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣٤ - ٣٤٠ (حيث يجعل لجو - فتح بن يحيى - الل - الأمير
إبراهيم بن أحمد ، ولكن قبل ذلك بينما ينص على أن إبراهيم بن موسى بن عياش ، ابن صاحب
مسالمة الذى قتله الداعى ، هو الذى لحق بابى المباس بتونس بعد خروج أبيه الى صقلية) .

- (١.٩) دلتتاح الدعوة - ص ١٣٦ - ١٢٢ .

- (١١) أخضر ملوك بن عبيد ، ص ٨ .

المسناجرة (نسبة إلى سنحاري) للرهبين الذين كانوا من وجوه أهل ميلة -
ورئيسهم حسن بن أحمد الذي كان قد راسل إبا عبد الله وسار إليه في
تازروت - وبعد أن أطمأن لمجو عبد الله على أحوال المدينة - التي كان قد
زارها في أول مرة وهو يعاني من الحصاة ، فاستشفى بحمامها الذي كان لمولى
موسى بن عياش غادرها بعد أن عهد بولايتها إلى أبي يوسف مكمون من
ضباة الاحاي (١١١) .

استعادة ميلة وتخريب تازروت :

وكان رد أبي العباس بن ابراهيم على مغامرة أبي عبد الله في ميلة
عينا ، إذ سير أبه محمد المشهور بالأحوال وبأبي حوال - رغم سوء الأحوال
الجوية - على رأس جيش مكون من ١٢ (اثني عشر) ألف رجل ما بين فارس
وراحل - وكان حروح محمد الأحول من مدينة تونس وبصحبته الزعيم المسالتي
فبح بن يحيى ، خصم أبي عبد الله الداعي ، وأبو ابراهيم بن موسى بن عياش .
الذي كان قد خرج من ميلة أثناء الحصار طلبا للمعونة ، في ذي القعدة من سنة
٢٨٩ هـ / أكتوبر ٩٠٢ م . وسار الجيش الأغلب في هيئة الحرب مخترقا بلاد
الزاب ، مارا سطيف ، وبلزمة وبغاية ، حيث تضخمتم قواته . وأخيرا تم
اللقاء بأبي عبد الله وأصحابه في بلد ملوسة ، وانتهى القتال الشديد بانضمام
أبي عبد الله وأصحابه . وتبعهم الأحول وهزمهم مرة ثانية ، فلم ينتجهم منه
إلا الثلج العظيم الذي جاء فحال بين الفريقين . وعاد الداعي إلى قاعدته في
تازروت ، ولكنه لم يستقر فيها طويلا إذ لما عرف أن القوات الأغلبية تتبع أثره
غادرها لعدم حصانها ، وعاد إلى قاعدته الأولى في ايكحان (١١٢) .

وعندما تحسنت الأحوال الجوية سار الأحول فعلا إلى تازروت فوجدها
خاوية فأحرقها وأحرق القصر الذي كان قد بناه أبو عبد الله ثم انه عرج على
ميلة ، التي وجدها خالية هي الأخرى بعد أن جلا عنها أصحاب الداعي (١١٣) -
والظاهر أن الأحول اكتفى بذلك السحاح الذي حققه فعاد إلى تونس رغم ما يقوله

(١١١) انظر انتاج البعثة من ١٣٤ - ١٣٦ ، حيث تفصيلات القتال الذي انتهى
بقتل موسى بن عياش وكذلك رسالة كتابة المذكورين . وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٣ -
(١١٢) انتاج البعثة ، زمر ١٢٤ - ١٢٨ ، وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . وعن
أبي حوال انظر ج ١ ص ١٥٨ ، والاهميش ٥٨ -
(١١٣) انتاج البعثة ١٢٨ - ١٣٦ ، وقانون ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ (الذي يحمل ذلك
على عهد ابراهيم بن أحمد) ، وابن خلدون ج ٤ ص ٣٤ -

القاضي النعمان من أنه كان ينوي متابعة أبي عبد الله في أيكجان ، لولا تورط بعض رجاله ، وهو إبراهيم بن موسى بن عياش ، في قتال غير موفق مع قبيلة نطاية قرب ميله مما اضطره إلى الرحيل (١١٤) .

أيكجان تستعيد مركزها كدار هجرة :

بعد الهزيمة أمام الأجل التي انتهت بانتهاك الجند الأغلبى لحرمة تازروت وإجراقها رأى أبو عبد الله أن يستقر من جديد في أيكجان . يجبل زلدي الجصين ، وكان الحاج يبنى سكتان في أن يبقى بين إظهارهم مما جعله يتخذ هذا القرار . وكان من الطبيعي أن يقوم أبو عبد الله ببناء قصر لمسكنه ، كما ابتنى كبار أصحابه بالقرب منه ، وأتى أتباعه في أعداد وفيرة لكي يقيموا حوله في القرية الجبلية التي صارت « دار هجرة » أي حاضرة لأهل الدعوة (١١٥) .

عود إلى أعداد « المؤمنين » معنويا ، وعناية بجهاز الأخبار :

والظاهر أن الهزيمة المؤلمة أمام جند الأجل التي لم يحل دون تحولها إلى كارثة كاملة إلا سوء الأحوال الجوية جعلت أبا عبد الله يتروى بعض الشيء قبل أن يعاود مناجزة الجند الأغلبى من جديد . فلقد عاود الداعي سيرته الأولى في أيكجان ، فعقد مجالس العلم لأصحابه « المؤمنين » ، فكان يحدثهم ويرشخ لهم أصول الدعوة ، كما أمر الدعاة بأن يفعلوا مثل ذلك في مواضعهم ، « فحسنت ثبات المؤمنين وزادت بصائرهم وصلحت أحوالهم (١١٦) » . وهذا يعني أن الداخلين الجدد في الدعوة من « المؤمنين » كانوا من الكثرة بحيث أنهم لم يكونوا قد دربوا ونظموا في طبقات أهل الدعوة ، مثل « الإخوان الأوائل » ، مما تطلب هذه « الدورات التدريبية » الجديدة - أو أن الأمر تطلب نوعا مما يسمى بـ « التوجيه المعنوي » أو « الثورة الثقافية » في أيامه .

والى جانب ذلك اعتنى أبو عبد الله بتنظيم جهاز الأخبار لديه ، فأرسل رجاله إلى أفريقية يأتونه بما يجرى في عاصمة الأغالبة ، وفي ذلك قيل أنه « كان لا يمر يوم ألا وعنده خبر » . ولم تنته حالة الانتظار والترقب هذه

(١١٤) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٢٩ ، وابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٢٤ (حيث : مسيلة

بدلا من ميله) .

(١١٥) افتتاح الدعوة ، ص ١٤٠ ، وقلوب ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، وابن خلدون ،

ج ٤ ، ص ٢٤ .

(١١٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٢٠ .

ولا عندما في الخبر بوفاة ابراهيم بن أحمد في صقلية (ذو القعدة سنة ٢٨٩هـ /
أكتوبر ٩٠٢ م) (١١٧) .

الانتصار على محمد الأحول (أبو حوال) :

وظاهر أن حلود أبي عبد الله إلى السكينة جرأ أبا الغناس على القيام
بمحاولة ثانية قد تخلصه من الثورة الكتامية ، فعهد من جديد بقيادة الحملة
إلى ابنه محمد الأحول الذي كان قد قوى جناحه بعد انتصاراته الأولى - وسار
الجيش الكبير الذي انضم إليه خصوم الداعي من كتامة إلى بلاد الراب متخذاً
نفس طريق الحملة الأولى ، فمر بسطيف وانتهى به المسار إلى بلد مبنوسة
حيث خندق على معسكره . وعندما علم أبو عبد الله بمقدم الأمير الأغلب
حشد رجاله وزحف إليه من ايكجان نحو بلد لهيصة ونزل على موضع يعرف
بـ « سدوسة » . وبدأ القتال عندما نعت أبو عبد الله خيله لمهاجمة الجند
الأغلب في معسكره - وتحقق ما كان يهدف إليه أبو عبد الله إذ تمكن رجاله
عن هزيمة جند الأغلب في الميدان المفتوح بعد أن خرجوا من خندقهم ، فارتدوا
إليه .

وظاهر أن الأحول خشي أن تحيط به القبائل وهو في خندقه ، فقرر
الانسحاب في نفس الليلة على ضوء المشاعل إلى سطيف . وفي الصباح كان
رجال أبي عبد الله يضربون في ساقته ، ويفنمون ما كان قد بقي من رجاله
في معسكرهم . وهكذا انتهى اللقاء الثاني بانتهزام الأحول ، وعودة أبي عبد الله
مظفراً إلى ايكجان (١١٨) وأتى اغتيال أبي العباس (آخر شعبان سنة ٢٩٠هـ /
٢٨ يولي ٩٠٣ م) وولاية زيادة الله اللاهي ، الذي قتل أخاه الأحول في شعبان
التالي ، لكي تقوى من جان أبي عبد الله وتطمعه فعلا في هدم الدولة
الأغلبية (١١٩) .

الاستيلاء على ميلة وسطيف :

هكذا تمكن أبو عبد الله في سنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م من الاستيلاء على

(١١٧) انتاح الدعوة ، ص ١٤٠ - ١٤١ . وعن تاريخ وفاة ابراهيم د السبت ١٣ من
ذو القعدة / ١٩ أكتوبر ، (ص ٩٢) .

٢ (١١٨) انظر انتاح الدعوة ، ص ١٤٢ - ١٤٣ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ : الذي
يجعلها اللقاء الثالث للأحوال مع الداعي ، ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٤ .

(١١٩) انظر انتاح الدعوة ، ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وقارن ابن الأثير سنة ٢٩٦
ومن خطوة مقتل أبي حوال الذي اعتبره التويري أعظم فتح هذه الشيعة ، انظر فيما سبق
ص ١٦٢ .

ميلة بسهولة : حيث لا نجد في افتتاح الدعوة التي يلخصها ابن الأثير تفصيلات عن ذلك ، كما حث في الاستيلاء عليها لأول مرة (١٢٠) . وبعد أن اطمأن أبو عبيد الله إلى استقرار الأمور في منطقة ميلة ، كان من الطبيعي أن يوجه أنظاره إلى سطيف التي كان واليها الأغلب ، وهو على بن حفص المعروف بلقب عسلوكة الذي شارك الأحوال في حملته ، والذي عرف في الناحية بالبطولة والنجدة ، يهدده دائما . وما زاد في اشتاق أبي عبد الله من صاحب سطيف : أنه كان على علاقات طيبة بخصوم الداعي من زعماء كتامة الذين كانوا يقدمون له المعونة والجند في قتاله لأهل إيكجان .

بناء على ذلك لم يكن من الغريب أن تطاول مدينة سطيف حشود أبي عبد الله لمدة ٤٠ (أربعين) يوما حتى اضطر الداعي إلى العودة إلى إيكجان . حيث أقام شهرا يدعو الأولياء إلى الانضمام إلى قواته . ورغم ذلك فعندما عاد إلى سطيف في عسكر لا يحصى قاتله على بن عسلوكة خارج المدينة قتال الأبطال ، وكان من الطبيعي أن ينتهي الأمر بالتجائه إلى حصن المدينة حيث مات هو وأخوه حبيب ، متأثرا بجراحه - كما قلن - فأنحل أمر سطيف ، كما يقول القاضي النعمان . ورغم ذلك فلم تدع المدينة إلا بالأمان الذي فاوض عليه الزعيم داود بن حباسة اللهيبي ، لأهل المدينة ولقفسه . ربر أبو عبد الله بأمانه فلم يقتل إلا من يستحق القتل ، كما أمر بهدم سور المدينة ، قبل عودته إلى إيكجان ، بعد أن عهد بولايتها إلى بعض رجاله (١٢١) .

الدفاع عن منطقة القبائل والاتصال على ابن حبشي قرب قسنطينة :

لا شك أنه كان لسقوط سطيف وقع اليم في عاصمة الأغالبة ، وخاصة بين أولئك الملاحين فيها من زعماء كتامة الذين حرصوا زيادة الله على معالجة الأمر قبل أن يفوت الأوان . وقام زيادة الله في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م بعهد جيش عظيم يعتبر أكبر جيش سيره الأغالبة حتى ذلك الوقت ، ضد الداعي : إذ بلغت عدته ٤٠ (أربعين) ألف رجل بما بين فارس ورجل ، مسلحين أحسن تسليح ومزودين بالأموال والعتاد ، وعهد بالقيادة إلى قريبه إبراهيم بن حبشي .

(١٢٠) انظر فيما سبق ، ص ٥٥٩ .
(١٢١) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٥٤ - ١٥٦ . وابن خلدون ، ج ٢ ص ٢٥ (حيث اسم على بن عسلوكة : على بن جعفر بن هكوة ، كما يوجد ذكر أيضا للزعيم اللهيبي (من تمار ليهبة) الذي كان لاحقا إلى سطيف مع غيره من زعماء كتامة) . ولقد تم فيما سبق .
ص ١٦٨ .

ورأى انباء: موى بشتون الحرب أن يسير الجيش هذه المرة في طريق يخالف الطريق 'الى سار فيه الأحوال من قبل ، فاحذ مباشرة على طريق «قسنطينة» في طرف بلاد كتامة حيث نزل في موضع لا يبعد الا مرحلتين فقط عن 'يكجان . وعلى طول الطريق كان يستميل القبائل بالمال ، ويضرب العصاة . والظاهر أن ابن حبشى كان ينتظر أن ينزل أبو عبد الله اليه من معقله في الجبل ، وهذا ما لم يفعله الداعي . وطال انتظار ابن حبشى في قسنطينة لمدة ستة أشهر تضخمت فيها قواته يرجال القبائل- وبمسكر طينة ، عاصمة الزاب ، بقيادة القائد شيب بن ابي الشداد حتى وصل عسكره الى ١٠٠ (مائة) ألف رجل ، كما تقول الرواية بشيء من المبالغة على ما نظن (١٢٢) .

. ولما لم ينزل أبو عبد الله من معقله ، ولما كان من الصعب على القائد الأغلبى أن يحتفظ بهذا الجيش الكبير ، انتهى كان يتصمّم مع مرور الوقت من أجل الأرزاق ، كما نظن ، قرر ابن حبشى أن يسير بقواته تلك للدخول في عرين الداعي نفسه . فتقدم فعلا الى بلدة اجانة (ايكجان) حيث نزل في موضع يعرف عبد القاضي النعمان بـ « كونة » (١٢٣) .

ورغم ما يقوله القاضي النعمان من أن ابراهيم بن حبشى كان لا يعرف الحرب ، إذ نازل الخيالة المنتقاء الى أرسلينا أبو عبد الله للعرف على موضع نزوله ، فالأرجح أن أبا عبد الله دبر تلك المفاجأة لابن حبشى الذي يهور في مسالك الجبال الوعرة ، فعاجاً ساقته حب آحماء الجيش وعساده على الدواب والجمال ، فتشتت أمام فرسان الجبل المدربين . وقبل أن يفيق الجند الأغلبى من صدمة المفاجأة ، زحف اليهم أبو عبد الله بقواته الرئيسية فتمت الهزيمة على الجيش الجرار ، ولم ينج ابن حبشى الذي جرح الا بشق النفس . وهكذا تشتت الجند الأغلبى في اتجاه باغاية من بلاد الزاب وسقطت أمتعة الجيش الكبير وأمواله وعتاده بين أيدي أصحاب أبي عبد الله (١٢٤) .

. (١٢٢) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٥٧ - ١٥٨ . وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٥ ، في فصل ذكر استيلاء أبي عبد الله على القرية . حيث يقول انه انضم الى حبشى مثل جيشه ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ .

(١٢٣) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ ، وقارن ابن عسدي ، ج ١ ص ١٢٨ : حيث القراءة في المتن كنبولة وفي الهامش كونة ، كما في إحدى المخطوطات ، مما جعلنا نرجح قراءة المخطوطة وداد القاضي . أما قراءة ابن الأثير فهي كرامة (وكرامة في إحدى المخطوطات) .

(١٢٤) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٥٨ - ١٥٩ ، وانظر تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٥ ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ . حيث الإشارة الى أن الوقعة كانت قرب مدينة جلزمة .

مفانم هاندة كان للمهدي نصيبه منها ، وهو على سبيلها :

وانتهت الملحمة الكبرى ، التي يصعبها ابن عذارى وصفا رائعا ، بمقتل الكثير من الجند الاغلبى ، ووقوع الغنيمة العظيمة بين ايدي كتامة ، من : الأموال والسلاح والسروج واللجم وضروب الأمتعة ، فامتنوا بعد فقر ولبسوا الحرير وركبوا بسروج الفضة واللجم المذهبة (١٢٥) .

وأمام جسامه الكارثة التي المت بجيشه ، لم يتوقف ابراهيم بن حبشى الا ريثما يكتب الى زيادة بما حدث ، ولم ينتظر الجواب فرجع الى افریقیة . بينما عماد شبيب بن أبى الشداد قائد عسكر طينة الى بلدته (١٢٦) .

وكان من الطبعي أن يسعد أبو عبد الله بهذا النصر الكبير فكتب الى الامام بسبيلها يخبره به ، كما أرسل اليه بأموال وذخائر مما غنمه ، من : الدنانير الذهبية وفاخر الثياب (١٢٧) .

فتح بلاد الزاب : طينة :

شعر أبو عبد الله بقوة ، وقوى جنان أصحابه بعد اندحار العسكر الاغلبى الكبير ، وكان من الطبعي ان يواصل المسيرة المظفرة الى آخر الشوط ، وكان من الطبعي أن تكون طينة هي هذه التالى . فطينة الى جانب كونها عاصمة الزاب كان بها حامية اغلبية كبيرة هي التي كانت قيادتها الى شبيب بنى أبى شداد القمودى المعروف بشبيب الصغير ويعاونه خفاجة العيسى . كما كانت ملجأ لعدد من زعماء كتامة المناهضين لأبى عبد الله منذ بداية دعوته مثل : فتح بن يحيى المسالى ، ولو أنه كان يعاني من جرح جائف أصيب به فى حرب ابراهيم بن حبشى الخاسرة .

نادى أبو عبد الله فى القبائل ، وحشد حشوده التي زحف بها ، وهو تحت مظلتها ، الى طينة وطوقها . وهال والى المدينة حسن بن أحمد بن نالذ المعروف بابى المقارع كثرة قوات الداعى ، فاكتمى بالاعتصام بأسوار المدينة ، وجمعه أعوانه ، من صاحب الخبز : محمد بن قزهب ، وصاحب المعطاء : يحيى بن

(١٢٥) انظر البيان ، ج ١ ص ١٣٨ ، وما سبق ، ص ١٦٩ .

(١٢٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٥٩ .

(١٢٧) افتتاح الدعوة ، ص ١٦٠ ، ابن عذارى ، ج ١ ص ١٢٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ (حيث تقول الرواية : وكتب الشيبى بالفتح الى المهدي مع رجال من كتامة أخذوا أنفسهم حتى وصلوا اليه وعرفوه بالخبر) .

القسرى . وكانت قوات أبى عبد الله قد تقدمت فى العسكرية فاصبحت تعرف بن الحصار ، وتستخدم الآلات اللازمة له ، فتقدم «الأولياء» بداية من دباباتهم ، ولقبوا برجا من أبراج السور ، والمحاول المدافعين عنه الى الحرب . وبذلك نجحوا فى الدخول الى المدينة التى كان عامة أهلها من الجار ، فأممهم الداعى . أما الوالى أبو المقارع ومن معه من الرعاء الكتاميين والعمال الأعاليبة ، وانهم اعتصموا بالقلعة . ولكنهم لم يلبثوا ان استسلموا بالأمان أمام أبى زاكى تمام بن مبارك . وسوافة أبى عبد الله نفسه . ومع أن أبى عبد الله قتل عدوه القديم الفصح بن يحيى . فانه عفا عن الوالى أبى القارح . وضحجه معه الى ايكجان حيث قربه منه ، وذلك بعد أن عهد بولاية طمنة الى أبى عبد الله يحيى بن سليمان (١٢٨) .

فتح بلزمة :

وبعد طبة أتى دور بلزمة التى فشل أبو عبد الله فى احدها فى ثلاث حملات متتالية فى ثلاث سنوات متعاقبة ، إذ كانت المدينة ذات الأسوار الحصينة تدافع عن نفسها بما يصنعه أهلها من المحانيق والعرادات وآلات الحروب ، فكان أبو عبد الله يكتفى بإفساد زروعها . وأمام استعداد بلزمة هذا فى حرب المطالبة الآلية ، أتى أبو عبد الله هذه المرة مزودا بآب الحصار القوية ، من : الدبابات والأبراج ، ولكن أهل بلزمة الخبراء فى حرب الحصار نجحوا فى احراقها . ولكنه مع اشتداد الحصر جاع أهل المدينة الذين أكلوا الجلود والدق ، واضطروا الى الاستسلام بعد أن مات واليهم . حى بن نميم . فينسوا من الاستمرار فى المقاومة .

وهكذا فتحت بلزمة عنوة ، فقتل من كان قد بقى من مقاتليها . وإذا كان القاضى النعمان يقول : ان عسكر الداعي لم يعرضوا لامرأة حرة . فهو ينص على أنهم غنموا ما وجدوه فى المدينة من : الأثاث والأمتعة وغيرها ، مما عادوا به الى ايكجان ، فقد أن هدموا سور المدينة بأمر الداعي (١٢٩) .

(١٢٨) أظفر التتاج الدمرة ص ١٦٠ - ١٦٣ وقرن اس الأبر (الذى يلخصه) سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦ (ابن خلدون ج ٤ ص ٣٥) وأظفر فيم سبق ص ١٧٢ .
وم بعدها .

(١٢٩) أظفر التتاج الدمرة ص ١٦٤ - ١٦٥ ، ابن خلدون ج ٤ ص ٣٥

هزيمة الجند الألبى في دار ملول :

كان لسقوط عاصمة الزاب وبعلها بلزمة بين أيدي الأيكجانيين وضع عظيم في قلب زيادة الله الذي أعد جيشا عظيما بلغ اثني عشر ألف رجل من الفرسان والرجالة الذين أوسع عليهم في المعطاء حتى يحسنوا القتال هذه المرة ، وجعل قيادتهم الى هرون بن الطيتي ، وأمره بالمسير الى باغاية حيث كان واليها أخوه زيادة الله الطيتي ، ووفى باغاية وقد عليه كثير من رجال القبائل الذين أجزل لهم المعطاء مما كان يحمله من الأموال .

والظاهر أن وجهة هرون كانت بلزمة ، ولكنه عرج في الطريق اليها على بلدة تعرف بدار ملول ، كانت قد دخلت في طاعة أبي عبد الله ، فدخل عليهم بكل قواته فهدم حصنهم ، وقتل من وجده فيه . ولكن الجيش الكبير انتابه الهلع فجاء عندما واجه جريدة لأبي عبد الله كانت قد خرجت بقيادة هروبة بن يوسف لتستطلع أخبار الجند الأغلبى ، فتصايح الرجال وغرروا نحو الجبل القريب للتحصن فيه . وعندما تأكد هروبة أن ليس في الأمر مكيدة ، تبعهم يقتلهم ويفنم عتادهم - وهكذا انهزم الجند الأغلبى نحو باغاية دون قتال ، بعد أن ترك قافلة هرون في أرض المعركة ، وأمواله وعتاده غنيمة سهلة بين أيدي أصحاب أبي عبد الله . وأتت أنباء الهزيمة الى زيادة الله من قبل عامل باغاية فزادته غما على غم (١٢٠) .

فتح تيجس :

والظاهر أن هزيمة دار ملول ، وما لقيه العسكر الأغلبى قبلها من الهزائم ، شجع أعوان أبي عبد الله في المنطقة على أن يجربوا حظهم في الاستيلاء على بعض مدائن الأغالبة . فقد انتهزت جماعة من حوارة الفرصة وسارت الى أبي عبد الله في ايكجان وعلى رأسها حمزة الملقى الذي استأذن الداعى لى الغارة على نواحي بلدة . ونجح حمزة فعلا في الغارة على البريد الآتى من القيروان الى باغاية ، فقتل صاحبه وحمل ما كان معه من الكتب الى أبي عبد الله .

وتشجيع أصحاب حمزة الملقى فصاروا يضربون في النواحي حتى جاوزوا مدينة تيجس التي كان بها رابطة أغلبية من ٥٠٠ (خمسمائة) فارس تحت قيادة

(١٢٠) الانتاح الدعوة ، ١٦٤ - ١٦٦ ، وانظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥٠ (حروب القراء :

مدينة أمول بدلا من دار ملول) .

الوالي ابن ركاب ، وبما رآه أحد غلمان زيادة الله . وأمام غارات الهواريين
استمرت دوى والى تيجس أن الحكمة تقضى الدخول فى حماية ايكجان ،
مراسل ابا عبد الله وأعلن خضوعه له ، وسأله أن يرسل اليه جيشا لمواجهة
الحامية الأغلبية . وتطلب الأمر من الداعى ارسال جيشين الى تيجس لى
تستسلم المدينة ، ولكن على أن تخرج الحامية الأغلبية من الحصن بأسلحتها
وعتاتها . وهكذا سقطت تيجس بالأمان وعاد جندها الأغلب الى زيادة الله ،
بينما دخل ابن ركاب فى الدعوة (١٣١) .

وكان لوفاء أبى عبد الله لرابطة تيجس أثره الحسن فى قلوب أهل
الريقية ، فبعد أن كانوا يخشون غدر أصحابه مالت نحوهم قلوبهم ، كما
يقول النعمان ، وبذلك اضطربت البلاد وتوقعوا وصول أبى عبد الله
اليهم (١٣٢) .

حرب الدعاية ضد أبى عبد الله وفشلها :

مام فشل زيادة الله فى حرب الايكجاني بالعساكر قرر أن يجرب
عده حرب الدعاية النفسية ، كما يقول الآن - فكتب كتابا ضد أبى عبد الله
وأمر بنشره فى مختلف البلدان . نسب زيادة الله فى كتابه هذا الى أبى
عبد الله : الكفر ، وتبديل الدين ، وارتكاب المعاصى ، وأنه يلعن الصحابة
ويستحل دماء المسلمين ، الى جانب انصرافه الى اللهو والعبث وشرب الخمر .
كما حذر الناس من أرجاف المرجفين و « تهويل المهولين » أمر الفاسق
اللعين (١٣٣) ، ويشكك القباقي لينجهان فى كتاب الخليفة المكتفى فى أمر الداعى
اللقى كتبت منه نسخ قرأت على المتأخر ، والذي يصيب أبى عبد الله بما يشبه
الأوصاف السابقة ، ويضيف الى ذلك ثقة الخلافة بزيادة الله ، ويطلب من
أهل الريقية الوقوف الى بجانبه (١٣٤) .

وأنت تلك الدعاية بمكس ما قصد منها . فكتاب زيادة الله آثار السعيرية

(١٣١) انظر الفتاح الدعوة ، ص ١٦٧ - ١٦٩ ، وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٦٦ هـ ج ٨
ص ١٦ ، وابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥ (سيت القراء : يجببت هذا من شخص م)
(١٣٢) الفتاح الدعوة ، ص ١٧٠ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٢٥ (سيت النص على
أن قائد الجيش المظفر هو يوسف السمانى)
(١٣٣) انظر الفتاح الدعوة ، ص ١٧٠ - ١٧٣
(١٣٤) الفتاح الدعوة ، ص ١٧٤ - ١٧٧ .

= ٥٦٩ =

بذكره مفاسد الداعي وذكر الناس بمفاسده هو نفسه ، كما لم يزدحم « الإ خوفًا وإرجافًا ، وثناؤًا بأمره واستغفارًا » (١٢٥) . وليما يتعلق بكتاب الخلعة فقد أثار مثل هذه المشاعر في نفوس الناس ، أما عن تحريضه الناس للوقوف الى جانب أميرهم زيادة الله ، فكان ردهم : « وما عسى أن يصنع الرعية له ؟ إنما الرعية لمن يغلب » (١٢٦) .

تظاهرة الخروج الى الأربس :

ولكى تؤتى حرب الدعاية التي شنها زيادة الله على الداعي ثمارها ، رأى الأمير الأغلب أن يصحبها بعمل إيجابي ملموس لقرّر الخروج بنفسه لملاقاة خصمه . فآخذ يعدّ العدة للحرب ، فجهز السلاح والأموال ، وبالح في شراء الناس بالمال فأجزل لهم العطاء الذي بلغ خمسين دينارًا : كان يفرطًا غرقًا بالصحاف ، حتى أنفق الكثير مما كان في خزائنه من اللخائر والخلي والخلع . وفي أول سنة ٢٩٤ هـ / نوفمبر سنة ٩٠٤ م خرج يتقدمه حشود أهل القيروان الى مدينة الأربس القريبة ، التي أصبحت وكأنها كفر الريقية مع الداعي . ولكنه بعد أن أقام فترة في الأربس حيث وأقته العساكر ، نصحه مستشاروه بعدم المخامرة بنفسه فاستحسن ذلك ، ورجع الى قصره بقيادة بعد أن عهد بقيادة العسكر في الأربس الى قريبه إبراهيم بن أبي الأغلب ، الذي كان معدودًا من الشجعان (١٢٧) .

فتح بالمخاية :

بعودة زيادة الله من الأربس ، توجهت الناس خيفة في القيروان فالتكلموا المحارس على أبوابها ، وأقاموا بها ليلا ونهارا . وعندما بلغت هذه الأخبار الى أبي عبد الله بدأ حيلته الكبرى التي أطلق فيها كـ « رصاصات الرعية » كما يقال الآن ، بالنسبة للمملكة الأغلبية المفتعلة . فلقد انفق الداعي مكاتبة عدد من زعماء بالمخاية ، ممن رأوا الدخول في طاعته يرفعهم بدلًا من الدخول فيها لسرا ، فزحف الى المدينة في جيش كبير ، وخرج عالم بالمخاية الأغلب وفضل الهرم بنفسه يسار الى الأربس ، بينما هطل أبو عبد الله

(١٢٥) نتائج الدعوة . ص ١٧٥ .

(١٢٦) نتائج الدعوة . ص ١٧٨ .

(١٢٧) نتائج الدعوة . ص ١٧٨ - ١٨١ . وقارن ابن الأثير . سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٦ :

حيث يجهل الخروج الى الأربس سنة ٢٩٥ (ابن خلدون . ج ٤ ص ٢٥) .

المدينة بالأمان . وبعد أن أقام فيها أياما عهد بولايتها إلى أبي يوسف ماكنون ابن ضارة الأجانى (عم أبي راكى) ، وترك له حامية . كتامية من خمسمائة رجل ، يسما عاد هو إلى ايكجان (١٢٨) .

وعسما وصلت هذه الأخبار السيئة إلى ريادة الله ، سجن ثقة مستشاريه ، وطلب منهم النصيح والمشورة . واحتلفت الآراء : فبينما نظر البعض في ضرورة إرسال ابن أبي الأغلب من الأربس إلى الزاب لاستعادة باغاية ، رأى الوزير عبد الله بن الصائغ أن ذلك يعرض الجيش لخطر قوات أبي عبد الله نفسها ، وأن الأفق لابن أبي الأغلب هو البقاء في الأربس متربصا ، فإذا حاول الداعى الخروج إلى غير باغاية من المواضع لحق به ، ومنعه من تحقيق مآربه (١٢٩) . ومع وجهة رأى الوزير هذا ، فهو يعنى في حقيقة الأمر أن القوات الأغلبية كانت أعجز من أن تلاقى قوات أبي عبد الله سواء في باغاية أو غيرها .

وهذا ما تعبر عنه الرواية ، عندما تقول : ان زيادة الله استمع بعد ذلك لنصحاء السوء ، الذين أغروه بالانصراف إلى اللهو والشراب ليخفف عنه هموم أبي عبد الله ، وأن هذا ما فعله (١٤٠) . ولو أنه ظل يمد ابن أبي الأغلب بالاموال والرجال (١٤١) .

عمليات جسي نبض محدودة :

أخذ مجانة :

عندما تأكد أبو عبد الله من أن عسكر ريادة الله مقيم بالأربس لا يتحرك منها ، قرر مواصلة العمل في اقتطاع المملكة الأغلبية قطعة بعد أخرى .

(١٢٨) - افتتاح الدعوة ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(١٢٩) - افتتاح الدعوة ، ص ١٨١ - ١٨٢ .

(١٤٠) - انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٨٣ حيث يقول الصبان ان بعض دمهاله نصحه بذلك وحث عليه أمر شياع باغاية ، ورتب له دورا غاليا يسهم في مجلس المشرب خوامه ذلك البيت الذي يقول : « اشرب واسقينا من القرن يكفينا » ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، وانظر ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٣ . حيث يقول ان زيادة الله هو الذي كان يقول لدماله اذا فكر في زوال ملكه : « املا واسقى من القرن يكفينا » . وانظر قسبا سبق ، ص ١٧٥ وم ٥٧٣ .

(١٤١) - انتاج الدعوة ، ص ١٨٥ .

وكانت مجانة هي هدف في هذه المرة اذ سبر اليها ألف فارس انتقام من -
خير فرسانه ، يدعى ، رأسهم . أبو مدين ابن أبي كفاوة - الليهي - وسار
كتيبة الفرسان إلى باغاية ، ومنها خرجوا نحو مجانة . وعندما رأى واليها
الأغلبى ، خفاجة العيسى ، اقترابهم . ظهر لهم حيث قاتلهم طيلة النهار إلى أن
نحل الليل فدخل المدينة . والظاهر أن خفاجة وجد ألا قبل له بمقاتلة أصحاب
أبي عبد الله ، فاكتمى بالبقاء خلف الأسوار . ولما كانت كتيبة الفرسان غير
مستعدة لحرب الحصار ، فإن رجالها اكتفوا بنهب المنازل القريبة من قلعة
مجانة ، قبل أن يعودوا إلى أيكجان .

وتطلب الأمر عودة أبي مدين مرة ثانية إلى مجانة عن طريق باغاية ،
وتبساً . ونجح أبو مدين هذه المرة في مفاجأة خفاجة وخيائته ، وأنهى
القتال الدامي بمقتل خفاجة وعدد كبير من رجاله ، بينما نجا عدد منهم إلى
القلعة (١٤٢) . ومع أن القاضي النعمان يتبع ذلك بقوله : أن عسكر أبي عبد الله
عاد برأس خفاجة إلى أيكجان ، فأغلب الظن أنهم فعلوا ذلك بعد أن سقطت
قلعة مجانة بين أيديهم ، كما ينص على ذلك ابن الأثير (١٤٢) .

أخذ قصر الافريقى ، وتيفاش ، وقائمة :

هكذا فرض أبو عبد الله سلطانه على المنطقة ، فكان له الحكم بين
القبائل المتصارعة هناك ، كما عرف كيف يستفيد من تلك الصراعات . فعندما
استنصرت به قبيلة كزناية اثر خلاف نشب بينهم وبين أهل قصر الافريقى
انتهاز الفرصة وسير عسكرا بقيادة أحمد بن سليمان السكتانى ، هزم مقاتلة
أهل قصر الافريقى حتى جلوا إلى بلدة طبرشق ، كما أنحن في قبائل المنطقة
ونهبهم ، قبل العودة إلى أيكجان (١٤٤) .

ولما رأى الوالى الأغلبى لبلدة تيفاش ، وهو اسحاق بن أبي سلاسى ،
جولات عسكر أبي عبد الله فى المنطقة وضلواته دون أن يتحرك لذلك جنت
الأربس وطلب الرجل العافية فسار بنفسه لاجل إلى أيكجان (١٤٥) . وعندما

(١٤٢) انظر النتائج الدورة ، ص ١٨٦ - ١٨٧ .

(١٤٣) الكامل ، أحداث سنة ٢٩٦ هـ / ج ٨ ص ١٦ ، والظاهر ابن خلدون ج ٢ ص ٢٥١ .

- حيث القرامنة : قرطاجنة ، بدلا من مجانة .

(١٤٤) انظر النتائج الدورة ص ١٨٧ - ١٨٨ .

(١٤٥) النتائج الدورة ، ص ١٨٨ - والقاضى النعمان لا يذكر نسبيا لذلك ولا يمكن

حسمه بسبب خلاف بينه وبين أهواله أو عسكره .

عرف ريدده الله بذلك كان من الصعب عليه أن يجد بين أصحابه من يرضى بالعامره بعينه في تناول أبي عبد الله وإن كان من أهل الولاية ، وأخيراً وصف له ، بل من وجوه أهل تيفاش ، هو حبيب بن ليفة ، « فكتب إليه بالولاية ، ربعث إليه بصلة وخلعة ، فقبل وتولى أمر تيعاش » (١٤٦) .

ولما كن أهل تيفاش على صلة بأبي عبد الله ، فإنهم أخبروه بأحوال البلد وسألوه أن يوجه إليه عسكرياً ليأخذه . وكان على رأس كتيبة الفرسان التي سيرها أبو عبد الله أحد الدعاة ، هو صولات بن القاسم السكاني . وما كاد فرسان كتامة يقتربون من تيفاش حتى خرج حبيب بن ليفة هارباً إلى ابن أبي الأغلب بالأربس . وهكذا دخل صولات تيفاش بالآمان ، وتولى أمرها (١٤٧) .

وكان لوجود العسكري الكتامي في تيفاش فعل السحر في دخول أهل الناحية في الدعوة .

فالي تيفاش وصل خلفون بن مهدي قائد عسكري قائلة وسأل صولات الآمان لأهل البلدة والدخول في الدعوة . ووافق صولات على أن يبعث إليه بعض رجال المدينة ، ومنهم صاحب السكة ، إبراهيم بن البروج ، وسير معه ثلاثمائة فارس (١٤٨) .

وتبع ذلك أن وصل إلى صولات وفود من بني وريدم يطلبون الآمان وكذلك من بني هراش ، فأجابهم ، وطلب إلى رجال الوفود هؤلاء بالانقال إلى إيكجان ، دار الهجرة (١٤٩) .

وهكذا كانت سيطرة أبي عبد الله تتأكد في المنطقة ، لم يضعف من شأنها ما قام به إبراهيم بن أبي الأغلب ، بتحريض حبيب بن ليفة ، عن استعادة تيفاش لفترة من الوقت . إذ لم تستطع الحامية للكتامية الصغيرة ،

(١٤٦) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ١٨٨ .

(١٤٧) افتتاح الدعوة ، ص ١٨٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦ ، وابن حلتون ج ٤ ص ٣٥ . حيث اسم قائد التميمي . صواب بن أبي القاسم بدلاً من صولات بن القاسم .

(١٤٨) افتتاح الدعوة ، ص ١٨٩ .

(١٤٩) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٠ .

المكونة من مائتي فارس من الوقوف طويلا أمام الجيش الأغلبى الجرار (١٥٠) -
وفى مقابل ذلك النجاش الذى حققه الأغلبة فى تيفاش بتكاليف باهظة .
مد أبو عبد الله الشيعى نفوذه الى بونة - فلقد استغل صراعا قام بين قبيلة
أوجبة هناك ، وسير قبائل كتامة الى تلك الجهة حيث قسموا المنطقة الى ثلاثة
أثلاث ، ما بين ساحل البحر وقلب الفحص ، فشنوا الغارات عليها وقتلوا
وغنموا ، ثم تجمعوا قرب باب المدينة المعروف بزينة ، وعادوا سويا يحملين
بالمغانم الى أيكجان (١٥١) .

الاجتياح الأخير ، ومحاولات الأغلبة فى الصمود :
بفضل هذه العمليات العسكرية المحدودة ، عرف أبو عبد الله الشيعى
أن جيش الأربس الأغلبى لا يكون فى الحقيقة ، حائلا بينه وبين تحقيق هدفه
النهائى ، وهو انهاء حكم الأغلبة فى أقرىقية ، فقرر أن يأخذ أزمة الحرب بين
يديه ، وأن يباشرها بنفسه . فقد خرج الداعى فى سنة ٢٩٥ هـ / ٩٠٨ م ،
من أيكجان فى جيش فظاوى كبير ، واتجه الى باغاية ، ومنها وصل الى مسكياتة
ثم خرج منها على تبتنا .

وراضح من رواية القاضى الثعمان أنه لم يكن أمام تلك المدن الا أن تفتح .
أبرابها لأبى عبد الله - فلم يقف أمامه الا أهل ميدرة الحصينة (حيدرة .
الحالية) ، حيث كان قد لجأ اليها المعاندون من بقايا أهل قصر الألفى ،
ومجانة ، وتبسا ، ومرمجة ، وغيرهم : ممن ظلوا كارهين لدعوة أيكجان .
فبعد تحصن هؤلاء بأسوار البلدة ، وبينما كان العسكر الكتامى يضرب
احصارا على ميفة عاودت علة الحصاة أبا عبد الله فانشغل بنفسه عن القتال .
وهكذا عندما أطن أهل البلدة من أعلى الأستوار وسألوا الكتاميين الأمان ،
أجابهم هؤلاء ، ولكنهم ما أن فتحوا باب المدينة حتى توجسوا بالكتاميين فطعنوا
السيف على رقابهم ، وينهبون ما تقع عليه أيديهم ، مما اغتم له أبو عبد الله
حتى أنه خرج بنفسه رغم ما كان يعاينه من الألم ، لكى يستنقذ ما أمكنه
استنقاذه من أيدي العسكرى .

(١٥٠) التاج للدعوة ، ص ١٦٠ - حيث يقول الرواية أن حبيب بن لينة قتل الرجل
الذى دعا أبا عبد الله للموت . قيل أن رموه عند ذلك بن كليب ، الذى كان تحتيا قريبا . وقارن
ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ (حيث النص على أن الذى اقترح قتل حبيب بن لينة هو الشكر الكتامى هو
القائد «يرحمتهم» أبو الأغلب بن الحلق خلف أبا حوال) .
(١٥١) التاج للدعوة ، ص ١٦١ .

وحتى لأبي عبد الله أن يفهم لذلك ، فلما وصل الخبر القيروان حتى قام رجال ريادة يشنعون عليه وعلى أصحابه ، وينسبون إليهم الضرر وعدم حرفاء بالعهد (١٥٢) ، وكتب زيادة الله في ذلك الكتب التي قرئت من على

١١ (١٥٢) .

ومن حيدرة رحل أبو عبد الله الشيعي ، وأخذ بلدة القصرين من إقليم حمودة في جنوب بلاد القيروان بالأمان ، ومنع عسكره من دخول المدينة ، فكان أهلها يسايعون من الكتاميين من فوق الأسوار (١٥٤) .

الانتصار محدود للأغلبية :

وظهر لإبراهيم بن أبي الأغلب ، وكان أبا عبد الله قد قرر الصعود نحو رقادة حيث زيادة الله في عسكر قليل ، فترك الأريس واتجه نحو أبي عبد الله ، الذي كان في القصرين ، ونزل في موضع يعرف بـ « دار مدين » (١٥٥) . وتم اللقاء بين الجيشين الأغلب والكتامي فيما بين دار مدين والقصرين ، والظاهر أن القتال الذي بدأ بانتصار مبدئي لعسكر ابن أبي الأغلب على مقدمة عسكر أبي عبد الله انتهى ، عند حلول الليل ، بانسحاب هذا الأخير نحو القصرين . من حيث عاد إلى إيكجان . واكتفى ابن أبي الأغلب بذلك ، فلم يحاول متابعته وكتب إلى زيادة الله بالنصر ، فكتب بدوره السجلات التي قرئت في البلدان على المنابر (١٥٦) .

موقف تردد وحيرة من جانب أهل الإقليم بين الجانبين المتصارعين :

والظاهر أن ذلك النصر المحدود الذي حققه الجيش الأغلب ، والدعاية الكبيرة التي روجها زيادة الله حول جيشه المنصور ، كان له الأثر في نفوس أهل المنطقة الذين احتاروا في اختيار الطرف الذي تقصى المصلحة بالوقوف إلى

(١٥٢) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٢ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٦

(١٥٣) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ .

(١٥٤) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ .

(١٥٥) إظهار افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ : حيث القصة مرويحة .

(١٥٦) افتتاح الدعوة ، ص ١٩٣ - ١٩٤ ، وقارن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ .

جانبه . وكانت نتيجة ذلك انزال العقوبة بهم من هذا الجانب أو ذلك ، وتلك
سنة فترات مثل تلك الأزمات التي قد لا يعرف فيها ، حتى أول الأمر أنفسهم ،
من أين تهب الرياح المضطربة .

فلقد تصورت بعض قبائل منطقة قصر الافريقى وطبرشق أن الرياح
غيرت اتجاهها وأصبحت تسير نحو الأريس وليس إيكجان ، فسارت وفود منه
الى ابن أبى الأعرب يعلنون الطاعة ، مثل : بنى وشو ، وبنى حراش . ولم
يسلم النساء من انتقام أبى عبد الله الذى سير اليهم بمسكرا بقيادة عروبة
ابن يوسف ، فاجاهم على حين غرة فقتلهم ، ونهب ديارهم قيل أن يطلق
فيها النيران (١٥٧) ، وكذلك فعل أبو عبد الله بينى ماجن (بن هواذة) عندما
خرجوا على طاعته .

أما عن أولئك الذين بقوا على ولائهم لأبى عبد الله ، فإنهم وقعوا يدورهم
لريسة لانتقام الأغلبة . فبينما كان فرسان الداعي يماقبون أهل قصر
الافريقى وطبرشق كانت بعض قوات ابراهيم بن أبى الأغلب تجول في
المنطقة بقيادة ابن الهمدانى ، لمعاينة قبيلة بنى ورديم ، لدخولهم فى طاعة
إيكجان . وتم اللقاء فى أرض بنى ورديم بين قوات أبى عبد الله وقوات ابن
أبى الأغلب . ووجد سيئو الحظ من بنى ورديم أنفسهم بين شقى الرحا ،
كما يقال ، بين القوتين المتنافستين على سيادتهم ، وكانت كل قوة منهما
قد عسكرت على الجبلين المشرفين عليهم ، وهما فى الوادى بين الجبلين
محصورون .

ولم يطل تردد بنى ورديم طويلا ، وذلك أن خوفهم من عقاب أبى عبد الله
إذا ما استسلموا للمسكر الأغلبى ، دفعهم الى الاستبسال فى قتال ابن الهمدانى
ورده عن بلداهم (١٥٨) .

الاستيلاء على إقليم قسطنطينية من بلاد الجريد :

واستمر أبو عبد الله فى تكليفه لطلته التى تلخصت فى اقتطاع أقاليم

(١٥٧) افتتاح الدورة ، ص ١٩٥ ، وانظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ / ج ٨ ص ١٧ ،
الذى أصل تلخيص هذه الأعمال التى اعتبرها ثابرة قبيلة الأسيمة (ابن خلدون ، ج ٤
ص ٣٥) .

(١٥٨) افتتاح الدورة ، ص ١٩٥ - ١٩٦ - ولقد أصل: بنى الجريد تلخيص هذه الأحداث
فى أخرى - سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٧ .

«المملكة الأغلبية المحيطة ببلاد القيروان ، قطعة بعد أخرى • فبعد شهرين أوقف خلالها غاراته حتى قيل انه مريض ، وحتى ظن الأغلبية انه مات (١٥٩) ، خرج من دار الهجرة بايكجان على رأس قوات عظيمة ، وقد قرر- أن يضم قسطنطينية ، هذه المرة ، الى بلاده • وكان عليه أن يسير الى باغاية التي أصبحت قاعدة العمليات في المنطقة • وفي باغاية وافاه واليه على طينة ، عاصمة الزاب بمسكرو ، وقدم اليه كتباً كان قد أرسلها المهدي من سجلماسة مع بعض الرجال الذي تعرضوا لقطع الطريق عليهم من قبل جماعة من زناتة فلم ينج حامل الكتب وحده الى طينة الا وهو في الرمق الاخير (١٦٠) • وهال أبو عبد الله جراءة زناتة على رسل المهدي وفكر في تغيير مسيرته لمواقبتهم في بلادهم البعيدة ، ولكن مشايخ كتامة اقنعوه بارجاء ذلك الى الوقت المناسب ، تحسبا لمفاجأة قد تقع في بلادهم من قبل الجند الأغلبى •

أخذ « توزر » وقصة :

وهكذا صارت القوات الكتامية الى قسطنطينية • والملاحظ أن رواية القاضي النعمان التي يلخصها ابن الأثير ، تجعل من قسطنطينية ، وهي الاقليم الكبير مدينة قاتل أهلها أبا عبد الله ساعة من نهار قبل أن يستسلموا بالأمان • وهذا لا بأس به ، فالمفروض أن مدينة قسطنطينية تعنى ، في هذا المقام ، قاعدة الأقاليم كما هي العادة في تسمية العواصم باسم البلد أو العكس ، وذلك يعنى أن المقصود هو مدينة توزر العاصمة (١٦١) • وهذا ما ينضح في رواية ابن عذارى التي تقول ان قائد زينة الله ، وهما : منصور بن اسماعيل وشبيب بن الصارم ، انهزما الى توزر تنبهما خيل الداعي وهي تحرق القرى (١٦٢) •

وبعد أن استولى أبو عبد الله على ما كان في بيت المال ، سار من عاصمة قسطنطينية الى قصبة التي استسلمت هي الأخرى بالأمان ، وبعد أن أخذ ما كان في خزائنها من المال رجع الى باغاية • وبعد اقامة قصيرة بقرطاج قابو عبد الله حاميه من ٥٠٠ (خمسمائة) رجل في باغاية بقيادة إبي مكدر

(١٥٩) أنظر فيما سبق ، ص ١٧٦ وه ٥٩٠ •

(١٦٠) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ١٩٧ •

(١٦١) الاستبصار ، ص ١٥٥ •

(١٦٢) أنظر فيما سبق ، ص ١٧٨ وه ٥٨٩ •

يعاونه عروبة بن يوسف ، وعاد الى قاعدته في ايكجان (١٦٣) .

محاولة اخيرة لاثبات الوجود من جانب الأغلبية :

وعندما بلغ خبر عودة أبي عبد الله الى بلده تنفس ابراهيم بن أبي الأغلب الصعداء ، وذلك أنه كان يخشى أن يكون هدف الداعي التقسم من الجنوب التونسي نحو القيروان ، حتى أنه أعد العدة لترك الأربس والعودة الى زيادة الله اذا ما حدث ذلك . ولكنه عاد وتشجع عندما عاد الداعي الى بلده وعلم بضعف حامية باغاية ، فسار اليها بكل عساكره . واستغاث أبو مكدول ، قائد الحامية ، بأبي عبد الله الذي دعا كتامة ففاقت اليه من كل جانب . وانتخب أبو عبد الله ١٢ (اثني عشر) ألف فارس من خيرة رجاله ، وقدم عليهم أبا مدين بن فروخ اللهيبي وأمره بالحقاق باخوانه في باغاية للدفاع عنها ضد الأغلبية ، اذا لم يكونوا قد انسحبوا من المنطقة .

وعندما وصل أبو مدين الى باغاية وجد أن اخوانه بها ، رغم قلة عددهم ، كانوا قد قاتلوا الجند الأغلبى قتالا عنيفا حتى ياس هؤلاء الاخيرة من هزيمتهم وخشوا أن يأتى المدد الى الحامية من أبي عبد الله ، فارتدوا على أعقابهم نحو الأربس . وحسب أوامر أبي عبد الله لم يتبع أبو مدين الجند الأغلبى الا الى موضع يعرف بفتح المرعار (١٦٤) .

الانتصار الفاصل لأبي عبد الله في الأربس :

عندما تحسنت الأحوال الجوية عبا أبو عبد الله حشوده وخرج من ايكجان في أول جمادى الآخرة من سنة ٢٩٦ هـ / ٢٥ فبراير ٩٠٩ م ، وهو : عند الجيش الأغلبى المسكر في الأربس . وعرج الداعي ، كما هي العادة ، على مدينة باغاية التي أصبحت القاعدة الحقيقية لعملياته العسكرية ، حيث عرض جيوشه التي بلغت ٢٠٠ (مائتي) ألف رجل ما بين فارس وراجل ، كما يقول القاضي النعمان الذي ينص على أنه اجتمع في مقابل ذلك في الأربس من الجند الأغلبى أعداد لا يحصوها الا الله . وبعد العرض المسكرى سار أبو عبد الله في اتجاه مسكنة ، من حيث سار بخلاء وأذيتها الى أن

(١٦٣) افتتاح الدعوة ، ص ١٦٨ . وقلن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨
ص ١٧ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥ - حيث القراءة : أبي مكدولة الجيلي بدلاً من أبو مكدول)
(١٦٤) انظر افتتاح الدعوة ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، وقلن تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ . ج ٨ ص ١٧ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٥) .

وصل الى وادي مجانة ، ومنه الى وادي مرماجنة ثم وادي الرمل ، على أربعين ميلا من القيروان ، حيث أقام معسكره (١٦٥) .

وقبل أن يتجه الى الأربس رأى أبو عبد الله أن يتعرف أحوال المنطقة وما يمكن أن يكون فيها من الجند الأغلبى ، وما يمكن أن يعوم به من المعارمة .
ففى يوم الخميس ٢١ من جمادى الآخرة / ١٦ مارس بعث سرية من خياله نهب بلدة منبولة . وفى يوم الجمعة المالى وسع أبو عبد الله نطاق جولات فرسانه الى : شقبنارية (الكاف حاليا) التى خضعت بالأمان . وأرض بنى جودان حيث التقت بسرايا ابن أبى الأغلب وتقاتلت معها .

خطة المعركة :

وبعد أن اطمأن الى حالة المنطقة . عبا رجاله يوم السبت ٢٣ من جمادى الآخرة / ١٨ مارس بعد أن عرضهم فى هيئة الحرب ميمنة وضع فيها بنى نيطاش . وميسرة جعل فيها بنى يباوة . وقلبا وضع فيه قبيلتى ملوسة ومسالمة . أما هو فقد وقف على رأس عشرة آلاف فارس انتقامهم من الدعاة ورؤساء القبائل وأصحاب المعرفة بمكائد الحروب (١٦٦) . وعلى هذه التعبئة رحف الى ابراهيم بن أبى الأغلب بالأربس الذى كان بدوره قد عبا عساكره للحرب .

حرب الكمانن تقرر مصير المعركة :

وعندما التحم القتال فى سهل الأربس كان أبو عبد الله يقف فى مقدمة فرسانه على تلة مشرفة على المدينة يشاهد القتال الدامى ، الذى سعطت فيه أعداد كثيرة من الفريقين . وظهر لأبى عبد الله خلال الحرب التى استمرت من الصباح الى وقت العصر أن الجند الاغلبى يقاتل آخر معاركه باستماتة أشفق منها على رجاله . وعندئذ قرر انتخاب حوالى ستمائة رجل من أشداء رجاله ، ورسم لهم أن يعبروا المخاضة (المسيلة) المتاخمة لميدان المعركة . وأن يدبروا كميناً للخيلة الاغلبية التى لا تريد أن تنهزم . والظاهر أن الموقف الحربى وقتئذ كان يقضى على كل من الجانبين المتحاربين أن يحاول

(١٦٥) أنظر افتتاح الدعوة . ص ٢٠١ والهوامش . وقانون تلخيص ابن الأثير . ص ٢٩٦

ج ٨ ص ١٧ (بين خلدون . ج ٤ ص ٢٦) .

(١٦٦) أنظر افتتاح الدعوة . ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

مثل تلك المحاولة ، اذ التقى رجاله كتامة ، وهم عراة في المخاضة ، برجاله
الأغلبة . وانتهى ذلك اللقاء البرمائي العجيب بتفوق الكتاميين الذين خرجوا
برماهم ودرقهم ، يفاجئون الخيالة الأغلبية ويرجعون كفة فرسان كتامة
عليها (١٦٧) .

وهكذا انكسرت مقاومة القوات الأغلبية فجأة ، وتفرق المسكر في
اتجاه بلادهم : فأخذ ابراهيم بن أبي الاغلب ومن معه من رجال الدولة الطريق
على جبل الحراقين ، وانهمز من كان من قبائل : لواتة وكزناية ومكلاتة على
طريق « جثريس » ، وهرب الهواريون والنفزيون على طريق بني بشير .
بينما انهزم البيد وأخلط الناس من أهل الأريقية في اتجاه القيروان . كل
هذا والكتاميون في أعقابهم يقتلون ويأسرون ويقتمون ، ووصلت جماعات
منهم في متابعتها للمنهزمين حتى مدينة الأريس ، ثم انهم عاودوا إلى معسكرهم
عندما جن الليل (١٦٨) .

أما عن الأريس نفسها فإنها تعرضت للعاصفة الكتامية في يوم الأحد
التالي وهو ٢٤ من جمادى الآخرة / ١٧ مارس . فقد دخل رجال أبي عبد الله
المدينة عنوة ووقتلوا بها من الخلق ما لا يحصى ، كما يقول القاضي البعمان (١٦٩) .
حسب يرجح أن مسجدها الجامع كان مسرحاً لمذبحة مروعة ، سأل فيها الدم
انباراً ، كما تقول رواية ابن عذاري (١٧٠) . وقضى الجند الكتامي يومهم في
الأريس ثم خرج بهم أبو عبد الله يوم الاثنين ٢٥ جمادى الآخرة / ١٨ مارس
في طريق قمودة ، وهو يريد قسطنطينية (١٧١) .

العودة إلى وقادة ونهاية الدولة الأغلبية :

إذا كان مؤرخو الأغلبة يقولون أن إبا عبد الله لم يتبع انتصاره الكبير
في الأريس بالزحف إلى وقادة العاصمة ، خشية أن يحشد زيادة الله الجند

(١٦٧) افتتاح الدورة ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، وقانون تلخيص ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ .

ج ٨ ص ١٧ .

(١٦٨) افتتاح الدورة ، ص ٢٠٥ .

(١٦٩) افتتاح الدورة ، ص ٢٠٥ .

(١٧٠) البيان ، ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٧ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ص ٢١ .

(١٧١) افتتاح الدورة ، ص ٢٠٥ ، ابن الأثير سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ٢٧ .

ابن عذاري ، ج ١ ص ١٤٧ : حيث يقول انه انصرف إلى الحاجة .

الأغلبى المبشر من جديد فلا يقدر عليهم ، فالحقيقة ان ابا عبد الله واصل المسير على نفس النهج الذى اتبعه فى حرب الأغالبة منذ البداية ، والذى يتلخص فى تهريب عدوه بصدماته المفاجئة ، واكتساب ما يمكن اكتسابه من الأرض والغنية ، بأقل قدر من الخسائر . وحرص أبى عبد الله على تقليل خسائره على قدر الامكان هو الذى يفسر كيف أنه كان يفضل انسحاب عدوه على أن يتخطف من سباقته ما قدر عليه ، وهو ما يفسر أيضا كيف أنه كان يفك الالتحام بخصمه عقب اللقاء مباشرة ، سواء كانت الوقعة له أم عليه ، معتمدا على معاودة الإلحاح على العدو فيما بعد . فكان حطته الحربية فى حرب الأغالبة كانت حربا متقطعة أشبه بحرب الصوائف والشسواتى السنوية التى طبقها العرب فى فتوح الاسلام الاولى .

فى اطار هذه السياسة الحربية السليمة ، ما ان علم أبو عبد الله بهروب زيادة الله وفشل ابراهيم بن أبى الأغلب فى القيام مقامه ، حتى ارتد على عقبيه قبل أن يصل الى سببيه ، ومر بسكتانة ، عائدا الى معسكره فى وادى الرمل ، وذلك فى يوم الخميس ٢٩ من جمادى الآخرة / ٢٢ مارس ، وقضى فيه ليلته . وفى يوم الجمعة التالى آخر شهر جمادى الآخرة سير عروبة (عزوية) ابن يوسف وحسن بن أبى خنزير على رأس ألف فارس الى رقادة . ووصل القائدان والناس ينهبون وراقدة ، فامتنوهم حسب أوامر أبى عبدالله وتركوا لهم ما أخذوه ، ولكنهم أوقفوا النهب ، مما دعا أهل القيروان الى الابتهاج عندما وصلهم الخبر (١٧٢) .

وفى يوم السبت التالى أول رجب سنة ٢٩٦ هـ / ٢٦ مارس كان وصول أبى عبد الله الى رقادة . وخرج شيوخ القيروان وفقهاؤها للترحيب به فى موضع ساقية ممس حيث استقبلوه وسلموا عليه وأعلنوا طاعتهم له ، وسألوه الأمان فأمّنهم . ثم انهم ساروا الى ركاية الى أن دخل رقادة ، والقارى يقرأ بين يديه : « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر » الخ الآية . ويقرأ : « كم تركوا من جنات وعيون الى آخر السورة (١٧٢) » .

(١٧٢) انتاج الدعوة ، ص ٢١٢ .

(١٧٢) ابن عسارى ، ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ - حيث الاشارة الى أن قلباء القيروان عندما علموا بموقعة أبى عبد الله الى الأربس خرجوا مع وُجُوه الناس للقائه ، فسلموا بهم محبوس ابن عبد ربه القوارى الى قصر ياروقن ، بين مدينة جلولا وحمام السراق ، حيث وصلوا يوم ٢٧ جمادى الآخرة / ٢٤ مارس ، ولكن الشيعى صرفهم الى الج انصراف ، ولم يسمح لهم =

وفي رقادة نزل أبو عبد الله في أحد قصورها المعروف بقصر البحر، وفرق دور المدينة على زعماء كتامة وأنزل جيشود عساكره حولها (١٧٤) . أما من مدينة القيروان عاصمة البلاد المريقة ، فإنه آمن من وجده فيها من أفراد البيت الأغلب وقوادهم الذين آثروا البقاء على الفرار مع زيادة الله ، لم يستثن من ذلك إلا إبراهيم بن بربر بن يعقوب التميمي ، المعروف بالقوس إذ قتله خنقا . كذلك أمر أبو عبد الله بالتخلص من رجال الحرس السوداني من موالي بني الأغلب ، فقتلوا . والظاهر أنهم استجابوا لأمره بالتخلص من الداعي التي كان يدبرها إبراهيم القوس ، كما يفهم من رواية ابن عذاري، التي تنسب إلى أبي عبد الله قوله : « ما أمنت إفريقية حتى قُلت القوس » (١٧٥) .

قيام الدولة الفاطمية ، في غيبة الإمام :

وبذلك قامت دولة الشيعة الفاطمية ودولة كتامة بعد حوالي ١٥ (خمسة عشر) عاما من ذلك اللقاء الذي تم بمكة بين الداعي الشيعي الشاب أبي عبد الله وبين جماعة الحاج الكتامي . وبدأ أبو عبد الله يقر الأمور في إفريقية، ويثبت دعائم الدولة الفاطمية الفتية استعدادا لاحضار الإمام الذي يدعو له ، وهو عبيد الله المهدى ، الذي كان حينئذ في سجلماسة ، بعيدا على حافة الصحراء في جنوب المغرب الأقصى .

العمل على استنقاذ أموال الأغلبة ، والمعتقلين في إفريقية من أهل الدعوة :

ولقد تطلب انجاز هذه الأمور حوالي الشهرين ونصف الشهر . وكان أول ما بدأ به الداعي هو العمل على حفظ ما كان قد بقي في البلاد من كنوز

باللقاء في مسس إلا بعد مكاتبات واستمطاب . ولا شك أن الرواية تبالي هنا عندما تقول أن عدد قوات الشيعي تبلغ ٣٠٠ (ثلاثمائة) ألف فارس وراجل موزعين على ٧ (سبعة) جيوش ١ قارن : ابن حنبل ، أخبار ملوك بني عبد - ص ٨) . وتذكر رواية ابن عذاري أيضا أن كتامة عصبية عندما بطل أبو عبد الله الأمان لأهل القيروان ، على زعم أنه كان قد وعدهم بأن تكون طاعة ، ولو أنهم قبلوا ما قاله لهم من أنها مدينة طيبة قد أحاطها الله برعايته . (١٧٤) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٥ : حيث القراءة « قصر الصحن » التي صرحناها إلى « قصر البحر » ، وأما ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ . (١٧٥) فليان ، ج ١ ص ٢٠٥ . والظاهر أن القائد الأغلب القليل لم يشتهر باسم « القوس » إلا بعد خنقه بوتر قوسه . يأم الداعي ، إلا إذا كان الرجل قد عرف بهادته في الرماية بالقوس الذي صار لقباً له .

الأغلبية وذخائرهم ، واقفاذ كبار أهل الدعوة من المعتقلين في البلاد . ولما كان أخوه أبو العباس المعروف بالخطوم (لجرح أصيب به فوق أنفه) محبوسا في سجن طرابلس فانه بعث من استنقذه وعياده وبصحته أبو جعفر الخزري وكذلك أم عبيد الله المهدي التي كانت في حراسة هذه الأخير (١٧٦) ، هذا يعني أن الخطوم كان المستول عن تأمين وصول والدته الامم الى المغرب ، وأن أمره انكشف في طرابلس فقبض عليه ، وأن الداعي كان على علم بذلك عن طريق عيونه أو جواسيسه . وفيما يتعلق بالاموال فقد عرف أبو عبد الله بما كان مخزونا منها في قصر الرباط بسوسة ، فأرسل قائده عروبة بن يوسف الى هناك حيث أمن أهل المدينة وعاد بالاموال التي بلغت ٢٨ (ثمانية وعشرين) حملا . كذلك أمر الداعي بجمع ما كان قد انتهبه الخلس من الاموال بمدينة رقادة ، وضم عبيد زيادة الله الى رجاله ، ووقف جواريه ، أي أوقف التصرف فيهم (لحين عودة الامام من سجن ماسة) ، وعهد بالنظر في ذلك الى أحد ثقاته من الفقهاء ، وهو أحمد بن فروخ الطنبلي المشهور بالأحدب (١٧٧) .

الترايب الإدارية :

وأخذ أبو عبد الله الداعي بعد ذلك في ترتيب الدولة وارساء قواعد نظمها . فعهد بولاية مدينة القيروان الى أحد المخلصين من أنصاره ، وهو الحسن بن أحمد بن علي بن كليب المعروف بأبن أبي خنزير ، كما آلت ولاية العاصمة الأغلبية السابقة ، مدينة القصر القديم ، الى أخى هذا الأخير ، وهو خلف بن أحمد بن علي بن كليب (١٧٨) . وصدر الأمر الى الأخوين الواليين « بقتل من خرج ليلا أو شرب مسكرا ، أو حمله أو وجد عنده » (١٧٩) ، فكان عهد العدل والاصلاح قد بدأ بتطبيق « الاحكام العرفية » أو « حالة الطوارئ » ، كما تقول الآن .

الإصلاحات الدينية :

وفيما يتعلق بالإصلاحات الدينية التي تطلبها المذهب الفاطمي أمر أبو عبد الله بأن يزداد في الأذان بعد « حي على الصلاة » « حي على خير العمل » ،

(١٧٦) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٦ ، وقارن ابن خلدون ، ج ٤ ص ٥١٣ .

(١٧٧) البيان ، ج ١ ص ٣٠٦ .

(١٧٨) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٧٩) ابن عذاري ، ج ١ ص ٢٠٦ .

واسقط من أذان الفجر « الصلاة خير من النوم » (١٨٠) .

والى جانب ذلك أمر بالصلاة على علي بن أبي طالب بائر الصلاة على النبي ، وكذلك على فاطمة والحسن والحسين (١٨١) - وقبيل حلول شهر رمضان أعلن إسقاط صلاة الأشفاق (التراويح) ، وتم ذلك بمعرفة محمد بن هجر بن يحيى بن عبد الأعلى المروزي ، الذي كان من جند خراسان ، عندما عين قاضيا للقيروان في ١٧ من شعبان/ ١٢٠٩ م (١٨٢) . والحقيقة ان ردود الفعل المتعلقة من جانب أبي عبد الله ضد المعارضين لهذا الاجراء ، من : أهل السنة أو الخلاء من الفساق ، الذين أرادوا استغلال الفرصة للتحرر من قيود الدين (١٨٣) ، لتشكك في صحة الاجراءات الصارمة التي قيل انه أمر ولاته باتخاذها ضد شاربي الخمر وتجارها .

وهكذا تبلورت أصول المذهب في « تفضيل آل علي والبراءة من سواه » ، كما يقول ابن عذارى ، وأمر وجود كتامة بدعوة الناس الى الدخول فيه ، فدخل في ذلك معهم كثير من الناس . ولقد أطلق أهل السنة على المذهب الفاطمي « دعوة التشريق » ، لا تباعهم رجلا من أهل المشرق (١٨٤) .

شعارات الدولة :

أما عن شعارات الدولة الجديدة المأخوذة من الآيات القرآنية ، والتي

١٨١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٦ .

١٨١) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٧ . ويعلق ابن عذارى على ذلك ليقول انه أظهر التشجيع على علي ومصادرة من قدم عليه من أصحاب النبي عليه السلام .

١٨٢) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٧ . حيث ينص ابن عذارى على ان القاضي المروزي احتج على مقباء القيروان من المسجد الجامع ، وانكر عليهم - بمناسبة اعلانه إسقاط صلاة الأشفاق - الاقتداء بعمل عمر بن الخطاب في القيام وتركهم الاقتداء بفعل علي بن أبي طالب في زيادة حرم أهل البيت في الأذان ، وقال لهم : اعملوا بمنهج أهل البيت ، واتركوا الفضول .

١٨٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٧ : حيث تقول الرواية ان المروزي عندما رأى في اول رمضان في موضع حلوه عند حدار القلعة بالجامع ، مكتوباً : « ومن الظلم من منع مساحد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها » الى آخر الآية اكتفى بالأمر بسحوه ، وانتقل عن الحلويس بذلك الموضع . وعندما وقف عليه بنس الخلاء ، وقال له : « قد لظفت لنا ، أصلحك الله ، في قطع قيام شهر رمضان فلم احتلت لنا في ترك صيامه لكفيتنا مؤلته كلها » ، اكتفى بأن قال له : « اذهب عني يا ملعون » ، وأمر يذمه .

١٨٤) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢٠٧ . وأظهر أيضاً سبق من ٥٥٣ وهـ ٨٠ حيث كتب النسبية الى معلم الحسبية الكتاني الذي حل أبو عبد الله مسلحاً عندما نزل على جماعة كتامة لأول مرة ، وكذلك المعارضين للداعي من الكتامين .

كان قد بدأ برفعها في دار الهجرة بإيكجان ، فقد ظهرت أيضا على النقود ، التي عهد بنقطة سكها الى أبي بكر الفيلسوف المعروف بأبن القمودي ، وعلى السلاح ، الى جانب خاتم أبي عبد الله ، وخاتم طبع السجلات ثم البنسود والخيال .

وفيما يتعلق بنقش السكة تقول رواية ابن عداري ان أبا عبد الله جعله : « الحمد لله رب العالمين » (١٨٥) ، بينما تقول رواية ابن الأثير بشيء مسن التفصيل انه أمر بالآ ينقش عليها اسم ، وجعل مكان الاسم من وجهه : « بلغت حجة الله » ، ومن الوجه الآخر « تفرق أعداء الله » (١٨٦) . ومن استقراء هذه النقوش الثلاثة يمكن القول ان النقوش التي يشير اليها ابن الأثير والتي تعبر عن انتصار المذهب الشيعي وهزيمة أعدائه كانت سابقة على نقش الحمدلة الذي يعبر عن الراحة النفسية والاطمئنان بعد ان استقرت الأمور . أما عن السلاح فكان نقشه (عدة في سبيل الله) (١٨٧) ، بينما ظل نقش خاتم الداعي : « فتوكل على الله ، أنك على الحق المبين » ، ونقش خاتم طبع السجلات : « وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته ، وهو السميع العليم » . وبقيت كتابة الرايات : « سيهزم الجمع ويولون اندبر » الى جانب : « قل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا » ، وغيرها من الآيات التي تحمل مثل هذا المعنى . كذلك ظل وسم الخيل في أخذها بكلمتي : « الملك لله » (١٨٨) .

استحضار الامام من سجلهامة :

وبينما كان أبو عبد الله الداعي يقرر قواعد الدولة الفاطمية في بلاد القيروان كان يعد العدة ، في نفس الوقت من أجل استنقاذ الامام عبيد الله الذي كان لاجئا في سجلهامة بصحبة ولده أبي القاسم ، بعيدا على حافة الصحراء الجنوبية للمغرب الأقصى .

(١٨٥) البيان ، ج ١ ص ٢٠٦ .

(١٨٦) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٨ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦) ، والمصنف

الحمد ، ج ١ ص ٦٤ .

(١٨٧) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦) .

(١٨٨) ابن عداري ، ج ١ ص ٢٠٦ - ٢٠٧ . وقارن ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، وما سبق .

ص ٥٥٨ .

وصول المهدي الى سجلماسة :

اما عن كيفية وصول عبيد الله المهدي الى سجلماسة ، فقصة اشبه ما تكون بقصة التجاء الامام ادريس الأول الى المغرب ، وان كانت أكثر منها غرابة . والظاهر أنه عندما اشتدت شوكة أبي عبد الله الداعي ، وانتشرت دعوته الشيعية بين قبائل كتامة ، ووصلت أنباء ذلك الى المشرق ، بدأت بالخلافة تشتد في طلب صاحب الدعوة ، وحامت الشبهات حول عبيد الله ، الذي كان قد لجأ الى سلبية من ارض حمص في بلاد الشام (١٨٩) ، فحصر بصحبة ابنه أبي القاسم نحو مصر . دون أن يكشف عن نفسه .

والروايات تختلف في تحديد تاريخ فرار عبيد الله من سلبية الى مصر ، ويحل وقع ذلك في فواخر أيام الطولونيين ؟ أم بعد سقوطهم . في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ؟ ويظهر ذلك الخلط التاريخي في الروايات التي جمعها المقرئ بشان سحادة الهرم تلك : فهو عندما يختتم الفصل الخاص بمناقشة صحة نسب عبيد الله المهدي يسجل أنه ظهر بسجلماسة في ذي الحجة سنة ٢٩٠ هـ / أكتوبر - نوفمبر ٩٠٣ م (١٩٠) ، أي على عهد هارون بن خمارويه بن أحمد ابن طولون (٢٨٣ - ٢٩٢ هـ / ٨٩٦ م - ٩٠٥ م) (١٩١) في خلافة المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ م - ٩٠٨ م) (١٩٢) ، ثم يعود ، في كلامه عن خروجه الى المغرب ، لكي يقول : أنه وصل الى مصر أثناء ولاية عيسى النوشري (٢٩٢ - ٢٩٧ هـ / ٩٠٤ - ٩١٠ م) في خلافة المعتضد (١٩٣) الذي كان قد توفي قبل ذلك في ربيع الثاني من سنة ٢٨٩ هـ / مارس ٩٠٢ م .

قضية تحديد التاريخ :

الخروج عن الشك في النصف الثاني من سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م :

وسيب هذا الخلط التاريخي ، فيما بين خلافة المعتضد وخلافة المكتفي وما بين ولاية الطولونيين في مصر وولاية عيسى النوشري ، يمكن في عدم

(١٨٩) انظر المقرئ ، اتماف الحنلا ، ط ٠ ١٩٦٧ . ص ٦٠ . وانظر ابن الأثير سنة

٢٩٦ هـ ج ٨ ص ١٤ ، وانظر فيما سبق ، ص ٥٤٥ وح ٤٠ .

(١٩٠) اتماف الحنلا ، ج ١ ص ٥٤ .

(١٩١) انظر المكتفي المفضة والولاة ، ط ٠ لبنان ، ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(١٩٢) ابن الأثير ، اتماف سنة ٢٨٩ هـ . سنة ٢٩٥ هـ .

(١٩٣) اتماف الحنلا ، ج ١ ص ٦٠ .

التمييز بين ظهور الداعي أبي عبد الله في بلاد كتامة على أيام الخليفة المتوكل
والطولونيين وبين ظهور عبيد الله المهدي في سجلماسة على أيام الخليفة
المكتفي وواليه على مصر ، التي كان قد استعادها العباسيون سنة ٢٩٢ هـ /
٩٠٥ م ، عيسى النوشري (١٩٤) .

وإذا كان الأمر كذلك فلا بأس في أن يكون خروج عبيد الله المهدي من
سلمية إلى مصر قد تم في بداية ولاية عيسى النوشري (منذ ٧ جمادى الآخرة
سنة ٢٩٢ هـ / ٢٧ أبريل ٩٠٥ م) ولا بأس أن يكون ذلك قد تم في فترة
الاضطراب التي عرفت مصر خلال سبعة أشهر ، فيما بين ٢٦ من ذي القعدة
سنة ٢٩٢ هـ / ٣٠ سبتمبر ، و ٨ رجب سنة ٢٩٣ هـ / ٦ طايه ٩٠٦ م ، بسبب
ثورة محمد الخلنجي الذي دعا للطولونيين (١٩٥) . فلا شك أن هذه الثورة
التي عمت مصر وجنوب بلاد الشام والتي تنقل أثناءها عيسى النوشري أمام
مطاردة الخلنجي فيما بين الجيزة والاسكندرية والصعيد ، كانت مواتية لكي
ينتقل المهدي من حمص إلى مصر والمغرب خفية عن عيون الخلافة . هذا ، كما يمكن
القول أن اضطراب الأحوال في مصر فيما بين سنتي ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م .
و ٢٩٣ هـ / ٩٠٦ م ، هو الذي تسبب في ذلك اللبس الذي حدث بين تلك
الفترة وبين فترة الاضطراب التي عرفت البلاد على أواخر أيام الطولونيين .
قبل سنة ٢٩٣ هـ / ٩٠٥ م ، كما كان سببا في ظهور تلك الروايات ذات الطابع
الأسطوري ، التي أحاطت برحلة عبيد الله المهدي إلى المغرب وجعلتها أشبه
بغامرة قصصية من النوع العجيب .

ويقوى ذلك الاحتمال ما تقوله الرواية الشيعية الخاصة بتلك الرحلة من
أن المهدي كان موجودا في مدينة الرملة من فلسطين حوالي منتصف سنة ٢٩١ هـ
/ ٩٠٤ م ، بعد خروجه من سلمية أثناء الثورة المعروفة بثورة العرامطة في
بلاد الشام ضد الأمير طغج وإلى دمشق ، والتي دارت فيما بين سنة ٢٨٩ هـ /
٩٠٣ م وسنة ٢٩١ هـ / ٩٠٤ م . والذي يفهم من تلك الرواية التي نرحح
إلى أيام المعز لدين الله الفاطمي أن تلك الثورة لم تكن قرمطية بل كانت

(١٩٤) أنظر كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٤ . حيث تحمل الرواية خروج عبيد الله إلى مصر
في أيام الطولونيين وعلى عهد الخليفة المتوكل . فكانها وصفت عبيد الله المهدي في موضع
أبي عبد الله التميمي .

(١٩٥) أنظر ابن تفرى يردى ، النجوم الزاهرة ، أحداث سنة ٣٩٢ - ٢٩٣ هـ ج ٢
ص ٢٤٧ ح ٢٤٧ .

شيعة قاطمية ، وإن الذين قاموا بها هم بعض المستنقذين من الدعاة على اعمى الدعاة ، وأن ذلك كان سبب خروج المهدي من سلمية - وحسب تلك الرواية فإن ما قلم به دعاة المهدي الثوار من الاساءة الى الهاشميين الذين كان المهدي يتظاهر بالانساب اليهم ، كان سببا في شكوى هؤلاء الى الخلافة التي تنبعت عندئذ الى عبيد الله (١٩١) .

الرحلة العجيبة :

هكذا يكون عبيد الله المهدي قد خرج في النصف الثاني من سنة ١٢٩٢هـ / ١٩٠٥ م من بلاد الشام بعد فشل الثورة هناك ، في الوقت الذي كانت تصله انباء نجاح داعيته ابي عبيد الله في المغرب ، وبعد أن أخذ رجال الخلافة من اصحاب الاخبار يلحون في اماطة اللثام عن شخصية الامام الذي كانت كتامة تقاتل في سبيل اظهار دعوته وكذلك قراطة الشام .

وحسب الأساليب الفنية التي كان يتقنها اصحاب مثل هذه الحركة السرية ودعاتهم سار عبيد الله من الشام وبصحبه ابنه أبو القاسم (نزار) ، وهو مستتر بزي التجار ، وخرج معهما بعض نساء بيته وعدد من خاصته ومواليه ، وعلى رأسهم أبو العباس (المخطوم) أخو الداعي الذي كان يراقبه عن كتب .

والظاهر أنه تسلل عبيد الله خفية من سلمية أثار شكوك رجال الخلافة الذين خمنوا وجهة سيره نحو المغرب ، فأصدر ديوان بغداد أوامره الى عيسى النوشري والى مصر ، والى أمير القیروان الأغلبی زیادة الله بأخذ الطرق عليه

(١٩٦) انظر حذركات حركة المهدي القاطمي ، استنفاذ الامام ، وسيرة جعفر الحاجب ، نشر ايليا بوف ، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ج ٢ ، ديسمبر ١٩٣٦ .
للمقدمة ٩٠ - ٩١ (حيث تحديد الثورة في الشام فيما بين سنوات ٢٨٩ - ٢٩١ هـ) ،
ص ٩٦ - ٩٧ (حيث تحديد المهدي من قدير بنى ابي محمد الداعي ورسيله من سلمية الى حمص ، الى طرابلس الشام ، الى الرملة) ، ص ٩٨ (حيث حصر طنج في دمشق) ،
ص ١٠١ - ١٠٢ (حيث كتب الهاشميون الى الخليفة المتعصب يستنصرون به ، ووقعوا للكتب بيد الخائن ابي نصر بن علي الذي كان ينتظر قدوم المهدي عليه في الأشهر الأولى من سنة ٢٩١ هـ) ،
ص ١٠٥ - ١٠٦ (حيث هزيمة ابي مهزول أمام محمد بن سليمان ثم القبض عليه فالتراخ على المهدي وصلته ، وخروج البريد من بغداد يطلب المهدي في جميع الأقاليم) ، ص ١٠٧ (حيث النص على أن المهدي كان يعيش في سلمية مع الهاشميين ويتظاهر باله هيا) .

ويقبضه ، بل وكذلك كل من يشبهه (١٩٧) . ونجح أعوان النوشري فعلا في
للقبض على عبيد الله في بعض البساتين ، ولكن الأمر انتهى باطلاق سراحه ،
بعد أن أنكر حاله ، وهو يظهر التقى والعبادة (١٩٨) .

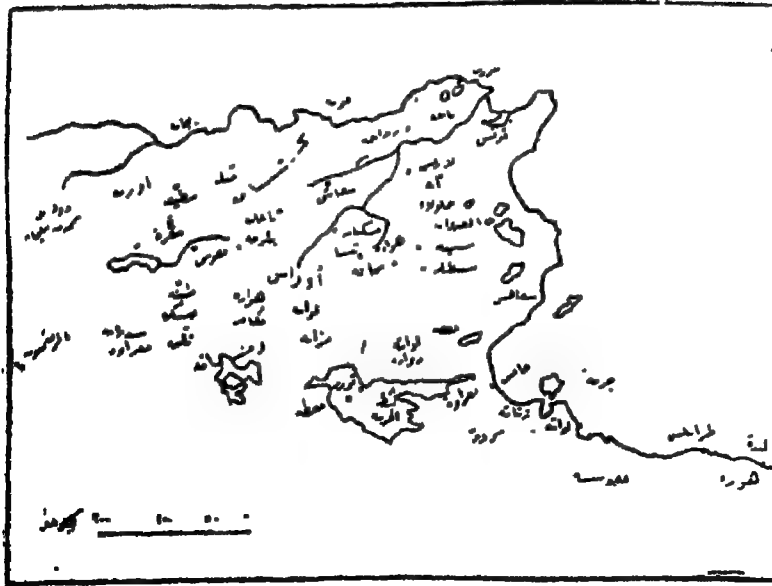
وتضيف الروايات الفاطمية الأصل على تلك المغامرة لونا قصصيا
مثيرا ، فتقول ان المهدي بعد أن خرج من مصر (العاصمة) عاد - رغم تعرضه
للاخطار - يطلب كلبا كان حرب لهم ، فحمل الى الوالى الذى حقق معه ،
ولم يطلقه الا عندما قيل له انه صائد قد حرب له كلبه فطليه ، وشهدت له
بالبينة بذلك (١٩٩) .

والى جانب الرواية ذات الطابع القصصى هذه نجد روايتين أخريين أكثر
جدية اذ تقول الواحدة منهما ان عبيد الله اشترى الوالى فأعطاه مالا كان معه
حين الأموال الكثيرة حتى أطلقه (٢٠٠) ، بينما تقول الأخرى ان عيسى النوشري
أطلقه لأنه كان يتشيع (٢٠١) ، مثله في ذلك مثل واضح صاحب بريد مصر
الذى ساعد لدريس بن عبد الله على الفرار الى المغرب منذ أكثر من مائة
عام (٢٠٢) .

(١٩٧) انظر اتفاق للحقا للنقري ، ج ١ ص ٦٠ - ٦١ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦
ج ٨ ص ١٤ - ١٥ ، وقارن الاستبصار ، ص ٢٠٤ .
(١٩٨) اتفاق الحقا ، ج ١ ص ٦٠ .

(١٩٩) انظر كتاب الاستبصار ص ٢٠٤ ، وقارن اتفاق الحقا ج ١ ص ٦٠ - ٦١ :
حيث تقول الرواية ان الكلب كان لابي القاسم بن المهدي ، وان هذا الأخير عندما عاد الى طلبه
فى البستان الذى كان قد قبض عليه فيه كان ذلك سببا فى اطمئنان النوشري اذ أنه ليس
بالرجل المطلوب ، اذ كان اصحاب الوالى قد لاموه على اطلاقه - وأطر حامش ١ ص ٦٩ حيث
يشير الى نص محمد بن محمد اليماني الذى نشره ايقانوف (مجلة آداب القاهرة) ، عن رجلة
المهدي من الشام الى المغرب ، والذي ترد فيه قصة القائم مع الحرية السلوقية ، اليه
تشبهت بشرائها مما كان سببا فى عودة المهدي الى استبصارهم ، ولكن على أنها حدثت فى
الطريق . من دمشق الى الرحلة ، ودون المواجهة مع الوالى ، انظر النص ، ص ٦١١ .
(٢٠٠) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٤ ، اتفاق الحقا للنقري ، ج ١
ص ٦٦٠ .

(٢٠١) ابن الأثير سنة ٢٩٦ هـ ، ج ٨ ص ١٤ ، وقارن نص محمد اليماني . مجلة كلية
آداب القاهرة ١٩٣٦ - ص ١١٣ (حيث تقول الرواية ان المهدي نزل على بعض الثقاته الذى
يعرف بان عيسى . وان هذا الأخير شهد لدى صاحب مصر بأن ضيفه لم يكن الا رجلا حشميا
من اشراف التجار ، وأنه معروف بالفضل واليسار)
(٢٠٢) انظر فند سو ص ٢٥ - ٥٣٢



شكل رقم (٩)
بلاد البرقية

برقة :

ومن مصر سار المهدي وابنه وبصحبتهما أبو العباس أخو الداعي نحو الغرب مع بعض قوافل التجار إلى طرابلس . وفي حيز مدينة برقة تعرضت الجماعة ، في موضع يعرف بالطاحونة لفارة قام بها عدة من المزاينين من أهل الناحية ، وضاع فيها بعض متاع عبيد الله بعد أن تعرض للقتل واللعن ، ومنه كتب وملاحم كانت لأبائه عظم أمرها عليه . وفي تلك الفارة ضرب أبو العباس بالسيف على وجهه ، فكان الجرح الذي دعا إلى تسميته بالمخطوم (٢٠٢) .

(٢٠٢) أنظر استنار الإمام وسيرة جعفر ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ١٠٦
وسيرة جعفر الحبيب ، ص ١١٥ . وأنظر المقرئ ، انما الحنفا ، ج ١ ص ٦١ . وابن عادي ج ١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ حيث ترد القصة بمناسبة تشكيل القوات الفاطمية بأهل برقة وهي في طريقها إلى مصر سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م ، كنار لتلك الامانة التي لحقت بالامام . عندما دخل بلنم ، وهو قادم من مصر . وأنظر للمؤلف ، فترة حاسنة من تاريخ المغرب : موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين في المرقية ونقلتهم إلى مصر ، مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية ، المجلد الأول ، بنغازي ١٩٩٨ ، ص ٢٣٩ .

طرابلس :

وفي طرابلس استقر المهدي بعد أن انفصل عن قافلة التجار ، ولكن أمره كاد أن ينكشف بفضل عمال زيادة الله الأغلبى ، ولكنه لم يقبض الا على ابي العباس الذي حبس في سجن المدينة (٢٠٤) . وعندئذ رأى عبيد الله أنه ليس من الحكمة المرور بالقيروان من أجل المسير مباشرة الى حيث ابي عبد الله في بلد كتامة ، فآخذ طريق القوافل الصحراوى المؤدى الى سجلماسة عبر قسطنطينية (٢٠٥) ، وبلاد الجريد والزاب حيث مر ، كما تنص الروايات الفاطمية التي نجد لها ذكر في كتب الاباضية ، بكل من مدينتى توزر ووارجلان اللتين تعرض فيهما للمهدي للسلب والاهانة من جديد ، كما حدثت في الطاحونة بحيز برقة .

توزر :

ففي مدينة توزر من بلاد الجريد النى كان يظن أنها ستكون قاعدة ملكهم حسبما كان عنده من العلم ، لولا أنه وجد رجالها باعة وأصحاب حوانيت ، ليس معهم زينة الملك ولا هيئة السلطان - تعرض لعبيد الله ومن كان قد بقي معه ، رجل من بنى جلتمين من قبيلة بنى واسين ، ونزع دابته النفسية ، مما دعا المهدي الى أن يكتب اسم الرجل واسم قبيلته وبلده - اسطارا للانتقام منه فيما بعد .

وارجلان :

أما في وارجلان فقد تعرض له سفاوهم وهرعوا به ، وقالوا : « هذا الذي جاء من الشرق يريد الملك فبصقوا في وجهه » ، وكان أشد الناس في ذلك أهل قصر بكر ، وشيخهم يسمى غيار ، ومنزله يعرف بتاغيارت . وفي ذلك قال عبيد الله : « غير الله ما بهم » .

وقصة مرور المهدي بتوزر ووارجلان وهو في الطريق الى سجلماسة بعد اقامته في مدينة طرابلس مقبولة . لا يضعف من شأنها الا ما تقول -

(٢٠٤) ابن عدي ج ١ ص ٢٠٦ - حيث الإشارة الى ذلك بمناسبة دخول ابي عبد الله وقادة ، وانظر فيما سبق ، ص ٥٨٢ و ١٧٦ ، وقارن ابن الأثير (سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٥) الذي ينقله المقرئ (انما الحنفا ج ١ ص ٦١) : حيث يقم من الرواية ان ابا العباس قبض عليه في القيروان حيث كان المهدي قد أرسله لاستطلاع الأحوال ، وأغلب الظن انه أعيد الى طرابلس لكي يدل على المهدي .

(٢٠٥) أنظر ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٥ ، وقارن انما الحنفا ، ج ١ ص ٦١ : حيث القراءة قسطنطينية خطأ وقسطنطينية بدلاً من قسطنطينية .

من أن عبده ، الحجابي ، الذي قد يقصد به أبو عبد الله الداعي الذي اشتهر بالايكجاني ، نسبة إلى ايكجان دار البحرة . كان معه وأنه سيده من بوزر إلى مدينة تاصروت (تارروت - دار الهجرة) من أرض كنامة ، بعد أن عرف قمحها في سوق توزر ، ووجدتها على الصفة التي توافق علمه (٢٠٦) .
والظاهر أن رجال زيادة الله عندما فشلوا في وجود عبيد الله في طرابلس عزموا وجهته نحو سجلماسة فخرجت رسلهم إلى صاحبها اليسع بن مدرار يطلبون المهدي ويعرفونه بأنه الرجل الذي يدعو إليه أبو عبد الله الشيعي ، ويطلب إليه القبض عليه (٢٠٧) .

سجلماسة :

والظاهر أن عبيد الله عاش ، وهو في زى التجار ، في سجلماسة لفترة من الوقت ، إذ تقول بعض روايات المقرئزي أنه أهدى إلى اليسع واصله ، وأن الأمير المدراري قربه وأحبه (٢٠٨) . هذا ، كما تقول بعض الروايات الشيعية المقلية التي بقيت اصدااء لها في كتب الإباضية المعروفة ، أن عبيد الله نزل في دار لبعض وجوه أهل سجلماسة ، في طابقتها العلوى ، وأن صاحب الدار الذي سكن معه في الطابق السفلى رأى فيما يرى النائم كأن ثعبانا عظيما يسكن معه في داره ، وأنه عندما قص الرؤيا على عبيد الله فسرها له بأن « الثعبان العظيم ملك يملك المشرق والمغرب » ، فما كان من الرجل

(٢٠٦) أنظر أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٥ - ب (والدريجيني ، المطبوع ، ص ٩٢ - ٩٣) ، وقارن ، سيرة جعفر الحجاب ، مجلة آداب القاهرة ١٩٣٦ ، ص ١١٦ - ١١٨ : حيث تقول الرواية أنهم ساروا من طرابلس إلى قسطنطينية ومروا بمقاتل نفوسة . ويظهر من تلك الرواية المنسوبة إلى جعفر صاحب المهدي أن عبيد الله المسمى لا بأس بها في المدينة وأن خدامه لقوا بعض الخاضعين من عامة الناس الذين كانوا في مطلبهم من الإباضية . من ذلك ما تعرض له الحجاب جعفر من بعض العامة الذي عرف أنه رافضى فأساء إليه ، ومنها مقابلة مغيرة تعرض لها عندما بعثه المهدي لشراء خروف صغير سمين ، تعرض عليه رجل من أهل توزر كلب سمين ، « فإذا اليوم ياكلون الكلاب ويسمونها بأسماء الخرفان » .

(٢٠٧) ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٥ ، التلخيص ، ج ١ ص ٦١ - ٦٢ ، وقلن سيرة جعفر ، ص ١١٩ . حيث تقول الرواية أنهم لما ان خرجوا من توزر حتى نزل الرسول في طلبهم .

(٢٠٨) التلخيص للحلواني للمقرئزي ج ٦٢ وقارن أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٢٥ - ب حيث تقول الرواية أن عبيد الله ركن إلى اليسع فأعطاه بعض ما عنده كهدية عنه الناس ، ثم ما انتدب من سجناسه من أنه خرج من لندور أموال عظيمة لهاله والفرقة) .

الا أن بجله وقبل يديه (٢٠٩) .

وإذا كنا لا نجد فيما بقي لنا من سيرة جعفر الحاجب عن إقامة المهدي المنقبة في سجله إلا كرامة جرى الماء بشدة في عين الماء الراكدة في الستار الملاصق للدار التي سكنوا فيها بعد أن وضع القائم رجليه في الماء (٢١٠) . فان ما احتفظ لنا به أبو زكريا ، في سير أئمة تاهرت ، يمكن أن يقدم لنا صورة لا بأس بها عما كانت عليه سيرة المهدي المقتية في سجله ، مما كان متداولاً في المغرب على عهد الفاطميين .

من ذلك أن المهدي أقام في سجله حتى عرف بالفقه والعلم والقراءة ، فصار الناس يختلفون إليه ويسألونه عن حوائجهم . وأن وإلى المدينة (اليسع) أثره على جميع أصحابه وجعله وزيراً في جميع أموره إلى أن انتهى أمره بأن أصبح المرجع الأول في أمور السلم والحرب ، مما جعلهم يتمنون به في جميع أحوالهم ، بل وحتى انتهى الأمر بأن ولوه على أنفسهم بعد وفاة اليسع ، وهو غير راغب في ذلك ، وصار يأخذ العري والمدائن حتى أخذ مدينة فاس ، كما تريد الرواية الشعبية التي يغلب عليها الطابع الأسطوري (٢١١) .

أما عن رواية جعفر الحاجب فهي لا تشير إلا إلى القبض على المهدي في سجله بعد أن وصلت الأوامر إلى اليسع بن مدرار بذلك من قبل الخلافة أو زيادة الله الأغلب ، وهو ما يأخذ به جمهور المؤرخين ، وإن تميزت الرواية الشعبية - التي تظهر في شكل مذكرات شخصية - بالمزيد من المعلومات التفصيلية (٢١٢) .

(٢٠٩) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ (الدريجي ، المطبوع ، ص ٩٣) ، وقارن سيرة جعفر الحاجب ، ص ١١٩ ، حيث تقول الرواية أهم استأجروا داراً حسنة من رجل يعرف بابي حيشة للمهدي .

(٢١٠) مجلة آداب القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٢١١) أبو زكريا ، المخطوط ، ص ٣٦ - ١ ، وقارن رواية القاضي النعمان في التناسخ الدعوة (ص ١٥٢ - ١٥٤) حيث تقول أن كل من رأى المهدي بسجله كان يقول : « ما هذا تاجر وما هذا إلا سلطان أو حاكم من الملوك » ، كما تقول أن المهدي وصل اليسع صاحب سجله الذي « كان يوجب حقه وتقليبه إلى أن أتاه كتاب زيادة الله ... يخبره أنه هو الذي يدعو أبو عبد الله إليه » .

(٢١٢) أكثر سيرة جعفر الحاجب ، ص ١٢٢ - ١٢٣ : حيث الإشارة إلى أنه عند القبض على المهدي وابنه القائم وخديمه : جعفر وطيب وصنبل وأبي يعقوب الكهرمان ، خصصت دار لجيس الإمام وأخرى لجيس ولي عهده ، بينما حسن الخدم في بعض سجون المدينة . هذا إلى =

والذي يمكن أن يطمأن الى صحته من كل ذلك ، هو نجاح المهدي في
لافتات من مطاردة عمال الخلافة وزيادة الله ، والوصول الى سجناسية في
واخر سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م حيث أقام متخفيا في زى التجار . ومن ملجأه في
سجناسية أخذ عبيد الله المهدي يتصل سرا بأبي عبد الله الشيعي (٢١٢) ،
لدى كان يطلعه أولا بأول على مجريات الأمور حتى أنه عندما انتصرت قوات
الداعي على جيوش زيادة الله في نفس سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م ، أسرع
أبو عبد الله فكتب الى المهدي « يعلمه بالفتح ، ووجه اليه بمال كثير مع قوم
من كتامة سرا » (٢١٤) .

ولكنه رغم هذا التكتّم لم تلبث الأنظار أن اتجهت الى عبيد الله الذي
وضع تحت الرقابة ، الى أن أتت الأخبار من القيروان تؤكد لليسيح بن ممدار ،
صاحب سجناسية ، أنه الرجل الذي يدعو اليه أبو عبد الله في بلد كتامة ،
لقبض عليه وحبس في دار أخت اليسع ، كما قبض على ابنه أبي القاسم
الذي حبس في دار أخرى في بعض أرباض المدينة (٢١٥) ، ولم يلبث الخبر

« جاب م تعرض له الحشم من التعذيب في سبيل اشراع اقرارهم بامر المهدي . وكيف الهز
معهم بيد سيد حمر للامتحان الصمص - الى جاب اشارات الى بعض من كان يتصل به
في سجناسية من الأصدقاء والاتباع » .

(٢١٢) انظر سيرة حفر الحاجب ، ص ١٢٦ ، حيث تقول الرواية ان المهدي صادق وحلا
مطلب من القيروان ، وأنه لما عاد المطلب الى افرقية طلب اليه أن يعلم الداعي بأمره في
سجناسية . ، ص ١٣٢ (حيث الاشارة الى أبي جعفر محمد بن أحمد البغدادي الذي صار من
أكبر أعوان المهدي ، وكيف كان صعود نجمه بسبب انه سار الى سجناسية حيث التقى بالمهدي
الذي أمره بالمسير الى الأندلس انتظارا لفتح أبي عبد الله الرقية) .

(٢١٤) ابن عدلوى ، ج ١ ص ١٨٧ : حيث تشيخ الرواية ان المهدي أعطى لصديقه
المطلب الذي كان معه في سجناسية من الدناير التي أرسلها اليه الداعي والتي لم يكن لها
مثيل هناك ، وقرأ عليه كتاب أبي عبد الله وأمره بكتمان الخبر ، والا يبدل من حاله خشية
المسلم والرقاء » .

(٢١٥) كتاب الاستبصار ، ص ٢٠٤ (حيث تقول الرواية ان الذي نص على عبيد الله
كان رجلا يهوديا . ولا بأس أن يكون قصة الرواية الشيعية من ذلك هو آرد عل أولئك الذين
اتهموا عبد الله بأنه يهودي الأصل) ، وقارن رواية القاضى النعمان (اقتحاف الدعوة ،
ص ٢٢٧) حيث تقول ان المهدي اعترف لليسيح بنسبه العلوي ولكنه قال انه خارج وأكرر
صلته بالداعي . وان اليسع حمله في دار وجعل عليه حرسا ، وجعل ابنه القائم بأمر الله
كذلك في دار أخرى ليرق بينهما ويختار قول كل واحد منهما ، وقارن القرينى ، ج ١
ص ٦٥ حيث تقول الرواية ان اليسع قبض على المهدي عندما اخترب أبو عبد الله على جيوشه
من سجناسية .

آن وصل إلى الداعي (٢١٦) . قرر دحوه القيروان . كما سعت الإشارة (٢١٧) .

السير إلى سجلماسة :

وهكذا ، بعد أن أقر أبو عبد الله الأمور في إفريقية فوزع الولاة والعمال والقضاة على مختلف المدن ، أخذ يعدّ العدة لغزو سجلماسة واستنقاذ الإمام . وفي منتصف شهر رمضان من سنة ٢٩٦ هـ / ٨ يونيو ٩٠٩ م أتى بعد شهرين ونصف شهر من دخوله القيروان ورقادة ، سار على رأس قواته الكبيرة من كتامة ، التي يصفها ابن عذاري « بالديبى المنتشر » ، وابن حماد بأنها « ملء الأرض من الخيل والرجال » ، بعد أن استخلف أخاه أبا العباس على إفريقية ، وبصحبه القائد أبو زكي تمام بن معارك الاجاني وأبى لرقادة (٢١٨) . وسار بصحبة الداعي حاشيته ، من وجوه رجاله وأهل دعوته ، مثل : إبراهيم بن محمد الشيباني المعروف بأبى اليسر الكاتب ، وزيادة بن خلفون المتطبيب مولى بنى الأغلب ، كما خرج معه من فقهاء العراق (الحنفية) أحمد بن محمد ابن سيرين الذي تصبى للمذهب الشيعى فسار رجلا : « يرى أنه محتسب ثلثوب فى طلب الإمام » ، مما كان سببا فى توليته قضاء مدينة برقة بعد ذلك (٢١٩) .

القضاء على دولة تاهرت الرستمية :

ولما لم تكن بلاد المغرب قد عرفت ، منذ وقت طويل ، مثل هذا الجيش الجرار المثلث ، يجهازه وعدده وآلات السفن (٢٢٠) ، كان من الطبيعى أن يتقدم الداعي دون أن يلقى مقاومة ، فتتبدد القبائل أمامه وتفتح له المدن أبوابها (٢٢١) . فعندما مر بطبنة ، عاصمة الزاب ، أتاه الزعيم الزناتى محمد

(٢١٦) الاستبصار ، ص ٢٠٤ - حيث تقول الرواية ان عبيد الله هو الذى كتب اليه ، وأعلمه بحاله من الأسر والحرب وبعث اليه فى استنقاذه .

(٢١٧) انظر فيما سبق ، ص ٥٧٩ - ٥٨١ .

(٢١٨) ابن عذاري . ج ١ ص ١٥٢ . ابن حماد ، أخبار ملوك بني عميد ، ص ٩ . حيث لم يصحح الناشر « وأما زكى » فتركها « أمارك » وقارن ابن الأثير سنة ٢٩٦ ، ج ٨ ص ١٨ حيث لا يذكر أبى زكى .

(٢١٩) البيان . ج ١ ص ١٥٢ - ١٥٣ .

(٢٢٠) ابن عذاري . ج ١ ص ١٥٢ .

(٢٢١) أنظر القرطبي ، اتساق الحنفيا . ج ١ ص ٦٥ . حيث يقول ان المغرب احتز في غروحه وحاجته ناقة . والله الصالح عن طريقه . فآفته سلبه ودخلوا فى طاعه . =

ابن حزر طائعا (٢٢٢) . وعندما عرج في الطريق على تاهرت ، لم يكن أمام عاصمة الرستميين سوى الاستسلام بالأمان . فالرستميون كانوا منقسمين على أنفسهم ، ما بين : أسرة الامام الحاكم يقظان بن ابي اليقظان ، وأسرة الامام المفتول السابق يوسف بن محمد بن أفلح الذي كانت ابنته دوسر ، كما تقول الرواية الإباضية ، تتحرق شوقا للأخذ بثاره ، كما كان مجتمع المدينة منقسما هو الآخر ، ما بين : وهبية مخلصين ، ومخالفين من : المالكية ، والواصلية والشيعة ، والصفورية ممن حرصوا أبا عبد الله على استئصال شأفة دولة العرس من الرستميين .

وهكذا أذعن تاهرت وأمر الداعي بقتل الامام يقظان وبنيه ، وبمخبر رؤسهم الى افريقية حيث طيف بها نى شوارع القيروان قبل ان تنصب على أبواب رقادة (٢٢٢) . وعندما دخل المدينة فهبها وانتكح حرمتها ، وأجلا كثيرا منها ، وجعل أعزة أهلها أذلة ، كما يقول أبو زكريا (٢٢٤) .

وبذلك انتهت دولة الرستميين ، بعد أن عاشت أكثر من مائة وثلاثين سنة ، وأقام على العاصمة الرستمية تاهرت راليا من قبله ، هو أبو حميد دواس بن صولات اللهيبي ، وجعل له معاونا ، هو إبراهيم بن محمد اليماني المعروف بالهوارى الذي كان يلقب بالسيد الصغير (٢٢٥) .

القضاء على امامة سجلماسة المدارية :

وواصل أبو عبد الله مسيرته المظفرة نحو الغرب دون أن يلقي مقاومة ، وانتهى به المطاف أمام سجلماسة في ٦ من ذى الحجة سنة ٢٩٦ هـ / أغسطس ٩٠٩ م . وكان من الطبيعي أن تلقى امامة سجلماسة الصغيرة نفس المصير الذى لقيته مملكتنا الأغالة والرستميين . والذى يفهم من رواية ابن عذارى ان المدينة التى أحيط بها لم تستطع المعاومة الا يوما واحدا ، اذا أنهزم اليسع بن

١ - وأطر افتتاح الدعوة للقاضي العمان الذى نطن أنه مصدر رواية الميرزى (ص ٢٢٦)

وفله ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٢٢٢) افتتاح الدعوة ، ص ٢٣٦ ، حيث يقول القاضي العمان عن ابن خرد : « وهو يوم

أمير رماة كلها وقائل الربر بأسرها .

(٢٢٣) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ .

(٢٢٤) السيرة وأخبار الأئمة ، المخطوط ، ص ٣٦ - ب (الدرجيني ، المكيوم ، ص ٦٤)

وأطر فيما سبق عن الامامة الرستمية ، ص ٢٨٩ .

(٢٢٥) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ .

حذار في آخر النهار ، وهرب خلسة تحت جنتح الليل مع بعض أهل بيته (٢٢٦) ، حيث انتهى نهاية غامضة (٢٢٧) . وبذلك دخل الداعي سجلماسة ، وسار مباشرة الى سجن سيده عبيد الله المهدي ، حيث استنقذه وهو يخر باكيا أمامه من فرط التأثر والفرح ، كما استنقذ أبا القاسم ولى العهد (٢٢٨) . وانتقم أبو عبيد الله من أهل سجلماسة ، المدينة البغيضة التي جرات على امتحان الإمام ، فنهبهم وأحرق دورهم وأغرمهم مغارم ثقيلة ، كما أمر بإجلاء الكثيرين منهم ، والظاهر انه خص اليهود بالهظ الأوفى من تلك النعمة (٢٢٩) .

والظاهر أن استقبال أبي عبد الله الداعي للمهدي غيبه الله ، بما يليق بالإمام من التبجيل والاحترام ، لم يرق كثيرا لقواد كتامة . فقد هالهم ما فعله خاندنهم الداعي من الترحيل للمهدي وتقبيل يديه وركبتيه ، وفتحامت كتامة لذلك ، ، كما يقول أبو زكريا (٢٣٠) . والواضح أنه رغم انفراد الرواية الاباضية بتقرير أفضة كتامة من خضوع الداعي للمهدي فإن الروايات الأخرى تكاد تؤكد هذا الأمر ، عندما تقول : ان الداعي قال لكتامة « هذا مولاي

(٢٢٦) ابن عذارى ، ج ١ ص ٢١٠ ، وأنظر المقرئى . انماط الحنفا ، ح ١ ص ٦٥ ، حيث يصيف الى ذلك أن الداعي حاول اوب الامر ملاطمة اليسع حوما على حياة الامم ولكن اليسع نكل رسله ورمى رسائله .

(٢٢٧) وفي ذلك يورد ابن عذارى روايتين تقول أولاهما (ح ١ ص ١٥٣) أن أبا عبد الله طلبه لم يقدر عليه ، وتقول الرواية الثانية (ج ١ ص ١٥٤) انه أخذ بعد ذلك بجمالى شهر إذ قدر به قوم من البربر يعرفون ببسى خالده ، واستامنوا به الى أبي عبد الله فامنهم وذلك في مستهل المحرم ٢٠ / سبتمبر ٩٠٨ م ، وأنظر انماط الحنفا ، ج ١ ص ٦٥ ، حيث تقول الرواية ان خيل الداعي أدركت اليسع فآخذته وأتت به حيث ضرب بالسياط وقتل . وقارن رواية القاضى النعمان (افتتاح الدعوة ، ص ٢٢٨ - ٢٤٠) التى يمكن أن تكون أصلا لرواية المقرئى . وفيها يقول النعمان ان أبا عبد الله أراد أن يدعى اليسع خوفا على الامام فراسله ، ولكن اليسع رمى بكتابه وقتل رسله . وعن القتال يذكر ان اليسع لم يلا فى سى عنه وأهل بيته لم انه يقول بعد ذلك ان عساكر أبي عبد الله أدركتهم فآخذتهم وأتت بهم ، وان اليسع ضرب بالسوط وطبق به فى العسكر وفى سجلماسة قبل أن تستصفى أمواله ويقتل . بينما تقول رواية الاستبصار (ص ٢٠٤) انه لم يقتله طائفة من رعيته لعقد كانوا يجدونه له . وأنظر ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦ .

(٢٢٨) ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ ، والفتح الدعوة للقاضى النعمان ص ٢٤٠ . (٢٢٩) أنظر الاستبصار ، ص ٢٠٤ ، حيث تقول الرواية ان ما أخذ من أهل سجلماسة من الثبر والحل بلغ وقر ١٢٠ (مائة وعشرين) جملا . - وقارن ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٣ . (٢٣٠) السيد وأخبار الأئمة ، المصنوط ، ص ٣٧ - ٢ .

الامام فهو مولاكم» (٢٣١) ، وما تنص عليه من أن عبيد الله قال له عندئذ : « قل لهم هو المهدي بن المهدي سلالة الهدياية» (٢٣٢) ، حتى يخفف عليهم كما نرى ، من هول الصدمة التي أصابتهم في أميرهم الذي ما كانوا يظنون حتى ذلك الحين ، أن فوقه أميراً (٢٣٣) . وهكذا تطلب اقناعهم باستبدال زعامة المهدي بزعامة الداعي بعض الوقت . وكتب أبو عبد الله إلى الفريقين بما تم من نصر أولياء الله وذل أعدائه باستنقاذ الإمام والظفر على صاحب سجلنامه (٢٣٤) .

هكذا أقام أبو عبيد الله بصحبة الإمام وولى عهده في سجلنامه مدة أربعين يوماً (٢٣٥) إلى أن انقضى شهر المحرم من سنة ٢٩٧ هـ / آخر أكتوبر ٩٠٨ م ، أقر الأمور خلالها في منطقة سجلنامه التي عين عليها والياشيعيا ، هو إبراهيم بن غالب المزائي (٢٣٦) ، وأعد العدة للعودة إلى رقادة . وفي شهر صفر / نوفمبر خرج الموكب الملوكي العظيم من سجلنامه يتقدمه الإمام عبيد الله المهدي ممتطياً صهوة فرس عتيق ، وعليه ثياب نفيسة فاخرة ، وقد تضمخ بالطيب الكثير (٢٣٧) وإلى جانبه ابنه أبو القاسم ، ويحف به فرسان كتامة ، وهم يحرسون أحمال التبر والحلي التي أخذت من المدينة التي تعتبر

(٢٣١) أنظر الاستبصار ، ص ٢٠٤ . ابن عذارى ، ج ١ ص ١٥٤ . ابن الأثير سنة ٢٩٦ ج ٨ ص ١٩ ، وقارن رواية القاضي التمساني رسالة افتتاح الدعوة (ص ٢٤٥) التي ربما أن تكون الأصل الذي نقل عنه المتأخرون حيث تقول أن الداعي قال لرجاله : « هذا هو ومولاكم وولى أمركم وإمام دهركم ومهديكم المنتظر الذي كنت أشرب به » . وأنظر أيضا ص . (٢٣٢) الاستبصار ص ٢٠٤ .

(٢٣٣) أنظر أبو ركريا ، المخطوط ، ص ٢٧ - أ ، حيث يقول : أنه عندما قال الإيكةج (الحجابي) أي أبو عبد الله لكتامة عن عبيد الله : « انه مولاي وسلطاني وسسلطانكم » ، لدية على وفاطمة فقالوا : لا نعرف لافلتنا سلطان فرك » .

(٢٣٤) سد مكاتبتة وطلب عقد الأخوة بينهما في سبيل إخراج المهدي من محبسه ، وغير اليسع تم كيفية القتال والظفر - أنظر من المخطوط في افتتاح الدعوة للقساني النص ص ٢٤١ - ٢٤٤ .

(٢٣٥) المقرري ، انساب الخلفاء ، ج ١ ص ٦٦ ، وأنظر القاضي التمساني ، افتتاح الدعاء ص ٢٤١ الذي ينقل عنه المقرري هذه الرواية .

(٢٣٦) ابن عذارى ج ١ ص ١٥٤ ، وأنظر افتتاح الدعوة للتمسان (ص ٢٤١) حيث يقول انه استعمل عليهم عاملاً هو أن يذكر اسمه .

(٢٣٧) ابن حبان ، اختيار ملوك بني عبيد ، ص ٩ .

بابا من أبواب السودان ، بلاد البر والذهب (٢٣٨) .

وإن وصول الموكب الى الفريقية بعد رحلة استغرقت حوالى الشهرين اذ كان دخولهم الى رقادة يوم الخميس ٢٠ من شهر ربيع الآخر ٢٩٧/٧ يناير ٩١٠ م (٢٣٩) . وخرج أهل القيروان مع أهل رقادة يرحبون بالامام الذى احاط به أبو عبد الله الداعى ورؤساء كتامة مشاة بين يديه ، وخلفه ابنه أبو القاسم . وبعد أن انفضى الموكب نزل الامام بقصر من قصور رقادة حيث عرضت عليه حوارى زيادة الله ، « فاختار منهم لنفسه ولولده ، وفرق ما بقى على وجوه كتامة » (٢٤٠) .

عبيد الله المهدي أميراً للمؤمنين :

وفى يوم الجمعة التالى أمر عبيد الله أن يذكر اسمه فى الخطبة ، فى كل من رقادة والقيروان وأن يكون لقبه فيها « خليفة » الله و « المهدي بالله أمير المؤمنين » (٢٤١) . وبذلك قامت دولة الأئمة الفاطميين فى المغرب بشكل رسمى ، بعد حوالى ١٥ (خمس عشرة) عاما قضاها أبو عبد الله الشيعى فى أرض كتامة ، وهو يدعو للامام المنتظر ، ويقاقل فى سبيل اقامة دولته ، لى أن تكملت جهوده بالنجاح ، فغضى على ثلاث دول دفعة واحدة ، هى : دولة الأغالة فى القيروان ، ودولة الرستميين فى تاهرت ، ودولة المذاريين فى سجلماسة ، قبل القضاء على دولة الادارسة الرابعة (٢٤٢) . وهكذا حق لعبيد الله أن يبدأ حكمه « أميراً للمؤمنين » أى خليفة (٢٤٣) ، بترعه

(٢٣٨) هذا ما يعم من روايات الاستبصار وابن عذارى السابقة ، أما روايه إلكسانى السمان فى افتتاح الدعوة (٢٤٦) فانها تشير الى أن المال الذى دخل به عبيد الله رقادة هو المال الذى كان للدعاة والشايخ فى إيكهارالى مال اليها وهو فى الطريق قامر باحصاره ، مما كان سببا فى تحول اصحاب القلوب العاسدة منهم (ابن خلدون ، ج ٤ ص ٣٦) .

(٢٣٩) افتتاح الدعوة ص ٢٤٧ .

(٢٤٠) المقربرى ، اتماط الحلما ، ج ١ ص ٦٦ ، وقارن افتتاح الدعوة للقاصى السمان ،

ص ٢٤٨ - ٢٤٩ ، ابن الأثير ، سنة ٢٩٦ ، ج ١ ص ١٦ .

(٢٤١) أنظر افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٩ : حيث يقول نص الدعاء : « اللهم فصل على عبدك وخليفتك العالم بأمر عبادك فى بلادك ، عند الله أبى محمد الامام المهدي بالله أمير المؤمنين ... »

وقارن اتماط الحنفا ، ج ١ ص ٦٦ .

(٢٤٢) أنظر فيما سبق ، ص ٤٧٧ .

(٢٤٣) ولا بأس من الاشارة هنا الى أن الخلافة كما وردت فى توقيع المهدي هى خلافة الله

وليست خلافة الرسول ، كما هو الحال عند أهل السنة . وهذا ما تكرر فى التوقيع من أن

المهدي هو خليفة الله وأن آباءه هم خلفاء الله الراشدين المهديين (افتتاح الدعوة ، ص ٢٤٩) .

على عرش دولة كبرى مترامية الأطراف ، ما بين سواحل افريقية على المتوسط ،
وصحراوات المغرب الجنوبية على تخوم بلاد السودان .

وكان من الطبيعي أن يبدأ المهدي ممارسته لمهامه كرئيس للدولة الجديدة
بالعمل على تأكيد مركزه كأمير للمؤمنين عن طريق جمع السلطة ، التي لم
يكن له منها حتى وقتئذ شيء ، بين يديه . ولكي يتحقق له هذا الهدف ،
الذي يعتبر غاية لكل وأصل جديد إلى السلطة ، كان عليه أن يتبع سياسة
دينية تضمن له حشد أكبر عدد ممكن من الأنصار ، يكونون له بمثابة العصبية
أو القاعدة الشعبية التي يقوم عليها سلطانه ، وأن يتخلص من الزعماء أصحاب
السلطة ممن يزاحمون في الملك وينقصون من سيادته وأهمهم الداعي ، وأن
يوصل الفتح وتوسيع دولته نحو مصر ونحو المغرب الأقصى بما يشغل رجال
الحرب ويوجه حماسهم العسكرية نحو الخارج ، كما يهيء موارد إضافية للدولة
تزيد من قوتها ، وترفع من شأنه هو بين ملوك عصره . أما عن اتخاذ مركز
جديد للحكم في مدينة « المهديّة » فكان رمزا للنظام « الراشدي » الجديد الذي
كان يسعى إلى بسط سلطان آل البيت من الفاطميين في المشرق بعد أن نجح
في نشر راياتهم على أسنة رماح أهل المغرب من الكتامين ثم الصنهاجيين
في المغرب ، وهو ما ترجو أن يكون من موضوعات الجزء الثالث من الكتاب
انشاء الله .

فهرس المصادر والمراجع المذكورة في الهوامش

- ابراهيم العلوي - ابن عبد الحكم راند المؤرخين العرب ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- ابراهيم وزقانة ومحمد صلي الدين ، الوطن العربي (في : دراسات في المجتمع العربي) تأليف مجموعة من أساتذة كلية الآداب والاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة سنة ١٩٦١ - ١٩٦٢ .
- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد التضاوي البلسي ، توفي سنة ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م - الحلة السيرة - تحقيق حسين مزي - من جزئين القاهرة ١٩٦٢ .
- ابن أبي ديناو محمد بن أبي القاسم الرعيي القيرواني ، كتاب المؤسس في أخبار إفريقية وتونس - تونس ١٢٨٠ هـ .
- ابن أبي ذؤيد ، الأيسر المختصر بروي القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، فاس ، طبع سحر .
- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، القاهرة (١٢ ج) .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أجزاء طبعة المعارف ، القاهرة ١٢٨٥ هـ .
- ابن اسحق ، كتاب فتوح مصر وأقاليمها ، القاهرة ، ١٢٧٥ هـ (وانظر الواقدي ، فتوح مصر والإسكندرية) ، طبعة ليدن ، ١٨٢٥ .
- وانظر ابن هشام ، السيرة ،
- أبو زكريا : كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، ترجمة جزئية بمعرفة ماسكراي (Masqueray, chronique d'Abou Zakaria, livre des Mizab), Alger, 1878.
- مخطوط دار الكتب ، رقم ٩٠٣٠ ج .
- أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم التميمي ، المتوفى سنة ٣٣٣ هـ) طبقات علماء إفريقية ، نشر الشيخ محمد بن أبي شنب ، الجزائر ، ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م ، ط : بيروت ، ط : تونس .
- أبو اللدا (اسماعيل بن علي همد الدين صاحب حماة متوفى سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) ، المختصر في أخبار البشر ، القسطنطينية ، ١٢٨٦ هـ .
- جغرافية أبي اللدا (كتاب تقويم البلدان ، نشر ريسر وديسلر ، ١٨٩٠ م)
- احسان عباس ، العرب في صقلية ، القاهرة (المؤلف) ، ١٩٥٩ م .
- أحمد بن إبراهيم النيسابوري ، استنار الإمام ، نشر إيفانوف ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الرابع ، ج ٢ ديسمبر ١٩٦٦ ، ص ٩٣ - ١٠٧ .
- أحمد الثاني الأنصاري ، المثل السلب في تاريخ طرابلس الغرب ، القاهرة ، ١٣١٧ هـ .
- أحمد بن أبي الفيل ، اتفاق أهل الزمان

(العليمة الثانية منقحة ومشرورة بمحررة
كارلو العوسو نلينو)
Catania, 1935 (Nollino)
- المكتبة العربية الصليبية
(Biblioteca Arabo-Sicula...
Lipsia, 1855).

انجل جونتالت بالنتيا
Angel Gonzalez Palencia
تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة حسنة
مؤس ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
البادوني ، كتاب الارواح الريفانية في السنة
وملك الالهاسية . طبعة الارماس
البادونية .
البخاري ، كتاب التاريخ الكبير . طبع حيدو
آناد الدكي ، ١٣٦١ هـ ، ج ٣ قسم ٩ .
قسم ٧ .

بروكلمان
Brockelmann
تاريخ الشعوب والدول الاسلاميه
ترجمة فرنسية بمحرره تازروت
(M. Tazerout) تاريخ ١٩٤٩

بروفنسال
E. Lévi Provençal . ١٩٥٤
— Les Historiens de la chor-
fa, 1923.
— Histoire de l'Espagne mu-
sulmane, Paris, 1944.
(ترجمة عربية في الاسلام في المغرب
والاندلس . بحرفة السيد عبد العزيز
سالم ومحمد صلاح حلي . الآب
كتاب ، رقم ٨٩)
— Un recueil de lettres offi-
cielles Almohades, étude
diplomatique....., Paris,
1944.

— اخبار المهدي ابن تومرت وابناء دولة
الموحدين (مذكرات البديق) ، نص
عربي وترجمة فرنسية تحت عسوان

بأحمار ملوك تونس وعهد الأمان ،
تونس ، ١٩٦٣ .
أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، القاهرة ،
١٩٦٢ .
— خريطة القطر الجزائري ، طبعة
كاروبيل ، الجزائر .
— المسلمون في صقلية وجنوب إيطاليا .
أحمد فكري ، المسجد الجامع بالقيروان ، طبع
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٣٦ م .
— مساجد القاهرة ومدارسها - المحلل ،
الاسكندرية ، ١٩٦٢ م .
أخبار مجهزة (من تلح الاندلس وذكر
أمرائها - رحبهم الله - والحروب الواقعة
بها بينهم) ، من عربي وترجمة
اسبانية بحرفة لافونت
(E. Lafuente)
مدريد ، ١٨٦٧ .

الاديسي ، كتاب نزعة المشتان و الجزء الخاص
بصفة المغرب واراس السودان وعصر
(لاندلس) من عربي وترجمة
برسية بحرفة دغويه ودوزي . ليدن ،
١٨٦٤

الاستبحار : اقلر كتاب الاستبحار .

الاصطغري ، كتاب المسالك والممالك . نشر
De Coefe ليدن ، ١٨٧٠ م .

السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين
وأثارهم في الاندلس من اللتح العربي
حتى سقوط الخلافة بقرطبة . دار
المعارف ، لبنان ، ١٩٦٢ م

الطاهر أحمد الزاوي ، تاريخ اللتح العربي
في ليبيا ، طبعة دار المسارف بمصر
(طبعة اول) .

اماري
M. Amari, Storia dei Musul-
mani di Sicilia

évêché de la Kalà de Beni
Hammad, Hespéris, t 15, an-
née, 1932, Fax, I.

التجاني (أبو محمد عبد الله بن محمد بن
إبراهيم التجاني) ، الرحلة ، تونس ،
١٩٥٨ .

Gasper Remira جاسپار ريميرا
- انظر الويري

Gzohmann (Adolf) جروهمان
Aperçu de papyrologie arabe
(extrait des études de papyro-
logie, t. I, Le Caire (imp. inst.
Fr...), 1932.

الجزائري (أبو الحسن علي الجزائري) ، كتاب
زهرة الآس في بقاء مدينة لاس ، طبع
القردييل A. Bel الجزائر ١٩٢٠هـ /
١٩٢٢ م - مع ترجمة فرنسية مصحوبة
بالهوامش تحت عنوان

La fleur du Myrte...

Zahrat El-As الجزائر ١٩٢٢

جسل
M.S. Gsell, la tripolitaine et
le Sahara au 3èmes ère (extr.
mém. Acadé. insc. B. Lettres,
t. 43), Paris, 1926.

جمال الدين الشيال ، الصلوات الثمانية بين
المغرب ومدينة الاسكندرية (في المصو
الاسلامي) ، مجلة كلية الآداب - جامعة
الاسكندرية ، المجلد ١٥ ، سنة ١٩٦١ .
- الاسكندرية ، طبوغرافية المدينة
وتطورها من اقدم المصور ، الأطلس
التاريخي ، المجلة التاريخية ، ١٩٤٩ .

جوتية
E.F. Gautier, Le passé de
l'Afrique du Nord, les siècles
obscura, Paris, 1942.

(documents inédits)

وثائق لم تنشر

باريز ، ١٩٢٨ .

بريسه
L. Bréhier, Vie et Mort de
Byzance, Paris, 1947.

البغدادي (أبو المنصور عبد القاهر بن
طاهر ، المتوفى سنة ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) ،
الفرق بين الفرق ، القاهرة ، ١٩٢٨ هـ /
١٩١٠ م .

البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ،
المتوفى سنة ٤٨٧ هـ / ١٠٩٧ م) ، كتاب
المغرب في ذكر بلاد الرقبة والمغرب ،
جزء من « كتاب المسالك والممالك » ،
طبع دسلان (De Slane) الجزائر ،
١٩١١ .

- جغرافية الأندلس وأوروبا ، تحقيق
عبد الرحمن جحي ، طبع بيروت .

بيل
A. Bel, Les Banou Ghania,
derniers représentants de
l'empire almoravide et leur
lutte contre l'empire almo-
hade, 1903.

- La religion musulmane en
Berlérie, Esquisse d'his-
toire et de sociologie reli-
gieuse, Paris, 1938.

البلاوي (أبو العباس أحمد بن يحيى بن
جابر ، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٩٢ م) ،
كتاب فتوح البلدان ، طبع لندن
١٨٦٦ .

البليق - انظر برونتسمال (أخيل المهدى ابن
تومرغ) .

بيير سنيلال
Pierre de Cenival, le pretendu

- فجر الأدلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

حسين نصار . لقد نشره عبد المنعم عاصي
لكتاب فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ،
مجلة « المجلة » العدد ٨٠ ، أغسطس
(آب) ١٩٦٢ .

العشائشي : انظر محمد بن عثمان .
ابن حجر (شهاب الدين بن عل المسقلاني .
توفي سنة ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م) ، الاصابة
في تمييز الصحابة طبة ١٣٢٨ هـ .
ابن حزم (أبو محمد بن أحمد بن حزم
الظاهري - توفي سنة ٤٥٦ هـ /
١٠٦٤ م) ، كتاب الفصل في الملل
والأهواء والنحل القاهرة ١٣١٧ هـ .
ابن حنبل . أبو عبد الله محمد بن عجل بن
حنبل . توفي سنة ٢٤٨ هـ / ١٢٣٠ م .
- اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم .
تحقيق فؤاد حميد طبع الجزائر سنة
١٩٢٧ م .

الحمدى . حلة القيس ، مجموعة تراثنا
المكتبة الأدلسية . رقم ٣ ط : القاهرة .
سنة ١٩٦٦ .

الصهرى الروس الخطار في احبار الاقطار
(سلسلة جزيرة الأدلس) تحقيق
برونفيسال . القاهرة ١٩٢٧ م .

ابن حوقل ، صورة الارض ، طبع بيروت
(مكتبة دار الحياة) .
- وطبع ليدن بمعرفة دغريه

De Goeje

(المسالك والممالك) ليدن ١٨٩٩ م .

ابن حيان ، أبو مروان بن حيان القرطبي
توفي سنة ٤٦٩ هـ / ١١٧٦ م .

- القيس في اخبار بلد الأدلس ،
تحقيق عبد الرحمن عل الحجي (المكتبة
الأدلسية) ، بيروت ١٩٦٥ .

- وانظر القطعة التي حقلها محمود عل
مكي ، طبع دار الكتاب العربي . بيروت
١٩٧٣ م

- Le Sahara, Paris, 1946.

جودفروا ديمومبتين
Gaudefroy-Demombynes
Les institutions musulmans,
Paris, 1946.

انظر المصري ، مسالك الايضار في مسالك
L'Afrique moins l'Egypte

الاسمار (المربية مدا مصر
Ch. André Julien. Histoire de

ترجمة فرنسية مع مقدمة وهوامش .
باريز ، ١٩٢٧ .
جوزيف نسيم يوسف ، مجمع الاسكندرية
في العصر الميحي . كتاب مجتصح
الاسكندرية ١٩٧٥ .

جولييان Ch. André Julien
l'Afrique du Nord, 1931.

جيار
Gaillard, une ville de l'islam
Fès, Paris, 1905.

الحبيب الجعاني ، التقرب الاسلامي . الحياة
الاقتصادية والاجتماعية ، من ٢ - ٤ هـ /
٩ - ١٠ م (طبع تونس .

حسن ابراهيم حسن . تاريخ الاسلام السياسي
والديني والتمامي والاجتماعي ، الجزء
الاول ، القاهرة . ١٩٥٧ .

حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ،
القاهرة ١٩٥٧ .

حسن جسي عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ
تونس : الطبعة الثالثة ، تونس .
- وروقات ، ط : تونس ١٩٦٥ .

حسن سليمان محمود ، ليبيا بين الماضي
والحاضر ، القاهرة . ١٩٦٢ .

حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ، القاهرة
١٩٤٧ .

- ابن خلدون (شمس الدين أبو العباس أحمد
ابن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي ،
توفي سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨١ م ، وفاته
الأعيان وأبناء أبناء الرومان ، طبعة
محيي الدين عبد الحميد .
- خليلة بن خياط ، توفي سنة ٢٤٠ هـ /
٩٥١ م .
- تاريخ خليفة بن خياط ، نشر أكريم
المصري ، في جزئين ، بغداد ١٩٦٨ .
- الديلم (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله
الأنصاري ، ٦٠٥ - ٦٦٦ هـ) ، معالم
الإيمان في معرفة أصل الليوان ، في
جزئين ، تونس ، ١٣٢٠ هـ .
- الدوجيني ، أبو العباس أحمد ، من رجال
القرن السابع الهجرية / ١٢ م .
- طبقات الأباكية ، مخطوط دار الكتب
المصرية (رقم ١٢٥٦١ ح مصورة من
المخطوط الأصل رقم ٢٦١٢ تاريخ
تيمور) .
- طبعة الجزائر بمعرفة إبراهيم طلال ،
البلدية ، ١٣٦٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- دسبوا
J. Despois, Le Djebel Nefousa,
Paris, 1935.
— La Tunisie orientale, Pa-
ris, 1940.
- دولي
R. Dozy, Histoire des musul-
manes d'Espagne, Leyden,
(1932 (t. 1).
(ترجم الجزء الأول إلى العربية بمعرفة
حسن حبشي تحت عنوان : تاريخ مسلمي
إسبانيا ، القاهرة) .
- ديبل
Ch.-Diehl et G. Marçais, Le
monde oriental, de 365 à 1081,
Paris, 1944.
- ابن حيون أبو حنيفة النعمان بن محمد
الشمسي المغربي ، توفي سنة ٣٦٣ هـ /
٩٤٧ م .
- دعائم الإسلام ، تحقيق آصف لطفى
القاهرة ١٩٦٣ .
- رسالة افتتاح الدعوة ، تحقيق وفاد
الفاقي ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ .
- ابن خردادبة وابن العقي و ابن دسمة ، صفة
المغرب وأوروبا في القرن الثالث الهجري /
٩ م . مستخرجات من كتاب المسالك
والملك وكتاب البلدان وكتاب العلق
النفس ، المكتبة العربية الفرنسية تحت
إشراف هنري بيريز
(Bibliothèque Arabe-Française
H. Pérès
- نص عربي وترجمة فرنسية لمحمد حاج
صادق ، الجزائر ، ١٩٤٩ ، العدد رقم ٦
- ابن الخليلي ، مشاهدات لسان الدين بن
الخطيب في المغرب والأندلس ، نشر
معرفة أحمد مختار العبادي ، مطبوعات
جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ م .
- كتاب أعمال الأعلام (الجزء الثالث) ،
نشر أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم
الكتاني تحت عنوان : المغرب العربي في
المصر الوسيط ، طبعة الدار البيضاء ،
١٩٦٤ .
- ابن خلدون المقدمة (مقدمة كتاب العبر
الشهيرة بمقدمة ابن خلدون) ، طبعة
التعارية ، القاهرة .
- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ،
٧ أجزاء ، طبع القاهرة .
- الترجمة الفرنسية للتقسيم الخاص
بالمغرب بمعرفة دسلان
(De Slane). Histoire des ber-
bères et des Dynasties mu-
sulmanes de l'Afrique septen-
trionale, Paris, 1925 (t. 1
et 2).

- ينفاذى ، ١٩٥٨ م .
- ملاحظات عن مصر كما رآها ووصفها
البحرانيون والرحالة المسافرون ، مجلة
كلية الآداب ، اسكندرية ، ١٩٥٤ .
- تاريخ الاسكندرية من الفتح العربى الى
قيام الفاطميين ، من كتاب تاريخ
الاسكندرية منذ أقدم العصور ،
الاسكندرية ، ١٩٥٤ .
- العلاقة بين صلاح الدين وأبي يوسف
يعقوب المصور الموحدى ، مجلة كلية
الآداب ، اسكندرية ، ١٩٥٣ .
- أنظر كتاب الاستبصار .
- فتوح المغرب والأندلس لى رواية ابن
عبد الحكم ، بحث فى كتاب « دراسات
عن ابن عبد الحكم » ، المكتبة العربية ،
ط . وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٥ ،
ص ١٥٣ - ١٩٦ .
- أهمية ابن تيمى بردى لتاريخ المغرب
والأندلس ، بحث فى كتاب « المؤرخ ابن
تيمى بردى » ، مجموعة المكتبة العربية ،
ط . وزارة الثقافة ، القاهرة ، ١٩٧٤ .
- الأثر المغربى والأندلسى فى المجتمع
الاسكندري ، كتاب تاريخ المجتمع
الاسكندري ، طبع جامعة الاسكندرية
١٩٧٥ .
- حاشى على مصادر تدريح الاماضية فى
المغرب ، دراسة لكتاب السير للويساس ،
مطبوعات الجامعة التونسية ، مركز
الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ،
أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربى
وحضارته ، ج ١ ، سلسلة الدراسات
التاريخية (من ص ٥١ - ٩٦) .
ابن سعيد ، على بن موسى ، توفى سنة
٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .
- كتاب الجفرالى ، طبع بيروت .
- السلوى ، الاستقصا لأخبار المغرب الاقصى .
ظيمة الدار البيضاء :

(الجزء الثالث من مجموعة التاريخ العام

- جلوتز Glotz - قسم العصور
الاسكنية) .

بالدهى ، ميزان الاعتدال فى نقد الرجال ،
سنة القاهرة ١٩٦٣ ، ج ٣ .

ريسلى
Risler, la civilisation arabe,
Paris, 1955.

الزريقى (ابراهيم بن القاسم ، توفى بعد سنة
٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م) ، تاريخ امريقية
والعرب ، تحقيق المجلد الكعبى ، طبع
تونس ، ١٩٦٧ .
- قطب السرور فى أوصاف الخمر ،
تحقيق أحمد الجنيدى .

الزراوى - انظر الطاهر أحمد

الزهرى ، كتاب الحضارية ، تحقيق محمد
حاج صادق ، مجلة الدراسات الشرقية
للمعهد الفرنسى للدراسات ، ١٩٦٨ .

السبكى ، طبقات النعمانية الكبرى ، طبعة
١٣٢٤ هـ ، ج ١ .

سليمان

J. Célerier, Le Maroc (Coll.
L'union Française), Paris,
1948.

— Les conditions géographi-
ques de développement de-
Fès, Hespéria, t. 19, an-
née 1934. Fasc. 1-2.

مسند لملول عبد الحميد ، فتح العرب للمغرب
من الحقيقة التاريخية والاسطورة
الشعبية ، مجلة كلية الآداب
بالاسكندرية ، ١٩٦٣ م .
- مؤلف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين
فى إفريقيا ، ونقلتهم الى مصر ، مجلة
كلية الآداب والتربية بالجامعة الليبية .

- سليمان الماوي ، الارحام الرياضية في ايمة
وملوك الاباضية .
- سيدة اسماعيل الكاشف ، مصادر التاريخ
الاسلامي ومناجم البحث فيه ، القاهرة ،
١٩٦٠ .
- مصر في بحر الاسلام (من التعصب
العربي الى قيام الدولة الطولونية) ،
القاهرة ١٩٤٧ .
- شجرة ، انظر محمد عبد الهادي .
- الشهرستاني (ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ،
توفي سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ م) ، الملل
والنحل طبعة ليبيرج ١٩٢٣ م .
- ابن الصغير اخبار الائمة الرستخيين نشر
وترجمة موتيلينسكي
Chronique d'Ibn Saghîr sur
les imams Rosténides de Ta-
hert, éd. et trad. par Moty-
linski, dans Actes du 14e
Congrès des Orientalistes, 3e
partie, 1907
- الطبري ربيع الأمر والملوك طبعة القاهرة ،
١٣٥٨ - ١٩٣٩ وطبعة أوروبا ، وطبعة
دخان العرب ٥ ج .
- ابن عبد الحكم (ابو القاسم محمد بن
عبد الله بن عبد الحكم القرشي المصري)
فتوح مصر والمغرب والأندلس ، نشر
شارل توري (Torrey) طبعة لينن ،
١٩٢٠ .
- شجرة سريانية مع ترجمة فرنسية
من يد Gateau في مجموعة
(المكتبة العربية الفرنسية) طبعة
الجزائر ، ١٩٤٨ .
- شجرة سريانية بمسورة ماسسيه
(H. Massé) ، القاهرة ١٩١٤ .
- شجرة جردة جديدة معرفة عبد المم
عاص ، القاهرة .
- عبد الحميد الهادي ، المحلل في تاريخ الأندلس
القاهرة ، ١٩٥٨ .
- عبد السلام بن سودة ، دليل مؤرخ المغرب
الأقصى ، تطوان ، ١٩٥٠ .
- عبد العزيز النوري ، علم التاريخ عند العرب ،
بيروت ، ١٩٦٠ .
- عبد العزيز طربيع شرف ، جغرافية ليبيا
الاسكندرية ، ١٩٦٣ .
- عبد النعم حاجه ، التاريخ السياسي للدولة
العربية ، طبعة ١٩٦٠ م .
- مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي ،
القاهرة ، ١٩٥٣ .
- ظهور خلافة اللاتيفين وسقوطها في
مصر (التاريخ السياسي) ، طبع دار
المعارف ، الاسكندرية ١٩٧٢ (طبعة
ثانية) .
- عبد الهادي التازي ، الامام داود بن ادريس ،
(من خلال الوثائق التاريخية) ، مجلة كلية
الاداب - جامعة الاسكندرية ، المجلد ١٠ -
سنة ١٩٦٦ .
- جامع القرنين بغاس ، رسالة دكتوراه
عمل الآلة الكاتبة ، قدمت لجامعة
الاسكندرية سنة ١٩٧١ .
- عبد الواحد الكواشي ، المغرب في كنف
أخبار المغرب ، طبعة مصر ، ١٣٢٤ هـ .
- عبد الله بن صالح ، انظر يروفتال ، مصر
جديدة .
- ابن عداوي الكواشي (ابو عبد الله محمد) ،
البيان المغرب في أخبار المغرب ، نشر
وتحقيق كولان وبرونسال ، لينن ١٩٤٨ .
- (نشر دوزي ، وطبعة بيروت ، ٢ ج) .
- تؤنق احمد ، تاريخ صقلية الاسلامية ،
بالانجليزية ، طبع اذنه ١٩٧٥ .
- على يحيى اعصر ، الاباضية في موكب التاريخ
— الجزء الاول ، في : طبعة القمصين

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني)

كتاب البلدان ، طبع ليدن ١٨٨٥ م .

فلهوؤن ، تاريخ الدولة العربية منذ ظهور

الاسلام الى نهاية الدولة الاموية ، ترجمة

الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ،

القاهرة ١٩٥٨ م .

فوردنل

H. Fournel, Étude sur la conquête de l'Afrique par les arabes..., Paris, 1857.

فوندرهايدن ، الأغلبية ، بالفرنسية .

فركوتية

J. Vercoutter, L'Egypte ancienne (Coll. que Sais — je?), Paris, 1947.

فيشل

W.J. Fischel, Ibn Khaldun and Tamerlane, Berkeley, Los Angeles, 1952.

القرطاس ، انظر ابن أبي ذرع .

ابن القاضى ، جدوة الاقتباس فى احكام مسخرة

فاس ، طبع حجر ١٣٠٩ هـ .

ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ،

المتوفى سنة ٢٧٦ هـ / ٨٨٩ م) ، الامامة

والسياسة ، فى يزين ، طبعة القاهرة ،

١٣٢٨ هـ .

— القسم الخاص بفتح الأندلس ، من

ملاحق كتاب افتتاح الأندلس لاسى

القرطية ، طبعة مدريد ، ١٨٦٨ م .

القلقشندي (أبو العباس أحمد ، المتوفى سنة

٨٢١ هـ / ١١٨ م) ، صبح الأعشى فى

سناعة الانشا ، طبع القاهرة ، ١٩١٣ -

ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس طبعة

مدريد ، ١٨٦٨ - هى عربى وترجمة

الاباضى ، طبع القاهرة ، اكتوبر ١٩٦٤م

— الجزء الثامى ، لى : الاباضية فى

ليبيا . طبع القاهرة ، أغسطس ١٩٦٤م

علوش

L.S. Allouche, deux épîtres de théologie abadite, Hespéris (22 année, 1936, Facs. I).

العمرى ، مسالك الاصدار فى مسالك الاصدار ،

طبعة دار الكتب ، ١٣٤٢ هـ / ١٩٢٤ م

(ج ١) .

— ترجمة جرنية حاسة ببلاد المغرب

والسودان ، بالفرنسية ، باريز ، ١٩٢٧

انظر جودفروا ديومبين

(Gaudefroy-Demombynes)

العياشى ، الرحلة ، مخطوط طرابلس ، مكتبة

الأوقاف حراة من — دفا — رقم ٣٤٠ ،

(ج ٢) .

— طبع حجر فاس .

عياض ، أبو الفصل بن موسى اليحصى

الستى ، توفى ٤٦٧ هـ / ١٠٨٣ م .

— ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى

سيرة اعلام منجب مالك ، طبع بيروت

١٩٦٥ .

— تراجم اغلبية مستخرجة من مدارك

القاضى عياض ، تحقيق محمد الطالبى ،

طبع تونس ١٩٦٨ .

الغبريني ، أحمد بن أحمد ، توفى سنة

٧١٤ هـ / ١٣١٥ م .

— عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء

فى المائة السابعة ببحاية ، نشر عادل

نويش ، طبع بيروت ، ١٩٦٩ .

ابن غلبون (ارتحل الى الارمر وعاد الى طلم

مسراة سنة ١١٣٣ هـ) ، كتاب التذكير

حين ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار .

— نشر الطاهر أحمد الزاوى ، القاهرة ،

١٣٤٩ هـ .

لاوست
E. Laoust, L'habitation des
transhumants du Maroc cen-
tral, Hespéris t. 14, 1932,
Fasc. 2.

الملكى (أبو عبد الله بن أبي عبد الله - رعى
حوال منتصف القرن الخامس الهجرى :
رياض النفوس فى طبقات علماء القيروا
وامريقية ورمادهم وعيسادهم ونساجم
رسير من أحبارهم وفضانلهم وأوسانهم
نشر حسين مؤنس ، القاهرة ، ١٩٥١ م .
مارتينو ماريو مورينو ، المسلمون فى عقبة ،

و . مارسيه
W. Marçais, un siècle de re-
cherches sur le passé de l'Al-
gérie musulmane (R.H.,
1931).

ج . مارسيه
G. Marçais, La berbérie mu-
sulmane et l'orient au moyen
âge, Paris, 1946.

- المجلد فى الفن الاسلامى (بالفرنسية)
طبع لاورس .
- أنظر شارل ديل وحورج مارسيه .

ج . ماركي
J. Marcy, Le dieu des aba-
dites et des Bargwata, Hes-
péris, t. 22, année 1936,
Fasc. 1.

الماوروى (أبو الحسن على بن حبيب البصرى
المتوفى سنة ٤٥٠ هـ / ١٠٥٧ م)
الأحكام السلطانية ، طبعة القاهرة
١٢٢٧ هـ / ١٩٠٩ م .

مبارك بن محمد الميل ، تاريخ الجزائر فى
القديم والحديث ، حراة ، الجزائر
١٣٥٠ هـ .

اسبابية بمعرفة ربييرا ، (طبعة بيروت
بمعركة عبد الله أنيس الطباع) .

ماليا
R. Cagnat, Le frontière mili-
taire de la tripolitaine à l'épo-
que romaine, Paris, 1912.

مكتاب الاستبصار فى عجائب الأمصار (وصف
مكة والمدينة ومصر وملاد المغرب
والسودان - ق ٦ هـ (١٢ م) ، نشر
وتعليق سعد رعلول عيسى الحميد ،
مطبوعات جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ،

مكتاب السياسة فى تدبير الرياسة ، فى الأصول
اليونانية للطبقات السياسية فى
الاسلام ، تحقيق عبد الرحمن بدرى ،
القاهرة ١٩٥٤ .

مكتاب الميرون والحدائق ، ج ٣ ، طبعة لندن ،
١٨٧١ م .

ماين الكردوبوس ، تاريخ الأندلس ، تحقيق
مختار المسادى ، طبع مدريد ١٩٧١ .

مكربسويل ، المصادة الاسلامية المكرة ، طبعة
بيكان ، مالانجليزية .

الكندى (ابو عمر محمد بن يوسف الكندى ،
المتوفى سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م) ، كتاب
الولاية والقضاء ، نشر روى جيت

Rhuvén Guest ، طبعة بيروت ،
١٩٠٨ ، مع مقدمة بالانجليزية ، طبعة
لندن ، ١٩١٢ .

(W.D. Cooley) ، ملاد السودان العربية ،
مالانجليزية ، لندن ١٩٦٦ .

لارنود
H. Larnaud, Algérie (Coll.
L'union française), Paris,
1950

La lutte entre arabes et Byzantins, Alexandrie, 1947.

- ليبيا ، الاسم ومدلولاته التاريخية ،
مجلة كلية الآداب والتربية بالجامعة
الليبية بملاي ، المجلد الأول سنة
١٩٥٨ .

- تقييمات اقلية من العصر العباسي
الأول ، مجلة كلية الآداب جامعة
الاسكندرية ، ١٩٤٤ .
- المراطون : تاريخهم السياسي (٤٣٠ -
٥٣٩ م) ، طبع القاهرة طبعة أولى
١٩٦٩ .

محمد علي ديوق ، تاريخ الحرب الكبير ، ج ٢
المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي ،
المتوفى سنة ٣٤٥ هـ / ٩٥٦ م) .
مروح الذهب ومصادر الجواهر ، طبعة
التحارية ، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .

مصطفى محمد صبيح ، الاسلام والموت في
المصور الوسطى ، طبع القاهرة ١٩٦٠ .

مصطفى عبد الله يعقوب ، المجلد في تاريخ ليبيا
من أقدم العصور الى العصر الحاضر ،
الاسكندرية ، ١٩٤٧ .

مصطفى كمال عبد العليم ، يهود الاسكندرية
في عصر البطالة والرومان ، كتاب مجمع
الاسكندرية عبر العصور ، طبع جامعة
الاسكندرية ١٩٧٥ .

مصعب الزبيدي ، كتاب نسب قريش ، تحقيق
بروفيسور ، سلسلة ذخائر العرب ،
القاهرة ، ١٩٥٤ م .

المقدس ، أحسن التقاسيم ، طبع بريل ١٩٠٦ .

المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي المتوفى سنة
٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م) . المواعظ والاعتبار
في ذكر العطل والأثار ، حزماني .
- انماط الحنكا بأخبار الأئمة الخلفاء ،
مشر وتحقيق جمال السديس الشيباني ،
القاهرة ١٩٤٨ م .

محمد بن محمد الجاني ، سيرة الحاجب جعفر
ابن علي وحروج المدي صلوات الله عليه
 وآله الطاهرين من سلفية ووصول الى
سجلناسة وحروجه منها الى وقادة ، مشر
إفانوف ، مجلة كلية الآداب جامعة
القاهرة ، المجلد الرابع ج ٢ ديسمبر
١٩٣٦ ، ص ١٠٧ - ١٢٣ .

محمد طاكبي ، عن الأعالي في تاريخ تونس -
العصر الوسيط ، بالفرنسية ، باريس
١٩٦٦ .
- أنظر تراجم أعلية .

محمد الطيب بن أحمد ادريس الأنسب ، برقة
العربية أسس واليوم ، القاهرة ١٩٤٥ .

محمد عبد القمم الشرفاوي ومحمد محمود
الصياد ، ملاحق المغرب العربي ،
اسكندرية ، سنة ١٩٥٩ .

محمد القادري ، مشر التامي (ترجمة فرسية
بمعرفة

**Ed. Michaux-Bellaire, archives
Mars Caines, Paris, 1917,
Vol. 24.**

محمد بن عثمان الحبشاني (التونسي ، توفي
١٣٤٠ هـ) ، حلاه الكرب عن طرابلس
العرب ، نسخة بالالة الكاتبة عن مكتبة
حسن حسني عبد الوهاب بتونس ، مكتبة
بلدية الاسكندرية ، رقم ٢٥٩١ ب .
محمد عبد الله عثمان ، دولة الاسلام في الأندلس
من اللبح الى نهاية مملكة غرناطة ،
القاهرة ، ١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م .

- ابن خلدون (حياته وتراثه الفكري) ،
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٣ م .

محمد عبد الهساني شعيرة (ناشرناك) ،
تاريخ ليبيا والعالم الاسلامي ، طبعة
القاهرة ، ١٩٦٢ م .

- الصراع بين المغرب والبيروطي
بالفرنسية ،

انواعى موج اريفيصة ، طما برين
١٣١٥ هـ (مخطوط المتحف البريطاني
القسم العربى ، رقم
Add. 9572

- كتاب قصة الهندس ومانيا من احساب
الله عليهم اجمعين ، مصر ١٦٧٨ هـ
(ومخطوط مدرسة اللغات الشرقى فلندن
والمراتب وما وقع للمصاحبة فيها صوان
فتح الهندسة وتيزم - القسم السادس
٢٦٣٨٦)
- فتوح مصر والاسكندرية ، طبعة ليدن ،
١٨٢٥

الودجلاى (ابو يعقوب بن ابراهيم) كتب
الدليل لأهل العقول ، القاهرة ، طبع
حجر

الوسيانى ، ابو الربيع سليمان بن عبد السلام
من رجال القرن السادس الهجرى/ ١٢ م
- كتاب السير ، مخطوط دار الكتب
المصرية ، رقم ح/ ٩١١٣

وهب بن منبه ، كتاب التيجان فى ملوك حمير ،
ط - حيدر اباد الدكن ، ١٣٤٧ هـ

ياقوت ، (شهاب الدين ابو عبد الله ياقوت
ابن عبد الله الحموى الرومى السندادى
المتوفى سنة ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م) ، معجم
البلدان ، طبع القاهرة ، ١٢٢٣ هـ/
١٩٠٦ م

اليقوبى (احمد بن ابي يعقوب بن جعفر بن
وهب بن واسع ، تولى سنة ٢٨٤ هـ/
٩٨٧) ، تاريخ اليعقوبى ، ٢ ج ، ليدن
١٨٨٣ م
- كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٩٢ م

هيشو
M.E. Michaux, Conférences
au Cours préparatoires de
services des affaires indigè-
nes, archives Marocaines,
Vol. 27.

نجيب ميخائيل ، مصر والشرق الادنى القديم ،
ج ١ مصر طبعة ١٩٦٣ م

نص جديد عند فتح العرب للفرج - انظر
بروفنسال

القافى النعمان ، انظر ابن حيون

التويرى (شهاب الدين احمد المتوفى سنة
٧٣٣ هـ/ ١٣٣٣ م) ، نهاية الادب فى
فنون الادب ، الجزء الخاص بتاريخ العرب
والاندلس ، مخطوط مصور ، مكتبة كلية
الادب جامعة الاسكندرية رقم ٢٢ م

ابن هشام (ابو محمد عبد الملك بن هشام
ابن ايوب الحميرى - تولى سنة ٢١٨ هـ
٨٣٤ م) ، السيرة النبوية ، ٤ اجزاء ،
تحقيق مصطفى السقا ، ابراهيم الايباوى،
عبد الفيظ شمسى ، مصر ، ١٣٥٥ هـ/
١٩٦٦ م

هوبال
P. Hulac, Tunisie (Coll. L'u-
nion française, Paris, 1918).

هرودوت
Herodotus, The histories (the
penguin classics), 1935 (Book
3)

الفهرست

(١)

ابراهيم بن سفيان التميمي : ٣٦ .

ابراهيم بن محمد الشيباني : ٥٩٤ .

ابراهيم بن محمد اليماني (الهذلي) : ٥٩٥ .

ابراهيم بن موسى بن عياض : ٥٦٠ ، ٥٦١ .

ابراهيم بن مسكين : ٣٧٩ .

ابراهيم بن الهيثم : ٤٣ ، ٥٤ .

ابن الأبار : ٥٩ ، ٦٠ .

ابن أبي أحمد : ١٣٨ .

ابن أبي حجر : ١٧٧ .

ابن أبي الحواجب : ١٠٨ ، ١١٠ .

ابن أبي فرح : ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٢ .

٤٤٧ - ٤٥٠ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ ، ٤٧٥ .

٤٧٦ ، ٤٧٨ .

ابن أبي الوليد : ١٧٨ .

ابن أبي اليمانية : ٤٩٣ .

ابن الأثمت : ٢٩٧ .

ابن الأثير : ٢٩ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٦١ .

٧٦ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١١٤ .

١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ .

١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٩٠ ، ١٩٢ .

١٩٥ ، ١٩٦ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ .

٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ .

٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ .

٢٦٤ - ٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ .

٢٨٥ ، ٢٨٥ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

٥٥٥ ، ٥٦٣ ، ٥٧١ ، ٥٧٦ ، ٥٨٤ .

ابن جبر : ٢٠٥ .

الأباضية : ٣٦ ، ٤٠ ، ١٢٤ - ١٢٦ ، ١٢٤ .

١٤٢ ، ٢٩٠ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨ .

٣٠٠ ، ٣٠٢ - ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ .

٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ .

٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ .

٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ .

٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ .

٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٧ - ٣٨٩ .

٣٩١ - ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ .

٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٢٩ ، ٤٦١ ، ٤٩٢ .

٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١٢ .

٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٣ - ٥٢٥ .

٥٣٨ ، ٥٤٨ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٥ .

ابراهيم بن أبي الأغلب : ١٦٤ ، ١٧٨ .

١٧٩ ، ١٧٣ ، ١٨٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ .

٥٧٤ ، ٥٧٧ .

ابراهيم بن أحمد بن أبي عقيل : ١٧٤ .

ابراهيم بن الأغلب بن سالم بن خفاجة التميمي : ٢٧ - ٤٣ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٤٦٦ ، ٤٤٠ .

٤٤٤ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ .

ابراهيم الثاني بن أحمد بن محمد بن الأغلب

ابن ابراهيم بن الأغلب : ٣٣ ، ٢٧٢ .

٤٨٦ ، ٤٩٥ ، ٥١٧ ، ٥٣١ .

ابراهيم بن يبربر بن يعقوب : ٥٨١ .

ابراهيم بن البروج : ٥٧٢ .

ابراهيم بن حبش : ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٣ .

١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٦ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ .

- ابن حنيس (البواس) : ١٧١ .
 ابن حماد : ٥٥٩ ، ٥٩٤ .
 ابن حوقل : ٢٤ ، ٢٩٣ .
 ابن الخطيب (لسان الدين) : ١٠٧ .
 ابن خلدون : ٦١ ، ٧٦ ، ١١٥ ، ٢١٣ ، ٢٣٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٩ ، ٢٩٣ ، ٣٠١ ، ٣١٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٢٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٣ ، ٤٦٣ ، ٤٦٨ ، ٤٧٢ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٥٢٧ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ .
 ابن ركايا : ٥٦٨ .
 ابن الصغير : ٣٤٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧١ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٤ ، ٤٩٩ .
 ابن عباد : ٢٣٠ .
 ابن عباس : ١٧٧ .
 ابن عبدون القاضى : ١٥٧ .
 ابن عذارى : ٣١ ، ٤٥ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٤٩ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ، ١٩٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٧ ، ٢٦٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧١ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ .
 ابن غانم (عبد الله بن عمر الرعيلى) : ٦٦ ، ٤٨٤ .
 ابن قادم : ٢٢٢ .
 ابن القاسم المصرى : ٦٧ .
 ابن القاسم (من اصحاب مالك) : ٨٧ .
 ابن التكان : ٧٦ .
 ابن قرقب : ١٧٧ .
 ابن الكياد : ١٦٢ .
 ابن مسعود يصلتن : ٢١ ، ٥٢٤ .
 ابن مسعود الاندلسى : ٣١٥ .
 ابن مسالة الهوارى الأبلقى : ٥٠١ ، ٥٠٤ .
 ابن الواسطى : ٣٦٢ .
 ابن وردة : ٣٢ ، ٣٦٢ .
 ابن وهب : ٨٧ .
 ابن الهمزاني : ٥٧٥ .
 ابن يزيد : ١٧٨ .
 ابو ابراهيم احمد بن محمد بن اغلب : ٩٩ - ١٠٤ ، ٢٥٤ .
 ابو احمد التالسى : ٥١٨ .
 ابو الاحوص المكلف : ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٧ .
 ابو اسحق ابراهيم بن احمد بن محمد بن اغلب بن ابراهيم بن اغلب : ١١٣ - ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٥ ، ١٧٢ ، ٢٤٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ .
 ابو اغلب بن ابراهيم بن احمد بن اغلب : ١٥٢ .
 ابو اغلب ابراهيم بن عبد الله : ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٦ .

- أبو الأظف المباس بن لعل : ٢٤٣ .
 أبو بكر بن اللج : ٣٥٥ - ٣٦٤ .
 أبو بكر الصديق : ١٦٥ ، ٣٠١ ، ٣٨٢ .
 ٥٣٣ .
 أبو بكر اليلسوف (ابن القمودي) : ٥٨٤ .
 أبو بكر يوسف النلوس : ٣٦٢ .
 أبو يلق مرناس : ٣٠٤ .
 أبو تمام لعل بن نوح : ٥٥٤ .
 أبو نور : ٣٦١ .
 أبو جعفر أحمد بن الأظف : ٧٩ - ٨٣ .
 أبو جعفر القزوي : ٥٨٢ .
 أبو جعفر النصور : ٥٢٦ .
 أبو حاتم : ٢٦٥ .
 أبو حاتم يوسف بن أبو اليقظان : ٢٧١ -
 ٢٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ ، ٣٩٤ .
 ٤٠٤ ، ٥٠٠ .
 أبو الحسن أيوب : ٣٢٤ ، ٣٣٥ .
 أبو الحسن بن حاتم : ١٧١ .
 أبو الحسن عبد الله بن مالك الغزدي
 الأمانلي : ٤٤٢ ، ٤٤٦ ، ٥١٨ .
 أبو الحسن زوق : ٣٧٥ .
 أبو طمس أحمد بن عثيث : ١٢٦ .
 أبو طمس عمر البلوخي : ٢٢٩ .
 أبو حمزة التشاري : ٣٠٤ .
 أبو عبد الله أحمد بن علي بن حميد : ٧٩ ، ٨٠ .
 أبو عبد الله رواس بن صولات الكهيسي : ٥٦٥ .
 أبو حنيفة : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٢٩٣ .
 أبو خازم عتيبه القاطلي : ٨٦ .
 أبو خالد بن يزيد الياس العمري : ٤٤٠ -
 أبو الخطاب الأيللي : ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٣٩٩ .
 ٣٠١ ، ٣٣٤ ، ٤١٠ ، ٤١١ .
 أبو الخطاب وسيم : ٣٦٤ ، ٣٦٦ .
 أبو خلافة محمد بن اسماعيل : ١٠٦ .
 أبو الربيع الوسياني : ٥١٠ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ .
 أبو الربيع سليمان بن عمران بن أبي حاتم
 (خروله) : ١٠١ ، ١٠٨ .
 أبو زكريا تلم بن معاذ : ٥٥٢ ، ٥٩٤ .
 أبو زكريا : ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ .
 ٢٢٤ - ٢٢٦ ، ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤ .
 ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٩ - ٢٥٢ ، ٣٦٨ .
 ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ .
 ٢٦٠ - ٢٦٧ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٥٢٠ .
 ٥٩٥ ، ٥٩٦ .
 أبو زكريا الكتاني : ٢٢٠ .
 أبو سليمان : ٥٣٥ ، ٥٤٧ .
 أبو سليمان محبوب ابن الرحيل : ٣٢٥ .
 أبو سلامة اليوراسني : ٣٨٥ .
 أبو سليمان بن يعقوب بن اللج : ٣٩٨ .
 ٤٠٠ - ٤٠٣ .
 أبو المباس للعروك بالكفسوم : ٥٨٢ .
 ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٤ .
 أبو المباس بن عبد الله بن يعقوب : ٢٦٢ .
 أبو المباس بن علي : ٢٧٣ .
 أبو المباس بن فتحو : ٢٨١ .
 أبو المباس عبد الله بن يعقوب : ٢٦٢ .
 أبو المباس بن علي : ٢٧٣ .

- أبو العباس بن شعون : ٢٨١
- أبو العباس عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : ٢٨ - ٤٣ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٥٥ - ١٥٦ ، ٢١١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٤ ، ٥٣٦ ، ٥٦٠ .
- أبو العباس محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الأغلب بن سالم : ١٩٦ ، ٢٤٢ .
- أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : ٧٧ ، ٧٨ .
- أبو عبد الله أحمد بن محمد الكاتب : ١٢١ .
- أبو عبد الله بن أبي اسحق : ١٢٨ ، ١٢٩ .
- أبو عبد الله الشيعي : ١١٧ ، ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦١ - ١٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ - ٢٩٨ ، ٤١٧ ، ٤٢٥ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ، ٥٤٥ - ٥٦٨ ، ٥٧٢ - ٥٧٧ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٦ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٨ .
- أبو عبد الله محمد بن أبي حسان اليحصبي : ٧٨ ، ٨٦ .
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ : ٣٦٧ ، ٣٦٨ .
- أبو عبد الله محمد بن علي بن حميد : ٧٩ ، ٨٠ .
- أبو عبد الله يحيى بن سليمان : ٥٦٦ .
- أبو عبيد مسلم بن أبي كريمة التميمي : ٢٩٠ ، ٥٢٢ .
- أبو عبيدة بن الجراح : ٢٨١
- أبو عبيدة الأعرج : ٣٦٩ .
- أبو عبيدة عبد الحميد الجنولي : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٤٢ - ٣٤٧ ، ٣٨٤
- أبو العرب : ٢٠
- أبو الغراف بن أبي سلمة : ٦٢ - ٦٤ .
- أبو عقاب الأغلب بن محمد بن أحمد : ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٣٦٨ .
- أبو عقاب بن أبو الفرائق : ١١٣ ، ١١٦ .
- أبو عمرو : ٣٣٠ .
- أبو الفرائق (أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن محمد بن الأغلب) : ١٤٠ - ١١٣ ، ٢٦١ - ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٤٨٧ .
- أبو فهر محمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : ٤٣ ، ٦٢ .
- أبو فهر محمد بن عبد الله التميمي : ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤٦ .
- أبو القاسم البقلاوي : ٣٩٢ .
- أبو القاسم رستم (ابن حوشب) : ٥٤٦ ، ٥٤٧ .
- أبو القاسم سحنون بن واسيل : ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ .
- أبو القاسم نزار : ٥٨٧ .
- أبو مالك أحمد بن عمر بن عبد الله بن إبراهيم ابن الأغلب : ٢٦١ ، ٢٧٣ - ٢٧٦ .
- أبو محرز (محمد بن عبد الله بن ليس الكنتاني) : ٤٤ ، ٥١ ، ٦٦ - ٧٢ ، ٨٦ ، ٢١٢ .
- أبو محمد زياده الله بن محمد بن الأغلب : ١٠٤ .
- أبو مدين بن أبي كخاله : ٥٧١ .
- أبو مدين بن فروخ : ٥٧٧ .
- أبو مسلم منصور بن اسماعيل : ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .
- أبو المصعب بن زداره : ١٨٤ .

- أبو مضر زيادة الله بن أبي العباس عبد الله
ابن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن
الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب : (أكثر
زيادة الله الثالث) : ١٥٨ - ١٨٣ .
٢٥٦ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
- أبو المقارح الحسن بن أحمد بن نائلة : ١٧١ ،
١٧٢ .
- أبو مكدول : ٥٧٦ ، ٥٧٧ .
- أبو منصور أحمد بن إبراهيم : ١٤٠ .
- أبو منصور الياس بن منصور النفوس : ١٢٤ ،
٢٨٣ - ٢٨٧ ، ٢٩١ .
- أبو المنيب اسماعيل بن درار القناسي :
٣٢٤ ، ٣٤٥ .
- أبو الموفق سعدوس بن عطية : ٣١٢ .
- أبو نصر القتي : ٨١ .
- أبو اليسر الكاتب : ٥٩٤ .
- أبو يعقوب اسحق بن سليمان الاسرائيل
(الشطيب) : ١٧١ .
- أبو يعقوب الزاني : ٣٧٨ .
- أبو اليقظان محمد بن الفتح : ٣٥٤ - ٣٦٠ ،
٣٦٢ - ٣٧٢ ، ٣٨٨ ، ٥٠٠ .
- أبو يوسف بن مكنون بن غبار : ٥٥٢ ،
٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٧٠ .
- أبو يونس وسيم بن يونس النفوس : ٣٥٠ .
- دجاجة (قبيلة) : ٥٥٢ .
- أحمد بن الأغلب بن إبراهيم بن الأغلب :
٧٨ ، ٨٦ ، ٢٤٤ .
- أحمد بن أبي الحسين بن رباح : ٢٨٥ ،
٢٨٦ .
- أحمد بن أبي معمر : ٦٥ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ .
- أحمد بن ادريس بن ادريس : ٥٩ .
- أحمد بن دبوس : ٣٧٨ .
- أحمد بن جلوك : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٦٥ .
- أحمد بن سليمان بن سواده التميمي : ٨١ -
٨٣ .
- أحمد بن سليمان السكتاني : ٥٧١ .
- أحمد بن فروخ الغني : ٥٨٢ .
- أحمد بن قريش : ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .
- أحمد بن محمد بن حمزة العروث : ١٣٢ .
- أحمد بن محمد الحفري : ١١٠ .
- أحمد بن محمد بن سحرين : ٥٩٤ .
- أحمد بن مسعود الشهود بالخال : ٦٣ ، ١٦٧ ،
١٧٠ .
- أحمد بن منصور : ٢٨١ ، ٢٨٢ .
- أحمد بن نائلة : ٢٨ .
- أحمد بن نصر الهواري البربري : ٥١٦ .
- أحمد بن يعقوب : ٢٥٤/٢٥٥ .
- ٤٢١ ، ٤٢٤ ، ٤٥١ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،
الأفارس : ١٦٥ ، ٢٨٩ ، ٢١٤ ، ٤١٧ ،
٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ،
٤٧٩ ، ٨٢ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٥٠٢ - ٥٠٦ ، ٥١٠ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ،
٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٣٤ ،
٥٣٥ .
- الدريس بن ادريس : ٣٩ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ،
٤٤١ - ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥٧ ،
٤٧٣ ، ٥٠٥ ، ٥١١ ، ٥١٨ .
- الدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي
طالب : ٤٢٣ - ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ،
٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٥١ ،
٤٥٢ ، ٥١٢ ، ٥٨٨ .
- الدريس بن محمد بن جعفر : ٥٣٥ .

- الادريسي : ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٢٢٠ .
- ادريان : ٢٦٧ .
- اسحاق بن ابي سلاسي : ٥٧١ .
- اسحق بن عمران القنطري : ١٣٦ .
- اسحق بن محمد بن عبد الحميد الأوزي :
٤٢٨ ، ٤٣٠ ، ٤٤٤ .
- اسحق بن نعمان : ٥١٦ .
- اسد بن الفرات : ٢٧ ، ٤٤ ، ٥١ ، ٥٨ ،
٦٧ - ٦٩ ، ٨٨ ، ٨٦٦ ، ٩٤ ، ٩٧ ،
١٩٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ،
٢٥٣ ، ٥١٧ .
- اسماء بنت اسد بن الفرات : ٩٤ .
- اسماعيل بن جعفر الصادق : ٥٣٩ .
- اسماعيل بن سليمان بن سالم : ٤٨ .
- اسماعيل بن الصمصامة : ٦١ .
- الاسماعيلية : ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ،
٥٤٦ .
- الاسلام : ٣٦ ، ٦٨ ، ٢٩٩ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
٣٧٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٢ ، ٤٣٤ ، ٤٤٢ ،
٤٤٦ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٨٠ .
- اشبان (ملك) : ١٩٧ .
- اشهب : ٨٧ .
- الاصطخري : ٢٠٤ .
- اصبغ بن وكيل الهواري (فرغلوش) : ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٣٣ .
- اصيلا (مدينة) : ٤٥٩ ، ٤٦٠ .
- الأغلب بن ابراهيم بن الأغلب (ابي عقال) :
٤٣ ، ٧٥ - ٧٧ .
- الأغلب بن عبد الله بن الأغلب : ٧٦ .
- الأغلب بن محمد الأغلب (خرج الرعونة) :
٣٦٨ .
- الأغلبية : ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٧٣ ، ٨٥ ،
١١٩ ، ١٢٠ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ،
١٤٩ ، ١٥١ ، ١٦٠ - ١٦٥ ، ١٦٩ ،
١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٩٦ ،
٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ،
٢٥٦ ، ٢٦٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٧ - ٢٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،
٣١٠ ، ٣١٧ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ،
٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ،
٣٦٦ ، ٣٦٧ - ٣٧٣ ، ٣٧٧ ،
٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ .
- الالحج بن العباس : ٣٧٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣ ،
٣٩٤ .
- الالحج بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن : ٨٥ ،
٣٢٣ ، ٣٢٨ ، ٣٣١ ، ٣٣٧ - ٣٤٤ ،
٣٤٧ - ٣٥٧ ، ٣٨٤ ، ٤٩٩ ، ٥٢٦ .
- الهرقلي (ملك) : ١٩٧ .
- الياس بن صالح بن طريف : ٤٣١ .
- البيد (البيد) : ١٩٦ .
- اليسع بن ابي القاسم : ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ،
٤١٤ ، ٤١٥ .
- اليسع بن مناد : ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ .
- الأمويون : ٨٥ ، ١٠٩ ، ٣٢٤ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ،
٤٢٩ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٥٠٧ ، ٥٣٤ ،
٥٤٢ .
- الامين (الخليفة) : ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ .
- انجلود (نجلود) : ٢٧٢ .
- الاندلسيون : ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٨ - ٢٢٣ ،
٢٦٥ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٣٠٣ ، ٣٢٦ ،
اوراس : ١٣٥ ، ٥٠١ .

- جعفر بن معبد : ٤٩
- جعفر بن يحيى اليرمكي : ٢٩ ، ٣٠
- جلال (والسنة زيادة الله بن ابراهيم بن
الأغلب) : ٦٣
- جوثيه : ٢٩٣ ، ٤٢٨ ، ٤٤٤
- جورج مارسيه : ٧٥ ، ٤٨٧ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦
- ٥١٩ ، ٥٣٦
- جيوشنانو بارتيسياريو (دوق البنديه) :
١٢٣

(ح)

- حباب بن عمرو بن معاوية : ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨
- حبيب بن أبي عبيد بن عتبة بن قافع : ١٤٩
- حبيب بن ليث : ٥٧٢
- حسان بن التمام : ٧٣ ، ٧٤ ، ١٠٢
- حسن بن أبي خنزير : ٥٨٠
- الحسن بن أبي العيش : ١٦٥
- ١٦٠
- حسن بن أحمد : ٥٦٠
- الحسن بن أحمد بن علي بن كليب : ٥٨٢
- الحسن بن أحمد بن أبي ضرير : ٢٨٦
- الحسن بن حاتم : ١٦٥
- الحسن بن سليمان : ١٢٦
- الحسن بن حرب الكنسي : ٣٤ ، ٣٥
- الحسن بن عباس : ٢٦٩ ، ٢٧٠
- الحسن بن علي بن أبي طالب : ٥٣٥ ، ٥٣٦
- حطس بن عمر : ٥١٧

- بنو يوسف : ٣٦
- بهرام : ٢٨٩
- البهلول بن راشد التميمي : ٦٧ ، ٨٦ ، ٥١٥
- بهلول بن عبد الواحد : ٣٦
- البهلول بن عمر بن صالح الفقيه : ٧٨ ، ٨٦
- البيزنطيون : ٢٠٨ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٤
- ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧
- ٢٧٢

(ت)

- تاسنا (امرأة) : ٤٣٢ ، ٤٨ ، ٤٦٠ ، ٤٧٢ ، ٥١٩
- تميم اليفرنى : ٤٣٢
- التميميون : ٢١٧
- تورط (البطريق) : ٢٢٦ ، ٢٣٢

(ث)

- ثابت بن خيثم الأردني : ١٩٣
- ثعلبة بن معارب أبو عبد الله : ٤٧٦

(ج)

- جابر ابن زيد : ٣٤٩
- جالبتيوس : ٢٠٩
- جيريل (عليه السلام) : ٦٨
- الجرمان : ٢٥٨
- جعفر العاجظ : ٥٩٢
- جعفر الصادق : ٣٥ ، ٥٤٦
- جعفر بن محمد : ٢٦٧ ، ٢٦٨

(ح)

خريش بن عبد الرحمن بن خريش الكندي :
٢٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٨٥ -

خطبة بن سفيان بن سودة : ٨١ ، ٨٣ ،
٨٤ ، ٨٥ ، ٩٦ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ٢٥٤ ،
٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٣ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ -

خطبة العبيس : ١٣١ ، ١٧٢ ، ٥٧٩ -

خلف بن أحمد بن علي بن كليب : ٥٨٢ -

خلف الخادم : ٣٦٠ ، ٣٦١ -

خلف بن السج : ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ،
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦ ، ٣٨٤ -

خلفون الكيرري : ٣٦٤ -

خلفون بن مهدي : ٥٧٢ -

الخلفية : ٣٥٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ -

خليفة بن خياط : ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ -

الخوارج : ٤٠ ، ٧٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠١ ،
٣٠٥ ، ٣٤٥ ، ٣٨١ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،
٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٥٥ ،
٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٩٢ ،
٥٠١ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٣٣ ،
٥٣٨ -

الخوارج الإباضية : ١٩١ -

الخوارج الصفرية : ١٩١ ، ٥١٩ -

خوارج مديونة : ٤٧٥ -

(د)

داود بن اندريس بن اندريس : ٤٥٨ ، ٥٠٣ -

داود بن حبانة : ٥٦٣ -

٥٨٣ -

الاحسينيون : ١٦٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،

الاحسن بن نافع : ١٣٢ ، ١٣٨ -

٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٧١ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ -

٤٩٤ -

الاحسن بن هرون الفهمي : ٥٥١ - ٥٥٥ -

الاحسين بن احمد : ٢٧١ -

الاحسين بن رباح : ٣٦٢ - ٣٦٣ ، ٣٦٨ ،
٣٦٩ -

الاحسين بن علي بن ابي طالب : ٥٣٥ ، ٥٨٣ -

الاحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي

ابن ابي طالب : ٤٢٣ -

الحكم بن هشام : ٢٢٨ ، ٤١٤ ، ٤٥٢ ،

٤٩٢ -

حنس بن حميد : ٤٢ -

الحلواني : ٥٣٥ ، ٥٤٧ -

حماد السعدي : ٣٠ -

حماس بن مروان : ١٦٣ ، ١٧٠ ، ١٧٥ -

حمز بن المؤلف : ٣٩٩ -

حمود بن بكر : ٣٧٠ -

حمدون الطنبلي : ٥٨ ، ٥٩ -

حمديس بن عامر بن نافع : ٥٨ -

حياة (مولى ابي طلال الاغلبى) : ٢٤١ -

الحالية : ٧٩ ، ٦٨ ، ٢٨٠ -

حي بن مالك الكيلوي : ١٠٦ -

حيدرة : ٥٧٤ -

الروم : ٦٨ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ،
٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣٤ ،
٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ،
٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٧ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ،
٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٨ ،

الرومان : ٧٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ،

(ج)

زكار : ٣٧٩ ،
زكرياء بن محمد بن الحكم اللخمي : ٦٧ ،
٦٨ ،
زكوية : ٢٨٧ ،

زنانة : ٣٦ ، ٥٥ ، ٢١٤ ، ٣٢٦ ، ٣٥٤ ،
٣٦٣ ، ٤٢٠ ، ٤٢٤ ، ٤٧٨ ، ٤٩٣ ،
٥٠٠ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ،
٥٧٦ ،

زهير بن قيس اليلوي : ١٧٩ ،

زهير بن غوث : ٢٢٦ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ،

زواطة : ٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ،
٤٣٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٥٠٠ ،

زواوة : ٤٢٠ ،

زيادة بن سهل (ابن الصقلية) : ٤٤ ،

زيادة المتوسي : ٥٥٤ ،

زيادة الله بن ابراهيم بن الألب : ٤٠ ، ٥٤ ،
٦٠ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٩٦ ،
١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ،
٢٢٤ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ،
٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٥٠٧ ،

زيادة الله الثاني بن الألب : ٤٨٧ ، ٤٩٨ ،
٥٣١ ، ٥٣٢ ،

داود بن حمزة الوادري : ٨١ ،

داود بن القاسم بن اسحق بن عبد الله بن جعفر
ابن أبي طالب : ٤٤١ ، ٤٥٥ ،

الدرجيني : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣١٤ ،
٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٥٣ ، ٣٩٣ ، ٤٠٥ ،
٤٢٤ ،

(د)

داود (قائد الجند السوفان) : ١٢٣ ،

داود (مول ادريس) : ٤٢٥ ، ٤٢٦ ،
٤٢٨ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢ ،

دراج بن يعقوب : ٢٤٧ ، ٢٥٠ ، ٣٦٢ ،
٣٦٦ ،

الربيع بن حبيب : ٢٢٣ ، ٢٣٠ ،

ربيع بن سليمان : ٤٧٧ ،

رستم : ٢٨٩ ،

الرسيمون : ٨٥ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٤١ ،
٢٨٩ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٢٣ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ ،
٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ،
٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
٤٠٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ،
٤٩٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ،
٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٨ ،

الرسول (صل الله عليه وسلم) : ٣٠١ ،
٣٠٦ ،

الرفيق : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٩ ،
٥١ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١٢٣ ، ١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ٢١٣ ،

رقية بنت اسماعيل بن عمر مصعب الأزدى :
٤٦٢ ،

روح بن خالد : ٦٦ ،

- سهل بن حاجب : ٣٠ ، ٣١ .
• سوانه بن محمد بن طحاجة : ٢٧١ ، ٢٧٢ .
• ٢٤٧ .
• سوانه النمراني : ١٣١ .

(ش)

- شاول الأصلح : ٤٩٢ .
 شالكان : ٣٨ .
 شجرة بن عيسى : ٤٧ ، ٤٨ .
 الشرق : ١١٨ .
 شكر بن صالح الكتامي : ٣١٢ .
 الشماخي : ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣١١ ، ٣١٤ .
 - ٣٤٦ ، ٤٠٥ .
 شبيب بن أبي الصارم : ١٧٨ ، ١٧٦ ، ٥٧٦ .
 شبيب بن أبي شهاب القمودي : ١٧١ ، ١٧٢ .
 - ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
 شبيب بن المصري : ٣٣٠ .
 شبيب ابن العروف : ٣١٩ .
 الشيعة : ٣٠٩ ، ٣٩٥ ، ٤٢٢ ، ٤٣٢ ، ٤٧٢ ،
 ٤٩٤ ، ٥٦٦ ، ٥٢٣ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ .
 - ٥٥٠ ، ٥٨١ ، ٥٩٥ .

(ص)

- صاحب الاستبصار : ٤١٠ ، ٤١٣ .
 صالح بن جنون : ٣٦٨ ، ٣٦٩ .
 صالح بن سعيد التفری : ٥٠٥ .
 صالح بن طریف : ٤٢٢ .
 صریته : ٤٦٩ .
 صفوة : ٥٠ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .
 الصفریة : ١٦٨ ، ٢٩٠ ، ٣٠٩ ، ٣٧٥ .
 ٣٩٥ ، ٤١ ، ٤٢٢ ، ٤٣٩ ، ٤٧٤ .

- زيادة الله الثالث من الأعمام : ٥٦٣ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٩ - ٥٨١ ، ٥٨٧ ، ٥٩٠ - ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٨ .

- قيادة الله الطنبى : ١٧٤ ، ٥٦٧ •
 زيد بن علي زيد العابدين بن الحسين : ٥٢٩ •
 زيد لواصل بن عطاء : ٣٢٤ •

(س)

- سالم بن سودة : ٤٤ .
 سالم بن غليون : ٨٢ .
 . ٤٨
 سحمان بن عمرو بن معاوية : ٤٥ ، ٤٦ ،
 ٩٠ - ٩٦ ، ١٠١ ، ١٠٨ ، ١١١ ،
 سحنون بن سعيد : ٧٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ،
 . ٢١٤ ، ٢١٨ .
 سداثة : ٣١٦ ، ٤٣٠ ، ٥١٠ .
 سعدون الحلوي : ٢٨٢ .
 سعد بن أبي يونس : ٣٥٠ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ .
 سعد بن وسيم : ٣٥١ ، ٣٥٢ .
 سيفان بن سودة : ٥٥ ، ٥٦ .
 سيفان بن الكفا : ٣٦ ، ٤٠ .
 سلامة بن سعيد : ٢٨٩ ، ٢٩٠ .
 سليمان بن جديده التمشاخ : ٤٣٦ .
 سليمان بن عالية الطرطوشي : ٢٣١ .
 سليمان بن عثمان بن أبي عبيدة : ١٩٤ .
 سليمان بن عمران الحنفي : ١١٠ ، ١١١ .
 سليمان بن راشد : ١٩٦ .
 السنة : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٥٨٣

- العباس بن أيوب بن العباس : ٢٤٧ .
- العباس بن الفضل بن يطوب : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .
- ٢٥٠ - ٢٥٤ ، ٢٦٠ ، ٢٧٠ .
- عباس بن الوليد اللقيط الصالح : ٦٢ .
- عبد الرزاق الموشقي الأندلسي : ٤٧٢ ، ٤٧٣ - ٤٧٦ ، ٤٩٣ .
- عبد الرحمن بن أبي سلمة : ٦٢ ، ٦٤ .
- عبد الرحمن بن أبي سهل : ٤٧٠ - ٤٧٢ .
- عبد الرحمن الأوسط بن هشام : ٣٨٥ ، ٤٨٩ .
- عبد الرحمن بن حبيب : ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٩٦ .
- عبد الرحمن بن رستم : ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٥ - ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٩ .
- ٣٧٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٩٩ ، ٥٠١ .
- ٥٢٥ .
- عبد الرحمن بن زياد بن أنعم : ١٩٤ ، ٥٢٣ .
- ٥٢٥ ، ٥٤٦ .
- عبد الرحمن بن معاوية (اللؤلؤ) : ٤٢٥ .
- ٥٢٧ .
- عبد الرحمن بن صواب النخوس : ٣٧٩ .
- عبد الرحمن الناصر : ٢٣٦ ، ٤٩٩ ، ٥١٩ .
- عبد الرحيم بن عبد ربه القريشي : ٢١٤ .
- عبد السلام بن عبد الوهاب : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .
- عبد السلام بن الفرع : ٥٣ ، ٥٧ ، ٥٩ .
- ٦١ ، ٦٢ .
- عبد الله بن إبراهيم (الأحول أو أبي حوال) : ١٢٥ ، ١٥٧ ، ١٦١ ، ١٦٤ .
- عبد الله بن إبراهيم بن الأغبيا : ٥٩ ، ١٢٨ .
- ٣١٤ ، ٣٢٢ ، ٣٨٩ ، ٤٧٩ ، ٥١٧ .
- عبد الله بن أبي حسان اليمصبي : ٦٨ .
- عبد الله بن الأغبيا بن إبراهيم بن الأغبيا : ٥٠ .

- ٤٩٣ ، ٥٠٢ ، ٥٢٢ ، ٥٩٥ .
- الصفالية : ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٥٨ ، ١٨٢ ، ١٨٤ .
- ٢١٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٥٢٢ .
- صنهاجة : ٢٩٨ ، ٣٧٥ ، ٤٣٤ ، ٤٤٩ ، ٤٥٩ .
- ٤٦٠ ، ٤٧١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥ .
- صولات بن القاسم الكتاني : ٥٧٢ .

(ط)

- طارق بن زياد : ٢٢٢ ، ٤٣١ .
- طريف بن ملوك : ٤٣١ .
- الطرابلسيون : ٣٦ .
- طليب بن كامل : ٨٧ .
- الطولونيون : ١٢٠ .

(ع)

- عاتكة بنت علي بن عمر بن ادريس : ٤٧٠ .
- ٤٧١ .
- عامر بن محمد بن سعيد : ٤٤٢ .
- عامر بن المعمر : ٣٦ ، ٢٨ .
- عامر بن قانع : ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٦١ .
- ٦٣ .
- العامري : ١٢٧ .
- العباس (عم النبي صلى الله عليه وسلم) : ٥٣٧ .
- العباسيون : ٣٥ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ ، ٣٠٦ .
- ٣٠٢ ، ٣٨٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٦ ، ٤٧٧ .
- ٤٨٥ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٦ .
- ٥٨٩ .
- العباس بن أحمد بن طولون : ١٢٠ - ١٢٦ .
- ١٣٣ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ٤٨٩ .

- عمرو بن العاص : ٢٨١ ، ٥٢٤ .
- عمرو بن لائق الكلبي : ٢٩١ ، ١٩٢ .
- عمرو بن معاوية : ٣٦ ، ٢٨ ، ٤٥ ، ٤٦ .
- ٤٨
- عمرو بن مصعب : ٤٤٥ .
- عيش بن الحليل : ١٩٠ .
- عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان : ٥٠٤ .
- عيسى بن ادریس بن ادریس العلوي : ٤٥٨ .
- ٤٦٠ ، ٤٦١ .
- عيسى بن ربهان الأودي : ٧٥ .
- عيسى بن فراتس : ٣٦٨ ، ٢٧٠ .
- عيسى بن مسكين : ١٥٢ .
- عيسى بن مريم (عليه السلام) : ٥٤٦ .
- عيسى النوري : ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ .
- عيسى بن يزيد الأسود : ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٤ .

(غ)

- غلبون (الألبان بن عبد الله بن الألبان) : ٤٠ ، ٤٧ ، ٤٩ .

(ق)

- القايكان : ٣٦٤ .
- القاهيون : ١٦٦ ، ٢٣٠ ، ٢٤٠ ، ٢٨٦ .
- ٢٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ .
- ٤٨٦ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٧ ، ٥٢٨ .
- ٥٣٣ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ .
- ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٩٢ ، ٥٩٨ .
- قلعة بنت محمد القاهري القرواني : ٤٦٥ .
- ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

- القز بن محمد : ٣٩٩ .
- عقبة بن قافع : ٧٢ ، ١٠١ ، ١٠٦ ، ١١٣ .
- ٢٩١ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٤٢٨ ، ٤٥٤ .
- ٥٣٤
- علي بن أبي طالب : ٣٥ ، ١٦٠ ، ٢٢٢ .
- ٣٦٧ ، ٣٨١ ، ٣٩١ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦ .
- ٥٣٧ ، ٥٥٠ ، ٥٨٣ .
- علي بن حامد بن مرحوم الزناني : ٥٠٥ .
- علي بن حامد بن مرحوم الزناني : ٥٠٥ .
- علي بن حفص (ابن علوبة) : ٥٤ ، ٥٤٣ ، ٥٦٣ .
- علي بن زياد التونسي الميبي : ٦٧ ، ٨٧ .
- علي بن سليمان العباسي : ٤٢٥ .
- علي بن عمر بن ادریس بن ادریس : ٤٦١ .
- ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٥٠٤ .
- علي بن الفضل : ٢٤٩ ، ٢٥٢ .
- علي بن محمد بن ادریس بن ادریس : ٤٦١ .
- ٤٦٢ ، ٤٦٤ ، ٤٦٨ .
- عمران بن أبي معمر : ٧٠ ، ٧١ .
- عمران بن مجاهد الربيعي : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ .
- ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٥٨ ، ٥٩ .
- عمران بن مروان الأندلسي : ٣١٢ .
- عمر بن ادریس بن ادریس : ٤٥٩ ، ٤٦١ .
- عمر بن حفص : ٢٩٠ ، ٤٧٧ .
- عمر بن الخطاب : ١٦٥ ، ٣٠١ ، ٣٢١ .
- ٣٨٢ ، ٥٢٣ .
- عمرو بن فتح التميمي : ٣٨٢ ، ٣٨٤ .
- ٥٢٥
- عمرو بن سليم التميمي : ٨٤ .
- عمرو بن سليم القويح : ٨٤ ، ٩٥ ، ٩٦ .

قثم بن عوانه الكلبي : ١٩٤
القرامطة : ١٦٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٦ ، ٥٨٦
القرشيون : ٢١٧
القرطاجيون : ٢٠٨
قسطنطين (قيصر الروم) : ١٨٩ ، ١٩٥
قسطنطين (حاكم صقلية) : ٢٦٣
قسطنطين (بطريق صقلية) : ٢٨
قسطنطين كونستانتينوس : ٥٣٩
القيسيه : ١٣٤ ، ١٧٢ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ، ٥٠٦

(ك)

كتامة : ١٣٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢١٧ ، ٢٨٥ ، ٣٩٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٨ ، ٥٢٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨١ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨

كرناتية : ٥٧١ ، ٥٧٩

الكنسي : ٢٢٨

كنز (والده اديس الاول) : ٤٥٧

(ل)

لطاية (قبيلة) : ٥٦١

لاية (قبيلة) : ٤٣٠

طامة الزهراء : ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٨٣
فتح القدس : ١٣٢
فتح بن يحيى السالتي : ٥٥٤ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥
٥٦٦
لعل بن روح : ٥٥٩
فرج بن نصر النلوس : ٣٤٨
فرج بن جبران : ٥٥٩
فرلويوس : ٢٠٩
الفرنج : ١٧٧ ، ٢٢٨ ، ٢٧٨
الفرس : ٢٨٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٣٥٩ ، ٢٨٨ ، ٣٦٥ ، ٦٤ ، ٦٤ ، ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥٩٥

الفضل بن أبي المنير : ٦٢

الفضل بن جعفر الهزاني : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨

الفضل بن روح : ٢٨ ، ٢٩

الفضل بن يحيى البرمكي : ٤٢٤

الفضل بن يعقوب : ٢٣٥ ، ٢٣٧

فندلاوه : ٤٣٤

طيمي اوفيموس (القائد البيزنطي) : ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٥

الليثيون : ٢٠٨

(ق)

القاضي النعمان : ١٦٤ ، ١٧٤ ، ١٧٨ ، ٥٣٥ ، ٥٥١ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧

القاسم بن اديس بن اديس : ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١

- محمد بن ادريس بن ادراس العلوي : ٤٥٧ .
 ٥١٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ .
 ٤٥٨ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٧١ .
 محمد بن احمد ابو الغرانيق : ٢٥٦ ، ٢٦٥ .
 ٥٠٣ .
 محمد بن اسماعيل بن الحسن : ٥٤٥ .
 محمد بن اسماعيل بن سليمان بن سالم : ٤٨ .
 محمد بن الاسود الصديقي : ١٥٧ .
 محمد بن الاثنت : ٢٩٠ .
 محمد بن الاغلب : ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٢ .
 ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٥ ، ٩٦ .
 ٦٧ ، ٩٩ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ٢٤٤ .
 ٢٤٦ .
 محمد بن جعفر : ٥٠٤ .
 محمد بن جيمال القاضي : ١٧٨ .
 محمد بن حماد : ٣٧٣ .
 محمد بن حمزة : ٤٧ ، ٥٠ .
 محمد بن الحنفية : ٥٣٧ .
 محمد بن حمدون الاندلسي القفاري : ١٠٧ .
 محمد بن حيون : ١٣٠ .
 محمد بن طرد بن صولات القراوي : ٤٣٥ .
 ٤٤٤ .
 محمد بن خلاجة بن سليمان : ٢٥٤ ، ١٢٥٦ .
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 ٢٦٣ ، ٢٦٩ .
 محمد بن ديبوس : ٣٧٨ .
 محمد بن دباح : ٤١٧ .
 محمد بن زيد الله : ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٦٣ .
 محمد بن سالم : ٢٣٥ .

لهيعة : ٥٥٤ .

لولة : ٧٥ ، ١ ، ١٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٥٤ .
 ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٤٠٦ ، ٤٤٦ ، ٥٧٩ .

اللواتيون : ١٢٧ .

لولي غلام احمد بن طولون : ١٢٠ .

الليث بن سعد : ٢٧ .

(م)

مالك بن انس : ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨٦ .
 ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ٤٩٣ ، ٥١٦ .
 ٥١٨ ، ٥١٩ .

الملكى : ٢١٢ ، ٢٢٢ ، ٥٢٠ .

الملكية : ٦٧ ، ٧٩ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٠٨ .
 ٣٤٨ ، ٣٨٠ ، ١٩٥ .

الامون (الخليفة العباس) : ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٤ .
 ٦٤ ، ٦٩ ، ٢١٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ .
 ٣٢٩ ، ٥١٥ .

اللودى : ٤٨٤ .

التركى : ٢٥١ ، ٢٦٤ ، ٣٥٤ ، ٣٨٨ ، ٤٨٦ .
 ٥١٥ .

مجير بن ابراهيم بن سليمان : ٢٧٤ .

المجوس : ٢٣٠ ، ٤٣٤ .

محكم الهوارى : ٣٣٦ .

محمد بن ابراهيم بن عبدوس : ١٠٩ ، ١١١ .
 ١١٢ .

محمد بن ابي بكر : ١٩١ ، ١٩٢ ، ٣٣٤ .

محمد بن ابي الجوارى : ٢٢٤ ، ٢٢٦ .

محمد بن ابي الحسين : ٣٦٢ .

محمد بن ابي العباس (الاحول او ابي حوال) :

- محمد بن سحنون : ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ -
 ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ٥١٧ -
 محمد بن المرقوس : ٢٨٥ -
 محمد بن سليمان : ٥٠١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ -
 محمد بن الشئشئ : ٢٣٤ -
 محمد بن عبد الله بن جيمال : ١٧٥ -
 محمد بن عبد الله بن أبي الشيخ : ٣٦٧ ، ٣٧٩ -
 محمد بن عبد الله الرعيشي : ١٣٠ ، ٢٣٥ -
 محمد بن عرفة : ٣٥٦ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٢ -
 محمد بن عبد الله بن الأغلب : ٥٠ ، ٥٣ -
 محمد بن عدون بن أبي ثور : ٢٣٠ -
 محمد عبد الهادي شعرة : ٤٨٧ -
 محمد بن الفرج الفرغاني : ١٣٠ -
 محمد بن فرد : ٥٩٥ -
 محمد بن الفضل : ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ -
 محمد بن قزح : ١١٦ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٥٦٥ -
 محمد بن مسالة : ٣٦٣ ، ٣٦٤ -
 محمد بن مفرج المعروف بابن الشاعر : ١٧٣ -
 محمد بن مقاتل العمري : ٣٩ ، ٤٠ ، ٣١ -
 محمد بن موسى المعروف بعمريان : ٨٤ -
 محمد بن ميمون : ٤١٧ -
 محمد القائم بن المهدي : ٥٤٦ -
 محمد بن يونس : ٣٢٧ ، ٣٢٨ -
 محمد بن يحيى بن عبد الأعلى الكروزي : ٥٨٣ -
 محمود بن أبي بكر : ٣٦٨ -
 محمود بن الوليد : ٣٥٩ -
 مبراد بن اليسع : ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ -
 مدح بن زكريا : ١٧٠ -
 مديونة : ٤٣٤ ، ٤٧٤ -
 المنداريون : ٤٧٩ ، ٤٨٣ ، ٤٨٦ ، ٤٩١ -
 ٤٩٣ ، ٥٢٠ -
 المرباطون : ٤٢١ ، ٤٣٣ ، ٤٦٠ ، ٥١٩ -
 مراد : ٢٩٨ -
 مروان بن محمد : ٤٩٧ -
 مزاته : ٣١٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٧ ، ٥٠١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ -
 المزانيون : ٥٠٠ -
 المستنير بالله (الخليفة العباسي) : ١٠٢ -
 ١١٣ ، ٤٨٧ -
 المستنير بن الحارث : ١٩١ ، ١٩٣ -
 ممراته : ٤٣٠ -
 مسعود الأندلسي : ٣١٢ -
 مسعود الباجي : ٣٧٧ -
 المسلمون : ٣١٧ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٨٤ -
 ٤٥٣ -
 مسوفة : ٤٠٩ -
 مشبانية : ٥٧٨ -
 مصالة بن حبوس : ٤٧٨ -
 مصعب بن سلمان : ٣١٢ -
 مطاطة : ٣٥٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ -
 المطاطيون : ٥٠٠ -
 مطيع السلمي : ٦١ -
 معاوية بن أبي سفيان : ٣٠١ ، ٣٢٤ -
 معاوية بن حديج : ١٩٠ -

- المختصر (الخليفة العباس) : ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦
 المعتز (الخليفة) : ١١٣
 المعتزلة : ٢٩٥ ، ٣٦٩ ، ٤٣٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢٦
 المعتز (الخليفة) : ١١٣
 المعز لدين الله الفاطمي : ٥٤٤ ، ٥٨٦
 مفراوة : ٤٣٥
 المغيرة بن أبي بردة العبدى : ١٩٠
 المخرج بن سالم : ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦
 المختصر (الخليفة العباس) : ١٦٥
 المقدس : ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧
 المقرئى : ٥٤٤ ، ٥٨٥ ، ٥٩١
 المكتلى (الخليفة العباس) : ١٦٦ ، ١٦٩
 ٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦
 المكنون : ٤٠٦
 مليلة : ٤٦١
 المنصور (الخليفة العباس) : ٢٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
 منصور بن خضر التنبلى : ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٨ ، ١٣٧
 المهتدى : ١١٣
 المهدي : ٥٣٣ ، ٥٥٥
 مهدي بن كتوة : ٥٥٥
 مهدي لؤلؤي : ٣٢٧ ، ٣٢٨
 مهلب بن صولات : ١٠٦
 المهلب بن أبي صفرة : ٤٧٦
 الموحدون : ٤٦٠ ، ٥١٩
 موسى بن أبي العافية : ٤٧٨
 موسى الكاظم : ٥٤٠
 موسى النوشري : ١٨٤
 موسى بن هياش : ٥٥٤ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠
 موسى بن نصير : ١٤٣ ، ١٩٠ ، ٢٢٢
 ميثال بن يوسف : ٣٥٢
 ميخائيل الثاني : ٢٢٢
 ميخائيل الثالث : ٢٥١
 ميرة الصلوى : ٤٢٢ ، ٤٢١ ، ٤٥٥ ، ٤٧٢
 ميمون (قائد الحرس السوفاني) : ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ، ١٤٢
 ميمون بن ادوا : ٤١٥
 ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن : ٣٢٥
 ميمون بن عمار : ٤١٥ ، ٤١٦
 (ن)
 النجى (صل الله عليه وسلم) : ٢٥ ، ٥٣٦ ، ٥٥٥ ، ٥٨٣
 النصرانية : ٤٣٤
 نصر بن حمزة الكاتب : ٧٩ ، ٨١
 نصر بن الصمصامة : ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٣٢
 نقات : ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦٤
 نفاوة : ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩
 نفزة : ٤٣٠ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٥٣٥
 نفوسة : ١٤٠ - ١٤٤ ، ٣٦٤ ، ٣٥٥ ، ٣٦٢
 ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٥ ، ٣٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥٥٠

(٩)

- الواصلية (مذهب) : ٢٩٥ ، ٣٢٤ - ٣٢٦ .
- ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٩٥ ، ٣٩٨ .
- وزداجة (قبيلة) : ١٢٧ .
- الوسيانى : ٣١٤ ، ٤٠٥ .
- الوليد بن يزيد : ٤٢٩ .
- الوندال : ١٩٧ ، ٢٠٨ .
- الوهية : ٣٢١ ، ٤٠٣ .

(١٠)

- ياقوت الحموى : ٢٠٥ ، ٢٠٨ .
- يعقوب بن ادريس بن ادريس العلوى : ٤٠٩ .
- ٥٠٢ .
- يعقوب بن ادريس بن عمر بن ادريس الامام : ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٥١٨ .
- يعقوب بن خالد البرمكى : ٤٣٥ ، ٤٣٦ .
- يعقوب بن زياد : ٢٩ .
- يعقوب بن القاسم المشهور بالعوام : ٤٧٢ .
- ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ .
- يعقوب بن عبد الله بن علي بن الحسن : ٤٢٤ .
- يعقوب بن عمر بن يوسف الأندلسى : ٢١٥ .
- ٢١٦ .
- يعقوب بن محمد بن ادريس بن ادريس : ٤٦٣ .
- ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ .
- يعقوب بن يعقوب بن محمد بن ادريس بن ادريس : ٤٦٣ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ .
- ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٠٣ .
- يزيد بن حاتم : ٧٣ ، ٤٧٧ .
- يزيد بن فدين اليربوعي : ٣١٢ ، ٣١٣ .

- الكار والتكارية : ٣٠٢ ، ٣١٨ ، ٣٢١ .
- ٣٢٢ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٥٣ ، ٣٦٩ .
- ٣٦٨
- النوعتى : ٥٥ .
- النورمديون : ٣٣٠ .
- نوطس : ٢٥٦ ، ٢٥٥ ، ٢٤٨ .
- التويرى : ٣١ ، ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٠ .
- ٥١ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٧٦ ، ٧٨ .
- ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٢٦ ، ١٣٢ -
- ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤٢ ، ١٤٥ ، ١٥٩ .
- ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٨٣ ، ١٩٢ ، ٢١٣ .
- ٢١٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ .
- ٣٧٣ .

(١١)

- الهادى : ٤٢٤ .
- هارون بن خمادوية بن احمد بن طولون : ٥٨٥ .
- هارون بن الطنبى : ١٧٤ ، ٥٦٧ .
- هارون بن يونس بن موسى المسالى : ٥٥١ .
- هارون الرشيد : ٢٩ - ٣١ ، ٣٨ - ٤٠ .
- ٦٦ ، ٢٨٩ ، ٤٢٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ .
- هاتم بن نافع : ٥٨ .
- الهاشمية : ٣٢ .
- هذيل النفل : ١٦٣ .
- هرثمة بن أعين : ٢٨ ، ٢٩ .
- هشام بن عبد الملك : ٧٤ ، ٤٢٩ .
- هواة : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٠٦ ، ١٢٧ ، ١٤١ .
- ٢١٧ ، ٣١٤ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ .
- ٢٣١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٨٠ ، ٤٣٤ .
- ٤٥٨ ، ٤٦٩ ، ٥٠١ ، ٥٦٧ .

- ٦٣١ -

٤-٤	٣١٥ ، ٥١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣
يعقوب بن يحيى : ٩٢	٣٢٤ ، ٣٣٠ ، ٣٣٣
اليطوي : ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠ ، ٥٠١	يزيد بن معاوية بن أبي سليمان : ١٠٩ ، ٣٠١
٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦	يزيد بن مبرق اليحصبي : ١٩٢
اليسع بن مراد : ٤١٧	بقتان بن أبي البقتان : ٥٩٥
يونس بن الياس : ٥١٩	بقتان بن محمد أبي البقتان بن الفلج : ٣٩٤
يوسف بن محمد بن الفلج : ٥٥٩ ، ٥٦٥	٣٩٦
	عقوب بن الفلج : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨
	٣٧٩ ، ٧١٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠

- ٦٣٢ -

ب - الأماكن

٢٤٠ ، ٢٣٧ ، ٢٣٤ - ٢٣٠ ، ٢٢٦
٢٦٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٢ ، ٢٥٥ ، ٢٤٦
٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٣
٣١٤ ، ٢٩١ - ٢٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٨٥
٤٠٦ ، ٤٠٤ ، ٣٦٠ ، ٣٤٢ ، ٣٤١
٤٤٢ ، ٤٣٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٥ ، ٤٢١
٤٨٣ ، ٤٧٧ ، ٤٦٤ ، ٤٤٩ ، ٤٤٤
٥٠٣ ، ٥٠٠ ، ٤٩٨ - ٤٩٤ ، ٤٨٧
٥١٦ - ٥١٤ ، ٥١٢ ، ٥٠٩ - ٥٠٦
٥٣٥ ، ٥٣٤ ، ٥٣٢ ، ٥٢٧ ، ٥٢٦
٥٧٣ ، ٥٦٨ ، ٥٦٥ ، ٥٦١ ، ٥٥٦
٥٩٧ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٨١ ، ٥٧٩
٥١٨

البحر : ٢٢٠

الأندلس : ١٤٣ ، ٩٨ ، ٩٣ ، ٨٥ ، ٧٢ ، ١٩٧
٢١٢ ، ٢١٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥ ، ١٩٧
٢٩٣ ، ٢٨٣ ، ٢٣٣ ، ٢٣٠ ، ٢٢٨
٣٠٢ ، ٢٢٤ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٠٢
٤٥٢ ، ٤٤٨ ، ٤٤٧ ، ٤٤٢ ، ٤٣٢
٤٧٣ - ٤٧٠ ، ٤٦٩ ، ٤٦٤ ، ٤٦١
٥٠٦ ، ٥٠٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٣
٥٣٥ ، ٥٣٤ ، ٥١٩ ، ٥١٢ ، ٥١١
٥٤٢ ، ٥٣٧

الكبرى : ٢٦٢

أوروبا : ٢٦٥ ، ٢٠٨ ، ٢٠٧ ، ١٩٨ ، ١٤٧ ، ١٤٦

أوسلم : ٥١٠

أوليه : ١٩٤

إيطاليا : ١٩٧ ، ١٧٧ ، ١٤٩ ، ١٤٨ ، ١٤٦
٢٤ ، ٢٢٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٠ ، ١٩٩

(١)

أبلانكو (حسن) : ٢٤٠

أبه : ١٠٦

أبوليا : ٢٦٥

أجلو : ٥١٠

الأربس : ١٧٣ ، ١٦٩ ، ١٣٦ ، ٥٧ ، ٥٠ ، ١٧٣

٤٩٨ ، ١٨٢ ، ١٨٠ ، ١٧٩ ، ١٧٦

٥٧٩ ، ٥٧٠ ، ٥٦٩ ، ٥٣٥

أرفوس (أرفوس) : ٢٥٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٥ - ٢٥٨

٢٥٨

الزوايا : ٢١٩

أسيانيا : ١٩٧

أصقلية : ١٩٨

الإسكندرية : ٢٣٠ - ٢٢٨ ، ١٨٤ ، ١٥٠ ، ١٧٦

٥٨٦ ، ٤٩٨ ، ٤٣١ ، ٢٩٦

أصقلية : ١٩٨

الأطيه (جبل النار) : ٢٠٦

أثبات : ٤٦٩ ، ٤٥٩

الريفية : ٢٧ - ٤٤ ، ٥٣ ، ٦١ ، ٦٧

٨٧ ، ٨٦ ، ٧٨ ، ٧٥ ، ٧٢ ، ٧٠

١١٤ ، ١١١ ، ١٠١ ، ١٠٠ ، ٩٠

١٣١ ، ١٢٩ ، ١٢٣ ، ١٢٠ ، ١١٨

١٦٥ ، ١٥٦ ، ١٤٦ - ١٣٦ ، ١٣٤

١٨٠ ، ١٧٦ ، ١٧٣ ، ١٧٠ ، ١٦٩

- ٢٠٧ ، ١٩٩ - ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٨٤

- ٦٣٣ -

٢٢٨ ، ٢٢٠ ، ١٨٤ ، ١٦٩ ، ١٦٦
٢٦٢ ، ٢٥٤ ، ٢٤٨ ، ٢٦٥ ، ٢٢٩
٤٥١ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٣٨٨ ، ٣٦٥
٤٨٧ ، ٤٨٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨٣ ، ٤٦٩
٥١١ ، ٥٠٤ ، ٤٩٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩١
٥٨٧ ، ٥٤٢ ، ٥١٥ ، ٥١٤

بلاد الجريد (الجريد أيضا) : ٤٠٦

بلاد الريف : ٤٩٢ ، ٥٠٣ ، ٥١٣

بلاد السودان (انظر السودان) : ٤٠٦ ، ٤٠٩

بلاد الطوب : ٤٦٥

بلاد غمارة : ٤٦٠

بلاد قازان : ٤٣٤ ، ٤٥٩

بلاد صموته : ٤٥٨

بلاد نفيس : ٤٥٩

بلاد خورقة : ٤٣٦ ، ٤٣٢ ، ٤٥٩

بلرم : ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢١٣

٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩

٢٥٠ ، ٢٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٦١

٢٦٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٤

بقره : ١٠٦ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٦٢ ، ١٧١

١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣

البنكية : ٢٢٣

بتروت : ٥٠

بنيو اللوبلدي : ٢٦٤

بوته : ٥٥٠ ، ٥٧٣

(ت)

تلا : ٤٣١ ، ٤٥٩

تلا : ٤٥٨

٢٢٥ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥

٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨

٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨

ديكجان (دار البهره) : ١٧٨ ، ٥٤٦ - ٥٥٦

٥٥٩ - ٥٦٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧٧ ، ٥٨٤

٥٩١

لايونيان : ٢٣٧ ، ٢٦٢

(ب)

باجه : ٤٤ ، ٥٠ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٨٤

١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢٥ ، ١٢٤

باري : ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥

بلاغيه : ١٣٤ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ١٧٦

٥٠١ ، ٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩

٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧

بجايه : ١٧٦ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢

البحر الادرياتي : ٢٦٤

بحر الشمال : ٢٣٠

البحر الابيض المتوسط : ١٥٠ ، ١٨٩ ، ١٩١

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٢

٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥

٢٦١

برنطيق : ٢٠٢

برقه : ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٨٩ ، ٤٢٦

٤٨٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٨٩ ، ٥٩٤

برنديزي : ٢٤١ ، ٢٦٤

بسكوه : ١٠٦ ، ١٤٤

البهره : ٢٤٠ ، ٢٩٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧

٣١٩ ، ٣٥٩ ، ٤٩٩ ، ٥٢٢

بيلاد : ٣٠ ، ٣٢ ، ٦٤ ، ٧٣ ، ٨٥

١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤

- ٦٣٤ -

تلمسان : ١٩٥ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،
٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ،
٤٩١ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥١١ ،
٥١٢ ، ٥١٨

تلول مناس : ٢٩١

تهوده : ٤٢٨

توزر : ١٧٨ ، ١٧٩ ، ٥٥٦ ، ٥٩ ، ٥٩١

توس : ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
٥١ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ،
٦٢ ، ٦٤ ، ٧٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١١٤ ،
١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ،
١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٧ ، ١٨٩ ،
١٩٠ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٤١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ،
٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٦

التير (نهر) : ٣٦٤

تيجس : ١٧٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨

تيلاني : ١٧٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٣

تيمتي : ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧

(ث)

تمطلاس : ٥٠٤ ، ٥٠٦

(ج)

جبل اوراس : ٢٣٩ ، ٥٣٣ ، ٥٥

جبل ايكجان : ٣٣١

جبل حامد : ٢١

جبل الخراين : ٥٧٩

جبل الذهب : ٢٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤ ، ٢٤٣

٢٥٧

تازروت : ٥٥٢ ، ٥٥٤ ، ٥٥٦

تافيارت : ٥٩٠

تافلت : ٤٠٩ ، ٤٢١

تاملت : ٥٠

تاملت : ٤٥٨

تاورغا : ١٤٣

تاهرت : ٢٤ ، ٧٨ ، ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٣٤ ،
١٤١ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٥ ،
١٩٦ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ،
٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦ ،
٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ،
٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣٦ ،
٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ،
٣٤٢ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ،
٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ،
٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ،
٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ،
٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ،
٣٨٣ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ،
٣٩٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ،
٤٧١ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٥٥ ، ٤٨٣ ،
٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ،
٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ،
٥٠٢ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٩ ، ٥١ ،
٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٩ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ،
٥٢٤ ، ٥٢٦ ، ٥٣٤ ، ٥٩٢ ، ٥٩٤ ،
٥٩٨ ، ٥٩٥

تبسا : ١٧٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٣

ترغة : ٤٥٩ ، ٥٠٥

تسباري : ٢٠١

تطوان : ٤٥٨

تقيوس : ٥٦

(ح)

الحجاز : ٦٦ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ٢١٩ ، ٢٤٨ ، ٤٢٤

حصص : ٨٦ ، ٥٤٢ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦

(خ)

خراسان : ٣٦ ، ٥٤٤ ، ٥٨٢

(د)

دار مدین : ٥٧٤

دار ملول : ٥٦٧

دمشق : ٥٠٦ ، ٥٨٦

دمشقي : ٢٠٢ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢

(ذ)

ذات الصواري : ١٨٩

(ر)

الرباط : ٥٨٢

رباط سوسة : ٧١ ، ٧٢ ، ١٠٢

رقادة : ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٨

١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢

١٤٢ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٦٢ ، ١٦٣

١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٢

١٨٢ ، ١٨٣ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠

٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠

الزقة : ١٨٤

الرحلة : ٥٨٦

روطة : ٢٦٦ ، ٢٧١

جبل زلندى : ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٥

جبل سوليج : ٢٩٦

جبل كزوله : ٢٩١

جبل طابق : ١٥٠ ، ١٩٩ ، ٤٨٢

جبال مديوت : ٤٧٢

جبل نفوسة : ٣٦ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٦

٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤

٣٣٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٨٢ ، ٣٩١

٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤

٤٨٩ ، ٥٠١ ، ٥٢٠ ، ٥٢٢ ، ٥٢٥

جرجنت : ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧

٢٧٦ ، ٢٧٧

جرجة : ٢٤٠

الجزائر : ٥٢٢ ، ٥٢٥

جزوله : ٥٠٥

الجزيرة : ٥٠

جزيرة الأرنب : ٢٠٢

جزيرة بنظلاوة : ١٩٩

جزيرة جربة : ٥٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦

٤٠٦

جزيرة الراسب : ٢٠١

جزيرة شريك : ٤٢ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٣٦

١٣٧ ، ١٩٩

جزيرة الكراث : ١٦١

جزيرة طريف : ٤٣١

جللودى : ٢٢٨

جزيرة مليكة : ٢٠٧

جزيرة يابسه : ٢٠١

الجيزة : ٥٨٦

• 212 , 210 , 197 , 196 , 190
210

سرفوسه : ١٩٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤
 ٢٠١ ، ٢٠٧ ، ٢١٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ،
 ٢٤٤ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،
 ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ،
 ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ،
 ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٤٧٢

سرقسطة : ٤٧٢

سپیٹ : ۱۴۷ ، ۱۶۴ ، ۵۵۴ ، ۵۵۶ ، ۵۶۰
۵۶۲ ، ۵۶۳

57. 40A : 2L

سابعه : ٥٤٢ ، ٥٤٦ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧

سبرقند : ۸۶

السودان : ٣١١ ، ٤٩١ ، ٤٩٨ ، ٥٩٨
٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٢٦

سوق ابراهيم : ٥-٤ ، ٥٠٥ ٥١٣

السوس الأدنى : ٤٢٨

السوس الأتقى : ٤٢٦ ، ٤٥٤ ، ٤٥٩ ، ٥٠٥
٥١٣ ، ٥٣٤

سوسة : ١٤٨ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٨ ، ٧٨١
 ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٥٨ ، ٥١٥
 ٥٨٢

(ش)

٤٥٨ : ٤٤٤

النظام : ٢٦ ، ٥٤ ، ٨٦ ، ١٢٠ ، ١٦٦ ،
٥١١ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ، ٥٤٦ ، ٥٨٥ ،
٥٨٧ ، ٥٨٦

ملفوظات : ٤٧٦

• ۲۲۲ ، ۲۱۱ ، ۲۰۰ ، ۲۰۴ ، ۲۰۳
۲۱۴ ، ۲۱۰ ، ۱۲۷ : ۴۹۹

ريو : ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩
الريف : ٥١٩

(j)

الزوايا : ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٨ ، ٧٨ ،
 ٨٢ ، ٨٤ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٤ ، ١٢٦ ،
 ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٥٧ ،
 ١٦١ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢١٧ ،
 ٢٩١ ، ٣١٣ ، ٤٠٦ ، ٥٠٠ ، ٥١٠ ،
 ٥٣٤ ، ٥٦٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ،
 ٥٧٠ ، ٥٧٦ ، ٥٩٠ ، ٥٩٤

(س)

ساقية مرس : ٥٨٠

سامرا : ۵۱۰

سبعة : ١٥٠ ، ٢٣٤ ، ٢٥٨ ، ٤٦١

السيرة . ١٤٥

سیرت : ۲۷۲

مئة : ٥٢ , ٥٣

مبسطة : ٥٠٦

سجلها سنة : ٢٤ ، ١٦٨ ، ٢٧٠ ، ٢٩٥ ،
 ٢٠٤ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،
 ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ،
 ٢٢٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ،
 ٠٠٢ ، ٠٠٥ ، ٠٢٠ ، ٠٢٤ ، ٠٦٥ ،
 ٠٧٦ ، ٠٨١ ، ٠٨٤ ، ٠٨٥ ، ٠٨٧ ،
 ٠٩٠ ، ٠٩١ ، ٠٩٢ ، ٠٩٣ ، ٠٩٤ ،
 ٠٩٦ ، ٠٩٧ ، ٠٩٨

سردينيا : ۱۸۹ ، ۱۹۱ ، ۱۹۲ ، ۱۹۳ ، ۱۹۴

طرابلس : ٢٠ ، ٣١ ، ٢٨ ، ٤١ ، ٥٢ .
 ١٠٠ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ .
 ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣٦ .
 ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ .
 ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٤ ، ١٦٠ ، ٢٩١ .
 ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٣ ، ٣١٤ ، ٣٦٥ .
 ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ .
 ٣٣٣ ، ٣٣٥ ، ٣٤٩ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ .
 ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٤٩٨ .
 ٥٠٠ ، ٥٠٦ ، ٥١١ ، ٥١٣ ، ٥١٧ .
 ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٢٢ .

قمر ایٹش : ۲۰۱ : ۲۰۲ : ۲۰۴ : ۲۷۱ ،
۲۸۱ ، ۲۷۷

مقدمة (حسن) : ٢٠٢

• 0.5, 270, 30A, 24A, 100 : 2.3
09A

طوبى : ٢٠

(ع)

٢٨ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٣ ، ٢٢ : ٢١
١١٦ ، ٨٥ ، ٥٥ ، ٥٤

عودة الأندلس أو الأندلسيين : ٤١٤ ، ٤٤٥

249, 208, 20, 229, 215

155 , 156 , 158 , 159

عبوة القروين : ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤٤٦

244 . 242 . 241 . 240 . 199

المرآة : ٢٢ ، ٢٤ ، ٦٦ ، ٦٩ ، ٨٣ ، ٩٦٦

• 219 , 210 , 205 , 2A1 , 241

• 08 • 015 • 071 • 0-4 • 74A

091 . 017 . 018 . 019 . 020

القرائش = 106

۲۴۶ ، ۲۴۵ : ۲۴۳

فتحية : ٥٢٧

بحث مارکو : ۲۰۲

جاسفورة : ٢٠٢ ، ٢٤٩

(۷)

صنعة الحرير : ٢٠٢

المسجد : ٥٨٦

مقاله‌ها : ۴۶۵ ، ۴۶۸

منفروا (مدينة) : ٤٧٤

مقلية : ٢٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٧٠ ، ٧٨ ، ٨٥ .

112 . 1-V . 1-E . 99 . 9A . AA

- 127 . 132 . 134 . 119 . 117

• 142 • 144 • 147 • 100 • 159

$$= 2.9, 2.2, 2.0 = 19, 189$$

— ۲۴۰ : ۲۴۷ : ۲۴۹ : ۲۵۸ : ۲۶۰ —

$$= 2\gamma + 2\beta + 2\alpha = 2(\gamma + \beta + \alpha)$$
 $\vdash \neg A_7 : \neg A_8 : \neg A_9 = \neg A_{10} : \neg A_{11}$

210 : 218 : 244 : 248 : 272

87

072

• ۱۷۵ : صفت

(卞)

طائفت : ۲۴۵ ، ۲۶۱ ، ۲۶۶

طبرشق : ۵۷۱ ، ۵۷۵

غير من : ١٤٨ ، ٢٠٠ ، ٣١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٩

• 27A • 27B • 209 • 20A • 20V

• 2A1 • 2V9 • 2V1 • 2V- 2579

TAY

$$1.14 + 1.12 + 1.11 + 1.10 + 1.07 = 5.54$$

1971, 1972, 1973, 1974, 1975, 1976, 1977, 1978, 1979, 1980, 1981, 1982, 1983, 1984, 1985, 1986, 1987, 1988, 1989, 1990, 1991, 1992, 1993, 1994, 1995, 1996, 1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 26

011 . 017 . 017 . 019

قلعة ابلاتنو : ٢٥٢
 قلعة جلفوري : ٢٥٢
 قلعة جيرونا : ٢٠٤
 للورية : ١٧٧ ، ١٦٨ ، ٢٠٢ ، ٢٢٠ ،
 ٢٢٧ ، ٢٥٣ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٨٣
 قلعة الحمة : ٢٠١
 قلعة شكله : ٢٠١
 قلعة صديبة : ٥٠٣
 قلعة عبد المؤمن : ٢٥٢
 قلعة قارلون : ٢٤٠
 قلعة القوارب : ٢٠٢
 قلعة الكرات : ٢٢١
 قلعة لتيتي : ٢٠١
 قلعة مدينة الملك : ٢٧٠
 قلعة النيا : ٢٠٧
 قلعة نفوسة : ٣٦٥
 قلعة نوغس : ٢١
 قموده : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٧٨ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦
 قنطرة : ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢
 ٤٠٣ ، ٥١٠
 قنطرة : ٣٦٢
 قلعة منيلة : ٤٧٣
 القبروان : ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣
 ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٤٢
 ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
 ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٤
 ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ،
 ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
 ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
 ١٠٣ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٠٢
 ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٦ ، ١٢٧

(غ)

غابة : ٤٠٩
 غلالية : ٢٢٢
 غماره : ٤٣٠ ، ٤٥٩ ، ٤٦١ ، ٤٧١
 غيابة : ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٧٥
 الغيران : ٢٥٧
 غيران لرقنة : ٢٥٣

(ف)

فارس : ٤٩٤ ، ٥٤٠
 فاس : ٣٤ ، ٢٦٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٤ ، ٤٢١ ،
 ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ - ٤٦٣ ،
 ٤٦٨ - ٤٧٧ ، ٤٩١ - ٤٩٤ ، ٥٠٢ ،
 فافوس (مدينة) : ٥٠٥ ، ٥٠٦
 فغ : ٤٢٣ ، ٤٢٤
 الفسطاط : ٢٧ ، ٣٤ ، ٢٢٨ ، ٢٩٦
 فلسطين : ١٨٤ ، ٥٨٢

(ق)

قلعة ارغوص : ٢٠١
 قلعة الارمنين : ٢٥٥
 قلعة انيسن
 قلعة اولي : ٢٠٢
 قلعة البلوط : ٢٠١ ، ٧٤٠ ، ٣٥٣
 قلعة جبل ابي مالك : ٢٥٥
 قلعة ابي ثور : ٢٤٧ ، ٢٥٧
 قلعة الا : ٢٥٢

(ل)

كتيشي : ٢٢٥ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤

لومبارديا : ٢٤٥ ، ٢٥٣

لياج : ٢٠٠

(م)

مارقة : ٧٢

ماقز : ١٦٩ ، ٢٠١ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٠

مالقة : ١٠٦ ، ٢٦١

مانو : ١٤١ : ١٤٢ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٣ ، ٣٦٠ ، ٣٦٣ ، ٥٢٣ ، ٥٢٥

مجانة : ١٧٨ ، ٤٩٦ ، ٥٧٠ ، ٥٧١

المعمدية : ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٥٨

مرج بلاطة : ٢١٩

مرسى الطين : ٢٤٥

مرمجة : ١٧٨ ، ٥٣٥ ، ٥٧٣

مرو الروز : ٢٧

مريناو : ٢٤٠

مطقرة : ٣٦

مكلانة : ٥٧٦

مكتاسة : ٧٥ ، ٤٠٦ ، ٤٣٠ ، ٤٥٨ ، ٤٦٩ ، ٥٠٤

مكة : ٢٨٩ ، ٣١١ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ ، ٣٥٤ ، ٤٢٢ ، ٥٤٧ ، ٥٨١

مسالة : ٥٧٨

١٣٩ ، ١٣٨ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٥٤ ، ١٥١ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ، ١٦٧ ، ١٦٣ ، ١٦٢ ، ١٦٩ ، ١٧٨ ، ١٧٧ ، ١٧٤ ، ١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨٩ ، ١٨٤ ، ١٨٣ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٤٤ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ٢١٤ ، ٢٤٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٠ ، ٢٦٥ ، ٢٥٤ ، ٢٨٥ ، ٢٩٥ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ ، ٣٨٨ ، ٣٠٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٧ ، ٣٩٣ ، ٤٨٤ ، ٤٦٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢١ ، ٤٨٥ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٧ ، ٤٩٤ ، ٤٩٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٦ ، ٤٩٥ ، ٥٠٠ ، ٥١١ ، ٥٠٧ ، ٥٠٦ ، ٥٠٣ ، ٥١٣ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٦ ، ٥١٤ ، ٥٢٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥٣٦ ، ٥٥٠ ، ٥٤٩ ، ٥٤٨ ، ٥٤٧ ، ٥٦٧ ، ٥٧٧ ، ٥٧٦ ، ٥٧٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧٨ ، ٥٨٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٤ ، ٥٩٣ ، ٥٩١

(لك)

كبيرة : ٥٦٤

كزيت : ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٦٤

كسته : ٢٨٣ ، ٢٨٤

كسيطة : ٤٢٨

كلابريا (انظر فلورية ايضا) : ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٩ ، ٢٧٤

كورسيكا (انظر كورشيكا ايضا) : ١٨٩ ، ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢١٠ ، ٢١٤

الكوفة : ٣٤ ، ٤٩٩

كنيسة السلفين : ٢٢١

٥٧ ، ٥١٤ ، ٥٠٦ ، ٥٠٢ ، ٥٠٠
 ٥٣٦ ، ٥٣٤ ، ٥٣٣ ، ٥٢٨ ، ٥٢٧
 ٥٨٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٥ ، ٥٤٤ ، ٥٣٩
 ٥٩٤ ، ٥٩١
 القرب الأدنى : ٤١١
 القرب الأقصى : ٣٩ ، ٢٨٩ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧
 ٤٢٣ ، ٤٢٢ ، ٤٢١ ، ٤١٧ ، ٤١١
 ٤٥٢ ، ٤٤١ ، ٤٣٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٦
 ٤٧٣ ، ٤٦٢ ، ٤٦١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٤
 ٥٠٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٣ ، ٤٧٨
 ٥٢٧ ، ٥٢٠ ، ٥١٩ ، ٥١٢ ، ٥١١
 ٥٣٦ ، ٥٣٤
 القرب الأوسط : ٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١
 ٣٩٤ ، ٣١٦ ، ٣١٤ ، ٣٠٣ ، ٢٩٥
 ٤٥٥ ، ٤٤١ ، ٤٣٤ ، ٤٢٨ ، ٤٠٤
 ٤٩٨ ، ٤٩٤ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٣
 ٥١١ ، ٥٠٥ ، ٥٠٣ ، ٥٠٢ ، ٤٩٩
 ٥٤٦ ، ٥٣٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٦ ، ٥١٣
 منتبة : ٢٧٢ ، ٢٧٣
 المهدية : ١٩٩
 ميدرة : ٥٧٣
 ميلاص : ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٠٢
 ميله : ١٤٧ ، ١٥٧ ، ١٦٤ ، ١٥٦ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥
 ٥٦٣ ، ٥٦١ ، ٥٦٠ ، ٥٥٩ ، ٥٥٦
 ميناس : ٢٩٣
 مينلو : ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢
 ٢٤٠
 (ن)
 نابول : ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٤
 نرطنوا : ٢٨٢
 نطقه : ٥٣٤ ، ٥٣٥

٢٤٣ : مسكان
 ٥٧٧ ، ٥٧٣ ، ١٧٨ : مسكينة
 ٢٣٧ ، ٢١٤ ، ٢٠٢ ، ٢٠٠ ، ١٩٩ : مسيني
 ٢٦٤ ، ٢٦٣ ، ٢٤٩ ، ٢٤٣ ، ٢٤٢
 ٢٨٣ ، ٢٨٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٨ ، ٢٧٤
 المشرق : ٥٤ ، ٥٧ ، ١٠٩ ، ٢٤٤ ، ٣٠٢
 ٢٤٩ ، ٢٤٨ ، ٢٤٣ ، ٢٣٥ ، ٢٢٩
 ٢٧٥ ، ٢٦٤ ، ٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٥٠
 ٤٣٢ ، ٤٢٩ ، ٢٢٤ ، ٢٨٨ ، ٢٧٦
 ٤٦٥ ، ٤٦٠ ، ٤٤٤ ، ٤٤١ ، ٤٣٥
 ٤٩٧ ، ٤٩٤ ، ٤٨٥ ، ٤٧٧ ، ٤٦٩
 ٥١٠ ، ٥٠٦ ، ٥٠٣ ، ٥٠٠ ، ٤٩٩
 ٥٣٤ ، ٥٢٦ ، ٥٢٥ ، ٥١٥ ، ٥١٤
 ٥٩١ ، ٥٨٥ ، ٥٨٣
 مصر : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٤٣
 ٨٠ ، ٦٧ ، ٦٦ ، ٥٥ ، ٥٤ ، ٤٥
 ١٦٢ ، ١٤٠ ، ١٢٢ ، ١٢١ ، ١٢٠
 ١٦٠ ، ١٨٤ ، ١٨٢ ، ١٧٦ ، ١٦٦
 ٣١٩ ، ٢٦٥ ، ٢٢٩ ، ٢٢٨ ، ٢٠٧
 ٤٨٤ ، ٤٨٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٤ ، ٢٢٠
 ٥٤٨ ، ٥٣٦ ، ٥١١ ، ٥٠٨ ، ٤٨٦
 ٥٨٩ ، ٥٨٨ ، ٥٨٧ ، ٥٨٦ ، ٥٨٥
 القرب : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٤ ، ٥٥ ، ٦٦ ، ٧٢
 ١٦٩ ، ١٦٨ ، ١٠٥ ، ٩٨ ، ٨٦ ، ٧٣
 ١٩١ ، ١٩٠ ، ١٨٩ ، ١٧٧ ، ١٧٧
 ١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٦ ، ١٩٥ ، ١٩٢
 ٢٨٦ ، ٢٨٣ ، ٢٣٠ ، ٢١٠ ، ٢٠٨
 ٣٠٤ ، ٣٠٣ ، ٢٩٥ ، ٢٩١ ، ٢٨٩
 ٢٤٥ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥
 ٢٨٧ ، ٢٧٥ ، ٢٧٠ ، ٢٥٧ ، ٢٤٩
 ٢٩٤ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٨
 ٢٢٢ ، ٢١٤ ، ٢١٣ ، ٢١١ ، ٢٩٨
 ٤٣٥ ، ٤٣٢ ، ٤٣١ ، ٤٢٤ ، ٤٢٣
 ٤٦٠ ، ٤٥٠ ، ٤٤٩ ، ٤٣٩ ، ٤٣٦
 ٤٧٢ ، ٤٧١ ، ٤٦٥ ، ٤٦٤ ، ٤٦٢
 ٤٨٤ ، ٤٨٣ ، ٤٧٩ ، ٤٧٧ ، ٤٧٦
 ٤٩٤ ، ٤٩٣ ، ٤٩٢ ، ٤٩١ ، ٤٨٧

- ٦٤١ -

وادي شلف : ٢٩١ ، ٤٠٤	نقيس : ٥٣٤
وادي فاس : ٥٠٥	نكور (ملين) : ٤٩٢ ، ٥٠٥ ، ٥١٨
وادي مجانة : ٥٧٨	نمالة (مدينة) : ٥٠٥
وادي مرجانة : ٥٧٨	نهرابي سم الله : ٢٢٠
وادي ملوية : ٤٢٨ ، ٤٣٦	نهر اسلان : ٢٢٠
وادي نفيس : ٤٩٢	نهر فاسي : ٢٢٠
وادي ورعاسة : ١٢٣	النهروان : ٥٢٤
وارجلان : ٢٦٨ ، ٢٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠٤	(و)
٤٠٦ ، ٥١٠ ، ٥٩٠	واحات قسيلية : ٤٠٦
وادي : ٥٠١	الواحات : ٤٠٤ ، ٤٠٥
ورجلة : ٥١٠	وادي ام الربيع : ٤٢٨ - ٤٦٠
وشقة : ٤٧٢ ، ٤٧٣ - ٤٧٥	وادي برباط : ٤٧٢
وليلي : ٤٢٦ ، ٤٢٨ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨	وادي الحجارة : ٥٣٧
٤٤٠ ، ٤٤٣ - ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٥٩	وادي درعة : ١٦٨ ، ٤٠٩ ، ٤٨٣ ، ٤٩١
(ي)	٤٩٢ ، ٥٠٢ ، ٥٠٥
اليمن : ٥٤٤ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٥٠	وادي الرمل : ٥٧٨ ، ٥٨٠
اليونان : ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩	وادي سيو : ٤٨٢ ، ٤٤٥

رقم الايداع بدار الكتب ٥٢٥٨ / ١٩٩٣
الترقيم النوى ٩ - ٢٠ - ٧٣٠٧ - ٩٧٧



General Organization of the Alexan-
dria Library (GOAL)

Βιβλιοθήκη Αλεξανδρινή

086/27